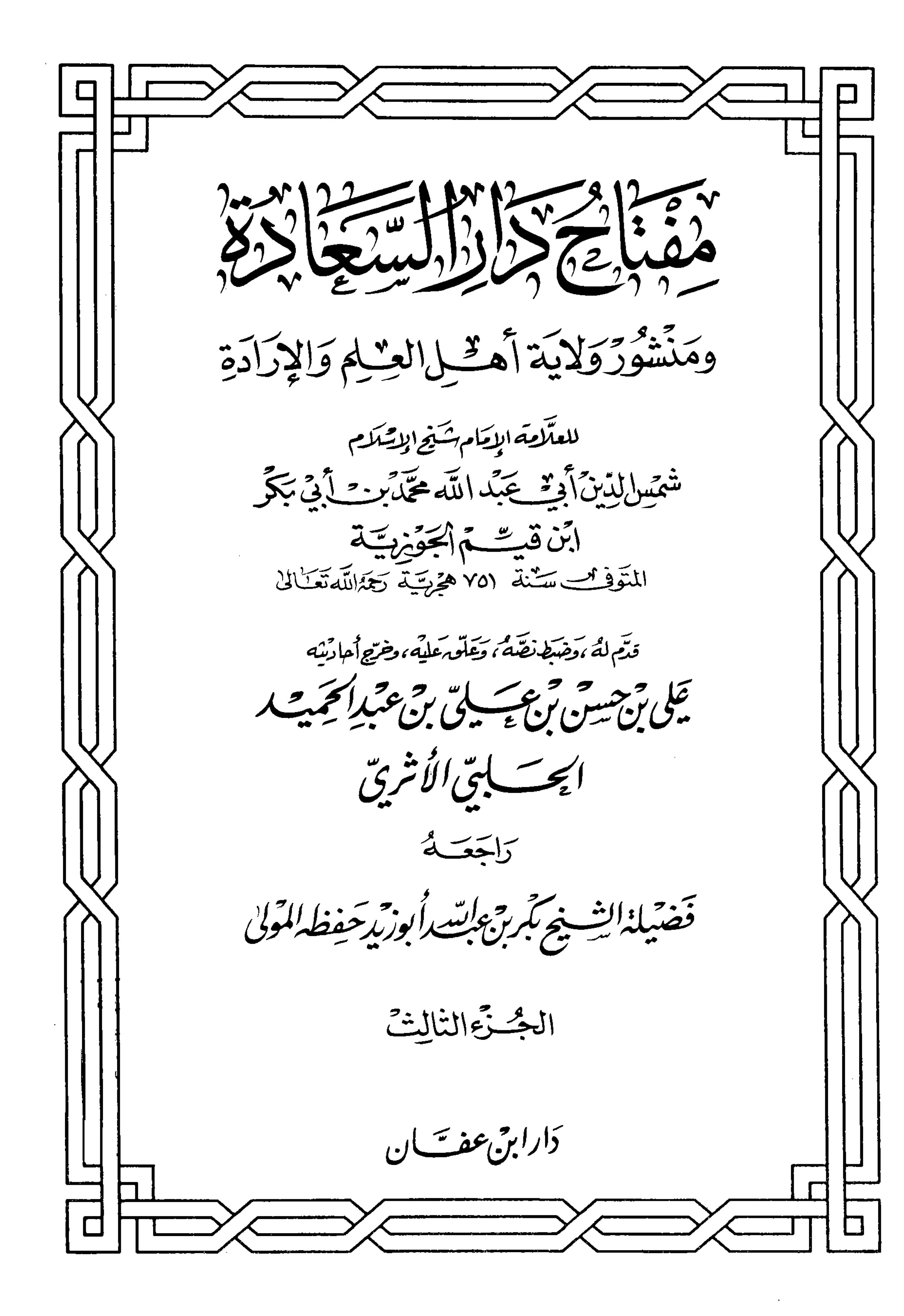


مِفتاح دار السّعادة

ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة

للعلّامة الإمام شيخ الإسلام

شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر

ابن قيّم الجوزيّة

المتوفى سنة ٧٥١ هجريّة رحمه الله تعالى

قدّم له، وضبط نصّه، وعلّق عليه، وخرّج أحاديثه

علي بن حسن بن عليّ بن عبد الحميد

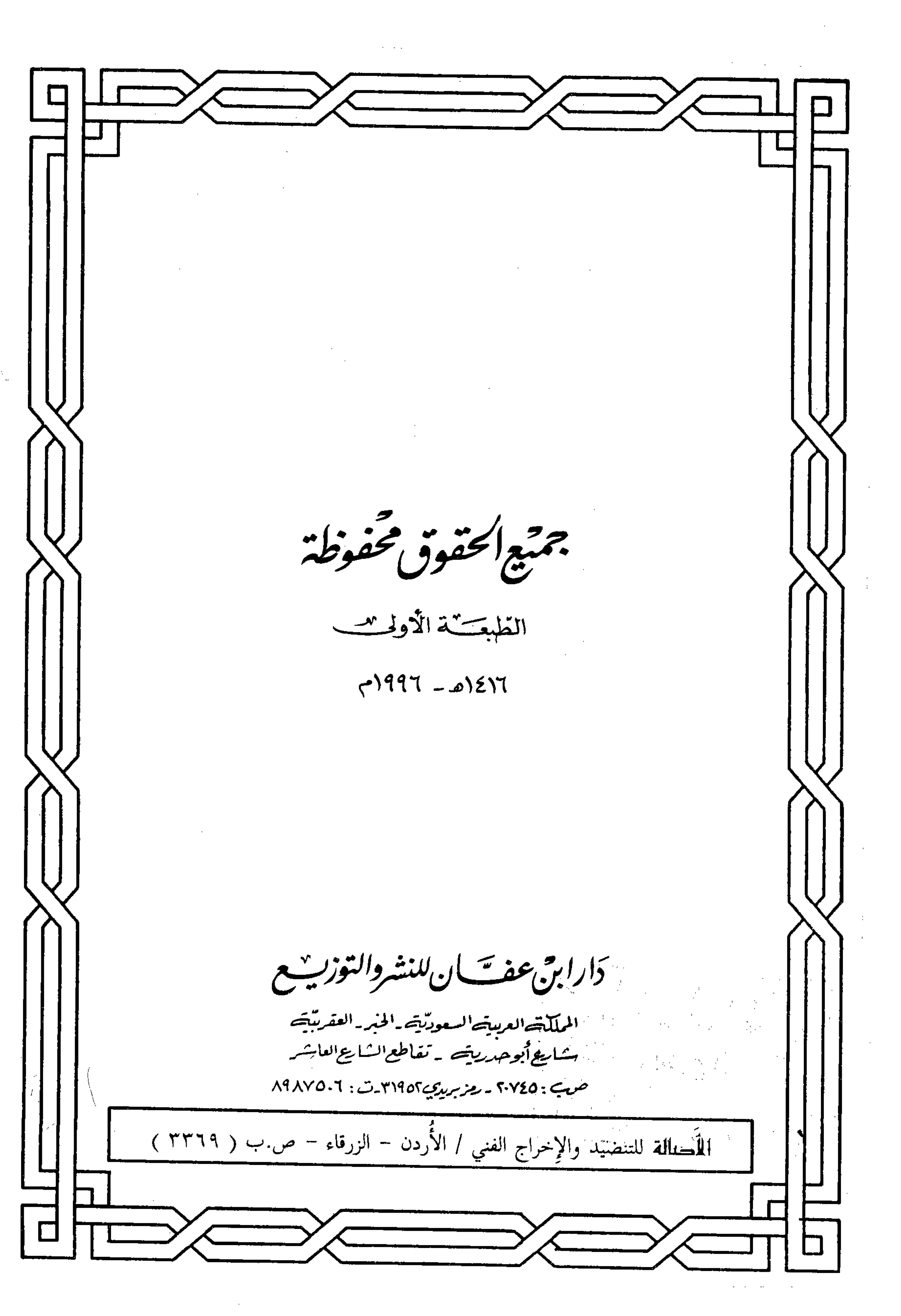
الحلبيّ الأثريّ

راجعه

فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه المولى

الجزء الثالث

دار ابن عفّان



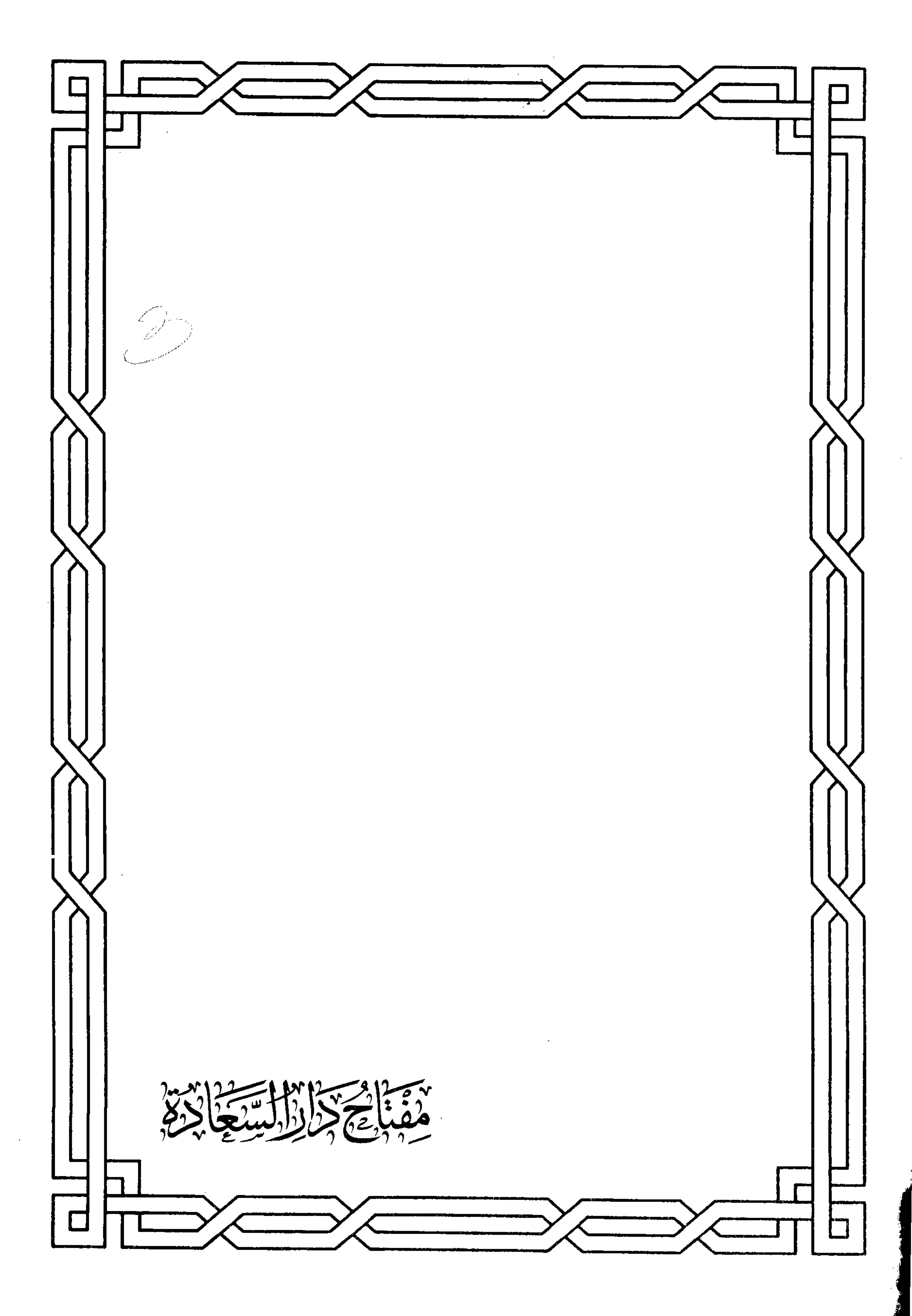
الطبعة الأولى

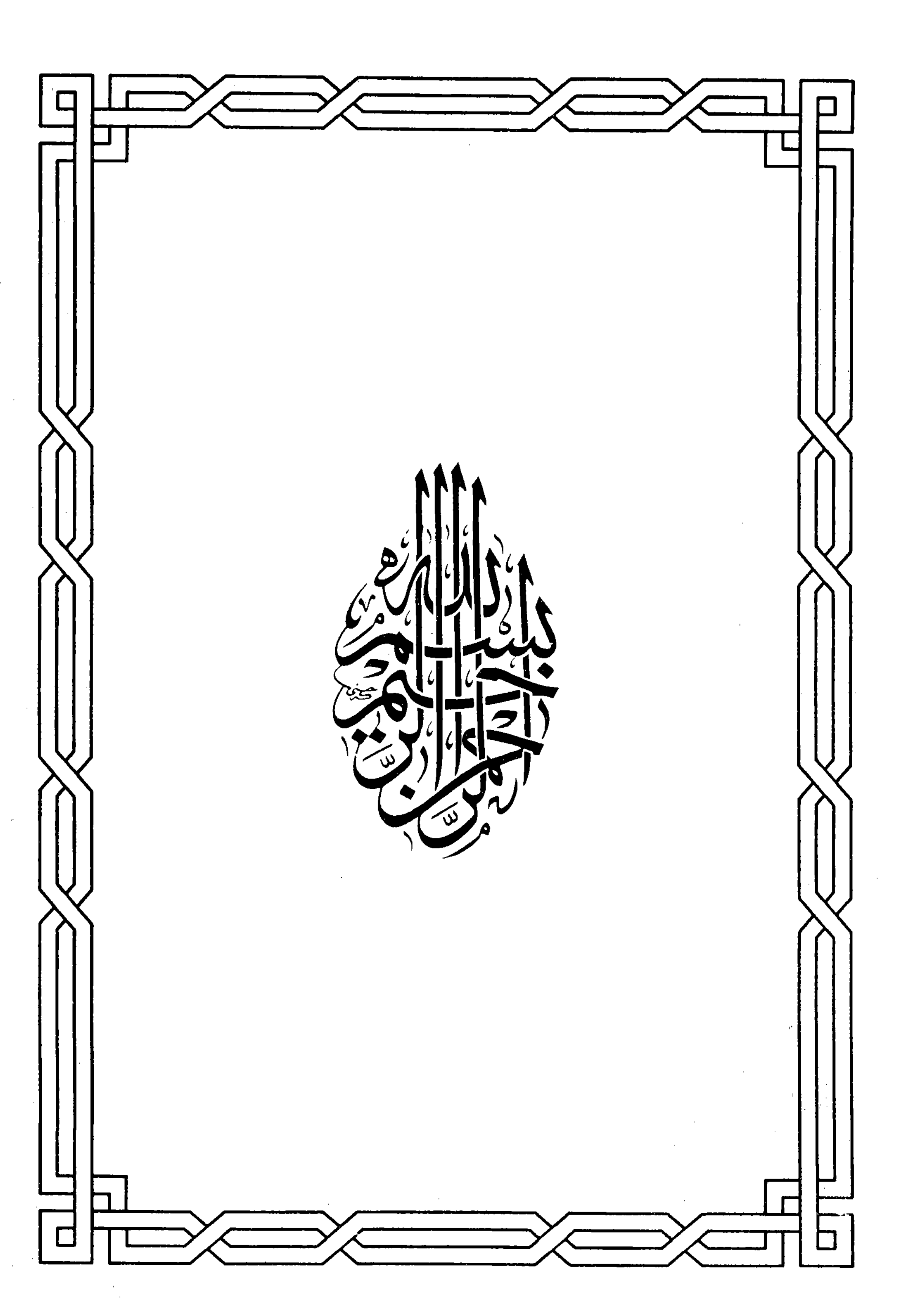
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار ابن عفان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الخبر - العقربية
شارع أبو حدرية - تقاطع الشارع العاشر
ص.ب: ٢٠٧٤٥ - رمز بريدي ٣١٩٥٢ - ت: ٨٩٨٧٥٠٦

الأصالة للتنضيد والإخراج الفني / الأردن - الزرقاء - ص.ب (٣٣٦٩)


مفتاح دار السعادة


بسم الله الرحمن الرحيم

١٥٠ - فَصْلٌ
[مسألةُ الإيجاب في حَقِّ الله سبحانه]

وكذلكَ الكلامُ في الإيجابِ في حقِّ اللَّهِ سواءٌ ؛ الأقوالُ فيهِ كالأقوالِ في التَّحريمِ .

وَقَد أخبرَ سبحانهُ عن نَفسهِ أنَّهُ كتَبَ على نَفسهِ وأحقَّ على نَفسهِ ، قال تعالى : ﴿ وَكانَ حقًّا عَلينا نَصْرُ المُؤمنين ﴾ [الرُّوم : ٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ وإذا جَاءَكَ الّذينَ يُؤمِنونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُم كَتَبَ ربُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحمةَ ﴾ [الأَنعام : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ اشتَرى منَ المُؤمنينَ أنفسَهُم وأموالَهم بأنَّ لهم الجنَّةَ يُقاتِلونَ في سبيلِ اللهِ فيَقتُلونَ ويُقْتَلونَ وَعْدًا عليهِ حقًّا في التَّوراةِ والإنجيلِ والقُرآنِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

وفي الحديثِ الصَّحيحِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لمُعاذ : « أتَدري ما حقُّ اللَّهِ على عبادهِ ؟ قلتُ : اللَّهُ ورسوله أعلم، قال : حَقُّهُ عليهم أنْ يَعبدوهُ ولا يُشرِكوا به شيئًا، أتَدري ما حقُّ العبادِ على اللَّهِ إذا فعلوا ذلكَ ؟ قلتُ : اللَّهُ ورسوله أعلم، قال : حَقُّهم عليهِ أن لا يعذِّبهم »(١) .

ومنهُ قوله ﷺ في غير هذا ، حديثُ : « مَن فَعَلَ كذا كانَ على اللَّهِ أن يفعلَ به وكذا وكذا » ... في الوَعد والوعيد .

---

(١) رواه البخاري (٧٣٧٣) ، ومسلم (٣٠) عن مُعاذ .

ونَظيرُ هذا ما أخبَرَ سبحانهُ مِنْ قَسَمهِ لَيفعلنَّ ما أقسمَ عليهِ ، كقولِهِ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أجمَعين ﴾ [الحجر : ١٩٢] ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُم والشياطينَ ثمَّ لَنُحْضِرَنَّهُم حَوْلَ جهنَّمَ جِثيًّا ﴾ [مريم : ٦٨] ، وقوله : ﴿ لَنُهلِكنَّ الظَّالمين ﴾ [إبراهيم : ١٣]، وقولِه ﴿ لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ منكَ ومِمَّن تَبِعَكَ منهم أجمَعين ﴾ [ص : ٨٥] ، وقولِه : ﴿ فالَّذينَ هاجَروا وأُخْرِجوا مِنْ ديارِهم وأُوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتِلوا لأُكَفِّرنَّ عنهُم سيِّئاتِهم ولأُدْخِلنَّهُم جنَّاتٍ تَجْري من تَحتها الأنهار ﴾ [آل عمران : ١٩٥] ، وقولِه : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذينَ أُرسِلَ إليهم ولَنَسألَنَّ المُرْسَلين ﴾ [آل عمران : ٦]، وقولِه فيما يَرويهِ عنهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَعِزَّتي وجَلالي لأقتصَّنَّ للمَظلومِ منَ الظَّالمِ ولو لَطمَةً ، ولو ضربَةً بيدٍ »[١]...

إلى أمثالِ ذلكَ مِن صِيَغِ القَسَمِ المُتضمِّنِ معنى إيجابِ المُقْسِمِ على نَفسهِ أو مَنْعِهِ نَفسَهُ ؛ وهو القَسَمُ الطَّلَبيُّ المُتضمِّن للحَظْرِ والمنعِ بخلافِ القَسَمِ الخَبَريِّ المُتضمِّن للتَّصديق أَو التَّكذيبِ ، ولهذا قَسَّمَ الفُقهاءُ وغيرهم اليَمينَ إلى مُوجِبٍ للحظرِ والمَنعِ أو التَّصديقِ والتَّكذيبِ .

(١) روى الطبراني في « الكبير » (١٠ / ٣٣٨) ، و « الأَوسط » (٤٣٩١ - مجمع البحرين) والخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (٦٦٥) عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : « قال ربُّك تبارك وتعالى : لأَنتقمنَّ مِن الظالم في عاجل أَمرِهِ وآجلِهِ ، ولأَنتقمنَّ ممَّن رأَى مظلومًا يُظْلَمُ فَقَدِر أَنْ ينْصُرَه فلم يفعل » .

وقال المُنذري في « الترغيب والترهيب » (٣ / ٣٣٣) : « رواه أَبو الشيخ أَيضًا في كتاب « التوبيخ » مِن رواية أَحمد بن محمَّد بن يحيى بن حمزة - وفيه نظرٌ - عن أَبيهِ .

وجدُّ المهدي هو محمَّد بن علي بن عبداللَّه بن عبَّاس ، وروايتُه عن ابن عبَّاس مُرسلةٌ » .

قلتُ : وبهذا تعرف خَطَأَ الهيثمي في « المجمع » (٧ / ٢٦٧) لمَّا قال عن هذا الإِسناد : « وفيه مَن لم أَعرفْهم » !

قالوا : وإذا كانَ مَعْقولًا منَ العَبدِ أنْ يكونَ طالبًا مِن نَفسهِ ، وتكونَ نَفسُهُ طالبَةً منه ، لقولهِ تعالى : ﴿ إنَّ النَّفسَ لأمَّارَةٌ بالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣]، وقولِهِ : ﴿ وأمَّا مَنْ خافَ مَقامَ ربِّهِ ونَهى النَّفْسَ عَن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠]، مع كونِ العَبدِ لهُ آمرٌ وناهٍ فوقَهُ فالرَّبُّ تعالى الذي ليسَ فوقَهُ آمرٌ ولا ناهٍ كيفَ يَمْتنعُ منهُ أَنْ يكونَ طالبًا من نَفسهِ ، فيكتبَ على نَفسهِ ، ويحقَّ على نَفسهِ ، ويحرِّمَ على نَفسهِ ، بل ذلكَ أَوْلى وأَحْرى في حقِّهِ مِن تَصوُّرهِ في حقِّ العَبدِ ، وقَد أخبرَ بهِ عن نَفسهِ وأخبرَ به رسولهُ .

قالوا : وكتابُهُ ما كتبهُ على نَفسهِ ، وإحقاقُه ما حقَّهُ عليها ؛ مُتَضَمِّنٌ لإرادتهِ ذلكَ ، ومحبَّتهِ لهُ ، ورضاهُ بهِ ، وأنَّهُ لا بُدَّ أن يفعلهُ وتَحريمُهُ ما حرَّمهُ على نَفسهِ مُتضمِّنٌ لبُغضهِ لذلكَ ، وكراهتهِ لهُ ، وأنَّهُ لا يفعلُهُ .

ولا ريبَ أنَّ محبَّتَهُ لِمَا يريدُ أن يَفعلَهُ ورضاهُ بهِ يُوجِبُ وقوعَهُ بمشيئتهِ واختيارهِ ، وكراهتُهُ للفعلِ وبغضُهُ لهُ يمنعُ وقوعَهُ منهُ مع قُدرتهِ عليهِ لو شاءَ ، وهذا غيرُ ما يُحِبُّهُ مِن فعلِ عَبدهِ ويكرهُه منهُ ، فذاكَ نوعٌ وهذا نوعٌ ، ولمَّا لم يُميِّز كثيرٌ منَ النَّاسِ بينَ النَّوعينِ وأدْخَلُوهما تحتَ حُكمٍ واحدٍ اضطربَتْ عليهم مسائلُ القضاءِ والقَدَرِ والحِكَم والتَّعليلِ .

وبهذا التَّفصيلِ سَفَرَ لكَ وجهُ المسألَةِ ، وتبلَّجَ صُبْحُها ، فَفَرْقٌ بينَ فِعْلهِ سبحانهُ الذي هو فِعْلُهُ ، وبينَ فِعْلِ عبادِهِ الذي هو مَفعولُهُ ، فمحبَّتُهُ تعالى وكراهتُهُ للأوَّلِ تُوجِبُ وقوعَهُ وامتناعَهُ ، وأمَّا محبَّتُهُ وكراهتُهُ للثَّاني فلا تُوجِبُ وقوعَهُ ولا امتناعَهُ ، فإنَّهُ يُحِبُّ الطَّاعَةَ والإيمانَ مِن عبادهِ كلِّهم وإنْ لَمْ تكُن محبَّتُهُ مُوجِبَةً لطاعتهم وإيمانهم جميعًا ؛ إذْ لم يُحِبَّ فعلَهُ – الذي هو إعانتُهم

وتَوفيقهُم - وخَلْقَ ذلكَ لهم ، ولو أحبَّ ذلكَ لاسْتلزمَ طاعتَهم وإيمانَهم ، ويُبغِضُ معاصيَهم وكُفْرَهم وفُسوقَهم ، ولم تكُن هذه الكراهَةُ والبُغضُ مانعَةً مِن وُقوعِ ذلكَ منهم ، إذ لم يكره سبحانهُ خِذْلانَهم وإضلالَهم ؛ لِمَا لهُ في ذلكَ منَ الغاياتِ المَحبوبَةِ التي فَوَاتُها يستلزمُ فواتَ ما هو أحبُّ إليهِ من إيمانهم وطاعتهم .

وتَعَقُّلُ ذلكَ ممَّا يَقصُرُ عنهُ عقولُ أكثرِ النَّاسِ ، وقَد أشرنا إليهِ فيما تَقدَّمَ منَ الكتابِ .

فالرَّبُّ تعالى يُحِبُّ من عبادهِ الطَّاعَةَ والإيمانَ ، ويُحِبُّ مع ذلكَ مِن تضرُّعهم وتذلُّلِهم وتوبتِهم واستغفارِهم ومن توبتهِ ومغفرتهِ وعَفْوهِ وصَفْحهِ وتَجاوُزهِ ما هُو مَلزومٌ لمعاصيهم وذُنوبِهم، ووجودُ المَلزومِ بدونِ لازمهِ ممتنعٌ .

وإذا عُقِلَ هذا في حقِّ المُذْنِبين فيُعْقَلُ مثلُهُ في حقِّ الكفَّارِ ، وأنَّ خَلْقَهم وإضلالَهم لازمٌ لأُمورٍ محبوبَةٍ للرَّبِّ تعالى - لم تكُن تَحْصُلُ إلّا بوجودِ لازمِها ، إذ وجودُ المَلزومِ بدونِ لازمهِ مُمتنعٌ - فكانَت تلكَ الأمورُ المَحبوبَةُ والغاياتُ المَحمودَةُ مُتوقِّفَةً على خَلْقِهم وإضلالِهم توقُّفَ المَلزومِ على لازمهِ .

وهذا فَصْلٌ مُعْترِضٌ لم يكُن مِنْ غَرَضِنا ، وإنْ كانَ أهمَّ مِمَّا سُقنا الكلامَ لأجلهِ .

ونُكتَةُ المسألةِ الفَرْقُ بينَ ما هو فِعْلٌ لهُ تَستلزمُ محبَّتُهُ وقوعَهُ منهُ ، وبينَ ما هو مَفعولٌ لهُ لا تستلزمُ محبَّتُهُ له وقوعَهُ من عَبدهِ .

وإذا عُرِفَ هذا فالظُّلمُ والكفرُ والفُسوقُ والعصيانُ وأنواعُ الشرورِ واقعَةٌ في مَفعولاتهِ المُنْفَصِلَةِ التي لا يتَّصفُ بها ، دونَ أفعالهِ القائمَةِ بهِ .

ومَنِ انْكَشَفَ لهُ هذا المَقامُ فهمَ مَعنى قولهِ ﷺ : « والشرُّ ليسَ إليكَ »[١].

فهذا الفَرْقُ العظيمُ يزولُ بِهِ أكثرُ الشُّبهِ التي حارَتْ لها عقولُ كثيرٍ من النَّاسِ في هذا البابِ ، وهَدى اللَّهُ الذينَ آمَنوا لِمَا اختَلفوا فيهِ منَ الحقِّ بإذنِهِ ، واللَّهُ يَهدي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مُستقيمٍ .

فما في مَخلوقاتهِ ومَفعولاتهِ تعالى منَ الظُّلمِ والشرِّ فهو بالنِّسبَةِ إلى فاعلهِ المُكلَّفِ الذي قامَ به الفعلُ ، كما أنَّهُ بالنِّسبةِ إليهِ يكونُ زنًا وسَرِقَةً وعُدوانًا وأكلًا وشُربًا ونكاحًا، فهو الزَّاني السَّارقُ الآكلُ النَّاكحُ ، واللَّهُ خالقُ كُلِّ فاعلٍ وفعلهِ[٢].

وليسَت نسبَةُ هذه الأفعالِ إلى خالقِها كنسبتِها إلى فاعِلها الذي قامَتْ بهِ ، كما أنَّ نِسْبَةَ صفاتِ المَخلوقينَ إليهِ - كطولهِ وقِصَرهِ وحُسْنهِ وقُبحهِ وشكلهِ ولونهِ - ليسَتْ كنسبتِها إلى خالقِها فيهِ .

فتأمَّلْ هذا المَوضعَ وأَعْطِ الفَرْقَ حقَّهُ ، وفَرِّقْ بينَ النِّسبتين ؛ فكما أنَّ صفاتِ المَخلوقِ ليسَت صفاتٍ للَّهِ بوجهٍ - وإنْ كانَ هو خالقَها - فكذلكَ أفعالُهُ ليسَت أفعالًا للَّهِ تعالى ولا إليهِ ، وإنْ كانَ هو خالقها[٣] .

فَلْنَرجِعْ الآنَ إلى ما نَحنُ بصددهِ ، فنقولُ :

الأمرُ الذي كَتَبَهُ على نَفسهِ مُستحِقٌّ عليهِ الحَمدَ والثَّناءَ ، ويتعالى ويتقدَّسُ

---

(١) قِطْعةٌ من حديثٍ رواه مسلمٌ في « صحيحه » (٧٠٧١) عن عليّ رضي اللَّهُ عنه .

(٢) روى البخاريُّ في « خَلْق أفعال العباد » (١١٧) ، والحاكم (١ / ٣١) ، والبيهقي في « الأسماء والصِّفات » (٢٦٠ و ٣٨٨) ، و « الاعتقاد » (٦١) ، و « الشُّعَب » (١ / ١٤٠) ، وابن أبي عاصم في « السنَّة » (٣٥٧) ، والمحاملي في « الأمالي » (٣٢٥) عن حُذيفةَ رضي اللَّه عنه مرفوعًا : « إنَّ اللَّهَ يصنعُ كلَّ صانعٍ وصنعته » ، وسنده صحيحٌ .

(٣) وهذه الجُملةُ وحدَها تكشفُ الإشكالَ في أصل هذه المسألةِ ، والحمدُ للَّه .

عن تَرْكِهِ ، إذ تَرْكُهُ منافٍ للثَّناءِ والحمدِ الذي يستحقُّهُ عليهِ ، مُتَضَمِّنًا لِمَا يستحقُّ لذاتِهِ ، وهذا بحمدِ اللَّهِ بَيِّنٌ عندَ مَن أُوتِيَ العلمَ والإيمانَ ، وهو مُستقرٌّ في فِطَرِهم ، لا ينسخُهُ منها شبهاتُ المُبْطِلينَ .

وهذا الموضعُ ممَّا خَفِيَ على طائفتي القَدَرِيَّةِ والجبريَّةِ ، فَخَبَطُوا في عَشواءَ وخبَطوا في ليلَةٍ ظَلْماءَ .

واللَّهُ الموفِّقُ الهادي للصَّواب .

□ □ □ □ □

١٥١ - فَصْلٌ

[القولُ الحقُّ في الإيجاب]

وَقَد ظهَرَ بهذا بُطلانُ قولِ طائفتينِ معًا ؛ الذينَ وَضَعوا للَّهِ شريعَةً بعقولهم أوجَبوا عليهِ وحرَّموا منها ما لم يُوجِبهُ على نَفسِهِ ، ولم يُحرِّمهُ على نَفسِهِ ! وسَوَّوْا بينَهُ وبينَ عبادِهِ فيما يَحْسُنُ منهم ويَقْبُحُ .

وبذلكَ اسْتَطَالَ عليهم خصومُهم ، وأَبْدَوْا مُناقَضَتَهم ، وكشفوا عَوراتِهم ، وبيَّنُوا فضائحَهم .

وكذلكَ بطلانُ قولِ الطَّائفَةِ التي جَوَّزَتْ عليهِ كلَّ شيءٍ ، وأنكرَت حِكمَتهُ ، وجحَدَتْ في الحقيقَةِ ما يستحقُّهُ منَ الحمدِ والثَّناءِ على ما يفعلُهُ ممَّا يُمْدَحُ بفعلِهِ ، وعلى تركِ ما يتركُهُ مع قُدرتِهِ عليهِ ممَّا يُمْدَحُ بتركِهِ ، وجعلتِ النَّوعين واحدًا ! ولا فَرْقَ عندهم بالنِّسبَةِ إليهِ تعالى بينَ فعلِ ما يُمدَحُ بفعلِهِ وبينَ تركِهِ ، ولا بينَ تَرْكِ ما يُمدحُ بتركِهِ وبينَ فعلِهِ !

وبهذا تَسلَّطَ عليهم خصومُهم ، وَأَبْدَوْا مُناقضتَهم ، وتَبيَّنُوا فضائحَهم .

قالَ المُتوسِّطونَ : وأمَّا نَحنُ فلا يلزمُنا شيءٌ من هذه الفضائحِ والأباطيلِ ، فإنَّا لم نُوافِقْ طائفَةً منَ الطَّائفتينِ على كُلِّ ما قالَتْهُ ، بل وافَقْنَا كُلَّ طائفَةٍ فيما أصابَتْ فيهِ منَ الحقِّ ، وخالَفْناها فيما خالفَتْ فيهِ الحقَّ ، فكُنَّا أسعَدُ بهِ منَ الطَّائفتينِ ، وللَّهِ المنَّةُ والفَضلُ .

هذا قولُنا ، قَد أوضحناهُ في هذه المسألةِ غايَةَ الإيضاحِ ، وأفْصَحْنا عنهُ بما

أمْكَنَنا منَ الإفصاحِ ، فَمَنْ وَجَدَ سبيلًا إلى المُعارَضةِ ، أو رامَ طريقًا إلى المُناقضَةِ ، فَلْيُبْدِها ، فإنَّا مِن وراءِ الرَّدِّ عليهِ ، وإهداءِ عُيوبِ مقالتهِ إليهِ ، ونَحنُ نعلمُ أنَّهُ لا يَرُدُّ علينا مقالتنا إلَّا بإحدى المقالتينِ اللتينِ كَشَفْنا عن عَوَارِهِما ، وبيَّنا فسادَهما ، فَلْيَسْتُرْ عَورَةَ مقالتهِ ، ويُصْلِحْ فسادَها ، ويَرُمَّ[1] شَعَثَها ، ثمَّ لْيَلْقَ خُصومَهُ بها، **فالـمُحاكمةُ إلى النَّقلِ الصَّريحِ والعَقلِ الصَّحيحِ**، واللَّهُ المُستعانُ .

الوجه الثَّاني والستُّون : قولكُم : « الوجوبُ والتَّحريمُ بدونِ الشرعِ مُمْتَنِعٌ ، لأنَّهُ لو ثبتَ لقامَت الحجَّةُ بدونِ الرُّسلِ ، واللَّهُ سبحانهُ إنَّما أقامَ حُجَّتَهُ برسلهِ ... » ! إلى آخرهِ .

فيُقالُ : لا ريبَ أنَّ الوجوبَ والتَّحريمَ اللذينِ هما مُتَعلَّقُ الثَّوابِ والعقابِ بدونِ الشرعِ مُمْتَنِعٌ ، كما قرَّرتُموهُ ، والحُجَّةُ إنَّما قامَتْ على العبادِ بالرُّسلِ ، ولكنَّ هذا الوُجوبَ والتَّحريمَ بمعنى حُصولِ المُقتَضِي للثَّوابِ والعقابِ ، وإنْ تخلَّفَ عنهُ مُقتضاهُ لقيامِ مانعٍ أو فواتِ شرطٍ - كما تقدَّمَ تقريرهُ - .

وَقَد قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُم مُصيبَةٌ بما قدَّمتْ أيدِيهم فيَقولوا ربَّنا لولا أَرْسَلتَ إلينا رَسُولًا فنتَّبعَ آياتِكَ ونَكُونَ مِنَ المُؤمنينَ ﴾ [القصص : ٤٧]؛ فأخبَرَ تعالى أنَّ ما قدَّمَتْ أيديهم سَبَبٌ لإصابَةِ المُصيبَةِ إيَّاهُم ، وأنَّهُ سبحانهُ أرسلَ رسولَهُ ، وأنزَلَ كتابَهُ ، لئلَّا يقولوا: ﴿ ربَّنا لَوْلَا أَرْسَلتَ إلينا رَسُولًا فنتَّبعَ آياتِكَ ﴾، فدلَّتِ الآيَةُ على بُطلانِ قولِ الطَّائفتينِ جميعًا ؛ الذينَ يقولونَ : إنَّ أعمالَهم قبلَ البِعْثَةِ ليسَت قَبيحَةً لذاتها ، بل إنَّما قَبُحَت بالنَّهي فَقَط !

والَّذينَ يقولونَ : إنَّها قبيحَةٌ ويَستحقُّونَ عليها العُقوبَةَ عَقلًا بدونِ البعثَةِ !

---

(١) أي : يُصْلِح .

فنظمَتِ الآيَةُ بُطلانَ قولِ الطَّائفتينِ ، ودلَّتْ على القَولِ الوَسطِ الذي اخْتَرْناهُ ونَصَرْناهُ ؛ أنَّها قَبيحَةٌ في نَفسِها ، ولا يَستحقّونَ العقابَ إلّا بَعدَ إقامَةِ الحُجَّةِ بالرِّسالَةِ ، فلا تَلازُمَ بينَ ثُبوتِ الحُسْنِ والقُبْحِ العَقْلِيَّيْنِ ، وبينَ استحقاقِ الثَّوابِ والعقابِ ، فالأدلَّةُ إنَّما اقتَضَتِ ارتباطَ الثَّوابِ والعقابِ بالرِّسالَةِ وتوقُّفِهما عليها ، ولم تَقْتَضِ تَوقُّفَ الحُسْنِ والقُبْحِ بكُلِّ اعتبارٍ عليها ، وفَرْقٌ بينَ الأمرين .

الوجه الثَّالث والستُّون : قولكُم : « كيفَ يُعْلَمُ أنَّهُ سبحانهُ يَجِبُ عليهِ أنْ يَمدحَ ويَذُمَّ ويُثيبَ ويُعاقِبَ على الفعلِ بمجرَّدِ العقلِ ؟ وهل ذلكَ إلّا غيبٌ عنَّا فيما يعرَفُ أنَّهُ رضيَ عن فاعلٍ ، وسخطَ على فاعلٍ ، وأنَّهُ يُثيبُ هذا ، ويعاقبُ هذا ، ولم يُخبِرْ عنهُ بذلكَ مُخْبِرٌ صادقٌ ، ولَا دلَّ على مواقعِ رضاهُ وسَخَطِهِ عَقْلٌ ، ولا أخبرَ عن معلومهِ ومحكومهِ مُخْبِرٌ !

فلم يَبْقَ إلَّا قياسُ أفعالهِ على أَفعالِ عبادهِ ، وهو مِن أفسَدِ القياسِ ، فإنَّهُ ليسَ كمثلهِ شيءٌ » !

فيقال : هذا لازمٌ للمُعتزلَةِ ومَنْ وافقهم ، حيثُ يُوجِبونَ على اللّهِ ويُحَرِّمونَ بالقياسِ على عبادهِ ، ولا ريبَ أنَّ هذا مِن أفسَدِ القياسِ وأبطلِه ، ولكنْ مِن أينَ يَنفي ذلكَ إثباتَ صفاتِ أفعالٍ اقتَضَتْ حُسْنَها وقُبْحَها عَقلًا ؟ ولم يُعْلَمْ ترتُّبُ الثَّوابِ والعقابِ عليها إلّا بالرِّسالَةِ - كما نَصرناه - .

فأنتم معاشرَ النُّفاةِ سَلَبْتُمُ الأفعالَ خواصَّها وصفاتِها التي لا تَنْفَكُّ عنها ولا تُعْقَلُ مُجرَّدَةً عنها أبدًا ، وظَنَنْتُم أنَّ قولَ المُعتزلَةِ الباطلَ في إيجابها وتَحريمها على اللّهِ لا يَتِمُّ إلّا بهذا النَّفي ، فأَخْطَأْتُم في الأمرينِ معًا ، فإنَّ قولَهم لا يتوقَّفُ على

نَفْيِ الحُسْنِ والقُبْحِ ، ونَفْيُهُما باطلٌ ، وخُصومُكُم منَ المُعتزلَةِ أثبَتُوا للَّهِ شريعَةً عَقليَّةً أوجَبُوا عليهِ فيها وحرَّموا بمُقتَضى عقولِهم ، وظنُّوا أنَّهم لا يُمْكِنُهم إثْباتُ الحُسْنِ والقُبْحِ إلّا بذلكَ ، فأخطَاؤا في الأمرينِ معًا ؛ فإنَّ اللَّهَ تعالى لا يُقاسُ بعبادِهِ في أفعالِهِ كما لا يُقاسُ بِهِمْ في ذاتِه وصفاتِه ، فليس كمثلِهِ شيءٌ في ذاتِه ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أَفعالِهِ ، وإثْباتُ الحُسْنِ والقُبْحِ لا يستلزمُ هذا الإيجابَ والتَّحريمَ العَقليَّين .

فليتأمَّلِ اللبيبُ هذه الدَّقائقَ التي هي مجامعُ مآخذِ الفِرَقِ فيها ، يتبيَّنْ أنَّ النَّاسَ إنَّما تكلَّموا في حواشي المسألةِ ، ولم يَخُوضُوا لُجَّتَها ويقتحِموا غَمْرَتَها ، واللَّهُ المُستعانُ .

وأمَّا إلْزامُكُم لخصومِكُم مِنَ المُعتزلَة تلكَ اللوازمَ ، فلا رَيْبَ أنَّها مُسْتَلْزِمَةٌ لبطلانِ قولهم ، مع أضعافِها منَ اللوازمِ التي تُبيِّنُ فسادَ مَذهبهم ، ونَحنُ مُساعِدوكُم عليها ، كما لا محيدَ لهم عن إلزاماتِكُم :

فمنها أنَّكُم سَدَدْتُم على أنفسِكم طريقَ الاستدلالِ بالمُعجزَةِ على النُّبُوَّةِ ، حيثَ جوَّزْتُم على اللَّهِ أن يُؤيِّدَ الكذَّابَ كما يُؤيِّدَ الصَّادقَ ! وعندكم أنَّ كِلا الأمرين بالنِّسبَةِ إليهِ تعالى سواءٌ ، ولم تَعتَذِرُوا عن هذا الإلزامِ المُقاوِمِ لسائرِ إلزاماتكُم بِعُذْرٍ صحيحٍ ! وهذه أَعْذارُكُم مَسطورَةٌ في الصَّحائفِ .

ومنها إلزامُ الإفْحامِ ، ونَفيُ المُكَلَّفِ النَّظرَ في المُعجزَةِ لعَدمِ الوجوبِ عَقلًا واعتذارُكُم عن هذا الإلزامِ بأنَّ الوجوبَ ثابتٌ نَظَر أو لم ينظر ! اعتذارٌ يُبْطِلُ أصلَكُم ؛ فإنَّ ثُبوتَ الوُجوبِ بدونِ نَظر المُكَلَّفِ لو كانَ شرعيًّا لَتَوَقَّفَ على الشرعِ المتوقِّفِ في حَقِّ المُكَلَّفِ على النَّظرِ في المُعْجِزَةِ ، فلمَّا ثَبَتَ الوجوبُ

- وإنْ لم ينظُرْ في المُعجزَةِ - عُلِمَ أنَّ الوجوبَ عَقليٌّ لا يتوقَّفُ على ثُبوتِ الشرع .

فإنْ قيلَ : هو ثابتٌ في نَفسِ الأمرِ على تَقديرِ ثُبوتِ الرِّسالَةِ !

قيلَ : فحينئذٍ يعودُ الإلزامُ ، وهو أنَّهُ لا ينظُرُ حتى يَجِبَ ، ولا يجبُ حتى تَثْبُتَ الرِّسالَةُ ، ولا تثبتُ حتى يَنْظُرَ ، ولهذا عَدَلَ مَنْ عَدَلَ إلى مُقابلةِ هذا الإلزامِ بمثلِهِ ، وقالوا : هذا لازمٌ للمُعتزلَةِ ؛ لأنَّ الوُجوبَ عندهم نظريٌّ ! وهذا لا يُغْني شيئًا ، ولا يَدفعُ الإلزامَ المَذكورَ ، بل غايتُهُ مُقابلةُ الفاسدِ بمثلِهِ ، وهو لا يُجْدي في دفعِ الإلزامِ شيئًا .

وهذا يَدُلُّ على بُطلانِ المقالتينِ ، وأمَّا نَحنُ ؛ فلنا في دَفْعِ هذا الإلزامِ عَشرَةُ مسالكَ ، وليسَ هذا مَوضعَ هذه المسألة ، وإنَّما المَقصودُ أنَّ المُعتزلَةَ أُلْزِمَتْ نَظيرَ ما ألزموهم به .

ومنها إلزامُ التَّعْطيلِ للشرائع جُملَةً ، وقَد تَقدَّمَ بيانهُ قريبًا ؛ حيثُ بيَّنَّا أنَّ مُتعلَّقَ الأمرِ والنَّهيِ إنَّما هو فِعْلُ العَبدِ الاختياريُّ ، فإذا بَطَلَ أنْ يكونَ لهُ فعلٌ اخْتِياريٌّ بَطلَ مُتعلَّقُ الأمرِ والنَّهي ، فَلَزِم بُطلانُ الأمرِ والنَّهيِ ؛ لأنَّ وجودَهُ بدونِ مُتعلَّقِهِ مُحالٌ ...

إلى سائرِ تلكَ اللوازمِ التي أسلَفْناها قَبْلُ فلا نُطيلُ بإعادتها .

قالوا : أمَّا نَحنُ فلا يَلْزَمُنا شيءٌ من هذه اللوازمِ منَ الطَّرفينِ ، فإنَّا لم نسلُكْ واحدًا منَ الطَّريقينِ ، فلا سبيلَ لإحدى الطَّائفتينِ إلى إلْزامِنا بلازمٍ واحدٍ باطلٍ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، فَمَنْ رامَ ذلكَ فَلْيُبْدِهِ .

فإنْ قيلَ : فَمِن أصلِكُم إثباتُ التَّعليلِ والحِكْمَةِ في الخَلْقِ والأمرِ ، فما

تَصْنَعُون بهذه اللوازمِ التي أَلْزَمْناها المُعتزلَةَ ؟ وماذا جوابُكم عنها إذا وجَّهْناها إليكُم ؟!

قيلَ : لا ريبَ أَنَّا **نُثْبِتُ للّهِ ما أَثْبَتَهُ لنفسهِ ، وشَهِدَتْ به الفِطَرُ والعقولُ منَ الحكمَةِ في خَلْقهِ وأمرهِ** ، ونقولُ : إنَّ كلَّ ما خَلَقَهُ وأَمَرَ بهِ فلهُ فيهِ حِكْمةٌ بالغةٌ ، وآياتٌ باهرَةٌ ، لأجلها خَلَقَهُ وأمَرَ بهِ ، ولكنْ لا نقولُ : إنَّ للَّهِ تعالى في خَلقهِ وأمرهِ كُلِّهِ حِكْمَةً مماثلةً لِمَا للمَخلوقِ من ذلكَ ، ولا مُشابِهَةً لهُ ، بل الفَرْقُ بينَ الحِكْمَتَينِ كالفَرْقِ بينَ الفعلينِ ، وكالفَرْقِ بينَ الوَصْفَيْنِ والذَّاتَيْنِ ، فليسَ كمثلهِ شيءٌ في وَصْفهِ ولا في فعلهِ ولا في حِكمَةٍ مَطلوبَةٍ لهُ مِن فعلهِ ، بل الفَرْقُ بينَ الخالقِ والمَخلوقِ في ذلكَ كُلِّهِ أعظمُ فَرْقٍ وأَبْيَنُهُ وأوضحُهُ عندَ العُقولِ والفِطَرِ .

وعلى هذا ، فجميعُ ما أَلْزَمْتُموهُ لأصحابِ الصَّلاحِ والأصلحِ[١]- بل وأضعافُهُ وأضعافُ أضعافهِ - للّهِ فيهِ حِكْمةٌ يَخْتَصُّ بها لا يُشارِكهُ فيها غيرُهُ ، ولأجلها حَسُنَ منهُ ذلكَ ، وقَبُحَ منَ المَخلوقِ ؛ لانتفاءِ تلكَ الحكمَةِ في حقِّهِ ، وهذا كما يَحْسُنُ منهُ تعالى مَدْحُ نَفسهِ والثَّناءُ على نَفسهِ ، وإنْ قَبُحَ من أكثرِ خَلقهِ ذلكَ ، ويَليقُ بجلالهِ الكبرياءُ والعَظَمَةُ ، ويَقْبُحُ مِنْ خَلْقهِ تعاطيهما ، كما روىٰ عنهُ رسولُ اللّهِ ﷺ : « الكبرياءُ إزاري ، والعَظَمَةُ ردائي ، فَمَنْ نازَعَني واحدًا منهما عَذَّبْتُهُ »[٢]، وكما يَحْسُنُ منهُ إماتَةُ خَلْقهِ وابتلاؤهم وامتحانُهم بأنواعِ المِحَنِ ، ويَقْبُحُ ذلكَ مِن خَلْقهِ .

---

(١) وهم المعتزلةُ .

(٢) رواه أَحمد (٢ / ٣٧٦) ، وأَبو داود (٤٠٩٠) ، والطيالسي (٢٣٨٧) ، وابن حبَّان (٣٢٨) و (٥٦٧١) ، والحاكم (١ / ٦١) من طرق عن أَبي هُريرة . =

وهذا أعظمُ مِن أن نَذْكُرَ أمثلتَه ، فليسَ بينَ اللَّهِ وبينَ خَلْقِهِ جامعٌ يُوجِبُ أن يَحْسُنَ منهُ ما حَسُنَ منهم ، ويَقْبُحُ منهُ ما قَبُحَ منهم ، وإنَّما تتوَجَّهُ تلكَ الإلْزاماتُ إلى مَن قاسَ أفعالَ اللَّهِ بأفعالِ عبادِهِ ، وأمَّا مَن أثْبَتَ لهُ حِكمَةً تَختَصُّ بِهِ - لا تُشْبِهُ ما للمَخلوقين منَ الحكمَةِ - فهو عن تلكَ الإلْزاماتِ بِمَعْزِلٍ ، ومنزلُهُ منها أبعَدُ مَنْزِلٍ .

ونُكْتَةُ الفَرْقِ أنَّ بُطلانَ الصَّلاحِ والأصلحِ لا يستلزمُ بُطلانَ الحكمَةِ والتَّعليلِ ، واللَّهُ الموفِّق .

الوجه الرَّابعُ والستُّون : قولُكُم : « أنتُم فتحتُم بهذه المسألة طريقًا للاستغناءِ عن النُّبُوَّاتِ وسلَّطْتُم عليكم بها الفلاسفَةَ والبراهمَةَ والصَّابئةَ وكلَّ مُنكرٍ للنبوَّاتِ ، فإنَّ هذه المسألةَ بابٌ بينَنا وبينَهم ، فإنَّكُم إذا زعمتُم أنَّ في العَقلِ حاكمًا يُحَسِّنُ ويُقَبِّحُ ويُوجِبُ ويُحَرِّمُ ويتقاضى الثَّوابَ والعقابَ ، لم تكُن الحاجَةُ إلى البِعْثَةِ ضروريَّةً ، لإمْكانِ الاستغناءِ عنها ، فهذا الحاكمُ ... » ! إلى آخرِهِ .

قال المُثبتون : هذا كلامٌ هائلٌ ، وهو عندَ التَّحقيقِ باطلٌ ، لو أنصَفَ مُورِدُهُ لَعَلِمَ أنَّا وهو كما قالَ الأوَّلُ : رَمَتْني بدائها وانْسَلَّتْ[1] .

وقَد بيَّنا أنَّ النُّفاةَ سَدُّوا على أنفسِهم طريقَ إثْباتِ النبوَّةِ بإنكارِهم هذه

= وصحّحه ابنُ حِبَّانَ والحاكم والذهبيُّ .

وفي الباب عن أُبيٍّ وأبي هريرة - معًا - عند مسلم (٢٦٢٠) .

(١) انظر « فصل المقال » (ص ٩٢) للبكري ، و « مجمع الأمثال » (١ / ١٩٣) للميداني .

المسألةَ ، وقالوا : إنَّهُ يَحْسُنُ منَ اللَّهِ كلُّ شيءٍ ، حتى إظهارُ المُعجزَةِ على يدِ الكاذبِ ! ولا فَرْقَ بالنِّسبَةِ إليهِ بينَ إظهارِها على يدِ الصَّادقِ ويدِ الكاذبِ ! وليسَ في العَقلِ ما يدُلُّ على استحالَةِ هذا وجوازِ هذا ، وتوقُّعُ معرفتِهِ على السَّمعِ ، لا سيَّما إذا انْضَمَّ إلى ذلكَ كونُ إنكارِ العَبدِ فاعلًا مختارًا البتَّةَ ، فإنَّ ذلكَ يَسُدُّ البابَ جُملَةً ؛ لأنَّ مُتَعَلَّقَ الأمر والنَّهي إنَّما هو أفعالُ العبادِ الاختياريَّةُ ، فَمَنْ لا فِعْلَ لهُ ولا اختيارَ أصلًا ، فكيفَ يُعْقَلُ أنْ يكونَ مأمورًا منهيًّا ، وقَد تَقدَّمَ حديثُ الإفحامِ وعَجْزُكُم عن الجوابِ عنه !

قالوا : وأمَّا نَحنُ ؛ فإنَّا سهَّلْنا بذلكَ الطَّريقَ إلى إثباتِ النُّبُوَّاتِ ، بل لا يُمْكِنُ إثباتُها إلَّا بالاعتراف بهذه المسألةِ ؛ فإنَّهُ إذا ثَبَتَ أنَّ مِنَ الأفعالِ حَسَنًا ، ومنها قبيحًا ، وأنَّ إظهارَ المُعجزَةِ على يدِ الكاذبِ قبيحٌ ، وأنَّ اللَّهَ يتعالى ويتقدَّس عن فعلِ القبائحِ ؛ عَلِمْنا بذلكَ صِحَّةَ نُبُوَّةِ مَن أظهَرَ اللَّهُ على يديهِ الآياتِ والمُعجزاتِ .

أمَّا أنتُم فإنَّكُم لا يُمكِنُكُم العلمُ بذلكَ .

قالوا : وكذلك نَحنُ قُلنا : إنَّ العبدَ فاعلٌ مُختارٌ لفعلِهِ ، وأوامرُ الشرعِ ونواهيهِ مُتوجِّهةٌ إلى مُجرَّد فعلِه الاختياريِّ القائم بهِ ، وهو مُتعلَّقُ الثَّوابِ والعقابِ ، وأمَّا أنتُم فلا يُمْكِنكُم ذلكَ ؛ لأنَّ تلكَ الأفعالَ عندَكم هي فعْلُ اللَّهِ في العَبدِ ، لا صُنعَ للعبدِ فيها أصلًا ، فكيفَ يتوجَّهُ أمرُ الشرعِ ونَهيُهُ إلى غيرِ فاعلٍ ، بل يُؤْمَرُ ويُنهى بما لا قُدرَةَ لهُ عليهِ البتَّةَ ، بل بفعلِ غيرِهِ .

قالوا : فَلْيتدبَّرِ المُنصِفُ هذا المقامَ ، فإنَّهُ يتبيَّنُ لهُ أنَّهُ سدَّ على نَفسهِ طريقَ النُّبُوَّاتِ ، وفَتَحَ بابَ الاستغناءِ عنها .

قالوا : وأيضًا ؛ فإنَّ اللَّهَ سبحانهُ فَطَرَ عبادَهُ على الفَرْقِ بينَ الحَسَنِ والقبيحِ ، وركَّبَ في عُقولِهم إدْراكَ ذلكَ ، والتَّمييزَ بينَ النَّوعينِ ، كما فَطَرَهم على الفَرْقِ بينَ النَّافعِ والضَّارِّ ، والمُلائمِ لهم والمُنافرِ ، وركَّبَ في حَوَاسِّهِم إدْراكَ ذلكَ ، والتَّمييزَ بينَ أنواعهِ .

والفطرَةُ الأُولى هي خاصَّةُ الإنسانِ التي تَميَّزَ بها عن غيرهِ منَ الحيواناتِ ، وأمَّا الفطرَةُ الثَّانيَةُ فمُشْتَرَكَةٌ بينَ أصنافِ الحيوانِ ، وحُجَّةُ اللَّهِ عليهِ إنَّما تقومُ بواسطة الفِطرَةِ الأولى ، ولهذا اخْتُصَّ مِن بينِ سائرِ الحيواناتِ بإرْسالِ الرُّسلِ إليهِ ، وبالأمرِ والنَّهيِ ، والثَّوابِ والعقابِ ، فجعَلَ سبحانهُ في عَقْلهِ ما يُفرِّقُ بينَ الحُسْنِ والقُبْحِ ، وما يَنبغي إيثارُهُ وما يَنبغي اجتنابهُ ، ثمَّ أقامَ عليهِ حُجَّتَهُ برسالتهِ بواسطَةِ هذا الحاكمِ الذي يتمكَّنُ به منَ العلمِ بالرِّسالةِ ، وحُسنِ الإرسالِ ، وحُسنِ ما تضمَّنهُ منَ الأوامر ، وقُبحِ ما نَهَىٰ عنهُ ؛ فإنَّهُ لولا رُكِّبَ في عقلهِ مِن إدراكِ ذلكَ لَمَا أمكنهُ معرفَةُ حُسنِ الرِّسالَةِ ، وحُسْنِ المأمورِ ، وقُبْحِ المَحظورِ .

ولهذا ما قلنا : إنَّ مَن أنكرَ الحُسْنَ والقُبحَ العَقْليَّيْنِ لَزِمَهُ إنكارُ الحُسْنِ والقُبْحِ للشريعَةِ ، وإنْ زَعمَ أنَّهُ مُقِرٌّ بهِ ؛ فإنَّ إخْبارَ الشرع عن الفعلِ بأنَّهُ حَسَنٌ أو قَبيحٌ مُطابقٌ لكونهِ في نفسهِ كذلك ، فإذا كانَ في نَفسهِ ليسَ بحَسَنٍ ولا بقبيحٍ فإنَّ هذا الخَبَرَ لا مُخْبِرَ لهُ إلّا مُجرَّدُ تَعَلُّقِ : افعل ، أو : لا تَفعل ، بهِ ، وهذا التَّعليقُ عندكُم جائزٌ أنْ يكونَ بخلافِ ما هُو بهِ ، وأَنْ يتعلّقَ الطَّلبُ بالمَنهيِّ عنهُ ، والنَّهيُ بالمأمورِ بهِ ، والتَّعلُّقُ لم يَجْعَلْهُ حَسَنًا ولا قبيحًا ، بل غايتهُ أَنْ جعَلَ الفعلَ مأمورًا منهيًّا ، فعادَ الحُسْنُ والقبحُ إلى مُجرَّدِ كونهِ مأمورًا منهيًّا !

ولا فَرْقَ عندكُم بالنَّظرِ إلى ذاتِ الفعلِ بينَ النَّوعينِ ، بل ما كانَ مأمورًا

يجوزُ أن يقعَ منهيًّا ، وبالعَكسِ ، فلم يكتسِبِ الأمرُ والنَّهيُ صفةَ حُسْنٍ ولا قُبحٍ أصلًا ، فلا حَسَنٌ ولا قُبحٌ - إذًا - عَقلًا ولا شرعًا ، وإنَّما هو تعلُّقُ الطَّلبِ بالفعلِ والتَّركِ ، وهذا مِمَّا لا خلاصَ منهُ إلَّا بالقَولِ بأنَّ للأفعالِ خواصَّ وصفاتٍ عليها في أنفسِها اقتَضَتْ أن يُؤمرَ بحَسَنِهَا ، ويُنهى عن سيِّئِها ، ويُخْبَرَ عن حُسْنِهَا بما هو عليهِ ، ويُخبَرَ غيرُهُ بقُبْحِها بما تكونُ عليهِ ، فيكونُ للخبرِ مُخْبِرٌ ثابتٌ في نَفسهِ ، والأمرُ والنَّهيُ مُتَعَلِّقٌ ثابتٌ في نفسهِ .

قالوا : **فَعِلْمُهُ** مِنَ الفعلِ بحُسنِ الحَسَنِ ، وقُبْحِ القَبيحِ ، ثمَّ عِلْمُهُ بأنَّ ما أَمَرَتْ بهِ الرُّسلُ هو الحَسَنُ ، وما نَهَتْ عنهُ هوَ القبيحُ : **طريقٌ**[1] إلى تَصديقِ الرُّسلِ ، وأنَّهم جاؤوا بالحقِّ من عندِ اللَّهِ ، ولهذا قال بَعضُ الأعرابِ ، وَقَد سُئلَ : بماذا عَرَفتَ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ ؟ فقال : ما أَمَرَ بشيءٍ فقالَ العَقلُ : ليتَهُ نهى عنهُ ، ولا نَهى عن شيءٍ فقال العَقلُ : ليتَهُ أمَرَ بهِ .

أفلا تَرى هذا الأعرابيَّ كيفَ جعلَ مُطابَقَةَ الحُسْنِ والقُبْحِ الذي ركَّبَ اللَّهُ في العقولِ إدراكَهُ لِمَا جاءَ بِهِ الرَّسولُ شاهدًا على صحَّةِ رسالتهِ ، وعَلَمًا عليها ، ولم يقُل : إنَّ ذلكَ يُقَبِّحُ طريقَ الاستغناءِ عن النُّبُوَّةِ بحاكمِ العَقلِ ...

قالوا أيضًا : فهذا إنَّما يلزمُ أنْ لو قيلَ : بأنَّ ما جاءَتْ بِهِ الرُّسلُ ثابتٌ في العَقلِ إدراكُهُ ، مُفَصَّلًا قبلَ البعثَةِ ، فحينئذٍ يقالُ : هذا يَفْتَحُ بابَ الاستغناءِ عن الرِّسالَةِ !

ومعلومٌ أنَّ إثْباتَ الحُسْنِ والقُبْحِ العَقْلِيَّيْنِ لا يستلزمُ هذا ، ولا يدلُّ عليهِ ، بل غايَةُ العَقلِ أنْ يُدرِكَ بالإجمالِ حُسْنَ ما أتى الشرعُ بتفصيلِهِ ، أو قُبحِهِ ، فَيُدْرِكُهُ العَقلُ جُملَةً ، ويأتي الشرعُ بتفصيلهِ ، وهذا كما أنَّ العَقْلَ يُدرِكُ حُسْنَ

---

(١) خَبَرُ (عِلْمُهُ) .

العدل .

وأمَّا كونُ هذا الفعلِ المُعيَّنِ عَدلًا أو ظلمًا فهذا مِمَّا يَعْجَزُ العَقلُ عن إدراكهِ في كُلِّ فعلٍ وعَقْدٍ[١]، وكذلكَ يَعْجَزُ عن إدْراكِ حُسْنِ كُلِّ فعلٍ وقُبْحِه ، وأنْ تأتيَ الشرائعُ بتَفصيلِ ذلكَ وتَبْيينهِ ، وما أدركَهُ العَقلُ الصَّريحُ مِن ذلكَ أتَتِ الشرائعُ بتَقريرهِ ، وما كانَ حَسَنًا في وقتٍ قَبيحًا في وَقتٍ ولم يَهْتدِ العَقلُ لوقتِ حُسنهِ ، مِن وَقتِ قبحهِ أتَتِ الشرائعُ بالأمرِ بهِ في وقتِ حُسنهِ ، وبالنَّهيِ عنهُ في وَقتِ قُبْحهِ ، وكذلكَ الفعلُ يكونُ مُشتملًا على مَصلحَةٍ ومَفسَدَةٍ ولا تَعْلَمُ العقولُ مَفسدتَهُ أرجحَ أم مَصلحتَهُ ؟ فيتوقَّفُ العَقلُ في ذلكَ ، فتأتي الشرائعُ ببيانِ ذلكَ وتأمُرُ براجحِ المَصلحَةِ ، وتَنهى عن راجحِ المَفسدَةِ ، وكذلكَ الفعلُ يكونُ مَصلحَةً لشخصٍ مَفسدَةً لغيرهِ ، والعَقلُ لا يُدرِكُ ذلكَ فتأتي الشرائعُ ببيانهِ ، فَتَأْمُرُ بهِ مَن هو مَصلحَةٌ لهُ ، وتَنهى عنهُ مِن حيثُ هو مَفسَدَةٌ في حقِّهِ ، وكذلكَ الفعلُ يكونُ مَفْسَدَةً في الظَّاهرِ ، وفي ضِمْنهِ مَصْلَحَةٌ عَظيمَةٌ لا يَهتدي إليها العقلُ ، فلا يُعْلَمُ إلّا بالشرعِ كالجهادِ والقَتلِ في اللَّهِ ، ويكونُ في الظَّاهرِ مصلحَةٌ ، وفي ضمنهِ مَفسدَةٌ عَظيمَةٌ لا يَهْتَدي إليها العَقلُ ، فتجيءُ الشرائعُ ببيانِ ما في ضِمْنهِ مِنَ المَصلحَةِ والمَفسدَةِ الرَّاجحَةِ ، هذا مَعَ أنَّ ما يَعْجَزُ العَقلُ عن إدراكهِ مِن حُسنِ الأفعالِ وقُبحها ليسَ بدونِ ما تُدْرِكُهُ من ذلكَ .

فالحاجَةُ إلى الرُّسُلِ ضروريَّةٌ ، بل هي فَوْقَ كُلِّ حاجَةٍ ، فليسَ العالَمُ إلى شيءٍ أحوَجَ منهم إلى المُرسَلين صلواتُ اللَّهِ عليهم أجمَعين ، ولهذا يُذَكِّرُ سبحانهُ عبادَهُ نِعَمَهُ عليهم برسولهِ ، ويَعُدُّ ذلكَ عليهم مِن أعظمِ المِنَنِ منهُ لشدَّةِ حاجتِهم إليهِ ، ولتوقُّفِ مصالِحهم الجُزئيَّةِ والكُليَّةِ عليهِ ، وأنَّهُ لا سعادَةَ لهم ، ولا فلاحَ ،

(١) ما تنعقد عليه القلوب .

ولا قيامَ إلّا بالرُّسلِ ، فإذا كانَ العَقْلُ قَد أدركَ حُسْنَ بَعضِ الأفعالِ وقُبحَها ، فمِن أينَ لهُ معرفَةُ اللَّهِ تعالى بأسمائهِ وصفاتِهِ وآلائِه التي تَعَرَّفَ بها اللَّهُ إلى عبادِهِ على ألسنَةِ رسلهِ ؟ ومِن أينَ لهُ معرفَةُ تفاصيلِ شَرعِهِ ودينِهِ الذي شرعهُ لعبادِهِ ؟ ومِن أينَ لهُ تفاصيلُ مواقعِ محبَّتِهِ ورضاهُ وسَخَطِهِ وكراهتِهِ ؟ ومِن أينَ لهُ معرفَةُ تفاصيلِ ثوابِهِ وعقابِهِ ، وما أعدَّ لأوليائِهِ ، وما أعدَّ لأعدائِهِ ، ومقاديرِ الثَّوابِ والعقابِ ، وكيفيَّتهما ، ودَرَجاتِهما ؟ ومِن أينَ لهُ معرفَةُ الغيبِ الذي لم يُظْهِر اللَّهُ عليهِ أحدًا مِن خَلقهِ ، إلّا مَن ارتَضاهُ من رُسلهِ ؟

إلى غيرِ ذلكَ ممَّا جاءَت بهِ الرُّسُلُ وبَلَّغَتْهُ عن اللَّهِ ، وليسَ في العَقلِ طريقٌ إلى مَعرفَتهِ .

فكيفَ يكونُ مَعرفَةُ حُسْنِ بَعضِ الأفعالِ وقُبْحِها بالعَقلِ مُغْنِيًا عمَّا جاءَتْ بهِ الرُّسلُ ؟

فظهَرَ أنَّ ما ذكرتُموهُ مُجَرَّدُ تَهويلٍ ، مَشحونٍ بالأباطيلِ ، والحمدُ للَّهِ .

وقَد ظهَرَ بهذا قصورُ الفلاسفَةِ في مَعرفَةِ النبوَّاتِ ، وأنَّهم لا عِلْمَ عندهم بها إلّا كعلمِ عَوَامِّ النَّاسِ بما عندهم منَ العقليَّاتِ ، بل عِلْمُهُم بالنُّبُوَّاتِ وحقيقتِها وعِظَمِ قَدْرِها وما جاءَت بهِ أقلُّ بكثيرٍ من علمِ العامَّةِ بعقليَّاتهم ، فهم عوامٌّ بالنِّسبَةِ إليها ، كما أنَّ مَن لم يَعرفْ علومَهم عوامٌّ بالنِّسبَةِ إليهم ، فلولا النُّبوَّاتُ لم يكُن في العالَمِ علمٌ نافعٌ البتَّةَ ، ولا عملٌ صالحٌ ، ولا صلاحٌ في معيشةٍ ، ولا قِوامٌ لمملكةٍ ، ولكانَ النَّاسُ بمنزلَةِ البهائمِ والسِّباعِ العادِيَةِ[1] والكلابِ الضَّاريَةِ التي يَعدو بَعضُها على بَعضٍ .

---

(١) من العُدوان ؛ وهو الإيذاءُ وتجاوُزُ الحدِّ .

وكلُّ دينٍ في العالم ، فمن آثارِ النُّبوَّةِ ، وكلُّ شيءٍ وقعَ في العالمِ أو سيقعُ فبسبَبِ خفاءِ آثارِ النُّبوَّةِ ودُروسِها ، فالعالَمُ حينئذٍ رُوحُهُ النُّبوَّةُ ، ولا قيامَ للجَسَدِ بدونِ روحِهِ .

ولهذا إذا تمَّ انْكِسافُ شمسِ النُّبوَّةِ منَ العالَمِ ، ولَم يَبْقَ في الأرضِ شيءٌ من آثارِها البتَّة ، انشقَّتْ سماؤهُ ، وانتَثَرَتْ كواكُبهُ ، وكُوِّرَتْ شمسُهُ ، وخُسِفَ قمرُهُ ، ونُسِفَت جبالُهُ ، وزُلزلت أرضُهُ ، وأُهلِكَ مَن عليها ، فلا قيامَ للعالمِ إلّا بآثارِ النُّبوَّةِ .

ولهذا كانَ كلُّ موضعٍ ظهَرَتْ فيهِ آثارُ النُّبوَّةِ فأهلُهُ أحسنُ حالًا وأصلحُ بالًا منَ المَوضعِ الذي يَخفى فيهِ آثارُها .

وبالجُملَةِ ؛ فحاجَةُ العالمِ إلى النُّبوَّةِ أعظمُ من حاجتهم إلى نورِ الشمسِ ، وأعظمُ من حاجتهم إلى الماءِ والهواءِ الذي لا حياةَ لهم بدونهِ .



١٥٢ - فَصْلٌ

[مقصود الشرائع]

وأمَّا ما ذَكَرَهُ الفلاسِفَةُ من مَقصودِ الشرائعِ ، وأنَّ ذلكَ لاستكمالِ النَّفسِ قُوى العلمِ والعملِ، والشرائعُ تَرِدُ بتَمهيدِ ما تَقرَّرَ في العقلِ بتَعبيرِهِ ... إلى آخرِهِ !

فهذا مقامٌ يجبُ الاعتناءُ بشأنِهِ ، وأن لا نَضربَ عنهُ صَفْحًا ، فنقولُ :

للنَّاسِ في المَقصودِ بالشرائعِ والأوامرِ والنَّواهي أربعَةُ طرقٍ :

أحدها : طريقُ مَن يقولُ منَ الفلاسفَةِ وأَتْباعِهم منَ المُنتَسبينَ إلى المِلَلِ : إنَّ المَقصودَ بها تَهذيبُ أَخْلاقِ النُّفوسِ وتَعديلُها ، لتَستعدَّ بذلكَ لِقَبُولِ الحكمَة العِلْميَّة والعَمَليَّة .

ومنهم من يقولُ : لتَستعدَّ بذلكَ لأن تكونَ مَحَلًّا لانتقاشِ صُورِ المَعقولاتِ فيها !

ففائدَةُ ذلكَ عندهم كالفائدَةِ الحاصلَةِ مِنْ صَقْلِ المِرآةِ لتَستعدَّ لظهورِ الصُّوَرِ فيها !

وهؤلاءِ يجعلونَ الشرائعَ مِنْ جنسِ الأخلاقِ الفاضلَةِ والسِّياساتِ العادلَةِ ، ولهذا رامَ فلاسفَةُ الإسلامِ الجَمْعَ بينَ الشريعَةِ والفلسفَةِ ، كما فعلَ ابنُ سينا[1] والفارابي[2] وأضرابُهما ، وآلَ بِهم إلى أنْ تكلَّموا في خوارقِ العاداتِ والمُعجزاتِ

---

(١) انظر كشفَ حالِه في « السِّيَر » (١٧ / ٥٣٥) للإمام الذهبي ، و « درء تعارض العقل والنقل » (١ / ٨ - ١٠) لشيخ الإسلام ابن تيميَّة .

(٢) انْظُرْ حقيقةَ أَمرِه في « السِّيَر » (١٥ / ٤١٧) .

على طريقِ الفلاسفةِ المشَّائين[١] وجعَلوا لها أسبابًا ثلاثةً :

أحدها : القُوى الفَلَكِيَّةُ .

الثَّاني : القُوى النَّفْسِيَّةُ .

الثَّالث : القُوى الطَّبيعيَّةُ .

وجعلوا جنسَ الخوارقِ جنسًا واحدًا ، وأدخلوا ما لِلسَّحَرَةِ وأربابِ الرِّياضَةِ والكهَنَةِ وغيرِهم مع ما للأنبياءِ والرُّسلِ في ذلكَ ، وجعَلوا سببَ ذلكَ كلِّهِ واحدًا وإنِ اختلَفَتْ بالغايات ، والنَّبيُّ قَصْدُهُ الخَيرُ والسَّاحرُ قَصْدُهُ الشرُّ !

وهذا المَذهبُ مِن أفسَدِ مذاهبِ العالمِ وأخبثِها ، وهو مَبنيٌّ على إنكارِ الفاعلِ المُختارِ ، وأنَّهُ تعالى لا يعلمُ الجزئيَّاتِ ، ولا يَقْدِرُ على تَغييرِ العالمِ ، ولا يَخْلُقُ شيئًا بمشيئتهِ وقُدرتهِ ، وعلى إنكارِ الجِنِّ والملائكَةِ ومَعَادِ الأجسامِ .

وبالجملة ؛ فهو مبنيٌّ على الكُفرِ باللَّهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ ، وليسَ هذا موضعَ الرَّدِّ على هؤلاءِ ، وكَشْفِ باطِلهم وفضائحِهم ، إذِ المَقصودُ ذِكْرُ طُرُقِ النَّاسِ في المَقصودِ بالشرائع والعباداتِ .

وهذه الفِرْقَةُ غايَةُ ما عندَها في العباداتِ والأَخْلاقِ والحِكمَةِ العلميَّةِ أنَّهم رَأَوْا النَّفْسَ لها شَهْوَةٌ وغَضَبٌ بقوَّتِها العمليَّةِ ، ولها تَصَوُّرٌ وعِلْمٌ بقوَّتها العلميَّةِ ، فقالوا : كمالُ الشهوَةِ في العفَّةِ ، وكمالُ الغَضَبِ في الحُكمِ والشجاعَةِ ، وكمالُ القوَّة النَّظريَّةِ بالعلمِ ، والتَّوسُّطُ في جميعِ ذلكَ بينَ طَرَفي الإفْراطِ

(١) هُم أَصحابُ البحثِ والقياسِ العقليِّ من الفلاسفةِ ، سُمُّوا بذَلك لأَنَّ زعيمَهم وسيِّد طريقتهم - وهو أَرسطو - كان يُعلِّمُ تلاميذَه وهو يَمْشي معهم (!) .

وانظر « رسائل الإِصلاح » (١ / ١٩١) للعلَّامة محمَّد الخضر حُسين ، و « تمييز المحظوظين » (ص ٢١) للمعصومي - بتحقيقي .

والتَّفريطِ هو العَدلُ .

هذا غايَةُ ما عندَ القومِ منَ المَقصودِ بالعباداتِ والشرائعِ ، وهو عندهم غايَةُ كمالِ النَّفسِ ؛ وهو استكمالُ قُوَّتِها العِلْميَّةِ والعَمَليَّة ، فاستكمالُ قوَّتِها العِلْميَّةِ عندهم بانْطِباعِ صُوَرِ المَعلوماتِ في النَّفْسِ ، واستكمالُ قُوَّتِها العِلْميَّةِ بالعَدْلِ

وهذا مع أنَّهُ غايَةُ ما عندهم منَ العلمِ والعملِ ، وليسَ فيهِ بيانُ خاصِّيَّةِ النَّفسِ التي لا كمالَ لها بدونهِ البتَّة ، وهو الذي خُلِقَتْ لهُ ، وأُريدَ منها ، بل ما عَرَفَهُ القومُ ؛ لأنَّهُ لم يكُن عندَهم مِن مَعرفَةٍ مُتعلِّقَةٍ إلّا نَزْرٌ يسيرٌ ، غيرُ مُجْدٍ ولا مُحَصِّلٍ للمَقصودِ ؛ وذلكَ معرفَةُ اللَّهِ بأسمائهِ وصفاتهِ ، ومعرفَةُ ما يَنبغي لجلالهِ ، وما يتعالى ويتقدَّسُ عنهُ ، ومعرفَةُ أمرِهِ ودينهِ ، والتَّمييزُ بينَ مواقعِ رضاه وسخطهِ ، واستفراغُ الوُسْعِ في التَّقرُّبِ إليهِ ، وامتلاءُ القلبِ بمحبَّتِهِ ؛ بحيثُ يكونُ سُلطانُ حُبِّهِ قاهرًا لكلِّ محبَّةٍ ، ولا سعادَةَ للعَبدِ في دُنياه ولا في أُخراه إلّا بذلكَ ، ولا كمالَ للرُّوحِ بدونِ ذلكَ البتَّةَ .

وهذا هو الذي خُلِقَ لهُ وأُريدَ منهُ ، بل ولأجلهِ خُلِقَتِ السَّمواتُ والأرضُ ، واتُّخِذَت الجنَّةُ والنَّار ، كما سيأتي تَقريرهُ من أكثرِ من مئةِ وجهٍ إن شاءَ اللَّه .

ومعلومٌ أنَّهُ ليسَ عندَ القومِ من هذا خَبَرٌ ، بل هُم في وادٍ ، وأهلُ الشأنِ في وادٍ ، وهذا هو الدِّينُ الذي أجمعَت الأَنبياءُ عليهِ من أوَّلهم إلى خاتَمِهم ، كلُّهم جاءَ بهِ ، وأخبَرَ عن اللَّهِ أنَّهُ دينُهُ الذي رَضِيَهُ لعبادهِ وشَرَعَهُ لهم ، وأمرهم به ، كما قالَ تعالى : ﴿ وَلَقَد بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أنِ اعبُدوا اللهَ واجْتَنِبوا الطَّاغوتَ ﴾ [النحل : ٣٦]، وقال تعالى : ﴿ وَما أرسَلْنا قَبلَكَ مِنْ رَسولٍ إلّا نُوحي إليهِ أنَّهُ لا إلهَ إلّا أنا فاعبُدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥]، وقال تعالى : ﴿ ومَنْ

يَبْتَغِ غَيرَ الإسلامِ دينًا فَلَن يُقبَلَ منهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَن أرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رُسُلِنا أَجَعَلْنا مِن دونِ الرَّحمنِ آلهَةً يُعْبَدُون ﴾ [الزخرف : ٤٥] ، وقال : ﴿ يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطيِّباتِ واعمَلوا صالحًا إنِّي بما تَعملونَ عليمٌ وأنَّ هذه أُمَّتُكُم أُمَّةً واحدَةً وأنا ربُّكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥١ - ٥٢]، وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بهِ نُوحًا والذي أَوْحَيْنا إليكَ وما وَصَّيْنا بهِ إبراهيمَ ومُوسى وعيسى أنْ أقيموا الدِّينَ ولا تَتفرَّقوا فيهِ كَبُرَ على المُشركينَ ... ﴾ [الشورى : ١٣]، وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وجْهَكَ للدِّينِ حَنيفًا فِطْرَةَ اللهِ الّتي فَطَرَ النَّاسَ عليها لا تَبديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلكَ الدِّينُ القيِّمُ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون مُنِيبينَ إليهِ واتَّقُوهُ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ ولا تكونُوا مِنَ المُشْرِكين ﴾ [الرُّوم : ٣٠ - ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلّا ليَعبُدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

فالغايَةُ الحميدَةُ التي يَحْصُلُ بها كمالُ بني آدمَ وسعادتُهم ونجاتُهم هي مَعرفَةُ اللَّهِ ومحبَّتُهُ وعبادتُهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وهي حقيقَةُ قولِ العَبدِ : لا إلهَ إلّا اللَّهُ ، وبها بُعِثَتِ الرُّسلُ ، ونَزَلَتْ جميعُ الكتبِ ، ولا تَصْلُحُ النَّفسُ ولا تَزكو ولا تكملُ إلّا بذلكَ؛ قال تعالى : ﴿ وَوَيْلٌ للمُشرِكينَ الَّذينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ ﴾ [فصلت : ٦ - ٧] ؛ أيْ : لا يُؤتونَ ما تَزْكى[1] بهِ أنفسُهم منَ التَّوحيدِ والإيمانِ ، ولهذا فسَّرَها غيرُ واحدٍ منَ السَّلَفِ بأن قالوا : لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ : لا يقولونَ : لا إلهَ إلّا اللَّه[2]، فعبادةُ اللَّهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأنْ يكونَ اللَّهُ أحبَّ

(١) تَطْهُرُ .

(٢) انظر « الدر المنثور » (٧ / ٣١٣) للسيوطي ، و « زاد المسير » (٧ / ٢٤١) لابن الجوزي .

إلى العَبدِ مِن كُلِّ ما سواهُ هو أعظمُ وصيَّةٍ جاءَت بها الرُّسلُ ، وَدَعَوْا إليها الأُمَمَ .

وسُنبيِّنُ إنْ شاءَ اللَّهُ عَن قريبٍ بالبراهين الشافيَةِ أنَّ النَّفْسَ ليسَ لها نجاةٌ ولا سعادَةٌ ولا كمالٌ إلّا بأنْ يكونَ اللَّهُ وحدَهُ محبوبَها ومَعبودَها ، لا أحبَّ إليها منهُ ، ولا آثَرَ عندها مِن مرضاتهِ والتقرُّبِ إليهِ ، وأنَّ النَّفْسَ مُحتاجةٌ - بل مضطرَّةٌ - إليهِ حيثُ هو مَعبودُها ومَحبوبُها وغايَةُ مُرادِها أعظمَ مِنْ اضطرارِها إليهِ من حيثُ هو ربُّها وخالقُها وفاطِرُها .

ولهذا كانَ مَن آمَنَ باللَّهِ خالقهِ ورازقهِ وربِّهِ ومليكهِ ، ولم يُؤْمِنْ بأنَّهُ لا إلهَ يُعبَدُ ويُحَبُّ ويُخشى ويُخافُ غيرُهُ ، بل أَشْركَ مَعَهُ في عبادتهِ غَيرَهُ فهو كافرٌ بهِ ، مُشرِكٌ شركًا لا يغفرهُ اللَّهُ ؛ كما قال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بهِ ﴾ [النساء : ١١٦]، وقال تعالى : ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَن يتَّخِذُ مِن دونِ اللهِ أندادًا يُحِبُّونهم كَحُبِّ اللهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥]، فأخبرَ أنَّ مَن أحبَّ شيئًا سوى اللَّهِ مثلَ ما يُحِبُّ اللَّهَ فَقَد اتَّخَذَ مِن دونِ اللَّهِ أندادًا ، ولهذا يقولُ أهلُ النَّارِ لمعبوداتهم وهم مَعَهم فيها : ﴿ تاللهِ إنْ كُنَّا لَفي ضلالٍ مُبينٍ إذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العالمينَ ﴾ [النساء : ٩٨] ، وهذه التَّسويَةُ إنَّما كانَت في الحُبِّ والتَّألُّهِ ، لا في الخَلْقِ والقُدْرَةِ والرُّبوبيَّةِ ، وهي العَدْلُ الذي أخبرَ به عن الكُفَّارِ بقوله : ﴿ الحَمدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلماتِ والنُّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَروا بِربِّهِم يَعْدِلون ﴾ [الأنعام : ١] وأصحُّ القولين أنَّ المَعنى : ثُمَّ الذينَ كفَروا بربِّهِم يَعْدِلون فيجعلونَ لهُ عِدْلًا يُحِبُّونهُ ويعبدونهُ ، كما يُحِبُّونَ اللَّهَ ويَعبدونهُ .

فما ذكرَ الفلاسفَةُ مِنَ الحكمَةِ العَمَليَّةِ والعِلْميَّةِ ليسَ فيها مِنَ العُلومِ

والأعمالِ ما تَسْعَدُ بِهِ النُّفوسُ وتَنجو به من العذابِ ، فليسَ في حِكْمَتِهم العِلْميَّةِ إيمانٌ باللَّهِ ، ولا ملائكتهِ ، ولا كتبهِ ، ولا رُسلهِ ، ولا لقائهِ ، وليسَ في حِكْمَتِهم العَمَليَّةِ عبادتُهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، واتِّباعُ مَرْضاتهِ واجتنابُ مَساخطهِ .

ومعلومٌ أنَّ النَّفسَ لا سعادَةَ لها ولا فلاحَ إلّا بذلكَ ، فليسَ في حِكْمَتِهم العَمَليَّةِ والعِلْميَّةِ ما تَسْعَدُ بِهِ النُّفوسُ وتَفوزُ ، ولهذا لم يكونوا داخلينَ في الأُمَمِ السُّعداء في الآخرَةِ ؛ وهم الأُمَمُ الأربعَةُ المَذكورونَ في قولهِ تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادوا والنَّصارى والصَّابئِينَ مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعَمِلَ صالحًا فلهم أَجْرُهُم عندَ رَبِّهِم ولا خَوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنون ﴾ [البقرة : ٦٢] .

□ □ □ □ □

١٥٣ - فَصْلٌ

[تقصير الفلاسفة في الكمالات الإنسانيّة]

وهذه الكمالاتُ الأربعَةُ التي ذكرها الفلاسفَةُ للنَّفْسِ لا بدَّ منها في كمالها وصلاحها ، ولكن قَصَّروا غايَةَ التَّقصيرِ في أنَّهم لم يُبيِّنوا مُتعلَّقها ، ولم يَحُدُّوا لها حدًّا فاصلًا بينَ ما تَحْصُل بهِ السَّعادَة وما لا تَحصُل بهِ :

فإنَّهم لم يَذْكُروا مُتَعلَّقَ العِفَّةِ ، ولا عمَّاذا تكونُ ، ولا مقدارَها الذي إذا تجاوَزَهُ العَبدُ وقعَ في الفُجور .

وكذلكَ الحِلْمُ لم يَذكُروا مَوَاقِعَهُ ومِقدارَهُ وأينَ يَحْسُنُ ؟ وأينَ يَقبُحُ ؟

وكذلكَ الشجاعَةُ .

وكذلكَ العلمُ ، لم يُميِّزوا العلمَ الذي تَزكُو بهِ النُّفوسُ وتَسعَدُ مِن غيرِهِ ، بل لم يعرفُوهُ أصلًا .

وأمَّا الرُّسلُ - صَلَواتُ اللَّهِ عليهم وسلامهُ - فبيَّنوا ذلكَ غايَةَ البيان ، وفَصَّلُوهُ أحسنَ تَفصيلٍ ، وقد جمعَ اللَّهُ ذلكَ في كتابهِ في آيَةٍ واحدَةٍ ، فقال : ﴿ قُلْ إنَّما حرَّمَ رَبِّي الفَواحشَ ما ظَهَرَ مِنها وَما بَطَنَ والإثمَ والبَغْيَ بغَيرِ الْحَقِّ وأنْ تُشرِكوا باللهِ ما لَم يُنزِّل بهِ سُلْطانًا وأنْ تقولُوا على اللهِ ما لا تَعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فهذه الأنواعُ الأربعَةُ الّتي حرَّمها تَحريمًا مُطلقًا لم يُبحْ منها شيئًا لأحدٍ منَ الخَلْقِ ، ولا في حالٍ منَ الأحوالِ ، بخلافِ الميْتَةِ والدَّمِ ولَحْمِ الخنزيرِ ، فإنَّها

تحرُمُ في حالٍ ، وتُباحُ في حالٍ ، وأمَّا هذه الأربعَةُ فهي مُحَرَّمَةٌ ؛ فالفواحشُ مُتعلِّقَةٌ بالشهوَةِ ، وتَعديلُ قوَّةِ الشهوَةِ باجتنابها ، والبَغيُ بغيرِ الحقِّ مُتعلِّقٌ بالغَضَبِ ، وتَعديلُ القوَّةِ الغضبيَّةِ باجتنابهِ ، والشركُ باللَّهِ ظُلْمٌ عَظيمٌ ، بل هو الظُّلمُ على الإطلاقِ ، وهو مُنافٍ للعَدْلِ والعِلْمِ ، وقولُه : ﴿ وأَنْ تُشْركوا باللهِ ما لَم يُنزِّل بهِ سُلطانًا ﴾ [الأعراف : ٣٣]، مُتضمِّنٌ تَحريمَ أَصْلِ الظُّلمِ في حقِّ اللَّهِ ، وذلكَ يستلزمُ إيجابَ العَدْلِ في حقِّهِ - وهو عبادتهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ - فإنَّ النَّفْسَ لها القوَّتانِ العِلْميَّةُ والعَمَليَّةُ ، وعَمَلُ الإنسانِ عَمَلٌ اختياريٌّ تابعٌ لإرادَةِ العَبدِ ، وكلُّ إرادَةٍ فلها مُرادٌ وكمالٌ ؛ وهو إمَّا مرادٌ لنَفسهِ ، وإمَّا مُرادٌ لغيرهِ ينتهي إلى المُراد لنفسهِ ولا بدَّ ، فالقوَّةُ العَمَليَّةُ تَستلزمُ أنْ يكونَ للنَّفْسِ مُرادٌ تُسْتَكْمَلُ بإرادتهِ ، فإن كانَ ذلكَ المُرادُ مُضمحلًّا فانيًا زالت الإرادَةُ بزوالهِ ولم يكُن للنَّفس مرادٌ غيرُهُ ففاتَها أعظمُ سعادتها وَفلاحها ؛ فيجبُ إذًا أن يكونَ مُرادُها الذي تَستكملُ بإرادتهِ وحبِّهِ وإيثارهِ باقيًا لا يَفْنى ولا يزولُ ، وليسَ ذلكَ إلّا اللَّهَ وحدَهُ .

وسنذْكرُ إنْ شاءَ اللَّهُ عن قريبٍ معنى تعلُّقِ الإرادَةِ بهِ تعالى ، وكونهِ مُرادًا والعَبْدُ مُريدٌ لهُ ، فإنَّ هذا ممَّا أَشْكَلَ على بَعضِ المُتَكلِّمينَ حيثُ قالوا : إنَّ الإرادَةَ لا تَتعلَّقُ إلّا بحادثٍ ، وأمَّا القديمُ فكيفَ يكونُ مُرادًا ؟! وخَفِيَ عليهم الفَرْقُ بينَ الإرادَةِ الغائيَّةِ (١) والإرادَةِ الفاعليَّةِ ، وجعَلوا الإرادتينِ واحدَةً .

والمَقصودُ أنَّ هؤلاءِ الفلاسفَةَ لم يَذكُروا هذا في كمالِ النَّفسِ ، وإنَّما

---

(١) الّتي لا تُعْلَمُ غايتُها ، قالَه شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ في « دَرْء التعارض » (١ / ٣٢٩) ، وانظر تعليقي على رسالة « العبوديّة » (ص ١٢٩ - ١٣٠) له رحمه الله .

جعلوا كمالَها في تَعديلِ الشهوَةِ والغضبِ ، والشهوَةُ هي جلبُ ما ينفعُ البَدنَ ويُبْقي النَّوع ، والغَضَبُ دَفْعُ ما يضرُّ البَدن ، وما تَعرَّضوا لِمُرادِ الرُّوحِ المَحبوبِ لذاتِهِ ، وجعَلوا كمالَها العِلْميَّ في مُجرَّدِ العلمِ ، وغَلِطُوا في ذلكَ من وجوهٍ كثيرَةٍ :

منها : أنَّ ما ذكروهُ لا يُعطي كمالَ النَّفسِ الذي خُلِقَت لهُ ، كما بينَّاهُ .

ومنها : أنَّ ما ذكروهُ في كمالِ القُوَّةِ العَمَليَّةِ إنَّما غايتُهُ إصلاحُ البَدنِ الذي هو آلَةُ النَّفْسِ ، ولم يذكُروا كمالَ النَّفسِ الإراديَّ ، والعملَ بالمحبَّةِ والخوفِ والرَّجاءِ .

ومنها : أنَّ كمالَ النَّفسِ في العلمِ والإرادَةِ ، لا في مُجرَّدِ العلمِ ؛ فإنَّ مُجرَّدَ العلم ليسَ بكمالٍ للنَّفسِ ما لَم تكُن مُريدَةً مُحِبَّةً لِمَنْ لا سعادَةَ لها إلّا بإرادتِهِ ومحبَّتِهِ ، فالعلمُ المُجرَّدُ لا يُعطي النَّفسَ كمالًا ما لَم تَقترِنْ به الإرادَةُ والمحبَّةُ .

ومنها : أنَّ العلمَ لو كانَ كمالًا بمُجَرَّدِهِ لَم يكُن ما عندهم منَ العلمِ كمالًا للنَّفسِ ، فإنَّ غايَةَ ما عندهم عُلومٌ رياضيَّةٌ صحيحةٌ ، مصالحُها من جنسِ مصالحِ الصِّناعاتِ ، وربَّما كانَت الصِّناعاتُ أصلحَ وأنفعَ من كثيرٍ منها ، وإمَّا علمٌ طبيعيٌّ صحيحٌ ، غايتهُ مَعرفةُ العناصرِ وبَعضِ خواصِّها وطبائعِها ، ومعرفَةُ بَعضِ ما يتركَّبُ منها ، وما يستحيلُ منَ المُوجِباتِ إليها ، وبعضِ ما يَقَعُ في العالمِ منَ الآثارِ بامتزاجها واختلاطها .

وأيُّ كمالٍ للنَّفسِ في هذا ؟ وأيُّ سعادَةٍ لها فيه ؟ وإمَّا علمٌ إلـهيٌّ كلُّهُ باطلٌ لم يوَفَّقوا لإصابَةِ الحقِّ فيهِ في مسألةٍ واحدَةٍ .

ومنها : أنَّ كمالَ النَّفسِ وسعادتَها المُستفادَ عن الرُّسلِ - صلواتُ اللّهِ عليهم - ليسَ عندهم اليومَ منهُ حِسٌّ ، ولا خبرٌ ، ولا عينٌ ، ولا أثرٌ ! فهم أَبْعَدُ النَّاسِ من كمالاتِ النُّفوسِ وسعاداتِها .

وإذا عُرِفَ ذلكَ ، وأنَّهُ لا بدَّ للنَّفْسِ من مُرادٍ محبوبٍ لذاتِهِ لا تَصْلُحُ إلّا بِهِ ، ولا تَكْمُلُ إلّا بحُبِّهِ وإيثارِهِ وقَطْعِ العلائقِ عن غيرِهِ ، وأنَّ ذلكَ هو النِّهايَةُ وغايَةُ مَطلوبِها ومُرادِها الذي إليهِ يَنتهي الطَّلبُ ، فليسَ ذلكَ إلّا اللّهَ ؛ الذي لا إلهَ إلّا هو ؛ قالَ تعالى : ﴿ أمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً منَ الأرضِ هُم يُنْشِرُون . لو كانَ فيهما آلِهَةٌ إلّا اللهُ لَفَسَدَتا ﴾ [الأنبياء : ٢١ - ٢٢] .

وليسَ صلاحُ الإنسانِ وحدَهُ وسعادتُهُ إلّا بذلكَ ، بل وكذلكَ الملائكَةُ ، والجِنُّ ، وكلُّ حيٍّ شاعرٍ لا صلاحَ لهُ إلّا بأنْ يكونَ اللّهُ وَحدَهُ إلٰهَهُ وَمَعبودَهُ وغايَةَ مُرادِهِ .

وسيمُرُّ بكَ إنْ شاءَ اللّهُ بَسْطُ القولِ ، وإقامَةُ البراهينِ ، على هذا المَطلوبِ الأعظمِ الذي هو غايَةُ سعادَةِ النُّفوسِ وأَشْرَفُ مطالبِها .

فلْنرجِعْ إلى ما كُنَّا فيهِ من بيانِ طُرُقِ النَّاسِ في مقاصدِ العباداتِ :

الطَّريق الثَّاني : طريقُ مَن يقولُ مِنَ المُعتزلَةِ ومَنْ تابَعَهم : إنَّ اللّهَ سبحانهُ عرَّضَهم بها للثَّوابِ ، واستأْجَرَهُم بتلكَ الأعمالِ للخيرِ ، فَعَاوَضَهم عليها مُعاوَضَةً ! قالوا : والإنْعامُ منهُ في الآخرَةِ بدونِ الأَعمالِ غيرُ حسنٍ ، لِمَا فيهِ من تكريرِ مِنَّةِ العطاءِ ابتداءً ، ولِمَا فيهِ مِنَ الإخْلالِ بالمَدْحِ والثَّناءِ والتَّعظيمِ الذي لا يُسْتَحَقُّ إلّا بالتَّكليفِ !

ومِنهم مَن يقولُ : إنَّ الواجباتِ الشرعيَّةَ لُطْفٌ في الواجباتِ العقليَّةِ !

ومِنهم مَن يقولُ : إنَّ الغايَةَ المَقصودَةَ التي يَحْصُلُ بها الثَّوابُ هي العَمَلُ ، والعِلْمُ وسيلةٌ إليهِ ! حتّى ربَّما قالوا ذلكَ في مَعرفَةِ اللَّهِ تعالى ، وأنَّها إنَّما وَجبَتْ لأنَّها لُطْفٌ في أداءِ الواجباتِ العمليَّةِ !

وهذه الأقوالُ تَصَوُّرُ العاقلِ اللبيبِ لها حَقَّ التَّصوُّرِ كافٍ في جَزْمِهِ ببُطلانها ، رافعٌ عنهُ مُؤنَةَ الرَّدِّ عليها ، والوجوهُ الدَّالَّةُ على بُطلانِها أكثرُ مِن أنْ تُذكرَ ها هُنا .

الطَّريقُ الثَّالث : طريقُ الجَبْرِيَّةِ ومَن وافَقَهم ؛ أنَّ اللَّهَ تعالى سبحانهُ امْتحَنَ عبادَهُ بذلك ، وكلَّفَهم لا لِحِكْمَةٍ ولا لغايَةٍ مَطلوبَةٍ لهُ ، ولا بسَببٍ منَ الأسبابِ ، فلا لامُ تَعليلٍ ! ولا باءُ سببٍ ! إنْ هو إلّا مَحْضُ المَشيئةِ ، وصِرْفُ الإرادَةِ ! كما قالوا في الخَلْقِ سواءً ! وهؤلاءِ قابَلُوا مَن قَبْلَهم منَ القَدَرِيَّةِ والمُعتزلَةِ أعظمَ مُقَابلَةٍ ؛ فهما طرفا نَقيضٍ لا يلتقيان !!

الطَّريقُ الرَّابع : طريقُ **أهلِ العلمِ والإيمانِ** ؛ **الذينَ عَقَلُوا عن اللهِ أمرَهُ ودينَهُ ، وعَرفوا مُرادَهُ بما أَمَرَهم ونهاهم عنهُ** ، وهي أنَّ نَفْسَ معرفَةِ اللَّهِ ومحبَّتِهِ وطاعتِهِ ، والتقرُّبِ إليهِ ، وابتغاءِ الوَسيلةِ إليهِ ، أمرٌ مَقْصودٌ لذاتهِ ، وأنَّ اللَّهَ سُبحانَهُ يَسْتَحِقُّهُ لذاتِهِ ، وهو سبحانهُ المَحبوبُ لذاتِهِ ، الذي لا تَصْلُحُ العبادةُ والمَحَبَّةُ والذُّلُّ والخضوعُ والتَّألُّه إلّا لهُ ؛ فهو يَسْتَحِقُّ ذلكَ لأنَّهُ أهْلٌ أنْ يُعْبدَ ولو لم يَخْلُق جَنَّةً ولا نارًا ، ولو لم يَضَعْ ثوابًا ولا عِقابًا ، كما جاءَ في بَعضِ الآثارِ : « لو لم أَخْلُق جَنَّةً ولا نارًا ، أمَا كُنتُ أهلًا أَنْ أُعْبَدَ ؟ »(١) فهو سُبحانهُ **يَسْتَحِقُّ** غايَةَ الحُبِّ والطَّاعَةِ والثَّناءِ والمَجْدِ والتَّعظيمِ لذاتِهِ ، ولِمَا لهُ مِنْ أوصافِ **الكمالِ**

---

(١) تقدّم (٢ / ٥٠٣) .

ونُعوتِ الجلالِ، وحُبُّهُ والرِّضا به وعنهُ والذُّلُّ لهُ والخُضوعُ والتَّعبُّدُ هو غايَةُ سعادَةِ النَّفسِ وكمالها ، والنَّفْسُ إذا فَقَدَتْ ذلكَ كانَت بمنزلَةِ الجَسَدِ الذي فَقَدَ رُوحَهُ وحياتَهُ ، والعينِ الّتي فَقَدَتْ ضوءَها ونُورَها ، بل أَسْوَأُ حالًا مِنْ ذلكَ مِنْ وجهين :

أحدُهما : أنَّ غايَةَ الجَسَدِ إذا فَقَدَ رُوحَهُ أَنْ يَصيرَ مُعَطَّلًا ميْتًا ، وكذلكَ العينُ تَصِيرُ مُعَطَّلَةً ، وأمَّا النَّفْسُ إذا فَقَدَتْ كمالَها المَذكورَ فإنَّها تَبقى مُعَذَّبةً مُتألِّمَةً ، وكلَّما اشتدَّ حِجابُها اشتدَّ عذابُها وأَلَمُها ، وشاهدُ هذا يَجِدُهُ المُحِبُّ الصادقُ المحبَّةِ مِن العَذابِ والأَلَمِ عند احتجابِ محبوبه عنه ، ولا سيَّما إذا يئِسَ من قُربهِ ، وحَظِيَ غيرُهُ بحبِّهِ وَوصْلهِ ، هذا مع إمْكانِ التَّعوُّضِ عنهُ بمَحبوبٍ آخَرَ نظيرِهِ ، أو خيرٍ منهُ ، فكيفَ بروحٍ فَقَدَتْ محبوبَها الحقَّ الذي لم تُخْلَقْ إلّا لمحبَّتِهِ ، ولا كمالَ لها ولا صلاحَ أصلًا إلّا بأنْ يكونَ أَحبَّ إليها مِن كلِّ ما سواهُ [(١)] ، وهو مَحبوبُها الذي لا تُعَوَّضُ منهُ سواهُ بوجهٍ ما ، كما قال القائل :

مِن كلِّ شيءٍ إذا ضيَّعتَهُ عِوَضٌ
وما مِنَ اللّهِ إنْ ضيَّعتَهُ عِوَضُ

ولو لم يكُنِ احتجابُهُ - سبحانهُ - عن عبدِهِ أشدَّ أنواعِ العذابِ عليهِ ، لم يتوعَّدْ بِهِ أعداءَهُ ؛ كما قالَ تعالى : ﴿ كلّا إنَّهم عَن ربِّهِم يَومئذٍ لَمَحجُوبونَ ثمَّ إنَّهُم لَصَالُوا الجَحيم ﴾ [المطفِّفين : ١٥ - ١٦]، فأخبرَ أنَّ لهم عذابين :

أحدهما : عذابُ الحجابِ عنهُ ، الثَّاني : صَلْيُ الجحيم .

---

(١) كما في حديث أَنسٍ في « صحيح البخاري (رقم : ٢١) و « صحيح مسلم » (رقم : ٤٣) : « ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وَجَدَ بهنّ حلاوةَ الإيمانِ : أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحبَّ إليهِ مِمّا سواهما .. » .

وأحدُ العذابينِ أشدُّ منَ الآخَرِ ، وهذا كما أنَّهُ سبحانهُ يُنْعِمُ على أوليائهِ بنَعيمينِ : نَعيمِ كَشفِ الحجابِ فيَنظرونَ إليهِ ، ونعيمِ الجنَّةِ وما فيها .

وأحدُ النَّعيمينِ أحبُّ إليهم منَ الآخَرِ ، وآثَرُ عندهم ، وأقرُّ لعيونهم ، كما في « الصَّحيح »[(١)] عنهُ ﷺ أنَّهُ قال : « إذا دَخَلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ نادى مُنادٍ أهلَ الجنَّةِ : إنَّ لكُم عندَ اللَّهِ مَوعدًا يُريدُ أن يُنْجِزَكُموهُ ، فيقولونَ : ما هوَ ؟ ألَم يُبيِّضْ وجوهَنا ؟ ويُثَقِّل موازينَنا ؟ ويُدْخِلْنا الجنَّةَ ؟ ويُجِرْنا من النَّار ؟ قال : فيكشفُ الحجابَ ، فيَنظرونَ إليهِ ، فما أعطاهُم شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظرِ إليهِ » .

وفي حديثٍ[(٢)] غيرِ هذا : « أنَّهُم إذا نَظروا إلى ربِّهم تباركَ وتعالى أَنْساهم لذَّةُ النَّظرِ إليهِ ما هُم فيهِ منَ النَّعيمِ[(٣)] » .

---

(١) رواه مسلم (١٨١) عن صُهيب رضي اللهُ عنه .

(٢) كأنّه يُشيرُ إلى ما رواه اللالكائيّ - من طريق الفَسَويّ - (٨٥٢) بسندِه عن عليٍّ رضي اللهُ عنه مرفوعًا - من أَحاديث الرؤية - وفي آخرِه : « ثمَّ يتجلّى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنّهم لم يَرَوْا نعمةً قبل ذلك » .

وفي سندِه عمرو بن خالدٍ ، وهو كذّاب !

وسُويدُ بن عبدالعزيز ،وهو ضعيف .

وقد أَورد المصنّفُ هذا الحديثَ بسندِه ومتنِه في « حادي الأَرواح » (ص ٢٧٩) .

وروى الدارقطنيُّ في « الرؤية » (٢١١) ونُعيمُ بن حمّاد في « زيادات الزّهد » (٧٩ - ٨٤) وابن جرير في « التفسير » (١١ / ٧٤) بسند صحيحٍ إِلى ثابتٍ ، قال : قالَ رجلٌ لعبدِالرحمن بنِ أَبي ليلى - في تفسيرِ ﴿ للذينَ أَحسنوا الحُسنى وزيادة ﴾ ، وفيه : « .. فيكشف الحجاب .. وأُعطوا فيها النعيمَ والكرامة ، كأنَّ ذلك لم يَكُن شيئًا فيما رأَوْا » .

واللهُ أَعلم .

(٣) وفي « حادي الأَرواح » (٢٦٠ - ٣٠٧) للمصنّف فصلٌ مُشهبٌ في إِثباتِ رؤيةِ المؤمنين لربّهم يومَ القيامة .

والوَجهُ الثَّاني : أنَّ البَدَنَ والأعضاءَ آلاتٌ للنَّفْسِ ، ورَعيَّةٌ (١) للقلبِ ، وخَدَمٌ لهُ ، فإذا فَقَدَ بعضُهم كمالَهُ الذي خُلقَ لهُ كانَ بمنزلَةِ هلاكِ بَعضِ جُنْدِ المَلِكِ وَرَعِيَّتهِ ، وتَعَطُّلِ بعضِ آلاتهِ ، وَقَد لا يَلْحَقُ الملكَ من ذلكَ ضررٌ أصلًا، وأمَّا إذا فَقَد القلبُ كمالَهُ الذي خُلِقَ لهُ وحياتَهُ ونَعيمَهُ ، كانَ بمنزلَةِ هلاكِ المَلِكِ وأَسْرهِ وذَهابِ مُلْكهِ من يديهِ ، وصَيرورتهِ أسيرًا في أيدي أعاديهِ !

فهكذا الرُّوحُ إذا عَدِمَت كمالَها وصلاحَها في مَعرفَةِ فاطِرِها وبارِئها، وكونهِ أحبَّ شيءٍ إليها ، ورضاهُ وابتغاءُ الوَسيلَةِ إليهِ آثَرُ شيءٍ عندَها ، حتّى يكونَ اهتمامُها بمحبَّتهِ ومَرْضاتهِ اهتمامَ المُحِبِّ التَّامِّ المحبّةِ بمَرْضاةِ مَحبوبهِ الذي لا يجدُ منهُ عِوَضًا ؛ كانَت بمنزلَةِ المَلِكِ الذي ذَهَبَ منهُ مُلْكُهُ ، وأصبحَ أسيرًا في أيدي أعاديهِ ، يسومونهُ سوءَ العذابِ .

وهذا الألمُ كامنٌ في النَّفْسِ ، لكن يسترُهُ سِترُ الشهواتِ ، ويواريهِ حِجابُ الغفلَةِ ، حتى إذا كُشِفَ الغطاءُ ، وحِيلَ بينَ العَبدِ وبينَ ما يَشْتهي وجدَ حقيقَةَ ذلك الألمِ ، وذاقَ طعمَهُ ، وتجرَّدَ ألمُهُ عمَّا يحجُبُهُ ويُواريهِ .

وهذا أمرٌ يُدْرَكُ بالعيانِ والتَّجْرِبَةِ في هذه الدَّار ؛ تكونُ الأسبابُ المُؤْلِمَةُ للرُّوحِ والبَدنِ مَوْجودَةً مُقتضِيَةً لآثارِها ، ولكنْ يقومُ للقَلبِ مِنْ فَرَحهِ بحظٍّ نالَهُ مِن مالٍ أو جاهٍ أو وِصَالِ حبيبٍ ما يُواري عنهُ شُهودَ الأَلَم ، وربَّما لا يشعُرُ به أصلًا ، فإذا زالَ المُعارِضُ ذاقَ طعمَ الألمِ ، وَوجدَ مسَّهُ ، ومَنِ اعْتَبَرَ أحوالَ نَفسهِ وغيرهِ عَلِمَ ذلكَ .

فإذا كانَ هذا في هذه الدَّارِ ، فما الظَّنُّ عندَ المُفارقَةِ ، والفِطامِ عن الدُّنيا ،

(١) أَتْباع .

والانتقالِ إلى اللَّهِ ، والمَصيرِ إليهِ .

فلْيتأمَّلِ العاقلُ الفَطِنُ النَّاصحُ لنَفسهِ هذا الموضعَ حقَّ التَّأمُّل ، ولْيَشْغَلْ به كُلَّ أفكارهِ ، فإنْ فَهِمَهُ وعَقلَهُ واستمرَّ إعْراضهُ :

فما تبلُغُ الأعداءُ مِن جاهلٍ ما يبلُغُ الجاهلُ مِن نَفْسهِ

وإنْ لَم يَفْهَمْهُ لِغِلَظِ حجابهِ ، وكثافَةِ طَبْعهِ ، فيكفيهِ الإيمانُ بما أعدَّ اللَّهُ تعالى في الجنَّةِ لأَهْلِها مِنْ نَعيمِ الأكلِ والشُّربِ والنِّكاحِ والمناظرِ المُبْهِجَةِ ، وما أعدَّ في النَّارِ لأَهلها منَ السَّلاسلِ والأغلالِ والحميمِ ومُقطَّعاتِ الثِّيابِ منَ النَّارِ ونحو ذلكَ .

والمَقصودُ بيانُ أنَّ الحاجَةَ إلى الرُّسلِ - صلواتُ اللَّهِ عليهم وسلامُهُ - ضروريَّةٌ ، بل هي في أعلى مراتبِ الضَّرورَةِ ، وليسَت نَظَرًا لحاجتهم إلى الحاجَةِ وأسبابها ، بل هي أعظمُ من ذلكَ .

وأمَّا ما ذُكِرَ عن الصَّابئةِ منَ الاستغناءِ عن النُّبوَّةِ ، فهذا ليسَ مَذهبًا لجميعِهم ، بل فيهم سعيدٌ وشقيٌّ ، كما قال تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ آمَنوا والَّذينَ هادوا والنَّصارى والصَّابئِينَ مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعَمِلَ صالحًا فَلَهُم أجرُهُم عندَ ربِّهم ولا خَوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنون** ﴾ [البقرة : ٦٢]، فأدخَلَ المُؤمنينَ منَ الصَّابئينَ في أهلِ السَّعادَةِ ، ولم ينالوا ذلكَ إلّا بالإيمانِ بالرُّسلِ ، ولكنْ منهم مَن أنكرَ النُّبوَّاتِ وعبدَ الكواكبَ ، وهم فرقٌ كثيرَةٌ ليسَ هذا موضعَ ذكرِهم .

فأمَّا قولهم : إنَّ الموجوداتِ في العالمِ السُّفليِّ مُركَّبَةٌ على تأثيرِ الكواكبِ والرَّوحانيَّاتِ ! وفي اتِّصالها سُعودٌ ونُحوسٌ يُوْجِبُ أنْ يكونَ في آثارها حُسْنٌ

وقُبْحٌ في الأخلاقِ والأعمالِ يُدرِكهُ كلُّ ذي عَقلٍ سليمٍ ، فلا حاجَةَ لنا إلى مَن يُعَرِّفُنا حُسْنَها وقُبْحَها .. إلى آخرِ كلامهم !

فكلامُ مَن هو أجهلُ النَّاسِ وأضلُّهم وأبعدُهم عن الإنسانيَّةِ ، وقائلُ هذه المقالَةِ مُنادٍ على نَفسهِ أَنَّهُ لم يعرفْ فاطِرَهُ فاطرَ السَّمٰواتِ والأرضِ ، ولا صفاتهِ ولا أفعالَه ، بل ولا عَرَفَ نفسَهُ التي بينَ جنبيهِ ، ولا ما يُسْعِدُها ويُشْقيها ، ولا غايتَها ، ولا لماذا خُلِقَت ؟ ولا بماذا تَكْمُلُ وتَصلحُ ؟ وبماذا تَفسُدُ وتَهْلَكُ ؟ بل هو أجهَلُ النَّاسِ بنفسهِ وبفاطِرها وبارئِها .

وهل يتمكَّنُ العَقلُ بعدَ مَعرفَةِ النَّفسِ ومعرفَةِ فاطرِها ومُبدعِها أنْ يَجْحَدَ النُّبُوَّةَ ، أو يُجَوِّزَ على اللَّهِ وعلى حكمتهِ أن يَتْرُكَ النَّوعَ البشريَّ - الذي هو خُلاصَةُ المَخلوقاتِ - سُدىً ويَدَعَهُم هَمَلًا مُعَطَّلًا ، ويخْلُقَهم عَبَثًا باطلًا ؟

ومَنْ جوَّزَ ذلكَ على اللَّهِ سبحانهُ فما قَدَرَهُ حقَّ قَدْرهِ ، بل ولا عَرَفَهُ ، ولا آمَنَ بهِ ؛ قال تعالى : ﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرهِ إذ قالوا ما أَنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ من شيءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١]، فأخبرَ تعالى أنَّ مَن جَحَدَ رسالاتهِ فما قَدَرَهُ حقَّ قَدْرِهِ ، ولا عَرَفَهُ ، ولا عَظَّمَهُ ، ولا نزَّههُ عمَّا لا يليقُ بهِ ، تعالى اللَّهُ عمَّا يقولُ الظَّالمونَ علوًّا كبيرًا .

ثمَّ يقالُ لهذه الطَّائفَةِ : بماذا عَرَفتُم أنَّ المَوجوداتِ بالعالَمِ السُّفليِّ كُلَّها مركَّبةٌ على تأثيرِ الكواكبِ والرَّوحانيَّاتِ ؟ وهل هذا إلّا كَذِبٌ بحْتٌ وبَهْتٌ ؟ فَهَبْ أنَّ بَعضَ الآثارِ المُشاهَدَةِ مُسَبَّبٌ عن تأثيرِ بَعضِ الكواكبِ والعُلْويَّاتِ كما يُشاهَدُ مِن تأثيرِ الشمسِ والقمرِ في الحيوانِ والنَّباتِ وغيرِهما ، فَمِنْ أينَ لكُم أنَّ جميعَ أجزاءِ العالَمِ السُّفليِّ صادرٌ عن تأثيرِ الكواكبِ والرَّوحانيَّاتِ ؟ وهل هذا

إلّا كَذِبٌ وجَهْلٌ ؟ فهذا العالَمُ فيهِ منَ التَّغيُّرِ والاستحالَةِ والكونِ والفسادِ ما لا يُمْكِنُ إضافتُهُ إلى كوكبٍ ، ولا يُتَصَوَّرُ وقوعُهُ إلّا بمشيئةِ فاعلٍ مُختارٍ قادرٍ مُؤثِّرٍ في الكواكبِ والرَّوحانيَّاتِ مُسَخِّرٍ لها بقُدرتهِ ، مُدبِّرٍ بها بمشيئتهِ ، كما تَشهَدُ عليها أحوالُها وهيآتُها وتَسخيرُها وانقيادُها أنَّها مُدَبَّرَةٌ مَربوبةٌ مُسخَّرَةٌ بأمرِ قادرٍ قاهرٍ ، يُصرِّفُها كيفَ يشاءُ ، ويُدبِّرُها كما يريدُ ، ليسَ لها منَ الأمرِ شيءٌ ، ولا يُمكنُ أن تَتصرَّفَ بأنفُسِها بِذَرَّةٍ ، فَضْلًا أن تُعْطيَ العالَمَ وُجودَهُ ، فلو أرادَت حركَةً غيرَ حركتِها ، أو مكانًا غيرَ مكانِها ، أو هيئةً أو حالًا غيرَ ما هي عليهِ لم تَجِدْ إلى ذلكَ سبيلًا ، فكيفَ تكونُ ربًّا لكلِّ ما تَحتَها مع كونها عاجزَةً مُصَرَّفَةً مَقهورَةً مُسخَّرَةً ، آثارُ الفَقْرِ مَسطورَةٌ في صفحاتِها ، وآياتُ العُبوديَّةِ والتَّسخيرِ باديَةٌ عليها ، فبأيِّ اعْتبارٍ نَظَرَ إليها العاقلُ رأى آثارَ الفَقْرِ ، وشواهدَ الحُدوثِ ، وأدلَّةِ التَّسخيرِ والتَّصريفِ فيها ، فهيَ خَلْقُ مَنْ ليسَ كمثلهِ شيءٌ ، وآياتُ مَنْ آياتُهُ عبيدٌ مُسخَّراتٌ بأمرهِ ، ﴿ ألا لهُ الخَلْقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وأمَّا قولهم : إنَّ في اتِّصالاتِ الكواكبِ نَظَرَ سُعودٍ ونُحوسٍ ! ممَّا أضْحَكوا به العُقلاءَ عليهم من جميعِ الأُمَمِ ، ونادَوْا بهِ على جَهْلِهم وضلالِهم ، وصاروا بهِ مركزًا لكُلِّ كذَّابٍ ، وكلِّ أفَّاكٍ ، وكلِّ زنديقٍ ، وكلِّ مُفْرطٍ في الجَهلِ بالنُّبوَّاتِ ، وما جاءَت بهِ الرُّسلُ بالحقائقِ العقليَّةِ والبراهينِ اليَقينيَّةِ .

وسنُريكَ طَرَفًا من جهالاتِهم وكذبِهم وتناقضِهم وبُطلانِ مقالاتِهم لِيعرفَ اللبيبُ نعمَةَ اللّهِ عليهِ في عَقلِهِ ودينهِ .

فَيُقالُ لهُم : المؤثِّرُ في هذه السُّعودِ والنُّحوسِ ، هل هو الكوكبُ وحدَهُ ،

والبُرْجُ وحدَهُ ، أو الكوكبُ بشرطِ حصولهِ في البُرجِ ؟

والكلُّ محالٌ ؛ أمَّا الأوَّلُ والثَّاني فإنَّهما يُوجبانِ دوامَ الأثرِ ؛ لكونِ المُؤثِّرِ دائمَ الثُّبوتِ ، والثَّالثُ أيضًا محالٌ ؛ لأنَّهُ لمّا اختَلَفَ أثرُ الكوكبِ بسببِ اختلافِ البُرْجينِ لَزِمَ أن تكونَ طبيعَةُ كُلِّ برجٍ مُخالفَةً بالماهيَّةِ لطبيعَةِ البُرجِ الثَّاني ، إذ لو لم يَكُن كذلكَ كانَت طبائعُ جميعِ البروجِ مُتساوِيَةً في تمامِ الماهيَّةِ ، فوجَبَ أنْ يكونَ أثرُ الكوكبِ في جميعِ البروجِ أثرًا واحدًا ؛ لأنَّ الأشياءَ المُتساويَةَ في تمامِ الماهيَّةِ يمتنعُ أن تَلْزَمَها لوازمُ مختلفَةٌ ، ولمّا كانَت آثارُ كُلِّ كوكبٍ واجبَةَ الاختلافِ بسببِ اختلافِ البروجِ لَزِمَ القَطْعُ بكونِ البُروجِ مُختلفَةً ، في الطَّبيعَةِ والماهيَّةِ ، وهذا يَقْتَضي كَوْنَ الفَلَكِ مُرَكَّبًا لا بَسِيطًا .

وَقَد قُلْتُم أنتُم وجميعُ الفلاسفَةِ : إنَّ الفَلَكَ بَسِيطٌ لا تَركيبَ فيهِ .

وَمِنَ العَجَبِ جوابُ بَعضِ الأحكاميِّين[1] عن هذا بأنَّ الكواكبَ حيواناتٌ ناطقَةٌ ، فاعلَةٌ بالقَصدِ والاختيارِ ، فلذلكَ تَصْدُرُ عنها الأفعالُ المُختلفَةُ ! وهذا مُكابرَةٌ مِن هؤلاءِ ظاهرَةٌ ؛ فإنَّ دلائلَ التَّسخيرِ والاضطرارِ عليها من لُزومها حَرَكَةً لا سبيلَ لها إلى الخروجِ عنها ، ولُزومِها مَوضعًا منَ الفَلَكِ لا تتمكَّنُ منَ الانتقالِ عنهُ ، واطِّرادِ سَيْرِها على وجهٍ مَخصوصٍ لا تُفارِقُهُ البتَّةَ أبيَنُ دليلٍ على أنَّها مُسَخَّرةٌ ، مَقهورَةٌ على حركاتها ، مُحَرَّكةٌ بتَحريكِ قاهرٍ لها ، لا مُتحرِّكَةٌ بإرادتها واختيارها ، كما قالَ تعالى : ﴿ والشمسَ والقَمَرَ والنُّجومَ مسخَّراتٍ بأمرهِ ألا لهُ الخَلْقُ والأمْرُ تبارَكَ اللهُ ربُّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

---

(١) هم المنسوبون إلى علمِ الأَحكام ، وهو علم « أُريدَ به الأَحوالُ الغيبيّةُ المُستنتجةُ من مقدّماتٍ معلومةٍ هي الكواكبُ مِن جهةِ حَرَكاتِها ومكانها وزَمانِها » .

كذا في « كشف الظنون » (١ / ٢٢) لحاجي خليفة .

ثمَّ يُقالُ : لا ينفعُكُم هذا الجوابُ شيئًا ! فإنَّ طبائعَ البُروجِ إنْ كانَت مُتساوِيَةً في تمامِ الماهيَّةِ كانَ اختصاصُ كُلِّ برجٍ بأَثَرِهِ الخاصِّ تَرجيحًا لأحدِ طَرَفَي المُمْكِنِ على الآخَرِ بلا مُرجِّحٍ ، وإنْ لم تكُن مُتساوِيَةً لَزِمَ تركيبُ الفَلَكِ !

وممَّا أضحَكتُم بهِ العُقلاءَ منكم أنَّكُم جعلتُموها أجسامًا ناطقَةً فاعلَةً بالاختيارِ ! ونَفَيتُم أن يكونَ فاطرُها ومُبدعُها حيًّا قيُّوماً فاعلًا بالاختيارِ ! وهذه الحوادثُ مُستندَةٌ إلى مشيئتهِ واختيارِهِ جاريَةٌ على وَفْقِ حِكمتهِ وعلمهِ ، مع كونِ هذه الكواكبِ عَبيدَهُ ، وخَلقٌ مُسخَّرٌ [1] بأمرِهِ ، ولا تَمْلِكُ لأنفُسِها ولا لِمَا تَحتَها ضُرًّا ولا نَفعًا ، ولا سَعْدًا ولا نَحْسًا ، كما قالهُ العُقلاءُ من بني آدمَ ، واتَّفَقَت عليهِ الرُّسُلُ وأتباعُهم .

فإن قيلَ : لا نُسلِّمُ أنَّ الفَلَكَ بسيطٌ ، بل هو مُركَّبٌ من هذه البُروجِ ، وطبيعَةُ كلِّ برجٍ مُخالفَةٌ لطبيعَةِ البُرجِ الآخَرِ ، بل طبيعَةُ كُلِّ دقيقَةٍ وثانيَةٍ مُخالفَةٌ لطبيعَةِ الدَّقيقَةِ الأُخرى والثَّانيَةِ الأُخرى ، ولا يتمُّ عِلْمُ الأحكامِ إلّا بهذا .

قيلَ : قولُكُم بأنَّهُ قَديمٌ أبديٌّ ، غيرُ قابلٍ للكونِ والفسادِ ، ولا يَقْبَلُ الانحلالَ ولا الخَرْقَ ولا الالتئامَ مع كون طبيعَةِ كلِّ جزءٍ منهُ - صغيرًا أو كبيرًا - مُخالِفَةً لطبيعَةِ الجُزءِ الآخَرِ - كما صرَّحَ بهِ أبو مَعْشَرٍ [2] - جمعٌ بينَ

(١) كذا « الأَصْل » و « المَطبوع » ، والجادّةُ : « خَلْقًا مُسَخّرًا » .

(٢) هو أَبو جعفر بن محمد بن عُمر البَلْخي ، توفي سنة (٢٧٢ هـ) .

قال الذهبيُّ في « تاريخ الإِسلامِ » (٢٠ / ٣٢٥) مُتكلِّمًا عنه :

« كانَ إِليه المُنتهى في فنِّ التنجيم ، وكانَ له حَظْوَةٌ في هذا الهَذَيانِ الملعونِ بالعراق ، وله إِصاباتٌ كثيرةٌ كإِصاباتِ الكهّانِ ! » .

النَّقيضينِ ؛ فإنَّهُ إذا كانَ مُرَكَّبًا من أجزاءٍ مُختلفَةِ الماهيَّةِ لم يمتنعْ انحلالُهُ وانفطارُهُ وانشقاقُهُ ، فكيفَ جمعتُم بينَ تكذيبِ الرُّسلِ في الإخْبارِ عن انقطاعِهِ وانشقاقِهِ وانحلالِهِ ، وبينَ دعواكُم تَرَكُّبَهُ من ماهيَّاتٍ مُختلفَةٍ في أنْفسها غير مُمتنعٍ على المركَّبِ منها الانحلالُ والانفطارُ ، **فلا للرُّسلِ صدَّقتُم** ، **ولا مع وُجوبِ العَقلِ وقَفتُم** ، **بل أنتُم من أهلِ هذه الآيَةِ** : ﴿ وقالوا لَو كُنَّا نَسمَعُ أو نَعقِلُ ما كُنَّا في أصحابِ السَّعير ﴾ [المُلْك : ١٠] .

فإنْ قيلَ : لِمَ لا يجوزُ أن يُقالَ : إنَّ كلَّ بُرجٍ منَ البُروجِ الاثني عَشرَ قَد ارتَسَمَتْ فيهِ كواكبُ صَغيرَةٌ بلغَتْ في الصِّغَرِ إلى حيثُ لا يُمكننا أنْ نُحِسَّ بها ! ثمَّ إنَّ الكوكبَ إذا وَقعَ في مُسامَتةِ [1] بُرجٍ خاصٍّ امتزَجَ نورُ ذلكَ الكوكبِ بأنوارِ تلكَ الكواكبِ الصِّغارِ المُرْتَسِمَةِ في تلكَ القِطعَةِ في الفَلَكِ ، فيحصُلُ بهذا السَّببِ آثارٌ مَخْصوصَةٌ ، وإذا كانَ هذا مُحْتَمَلًا - ولم يَبْطُلْ بالدَّليلِ ثبوتُهُ - تعيَّنَ المَصيرُ إليهِ .

قيلَ : طبائعُ تلكَ الكواكبِ إنْ كانَت مُختلفَةً بالماهيَّةِ عادَ المَحذورُ المَذكورُ ، وإن كانَت واحدَةً لم يكُن ذلكَ الامتزاجُ مُتشابهًا ، فلا يُتصوَّرُ صدورُ الآثارِ المُتضادَّةِ المُختلفَةِ عنهُ .

الوجهُ الثَّاني في الكلامِ على بُطلانِ علمِ الأحكامِ [2] : أنَّ معرفَةَ جميعِ المُؤثِّراتِ الفلكيَّةِ مُمتنعَةٌ ، وإذا كانَ كذلكَ امتنعَ الاستدلالُ بالأحوالِ الفَلَكيَّةِ على حُدوثِ الحوادثِ السُّفليَّةِ .

---

(١) أَي : مساواة ، أو مقابلة ، وانظر « المعجم الوجيز » (ص ٣٢٠) .

(٢) أَي : أَحكام النجوم .

وإنَّما قُلنا : إنَّ معرفَةَ جميعِ المُؤثِّراتِ الفَلَكيَّةِ ممتنعَةٌ ، لوجوهٍ :

أحدُها : أنَّهُ لا سبيلَ إلى مَعرفَةِ الكواكبِ إلّا بواسطَةِ القُوى الباصرَةِ ، والمَرئيُّ إذا كانَ صغيرًا أو في غايَةِ البُعد منَ الرَّائي فإنَّهُ يتعذَّرُ رُؤْيتُهُ لذلكَ ؛ فإنَّ أصغَرَ الكواكبِ التي في فَلَكِ الثَّوابتِ - وهو الذي تُمْتَحَنُ بهِ قُوَّةُ البَصَرِ - مثلُ كُرَةِ الأرضِ بضعَةَ عَشرَ مرَّةً ، وكُرَةُ الأرضِ أعظمُ من كُرَةِ عُطاردَ كذا مرَّةٍ ، فلو قدَّرْنا أنَّهُ حَصَلَ في الفَلَكِ الأعظمِ كواكبُ كثيرةٌ يكونُ حَجْمُ كلِّ واحدٍ منها مُساويًا لحجمِ عُطاردَ ؛ فإنَّهُ لا شكَّ أنَّ البَصَرَ لا يَقوىٰ على إدْراكهِ ، فَثَبَتَ أنَّهُ لا يلزمُ مِنْ عَدَمِ إبْصارنا شيئًا منَ الكواكبِ في الفَلَكِ الأعظمِ عَدَمُ تلكَ الكواكبِ ، وإذا كانَ كذلكَ فاحْتِمالُ أنَّ في الفَلَكِ الأعظمِ وفي فَلَكِ الثَّوابتِ وفي سائرِ الأَفْلاكِ كواكبَ صغيرَةً - وإنْ كنَّا لا نحسُّ بها ولا نَراها - مُوجِبَ امتناعِ مَعرفةِ جميعِ المؤثِّراتِ الفَلَكيَّةِ .

فإنْ قلتُم : إنَّها لمَّا كانَت صَغيرَةً وآثارُها ضَعيفَةً لم تَصِلْ آثارُها وقواها إلى هذا العالم ؟!

قيلَ لكُم : صِغَرُ الجُثَّةِ [1] لا يُوجبُ ضَعفَ الأثرِ ؛ فإنَّ عُطاردَ أصغَرُ الأَجْرامِ الفَلَكيَّةِ جِرْمًا عندكُم ، مع أنَّ آثارَهُ قويَّةٌ ! وأيضًا فالرَّأْسُ والذَّنَبُ [2] نُقطتانِ وهْميّتانِ ، وأمَّا أنتُم فَقَد أثبتُّم لهما آثارًا ! وأيضًا السِّهامُ - مثلُ سهم السَّعادَةِ وسهم الغيبِ [3] - نُقَطٌ وَهْميَّةٌ ولها عندكُم آثارٌ قويَّةٌ !!

---

(١) هو الجِسْم .

(٢) أَي : بالنسبةِ للأَفلاك .

(٣) هي من مُفْردات المُنجِّمين واصطلاحاتهم !

الوجهُ الثَّاني : ممَّا يدُلُّ على أنَّ معرفَةَ جميعِ المُؤثِّراتِ الفَلَكيَّةِ غيرُ مَعلومٍ أنَّ الكواكبَ المَرْئيَّةَ غيرُ مَرْصودَةٍ بأسْرِها ، فإنَّكُم أنتُم وغيرُكُم قد قُلْتُم : إنَّ المَجَرَّةَ عبارَةٌ عن أجرامٍ كَوْكَبيَّةٍ صَغيرَةٍ جدًّا مُرتكزَةٍ في فَلَكِ الثَّوابتِ على هذا السَّمْتِ المَخصوصِ ، ولا ريبَ أنَّ الوُقوفَ التَّامَّ على طبائعِها مُتعذِّرٌ .

وثالثها : أَنَّ جميعَ الكواكبِ الثابتةِ المحسوسةِ لم يحصُل الوقوفُ التامُّ على طبائِعِها ، لأنَّ كلامَ الأحْكاميينَ قليلُ الحاصلِ ، لا سيَّما في طبائعِ الثَّوابتِ ، نعم ؛ غايَةُ ما عندهم أنَّهُم ادَّعَوْا أنَّهم كَشَفُوا بَعضَ الثَّوابتِ التي في الفَلَكِ الأوَّلِ والثَّاني ، فأمَّا البقيَّةُ فقلَّما تكلَّموا في مَعرفَةِ طبائعها .

ورابعها : أنَّ بتقديرِ أنَّهم عَرَفوا طبائعَ هذه الكواكبِ حالَ بساطَتِها ، لكنْ لا شُبهَةَ أنَّهُ لا يُمْكِنُ الوقوفُ على طبائعها حالَ امْتزاجِ بَعضِها بالبَعضِ ، لأنَّ الامتزاجاتِ الحاصلَةَ من طبائعِ أَلْفِ كوكبٍ - أو أكثرَ - بحسبِ الأجزاءِ الفلكيَّةِ يبلُغُ في الكثرَةِ إلى حيثُ لا يَقْدِرُ العقلُ على ضَبْطِها .

وخامسها : آلاتُ الرَّصْدِ لا تَفي بضَبطِ الثَّواني والثَّوالث ، ولاشكَّ أنَّ الثَّانيَةَ الواحدَةَ مثلُ الأرضِ كذا وكذا ألف مَرَّةٍ ، أو أقلَّ ، أو أكثَرَ ، ومع هذا التَّفاوتِ العظيمِ كيفَ يُمْكنُ الوصولُ إلى الغَرَضِ ، حيثُ قيل : إنَّ الإنسانَ الشديدَ الجَرْيِ بينَ رَفْعهِ رِجْلَهُ وَوضْعِهِ الأُخرى يتحرَّكُ جِرْمُ الفَلَكِ الأقصى ثلاثَةَ آلافِ ميلٍ ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فكيفَ ضبطُ هذه المؤثِّرات ؟!

وسادسها : هَبْ أنَّا عَرَفْنا تلكَ الامتزاجاتِ الحاصلَةَ في ذلكَ الوَقتِ فلا ريبَ أنَّهُ لا يمكننا معرفَةُ الامتزاجات التي كانَت حاصلَةً قبلَهُ ، مع أنَّا نعلمُ قَطعًا أنَّ الأشكالَ السَّالفَةَ ربَّما كانَت عائقَةً ومانعَةً عن مُقتضياتِ الأَشْكالِ الحاصلَةِ

في الحالِ .

ولا ريبَ أنَّا نُشاهِدُ أشخاصًا كثيرَةً منَ النَّباتِ والحيوانِ والإنسانِ تَحْدُثُ مُقارِنَةً لطالعٍ واحدٍ ، مع أنَّ كلَّ واحدٍ منها مُخالفٌ للآخَرِ في أكثرِ الأمورِ ، وذلكَ أنَّ الأَحوالَ السَّالفَةَ في حَقِّ كلٍّ واحدٍ تكونُ مُخالِفَةً للأحوالِ السَّالفَةِ في حقِّ الآخَرِ ، وذلكَ يدُلُّ أنَّهُ لا اعتمادَ على مُقتَضى الوَقْتِ ، بل لا بدَّ منَ الإحاطَةِ بالطَّوالع السَّالفَةِ ، وذلكَ ممَّا لا وقوفَ عليهِ أصلًا ؛ فإنَّهُ ربَّما كانَت الطَّوالعُ السَّالفَةُ دافعَةً مُقتضياتِ هذا الطَّالِعِ الحاضرِ .

وعلى هذا الوَجهِ عوَّلَ ابنُ سينا في كتابيهِ اللذين سمَّاهما « الشفا » [١] و« النَّجاة » [٢] في إبطالِ هذا العلم .

فثبتَ بهذا أنَّ الوُقوفَ التَّامَّ على المُؤثِّراتِ جميعِها ممتنعٌ مُستحيلٌ ، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ كانَ الاستدلالُ بالأشخاصِ الفَلكيَّةِ على الأحوالِ السُّفليَّةِ باطلًا قطعًا .

الوجه الثَّالث : أنَّ تأثيرَ الكواكبِ فيما ذكرتُم منَ السَّعْدِ والنَّحسِ إمَّا بالنَّظرِ في مُفْرَدِهِ ، وإمَّا بالنَّظرِ إلى انْضِمامِهِ إلى غيرِهِ ، فمتى لم يُحِطْ المُنجِّمُ بهاتين الحالتين لم يَصِحَّ منهُ أنْ يَحْكُمَ لهُ بتأثيرٍ ، ولم يَحْصُلْ إلَّا على تعارُضِ التَّقديرِ .

ومنَ المَعلومِ أنَّ في فَلَكِ البُروجِ كواكبَ شذَّتْ عن الرَّصْدِ معرفَةُ أقدارِها وأعدادِها ، ولم يعرفِ الأحكاميُّون ما يُوجِبُهُ خَواصُّ مجموعاتِها وأفرادِها ،

---

(١) مطبوعٌ مشهورٌ .

(٢) هو مُختصرُ السابق ، ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢ / ١٩٢٩) .

فخَرَجَ الفريقان أصحابُ الرَّصدِ والأَحكامِ عن الإحاطَةِ بما في طِباعِها ، وما عَسى أن تُؤثِّرهُ معَ السيَّارَةِ [١] عندَ انفرادِها واجتماعِها .

فما الذي يُؤمِّنكُم كلَّكم عندَ وقوعِ نَجْمٍ من تلك النُّجومِ المَجهولَةِ على دَرَجَةِ الطَّالعِ أن يكونَ مُوجِبًا منَ الحُكمِ ما لا يُوجِبهُ النَّظرُ بدونهِ ؟!

الوجه الرَّابع : أنَّ تأثيرَ الكواكبِ يختلفُ باختلافِ أقْدارِها ، فما كانَ منَ القَدْرِ الأوَّلِ أثَّرَ بوقوعهِ على الدَّرجَةِ ، وإنْ لَم تُضْبَطِ الدَّقيقَةُ ، وما كانَ منَ القَدْرِ الأخيرِ لم يُؤثِّر إلّا بضَبطِ الدَّقيقَةِ .

ولا ريبَ أنَّ الجهالَةَ بتلكَ الكواكبِ ومقاديرها يُوْجِبُ كَذِبَ الأحكامِ النُّجوميَّةِ وبُطلانَها .

الوجه الخامس : أنَّها لو كانَ لها تأثيرٌ - كما يَزْعمونَ - لم يخْلُ إمَّا أن تكونَ فيهِ مُختارَةً مُريدَةً ، أو غيرَ مُختارَةٍ ولا مُريدَةٍ ، وكلاهما مُحالٌ !

أمَّا الأوَّلُ : فلأنَّهُ يُوْجِبُ جَريَ الأحكامِ على وَفْقِ اختيارها وإرادَتِها ، ولم يتوقَّف على اتِّصالاتها وانفصالاتِها ، ومُفارقتها ومُقارنتها ، وهبوطها بها في حَضيضها وارتفاعها في أَوْجِها ، كما هو المَعروفُ منَ الفاعلِ بالاختيارِ - ولا سيَّما الأجرامُ العلويَّةُ المُؤثِّرَةُ في سائرِ السُّفْلِيَّات - ولاخْتَلَفَتْ آثارُها أيضًا عندَ هذه الأمور بحَسَبِ الدَّواعي والإراداتِ ، ولأَمْكَنها أن تُسعِدَ مَن أرادَ أنَّهُ يُنْحِسُهُ ! وتَنْحسَ مَن أرادَ أنَّهُ يُسْعِدهُ ! كما هو شأنُ الفاعلِ المُختارِ .

وإن لَم تكُن مُختارَةً ومُريدَةً فتأثيرُها بحَسَبِ الذَّاتِ والطَّبْعِ ، وما كانَ هكذا لم يختلفْ أثرُهُ إلّا باختلافِ القوابلِ والمُعَدَّاتِ ، وعندكم أنَّ اختلافَ

---

(١) أي : الكواكب والنجوم السيّارة .

تلكَ القوابلِ والمُعَدَّاتِ مستندٌ إلى تأثيرها !

فأيُّ مُحالٍ أبلغُ مَن هذا ؟ وهل هذا إلّا دَوْرٌ [١] مُمتنعٌ في بدائهِ العقولِ ؟

الوجهِ السَّادس : أنَّ هذا العلمَ مُشتمِلٌ على أُصولٍ يشهدُ صريحُ العَقلِ بفسادِها ، وهي وإنْ كانَت في الكَثرَةِ إلى حيثُ لا يُمْكِنُ ذِكْرُها ، فنَحنُ نَعُدُّ بَعْضَها :

فالأوَّل : منَ المَعلومِ بالضَّرورَةِ أنَّهُ ليسَ في السَّماءِ حَمَلٌ ولا ثَورٌ ولا حَيَّةٌ ولا عَقربٌ ولا دُبٌّ ولا كلبٌ ولا ثَعلبٌ [٢] ، إلّا أنَّ المتقدِّمينَ لمّا قسَّموا الفَلَكَ إلى اثْنَي عَشرَ قِسْمًا وأرادوا أن يُميِّزوا كُلَّ قِسْمٍ منها بعلامَةٍ مخصوصَةٍ : شبَّهوا الكواكبَ المَذكورَةَ في تلكَ القطعَةِ المُعيَّنَةِ بصُورَةِ حيوانٍ مَخْصُوصٍ ، تَشبيهًا بَعيدًا جدًّا !

ثمَّ إنَّ هؤلاءِ الأحكاميِّين فرَّعوا على هذه الأسماءِ تَفريعاتٍ طويلَةً ؛ فرَّعوا أنَّ الصُّوَرَ السُّفليَّةَ مُطيعَةٌ للصُّوَرِ العُلويَّةِ ، فالعقاربُ مُطيعَةٌ لصوَرِ العَقربِ ! والأفاعي مُطيعَةٌ لصوَرِ التنِّينِ ! وكذا القولُ في الأَسَدِ والسُّنْبُلةِ !

ومَن عَرَفَ كيفَ وُضِعَت هذه الأسماءُ ثمَّ سمعَ قولَ هؤلاءِ الأحكاميِّين ضحكَ منهم ، وتبيَّنَ لهُ فَرْطُ جَهلِهم وكَذِبِهم .

الثَّاني : أنَّ هؤلاءِ لمَّا عَجَزُوا عن مَعرفَةِ طالعِ القِرانِ أقاموا طالعَ سُنَّةِ

---

(١) هو ترتيبُ شيءٍ على شيءٍ ، بحيث لا يكونُ هذا إلّا إذا كانَ هذا .

(٢) إشارةٌ إلى ترتيباتِ الكواكب والنجوم الّتي يُسمِّيها الفَلَكيُّون أَبراجًا ، كما سيُوضِّحُه المصنِّفُ بعد .

القِرانِ [١] مقامَ القِرانِ ، ومعلومٌ أنَّ هذا في غايةِ الفسادِ .

الثَّالث : أنَّهم اختَلَفوا اختلافًا شديدًا في الواحدَةِ من مسائلِ هذا العلمِ ، فإنَّ أقوالَهم في حُدودِ الكواكبِ كثيرَةٌ مُختلفَةٌ ، وليسَ مع أحدٍ منهم شُبهَةٌ ولا خيالٌ ، فَضلًا عن حُجَّةٍ واستدلالٍ .

ثمَّ إنَّ كثيرًا منهم من غيرِ حُجَّةٍ ولا دليلٍ ، ربَّما أَخَذُوا واحدًا من تلكَ الأقوالِ من غيرِ بصيرَةٍ ، بل بمُجرَّدِ التَّشهّي ، مثلَ أخْذِهم في ذلكَ بحُدودِ الضَّرْبَيْنِ [٢] وذلكَ من أدلِّ الدَّلائلِ على فسادِ هذا العلمِ .

الرَّابع : أنَّ أقوالهم متناقضةٌ فإنَّ منهم مَن يقولُ : كونُ زُحَلَ في بيتِ المالِ دليلُ الفَقرِ ، ومنهم مَن يقول : يدلُّ على وِجْدانِ كَنزٍ !

الخامس : أنَّ هذا العلمَ مع أنَّهُ تَقليدٌ مَحْضٌ ، فليسَ أيضًا تَقليدًا مُنْتَظَمًا ؛ لأنَّ لكلِّ قومٍ فيهِ مَذهبًا ، ولكلِّ طائفَةٍ فيهِ مقالَةً ، فلِلبابِليِّينَ فيهِ مَذهبٌ ، وللفُرْسِ مَذهَبٌ آخرُ ، وللهندِ مَذهبٌ ، وللصِّينِ مَذهبٌ رابعٌ .

والأقوالُ إذا تَعارَضَتْ وتعذَّرَ التَّرجيحُ كانَ دليلًا على فسادِها وبُطلانِها .

وسيأتي إنْ شاءَ اللَّهُ بَسْطُ هذه الوُجوهِ أكثرَ من هذا .

---

(١) لعلّه يُريدُ تأثيرَ مُقارنةِ النجومِ بعضها لبعض ، وعند فَقْدِهم ذلك وَضَعُوا طريقًا مُتَخَيَّلًا في أذهانِهم لهذه المقارنةِ ، والله أعلم .

(تنبيه) : وَقَعَ في النُّسخ المطبوعةِ : « القرآن » ، وما في « الأَصل » مضبوطٌ بالشكل « القِران » ، وهو الصوابُ .

(٢) الضَّرْب هو إيقاعُ شيءٍ على شيءٍ ؛ كما في « التوقيف على مُهمّاتِ التعاريف » (ص ٤٧١) للمُناويِّ .

ولعلّه يُشيرُ إلى مقارنةِ الكواكبِ ومُوافقتها ، الّتي تقومُ عند الفَلَكيين على توهُّم العلمِ والمعرفة . واللهُ أعلم .

وانظر « الكُلِّيّات » (ص ١٣٧) لأَبي البقاء الكَفَويّ .

الوجه السَّابع : ممَّا يَدُلُّ على بُطلانِ القولِ بالأحكامِ أنَّ الطَّالعَ عندهم هو الشَّكْلُ المَخصوصُ الحاصلُ للفَلَكِ عندَ انْفِصَالِ الوَلَدِ من رَحِمِ أُمِّهِ !

وإذا ثبتَ هذا فنقول : الاستدلالُ بحُصولِ ذلكَ الشَّكْل على جميعِ الأحوالِ الكُلِّيَّةِ التي تحْصُلُ لهذا الوَلدِ إلى آخرِ عُمُرِهِ استدلالٌ باطلٌ قطعًا ، ويدُلُّ عليهِ وجوهٌ :

أحدها : أنَّ ذلكَ الشَّكْلَ كما حدثَ في تلكَ اللحظَةِ فإنَّهُ يَفْنى ويزولُ ، ويَحْدُثُ شكلٌ آخرُ ، فذلكَ الشكلُ المُعيَّنُ مُعَدٌّ في جميعِ أجزاءِ عُمْرِ هذا الإنسانِ ، والمعدومُ لا يكونُ عِلَّةً للموجودِ ، ولا جُزءً من أجزاءِ العلَّةِ .

وإذا كانَ كذلكَ امتنعَ الاستدلالُ بذلكَ الشكلِ منهما على الأحوالِ التي تَحْدُث في جميعِ أجزاءِ العُمر .

الثَّاني : أنَّهُ لا مُشابَهَةَ بينَ ذلكَ الشكلِ المَخصوصِ ، وبينَ هذا الإنسانِ الذي انْفَصَلَ من بَطْنِ الأمِّ إلّا في أمرٍ واحدٍ ، وهو أنَّ كُلَّ واحدٍ ظهرَ بعدَ الخَفَاءِ ، وهو بمُجرَّدِ ذلكَ لا يُوجِبُ ارتباطَ ذلكَ الشكلِ المَخصوصِ للفَلَكِ بسائرِ أحوالِ هذا الإنسان البتَّةَ ، فَمُدَّعي ذلكَ فاسدُ العَقلِ .

والنَّظرُ الثَّالث : أنَّهُ عندَ حُدوثِ ذلكَ الطَّالعِ حَدَثَتْ أنواعٌ منَ الحيواناتِ ، وأنواعٌ منَ النَّباتِ ، وأنواعٌ منَ الجماداتِ ، فلو كانَ ذلكَ الطَّالعُ يُوْجِبُ آثارًا مخصوصَةً لَوَجَبَ اشتراكُ كُلِّ الأشياءِ التي حَدَثَت في عالَمِنا هذا في ذلكَ الوَقت في تلكَ الآثارِ ، وحيثُ لم يكُن الأمرُ كذلكَ عَلِمْنا أنَّ القولَ بتأثيرِ الطَّالعِ باطلٌ .

الرَّابع : هَب أنَّ الطَّالعَ لهُ أثرٌ إلّا أنَّ الواجبَ أَنْ يقالَ : الطَّالعُ المُعتبَرُ هو

طالعُ مَسْقَطِ النُّطفَةِ ، لا طالعُ الولادَةِ ، وذلكَ لأنَّ عندَ مَسْقَطِ النُّطفَةِ يأخذُ ذلكَ الشخصُ في التكوُّنِ والتَّولُّدِ ، فأمَّا عندَ الولادَةِ فالشخصُ قد تمَّ تكوُّنهُ وحدوثهُ ، ولا حادثَ في هذا الوَقتِ إلّا انتقالُهُ من مكانٍ إلى مكانٍ آخر .

فثبتَ أنَّهُ لو كانَ للطَّالعِ اعتبارٌ لَوَجَبَ أنْ يكونَ المُعْتَبَرُ هو طالعُ مَسْقَطِ النُّطفَةِ لا طالعُ الولادَةِ .

الوجهُ الثَّامنُ : أنَّ الأرصادَ لا تَنْفَكُّ عن نوعِ الخَلَلِ والزَّلِلِ ، وقَد صنَّفَ أبو عليّ ابنُ الهيثم [(١)] رسالَةً بليغَةً في أقسامِ الخَلَلِ الواقعِ في آلاتِ الرَّصْدِ ، وبيَّنَ أنَّ ذلكَ الخَلَلَ ليسَ في وُسْعِ الإنسانِ دَفْعُهُ وإزالتُهُ .

وإذا عُرِفَ هذا فنقولُ : إذا بَعُدَ العَهدُ بتَجديدِ الرَّصْدِ اجتمعَتْ تلكَ المُسامحاتُ القليلةُ ، ويَحْصُلُ بسببها تفاوُتٌ عظيمٌ في مواضعِ الكواكبِ ، وكذلكَ إذا وجدَ موضعُ الكواكبِ - بحسبِ بَعضِ الزِّيجاتِ [(٢)] - درجَةً معيَّنَةً حينَ وجدَ بحسبِ زيجٍ آخَرَ غير تلكَ الدَّرجةِ ، ربَّما حصلَ التَّفاوُتُ بالبُرجِ ! ولما كانَ عِلْمُ الأحكامِ مَبْنيًّا على مواضعِ الكواكبِ ومُناسباتِها - ثمَّ قَد تبيَّنَ أنَّ التَّفاوُتَ الكبيرَ وقعَ في قطْعِ الكواكبِ - عُلمَ بُطلانُ هذا العلمِ وفسادُهُ .

الوجه التَّاسع : أنَّ المَعقولَ من تأثيرِ هذه الكواكبِ في العالَم السُّفلي هو أنَّها بحَسَبِ مَساقطِ شُعاعاتِها تُسَخّنُ هذا العالَمَ أنواعًا مَنَ السُّخونَةِ ، فأمَّا

---

(١) هو محمد بن الحَسَن بن الهيثم ، توفّي نحو سنة (٤٣٠ هـ) ترجمته في « طبقات الأَطبّاء » (٢ / ٩٠ - ٩٨) لابن أَبي أُصَيْبِعة .

(٢) مُفردها (زِيج) ، وهي كلُّ كتابٍ يتضمَّنُ جداولَ فلكيّةً يُعْرَفُ منها سيرُ النجومِ ، ويُستخرجُ بواسطتِها التقويمُ سنةً سنةً . « المعجم الوجيز » (ص ٢٩٧) .

تأثيراتُها في حُصولِ الأحوالِ النَّفسانيَّة منَ الذَّكاءِ والبلادَةِ والسَّعادَةِ والشقاوَةِ وحُسنِ الخُلُقِ وقُبْحهِ والغِنى والفَقر والهمِّ والسُّرور واللذَّةِ والألمِ ، فلو كانَ مَعلومًا لكانَ طريقُ علمهِ إمَّا بالخَبَرِ الذي لا يجوزُ عليهِ الكذبُ ، أو الحسُّ الذي يشتركُ فيهِ النَّاسُ ، أو ضرورَةِ العَقلِ أو نَظرهِ ، وشيءٌ من هذا كلِّهِ غيرُ موجودٍ البتَّةَ ، فالقولُ بهِ باطلٌ !

ولا يُمكنُ للأحكاميِّينَ أن يدَّعوا واحدًا منَ الثَّلاثَةِ الأُوَل ، وغايتُهم أنْ يدَّعوا أنَّ النَّظَرَ والتَّجربَةَ قادَهم إلى ذلكَ ، وأوقعهم عليهِ !

ونحنُ نبيِّنُ فسادَ هذا النَّظرِ والتَّجربَةِ بما لا يُمْكنُ دفْعُهُ منَ الوجوهِ التي ذَكَرْناها ، ونذكرُ غيرَها ممَّا هو مثلُها وأقوى منها ، **وكلُّ علمٍ صحيحٍ فلهُ براهينُ يستندُ إليها تَنتهي إلى الحسِّ أو ضَرورَةِ العَقلِ** ، وأمَّا هذا العلمُ فلا ينتهي إلَّا إلى حَدْسٍ وتَخمينٍ وظُنونٍ لا تُغْني منَ الحقِّ شيئًا ، وغايَةُ أهلهِ تَقليدُ من لم يَقُمْ دليلٌ على صدقهِ !!

الوجه العاشر : أنَّا إذا فَرَضْنا أنَّ رجلينِ سَأَلا مُنجِّمين في وقتٍ واحدٍ في بلدٍ واحدٍ عن خَصْمينِ ، أيُّهما الظَّافرُ بصاحبهِ ؟ فها هُنا يكونُ الطَّالعُ مُشْتَرَكًا بينَ كلِّ واحدٍ من ذَيْنِكَ الخَصمينِ ، فإنْ دلَّ ذلكَ الطَّالعُ على حالِ الغالبِ والمَغلوبِ - مع كونهِ مُشتركًا بينَ الخَصمينِ - لَزِمَ كَوْنُ كُلِّ منهما غالبًا لخصمهِ ومغلوبًا من جانبهِ ! وذلكَ محالٌ .

فإنْ قالوا : بينَ حالِ كُلِّ واحدٍ منهما اختلافٌ بسببِ طالعِ الأصلِ أو طالعِ التَّحويل أو بُرجِ الانتهاء (١) !!

(١) اصطلاحات فلكيّة تَنجيميَّةٌ لا وَزْنَ لها !

قلنا : هذا تَسليمٌ لقولِ مَن يقولُ : إنَّ طالعَ الوَقتِ لا يَدُلُّ على شيءٍ أصلًا ، بل لا بدَّ من رعايَةِ الأحوالِ الماضيَةِ ، لكنَّ الأحوالَ الماضيَةَ كثيرةٌ غيرُ مَضبوطَة ، فتوقُّفُ دلالَةِ طالعِ الوَقتِ على تلكَ الأحوالِ الماضيَةِ يَقْتَضي التَّوقُّفَ عل شرائطَ لا يُمْكِنُ اعتبارُها البتَّةَ !

وقَد ساعَدَ أصحابَ الأحكامِ على الاعترافِ بأنَّ الاعتمادَ على طالعِ الوَقتِ غيرُ مفيدٍ ، بل لا يتمُّ الأمرُ إلّا عندَ معرفَةِ طالعِ الأصلِ ، فطالعِ التَّحويلِ ، وبرجِ الانتهاءِ ، ومعرفَةِ التَّسييراتِ ، فعندَ اعتبارِ جُملَةِ هذه الأُمورِ يتمُّ الاستدلالُ ، ومع اعتبارِ جُملتِها وتَحريرِها - بحيثُ يُؤْمَن الغَلَطُ فيها - يكونُ الاستدلالُ على سبيلِ الظَّنِّ لا على سبيلِ القَطعِ .

الوجه الحادي عشر : أنّا لو فَرَضْنا جادَّةً مَسلوكَةً وطريقًا يمشي فيهِ النَّاسُ ليلًا ونهارًا ثمَّ حَصَلَ في تلكَ الجادَّةِ آثارٌ مُتقاربةٌ بحيثُ لا يَقْدِرُ سالكُ ذلكَ الطَّريقِ على سُلوكِهِ إلّا بتأمُّلٍ كثيرٍ وتفكُّرٍ شديدٍ حتى يتخلَّصَ منَ الوقوعِ في تلكَ الآثارِ ، فإنَّ منَ المَعلومِ بالضَّرورَةِ أنَّ سلامَةَ مَن يَمْشي في هذه الطَّريقِ مِنَ العُميانِ لا يكونُ كسلامَةِ مَن يَمشي منَ البُصَراءِ ، بل ولابدَّ أنْ يكونَ عَطَبُ العميانِ في ذلكَ الطَّريقِ كثيرًا جدًّا ، وأن يكونَ سلامَةُ البُصَراءِ غاليَةً جدًّا .

إذا عَرفتَ هذا فنقولُ : مثالُ العميانِ عندَ الأَحْكاميين الذين لا يعرفونَ أحكامَ النُّجومِ ، وهم الأكثرونَ منَ الخلائقِ - ومثالُ البُصَراءِ عندهم هُم أهلُ هذا العملِ - وهم الأقلُّون - ومثالُ الطَّريقِ الذي حَصَلَتْ فيهِ الآثارُ العميقَةُ المُهلِكَةُ الزَّمانُ الذي يَمْضي على الخَلْقِ أجمعينَ ، ومثالُ تلكَ الآثارِ المصائبُ الزَّمانيَّةُ والمِحَنُ والبلايا ، فلو كانَ هذا العلمُ صحيحًا لوجَبَ أن يكونَ فوزُ

المُنجِّمينَ بالغنى والسَّلامَةِ والنِّعَمِ أتمَّ فَوْزٍ ، وسلامتُهم فوقَ كُلِّ سلامَةٍ ! ومعلومٌ أنَّ الأمرَ بالعَكسِ ، والغالبُ كونُ المنجِّمينَ ومَنْ سَمِعَ منهم وعَمِلَ بقولهم في الإدْبارِ والنَّحْسِ والحرمانِ ! والواقِعُ أبيَنُ شاهدٍ بذلكَ .

ولو ذَهَبْنا نَذكرُ الوقائعَ التي شُوهِدَت من ذلكَ ، واشتملتْ عليها التَّواريخُ لزادَت على أُلوفٍ عَديدَةٍ .

فلا نجدُ أحدًا راعى هذا العلمَ وتقيَّدَ به في حَرَكاتِهِ واختياراتِهِ إلّا وكانَت عاقبتُهُ قريبًا إلى إدْبارٍ ونكايَةٍ وبلايا لا يُصابُ بها سواهُ ، ومَن كَثُرَ خبرهُ بأحوالِ النَّاسِ فإنَّهُ يعرفُ مِن ذلكَ ما لا يعرفُ غيرُهُ .

الوجه الثَّاني عشر : أنَّا نُشاهِدُ عالَمًا كثيرًا يُقتَلونَ في ساعَةٍ واحدَةٍ في حَرْبٍ ، وخَلْقًا يَغْرَقُونَ في ساعَةٍ واحدَةٍ ، مع القَطْعِ باختلافِ طوالعِهم ، واقتضائها عندكم أحوالًا مُختلفَةً ، ولو كانَ للطَّوالعِ تأثيرٌ في هذا لامْتَنَعَ عندَ اختلافِها الاشتراكُ في ذلكَ .

ولا ينفعُكُم جوابُ مَن انتَصَرَ لكُم بأنَّ الطَّوالعَ قَد يكونُ بعضُها أقوى من بَعضٍ ! ولعلَّ طالعَ الوَقتِ أقوى من طالعِ الأصلِ ! وكانَ الحُكْمُ لهُ ؛ فإنَّ طالعَ الوَقتِ اقتَضى هلاكًا أو غَرَقًا عامًّا ، وهو أقوى مِن طالعِ الأصلِ ، فكانَ التَّأثيرُ لهُ .

لأنَّا نقولُ : هذا بعينهِ يُبْطِلُ عليكُم طالعَ المَولودِ والأصلِ ، ويحيلُ [1] القَولَ بتأثيرهِ واعتبارهِ جُملَةً ، فإنَّ الطَّوالعَ بعدَهُ مُختلفَةٌ كثيرةٌ ، وأصلُ بعضِها أو أكثرِها أقوى منهُ ، فيكونُ الحُكمُ بمُوجَبهِ باطلًا ، إذ لا أَمانَ لكُم مِن اقتضاءِ

(١) أي : يجعلُه مُستحيلًا .

الطَّوالعِ بعدَهُ ضدَّ ما اقتضاهُ ، وحينئذٍ فلا يُفيدُ اعتبارُهُ شيئًا .

الوجه الثَّالث عشر : أنَّا نَرى الجيشَيْنِ العَظيمَيْنِ والحزبَيْنِ المُتقابِلَيْنِ يقتتلانِ ويختصمانِ ، وقَد أُخِذَ طالعُ الوَقتِ لكُلٍّ منهما ، ومع هذا فالمنصورُ والغالبُ أحدُهما ، مع أنَّ الطَّالعَ واحدٌ !

ولا ينفعُكُم في هذا جوابُ مَن انتصَرَ لكُم بأنَّهُ لا مانعَ منَ القولِ بخطأِ الأخذِ للطَّالعِ في الحسابِ والحُكمِ ، فإنَّهُ لو أُخِذَ لهما أيُّ طالعٍ كانَ لم يكُن الغالبُ إلّا أحدَهما ، حتى لو كانَ الطَّالعُ - قَطْعًا - لا يُتصوَّرُ فيهِ الغَلَطُ لم يكُن بُدٌّ من كونِ أحدِهما غالبًا والآخَرِ مَغلوبًا ، وهذا يُبْطِلُ مَذهَبَ الأحكامِ بلا ريبَ .

الوجه الرَّابع عشر : أنَّ الأجزاءَ المُفْتَرَضَةَ في الفَلَكِ إمَّا أن تكونَ مُتشابهَةً في الطَّبيعَةِ والماهيَّةِ ، أو مختلفَةً فيها ؛ فإنْ كانَت مُتساويَةً كانَ الجُزءُ الذي هو الطَّالعُ مُساويًا لسائرِ الأجزاءِ ، وحُكْمُ سائرِ الأجزاءِ واحدًا ، وإنْ كانَت الأجزاءُ مُختلفَةً في الماهيَّةِ والطَّبيعَةِ فلا ريبَ أنَّ الفَلَكَ جِرْمُه في غايَةِ العِظَمِ ، حتى قالوا : إنَّ الرَّجلَ الشديدَ العَدْوِ إذا رَفعَ رِجْلَهُ ووَضَعَها يكُون الفَلَكُ قَد تحرَّكَ ثلاثَةَ آلافِ ميلٍ ، وإذا كانَ كذلكَ فَمِنَ الوَقتِ الذي ينفصلُ الوَلَدُ مِن بَطنِ أُمِّهِ إلى أن يأخذَ المُنجِّمُ الإسطرلابَ (١) ، ويأخُذَ الارتفاعَ يكونُ الفَلَكُ قَد تحرَّكَ مثلَ كلِّ الأرضِ كذا ألف مرَّةٍ ! وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فالجُزءُ الذي يأخذهُ المُنجِّمُ بالإسطرلابِ ليسَ الجُزءَ الطَّالعَ في الحقيقَةِ ، وإذا كانَت الأجزاءُ الفَلكيَّةُ

---

(١) هو جهازٌ استعمله القدماءُ في تعيين ارتفاعاتِ الأَجْرامِ السماويّةِ ، ومعرفةِ الوقت والجهات الأَصليّة . « المعجم الوجيز » (ص ١٧) .

مُختلفةً في الطَّبيعَةِ والماهيَّةِ عَلِمْنا أنَّ أَخْذَ الطَّوالع مُحالٌ .

وقَد اعترَفَ فضلاؤكُم بهذا ، وقالوا : إنَّ الأمرَ وإنْ كانَ كذلكَ إلّا أنَّ التَّجرِبَةَ قَد دلَّتْ على أنَّ هذا الطَّالعَ الذي تَعذَّرَ على الإنسانِ تَحصيلُهُ يدُلُّ على كثيرٍ من مُقدَّمَةِ المَعرفَةِ مع ما فيهِ منَ الخَلَلِ الكثيرِ الذي ذكرتُم ، فوجَبَ أنْ لا يُهملَ !

وهذا خطأٌ بيِّنٌ ؛ فإنَّ التَّجارِبَ التي دَلَّتْ على كذبِ ذلكَ وبُطلانهِ ووقوعِ الأمرِ بخلافهِ أضعافُ أضعافِ التَّجربَةِ التي دلَّتْ على صدقهِ - كما سنذكرُ قَطرَةً من بحرِهِ عن قَريبٍ إن شاءَ اللَّهُ - ولهذا قال أبو نَصرٍ الفارابيّ [1] : واعلم أنَّكَ لو قلَّبْتَ أوضاعَ المُنجِّمينَ ، فجعَلتَ الحارَّ بارِدًا ، والباردَ حارًّا ، والسَّعْدَ نحْسًا ، والنَّحسَ سَعدًا ، والذَّكَرَ أنثى ، والأنثى ذكرًا ، ثمَّ حكَمْت لكانَتْ أحكامُكَ مِن جنسِ أحكامِهم ، تصيبُ تارَةً وتُخطىءُ تاراتٍ ! وهل مَعَهم إلّا الحَدْسُ والتَّخمينُ والظُّنونُ الكاذبَةِ !!

ولقد حُكيَ أنَّ امرأَةً أتَتْ منجِّمًا فأعطَتْهُ درهمًا ، فأخَذَ طالعَها ، وحكمَ وقال : الطَّالعُ يُخبرُ بكذا .. فقالت : لم يكُن شيءٌ من ذلكَ ، ثمَّ أخَذَ الطَّالعَ وقال : يُخبرُ بكذا .. فأنكرَتْهُ ، حتى قال : إنَّهُ ليدُلُّ على قَطْعٍ في بيتِ المالِ ، فقالت : الآنَ صَدَقْتَ ، وهو الدِّرهم الذي دفعتهُ إليكَ .

الوجه الخامس عشر : أنَّ الأجسامَ لا تنفعُ في غيرِها إلّا بواسطَةِ

---

(١) اسمه محمد بن محمد بن طَرْخان ، توفّي سنة (٣٣٩هـ) .

ترجمه الذهبيُّ في « السير » (١٥ / ٤١٧) وقال فيه : « له تصانيفُ مشهورةٌ ، مَن ابتغى الهدى منها ضلَّ ، منها تخرَّجَ ابنُ سينا ، نسألُ اللهَ التوفيقَ » .

المُماسَّةِ ، وهذه الكواكبُ لا مُماسَّةَ لها بأعضائنا وأبداننا وأرواحنا ، فيمتنعُ كونُها فاعلَةً فينا .

أقصى ما في البابِ أنْ يُقالَ : إنَّها وإنْ لم تكُن مُماسَّةً لأعضائنا إلّا أنَّ شعاعها يَصِلُ إلى أجسامنا !

فيُقالُ : لا ريبَ أنَّ تأثيرَ الشُّعاعِ إنَّما يكونُ بالتَّسخينِ عندَ المُسامتةِ [1] ، أو بالتَّبريدِ عندَ الانحرافِ عن المُسامَتَةِ ، فهذا - بعدَ تَصحيحهِ - يَقتَضي أنْ لا يكونَ لهذه الكواكبِ تأثيرٌ في هذا العالَمِ إلّا على سبيلِ التَّسخينِ والتَّبريدِ ، فأمَّا أنْ تُعطي العلومَ والأخلاقَ ، والمحبَّةَ والبَغضاءَ ، والموالاةَ والمعاداةَ ، والعِفَّةَ والحُرِّيَّةَ والنَّذالَةَ ، والخُبْثَ والمكرَ والخديعَةَ ، فذلكَ خارجٌ عن معقولِ العُقلاءِ ، وهو منَ حماقاتِ الأحكاميِّين وجهالاتِهم !

فإن قيلَ : التَّأثيرُ بالتَّسخينِ والتَّبريدِ يُوجِبُ اختلافَ أمزجَةِ الأبدانِ ، واختلافُ أمزجَةِ الأبدانِ يُوجِبُ اختلافَ أفعالَ النَّفسْ !

قيلَ : فنحنُ نرى التَّسخينَ يَقتضي حرارَةً، وَحِدَّةً في المزاجِ ، يفعلُ بها هذا غايَةَ الخيرِ والأفعالِ الحميدَةِ ، وهذا غايَةَ الشرِّ والأفعالِ الخبيثَةِ ، والشعاعُ قَد سَخَّنَ مُرَكَّبَها ، فما المُوجِبُ لانفعالِ نَفسيهما عن هذا التَّسخينِ هذا الانفعالَ المتباعدَ المُتناقضَ ؟!

وأيضًا ، فما الموجبُ لاختلافِ القوابلِ وتأثيرُ الكواكبِ فيها بطَبْعهِ وتَسخينهِ وتبريدهِ ؟! فكيفَ اختلفتِ القوابلُ هذا الاختلافَ العظيمَ وهي مُستندَةٌ إلى تأثيرٍ واحدٍ ؟!

---

(١) المقابَلة .

الوجهُ السَّادس عشر : أنَّ رجلًا لو جَلَسَ في دارٍ لها بابانِ ، شرقيٌّ وغَربيٌّ ، فسألَ المُنجِّمَ ، وقال : مِن أيِّهما يقتَضي الطَّالعُ خروجي ؟ فإذا قالَ لهُ المُنجِّمُ : منَ الشرقيِّ ، أَمْكَنَهُ تَكذيبُهُ والخروجُ منَ الغربيِّ ، وبالعَكسِ ، وكذلكَ السَّفرُ في يومٍ واحدٍ ، وابتداءُ البناءِ ، وغيرهُ في يومٍ يُعيِّنُهُ لهُ المنجِّمُ ، ويحكمُ باقتضاءِ الطَّالعِ لهُ من غيرِ تَقدُّمٍ عنهُ ولا تأخُّرٍ ، فإنَّهُ يُمْكِنُهُ تكذيبُهُ في ذلكَ أجمعَ .

فإنْ قلتم : إنَّ المنجِّمَ إذا أخبَرَهُ بما يفعلهُ ويختارُه يصيرُ ذلكَ داعيًا له إلى أن يُخالِفَهُ في قولهِ ويُكذِّبهُ ، فالطَّريقُ إلى علمِ صِدْقِهِ أن يَحْكُمَ ذلكَ المنجِّمُ على مُعيَّنٍ ويكتبَهُ في كتابٍ ويُخْفِيَهُ ، أو يذكرَهُ لإنسانٍ آخَرَ ويُخْفِيهُ عن صاحبِ الواقعَةِ ، فها هُنا يظهرُ صدقُ المنجِّمِ .

قلتُ : هذا العُذْرُ من أسقَطِ الأعذارِ ؛ لأنَّ النُّجومَ لو كانَت - كما تزعُمونَ دالَّةً على جميعِ الكائناتِ الواقعَةِ في هذا العالَم لَعَرفَ المنجِّمُ ذلكَ الذي يستقرُّ عليهِ اختيارُهُ على كُلِّ حالٍ ، شاءَ تَكذيبَهُ أو لم يَشَأْهُ ، فلمَّا لم يكُن الأمرُ كذلكَ سَقَطَ القولُ بصحَّةِ هذا العُذرِ .

فإنْ قيلَ : الأشخاصُ الفَلَكيَّةُ مُؤثِّراتٌ ، والسُّفليَّةُ قوابلُ ، ويجوزُ أن تختلفَ الأحوالُ الصَّادرَةُ عن الفاعلِ بسببِ اختلافِ القوابلِ ! وإذا كانَ كذلكَ فَهَبْ أنَّ الدَّلائلَ الفَلَكيَّةَ دلَّتْ على أنَّهُ إنَّما يختارُ الخُروجَ منَ البابِ الفُلانيِّ ، لأنَّ كونَ الإنسانَ مَشْغُوفًا بتكذيبِ المنجِّمِ حالةٌ حاصلَةٌ في النَّفسِ ، مانعَةٌ من ظهورِ ذلكَ الأثرِ الذي تَقتَضيهِ المُوجباتُ الفَلَكيَّةُ ، فلهذا الأمرِ لم يَحْصُلِ الأمرُ على وَفْقِ حُكمِ المنجِّمِ .

قيلَ : إذا اقتَضَتِ الموجباتُ الفَلَكيَّةُ أثرًا امتنعَ أن يَحْصُلَ في النَّفسِ ما يُضادُّهُ ؛ لأنَّ تلكَ الإرادَةَ والمُيُولَ والعُزومَ الواقعَةَ في النَّفْسِ هي عندكم من مُوجِباتِ الآثارِ الفَلَكيَّةِ ، فيمتنعُ أن تكونَ مُضادَّةً لِموجباتِها ، لا سيَّما والمُنجِّمُ يَحْكُمُ بأنَّهُ إنَّما تَقْتَضي النُّجومُ أَنْ يريدَ الإنسانُ كذا وكذا ، وليسَ حُكْمُهُ أنَّ الطَّالعَ يَقتَضي كذا وكذا إلّا أنْ يُريدَ الإنسانُ خلافهُ ! هذا ما لا يقولُهُ أحدٌ منكُم ، فَعُلِمَ بطلانُ هذا الاعتذارِ .

الوجه السَّابع عشر : أنَّهُ لا سبيلَ إلى معرفَةِ طبائعِ البُروجِ وطبائعِ الكواكبِ وامتزاجاتِها إلّا بالتَّجْرِبَةِ ، وأقلُّ ما لا بدَّ منهُ في التَّجرِبَةِ أن يَحْصُلَ ذلكَ الشيءُ على حالةٍ واحدَةٍ مرَّتينِ ، إلّا أنَّ الكواكبَ لا يُمْكِنُ تحصيلُ ذلك فيها ، لأنَّهُ إذا حَصَلَ كوكبٌ مُعيَّنٌ في موضعٍ مُعيَّنٍ في الفَلَكِ ، وكانَت سائرُ الكواكب مُتَّصلَةً به على وضعٍ مَخْصُوصٍ وشَكْلٍ مَخصوصٍ ، فإنَّ ذلكَ الموضعَ المعيَّنَ بحسبِ الدَّرجَةِ والدَّقيقَةِ لا يعودُ إلّا بعدَ أُلوفٍ مِنَ السِّنينَ ، وعُمْرُ الإنسانِ الواحدِ لا يفي بذلكَ ، بل عُمْرُ البشرِ لا يفي بهِ ، والتَّواريخُ التي تَضْبِطُ هذه المدَّةَ ممَّا لا يُمْكِنُ وصولُها إلى الإنسانِ ، فَثَبَتَ أنَّهُ لا سبيلَ إلى الوُصولِ إلى هذه الأحوالِ مِن جهَةِ التَّجربَةِ البتَّة .

ولا ينفعُكُم اعتذارُ مَن اعتَذَرَ عنكُم بأنَّهُ لا حاجَةَ في التَّجربَةِ إلى ما ذكرتُم ، لأنَّا إذا شاهَدْنا حادثًا مُعيَّنًا في وقتٍ مخصوصٍ ، فلا شكَّ أنَّهُ قد تحصُلُ في الفَلَكِ اتِّصالاتٌ للكواكبِ المختلفَةِ في ذلكَ الوَقتِ ، فلو قَدَّرْنا عَوْدَ الوضعِ الفَلَكيِّ بتمامِهِ على تلكَ الحالِ ألفَ مرَّة لم يعلمْ أنَّ المؤثِّرَ في ذلكَ الحادثِ هل هو مجموعُ الاتِّصالاتِ أو اتِّصالٌ معيَّنٌ منها ؟ فإذا عَلِمْنا أنَّ ذلكَ

الوَضعَ بجُملتِهِ فاتَ وما عادَ ولكنَّهُ عادَ اتِّصالٌ واحدٌ من تلكَ الاتِّصالاتِ ، وكما عادَ ذلكَ الاتِّصالُ المُعيَّنُ فإنَّهُ يعودُ ذلكَ الأَثَرُ بعينِهِ ، لا لأجلِ سائرِ الاتِّصالاتِ ، فثبتَ أنَّ الرُّجوعَ في هذا البابِ إلى التَّجربَةِ غيرُ متعذِّرٍ !

وهذا الاعتذارُ في غايَةِ الفسادِ والمُكابرَةِ ؛ لأنَّ تخلُّفَ ذلكَ الأَثَرِ عن ذلكَ الاتِّصالِ العائدِ أكثرُ مِن اقترانِهِ به ، والتَّجرِبةُ شاهدَةٌ بذلكَ ، كما قَد اشتهرَ بينَ العقلاءِ أنَّ المُنجِّمينَ إذا أجْمَعوا على شيءٍ منَ الأحكامِ لم يَكد يقعُ ، ونحنُ نذكرُ طرفًا من ذلكَ ، فنقولُ في :

الوجه الثَّامن عشر : لمَّا نظرَ حُذَّاقُكم وفُضلاؤكم سنةَ سبعٍ وثلاثينَ عامَ صِفِّين من مَخْرَجِ عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ منَ الكوفَةِ إلى مُحاربَةِ أهلِ الشامِ اتَّفقوا على أنَّهُ يُقْتَلُ ويُقْهَرُ جيشُهُ ، فظهَرَ كذبُهم ، وانتَصَرَ جيشُهُ على أهلِ الشامِ ، ولَم يَقْدِروا على التَّخلُّص منهم ، إلّا بالحيلَةِ التي وضَعوها من نَشْرِ المصاحفِ على الرِّماحِ ، والدُّعاءِ إلى ما فيها ، وقَد قيلَ : إنَّ هذا الاتِّفاقَ منهم إنَّما كانَ في حربِ المؤمنين للخوارجِ ، فإنَّهم اتَّفقوا على أنَّهُ مَن خَرَجَ في ذلك الطَّالع قُتِلَ وهُزِمَ جيشُهُ ، فإنَّ القمرَ كانَ إذ ذاكَ في العقربِ ! فخالفهم عليٌّ ، وقال : بل نخرجُ ثقَةً باللَّهِ ، وتوكّلًا عليهِ ، وتكذيبًا لقولِ المنجِّم ، فما غزا بَعد رسولِ اللَّهِ ﷺ أتمَّ منها ، قتلَ عدوَّه ، وأيّدَه اللَّهُ عليهم بالنَّصرِ والظَّفرِ بهم ، ورجعَ مُؤيَّدًا منصورًا مأجورًا ، والقصَّةُ مَعروفَةٌ في السِّيرِ والتَّواريخ (١) .

وكذلكَ اتِّفاقُ مَلَئِكُم في سنةِ ستّ وستّين على غَلَبَةِ عُبيدِاللَّهِ بن زيادِ

---

(١) انظر « مروج الذهب » (٢ / ٣٩٩) للمسعوديّ ، و « الأَخبار الطِّوال » (١٨٥) للدِّينَوَريّ ، و « تاريخ الطبريّ » (٤ / ٥٦٩) .

للمُختارِ بن أبي عُبيدٍ (١) ، وأنَّهُ لا بدَّ أن يقتلَه أو يأسِرَهُ ، فسارَ إليهِ في نحْوِ من ثمانين ألفَ مقاتلٍ (٢) ، فَلَقِيَهُ إبراهيمُ بن الأشترِ صاحبُ المُختارِ بأرضِ نَصِيبينَ (٣) وهو فيما دونَ سبعَةِ آلافِ مقاتلٍ ، فانهَزَمَ أصحابُ ابنِ زيادٍ بَعدَ أن قُتِلَ منهم خَلْقٌ لا يُحصيهم إلّا اللَّهُ ، حتى إنَّهُ قيلَ : إنَّهُم قُتلَ منهم ثلاثَةٌ وسبعونَ ألفًا ، ولم يُقتل من أصحابِ ابنِ الأشترِ سوى عَددٍ لا يبلغونَ مئةً ، وفيهم يقولُ الشاعرُ :

بَرَزُوا نَحْوَهم بسبعَةِ آلافٍ ... أَرَتْهُمْ عَجائباً في اللقاءِ
فتَعشَّوْا منهمْ بسبعينَ ألفًا ... أو يزيدونَ قبلَ وقتِ العِشاءِ
فجزاكَ ابنَ مالكٍ وأبا إسحاقَ ... عنَّا الإلٰهُ خَيرَ جزاءِ

يريدُ بابنِ مالكٍ إبراهيمَ بنَ مالكِ بن الأشترِ ، وأبو إسحاقَ كنيةُ المُختارِ ، وقَتَلَ ابنُ الأشتر عُبيدَاللَّهِ بنَ زيادٍ في المعركَةِ ، ولم يَعْلَمْ بهِ حتى إذا هَدَأَ الليلُ ، قال لأصحابِهِ : لقَد ضربتُ على شاطئِ هذا النَّهرِ رجلًا ، فرجعَ إليَّ سيَفي ، وفيهِ رائحَةُ المسكِ ، ورأيتَ إقْدامًا وجُرأةً ، فَصرَعْتُهُ ، فَذَهَبَتْ رجلاهُ قِبَلَ المشرقِ ، ويَدَاهُ قِبَلَ المغربِ ، فانظُروهُ ، فَأَتَوْهُ بالنِّيرانِ ، فإذا هو عُبيدُاللَّهِ بن زيادٍ .

ذكرَ ذلكَ المُبرِّدُ في « الكاملِ » (٤) .

---

(١) هو الثَّقفيُّ المشهورُ الكذّاب !
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٥ / ٥٤) للذهبيّ ، و « تاريخ الطبريّ » (٦ / ٨٣) .
(٣) « مُعجم ما استعجم » (٢ / ١٣١٠) للبكريّ .
(٤) انظر « رَغْبَة الآمِلِ » (٥ / ١٣٤ و ٢١٠) و (٦ / ١١) لسيّد المَرْصفي ، طبع مصر سنة ١٣٤٦هـ .

فانظُرْ حكمَةَ اللَّهِ في انعكاسِ ما قالَ الكاذبونَ المُنجِّمونَ .

وقيلَ : لمَّا علمَ عبيدُاللَّهِ بنُ زيادٍ أنَّ أَمْرَ القتالِ قَد تيسَّرَ ، وسأَلَ مُنجِّمَه عن قُوَّةِ نجمهِ ونجمِ ابنِ الأشتر ، وقال : واللَّهِ إنِّي لأعلمُ أنَّهُ ليسَ بشيءٍ ، إلّا أنِّي كنتُ أنا وهو صغيرانِ وَقَعَت بيني وبينَهُ خُصومَةٌ بسببِ حَمَامٍ كُنَّا نَلعبُ بِهِ ، فضربني إلى الأرضِ ، وقعدَ على صَدْري ، وقال : واللَّهِ إنِّي قاتلُكَ ، ولا يقتلُكَ أحدٌ غيري ، إن شاءَ اللَّهُ ، وأنا من استثنائهِ بالمَشيئةِ خائفٌ ، فذهبَ بِهِ مُنجِّمُهُ إلى ما قرَّرهُ المُنجِّمونَ لهُ مِن قوَّةِ نَجْمهِ ، وأنَّ هذا وَهَمٌ منهُ ، وحكمُ النُّجومِ يَقْضي على وهمهِ ، فحقَّقَ اللَّهُ سبحانهُ ذلكَ الوَهَمَ ، وأبطلَ حُكمَ الطَّالعِ والنَّجمِ .

ومِن ذلكَ اتِّفاقُهم عندما تمَّ بناءُ بَغدادَ سنةَ ستٍّ وأربعينَ ومائةٍ (١) أَنَّ طالعَها يَقْضي بأنَّهُ لا يموتُ فيها خليفَةٌ ، وشاعَ ذلكَ حتى هَنَّأَ الشعراءُ بهِ المَنصورَ ، حتى قال بعضُ شعرائهِ :

يَهْنيكَ منها بلدَةٌ تَقْضي لنا ... أنَّ المماتَ بها عليكَ حرامُ
لمّا قَضَتْ أحكامُ طالعِ وَقْتِها ... أنْ لا يُرى فيها يموتُ إمامُ

وأكَّدَ هذا الهَذَيانَ في نُفوسِ العوامِّ موتُ المَنصورِ بطريقِ مكَّةَ ، ثمَّ المَهديُّ بماسَبَذان (٢) ، ثمَّ الهادي بِعيسَاباذ (٣) ، ثمَّ الرَّشيدِ بِطُوسَ (٤) ، فلمَّا

---

(١) انظر « وَفَيات الأعيان » (٢ / ١٥٤ و ٢٩٠) لابن خَلِّكان ، و « تاريخ الإسلامِ » (٩ / ٣٥) للذهبيّ .

(٢) « معجم البلدان » (٥ / ٤١) .

(٣) المصدر السابق (٤ / ١٧٢) .

(٤) المصدر السابق (٤ / ٤٩) .

قُتلَ بها الأمينُ بشارعِ بابِ الأَنْبارِ (١) ، انْخَرَمَ الأصلُ الباطلُ الذي أصَّلُوهُ ، وظهَرَ الزُّورُ الذي لفَّقُوهُ ، حتى رُجِعَ إلى الحقِّ الأوَّلِ ، فقال :

كذَبَ المُنجِّمُ في مقالتِهِ الّتي ... نَطَقَتْ بهِ كَذِبًا على بَغْدانِ

قَتْلُ الأمينُ بها لعَمْري يَقْتَضي ... تَكذيبَهم في سائرِ الحُسْبانِ

ثمَّ ماتَ ببغدادَ جماعَةٌ منَ الخُلفاءِ مثلُ الواثقِ والمتوكِّلِ والمُعتَضد والمكتَفي والنَّاصر وغير هؤلاء .

ومن ذلكَ اتِّفاقُهم في سنَةِ ثلاثٍ وعشرينَ ومِئتَيْنِ في قِصَّةِ عمُّورية (٢) أنَّ المُعتصِم إنْ خَرجَ لِفَتْحِها كانَت الدَّائرَةُ عليهِ ، وأنَّ النَّصْرَ لعَدُوِّهِ ، فَرَزَقَهُ اللَّهُ التَّوفيقَ في مُخالفتِهم ، ففتحَ اللَّهُ على يديهِ ما كانَ مُغْلَقًا ، وأصبحَ كذبهم وخَرْصُهم - بعدَ أن كانَ مَوهومًا عندَ العامَّةِ - مُحقَّقًا ، فَفَتحَ عمُّوريَّةَ وما والاها مِن كُلِّ حِصْنٍ وقلعَةٍ ، وكانَ ذلكَ مِن أعظمِ الفتوحاتِ المَعدودَةِ .

وفي ذلكَ الفتح قامَ أبو تمَّامٍ الطَّائيُّ مُنْشِدًا لهُ على رؤوسِ الأشهادِ :

السَّيفُ أصدَقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ ... في حَدِّهِ الحَدُّ بينَ الجدِّ واللَّعِبِ

والعِلْمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامِعَةً ... بينَ الخُمَيْسينِ لا في السَّبعَةِ الشُّهُبِ

أينَ الرِّوايَةُ أم أينَ النُّجومُ وما ... صاغُوهُ مِن زُخْرُفٍ منها ومِنْ كَذِبِ

تَخَرُّصًا وأحاديثًا مُلفَّقَةً ... ليسَتْ بنَبعٍ إذا عُدَّت ولا غَرَبِ

عَجائبًا زَعَمُوا الأيَّامَ تجعلُهُ ... عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفارِ أو رَجَبِ

وخوَّفوا النَّاسَ مِنْ دَهْياءَ مُظلِمةٍ ... إذا بَدَا الكوكَبُ الغَرْبيُّ ذو الذَّنَبِ

---

(١) انظر « الكامل » (٦ / ٢٨٢) لابن الأثير ، و « البداية والنهاية » (١٠ / ٢٤٠) لابن كثير .

(٢) انظر « فُتوح البلدان » (٢٢٨) للبلاذريّ ، و « نهاية الأَرب » (٢٢ / ٢٥١) للنويري ، و« تاريخ الخلفاء » (٣٣٦) للسيوطي .

وصيَّروا الأبْرُجَ العلياءَ مَرْتَبَةً ما كانَ مُنقلِبًا أو غيرَ مُنْقَلِبِ
يَقْضونَ بالأمرِ عنها وهي غافلَةٌ ما دارَ في فَلَكٍ منها وفي قُطُبِ
لو ثَبَّتَتْ قطُّ أمرًا قبلَ مَوْقعهِ لـم يَخْفَ ما حَلَّ بالأوثانِ والصُّلُبِ

وهي في نَحْوٍ من سبعينَ بيتًا [١] ، أُجيزَ على كُلِّ بيتٍ منها بألفِ درهمٍ .

ومن ذلكَ اتِّفاقُهم سنَةَ اثنتَينِ وتسعين ومِئتَيْنِ في قِصَّةِ القرامطَةِ على أنَّ المُكتَفي باللهِ إنْ خَرَجَ لمُقاتَلَتِهم كانَ هو المَغْلُوبَ المَلزومَ ، وكانَ المسلمونَ قد لَقُوا منهم على توالي الأيَّام شرًّا عظيمًا وخَطْبًا جسيمًا ، فإنَّهم قَتَلوا النِّساءَ والأطفالَ ، واستباحوا الحريمَ والأموالَ ، وهَدَمُوا المساجدَ ، وربَطوا فيها خُيولَهم ودوابَّهم ، وقَصدوا وَفدَ اللَّهِ ، وزُوَّارَ بيتهِ ، فأوْقَعوا فيهم مِنَ القَتلِ الذَّريعِ والفعلِ الشنيعِ ، وأباحوا مَحارِمَ اللَّهِ ، وعطَّلوا شرائعَهُ ، فَعَزَمَ المُكتَفي على الخُروجِ إليهم بنفسهِ ، فجمعَ وزيرُهُ القاسمُ بنُ عُبيدِاللَّهِ [٢] مَن قَدِرَ عليهِ من المُنَجِّمينَ - وفيهم زعيمُهم [٣] أبو الحَسَن العاصِمي - وكلُّهم أوجبَ عليهِ بأنْ يُشيرَ على الخليفَةِ أنْ لا يخْرُجَ فإنَّهُ إنْ خَرجَ لم يرجعْ وبخُروجهِ تزولُ دولتُهُ ، وبهذه تَشهدُ النُّجومُ التي يَقْضي بها طالِعُ مولدهِ ، وأخافوا الوَزيرَ مِنَ الهلاكِ إنْ خَرَجَ معهُ ، وقَد كانَ المُكتَفي أمرَ الوزيرَ بالخروجِ معهُ ، فلم يَجدْ بُدًّا من متابعَتهِ ، فخرجَ وفي قلبهِ ما فيه ، وأقامَ المُكتفي بالرَّقَّةِ حتى أخذَ أعداءَ اللَّهِ

---

(١) انظر « ديوانَه » (ص ١٨ - ٢١) .

(٢) وزيرٌ طاغيةٌ ، ترجمَه الذهبيُّ في « السِّير » (١٤ / ١٩) وقال : « هَلَكَ القاسمُ عن ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، لا رَحمه اللهُ » .

كانت وفاتُه سنة (٢٩١) .

وانظر « صِلَة تاريخ الطبريّ » (١١ / ١٢) ، و « المُنتظم » (٦ / ٤٦) .

(٣) أي : زعيم المنجّمين .

جميعًا ، وسُقِيَتْ جموعُهم بكأسِ السَّيفِ نَجيعًا [١] ، ثمَّ جاءَ الخبرُ من مصرَ بموتِ خُمارُوَيْهِ بن أحمَدَ بن طُولونَ ، وكانوا به يستطيلونَ ، فأرسلَ المُكتَفي مَن تَسَلَّمها ، واستحضَرَ القُوَّادَ المصريَّةَ إلى حَضرتِهِ ، ثمَّ لمَّا عادَ أمَرَ القاسمَ بنَ عُبيداللَّهِ الوزيرَ بإحْضارِ رئيسِ المُنجِّمينَ ، وصَفَعَهُ الصَّفْعَ الكثيرَ بَعدَ أن وَقَفَهُ ووبَّخهُ على عظيمِ كذِبِهِ وافترائِهِ ، وتبرَّأَ منهُ ومن كُلِّ مَن يقولُ برأيِهِ .

قال أبو حيَّانَ التَّوحيدي في كتابِ « الإمْتاع والمُؤانسَة » [٢] وَقَد ذكرَ هذه القصَّة :

فهذا وما أشْبَهَهُ منَ الافتراءِ والكذبِ لو ظَهَرَ ونُشِرَ وعُيِّرَ أهلُهُ به وَوُقِفوا عليهِ وزُجِروا عن الدَّعوى المُشْرِفَةِ على الغيبِ ، لكانَ مَقْمَعَةً لِمَن يُطْلِقُ لسانَهُ بالاطِّلاعِ على ما لا يكونُ في غدٍ ، وقَطْعًا لألسنتِهم ، وكفًّا لدعواهم ، وتأديبًا لصغيرِهم وكبيرِهم .

ومِن ذلكَ اتِّفاقهم سنَةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ عندما أرادَ القائدُ جَوْهَرُ العَزيزُ بناءَ مَدينَةِ القاهرَةِ [٣] وقَد كانَ سَبَقَ مَولاهُ الملقَّب بالمُعِزِّ إلى دُخولِ الدِّيارِ المصريَّة لمّا أَمَرَهُ المُعِزُّ بدخولها بالدَّعوَةِ [٤] ، وأَمَرَهُ إذا دَخَلَها أنْ يبنيَ بها مَدينَةً عظيمَةً تكونُ نجومُ طالعِها في غايَةِ الاستقامَةِ ، ويكونُ بطالعِ الكوكبِ

(١) أَي : ظَهَرَ أَثرُه فيهم .

(٢) لم أَرَ النصَّ فيه بعد مُراجعةٍ شملت الكتابَ كلَّه بأَجزائِه الثلاثةِ ، وضُنُوفِ فهارسِه ، واللهُ المُوفِّقُ .

(٣) انظر « المُنتَظم » (٧ / ٤٧) لابن الجوزيّ ، و « النجوم الزاهرة » لابن تَغْري بَرْدي. وفي « السير » (١٦ / ٤٦٨) كشفٌ لعقيدته الباطنيّة .

(٤) أَي : الدعوة إِلى عقيدتِه العُبيديّة الفاطميّة الباطنيّة .

القاهِرِ ، وهو زُحَلُ أو المَرِّيخُ على اختلافِ حالِهِ ، فَجَمعَ القائدُ جوهرُ المنجِّمينَ بها ، وأمَرَ كُلَّ واحدٍ منهم أن يُحقِّقَ الرَّصْدَ ويُحْكِمَهُ ، وأمَرَ البنَّائينَ أنْ لا يَضَعوا الأساسَ حتى يُقالَ لهم : ضعوهُ ، وأن يكونوا على هيئةٍ منَ التيقُّظِ والإسراعِ حتى يُوافِقُوا تلكَ السَّاعَةَ التي اتَّفقَت عليها أَرْصادُ أُولئكَ الجماعَةِ ، فوُضعَت الأساساتُ على ذلكَ في الوَقتِ الحاضرِ ، وسمَّوها بالقاهرَةِ - إشارَةً بزعمهم الكاذبِ إلى الكوكبِ القاهرِ - واتَّفقوا كلُّهُم بأنَّ الوَقتَ الذي بُنيَت فيهِ يَقضي بدوامِ جَدِّهِم وسعادتِهم ودَوْلتِهم ، وأنَّ الدَّعوَةَ لا تَخْرُجُ فيها عن الفاطميَّةِ وإنْ تَداوَلَتها الأَلْسُنُ العربيَّةُ والعَجَميَّةُ ، فلما مَلَكَها أسدُ الدّينِ شِيرْكُوه بن شاذِي [1] ثمَّ ابنُ أخيهِ الملكُ النَّاصرُ صلاحُ الدِّينِ يوسُف بن أيُّوب - ومع ذلكَ المِصريُّونَ قائمونَ بدَعوَةِ العاضدِ عبداللَّهِ بن يوسفَ - توهّمَ الجهَّالُ أنَّ ما قالَ المُنجِّمونَ مِنْ قَبْلُ حقٌّ ، لتبدُّلِ اللسانِ ، وحالُ الدَّعوَةِ مُستبقًى ، فلمَّا ردَّ صلاحُ الدِّينِ الدَّعوَةَ إلى بني العبَّاس انْكَشفَ الأمرُ ، وزالَ الالتباس ، وظهرَ كَذِبُ المنجِّمينَ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

وكانَت المدَّةُ بينَ وَضعِ الأساسِ وانْقِراضِ دولةِ الملاحدَةِ منها نحوَ مئةٍ وثلاثةٍ وتسعينَ عامًا ، فنَقَضَ انقطاعُ دولتِهم على المُنجِّمينَ أحكامَهم ، وخرَّبَ ديارَهم ، وأهتكَ أستارَهم ، وكشفَ أسرارَهم ، وأجرى اللَّهُ سبحانهُ تَكذيبَهم والطَّعْنَ عليهم على لسانِ الخَاصِّ والعامِّ ، حتى اعتَذَرَ مَن اعتَذَرَ منهم بأنَّ

(١) توفِّي سنة (٥٦٤هـ) ، ترجمتُه في « طبقات السُّبْكيّ » (٣٥٢٧) و « تاريخ ابن خَلْدون » (٥ / ٢٨١ - ٢٨٣) .

وقال ابنُ خَلِّكان في « وَفَيات الأَعيان » (٢ / ٤٨١) : « شيرْكوه بالعَرَبيّ : أَسد الجَبَل » .

البنَّائينَ كانوا قَد سَبَقُوا الرَّصَّادين إلى وَضعِ الأساسِ !

وليسَ هذا مِن بَهْتِ القومِ ووقاحتِهم ببَعيدٍ ؛ فإنَّهُ لو كانَ كذلكَ لرأى الحاضِرُونَ تَبْديلَ البناءِ وتغييرَهُ ، فإنَّهُ لو دَخَلَهم شكٌّ في تَقديمٍ أو تأخيرٍ أو سَبْقٍ بما دونَ الدَّقيقَةِ في التَّعذُّرِ لما سامحوا بذلكَ مع المقتَضي التَّامِّ والطَّاعَةِ الظَّاهرَةِ والاحتياطِ الذي لا مَزيدَ فوقَهُ ، وليسَ في تَبديلِ حَجَرٍ أو تَحويلِهِ برفعِهِ وَوَضْعِهِ كبيرُ أمرٍ على البنَّائينَ ولا مشقَّةٌ .

وقرائنُ الأحوالِ في إقامَةِ دولةٍ بتَقريرِها وإنشاءِ قاعدَةٍ بتَحريرِها شاهدَةٌ بأنَّ الغفلةَ عن مثلِ هذا الخَطْبِ الجسيمِ ممَّا لا يُتسامَحُ بها البتَّةَ .

ويا للَّهِ العَجَبُ ! كيفَ لم يَظْهَرْ سَبْقُ البنَّائينَ للرَّاصدينَ إلّا بَعدَ انْقِرَاضِ دولةِ الملاحدَةِ ؟!

وأمَّا مُدَّةَ بقاءِ دولتِهم ؛ فكانَ البنَّاءُ مُقارنًا للطَّالِعِ المَرصودِ ! فهل في البُهْتِ فوقَ هذا ؟

ومِن ذلكَ اتِّفاقُهُم سنَةَ خمسٍ وتسعين وثلاثِ مئةٍ في أَيَّامِ الحاكمِ (١) على أنَّها السَّنةُ التي يَنْقَضي فيها بمصرَ دولةُ العُبَيديِّين ، هذا مع اتِّفاقِ أُولئكَ على أنَّ دَعوتَهم لا تنقطعُ منَ القاهرَةِ ، وذلكَ عندَ خُروجِ الوَليدِ بن هشامٍ المَعروفِ بأبي رَكْوَةَ الأُمويِّ (٢) ، وحَكَمَ الطَّالعُ لهُ بأنَّهُ هو القاطعُ لدَعوَةِ العُبَيديِّين ، وأنَّهُ لا بدَّ أنْ يستوليَ على الدِّيارِ المصريَّةِ ، ويأخذ الحاكمَ أسيراً ،

(١) يُريدُ الحاكمَ بأَمرِ اللهِ الفاطميّ ، الّذي قالَ فيه بعضُ منافقيه : يا واحد ! يا أَحد ! يا مُحْيي ! يا مُميت !

وانظر نُبَذًا من كُفريّاتِه في « حُسن المحاضرةِ » (١ / ٦٠١ - ٦٠٣) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (١١ / ٣٣٧) لمعرفة خبرِهِ .

ولم يَبْقَ بمصرَ منجِّمٌ إلّا حكمَ بذلكَ ، وأكبرُهم المَعروفُ بالفِكريِّ مُنجِّمِ الحاكمِ ، وكانَ أبو ركوَةَ قد مَلَكَ بَرْقَةَ [1] وأعمالَها ، وكثُرت جموعُهُ ، وقويَت شوكتُهُ ، وخرجَت إليهِ جيوشُ الحاكمِ مِن مصرَ فعادَتْ مغلوبَةً ، فلم يَشُكَّ النَّاسُ في حِذْقِ المُنجِّمينَ .

وكانَ مِنْ تَدبيرِ الحاكمِ أنْ دعا خواصَّ رجالِهِ وأمَرَهم أن يَعْمَلُوا بما رآهُ من احتيالِهِ ، وهو أَن يُكاتبوا أبا ركوَةَ بأنَّهم على مذهبِهِ ، وأنَّهم مائِلونَ عن الدَّعوَةِ الحاكميَّةِ ، وراغبونَ في الدَّعوَةِ الوَليديَّةِ الأُمويَّةِ ، وأطْمَعُوهُ بكلِّ ما أوهموهُ به أنَّهم صادقونَ ، ولهُ مُناصحونَ ، فلمّا وَثِقَ بما قالوه ، وخَفِيَ عليهِ ما احتالوهُ ، زحَفَ بعساكرِهِ حتى نَزَلَ بريسم [2] - على ثلاثَةِ فراسخَ من مصرَ - فخرجَتْ إليهِ العساكرُ الحاكميَّةُ ، فَهَزَمَتْهُ ، فتحقَّقَ أنَّها كانَت خَديعَةً ، فهربَ ، وقُتلَ خَلْقٌ كثيرٌ من عَسكرِهِ ، وطُلبَ فأُخِذَ أسيرًا ، ودُخلَ به القاهرَةَ على جَمَلٍ مَشهورٍ ، ثمَّ أمَرَ الحاكمُ بقتلِهِ بعدَ ما أُحْضِرَ بينَ يديهِ مغلولًا بِغُلٍّ من حديدٍ ، وذلك في رَجَبِ سنَةَ سبعٍ وتِسعين وثلاثِ مائةٍ .

وكانَ مَبدأُ خُروجهِ في رَجَب سنَةَ خَمسٍ وتسعينَ ، فظهَرَ كَذِبُ المُنجِّمينَ .

وكانَ هذا الفِكريُّ قَد استَولى على الحاكمِ ، فإنَّهُ اتَّفَقتْ لهُ معهُ قضيَّتانِ أَمالَتَاهُ إليهِ :

إحداهما : أنَّ الحاكمَ عَزَمَ على إرسالِ أُسطولٍ إلى مدينَةِ صُورَ

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١١ / ٣٣٧) لمعرفة خبرِهِ .

(٢) كذا في « الأَصل » ، وفي « المطبوع » : « موسيم » ! ولم أَرهما في « معجم البلدان » .

لمحاربتهم ، فسألهُ الفِكريُّ أنْ يكونَ تَدبيرُهُ إليهِ ليخرجَهُ في طالعٍ يختارُهُ ، وتكونُ العهدَةُ إنْ لم يظفرْ عليهِ ، واتَّفَقَ ظهورُ الأسطولِ .

الثَّانيَة : أنَّهُ ذكرَ أنَّ بساحلِ بِرْكَةِ رُميسَ مَسجدًا قديمًا ، وأنَّ تحتَهُ كنزًا عظيمًا ، وسألَهُ أن يتولَّى هو هَدْمَهُ ، فإن ظهَرَ الكنزُ وإلّا بناه هو من مالِه وأَوْدَعَهُ السِّجنَ ، فاتَّفَقَ إصابَةُ الكنزِ ، فطاشَ المَغرورُ بذلكَ ، فلمَّا حكمَ عليهِ الفِكريُّ بتغيير دولتِهِ ، وقَضى المُنَجِّمونَ بمثلِ قضائهِ ، فوقعَ للحاكمِ أن يُغيِّرَ أوضاعَ المملكَةِ والدَّولَةِ ، ليكونَ ذلكَ هو مُقتَضى الحُكْمِ النُّجوميّ ، فصارَ يأْمُرُ في يومِهِ بخلافِ كلِّ ما يأمرُ بهِ في أَمْسِهِ ؛ فأمَرَ بسبِّ الصَّحابَةِ رضوانُ اللَّهِ عليهم على رؤوسِ المنابرِ والمساجدِ ، ثمَّ أمَرَ بِقَطْعِ سَبِّهم وعُقوبَةِ مَن سبَّهُم ، وأمَرَ بقطعِ شجرَةِ الزَّرَجُون [1] منَ الأرضِ ، وأوجبَ القتلَ على مَن شربَ الخمرَ ، ثمَّ أمَرَ بغَرْسِ هذه الشجرةِ ، وأباحَ شُربَ الخمرِ ! وأهملَ النَّاسَ ؛ فنُهِبَ الجانبُ الغربيُّ من القاهرَةِ ، وقُتلت فيهِ جماعَةٌ ، ثمَّ ضَبَطَ الأمرَ حتى أَمَرَ أنَّ لا تُغلقَ الحوانيتُ ليلًا ولا نهارًا ، وأمَرَ مُناديَهُ ينادي : مَن عُدِمَ لهُ ما يُساوي درهمًا أخَذَ من بيتِ المالِ عنهُ درهمين ، بعدَ أن يحلفَ على ما عَدِمَهُ أو يَعْضُدَهُ شهادَةُ رجلينِ ، حتّى تحيَّلَ النَّاسُ في سَتْرِ حوانيتهم بالجَرِيدِ لئلّا تدخُلَها الكلابُ ، ثمَّ عَمَدَ إلى كلِّ مُتَوَلٍّ في دولتِهِ ولايَةً فَعَزَلَهُ ، وقتلَ وزيرَهُ الحسَنَ بن عمادٍ ، كلُّ ذلكَ ليكونَ قولُ أهلِ التّنجيم أنَّ دولتَهُ تتغيَّرُ واقعًا على هذا الضَّرْبِ منَ التَّغييرِ ! فلمّا كانَ مِن أمرِ أبي رَكوَةَ ما تَقدَّمَ ذِكْرُهُ ، ساءَ ظنُّهُ بعلمِ النِّجامَةِ ، فأمَرَ بقتلِ مِنجِّمهِ الفِكريِّ ، وأطلقَ في المُنجِّمينَ العَيْبَ والذَّمَّ ، وكانَ قَد جَمَعَ بينَ المُنجِّمينَ

---

(١) قال في « المعجم الوجيز » (ص ٢٨٧) : « قُضبان الكَرْم ، الواحدة زَرجونة » .

بالدِّيارِ المِصريَّةِ ، واستدعى غَيْرَهم ، وأمَرَهم أَنْ يرصُدوا لهُ رَصَدًا يَعْتَمِدُ عليهِ ، فصارت الطَّوائفُ النُّجوميَّةُ إلى هذا الرَّصَدِ يتحاكمونَ ، وإنْ تضمَّنَ بعضَ خلافِ الرَّصدِ المأمونيِّ وَوَضعوا لهُ الزِّيجَ [١] المُسمَّى بالحاكميِّ ، وكانَ هذا الفكريُّ قَدْ أخَذَ علمَ النِّجامَةِ عمَّن أخَذَهُ عن العاصميّ ، فسيَّرَ أوقاتَ الحاكمِ وساعاتِهِ ، ووافقهُ على ذلكَ المُنجِّمونَ ، فلما قَتَلَهُ لم يَزُلْ أثرُ التَّنجيمِ عن نَفسهِ لِتشوُّفِ النَّفسِ على التَّطلُّعِ إلى الحوادثِ قبلَ وُقوعِها .

وكانَ - بعدُ - يتولَّعُ بهذا العلمِ ، ويجمعُ أصحابَهُ ، فحكموا لهُ في جُملَةِ أحكامِهم برُكوبِ الحمارِ على كلِّ حالٍ ، وألزموهُ أنْ يتعاهَدَ الجبَلَ المُقطَّمَ في أكثرِ الأيَّامِ ، وينفردَ وحدَهُ بخطابِ زُحَل بما علَّموهُ إيَّاهُ منَ الكلامِ ! ويتعاهَدَ فِعْلَ ما وَضَعُوهُ لهُ منَ البُخُوراتِ والأَعْزامِ [٢] ، وحكموا بأنَّهُ ما دامَ على ذلكَ - وهو يركبُ الحمارَ - فهو سالمُ النَّفْسِ عن كُلِّ إيذاءٍ ، فَلزِمَ ما أشاروا بِهِ عليهِ .

وأَذِنَ اللَّهُ العزيزُ العليمُ - ربُّ الكواكبِ ومُسخِّرُها - ومُدبِّرها أنَّ هلاكَهُ كانَ في ذلكَ الجَبَلِ على ذلكَ الحمارِ ، فإنَّهُ خَرَجَ بحمارِهِ إلى ذلكَ الجَبَلِ على عادتِهِ وانْفَرَدَ بنَفْسهِ مُنْقطِعًا عن موكبِهِ ، وقَد استعدَّ لهُ قومٌ بسكاكينَ تَقْطُرُ منها المنايا، فقطَّعوهُ هنالكَ للوَقْتِ والحينِ ، ثمَّ أعْدَمُوا جُثَّتَهُ ، فلم يُعلم لها خَبَرٌ !

فَمِنْ هذا يقولُ أتْباعُهُ الملاحدَةُ : إنَّهُ غائبٌ مُنْتَظَرٌ !!

---

(١) انظر ما تقدّم (ص ٥١) .

(٢) هي تعاويذُ خرافيّة ورُقى ضلاليّة .

وأظهَرت قُدرَةُ الرَّبِّ القاهرِ - تباركَ اسمهُ وتعالى جدُّهُ (١) -تكذيبَ قولِ تلكَ الطَّائفَةِ المُفترينَ ، ووقوعَ الأمرِ بضدِّ ما حكموا بِهِ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بيِّنَةٍ ويَحْيَى مَنْ حَيَّ عن بيِّنَةٍ وإنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عليمٌ ﴾ [الأنفال : ٤٢] فظهَرَ مِن كَذِبِهم وجهلِهم بتغييرِ دولتِهِ في خُروجِ أبي ركوَةَ وفي هذا الحينِ ، فهذا في مبدئها ، وهذا في ختامها !

فهل بعدَ ذلكَ وُثوقٌ للعاقلِ بالنُّجومِ وأحكامها ؟ كلّا لَعَمْرُ اللَّهِ ، ليسَ بها وُثوقٌ وإنَّما غايَةُ أهلِها الاعتمادُ على رازقٍ ومَرزوقٍ !

فأمَّا إصابَةُ الفِكريِّ بظَفَرِ الأسطولِ فإنَّما كانَ بِتَحَيُّلٍ دَبَّرَهُ على أهلِ صورَ لا بالطَّالعِ ، فكانَت الغَلَبَةُ لهُ عليهم بالتَّحيُّلِ الذي دبَّرهُ ساعَةَ القتالِ ، لا بما ذَكَرَهُ من حكمِ الطَّالعِ قبلَ تلكَ الحالِ ، وأمَّا إصابَةُ الكنزِ فليسَ منَ النُّجومِ في شيءٍ ، ومعرفَةُ مواضعِ الكُنوزِ علمٌ مُتَداولٌ بينَ النَّاسِ (٢) ، وفيهِ كُتُبٌ مُصنَّفَةٌ مَعروفَةٌ بأيدي أربابِ هذا الفنِّ ، وفيها خَطَأٌ كثيرٌ ، وصوابٌ قَد دلَّ الواقعُ عليهِ .

ومن ذلكَ اتِّفاقُهم سنَةَ اثنتين وثمانين وخمسِ مئةٍ على خُروجِ ريحٍ سَوداءَ تكونُ في سائرِ أقطارِ الأرضِ عامَّةً ، فَتُهْلِكُ كُلَّ مَنْ على ظهرها إلّا مَن اتَّخذَ لنَفسهِ مغارَةً في الجبالِ ، بسببِ أنَّ الكواكبَ كانَت - بِزعمِهم - اجتمعتْ في برجِ الميزان ، وهو بُرْجٌ هوائيٌّ لا يختلفُ فيه منهم اثنانِ ، كما اجتمعت في بُرجِ الحوتِ زَمَن نوحٍ ، وهو عندهم برجٌ مائيٌّ ، فحصَلَ الطُّوفانُ المائيُّ ! قالوا : وكذا اجتماعُها في البُرجِ الميزاني يُوْجِبُ طُوفانًا هوائيًا ، ودخَلَ ذلكَ في قلوبِ

---

(١) أَي : عظَمتُهُ .

(٢) إنْ كانَ خُلْوًا من الكهانة ، واستخدام الجنّ ، وطرائق الشعوذة .

الرِّعاع منَ النَّاس ، فاتَّخذوا المغاراتِ استدفاعًا لِمَا أنْذَرَهُم بِهِ الكذَّابون منَ الناسِ ، فأَذِنَ اللَّهُ ربُّ العالمين مُسَخِّرُ الرِّياحِ ومدبِّرُ الكواكبِ أَنّه لمَّا كانَ ذلكَ الوقتُ الذي حَدُّوه ، والأجلُ الذي عَدُّوهُ ، قلَّ هُبوبُ الرِّياحِ عن عادتِها ، حتى أهمَّ النَّاسَ ذلكَ ، ورأوا منَ الكَرْبِ بقلَّةِ هُبوبِ الرِّياحِ ما هو خِلافُ المعتادِ ، فظهَرَ كذبُهم للخاصِّ والعامِّ ، وكانوا قَد دبَّروا في قِصَّةِ هذه الرِّيحِ التي ذكروها بأنْ عَزَوْها إلى عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، وضمَّنوها جُزءً بمضمونِ هذه الرِّيحِ ، وذكروا قصَّةً طويلَةً .. في آخرها أنَّ الرَّاوي عن عليّ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال لهُ : لَقَد صَدَقني المُنجِّمونَ فيما حكَيتُ عنكَ ، وقالوا : إنَّهُ تجتمعُ الكواكبُ في بُرجِ الميزان كما اجتمعت في بُرجِ الحوتِ على عَهدِ نُوحٍ وأحدثَت الغرَقَ ، فقلتُ لهُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، كم تُقيمُ هذه الرِّيحُ على وجهِ الأرضِ ؟ قال : ثلاثَةُ أيَّامٍ ولياليها ، وتكونُ قوَّتها مِن نصفِ الليلِ إلى نصفِ النَّهارِ مِن اليومِ الثَّاني !

وانظُرْ إلى اتِّفاقِهم على أنَّ الكواكبَ إذا اجتمعَتْ في بُرجِ الميزان حصلَ هذا الطُّوفانُ الهوائيُّ ، واتِّفاقِهم على اجتماعِها فيهِ في ذلكَ الوقتِ ولم يَقَعْ ذلكَ الطُّوفان !!

ومن ذلكَ اتِّفاقُهم في الدَّولَةِ الصَّلاحيَّةِ (١) بحُكمِ زُحَل والدَّالي (٢) أنَّ مدينَةَ الإسكندريَّة لا يموتُ فيها من الغُزِّ(٣) والٍ ، فلمَّا ماتَ بها الملكُ المعظَّمُ شمسُ الدَّولَةِ تُوران شاه بنُ أيُّوبَ بن شاذِي سنَةَ خمسٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ،

(١) نسبة إلى صلاح الدين الأيُّوبيّ .
(٢) يظهرُ أنَّه اسمٌ لأحد الكواكبِ ، واللهُ أعلمُ .
(٣) التُّرك .

ثمَّ واليها فَخْرُ الدِّين قَرَاجا بنُ عبدِاللَّهِ سنَةَ تسعٍ وثمانين ، ثمَّ واليها سعدُالدِّين سُودَكِين ابنُ عبدِاللَّهِ سنَةَ خمسٍ وستٍّ مئةٍ انْخرَمَتْ هذه القاعدَةُ أصلًا ، وبَطَلَ قولُهم فرعًا وأصلًا ، حتى قال بعضُ شعراءِ ذلكَ العَصرِ عندَ موتِ الأميرِ فخرِ الدِّين :

وَقَضى كُلُوحُ الثَّغرِ عندَ مماتِهِ　　أنَّ المُنجِّمَ كاذبٌ لا يَصْدُقُ
لو كانَ فيهِ لا يَمُوتُ مُؤَمَّرٌ　　أودى وفَخْرُ الدِّينِ حيٌّ يُرْزَقُ

ومن ذلكَ اجتماعهم في سنةِ خمسَ عَشرةَ وستٍّ مئةٍ لمّا نَزَلَ الفِرِنْجُ على دِمياطَ ، على أنَّهم لا بدَّ أن يَغْلِبُوا على البلادِ ، فيتملَّكوا ما بأرضِ مصرَ من رقابِ العبادِ ، وأنَّهم لا تدورُ عليهم الدَّائرَةُ إلّا إذا قامَ قائمُ الزَّمانِ ، وظهرَ براياتِهِ الخافقَةِ ذلكَ الأوانَ ! فكذَّبَ اللَّهُ ظنونَهم ، وأتى مِن لُطفِهِ الخفيِّ ما لم يكُن في حسابٍ ، وَرَدَّ الفِرِنْجَ - بعدَ القتلِ الذَّريعِ فيهم والأسْرِ - على العِقابِ .

وكانَ المنجِّمونَ قَد أجْمَعوا في أمرِ هذه الواقعَةِ على نَحوِ ما أجْمَعَ عليهِ مَنْ قبلَهُم في شأنِ عمُّورية ، واتَّفَقَ أنْ كانَ مبدأُ هذا الفتحِ في سابعِ رجبٍ سنَةَ ثمانَ عَشرَةَ وستّ مئةٍ ، ومبدأُ ذلكَ الفتحِ في سابعِ رجبٍ أيضًا سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ ومِئتَيْنِ .

قال الفاضلُ العلَّامَةُ محمَّدُ بن عبدِاللَّهِ بن محمودِ الحُسَيني (١) : ولمَّا كذَّبَ اللَّهُ هؤلاءِ القومَ فيما ادَّعوهُ نَسَجَتُ على منوالِ أبي تمَّامٍ في قصيدتهِ البائيَّةِ المكسورَةِ ، فعملتُ بائيَّةً مَفتوحَةً وهي :

---

(١) تُوفّيَ سنةَ (٦٣١ هـ) ، ترجمه الذهبيُّ في « تاريخ الإِسلامِ » (٤ / ط ٦٣ - طبع الرسالة) والمنذريُّ في « التكملة » (٣ / رقم ٢٥٣٠) .

الحمدُ للَّهِ حَمْدًا يبلغُ الأربا ... نَقْضي بهِ من حُقوقِ اللَّهِ ما وجبا
حَمْدًا يَزيدُ إذا النُّعمى تَزيدُ بهِ ... أُخراهُ أُولاهُ تُعطي ضِعْفَ ما وَهَبا
لا يَيْأسُ المرءُ مِن رُوحِ الإلهِ فكم ... مَنْ رَاحَ في مُسْتَهَلٍّ كانَ قَد صَعُبا
فكم مَشى بكَ مكروهٌ رَكَضْتَ بهِ ... مِن غيرِ علمٍ إلى ما تَشتهي خَبَبًا
وكم تَقَطَّعَ دونَ المُشتَهىٰ سَبَبٌ ... وكانَ مِنكَ لأعلى المُنتهىٰ سببا
لا يَنبغي لكَ في مكروهِ حادثَةٍ ... أنْ تَبتَغي لكَ في غيرِ الرِّضا طَلَبا
للَّهِ في الخَلْقِ تَدبيرٌ يَفُوتُ مَدى ... أسرارِ حكمتهِ أحكامَ مَنْ حَسَبا
ابْغِ النَّجاةَ إذا ما ذو النِّجامَةِ في ... زُورٍ منَ القولِ يَقْضي كلَّ ما قَرُبا
وذو الأراجيزِ ممَّا قَد يقولُ فَدَعْ ... فما أراجيزُ شيءٍ كانَ قَد كُتِبا
ما كانَ للَّهِ في ديوانِ قُدرتهِ ... من كاتبٍ بِحُدُوسِ الظَّنِّ إذ كَتَبا
لا يعلمُ الغيبَ إلّا اللَّهُ خالقُنا ... لا عالمٌ غيْرَهُ عُجمًا ولا عَرَبا
لا شيءَ أجهَلُ ممَّن يَدَّعي ثقَةً ... بحَدْسهِ وتَرى فيما يَرى رِيَبا
قَد يجهَلُ المَرءُ ما في بيتهِ نَظَرًا ... فكيفَ عنهُ بما في غَيْبِهِ احْتَجَبا
قَد كذَّبَ اللَّهُ قولَ القائلينَ غَدًا ... إذا أتى رَجَبٌ لم تَحْمَدُوا رَجَبا
قالوا يُرى عَجَبٌ فيهِ فَقُلْتُ لهم ... بالنَّصرِ بَعدَ إياسٍ تُبْصِرُوا عَجَبا
في مُنقضى السَّبعَةِ الأيَّامِ منهُ أتى ... ما يأتِ في مُقْتضاهُ السَّبعَةُ الشُّهُبا
وأَعْتَمَت فيهِ عُوَاءُ النُجومِ على ... عُواءِ ذِئبٍ منَ الكُفَّارِ قَد حَرَبا
والشِّعْرِيانِ (١) فكلٌّ منهما شَعَرَتْ ... بأنَّ للحقِّ فيهم سَيْفَ مَن غَلَبا

---

(١) قال في « القاموس » (ص ٥٣٤) : « الشِّعْرى : العَبُور ، و الشِّعْرى : الغُمَيْصاء ؛ أُختا سُهَيل » .

وهي نجومٌ معروفةٌ ، وانظُرْ « جَنَى الجنَّتين » (ص ٦٦) للمُحبِّي .

وَصَحَّ عن قَمَرِ الأفلاكِ أَنَّهُمُ ... ما فِيهم غيرُ مَقْهورٍ وقَد نَشَبا
غِطاؤهم رُدَّ في وَجْهَيْ عُطارِدِهم ... إلى الذي مِنْهُمُ ما شاءَ قَد سَلَبا
وَقَد بَدَت زَهرَةُ الإسلامِ زاهرَةً ... قَد أظلمَت فوقَهم مِن دونها سُحُبا
وأَجْمَلَت حُمْرَةُ المرِّيخِ حُكْمَهُمُ ... فَفُسِّرَتْ بدم فيهم لمن خَضَبا
ولم يَكُ المُشتري تَقْضي سعادتُه ... إلّا إلى المُشتري نَفْسًا بما طَلَبا
وقبلَ مُنقلبِ الأَبراجِ ذو قُدُسٍ(١) ... فعادَ منهُ فَباتَ النَّفْعُ مُنْقَلِبا
كم حاملٍ ثائرٍ في الثَّورِ أَو حَمَلٍ ... أَجازَ فِيهِمْ على جَوزائهم حَرَبا
ولم يَدُرْ فَلَكٌ إلّا لذي مَلِكٍ ... يَديرُ جيشًا عليهم عَسْكرًا نُجُبا
حتّى غدا ثَغْرُ دِمياطٍ وقد حَكَمُوا ... أنْ لا يُرى باسمًا مُستجمعًا شُنُبا
يَفْتَرُّ عن صُبحِ إيمانٍ به جَذِلًا ... وكانَ في ليلِ كُفرٍ باتَ مُكتئبا
ومدَّ كفًّا له التَّوحيدُ فانقبضتْ ... رِجْلٌ مِن الشركِ في تأخيره هَرَبا
وتلكَ حَرْبُ صليبٍ عودُها فقَضَتْ ... أَنْ لا يعودَ صليبٌ بعدُ مُنتصِبا
وأَطْلَقَ القولَ بالتأذين إذ خَرِسَتْ ... له نواقيسُ جَرْجيسٍ فما احْتَسَبا

وممَّا اتَّفَقَ عليهِ المُنجِّمونَ أنَّ الإنسانَ إذا أرادَ أن يستجيبَ اللَّهُ دعاءَهُ جعَلَ الرَّأسَ في وَسَطِ السَّماءِ معَ المُشتري وينتَظرُ منهُ القَبُول ، والقَمَرَ متَّصلًا بهِ أو مُنصرفًا عنهُ يتَّصلُ بصاحبِ الطَّالعِ ، أو صاحبَ الطَّالعِ متَّصلًا بالمُشتري ناظرًا إلى الرَّأسِ نظرَةَ مودَّةٍ ! فهنالكَ لا يَشُكُّونَ أنَّ الإجابَةَ حاصلَةٌ !!

قالوا : وكانَت مُلوكُ اليونان يَلْزَمونَ ذلكَ ، فَيَحْمَدُونَ عُقباه !

والعاقلُ إذا تأمَّلَ هذا الهَذَيانَ لم يَحْتَجْ في علمِهِ ببطلانِهِ ومُحالِهِ إلى فكرٍ

---

(١) كذا « المخطوطة » ، وفي « المطبوعة » : « قدر » .

ونظرٍ ، فإنَّ ربَّ السَّمواتِ والأرضِ سبحانهُ لا يتأثَّرُ بحَرَكاتِ النُّجومِ ، بل يتقدَّسُ ويتعالى عن ذلكَ .

فيا لَلْعُقولِ التي أضحكَت عليها العقلاءَ منَ المؤمنين والكفَّارِ ! ما هذه الاتِّصالاتُ حتى تكونَ على وُجوبِ إجابَةِ اللَّهِ من أقوى الدَّلالاتِ !؟

وممَّا عليهِ المُنجِّمونَ مُتَّفقون - أو كالمُتَّفقِين - أنَّ الخَبَرَ إذا وَرَدَ في وقتٍ - أو ما دَنَا مِن الوجودِ - والقمرُ وعُطاردُ في بُروجٍ ثوابتَ ، والقمرُ منصرفٌ عن السُّعودِ ، فالخبر ليسَ بباطلٍ !

والباطلُ مثلُ هذا ؛ فإنَّهُ يَلْزَمُهم أنَّ مَن وضعَ خبرًا باطلًا في ذلكَ الوَقتِ أنَّ الطَّالعَ المذكورَ يُصَحِّحهُ ، أو يقولوا : لا يُمكنُ أحدًا أن يَكْذِبَ في ذلكَ الوقتِ !

وقَد أورَدَ أبو مَعْشرٍ المنجِّم هذا السُّؤالَ في كتابِ « الأسرار » لهُ ، وأجابَ عنهُ : أنَّ الأخبارَ تختلفُ ، فإنْ وردَ خبرٌ مكروهٌ من أسبابِ الشرِّ والجَورِ والأفعالِ المنسوبَةِ إلى طبائعِ النُّحُوسِ ، والطَّالعُ في القمرِ منصرفٌ عن سَعْدٍ ، فالخبرُ باطلٌ ، وإنْ وردَ خبرٌ محبوبٌ ومن أسبابِ الخيرِ والعَدْلِ والأفعالِ المنسوبَةِ إلى طبائعِ السُّعودِ ، وفي الطَّالع سعدٌ ، والقمرُ منصرفٌ عن سعدٍ ، فالخبرُ حقٌّ !

قال : وزُحَلُ لا يَدُلُّ في كلِّ حالٍ على الكذبِ ، بل يدُلُّ على وجودِ العوائقِ عمَّا يُوقعُ ذلكَ الخَبَرَ ، لكنَّ البلاءَ المريخُ أو الذَّنَبُ إذا استَوليا على الأوتادِ ، وعلى القمرِ أو عُطاردَ ؛ فإنَّهما يَدُلَّانِ على الكذبِ والبطلان !

ثمَّ قال : وعلى كُلِّ حالٍ ، فالقَمَرُ في العقربِ ، والبروجُ الكاذبَةُ تُنْذِرُ

بكذبٍ في نَفسِ الخبرِ ، أو زيادَةٍ أو نُقصانٍ ، وفي الحَمَلِ ، والبروجُ الصَّادقَةُ تدُلُّ على صدقٍ فيهِ واستواءٍ ، وفي السَّرطان ، والبروجُ المنقلبَةُ لا تدُلُّ على انقلابِ الخبرِ إلى باطلٍ ، ولكنَّهُ قَد ينقلبُ فيصيرُ أقوى ممَّا هوَ عليهِ الآنَ ، إلّا أن ينظرَ إليهِ نَحْسٌ فَيُفْسِدهُ ويُبطلهُ !

ثمَّ قال : واعرِفْ صِدْقَ الخبرِ من سَهْمِ الغيبِ إذا شكَكْتَ فيهِ ؛ فإنْ كانَ سليمًا منَ المرّيخِ والذَّنَبِ ، وينظرُ إليهِ صاحبُهُ - أو القمرُ أو الشمسُ - نَظَرَ صلاحٍ ، فهو حقٌّ !

هذا منتهى كلامِه في الجوابِ ، وهو - كما تراهُ - متضمِّنٌ أنَّ عندَ هذه الاتِّصالاتِ التي ذكرها يكونُ الخَبَرُ صحيحًا صدقًا ، وعندَ تلكَ الاتِّصالات الأُخَرِ تكونُ مُنْذِرةً بالكذبِ ! فَيُقالُ لهؤلاءِ الكذَّابين المُفترين المُلَبِّسين :

أيَستحيلُ عندكم - معاشرَ المنجِّمين - أن يضعَ أحدُكم خبرًا كاذبًا عندَ تلكَ الاتِّصالات ؟ أم ذلكَ واقعٌ في دائرَةِ الإمكانِ ؟ بل هو موجودٌ في الخارجِ ، وكذلكَ يستحيلُ أنْ يَصْدُقَ مُخْبِرٌ عندَ الاتِّصالاتِ الأُخَرِ أو يَبْعُدُ صدقُ العالمِ عندَها ، ويكونُ كذبُهم إذ ذاكَ أكثرَ منهُ في غيرِ ذلكَ الوقتِ !

وهل في الهَوَسِ أبلغُ من هذا ؟

ولو تتبَّعنا أحكامَهم وقضاياهُم الكاذبَةَ التي وقعَ الأمرُ بخلافها لَقامَ منها عدَّةُ أسفارٍ .

وأمَّا نَكَباتُ مَن تقيَّدَ بعلمِ أحكامِ النُّجومِ في أفعالِهِ وسفرِهِ ، ودخولِهِ البلدَ وخُروجِهِ منهُ ، واختيارِهِ الطَّالعَ لعمارَةِ الدَّارِ والبناءِ بالأهلِ ، وغيرِ ذلكَ ؛ فعندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ منهم عِبَرٌ يكفي العاقلَ بعضُها في تكذيبِ هؤلاءِ القومِ ومعرفتِهِ

لافترائهم على اللَّهِ ، وأقضيتهِ ، وأقدارِهِ ، بل لا يَكادُ يعرفُ أحدٌ تَقيَّدَ بالنُّجومِ في ما يأتيهِ ويَذَرُهُ إلّا نُكِبَ أقبحَ نكبَةٍ وأشنعَها ؛ مُقابلَةً لهُ بنقيضِ قَصدهِ ، وموافاة النُّحوسِ لهُ من حيثُ ظنَّ أنَّهُ يفوزُ بسَعدهِ !

فهذه سُنَّةُ اللَّهِ في عبادهِ الّتي لا تُبَدَّلُ ، وعادتُهُ التي لا تُحَوَّلُ أنَّ مَن اطمأنَّ إلى غيرهِ أو وَثِقَ بسواه ، أو رَكَنَ إلى مخلوقٍ يُدَبِّرُهُ : أجرى اللَّهُ له بسببهِ أو من جهتهِ خلافَ ما علَّقَ بهِ آمالهُ .

وانظُرْ ما كانَ أقوى تعلُّقِ بني بَرْمَكَ (١) بالنُّجومِ حتى في ساعاتِ أكلهم وركوبهم وعامَّةِ أفعالهم ، وكيفَ كانَت نكبتُهم الشنيعَةُ !

وانظر حالَ أبي مُقلَةَ الوَزيرِ ، وتَعظيمَه لِعلْمِ أحكامِ النُّجومِ ، ومراعاتهِ لها أشدَّ المراعاةِ ، ودخولَه دارًا بناها بطالعٍ زعمَ الكذَّابون المُفتَرونَ أنَّهُ طالعُ سَعْدٍ لا يَرى بهِ في الدَّارِ مكروهًا ! فقُطِعَتْ يدُهُ ، ونُكِبَ في دارِه أقبحَ نكبَةً نُكِبَها وزيرٌ قبلَهُ !

وقَتلى المُنجِّمينَ أكثرُ من أن يحْصِيَهم إلّا اللَّهُ عزَّ وجَلَّ .

الوجه التَّاسع عشرَ : إنَّ هؤلاءِ القَومَ قَد أقرُّوا على أنفسِهم - وشهادَة بعضهم على بَعضٍ - بفسادِ أُصولِ هذا العلمِ وأساسهِ ، فَقَد كانَ أوائلُهم منَ الأقدمين وكبارُ رُصَّادهم - من عَهدِ بَطْليموس وطِيُموحارِس ومانالاوِس - قَد حَكَمُوا في الكواكبِ الثَّابتَةِ بمقدارٍ ، واتَّفقوا أنَّهُ صحيحُ الاعتبارِ ، وأقامَ الأمرُ على ذلكَ فوقَ سبعِ مئَةِ عامٍ ، والنَّاسُ ليسَ بأيديهم سوى تَقليدِهم ، حتى كانَ في عَهدِ المأمونِ ، فاتَّفَقَ مِن رُصَّادهم وحُكَّامهم علماءُ الفريقين - مثلُ خالد

(١) هم البرامكة .

ابن عبدالملك المَروزيّ ، وحَسَنِ صاحبِ الزِّيجِ المأمونيِّ ، ومحمَّد بن الجَهْمِ ، ويَحيى بن أبي منصور - على أنَّهم امتَحنوا رَصْدَ الأوائلِ ، فوجدُوهم غالِطينَ فيما رَصَدُوهُ ، فرصدوا هم رَصْدًا لأنفسِهم ، وحرَّروهُ ، وسَمَّوْهُ الرَّصدَ المُمْتَحَنَ ، وجعلوهُ مبدأً ثانيًا بعدَ ذلكَ الزَّمنِ .

وكانَ لأوائلهم إجماعٌ على صحَّةِ رَصْدِهم ، ولهؤلاءِ إجماعٌ على خطأهم فيهِ ! فتضمَّنَ ذلكَ إجماعُ الأواخرِ على الأوائلِ أنَّهم كانوا غالطينَ وإقرارُ الأواخرِ على أنفسِهم أنَّهم كانوا بالعملِ به مُخطئينَ !

ثمَّ حدثت طائفَةٌ أُخرى منهم كبيرُهم وزعيمُهم أبو مَعْشَرٍ محمَّد بن جعفَر ، وكانَ بَعدَ الرَّصْدِ المُمْتَحَنِ بنحوٍ من ستِّينَ عامًا ، فرَدَّ عليهم ، وبيَّنَ خطأهم ، كما ذكرَ أبو سعيدِ بنُ شاذانَ بنِ بحرٍ المنجِّمُ في كتاب « أسرار النُّجوم » ، قال : قال أبو مَعْشَر : أخبَرني محمَّد بن موسى المنجِّمُ الجُلَيسُ - وليسَ بالخُوارِزمي - قال : حَدَّثني يَحيى بن أبي مَنصورٍ ، أو قالَ : حدَّثني محمَّد بن محمَّد الجُلَيس قال: دخَلتُ عل المأمونِ وعندَهُ جماعَةُ المُنجِّمينَ ، وعندَهُ رجلٌ قَد تنبَّأ ، وقَد دعا القُضاةَ والفُقهاءَ ولم يَحْضُروا بعدُ ، ونحنُ لا نعلمُ ، فقال لي ولِمَن حَضَرَ منَ المُنجِّمينَ : اذهَبوا فخُذوا الطَّالِعَ لدَعوى رجلٍ في شيءٍ يدَّعيهِ ، وعرِّفوني بما يدلُّهُ عليهِ الفلكُ من صدقهِ وكذبهِ ، ولم يُعْلِمْنا المأمونُ أنَّهُ مُتَنَبِّئٌ ، فجئْنا إلى ناحيَةٍ منَ القَصْرِ ، وأحْكَمْنا أمرَ الطَّالِعِ ، وصوَّرْناهُ فوقعَ الشمسُ والقمرُ في دقيقَةِ الطَّالعِ ، والطَّالعُ الجَدْيُ ، والمُشتري في السُّنْبُلة ينظرُ إليهِ ، والزُّهرَةُ وعطاردُ في العقرب ينظُرانِ إليهِ ، فقال كلُّ مَن حَضَرَ منَ المنجِّمينَ : هذا الرَّجلُ صحيحٌ لا كذبَ فيهِ ، قال يحيى :

وأنا ساكتٌ ، فقال لي المأمونُ : قُل : فقلتُ : هو في طلبِ تَصْحيحهِ ولهُ حُجَّةٌ زُهَرِيَّةٌ وعُطارديَّةٌ ، وتَصحيحُ ما يدَّعيهِ لا يتمُّ لهُ ، فقال : مِن أينَ قلتَ ؟ فقلت : لأنَّ صحَّةَ الدَّعاوىٰ منَ المُشتري ، وهو ينظرُ إليهِ زُحل مُوافَقَةً ، إلّا أنَّهُ كارةٌ لهذا البُرجِ ، ولا يتمُّ لهُ التَّصديقُ ولا التَّصحيحُ ، والذي قالوهُ إنَّما هو مِن حُجَّةٍ عُطارديَّةٍ وزُهَرِيَّةٍ ، وذلكَ يكونُ من جنسِ التَّحسينِ والتَّزويقِ والخِداعِ عن غيرِ حقيقَةٍ ، فقال : للَّهِ دَرُّكَ ، ثمَّ قال : تَدرون ما يدَّعي هذا الرَّجل ؟ قلنا : لا ، قال : هذا يدَّعي النُّبوَّةَ ، فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ومعهُ شيءٌ يحتجُّ بهِ ؟ فسألهُ فقال : نعم ؛ معي خاتمٌ ذو فصَّينِ ، ألبسُهُ فلا يتغيَّر منِّي شيءٌ ، ويلبسهُ غيري فلا يتمالكُ منَ الضَّحكِ حتى ينزعَهُ ، ومعي قَلَمٌ شامِيٌّ أكتبُ بهِ ، ويأخذُهُ غيري فلا تنطلقُ أصبعُهُ بهِ ، فقلتُ : يا سيِّدي هذا عُطارِدُ والزُّهَرةُ قَد عَمِلا عَمَلَهما ، فأَمَرَهُ أميرُ المؤمنين ، فأظهَرَ ما ادَّعاهُ منهما ، وكانَ ذلكَ ضربٌ [1] منَ الطِّلْمَساتِ ، فما زالَ بهِ المأمونُ أيَّامًا كثيرةً حتى أقرَّ وتبرَّأَ من دَعوى النُّبوَّةِ ، ووَصفَ الحيلَةَ التي احتالَها في الخاتمِ والقلمِ ، فوَهَبَ لهُ المأمونُ ألفَ دينارٍ ، وصَرَفَهُ ، فلقيناهُ بعدَ ذلكَ فإذا هو أعلمُ النَّاسِ بعلمِ النُّجومِ ، ومن أكبرِ أصحابِ عبداللَّهِ القُشَيري وهو الذي عملَ طَلْسَمَ الخنافس في دُورِ بَغدادَ !

قال أبو مَعْشَر : لو كنتُ في القومِ ذكرتُ أشياءَ خَفِيَتْ عليهم ؛ وكنتُ أقولُ : الدَّعوى باطلةٌ مِن أصلِها ، إذ البرجُ مُنقلِبٌ وهو الجَدْيُ ، والمُشتري في الوَبالِ ، والقمرُ في المُحاقِ ، والكوكبانِ النَّاظرانِ إلى الطَّالعِ في بُرجٍ كذَّابٍ - وهو العقرب - .

---

(١) الجادّة: « ضربًا » .

فتأمَّلْ كيفَ اختلفَتْ أحكامُهم مع اتِّحادِ الطَّالعِ ، وكلٌّ منهم يُمْكِنُهُ تَصحيحُ حُكْمِهِ بشُبهَةٍ من جنسِ شُبهَةِ الآخَرِ ، فلو اتَّفقَ أنِ ادَّعى رجلٌ صادقٌ - في ذلكَ الوَقتِ والطَّالعِ - دَعوى ، ألَمْ يكُن ادِّعاؤُهُ مُمْكنًا غيرَ مُستحيلٍ ، ودعواه صحيحةً في نَفسِها ؟ أتقولونَ : إنَّهُ لا يُمكنُ أن يدَّعي أحدٌ في ذلكَ الوَقتِ والطَّالعِ دَعوى صحيحةً البتَّةُ ، ومنَ المعلومِ لجميعِ العقلاءِ أنَّهُ يمكنُ إذ ذاكَ [وجودُ] دَعوتينِ من رجلٍ مُحِقٍّ ومُبطلٍ بذلكَ الطَّالعِ بعينِهِ !

فما أسخَفَ عقلَ مَن ارتَبَطَ بهذا الهَذَيان ! وبنى عليهِ جميعَ حوادثِ الزَّمانِ ! وليسَ بيدِ القَومِ إلّا ما اعتَرَفَ به فاضلُهم وزعيمُهم أبو مَعْشَرٍ .

وقال شاذانُ في الكتابِ المَذكورِ أيضًا : قلتُ لأبي مَعْشَرٍ : الذَّنَبُ باردٌ يابسٌ ، فلمَ قُلتم : إنَّهُ يدلُّ على التَّأنيثِ ؟ فقال : هكذا قالوا : قلتُ : فَقَد قالوا : إنَّهُ ليسَ بصادقِ اليُبْسِ ، لكنَّهُ باردٌ ، فنَظَرَ لي فقال : كلُّ الأعْراضِ الغائبَةِ تَوَهُّمٌ ، لا يكونُ شيءٌ منها يقينًا ، وإنَّما يكونُ توهُّمٌ أقوى من توهُّمٍ .

ومَنْ تأمَّل أحوالَ القَومِ علمَ أنَّ ما مَعَهم إلّا زَرْقٌ [1] وتفرُّسٌ يُصِيبونَ معها ويخطئونَ .

قال شاذانُ في كتابِهِ المَذكورِ : كانَ الرَّازيُّ - الثَّنَويُّ الذي بالهندِ - يُكاتبُ أبا المَعْشَر ويُهاديهِ ، فَأَنْفَذَ لأبي معشرٍ مولدًا لابنِ مَلِكِ سَرَنْدِيبَ[2] طالِعُهُ

---

(١) هو التَّحدِيقُ وإحدادُ النَّظَر وشِدَّتُه ، يقال : زَرَقَه بعَيْنِه وببَصَرِه زَرْقاً : أَحَدَّهُ نحوَه ورماهُ به .

ويحتملُ أن يكونَ بمعنى : الخِداعِ ، ومنه : رجلٌ زَرَّاقٌ : أي خَدَّاعٌ ، وانظر ما تقدّم (١ / ٥٢) ، وسيأتي (١٢٦) .

(٢) هي جزيرة سيلان المعروفة اليوم .

الجوزاءُ ، والشمسُ والقمرُ في الجديِ ، والقمرُ خارجٌ عن الشعاعِ ، وعُطاردٌ في الدَّلوِ ، والمُشتري في الحَمَلِ ، وزُحلُ في السَّرطان راجعٌ في بحران الرُّجوع ، فحكمَ لهُ أبو مَعْشَرٍ بأنَّهُ يعيشُ دورَ زُحَلَ الأوسطِ ، فقلتُ : سُبحانَ اللَّهِ جاءَهُ راجعٌ في بحرانِ الرُّجوعِ ، في بيتٍ ساقطٍ عن الأوتادِ ، لا يُعطيهِ إلّا دورَ الأصغَرِ ، ويحتاجُ أن يُسقِطَ منهُ الخمسينَ ، وجعلتُ أُنكِرُ عليهِ ذلكَ وأُخَوِّفه أنْ تسقُطَ منزلتُهُ عندَ أهلِ تلكَ البلادِ ...

إلى أنْ ذكرَ مُحاوَرَةً طويلَةً انتهَت بهما إلى أنَّ أبا مَعْشَرٍ أخَذَ ذلكَ من عاداتِ أهلِ الهندِ في طُولِ الأعمارِ !

وقال شاذانُ في مسألةٍ سُئلَ عنها : ما أنتُم إلّا زرَّاقينَ ! ثمَّ حَدَثَتْ بعدَ هؤلاءِ جماعَةٌ منهم أبو الحُسينِ عبدالرَّحمنِ بن عمر بن عبدٍ ، المعروفُ بالصُّوفيِّ ، وكانَ بعدَ أبي معشرٍ بنحوٍ مِن سبعينَ عامًا ، فَذَكَرَ أنَّهُ قد عَثَرَ مِن غَلَطِ الأواخرِ بعدَ الأوائلِ على أشياءَ كثيرَةٍ ، وصنَّفَ كتابًا في معرفَةِ الثَّوابتِ ، وحَمَلَهُ إلى عَضُد الدَّولَةِ بن بُوَيهِ ، فاسْتَحْسَنَهُ ، وأجزَلَ ثوابَهُ ، وبيَّنَ في هذا الكتابِ مِن أغاليطِ أتباعِ الرَّصَدِ الثَّاني أُمورًا كثيرةً لِعُطاردَ المُنجِّمِ ، ومحمَّد بن جابرِ البتَّاني ، وعليِّ بن عيسى الحَرَّاني ، فقال في مُقدِّمَةِ كتابهِ : ولمَّا رأيتُ هؤلاءِ القومَ - مع ذِكْرِهم في الآفاقِ ، وتقدُّمِهم في الصِّناعَةِ ، واقتداءِ النَّاسِ بهم ، واشتغالهم بمؤلفاتهم - قَد تَبعَ كلُّ واحدٍ منهم مَنْ تَقدَّمَهُ من غيرِ تأمُّلٍ لخطئهِ وصوابهِ بالعيانِ والنَّظرِ ، وأوْهَمُوا النَّاسَ بالرَّصَدِ ، حتى ظَنَّ كلُّ مَن نظرَ في مؤلَّفاتهم أنَّ ذلكَ عن معرفَةٍ بالكواكبِ ومواضعِها ...

إلى أنْ قال : ومُعَوَّلُهم على آلاتٍ مُصَوَّرةٍ مِنْ عملِ مَن لا يعرفُ الكواكبَ

بأعيانِها ، وإنَّما عوَّلوا على ما وَجَدُوهُ في الكُتُبِ من أطوالِها وعروضِها ، فَرَسَمُوها في الكُرَةِ من غيرِ معرفَةِ خطئها وصوابها ...

ثمَّ قال : وزادوا أيضًا على أطوالِ الكواكبِ أطوالًا كثيرَةً ، وعلى عُروضِها دقائقَ يسيرَةً ، ونَقصوا منها ، أوهموا بذلكَ أنَّهم رَصَدُوا الكُلَّ ، وأنَّهم وجدوا بينَ أرصادِهم وأوضاعِ بَطْلِيموس منَ الخلافِ في أطوالِها وعُروضِها القَدْرَ الذي خالَفُوا بِهِ ، سوى الزِّيادَةِ التي وَجَدوها مِن حَرَكاتِها في المُدَّةِ التي بينهم وبينه مِنَ السِّنينَ ، من غيرِ أنْ عَرَفُوا الكواكبَ بأعيانِها !

ولهُ تواليفُ أُخَرُ مشحونَةٌ ببيانِ أغاليطهم ، وإيضاحِ أكاذيبِهم وتخاليطِهم ، وشَهِدَ عليهم بأنَّهم تارَةً قلَّدوا في الأقوالِ النُّجوميَّةِ ، وتارَةً قلَّدوا فيما وَجَدُوهُ منَ الصُّوَرِ الكوكبيَّةِ ، فهم مُقلِّدونَ في القولِ والفعلِ ، ليسَ مع القومِ بصيرَةٌ .

وشَهِدَ عليهم بأنَّهم مُمَوِّهونَ مُدَلِّسونَ ، بل كاذبونَ مُفْتَرونَ ، من جهَةِ أنَّهم زادوا دقائقَ ما بينَ زمانِهم وزمانِ بَطْلِيمُوس ، وأوْهَموا بها أنَّهم رَصَدُوا ما رَصَدَهُ مَن قبلَهم ، فعَثَرُوا على ما لم يَعْثُروا عليهِ .

ثمَّ حَدَثَتْ جماعَةٌ أخرى ، منهم الكوشِيارُ بنُ ياسرِ بنِ الدَّيْلَمي ، ومن تآليفهِ « الزِّيجاتُ » و« الجامعُ » و« المُجْمَلُ في الأحكامِ » - وهو عندهم نهايَةٌ في الفنِّ - وكانَ بعد الصُّوفي بنحوِ ثلاثينَ عامًا ، وذكرَ في مُقدِّمَةِ كتابهِ « المُجمَل » : أنِّي جَمَعْتُ في هذا الكتابِ مِن أُصولِ صناعَةِ النُّجومِ والطَّريقِ إلى التَّصرُّف فيها ما ظَنَنتُهُ كافيًا في معناهُ ، مُغنيًا عمَّا سواهُ ، وأكثرُ الأمرِ فيما أخَذْتُ بِهِ أقربُ طريقٍ عَزَوْتُهُ إلى القياسِ ، وأوضحُ سبيلٍ سلكْتُهُ إلى الصَّوابِ ؛ إذ هي صناعَةٌ غيرُ مُبَرهنَةٍ ، وللخواطرِ والظُّنونِ مَجَالٌ بلا نهايَةِ صوابٍ

ومُحالٍ ..

إلى أنْ ذكرَ علمَ الأحكامِ ، فقال فيهِ : « ولا سبيلَ للبُرهانِ عليهِ ، ولا هوَ مُدْرَكٌ بِكُلِّيَّتِهِ نَعَم ، ولا بأكثرِهِ ؛ لأنَّ الشيءَ الذي يُستعملُ فيهِ هذا العلمُ أشخاصُ النَّاسِ ، وجميعُ ما دونَ الفَلَكِ القمريِّ مَطْبوعٌ على الانتقالِ والتَّغيُّرِ ، ولا يَثْبُتُ على حالٍ واحدَةٍ في أكثرِ الأمرِ ولا للإنسانِ بكاملِ القُوَّةِ منَ الحَدْسِ بخَواصِّ الأحوالِ التي تكونُ مِن امتزاجاتِ الكواكبِ ، فبَلَغَ منَ الصُّعوبَةِ وتعسُّر الوُقوفِ عليهِ إلى أنْ دَفَعَهُ بعضُ النَّاسِ ، وظنُّوا أنَّهُ شيءٌ لا يُدْرِكهُ أحدٌ البتَّةَ » .

« وأكثرُ المُنْفَرِدينَ بالعلمِ الأوَّلِ - يعني علمَ الهَيئةِ [١] - يُنكرونَ هذا العلمَ ، ويجحدونَ منفعتَهُ ، ويقولونَ : هو شيءٌ يقعُ بالاتِّفاقِ ! وليسَ عليهِ برهانٌ ! » .

إلى أن قال : « ومنَ المنفرِدينَ بالعلمِ الثَّاني - يعني علمَ الأحكامِ - مَن يأْتي على جُزئيَّاتهِ بحُجَجٍ على سبيلِ النَّظرِ والجدَلِ ، فظنَّ أنَّها بُرهانٌ لجهلِهِ بطريقِ البرهانِ وطبيعتهِ » .

فحصلَ من كلامِ هذا تَجهيلُ أصحابِ الأحكامِ ، كما حَصَلَ في كلامِ الصُّوفي تكذيبُ أصحابِ الأرصادِ ، وهذانِ رجلانِ مِن عُظمائهم ، وزُعمائهم .

ثمَّ حَدَثَتْ جماعَةٌ أخرى ، منهم المنجِّمُ المَعروفُ بالفِكْريِّ مُنجِّمِ الحاكمِ بالدِّيارِ المِصْرِيَّةِ، وكانَ قَد انتهَتْ إليهِ رياسَةُ هذا العلم ، وكانَ قَد قَرَأَ على مَنْ قرأ على العاصميِّ ، فوضعَ هو وأصحابُهُ رَصَدًا آخَرَ - وهو الرَّصدُ الحاكميُّ - وخالفَ فيهِ أَصحابَ الرَّصدِ المُمْتَحَنِ في أشياءَ !

---

(١) هو علم الفَلَك .

وعلى ذلكَ التَّفاوتِ بَنَوْا الزيجَ الحاكمي ، وكانَ الحاكمُ قد أمرهم أنْ يحذُوا على فعلِ المأمونِ ، فَأَمَرَ أنْ يجتمِعوا عندهُ ، فاجتمعَ المُنَجِّمونَ ورئيسُهم الفكريُّ فوضعوا الزِّيجَ الحاكميَّ ، وخالفوا أصحابَ الرَّصَدِ المأمونيِّ ، ومالوا بأَتْباعِهم إلى الرَّصَدِ الحاكميِّ !

ولو اتَّفقَ بعدَ ذلكَ رَصَدٌ آخَرُ لَسَلَكَ أصحابُهُ في خلافِ مَن تقدَّمهم مسلكَ أوائلِهم .

هذا ومُسْتَنَدُهُم ومُعَوَّلُهم الحِسُّ والحسابُ وهما لا يقبلانِ التَّغليطَ[1] ، فما الظَّنُّ بما يدَّعُونهُ من علمِ الأحكامِ الذي مبناهُ على هَوَاجسِ الظُّنونِ وخيالاتِ الأوهامِ .

ثمَّ حَدَثَتْ جماعَةٌ أخرى منهم أبو الرَّيحان البِيرُوني مُؤلِّفُ كتاب « التَّفهيم إلى صِناعةِ التَّنجيم » ، جمعَ فيهِ بينَ الهندَسةِ والحسابِ والهيئةِ والأحكامِ ، وكانَ بعدَ كوشِيار بنحوِ من أربعينَ سنَةً ، فخالفَ مَن تقدَّمهُ ، وأتى مِن مُناقَضَتِهم والرَّدِّ عليهم بما هو دَالٌّ على فسادِ الصِّناعَةِ في نَفسِها .

وخَتَمَ كتابَهُ بقولهِ في الخَبِيءِ[2] والضَّمير : ما أكثرَ افتضاحَ المنجِّمينَ فيهِ ! وما أكثرَ إصابَةَ الرَّاصدينَ فيهِ ! بما يستعملونَ من كلامهِ وقتَ السُّؤالِ ويرونهُ باديًا مِن آثارٍ وأفعالٍ على السَّائلِ !

وقالَ : وعندَ البُلوغِ إلى هذا الموضعِ من صناعَةِ التَّنجيمِ كفايَةٌ ، ومَن تَعدَّاهُ فَقَد عَرَّضَ نَفسَهُ وصناعتَهُ لِمَا بَلَغَتْ إليهِ الآنَ مِنَ السُّخريَةِ والاستهزاءِ ، فَقَد

---

(١) كذا يقولون !!

(٢) هو المَخْبُوءُ .

جَهِلَهَا المُتفقِّهونَ فيها ، فضلًا عَن المُتسبينَ إليها . انتهى كلامُهُ .

ثمَّ حَدَثَتْ جماعَةٌ أُخرى ، منهم أبو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بن عبدالعزيزِ بن أُمَيَّةَ الأندلسيُّ الشاعرُ المنجِّمُ الطَّبيبُ الأديبُ ، وكانَ بَعدَ البِيرُوني بنحوٍ من ثمانينَ عامًا ، ودخَلَ مصرَ ، وأقامَ بها نَحوَ عامين ، ولمّا كانَ بالغربِ تُوُفِّيَت والدَةُ الأمير علي بن تميمٍ صاحب المهديَّةِ ، وكانَ قَد وافَقَ موتُها إخبارَ المنجِّمينَ بذلكَ قبلَ وقوعِهِ ، فعملَ أُميَّةُ قَصيدَةً يَرْثِيها ، وهي من مُستحسنِ شعرِهِ ، فقال فيها :

وراعَكَ قولٌ للمُنجِّمِ مُوهِمٌ ومَن يعتَقد زَرْقَ المُنجِّمِ يُوهَمِ
فَواعَجبًا يَهْذي المُنجِّمُ دَهْرَهُ ويَكذِبُ إلّا فيكَ قولُ المُنجِّمِ

وكانَ المَذكورُ رأسًا في الصِّناعَةِ ، وقَد اعتَرَفَ بأنَّ المُنَجِّمَ كذَّابٌ صاحبُ زَرْقٍ وهَذَيانٍ .

ثمَّ حَدَثَتْ طائفَةٌ أخرى بالمغربِ ، منهم أبو إسحاقَ الزرقال وأصحابُهُ ، وهو بَعدَ أبي الصَّلتِ بنحوٍ من مئةِ عامٍ ، وقَد خالفَ الأوائلَ والأواخرَ في الصِّناعتينِ والرَّصَديَّةِ والأحكاميَّةِ ، فأسْقَطَ منَ الرَّصَدِ المُمْتَحنِ المأمونيِّ في البُروجِ دَرَجاتٍ ، ومنَ الرَّصَدِ الحاكميِّ دقائقَ ، وسَلَكَ في الأحكامِ طُرُقًا غيرَ الطُّرقِ المَعهودَةِ منهُ اليومَ ، وزَعَمَ أنَّ عليها المُعوَّلَ ، وأنَّ طُرُقَ مَن تَقدَّمهُ ليسَت بشيءٍ !

ولو حَدَثَ في هذا العَصرِ مَن يُشْبِهُ مَن تقدَّمهُ لرأينا اختلافًا آخَر ، ولكنَّ هذه الصِّناعَةَ قَد ماتَت ولم يَبقَ بأيدي المُنتسبينَ إليها إلّا تَقليدُ هؤلاءِ الضلّالِ فيما فَهِمُوهُ من كلامهم الباطلِ ، وما لم يفهمُوهُ منهُ فَقَد يَظُنُّونَ أنَّهُ صحيحٌ ، ولٰكنَّ

أفهامَهم نَبَتْ عنهُ (١) !

وهذا شأنُ جميعِ أهلِ الضَّلال مع رؤسائهم ومَتْبوعيهم ! فَجُهَّالُ النَّصارى إذا ناظَرَهم المُوحِّدُ في تَثليثهم وتناقُضهِ وتكاذبِهِ ، قالوا : الجوابُ على القسّيسِ ، والقسّيسُ يقولُ : الجوابُ على المُطرانِ ، والمُطرانُ يُحيلُ الجوابَ على البَتْرِكِ ، والبترِكُ على الأسقُفِ ، والأسقُفُ على البابِ ، والبابُ على الثَّلاثِ مئة والثَّمانيَةَ عَشر أصحابِ المَجْمَع (٢) الذين اجتَمعوا في عَهدِ قُسطَنطين ، وَوضعوا للنَّصارى هذا التَّثليثَ والشركَ المُناقضَ للعقولِ والأديانِ ، ولعلَّهم عندَ اللَّهِ أحسنُ حالًا من أكثرِ القائلينَ بأحكامِ النُّجومِ ، الكافرينَ بربِّ العالَمين وملائكتهِ وكتبهِ ورُسُلهِ واليومِ الآخر .

□ □ □ □ □

---

(١) ابتعدتْ .

(٢) يُشيرُ رحمه اللهُ إلى مُجَمّع نيقية المَشْهور .

١٥٤ - فَصْلٌ

[رسالةُ ابن عِيسى في التنجيم]

ورأيتُ لبَعضِ فُضَلائهم - وهو أبو القاسم عيسى بنُ عليٍّ بن عيسى (١) - رسالَةً بليغَةً في الرَّدِّ عليهم ، وإبْداءِ تناقُضِهم ، كتَبها لَمَّا بصَّرهُ اللَّهُ رُشْدَهُ ، وأراهُ بُطْلانَ ما عليهِ هؤلاءِ الضُّلّالُ الجُهَّالُ ، كتَبها نَصيحَةً لبَعضِ إخوانهِ ، فأحببْتُ أَنْ أُوْرِدها **بلفظها** ، وإنْ تضمَّنَت بَعضَ الطُّولِ والتّكرارِ ، وأتعقَّبُ (٢) بَعضَ كلامهِ بتَقريرِ ما يحتاجُ إلى تَقريرِ ، وسؤالٍ يُوْرَدُ عليهِ ويُطْعَنُ بهِ على كلامهِ ، ثمَّ بالجوابِ عنهُ ، ليكونَ قوَّةً للمُسترشدِ ، وبيانًا للمُتَحيِّرِ ، وتبصرَةً للمُهتَدي ونَصيحَةً لإخواني المُسلمين .

وهذا أوَّلُها :

---

(١) تُوفِّي سَنَةَ (٣٩١هـ) ، نقل الخطيبُ في « تاريخه » (١١ / ١٨٠) عن أَبي الفتح ابن أَبي الفوراس قولَه فيه : « كان يُرمى بشيءٍ من مذهبِ الفلاسفة » .

وقال ابنُ النديم في « الفهرست » (ص ١٨٦) : « كانَ أَوحدَ زمانِه في علم المنطق والعلومِ القديمة » .

وقال الذهبيُّ في « السير » (١٦ / ٥٥٠) : « لقد شانَتْه هذه العلومُ وما زانَتْهُ ، **ولعلّه رُحِم بالحديث إن شاءَ اللهُ** » .

(٢) فما هو مُصَدَّرٌ بقولهِ : « **قُلت** » ، فَمن كلام مُصَنِّفنا رحمه الله تعالى .

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

عَصَمَكَ اللَّهُ من قَبُولِ المُحالاتِ ، واعتقادِ ما لم تَقُمْ عليهِ الدَّلالاتِ ، وضاعَفَ لكَ الحسناتِ ، وكفاكَ المُهِمَّاتِ بمنِّهِ ورحمتهِ .

كنتَ - أدامَ اللَّهُ توفيقَكَ وتَسديدَكَ - ذَكَرْتَ لي اهتمامَكَ بما قد لَهَجَ بهِ وجوهُ أهلِ زمانِنا منَ النَّظَرِ في أحكامِ النُّجومِ ، وتَصديقِ كُلِّ ما يأتي مَن ادَّعى أنَّهُ عارفٌ بها من علمِ الغَيبِ الذي تفرَّدَ اللَّهُ سبحانَهُ وتعالى بهِ ، ولم يَجْعَلْهُ لأحدٍ منَ الأنبياءِ والمُرسلين ولا ملائكتهِ المُقرَّبين ، ولا عبادِهِ الصَّالحين ، من معرفَةِ طويلِ الأعمارِ وقَصيرِها ، وحميدِ العواقبِ وذَميمِها ، وسائرِ ما يتجدَّدُ ويحدثُ ويتخوَّفُ ويتمنَّى .

وسَألَني أنْ أعملَ كتابًا أذكرُ فيهِ بعضَ ما وقعَ من اختلافِهم في أُصولِ الأحكامِ الدَّالَّةِ على وَهَمِهم وقُبحِ اعتقادِهم ، وممَّ يُسْتَدَلُّ به من طريقِ النَّظرِ والقياسِ على ضَعْفِ مَذهبِهم ، وأُلخِّصُ ذلكَ وأَختصِرُهُ وأقرِّبُهُ بحسبِ الوُسْعِ والطَّاقَةِ ، فوَعَدْتُكَ بذلكَ ، وقَد ضمَّنتهُ كتابي هذا ، واللَّهَ أسألُ عَونًا على ما قَرَّبَ منهُ ، وتوفيقًا لما أَزْلَفَ لديهِ ، إنَّهُ قريبٌ مُجيبٌ ، فعَّالٌ لِمَا يريد .

لستُ مُستعمِلًا للتَّحامُلِ على مَن أثبتَ تأثيرَ الكواكبِ في هذا العالَمِ وتَرْكِ إنصافِهم ، كما فعلَ قومٌ ردُّوا عليهم ، فإنَّهم دَفَعُوهم عن أن يكونَ لها تأثيرٌ البتَّةَ غيرَ وجودِ الضِّياءِ في المواضعِ التي تَطْلُعُ فيها الشمسُ والقمرُ ، وعَدمُهُ فيما غابا عنهُ ، وما جرى هذا المَجرى ، بل أُسلِّمُ لهم أنَّها تؤثِّرُ تأثيرًا ما يجري على الأمرِ الطَّبيعي ، مثلَ أن يكونَ البلدُ القليلُ العَرضِ مِزاجُهُ يميلُ عن الاعتدالِ إلى الحَرِّ واليُبسِ ، وكذلكَ مِزاجُ أهلِهِ ضعيفٌ ، وألوانُهم سودٌ وصُفْرٌ كالنُّوبَةِ والحَبَشَةِ ،

وأن يكونَ البلدُ الكثيرُ العَرْضِ مِزاجُهُ يميلُ عن الاعتدالِ إلى البَردِ والرُّطوبَةِ ، وكذلكَ مزاجُ أهلِهِ وأجسامُهم عَبْلَةٌ (١) ، وألوانُهم بِيضٌ وشُعورُهم شقرٌ مثلُ التركِ والصَّقالبَة ، ومثلُ أنْ يكونَ النَّباتُ ينمو ويَقوى ويتكاملُ ويَنْضُجُ ثمرُهُ بالشمسِ والقمرِ ، فإنَّ أهلَ الصَّحراءِ ومَن يُعانيها مجموعونَ على أنَّ القِثَّاءَ تطولُ وتغلظُ بالقمرِ ، وقَد شاهَدتُ غيرَ شجرَةٍ كبيرَةٍ حاملَةٍ منَ التِّينِ والتُّوتِ وغيرهما فما قابلَ الشمسَ منها أسرعَ نُضْجُ الثَّمرِ الكائنِ فيهِ ، وما خفي عنها بقي ثمرُهُ فجًّا وتأخَّرَ إدراكُهُ ، ومثالُ ذلكَ ما يُشاهَدُ من حالِ الرَّيْحانِ الذي يقالُ له : اللَّينوفر ، وحالِ الخُبَّازى وورقِ الخَطْمِيِّ والآذَرْيُون (٢) ، وأشياءَ كثيرَةٍ منَ النَّباتِ ، فإنَّا نَراهُ يتحرَّكُ وينفتحُ مع طلوعِ الشمسِ ، ويضعُف إذا غابَت ؛ لأنَّ هذه أمورٌ مَحسوسَةٌ .

وليسَ الكلامُ في هذا التَّأثيرِ كيفَ هو ؟ وعلى أيِّ سبيلٍ يقعُ ؟ فما يليقُ بِغَرَضِنا ها هُنا ، فلذلكَ أدعُهُ ، فأمَّا ما يزعُمونهُ فيما عَدا هذا مِن أنَّ النُّجومَ تُوْجِبُ أنْ يعيش فلانٌ كذا وكذا سنَةً ، وكذا وكذا شهرًا ، وينتهونَ في التَّحديدِ إلى جُزءٍ من ساعَةٍ ، وأن يَدُلَّ على تَقَلُّدِ رجلٍ بعينهِ المُلْكَ ، وتَقلُّدِ آخَرَ بعينهِ الوزارَةَ ، وطولِ مُدَّةِ كلٍّ واحدٍ منهما في الولايَةِ وقِصَرِها ، وما فَعَلَهُ الإنسانُ ، وما يفعلُهُ في منزلِهِ ، وما يُضْمِرُهُ في قلبهِ ، وما هو مُتوجِّهٌ فيهِ مِن حاجاتِهِ ، وما

---

(١) ضَخْمة .

(٢) قال في « القاموس » (ص ١٥١٦) : « زهر أَصفر وسطه خَمْلٌ أَسود ، حارٌّ ، رطبٌ .. ليس بطيِّبِ الرّائحةِ » .

وما سَبَقَها - أَيضًا - أَسماء نباتاتٍ مُعَيَّنةٍ .

هو في بَطنِ الحاملِ ، والسَّارقِ ، ومَن هو ، والمَسروقِ ، وما هو ، وأينَ هو ، وكميَّتِهِ وكيفيَّتِه ، وما يجبُ بالكسوفِ ، وما يحدثُ معهُ ، والمختارِ مِنَ الأعمالِ في كُلِّ يومٍ بحسبِ اتِّصالِ القمرِ بالكواكبِ من أنْ يكونَ هذا اليومُ صالحًا للقاءِ الملوكِ والرُّؤساءِ وأصحابِ السُّيوفِ وهذا يومٌ محمودٌ للقاءِ الكُتَّابِ والوزراءِ وهذا اليومُ محمودٌ لِلقاءِ القُضاة ، وهذا اليومُ محمودٌ بأُمورِ النساءِ ، وهذا اليومُ محمودٌ لشربِ الدواءِ والفَصْدِ والحجامَةِ (١) ، وهذا اليومُ محمودٌ للعبِ الشِّطْرنج والنَّرْد ، وغير ذلكَ !

فمُحالٌ أن يكونَ معلومًا من طريقِ الحسِّ وليسَ نصٌّ من كتابِ اللَّهِ، بل قَد نصَّ اللَّهُ سبحانهُ وتعالى فيهِ على بطلانهِ ، بقولهِ تباركَ وتعالى: ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمواتِ والأرضِ الغيبَ إلّا اللهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ولا في سنَّة رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بل قَد جاءَ عنهُ ﷺ أنَّهُ قال : « مَن أتى عَرَّافًا أو كاهنًا أو منجِّمًا فصدَّقهُ بما يقولُ فَقَد كفرَ بما أُنزلَ على محمَّدٍ » (٢) ، ولا ها هُنا ضَرورةٌ

---

(١) ولكنْ وَرَدَ في السُّنّةِ النبويّةِ ما يُشيرُ إلى فَضل الحجامةِ في أيّام مخصوصةٍ ؛ هي الاثنين والثلاثاء والخميس ، أو سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ؛ فانظر « الصحيحة » (٧٦٥) و (١٨٤٧) .

نَعَم ؛ ما قاله المصنّفُ بابُه مُختلفٌ عمَّا ذكرتُه هنا ، ولكنْ من باب تكميلِ المقام .

(٢) رواهُ الإمامُ أحمدُ (٢ / ٤٢٩) عن عوف عن خِلاس عن أبي هريرة .

وخِلاس لم يسمع من أبي هريرةَ .

ولكنْ : رواهُ الحاكمُ (١ / ٨) وعنه البيهقيُّ في « سننه » (٨ / ١٣٥) من طريقين عن عوف ، عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة .

ومحمد هو ابن سيرين ، فصحَّ السندُ - ولله الحمدُ - ، وبه جزم الحاكمُ والعراقيُّ والذهبيُّ ، كما في « فيض القدير » (٦ / ٢٣) و « التيسير » (٢ / ٣٨٥) . =

تَدعو إلى القولِ به ، ولا هو أوَّلٌ في المعقولِ ، ولا يَأْتونَ عليهِ ببُرهانٍ ولا دليلٍ مُقْنِعٍ .

وهذه هي الطُّرُقُ التي تَثْبُتُ بها الموجوداتُ وتُعْلَمُ بها حقائقُ الأشياءِ ، لا طريقَ ها هُنا غيرُها ، ولا شيءَ لأحكامِ النُّجومِ منها .

وأنا أبتدىءُ الآنَ بوصفِ جُملَةٍ من اختلافِهم في الأُصولِ التي يَبنُونَ عليها أمْرَهُم ، ويُفَرِّعونَ عنها أحكامَهم ، وأذكرُ المُسْتَبْشَعَ من أقاويلهم وقضاياهم وظاهرِ مناقضاتِهم ، ثمَّ آتي بطرفٍ مِن احتجاجِهم والاحتجاجِ عليهم ، واللّهُ المُوَفِّقُ للصَّوابِ بفضلهِ .

○ ذكرُ اختلافهم في الأُصول :

زعموا جميعًا أنَّ الخيرَ والشرَّ والإعْطاءَ والمنعَ وما أشبَه ذلكَ يكونُ في العالَمِ بالكواكبِ ، وبحَسَبِ السُّعودِ منها والنُّحوس ، وعلى حسبِ كونها منَ البروجِ الموافقَةِ والمُنافرَةِ لها وعلى حَسَبِ نظرِها بعضها إلى بَعضٍ من التسْدِيسِ والتَّربيعِ والتَّثليثِ والمقابلَةِ ، وعلى حسبِ مُحاشدَةِ [1] بعضها بعضًا ، وعلى حسبِ كونها في شَرَفها وهبوطها ووبالها .

ثمَّ اختلفوا على أيِّ وَجْهٍ يكونُ ذلكَ ؟ فزعمَ قومٌ منهم أنَّ فِعْلَها

= ولهُ طريقٌ آخر عند البزّار في « مسنده » (٣٠٤٥) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

وجوّدَ الحافظُ في « الفتح » (١٠ / ٢١٧) سندَه .

وفي البابِ أَحاديثُ كثيرةٌ لا تخلو من ضعفٍ في أَسانيدِها ، لكنّها - إنْ شاءَ الله - تزيدُ الحديثَ ثبوتًا .

(١) اجتماع .

بطبائعها ، وزعمَ آخرونَ أنَّ ذلكَ ليسَ فعلًا لها لكنَّها تدُلُّ عليهِ بطبائعها !

قلتُ : وَزَعَمَ آخرونَ أَنَّها تفعلُ في البَعضِ بالعَرَضِ ، وفي البَعضِ بالذَّاتِ .

وقال : وزعمَ آخرون أَنَّها تَفعلُ بالاختيارِ لا بالطَّبعِ ، إلّا أنَّ السَّعْدَ منها لا يختارُ إلّا الخيرَ ، والنَّحْسَ منها لا يختارُ إلّا الشرَّ ، وهذا بعينهِ نفيٌ للاختيارِ ؛ فإنَّ حقيقَةَ القادرِ المُختارِ القُدْرَةُ على فعلِ أيِّ الضدَّينِ شاءَ ، وتركِ أيِّهما شاءَ .

قلتُ : ليسَ هذا بشيءٍ ، فإنَّهُ لا يلزمُ من كونِ المُختارِ مَقصورَ الاختيارِ على نوعٍ واحدٍ سَلْبُ اختيارهِ ، ولكنَّ الذي يُبْطِلُ هذا أنَّهم يقولونَ : إنَّ الكوكبَ النَّحْسَ سَعْدٌ في بُرجِ كذا ، وفي بيتِ كذا ، وإذا كانَ النَّاظرُ إليهِ منَ النُّجومِ كذا وكذا ، وكذلكَ الكوكبُ السَّعْدُ ، ويقولونَ : إنَّها تفعلُ بالذَّاتِ خَيرًا ، وبالعَرَضِ شرًّا ، وبالعكسِ ، وقد يقولونَ : إنَّها تختارُ في زمانٍ خلافَ ما تختارُ في زمانٍ آخر ، وقَد تتَّفق كلُّها أو أكثرها على إيثارِ الخَيرِ ، فيكون في العالمِ في ذلكَ الوقت على الأكثرِ الخيرُ والنَّفعُ والحسنُ .

قالوا : كما كانَ في زمنِ هُرْمُز وفي أيَّامِ أنو شَرْوَان ، وبضدٍّ ذلكَ أيضًا ، فيُقالُ : إذا كانَت مُختارَةً - وقَد تَتَّفِقُ على إرادَةِ الخَيرِ وعلى إرادَةِ الخَيرِ والشرِّ - بطلَ دلالةُ حُصولِها في البروجِ المُعيَّنَةِ ، ودلالةُ نَظَرِ بعضها إلى بَعض بِتَسْديسٍ أو تربيعٍ أو تَثليثٍ أو مُقابَلَةٍ ؛ لأنَّ هذا شأنُ مَن لا يقعُ فعلُهُ إلّا على وجهٍ واحدٍ في وقتٍ معيَّنٍ على شروطٍ مُعيَّنَةٍ .

ولا ريبَ أنَّ هذا يُبْقي الاختيارَ ، فيكفَ يصحُّ قولُكم بذلكَ وجمعُكم بينَ هاتينِ القضيَّتين - أعني جوازَ اختيارِها في زمانٍ خلافَ ما يَختارهُ في زمانٍ آخَر ، وجوازَ اتِّفاقها على الخيرِ واتِّفاقها على الشرِّ - من غيرِ ضابطٍ ولا دليلٍ

يدلُّكم عليهِ ثمَّ تَحكُمونَ بتلكَ الأحكامِ مُستندينَ فيها إلى حركاتها المَخصوصَةِ ، وأوضاعها ، ونسبَةِ بعضها إلى بَعضٍ ؟!

وهل هذا إلّا ضُحْكَةٌ (١) للعقلاءِ !

قال : وزعمَ آخَرُونَ أنَّها لا تفعلُ باختيارٍ ، بل تدلُّ باختيارٍ ، وهذا كلامٌ لا يُعْقَلُ معناهُ ، إلّا أنِّي ذكرتُهُ لمّا كانَ مَقُولًا .

واختلفوا ؛ فقالت فرقةٌ : مِنَ الكواكبِ ما هو سعدٌ ، ومنها ما هو نَحسٌ وهي تُسْعِدُ غيرَها وتَنْحَسُهُ ، وقالت فرقةٌ : هي في أنفسها طبيعَةٌ واحدَةٌ ، وإنَّما تختلفُ دلالتُها على السُّعودِ والنُّحوسِ ، وإنْ لم تكُنْ في أنفسِها مختلفَةً .

واختلفوا ؛ فقال قومٌ : إنَّها تُؤثِّرُ في الأبدانِ والأنفسِ جميعًا .

وقال الباقونَ : بل في الأبدانِ دونَ الأنفسِ .

قلتُ : أكثرُ المنجِّمينَ على القولِ بأنَّها تُسْعِدُ وتَنْحَسُ غيرَها ، وأمَّا الفرقَةُ التي قالت : هي دالَّةٌ على السَّعدِ والنَّحسِ ، فقولهم - وإنْ كانَ أقربَ إلى التَّوحيد من قولِ الأكثرينَ منهم - فهو أيضًا قولٌ مُضطربٌ مُتناقضٌ ؛ فإنَّ الدَّلالَةَ الحسنَة لا تختلفُ ولا تتناقَضُ ، وهذا قولُ مَن يقول منهم : إنَّ للفلكِ طبيعَةً مخالفَةً لطبيعَةِ الأُستُقُصَّاتِ (٢) الكائنَةِ الفاسدَةِ ، وإنَّها لا حارَّةٌ ولا باردَةٌ ، ولا يابسَةٌ ولا رطبَةٌ ، ولا سعدٌ ولا نحسٌ فيها ، وإنَّما يدلُّ بعضُ أجرامِها وبعضُ أجزائها على الخيرِ ، وبعضُها على الشرِّ ، وارتباطُ الخيرِ والشرِّ والسَّعدِ والنَّحسِ بها ارتباطَ المَدلولات بأدلَّتها ، لا ارتباطَ المعلولات بعللِها .

---

(١) بسكون الحاء ، هو الذي يُضْحَكُ منه . « الصحاح » (ص ٣٧٧ - مختاره) .

(٢) مُفردُها (الأُسْتُقُصّ) ؛ وهي الأَصلُ البسيطُ يتكوّن منه المُرَكَّب ، كما في « المعجم الوجيز » (ص ١٧) .

ولا ريبَ أنَّ قائلَ هذا أعقلُ وأقربُ مِن أصحابِ القولِ بالاقتضاءِ الطَّبيعيّ والعِلِّيَّةِ ، وأمَّا القولُ بتأثيرها في الأبدانِ والأنفسِ فهو قولُ بطليموس وشيعتِه وأكثرِ الأوائلِ منَ المنجِّمينَ .

وهؤلاءِ لهم قولان :

أحدهما : أنَّها تَفعلُ في الأنفسِ بالذَّاتِ ، وفي الأبدانِ بالعَرَضِ ؛ لأنَّ الأبدانَ تنفعلُ عن الأنفس .

والثَّاني : أنَّها هي سببُ جميعِ ما في عالَمِ الكونِ والفسادِ ، وفعلُها في ذلكَ كلِّهِ بالذَّات .

وكأنَّهُ لا خلافَ بينَ الطَّائفتين ، فإنَّ الذينَ قالوا : فعلُها في النُّفوسِ ؛ لا يُضيفونَ انفعالَ الأبدانِ إلى غيرها بذاتها بل بوسائطَ ، قال : واختلفَ رؤساؤهم بَطْلِيمُوس ودُورْسُوس وانطيقوس وريمُسْس وغيرُهم من علماء الرُّوم والهند وبابل في الحُدودِ وغيرِها ، وتضادُّوا في المواضعِ التي يأخذونَ منها دليلَهم ، فبعضُهم يُغَلِّبُ ربَّ بيتِ الطَّالع ، وبعضُهم يقول بالدَّليل المُستولي على الحُظوظِ !

واختلفوا ؛ فزعمَ بَطْلِيمُوس أنَّهم يُعْلَمُ بهم السَّعادَةُ ، بأن يأخذَ أبدًا الْعَدَدَ الذي يحصلُ من موضعِ الشمسِ إلى موضعِ القمر ويبتدئَ مِن الطَّالِع ، فيرصد منهُ مثلَ ذلكَ العَدد ، ويأخذَ إلى الجهَةِ التي تتلو منَ البُروجِ ، فيكون قد عرفَ موضعَ السَّهم !

وزعمَ غيرُهُ أنَّهُ يَعُدُّ من الشمسِ ، ثمَّ يبتدئُ من الطَّالع ، فيعد مِثْلَ ذلكَ إلى الجهَةِ المتقدِّمَةِ من البروجِ .

قلتُ : وزعم آخَرون أنَّ بَطْلِيمُوس يرى أنَّ جميعَ ما يكونُ ويَفْسُدُ إنَّما

يُعْرَفُ دليلُهُ من موضعِ التقاءِ النَّيِّرَينِ [١] ، إمَّا الاجتماعُ وإمَّا الامتلاءُ ، لأنَّ هذين الكوكبين عندهُ مثلُ الرَّئيسين العظيمين ؛ أحدُهما يأتمرُ لصاحبِهِ وهو القمرُ ، وهما سببا جميعِ ما يَحْدُثُ في عالمِ الكونِ والفسادِ ، وأنَّ الكواكبَ الجاريَةَ والثَّابتَةَ منهما بمنزلَةِ الجُندِ والعسكرِ منَ السُّلطانِ ، فإذا أرادَ النَّظرَ في أمرٍ منَ الأمورِ فإنْ كانَ بعدَ الاجتماعِ أو عندهُ يأخذُ الدَّليلَ عليهِ منَ الكوكبِ المستولي على جُزء الاجتماع وجُزئي الشمس والقمر ، وفي الحال ، ويُشاركُهُ مع الشمس بالنِّسبَةِ إلى الطَّالع .

وإذا كانَ بعدَ الامتلاءِ أو عنده فإنَّهُ ينظرُ أيُّ النَّيِّرَيْن كانَ فوقَ الأرضِ عند الامتلاء ، وينظرُ إلى الكوكبِ المُستولي على ذلكَ الجزءِ ، وجُزءِ النَّيِّرِ الذي كانَ بُعْدُ الشمس كبُعدِ القمرِ من سهم السَّعادَةِ ، فلذلكَ يجبُ عندَه أَنْ يُؤخذَ العددُ أبدًا من الشمسِ إلى القمرِ ، لتَبقى تلكَ النسبَةُ ، وهي البُعْدُ بينَ كلِّ واحدٍ من النيِّرين طالعُهُ محفوظٌ ، فهذا قولٌ آخر غيرُ قولِ أولئكَ .

وللفُرسِ مذهبٌ آخرُ ، وهو أنَّهم قالوا : لما كانَت الشمس لها نوبَةُ النَّهارِ ، والقمر لهُ نوبَةُ اللَّيلِ ، وكانَ سهمُ السَّعادَةِ بالنَّهارِ يُؤخذُ من الشمسِ إلى القمرِ وجبَ أن يُعكسَ ذلكَ بالليل ، لأنَّ نسبَةَ النَّهارِ إلى الشمس مثلُ نسبَةِ اللَّيلِ إلى القمرِ ، وكلُّ واحدٍ من النيِّرين ينوبُ واحدًا منَ الزَّمانين ، فيأخذونَ سَهْمَ السَّعادَةِ بالليلِ منَ القمرِ إلى الشمس ، وبالنَّهارِ بالعكسِ ! وزعموا أنَّ كلامَ بَطْلِيمُوس إنَّما يدلُّ على هذا ، لأنَّهُ قال : وإنْ أخَذْنا من الشمسِ إلى القمرِ إلى

---

(١) هي الشمسُ والقمرُ . قاله المُحبِّي في « جنى الجنتين » (١١٢) .

خلافِ تأليفِ البُروجِ وألقيناه بالعَكسِ كانَ مُوافقًا للأوَّلِ ! فقالوا : يجبُ أن يُعكسَ الأمرُ بالليلِ ! فهذا اختلافُ المنجِّمين على بَطْلِيمُوس يَنْقُضُ بعضُهُ بَعضًا ، وليسَ بأيدي الطَّائفَةِ برهانٌ يُرجِّحونَ بِهِ قولًا على قول !

﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ وإنَّ الظَّنَّ لا يُغْني منَ الحقِّ شيئًا فأعْرِضْ عمَّن تَوَلَّى عن ذِكْرِنا ولَم يُرِدِ إلا الحياةَ الدُّنيا ذلكَ مَبْلَغُهم من العلمِ إنَّ ربَّكَ هو أعلمُ بمَن ضَلَّ عن سبيلِهِ وهو أعلمُ بمَن اهتَدى ﴾ [النجم : ٢٨] .

قال : واختلفوا ؛ فرتَّبتْ طائفَةٌ منهم البُروجَ المُذَكّرة والمؤنَّثَةَ منَ البرجِ الطَّالعِ فعدُّوا واحدًا مُذكَّرًا وآخَر مُؤنَّثًا ، وصيَّروا الابتداءَ بالمُذَكَّرِ .

وقَسَّمَت طائفَةٌ أخرى البروجَ أربعَةَ أجزاءٍ ، وجعلوا البُروجَ المُذَكَّرَةَ هي التي منَ الطَّالع إلى وسطِ السَّماءِ ، والتي يقابلها منَ الغَربِ إلى وتدِ الأرضِ ، وجعلوا الرُّبعين الباقيين مؤنَّثين !

قلتُ : ومِن هَذَيانهم في هذا الذي أَضْحَكُوا بِهِ عليهم العقلاءَ أنَّهُم جعلوا البُروجَ قسمين : حارَّ المِزاجِ ، وباردَ المِزاج ، وجعلوا الحارَّ منها ذَكَرًا ! والباردَ أُنثى ! وابتَدأوا بالحَمَلِ وصيَّروهُ ذَكَرًا حارًّا ، ثمَّ الذي بَعدهُ مُؤنَّثًا باردًا ! ثمَّ هكذا إلى آخرِها ، فصارَت ستَّةً ذُكورًا وستَّةً إناثًا ، وليسَت على الولاءِ (١) ، بل واحدٌ ذكرٌ ، وثلاثةٌ أخَر أنثى ، مُخالفٌ لهُ في الطَّبيعَةِ والذُّكوريَّةِ والأنوثيَّة ، مع أَنَّ قِسْمَةَ الفَلَكِ إلى البروجِ قِسْمَةٌ فَرَضِيَّةٌ وَضْعيَّةٌ ، فهل في أنواعِ هَذَيانِ الهاذينَ أعجبُ من هذا ؟!!

ولـمّا رأى مَن بِهِ رَمَقٌ من عقلٍ منهم تهافُتَ هذا الكلام ، وسُخريةَ العقلاءِ

---

(١) أي : مُتواليةً .

منهُ رامَ تَقريبَهُ بغايَةِ جُهدِهِ وحذقِهِ ، فقال : إنَّما ابتدأ بالذَّكَرِ دونَ الأنثى لأنَّ الذَّكَرَ أشرفُ منَ الأُنثى ، لأنَّهُ فاعلٌ ، والأنثى منفعِلَةٌ ! فاعْجَبُوا يا معشرَ العقلاءِ ، واسألوا اللَّهَ أن لا يخسفَ بعقولِكم كما خَسَفَ بعقولِ هؤلاءِ لهذا الهذيان ، أفَتَرى في البُروجِ ناكحًا ومنكوحًا يكونُ المنكوحُ منها مُنفعلًا لناكحهِ بالذُّكوريَّةِ ؟ والأنوثيَّةُ تابعَةٌ لهذا الفعلِ والانفعالِ فيها .

قال : وأيضًا فالذُّكوريَّةُ سَبَبُ الانفرادِ والإزواج فيها ؛ فإنَّ الإفرادَ ذكورٌ والإزواجَ إناثٌ ! وهذا أعجبُ من الأوَّلِ أنَّ الذَّكرَ ينضمُّ إلى الذَّكرِ فيصيرُ المَضمومُ إليه أُنثى ! فتبًّا للمُصْغي إليكم والمُجوِّزِ عقلُهُ صدقَكم وإصابتَكم ! وأمَّا أنتم فَقَد أشهدَ اللَّهُ سبحانهُ عُقلاءَ عبادهِ وأنبأَهم مِقْدارَ عقولِكم وسخافَتَها ، فللّهِ الحمدُ والمنَّةُ .

قال المُنتصِرُ لهم : وإنَّما جَعَلُوا الإفرادَ للذَّكرِ ، والإزواجَ للأنثى ، لأنَّ الفردَ يحفظُ طبيعتَهُ - أعني ينقسمُ دائمًا إلى فَردٍ - والزوجَ لا يحفظُ طبيعتَهُ - أعني ينقسمُ مرَّةً إلى الإفرادِ ومرَّةً إلى الإزواجِ - كما يَعْرِضُ ذلكَ للأُنثى ، فإنَّها تَلِدُ مرَّةً مثلَها ومرَّةً ذكرًا مخالفًا لها ، ومرَّةً ذكرين ، ومرَّةً أُنثيَين ، ومرَّةً ذكرًا وأُنثى ! وفسادُ هذا - والعلمُ بفسادِ عَقلِ صاحبِهِ ونظرِهِ - مُغْنٍ لذي اللُّبِّ عن تطلُّبِ دليلِ فسادِهِ .

قال المُنتصِر : وإنَّما جعلوا للبُرجِ الأُنثى بل بُرْج الذَّكَر ، فلأنَّ الطبيعةَ هكذا أَلِفَتْ الإعدادَ واحدًا فَردًا وآخَرَ زوجًا ، هكذا بالغًا ما بلغَ ، هذه القسمةُ عندهم هي قِسْمَةٌ ذاتيَّةٌ للبُروجِ ، ولها قسمَةٌ ثانيَةٌ بالعَرَضِ وهي أنَّهم يبدأونَ منَ الطَّالعِ إلى الثَّاني عَشر ، فيأخذونَ واحدًا ذَكَرًا وهو الأوَّلُ ، وآخَرَ أُنثى وهو ما يليهِ ،

وهذه تختلفُ بحسبِ اختلافِ الطَّالع ، والقسمَةُ الأولى إنَّما كانَت ذاتيَّةً لأنَّ الابتداءَ لها برأس الحَمَلِ وهو موضعُ تقاطُعِ الدَّائرتين اللتين هما فَلَكُ البُروج ومُعدَّلُ النَّهار ، وأمَّا الليلُ للقسمةِ ؛ فإنَّهُ لا يبقى على حالٍ واحدَةٍ لأنَّهُ مأخوذٌ منَ الجزءِ المماسِّ لأُفُقِ البَلدِ وهو دائمًا يتغيَّرُ بحركتهِ مع الكلِّ ، وحصولِ الأجزاءِ كلِّها واحدًا بعدَ آخر على الأفق دورةً واحدَةً ، وأمَّا قسمَةُ الفَلَكِ أرباعًا ؛ فإنَّهم قالوا : إذا خَرَجَ خطٌّ من أُفُقِ المشرقِ إلى أُفُقِ المغربِ وخَطٌّ مِنْ وتَدِ الأرضِ إلى وسطِ السَّماءِ انقسمَتِ البروجُ أربعَةَ أقسام ، كلُّ قسمٍ ثلاثَةُ بروجٍ على طبيعَةٍ واحدَةٍ ، ابتداءُ كلِّ قسمٍ من طرفِ قُطرٍ إلى طرفِ القُطرِ الذي يليهِ ، وأطرافُ هذين القطرين تُسمَّى أوتادَ العالمِ ،والقسمُ الأوَّل من وتَدِ المشرقِ إلى وتَدِ العاشرِ ذَكَرٌ شرقيٌّ مخفَّفٌ سريعٌ ، ومن وتَدِ العاشرِ إلى وتَدِ الغاربِ مؤنَّثٌ جنوبيٌّ مُحْرِقٌ وسطٌ ، ومن ذيلِ الغاربِ إلى وتدِ الرَّابع ذَكَرٌ مُقْبِلٌ رَطْبٌ غربيٌّ بطيءٌ ، ومِن وتَدِ الرَّابع إلى وتَدِ الطَّالع مُؤنَّثٌ دليلٌ مُبرَّدٌ شماليٌّ وسطٌ .

وهذهِ القسمةُ مُخالفَةٌ لتلكَ القسمتين ، لأنَّ هذه قسمَةُ البُروجِ بأربعَةِ أقسامٍ مُتساويَةٍ كلُّ ثلاثَةِ بروجٍ منها تسعونَ درجَةً لها طبيعَةٌ تَخُصُّها ، مع أنَّ الفَلَكَ شيءٌ واحدٌ وطبيعَةٌ واحدَةٌ ، وقِسْمَتُهُ إلى الدَّرَجِ (١) والبروجِ قسمَةٌ وهميَّةٌ بحسبِ الوَضعِ ، فكيفَ اختَلفت طبائعُها وأحكامُها وتأثيراتُها واختلفَت بالذُّكوريَّةِ والأنوثيَّةِ ؟

ثمَّ إنَّ بَعضَ الأوائلِ منهم لم يقتصرْ على ذلكَ ، بل ابتدأ بالدَّرجةِ الأولى

---

(١) قال في « المعجم الوجيز » (ص ٢٢٤) : « هو جُزءٌ من ثلاث مئةٍ وستّين جزءً من دورةِ الفَلَكِ » .

من الحَمَلِ ، فنسبها إلى الذُّكوريَّةِ ، والثَّانيَة إلى الأنوثيَّة ، هكذا إلى آخرِ الحوتِ !

ولا ريبَ أنَّ الهَذَيان لازمٌ لمَن قال بقسمَةِ البروجِ إلى ذكرٍ وأُنثى ، وقال : الذَّكرُ طبيعَةُ الفَردِ ، والأُنثى طبيعَةُ الزَّوجِ ؛ فإنَّ هذا بعينهِ لازمٌ لهم في دَرَجاتِ البرجِ الواحدِ ، وكأنَّ هذا القائلَ تصوَّرَ لزومَهُ لأولئكَ فالْتَزَمَهُ .

وأمَّا بطليموس فلهُ هَذَيانٌ آخر ؛ فإنَّهُ ابتدأ بأوَّلِ درجةِ كُلِّ برجٍ ذكرٍ ، فنسبَ منها إلى تمامِ اثنتي عشرة درجَةً وبضعًا إلى الذُّكوريَّةِ ، ومنهُ إلى تمامِ خمسٍ وعشرين درجَةً إلى الأُنوثيَّةِ ، ثمَّ قسَّمَ باقي البُرجِ بالنِّصفين فنَسَبَ النِّصفَ الأوَّل إلى الذَّكرِ والنِّصف الآخر إلى الأُنثى ! وعلى هذه القسمة ابتدأ بالبروجِ الأنثى فنسبَ الثُّلُثَ ونصفَ السُّدس إلى الأنوثيَّة ، ومثلها بعدَهُ إلى الذُّكوريَّة وبقي سُدْسٌ قَسَّمهُ بنصفينِ ، فنسبَ النِّصْفَ الأوَّلَ إلى الأُنثى والآخرَ إلى الذَّكرِ كما عَمِلَ بالبرجِ الذَّكرِ حتى أتى على البُروجِ كلِّها .

وأمَّا دوروسُوس فلهُ هَذَيانٌ آخَر ؛ فإنَّهُ يُقسِّمُ البروجَ كلَّها ، كُلُّ برجٍ ثمانيَةٌ وخمسونَ دقيقَةً ، ومئةٌ وخمسون ثانيَةً ، ثمَّ ينظرُ ؛ فإنْ كانَ البرجُ ذكرًا أعطى القسمَةَ الأولى للذَّكرِ ثمَّ الثَّانيَةَ للأُنثى إلى أن يأتي على الأقسامِ كلِّها وإنْ كان البرجُ أنثى أعطى القسمَةَ الأولى للذَّكرِ إلى أنْ يأتيَ على الأقسامِ كلِّها .

ولو قُدِّرَ أنَّ جاهلًا آخَر تفنَّنَ في هذه الأوضاعِ ، وقَلَبَها وتكلَّمَ عليها كانَ من جنسِ كلامِهم ، ولم يكُن عندهم منَ البُرهانِ ما يَرُدُّونَ بِهِ قولَهُ ، بل إنْ رَأَوْهُ قَد أصابَ في بَعضِ أحكامِهِ لا في أكثرِها أحسَنوا به الظَّنَّ وتقلَّدوا قولَهُ ، وجعلوهُ قدوَةً لهم ، وهذا شأنُ الباطل .

عُدْنا إلى كلامِ عيسى في رسالتهِ ، قال :

واختلفوا في الحُدودِ ، فزعمَ أهلُ مصرَ أنَّها تُؤخَذُ من أربابِ البيوتِ ، وزعمَ الكلدانيُّونَ أنّها تؤخَذُ من مُدبِّر المثِليَّات ، وإذا كانَ اختلافُ الذين يعتدُّونَ بهم في أُصولهم هذا الاختلافَ ، وليسَ هم ممَّن يطالِبُ بالبرهانِ ، ولا يعتقدُ الشيءَ حتى يَصِحَّ على البحثِ والقياسِ ، فيعرفونَ مع مَن الحقَّ مِن رؤسائهم ، وفي أيِّ قولٍ هو من أقوالهم فيعملون بهِ ، وإنّما طريقتُهم التَّسليمُ لِمَا وجدوهُ في الكتبِ المنقولَةِ من لسانٍ إلى لسانٍ ! فكيفَ يجوزُ لهم أَنْ يتفرَّدوا باعتقادِ قولٍ من هذه الأقوالِ وينصرفوا عمَّا سواهُ إلّا على طريقِ الشهوةِ والتَّخمين ؟! واللّهُ المُستعان .

○ ذكرُ بعضِ ما يُستبشعُ مِن أقوالهم ويُستدلُّ به على مناقضتهم :

من ذلك زَعْمُهُم أنَّ الفَلَكَ جسمٌ واحدٌ ، وطبيعَةٌ واحدَةٌ ، وأنَّهُ شيءٌ واحدٌ ، وليسَ بأشياءَ مُختلفَةٍ ، ثمَّ زعموا بَعدَ ذلكَ أنَّ بعضَهُ ذكرٌ وبعضَهُ أُنثى ، ولا دلالَةَ لهم على ذلكَ ولا برهانٌ ، ولا وجَدْنا جسمًا واحدًا في الشاهدِ بعضُهُ ذَكَرٌ وبعضُهُ أُنثى .

قلتُ : قَد رامَ بعضُ الملبِّسين من فُضلائِهم تَصحيحَ هذا الهذيان ، فقال : ليسَ يستحيلُ أنْ يكونَ جسمٌ واحدٌ بعضُهُ أنثى وبعضهُ ذكرٌ كالرَّجل مثلًا ، فإنَّ العَينَ والأُذنَ واليَد والرِّجلَ منهُ مُؤنَّثَةٌ ، والرَّأسَ والصُّلبَ والصَّدرَ والظَّهرَ منهُ ذكرٌ ! وأيضًا ؛ فإنَّ الجسمَ مركَّبٌ منَ الهَيُولَى [1] والصُّورَةِ ، والهَيُولَى مذكرَّةٌ

(١) هي مادّة الشيء الّتي يُصنع منها ، انظر « التعريفات » (٣٧٩) للجُرجانيّ .

والصُّورَةُ مؤنَّثَةٌ ، وأيضًا ؛ لمّا وجدَ المنجِّمون الشمسَ تدلُّ على الآباءِ والأبُ ذكرٌ ، والقمرَ يدلُّ على الأمِّ وهي أنثى ، قالوا : إنَّ الشمسَ ذكرٌ والقمرَ أُنثى ، قالوا : وقَد قال أرسطو في كتاب « الحيوان » : طَمْثُ المرأةِ يقلُّ في نُقصانِ الشهرِ ، وكذلكَ قال بعضُ النَّاس : إنَّ القمرَ أنثى ، وقالوا أيضًا : فالشمسُ إذا كانَت قريبًا من سَمْتِ الرُّؤوسِ كانَ الحرُّ واليُبسُ ، وهما من طبيعَةِ الذُّكوريَّةِ ، والقمرُ إذا كانَ يقرُبُ من سَمْتِ الرُّؤوسِ بالليلِ كانَ البردُ والرُّطوبَةُ وهما من طبيعَةِ الأنثى ! فَلْيَعْجَبِ العاقلُ اللبيبُ من هذه الخُرافاتِ .

فأمَّا أعضاءُ الإنسانِ الذُّكورُ والأنثى ، فذلكَ أمرٌ راجعٌ إلى مُجرَّدِ اللفظِ وإلحاقِ علامَةِ التَّأنيث في تَصغيرِهِ وَوصفِهِ وخبرِهِ وعَوْدِ الضَّميرِ عليهِ بلفظِ التَّأنيث وجمعِهِ جمع المؤنَّث ، وليسَ ذلكَ عائدًا إلى طبيعَةِ العضوِ ومزاجِهِ .

فنظيرُ هذا قولُ النُّحاةِ : الشمسُ مؤنَّثَةٌ ، للحاقِ العلامَةِ لها في تَصغيرها ، فنقولُ : شُمَيْسةٌ ، وفي الخَبرِ عنها نحو : الشمس طالعَةٌ ، والقمرُ مذكَّرٌ لعَدمِ لحاق العلامَةِ لهُ في شيءٍ من ذلكَ ، فعلى هذا الوجهِ وَقَعَ التَّذكيرُ والتَّأنيثُ في أعضاءِ الحيوانِ .

وأمَّا قِسمتُكُم البروجَ وأجزاءَ الفَلَكِ إلى مُذكَّرٍ ومؤنَّثٍ فليسَت بهذا الاعتبارِ ، بل باعتبارِ الفعلِ والانفعالِ والحرارَةِ والرُّطوبَةِ ، فتَشبيهُ أحدُ البابين بالآخَرِ تلبيسٌ وجهلٌ .

وأمَّا تركُّبُ الجسمِ منَ الهَيُولَى والصُّورَةِ فأكثرُ العقلاء نَفَوْهُ ، وقالوا : هو شيءٌ واحدٌ متَّصلٌ متواردٌ عليهِ الاتِّصالُ والانفصالُ كما يتوارَد عليهِ غيرُهما منَ الأَعراض ، فيقبلُها ، ولا يلزمُهُ من قَبولِ الاتِّصالِ والانفصال أنْ يكونَ هناكَ شيءٌ

آخَرُ غيرُ الجسمّيةِ يقبلُ به ذلكَ ، والذين قالوا بتركيبهِ منهما لم يقُل أحدٌ منهم أصلًا : إنَّهُ مركَّبٌ من ذكرٍ وأنثى ، والصُّورَةُ مؤنَّثَةٌ في اللفظِ لا في الطَّبيعَةِ واضُحكاه على عقولهم السَّخيفَةِ !

وأمَّا دلالَةُ الشمسِ على الأبِ وهو مذكَّرٌ ، ودلالَةُ القمرِ على الأُمِّ وهي أنثى فلو سَلِمَت لكم هذه الدَّلالَةُ ، كيفَ يلزمُ منها تذكيرُ ما دلَّ على الذَّكرِ وتأنيثُ ما يدلُّ على الأُنثى؟ وأينَ الارتباطُ العقليُّ بينَ الدَّليلِ والمَدلولِ في ذلكَ؟ كيفَ ودلالَةُ الشمسِ على الأبِ والقمرِ على الأمِّ مبنيٌّ على تلكَ الدَّعاوى الباطلَةِ التي ليسَ لها مُستندٌ [تستندُ] إليهِ إلّا خيالاتٌ وأوهامٌ لا يرضاها العقلاءُ.

وأمَّا ما حَكَوْهُ عن أرِسطو فنقلٌ مُحرَّفٌ ، ونحنُ نَذكرُ نَصَّهُ في الكتابِ المَذكورِ ، فإنَّ لنا بهِ نُسخَةً مُصحَّحةً قد اعتُنيَ بها ، قال في المقالَةِ الثَّامنَة عَشر بعدَ أن تكلَّم في علَّةِ الإذْكارِ والإيناثِ وذكرِ قولِ مَن قال : إنَّ سببَ الإذكارِ حرارَةُ الرَّحم ، وسببَ الإيناثِ برودتُهُ ، وأبطلَ هذا بأنَّ الرَّحمَ مُشتملٌ على الذِّكرِ والأنثى معًا في الإنسانِ وفي كلِّ حيوان يلدُ ، قال :

فَقَد كانَ ينبغي على قَولِ هذا القائل أن يكونَ التَّوأمان إمَّا ذكرين وإمَّا أُنثيَين ، وأبطلهُ بوُجوهٍ أخَرَ ، وهذا رأيُ أَنبَذَقْلِيسَ ، وذكرَ قولَ ديمُقْراطيس أنَّ ذلكَ ليسَ لأجلِ حرارَةِ الرَّحمِ وبُرودتهِ ، بل بحسبِ الماءِ الذي يخرجُ منَ الذَّكَرِ وطبيعتهِ في الحرارةِ والبرودَةِ ، وجعلَ قُوَّةَ الإذكارِ والإيناثِ تابعَةً لماءِ الذَّكرِ ، وذكرَ قولَ طائفَةٍ أخرى أنَّ خروجَ الماءِ منَ النَّاحيَةِ اليُمنى منَ البَدنِ هيَ علَّةُ الإذكارِ ، وخروجَه منَ النَّاحيَةِ اليُسرى هي علَّةُ الإيناثِ ، قال : إنَّ النَّاحيَةَ اليُمنى منَ الجَسَدِ أسخَنُ منَ النَّاحيَةِ اليُسرى ، وأنضجُ ، وأدفأُ من غيرها ،

ورَجَّحَ قولَ ديمُقْراطيس بالنِّسبَةِ إلى هذه الآراءِ ، ثمَّ قال : فَقَد بيَّنَّا العِلَّةَ التي من أجلها يخْلَقُ في الرَّحمِ ذكرٌ وأُنثى والأعراضُ التي تَعْرِضُ تشهدُ لِمَا بيَّنَّا أنَّ الأَحْداثَ يلدونَ الإناثَ أكثَرَ من الشبابِ ، والمُتشيِّبونَ يلدونَ إناثًا أيضًا أكثَرَ من الشباب ؛ لأنَّ الحرارَةَ التي في الأَحْداثِ ليسَت بتامَّةٍ بَعْدُ، والحرارَةُ التي في الشيوخ ناقصَةٌ ، والأجسامُ الرَّطبَةُ التي خِلْقَتُها شبيهَةٌ بخِلْقَةِ بَعضِ النِّساءِ تلدُ إناثًا أكثرَ ، ثمَّ قال : فإذا كانَت الرِّيحُ شمالًا كانَ الولدُ ذَكَرًا ، وإذا كانَت جنوبًا كانَ المَولودُ أنثى ، لأنَّ الأجسادَ إذا هبَّت من الجنوبِ كانَت رطبَةً ، وكذلكَ يكونُ الزَّرعُ أكثرَ ، وكلَّما كَثُرَ الزَّرعُ يكونُ الطَّبخُ غيرَ نَضِجٍ .

ولِحالِ هذه العلَّةِ يكونُ زرعُ الذُّكورِ أَرْطبَ ، ويكونُ دمُ طَمْثِ النِّساء من قبلِ الطِّباعِ عندَ خروجهِ أرطبَ أيضًا .

قلتُ : ومرادهُ بالزَّرعِ الماءُ الذي يكونُ منَ الرَّجُل .

قال : ولِحالِ هذه العلَّةِ يكونُ طَمْثُ النِّساءِ من قبلِ الطِّباع في نَقصِ الأهلَّةِ أكثرَ ، لأنَّ تلكَ الأيَّامَ أبردُ من سائرِ أيَّامِ الشهر ، وهي أرطبُ أيضًا ، لنقصِ الأهلَّةِ وقلَّةِ الحرارَةِ ، والشمسُ تصيِّرُ الصَّيفَ والشتاءَ في كلِّ سنَةٍ ، فأمَّا القمرُ فيفعلُ ذلكَ في كلِّ شهرٍ .

فتأمَّلْ كلامَ الرَّجل فإنَّهُ لم يتعرَّضْ لكونِ القمرِ ذكرًا ولا أُنثى ، ولا أحالَ على ذلكَ ، وإنَّما أحالَ على الأمورِ الطَّبيعيَّةِ في الكائناتِ الفاسداتِ ، وبيَّنَ تأثيرَ النَّيِّرَيْنِ في الرُّطوبَةِ واليُبوسَةِ والحرارَةِ والبرودَةِ ، وجعَلَ لذلكَ تأثيرًا في الإذْكارِ والإيناثِ ، لا للنُّجومِ والطَّوالعِ .

ومع أنَّ كلامَهُ أقربُ إلى العقولِ من كلامِ المنجِّمينَ فهو باطلٌ من وجوهٍ

كثيرَةٍ معلومَةٍ بالحِسِّ والعَقلِ وأخبارِ الأنبياءِ ؛ فإنَّ الإذكارَ والإيناثَ لا يقومُ عليهِ دليلٌ ، ولا يستندُ إلى أمرٍ طبيعيّ ، وإنَّما هو مُجرَّدُ مشيئةِ الخالقِ البارىءِ المُصوِّرِ الذي ﴿ يَهَبُ لِمَن يشاءُ إناثًا ويَهَبُ لِمَن يشاءُ الذُّكور ، أَو يُزوِّجهم ذُكرانًا وإناثًا ويجعلُ من يشاءُ عَقيمًا إنَّهُ عليمٌ قَديرٌ ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] ﴿ الذي أعطى كلَّ شيءٍ خَلقهُ ثمَّ هَدى ﴾ [طه : ٢٠] .

ولهذا هو قرينُ الأجلِ والرِّزقِ والسَّعادَةِ والشقاوَةِ ، حيثُ يستأذنُ المَلَكُ الموكَّلُ بالمَولودِ ربَّهُ وخالقَهُ ، فيقولُ : يا ربِّ أذكرٌ أم أُنثى ؟ سعيدٌ أم شقيٌّ ؟ فما الرِّزقُ ؟ فما الأجلُ ؟ فيَقضي اللَّهُ ما يشاءُ ويكتبُ المَلَكُ (١) .

ولاستقصاء الكلامِ في هذه المسألةِ موضعٌ هو أليَقُ بها من هذا ، وقَد أشبَعْنا الكلامَ فيها في كتاب « الرُّوح والنَّفْس وأحوالها وشقاوتها وسعادتها ومقرها بعدَ الموتِ » (٢) .

والمَقصودُ الكلامُ على أقوالِ الأَحكاميِّين من أصحابِ النُّجومِ وبيانُ تهافتِها وأنَّها إلى المُحالاتِ والتَّخيُّلاتِ أقربُ منها إلى العُلومِ والحقائقِ .

وأمَّا قولُ المنتصرِ لكُم : إنَّ الشمسَ إذا كانَت مُسامِتةً للرُّؤوسَ كانَ الحرُّ واليُبْسُ ، وهما من طَبيعَةِ الذُّكورِ ، وإذا كانَ القمرُ مُسامِتًا للرُّؤوسِ كانَ البَردُ

(١) تقدّم تخريج الحديث الوارد في ذلك .

(٢) هو غيرُ كتاب « الروح » المشهور للمصنّف .

وقد أَشارَ إِليه المصنِّفُ في « الروح » (١٨٩) واصفًا إِيّاه بـ « كتابنا الكبير » ، وكذا في « جلاء الأَفهام » (ص١٥٢ و ١٨٩) .

وانظر « ابن القيّم حياته وآثاره » (ص ٢٥٨ - ٢٥٩) للشيخ بكر أَبو زيد .

والرُّطوبَةُ ، وهما من طبيعَةِ الأنثى !

فيقالُ : هذا لا يدُلُّ على تأنيث القمرِ وتذكيرِ الشمسِ بوجهٍ منَ الوجوهِ ؛ فإنَّ البَردَ والرُّطوبَةَ يكونان أيضًا بسببِ بُعْدِ الشمسِ من المُسامتَةِ ومَيلِها عن الرُّؤوس ، وحُصولِها في البروجِ الشماليَّةِ سواءٌ كانَ القمرُ مُسامِتًا أو غيرَ مُسامتٍ ، فيَنبغي على قولكم أنْ يكونَ سببُ هذا البَردِ أنثى ! وهذا لا يقولهُ عاقلٌ ! بل الأسبابُ طبيعيَّةٌ من بردِ الهواءِ وتكاثُفهِ ، وتأثيرِ الشمسِ في تحليلِ الأَبْخِرَةِ الّتي تكونُ منها الحرارَةُ بسببِ بُعدها عن الرُّؤوسِ ، وليسَ سببُ ذلكَ أنثى اقتَضتْهُ وفعلَتْهُ ! فقد جمعتُم إلى جهلِكم بالطَّبيعَةِ والكذبِ على الخِلْقَةِ القولَ الباطلَ على اللَّهِ وعلى خلقهِ !!

وليسَ العَجَبُ إلّا ممَّن يدَّعي شيئًا منَ العقلِ والمعرفَةِ ، كيفَ ينقادُ لهُ عقلُهُ بالإصْغاءِ إلى مُحالاتكم وهَذَياناتكم ؟ ولكنْ **كلُّ مجهولٍ مَهيبٌ** !

ولمّا تكايَسَ مَن تَكايَسَ منكم في أمرِ الهَيُولَى وزعمَ أنَّها أُنثى ، وأنَّ الصُّورَةَ ذَكَرٌ ، وأنَّ الجسمَ الواحدَ مُشتملٌ على الذَّكرِ والأنثى أضحَكَ عُقلاءَ الفلاسفة عليهِ ، فإنَّ زعيمَهم ومعلِّمَهم الأوَّل نَصَّ في كتابِ « الحَيَوان » [١] لهُ على أنَّ الهَيُولَى في الجسم كالذَّكَر .

وإنْ قلتم : فهذا يشهدُ لقولنا أيضًا ؛ لأنَّها إنْ كانَت عندهُ كالذَّكرِ فالصُّورَةُ أُنثى ، فصارَ الجسمُ الواحدُ بعضُهُ ذكرًا وبعضُهُ أنثى !

قلنا : القائلون بتركُّبِ الأجسامِ منَ الهَيُولَى والصُّورَة لم يقولوا : إنَّ أحَدَهما متميِّزٌ عن الآخَرِ ، كما زعمتم ذلكَ في أجزاءِ الفَلَكِ ، بل عندهم

(١) هو لأَرسطو طاليس ، انظر « كشف الظنّون » (١ / ٦٩٦) .

الهَيُولَى والصُّورَةُ قَد اتَّحَدا وصارا شيئًا واحدًا ، فالإشارَةُ الحِسِّيَّةُ إلى أحدهما هي بعَينها إشارَةٌ إلى الآخَرِ ، وأنتُم جعلتُم الجُزءَ المُذَكَّرَ مِنَ القلبِ مُباينًا للجزءِ الأنثى منهُ بالوَضعِ والحقيقَةِ ، والإشارَةَ إلى أحدهما غيرَ الإشارَةِ إلى الآخَرِ .

وللكلامِ مع أصحابِ الهَيُولَى مقامٌ آخَرُ ليسَ هذا موضعَهُ ؛ فإنَّ دَعوى تركُّبِ الجسمِ منهما دَعوى فاسدَةٌ من وجوهٍ كثيرَةٍ وليسَ يصحُّ شيءٌ هُنا غيرُ الهَيُولَى الصِّناعيَّة ؛ كالخشبِ للسَّريرِ ، والطَّبيعيَّة ؛ كالمَنيِّ للمولودِ وهي المادَّةُ الصِّناعيَّةُ والطَّبيعيَّةُ ، وما سوى ذلكَ فخيالٌ ومحالٌ ، واللَّهُ المُستعان .

عُدْنا إلى كلامِ صاحبِ الرِّسالَةِ قال :

ومِنْ ذلكَ زَعْمُهُم أَنَّهُ إنِ اتَّفقَ مولودٌ ابنُ ملكٍ وابنُ حجَّامٍ في البلدِ والوَقتِ والطَّالعِ والدَّرجَةِ ، وكانَت سائرُ دلالاتِ السَّعادَةِ موجودَةً في مولديهما ، وَجَبَ أنْ يكونَ مِن ابنِ الملكِ مَلِكٌ جليلٌ سائسٌ مُدَبِّرٌ ومن ابنِ الحجَّامِ حاذقٌ ، وهذا يُخْرِجُ النُّجومَ عن أنْ تكونَ تدلُّ على ما يتحدَّدُ من حالِ الإنسانِ وبجعلها تدلُّ على حَذْقهِ وصناعَةِ أبيهِ وتَقْصيرهِ فيها .

قلتُ : وممَّا يُوضِّحُ فسادَ قولهم في ذلك أنَّ بَطْليمُوس جعَلَ الكواكبَ الدَّالَّةَ على الصِّناعاتِ ثلاثَةً : المرِّيخَ والزُّهَرَةَ وعُطاردَ ، وقال : لأنَّ الصِّناعاتِ العَمَليَّةَ تحتاجُ إلى ثلاثَةِ أشياءَ ضروريَّةٍ ، أحدها : المعرفَةُ ، والثَّاني : الآلَةُ ، والثَّالث : الطَّاقَةُ في الكفِّ ، ليخرجَ المعلولُ المَصنوعُ حسنًا ، والآلَةُ للمرِّيخِ التي يشيرُ إليها يكونُ على الأكثرِ إمَّا حَديدًا وإمَّا مُصاحِبةً للحديدِ ، ولذلكَ يقولونَ : صورتهُ صورَةُ شابٌّ بيُمناه سيفٌ مَسلولٌ ، وبيسراه رأسُ سنانٍ ، وهو راكبٌ أَسَدًا وثيابهُ حُمْرٌ تلهبُ ! وآخرونَ منهم يقولون : على رأسهِ بَيْضَةٌ وبيُسراهُ

طَبَرْزين [١] وعليهِ خِرقَةٌ حَمراء ، وهو راكبٌ فرسًا أشهَبَ .

والمعرفَةَ لعُطاردَ ، ولذلكَ يقولونَ : صورتهُ صورَةُ شابٌ بيُمناهُ حيَّةٌ ، وبيُسراهُ لوحٌ يقرأهُ ، وعلى رأسهِ تاجٌ ، وثيابهُ مُلوَّثَةٌ بالتَّزاوِيقِ والنُّقوش .

وما شاكلَ ذلكَ للزُّهَرَةِ ، ولذلكَ يقولون : صورتُها صورةُ امرأةٍ حَسَنةٍ بينَ يديها مِدَقٌّ تَضربُ به ، وهي راكبَةٌ على جملٍ، ومنهم مَن يقول : امرأةٌ جالسَةٌ مُرخاةُ الشعرِ ذوائبها بيُسراها ، وباليُمنى مِرآةٌ تنظرُ فيها ، نَظيفةُ الثَّوبِ ، وعليها طوقٌ وأَسْوِرةٌ وخلاخلُ ، وأمَّا الشمسُ والقمرُ فهما الدَّالَّانِ على المُلْكِ فالشمسُ صورتها صورَةُ رجلٍ بيدهِ اليُمنى عَصًا يتوكَّأ عليها ، وباليُسرى حِرْزٌ [٢] راكبٌ عجلَةً تجرُّها أَربعةُ نمورٍ ، ومنهم مَن يقول : صورتُها صورَةُ رجلٍ جالسٍ قابضٍ على أربعَةِ أَعِنَّةِ أفراسٍ ، ووجههُ كالطَّبَقِ يلتهبُ نارًا !

قالوا : ودلائلُ المُلْكِ ليسَتْ بأعيانِها هي دلائلَ الصِّناعاتِ ، ودلائلُ الصِّناعاتِ هي دلالاتُ المُلْكِ ، بل قَد يجوزُ أن يَدُلَّ على رياسَةٍ ما إلّا أَنَّ المُلْكَ أخصُّ منَ الرِّياسَةِ ، ولكلِّ واحدٍ منَ الكواكبِ على الإطلاقِ دِلالةٌ على رياسَةٍ ما في معنىً منَ المعاني .

فيُقالُ : أرأيتُم إنْ حصَلَتْ أدلَّةُ الملكِ في طالعِ مولودٍ ليسَ مِنَ المُلكِ في شيءٍ ، بل أكثرُ المولودين لا ينالون المُلْكَ البتَّةَ وإنَّما ينالُهُ واحدٌ منَ النَّاسِ ، ولا يلزمُ أنْ يكونَ في آبائهِ مُلْكٌ ولا يكونَ ابنَ ملكٍ ، فما بالُ طالعِ المُلْكِ المشتركِ بينَ عدَّةِ أولادٍ خَصَّ هذا وحدَهُ ، حتى إنَّ أكثرَكم ينظرُ بنصِّ بطليموس إلى

(١) لعلّه مِن أَنواعِ الأَسلحةِ المشهورةِ في ذلك الزمان .

(٢) هو الوعاءُ الحَصِين يُحْفَظُ فيه الشيءُ .

جنسِ المولودِ وما يصلحُ لهُ فيحكُمُ على ابنِ المَلِكِ بالمُلْكِ ، وعلى ابنِ الحجَّامِ بالحجامَةِ فإنْ كانَ طالعُهما واحدًا حكمَ بتقدُّمِ ابن الحجَّامِ في رياسَةِ صناعتِهِ وكونهِ كملكِهم .

ومعلومٌ أنَّ الحِسَّ والوجودَ أكبرُ المُكذِّبين لكم في هذه الأحكامِ ، فما أكثرَ مَن نالَ المُلْكَ وليسَ هو من أبناءِ الملوكِ البتَّةَ ! ولا كانَ طالعُهُ يَقْتَضي ذلكَ ، وحُرِمَهُ مَن يَقتضيهِ طالِعُهُ بزعمكم ممَّن أبوهُ ملكٌ !!

وكذلكَ الكلامُ في غير المُلْكِ مِنَ الطَّالعِ الذي يَقْتَضي كونَ المولودِ حكيمًا عالمًا ، أو حاذقًا في صناعتِهِ ، كم قَد أخْلَفَ وحصلَ العلمُ والحكمَةُ والتَّقدُّمُ في الصِّناعَةِ لغَيرِ أربابِ ذلكَ الطَّالع ! وفي ذلكَ أَبْيَنُ تكذيبٍ لكم وإبطالٍ لقولكم ، واللَّهُ المُستعان .

قال صاحبُ الرِّسالة :

وأبعدُ من ذلكَ قولُهم : إنَّ الكواكبَ المُتحيِّرَةَ أجلُّ منَ الثَّوابتِ ، وأبيَنُ تأثيرًا في العالَمِ ، وإنَّ كُلَّ واحدٍ منَ الكواكبِ الثَّابتَةِ يفعلُ فعلًا واحدًا لا يزولُ عنهُ مِن غيرِ أن يَنْحَسَ أو يُسْعِدَ ، وإنَّ عُطاردَ هو منَ الكواكبِ المُتحيِّرَةِ ليسَ لهُ طبعٌ يُعْرَفُ ، وأنَّهُ نَحْسٌ إذا قارنَ النُّحوسَ ، وسعدٌ إذا قارنَ السُّعودَ !

ومن ذلكَ قولُهم : إنَّ قوَّةَ القمر التَّرطيبُ ، وإنَّ العِلَّةَ في ذلكَ قربُ فَلَكِهِ من الأرض ، وقبولُهُ البُخاراتِ الرَّطْبةَ التي ترتفعُ إليهِ منها ، وإنَّ قُوَّةَ زُحَل أن يُبردَ ويُجَفِّفَ تجفيفًا يسيرًا ، وإنَّ علَّةَ ذلكَ بُعْدُهُ عن حرارَةِ الشمسِ ، وعن البُخاراتِ الرَّطْبَةِ التي تَرتفعُ منَ الأرضِ ، وإنَّ قُوَّةَ المرِّيخِ مُجَفِّفةٌ مُحْرِقَةٌ لمُشاكلةِ لونهِ لِلَونِ النَّار ، ولِقُرْبِهِ من الشمسِ ؛ لأنَّ الكُرَةَ التي فيها الشمسُ مُوضوعَةٌ تحتَه .

قلتُ : فَلْيتأمَّلِ العاقلُ ما في هذا الكلامِ من ضُروبِ المُحالِ ، وما للفَلكِ وَوُصولِ البُخارات الأرضيَّةِ إليهِ ! وهل في قوَّةِ البُخارات تصاعدُها إلى سطحِ الفَلَكِ مع البُعدِ المُفْرِط ؟ والبُخارُ إذا ارتفعَ فغايَةُ ارتفاعِهِ كارتفاعِ السَّحابِ لا يتعدّاهُ ، وهَل تتأثَّر العُلويَّات بطبائعِ السُّفليَّات وتتكيَّفَ بكيفيَّاتها وتنفعلُ عنها ؟!

وممَّا يدُلُّ على فسادِ ذلكَ أيضًا أنَّ القمرَ لو كانَ مُترطِّبًا منَ البُخاراتِ وجبَ أنْ تزدادَ رُطوبتُهُ في كُلِّ يومٍ ؛ لأَنَّهُ دائمُ القَبُولِ للبُخاراتِ ! ولا يقولون ذلك !!

وإنِ التزمهُ منهم مُكابرٌ ، وقال : كلَّ يومٍ يزدادُ رطوبَةً !

قلتُ لهُ : فما تُنْكِرُ أن تكونَ دِلالةُ زُحَلَ والمَرِّيخ على النُّحوسِ تَتزايَدُ وتكونُ دلالتهُ عل النُّحوسِ في اليومِ أكثرَ مِن دلالتهِ في الأمسِ .

ولو فُتِحَ عليكم هذا البابُ فلعلَّ السَّعْدَ ينقلبُ نحْسًا ، وبالعكس !! وهذا يرفعُ الأمانَ عن أُصولِ هذا العلم .

وأيضًا ؛ فإذا جوَّزتُم انفعالَ الفَلَكيّات عن أجزاء هذا العالَم السُّفلي لَزِمَكُم تجويزُ فسادِ هذه الكواكبِ مِن هذه الأجرامِ العُنصريَّةِ ، ولَزِمَكُم تجويزُ أَنْ ترتفعَ إلى القَمَر من الأدخنَةِ ما يوجبُ جفافَهُ وبُلوغَهُ في اليُبْسِ الغايَةَ !

وأيضًا ؛ فإذا جوَّزتم ذلكَ فَلِمَ لا تُجوِّزونَ نفوذَ تلكَ البُخاراتِ إلى ما وراءِ فَلَكِ القمرِ حتى يترطَّب فَلَكُ الأفلاكِ ؟

فإنْ قلتم : فلكُ القَمَرِ عائقٌ عن ذلك !

قلنا : وكُرةُ الأثيرِ حائلَةٌ بينَ عالَمنا هذا وبين فَلَك القمرِ ، فكيفَ جوَّزتم وُصولَ البُخارات الأرضيَّةِ إلى فَلَكِ القمرِ ، وفي مشابهَةِ لونِ المرِّيخِ للونِ النَّارِ

ممَّا يَقتَضي تأثيرهُ الإحراقَ والتَّجفيفَ ، وهل في الهَذَيانِ أعجبُ من هذا ؟

فإنْ أرادوا النَّارَ البسيطَةَ فإنَّها لا لونَ لها ، وإن أرادوا النَّارَ الحادِثَةَ فهي بحسبِ مادَّتها التي تُوجِبُ حُمْرَتَها وصُفرتها وبياضَها .

وأمَّا كونُ الشمسِ تحتَهُ فهذا لا يَقْتَضي تأثيرَها فيهِ ، وإعْطاءَهُ قُوَّةَ التَّجفيفِ والإحراقِ ؛ فإنَّ الشمسَ لو أثَّرتْ فيهِ ذلكَ وأَعْطَتْهُ إيَّاه لكانَت الشمسُ بهذا التَّأثير والإعطاء للزُّهَرَةِ ، ونسبتُها إلى كُرَةِ الزُّهَرَةِ كنسبتِها إلى كُرَةِ المِرِّيخِ فهلّا كانت قوَّةُ الزُّهَرَةِ التَّجفيفَ والإحراقَ ، بل تأثيرُ الشمسِ فيما تحتَها أَوْلى من تأثيرها فيما فَوقها ؟!

قال صاحبُ الرِّسالة :

وإنَّ الكواكبَ الثَّابتَةَ التي في الدُّبِّ الأكبرِ قوَّتُها كقوَّةِ المِرِّيخِ ! وهذا غَلَطٌ عظيمٌ ؛ لأنَّ لونَ هذه الكواكب غيرُ مُشْبِهٍ لِلَوْنِ النَّارِ ، وليسَت الكُرَةُ التي فيها الشمسُ مَوْضُوعَةً تحتَها ، بل الكُرَةُ التي فيها زُحَلُ موضوعَةٌ تحتها ، فهي بأنْ يكون حالُها مُشْبِهًا لحالِ زُحَلَ أوْلى ، لأنَّها فوقَهُ وبُعْدُها عن الشمسِ وعن حراراتِ الأرضِ أكثرُ مِن بُعدهِ !

قلتُ : والعَجْبُ من هؤلاءِ ! يعلمونَ قولَ مُقَدَّمهم بَطْلِيمُوس : أنَّ طبائعَ الأجرامِ السَّماويَّةِ واحدَةٌ ؛ ثمَّ يَحْكُمونَ على بَعضِها بالحرارَةِ وعلى بَعضها بالبرودَةِ وكذلكَ بالرُّطوبَةِ واليُبوسَةِ !!

قال : وَزَعموا أنَّ عُطاردَ مُعتدلٌ في التَّجفيفِ والتَّرطيبِ ، لأنَّهُ لا يَبْعُدُ في وقتٍ منَ الأوقاتِ عن حَرِّ الشمسِ بُعدًا كثيرًا ، ولا وَضْعُهُ فوقَ كُرَةِ القمرِ ، وإنَّ الكواكبَ الثَّابتَةَ التي في الجاني [1] حالُها شبيهَةٌ بحالِهِ ، وليسَ يوجَدُ لها من

---

(١) في حاشية النُّسخة ما نصُّه : « العبارة غَلَط مِن أَصلها » .

قلت : ولعلَّ (الجاني) اسمٌ لمجموعةِ نجومٍ تتشكّل على نَمَطٍ مُعيَّنٍ .

السَّببينِ اللذَيْنِ دلّا على طبيعَةِ عُطاردَ شيئًا ، بل الدَّورُ يُوْجِدُ لها ضدّ ذلكَ وهو أنَّها بَعيدَةٌ منَ الشمسِ في أكثر الأوقاتِ ، وأَنَّ فَلَكها أبعَدُ أفلاكِ الكواكبِ من كرَةِ القمر .

وقالوا : إنَّ الكواكبَ التي في النَّفادِ (١) تُشبِهُ حالَ عُطاردَ وزُحَلَ في بَعضِ الأوقاتِ ، وتُشبِهُ حالَ المُشتري والمِرِّيخ في بَعضها .

قلتُ : وقَد استدلَّ فُضلاؤكم على اختلافِ طبائعِ الكواكبِ باختلافِ ألوانها ، فقالوا : زُحَل لونُه الغُبرَةُ والكُمودةُ (٢) فحكمنا بأنَّهُ على طبعِ السَّوداء وهو البردُ واليبسُ ، فإنَّ السَّوداءَ لها منَ الألوان الغُبْرَةُ ، وأمَّا المِرِّيخُ فإنَّهُ يشبهُ لونُهُ لونَ النَّارِ ، فلا جَرَمَ قُلنا : طبعُهُ حارٌّ يابسٌ ، وأمَّا الشمسُ فهي حارَّةٌ يابسَةٌ ؛ لوجهين :

أحدهما : أنَّ لونَها يُشْبِهُ لونَ الحُمرَةِ .

الثَّاني : أنَّا نعلمُ بالتَّدبير أنَّها مُسَخِّنَةٌ للأجسامِ ، مُنَشِّفَةٌ للرُّطوباتِ .

وأمَّا الزُّهَرَة ؛ فإنَّا نَرى لونَها كالمُرَكَّبِ منَ البياضِ والصُّفْرَةِ ، ثمَّ إنَّ البياضَ يدُلُّ على طبيعَةِ البَلْغَمِ الذي هو البَرْدُ والرُّطوبَةُ ، والصُّفرَةَ تدلُّ على الحرارَةِ .

ولما كانَ بياضُ الزُّهَرَةِ أكثرَ من صُفرتِها حَكَمْنا عليها بأنَّ بَرْدَها ورُطوبتَها أكثرُ .

وأمَّا المُشتَري فلمَّا كانَت صُفْرتُهُ أكثرَ ممَّا في الزُّهَرَةِ كانَت سُخونتُهُ أكثرَ من سُخونةِ الزُّهَرَةِ ، وكانَ في غايَةِ الاعتدالِ .

---

(١) لعلّه - أيضًا - اسمٌ لمجموعةِ نجومٍ تتشكّل على النحوِ الماضي .

(٢) هي تغيُّر اللون .

وأمَّا القمرُ فهو أبيضُ وفيهِ كُمودَةٌ ، فبياضهُ يدلُّ على البَردِ .

وأمَّا عُطاردُ فإنَّا نَرى عليهِ الألوانَ مُختلفَةً ، فربَّما رأيناهُ أخضَرَ ، وربَّما رأيناهُ أغبَرَ ، وربَّما رأيناهُ على خلافِ هذينِ اللونين ، وذلكَ في أوقاتٍ مُختلفَةٍ مع كونهِ في الأُفقِ على ارتفاعٍ واحدٍ ، فلا جرمَ قلنا : إنَّهُ لكونهِ قابلًا للألوانِ المُختلفَةِ يجبُ أنْ يكونَ لهُ طبائعُ مُختلفَةٌ ، إلَّا أنَّا لمَّا وَجَدْنا في الغالبِ عليهِ الغُبْرَةَ الأرضيَّةَ ، قلنا : طبيعتهُ أَمْيَلُ إلى الأرضِ واليُبسِ !!

وهذا التَّقريرُ باطلٌ من وجوهٍ عَديدَةٍ :

أحدها : أنَّ المُشاركَةَ في بَعضِ الصِّفاتِ لا تَقتَضي المُشاركةَ في الماهيَّةِ والطَّبيعَةِ ولا في صفَةٍ أخرى .

الوجه الثَّاني : أنَّ الدَّلالَةَ بمُجرَّدِ اللونِ على الطَّبيعَةِ ضعيفَةٌ جدًّا ؛ فإنَّ النُّورَةَ (١) والنُّوشادِرَ والزَّرنيخَ والزِّئبقَ المُصَعّدَ والكبريتَ في غايَةِ البَيَاضِ مع أنَّ طبائعَها في غايَةِ الحرارَةِ .

الثَّالث : أنَّ ألوانَ الكواكبِ ليسَتْ كما ذكرتُم ؛ فزُحَل رصاصيُّ اللونِ ، وهذا مخالفٌ للغُبرَةِ والسَّوادِ الخالصِ ، وأمَّا المُشتري فلا بدَّ أنَّ بياضَهُ أكثرُ من صُفرتهِ ، فيلزمُ على قولكُم أنَّ بَرْدَهُ أكثرُ من حَرِّهِ ! وهم يُنْكِرونَ ذلكَ ، وأمَّا الزُّهَرَةُ فلا صفرَةَ فيها البتَّةَ بل الزُّرقَةُ ظاهرَةٌ في أمرها ، فيلزمُ أنْ تكونَ خالصَةَ البَردِ ، وأمَّا المِرِّيخُ فإنْ كانَ حرُّهُ لِشِبْهِهِ بالنَّارِ في لونهِ فهذه المُشابهَةُ في الشمسِ والنَّارِ أتمُّ ، فَيَلْزَمُ أنْ تكونَ حرارَةُ الشمسِ وسُخونَتُها أقوى من حرارَةِ المِرِّيخِ ! وهم لا يقولونَ ذلكَ ، وأمَّا عُطارِدُ فإنَّا وإنْ رأيناهُ مُختلفَ اللونِ في الأوقاتِ

---

(١) أَخلاط كيماويّة تُستعملُ لإزالةِ الشَّعْرِ .

المختلفةِ إلّا أنَّ السَّبَبَ فيهِ أنَّا لا نراهُ إلّا إذا كانَ قريبًا منَ الأفقِ ، وحينئذٍ يكونُ بينَنا وبينهُ بُخاراتٌ مختلفَةٌ ، فلا جَرَمَ إن اختَلَفَ لونهُ لهذا السَّبب ، وأمَّا القمرُ فَقَد قال زعيمُكُم المُؤَخَّر أبو مَعْشرٍ : إنَّهُ لا يَنْسِبُ لونَهُ إلى البياضِ إلّا مَن عَدِمَ الحِسَّ البَصريَّ ! فتبيَّنَ بطلانُ قولِكم في طبائع الكواكبِ وتناقُضُهُ واختلافُهُ !!

ولمَّا علمَ بعضُ فضلائكُم فسادَ قولكم في طبائعِ الكواكبِ ، وأنَّ العقلَ يشهدُ بتكذيبهِ ، صَدَفَ عنهُ وأنكرهُ ، وقال : إنَّما نشيرُ بهذه القوى والطَّبائع إلى ما يَحْدُثُ عن كلِّ واحدٍ منَ الأجرامِ السَّماويَّةِ ، وينفعلُ بها منَ الكائناتِ الفاسداتِ ، لا أنَّها بطبائعها تفعلُ ذلكَ ، بل يَحْدُثُ عنها ما يكونُ حارًّا أو باردًا أو رَطْبًا أو يابسًا ، كما يقالُ : إنَّ الحركَةَ تُسَخِّنُ والصَّومَ يُجَفِّفُ ، لا عَلى أنَّها تفعلُ ذلكَ بطبائعها ، بل بما يَحْدُثُ عنها ، فَبَطْلِيمُوس قال : إنَّ القمرَ مُرَطِّبٌ ، والشمسَ تُسَخِّنُ بحسبِ ما يحدُثُ عنهما ، وتنفعلُ المُنفعِلاتُ بتلكَ القوى ، لا بأنَّ طبائعَها مُكيِّفاتٌ ! فقال : نحنُ لم نُنازِعْكُم في تأثيرِ الشمسِ والقمرِ في هذا العالَم بالرُّطوبَةِ والبرودَةِ واليُبُوسَةِ وتوابعِها وتأثيرِها في أبدانِ الحيوانِ والنَّباتِ ، ولكنْ هما جُزْءٌ من السَّببِ المؤثِّرِ ، وليسا بمُؤثِّرٍ تامٍّ ؛ فإنَّ تأثيرَ الشمسِ مثلًا كانَ بواسطَةِ الهواءِ وقَبُولِهِ للسُّخونَةِ والحرارَةِ بانعكاسِ شُعاعِ الشمسِ عليهِ عندَ مُقابلتها لِجِرْمِ الأرضِ ، ويختلفُ هذا القَبُولُ عندَ قُرْبِ الشمسِ منَ الأرضِ وبُعْدِها ، فيختلفُ حالُ الهواءِ وأحوالُ الأَبْخِرَةِ في تكاثُفِها وبُرودتِها وتلطُّفِها وحرارتِها ، فتختلفُ التَّأثيراتُ باختِلافِ هذه الأسبابِ ، والسَّببُ جزءُ الشمسِ في ذلكَ ، والأرضُ جزءٌ ، والهواءُ جزءٌ ، والمُقابَلَةُ المُوجِبَةُ لانعكاسِ الأشعَّةِ جزءٌ ، والمَحَلُّ القابلُ للتَّأثيرِ والانفعالِ جزءٌ .

ونحنُ لا نُنْكِرُ أنَّ قوَّةَ البردِ بسببِ بُعدِ الشمسِ عن سَمْتِ رؤوسنا ، وقوَّةَ الحرِّ بسببِ قُربِ الشمسِ من سَمْتِ رؤوسنا ، ولا نُنكِرُ أنَّ الشمسَ إذا طَلَعَتْ فإنَّ الحيوانَ - ناطِقَهُ وبهيمَهُ - يخرجُ من مكامنهِ وأكنَّتِهِ ، وتظهرُ القوَّةُ والحركةُ فيهم ثمَّ ما دامَت الشمسُ صاعدَةً في الرُّبعِ الشرقي فحركاتُ الحيوانِ في الازديادِ والقوَّةِ ، وتستمرُّ هذه الحالُ إلى غروبِ الشمسِ ، ثمَّ كلَّما ازدادَ نورُ الشمسِ عن هذا العالمِ بُعدًا ازدادَ الضَّعفُ والفُتورُ في حركةِ الحيوانِ ، وهدأتِ الأجسادُ ورجعَت الحيواناتُ إلى مكامنِها ، فإذا طلعَت الشمسُ رجعوا إلى الحالَةِ الأولى .

ولا نُنكرُ أيضًا ارتباطَ فُصولِ العالمِ الأربعَةِ بحركاتِ الشمسِ وحلولها في أبراجها ، ولا نُنكرُ أنَّ السُّودان لمَّا كانَ مسكنُهم خطَّ الاستواءِ إلى محاذاةِ ممرِّ رأسِ السرطان وكانَت الشمسُ تمرُّ على رؤوسهم في السَّنةِ إمَّا مرَّةً وإمَّا مرَّتين تسوَّدَت أبدانُهم ، وجعدَت شعورُهم ، وقلَّت رطوبتُهم ، فساءَت أخلاقُهم ، وضعُفَت عقولهم ، وأمَّا الذينَ مساكنُهم أقربُ إلى مُحاذاةِ مَمَرِّ السَّرطان فالسَّوادُ فيهم أقلُّ ، وطبائعُهم أعدَلُ ، وأخلاقُهم أحسنُ ، وأجسامهم ألطفُ كأهلِ الهندِ واليمنِ وبَعضِ أهلِ الغَرْبِ ، وعكسُ هؤلاءِ الذينَ مساكنُهم على ممرِّ رأسِ السَّرطان إلى مُحاذاةِ بناتِ نَعْشٍ [1] الكُبرى ، فهؤلاءِ لأجلِ أنَّ الشمسَ لا تُسامِتُ رؤوسهم ، ولا تَبْعُدُ عنهم أيضًا بُعدًا كثيرًا ، ولم يَعْرِضْ لهم حَرٌّ شديدٌ ولا بردٌ شديدٌ ، فألوانُهم مُتوسِّطَةٌ ، وأجسامُهم معتدلَةٌ ، وأخلاقُهم فاضلَةٌ كأهلِ الشامِ والعراقِ وخراسانَ وفارسَ والصِّين ، ثمَّ مَن كانَ مِن هؤلاءِ

---

(١) سَبَقَ التعريف بها .

أَمْيَلُ إلى ناحيَةِ الجنوبِ كانَ أتمَّ في الذَّكاءِ والفهمِ ، ومَن كانَ منهم يميلُ إلى ناحيَةِ الشرقِ فهم أقوى نُفوسًا وأشدُّ ذُكورَةً ، ومَن كانَ يميلُ إلى ناحيَةِ الغَربِ غلبَ عليهِ اللِّينُ والرَّزانَةُ .

ومَن تأمَّلَ هذا حقَّ التَّأمُّلِ وسافَرَ بفكرِهِ في أقطارِ العالمِ عَلِمَ حكمَةَ اللَّهِ في نَشرِهِ مَذهبَ أهلِ العراقِ وما فيهِ منَ اللِّينِ، وما شاكَلَهُ في أهلِ المشرقِ ، ومَذهب أهلِ المَدينَةِ وما فيهِ منَ الشدَّةِ والقُوَّةِ في أهلِ المَغربِ ، وأمَّا مَن كانَت مساكنُهم مُحاذيَةً لبناتِ نَعشٍ - وهم الصَّقالبَةُ (١) والرُّومُ - فإنَّهم لكثرةِ بُعدهم عن مُسامتَةِ الشمسِ صارَ البَردُ غالبًا عليهم ، والرُّطوبَةُ الفضليَّةُ (٢) فيهم ؛ لأنَّهُ ليسَ منَ الحرارَةِ هناكَ ما يُنَشِّفُها ويُنْضِجُها ، فلذلكَ صارَت ألوانُهم بيضاءَ ، وشُعُورهم سَبِطَةً شقراءَ ، وأبدانُهم رَخِصَةً (٣) ، وطبائعهم مائلَةً إلى البرودَةِ ، وأذهانهم جامدَةً .

وكلُّ واحدٍ من هذينِ الطَّرفينِ- وهما الإقليمُ الأوَّلُ والسَّابعُ - يَقِلُّ فيهِ العُمرانُ ، وينقطعُ بعضُهُ عن بعضٍ لأجلِ غَلَبَةِ اليُبْسِ ، ثمَّ لا تزالُ العِمارَةُ تزدادُ في الإقليمِ الثَّاني والسَّادسِ والخامس ، ويَقِلُّ الخرابُ فيها ، وأمَّا الإقليمُ الرَّابعُ فإنَّهُ أكثرُ الأقاليمِ عِمارَةً ، وأقلُّها خرابًا ، بالفَصلِ الوَسطِ على الأطرافِ ، بسببِ اعتدالِ المزاجِ ، وهو الذي انْتَشَرَتْ فيهِ دعوَةُ الإسلامِ ، وَضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ (٤)

---

(١) قال في « المعجم الوجيز » (ص ٣٦٧) : جيل مِن الناسِ كانت مساكنُهم إلى الشمال من بلاد البُلغار ، وانتشروا الآن في كثير من شرقي أوروبا ، وهم المُسَمَّوْنَ الآنَ بـ (السُّلاف) .

(٢) الزائدة .

(٣) بليدة .

(٤) ثَبَتَ واسْتَقَرَّ .

فيهِ ، وظهَرَ فيهِ أعظمَ مِن ظُهورهِ في سائرِ الأقاليمِ ، ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ : « زُوِيَتْ لي الأرْضُ فرَأيتُ مَشارِقَها ومَغاربَها وسَيَبْلُغُ مُلْكُ أمَّتي ما زُويَ لي منها » (١) ، فكانَ انتشارُ دَعوتهِ ﷺ في أعدلِ الأرضِ ، ولذلكَ انتَشرتْ شرقًا وغَربًا أكثرَ من انتشارها جَنوبًا وشمالًا ، ولهذا زُويَت لهُ فَأُريَ مشارقَها ومغاربَها ، وبشَّرَ أُمَّتهُ بانتشارِ مملكتِها في هذينِ الرُّبعين ، فإنَّهما أعدلُ الأرضِ ، وأهلُها أكملُ النَّاسِ خَلْقًا وخُلُقًا ، فظهَرَ الكمالُ لهُ في الكتابِ ، والدِّين ، والأصحابِ ، والشريعَةِ ، والبلادِ ، والممالكِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامهُ عليهِ .

فإنْ قيلَ : فَقَد فَضَّلتُم الإقليمَ الرَّابعَ على سائرِ الأقاليم ، مع أنَّ شيئًا منَ الأدويَةِ لا تَتولَّدُ فيهِ الأدواءُ ضعيفًا ، وإنَّما تتكوَّنُ الأدويَةُ في سائرِ الأقاليم .

قيلَ : هذا مِن أدلِّ الدَّلائلِ على فَضْلهِ عليها ، لأنَّ طبيعَةَ الدَّواءِ لا تكونُ مُعتدلَةً ، إذ لو حَصَلَ فيها الاعتدالُ ، لكانَ غذاءً لا دواءً ، والطَّبيعَةُ الخارجَةُ عن الاعتدالِ لا تَحْدُثُ إلّا في المساكنِ الخارجَةِ عن الاعتدالِ ، وكذلكَ حالُ الشمسِ في المواضعِ التي تُسامِتُها ، فموضعُ حضيضِها وغايَةُ قُربها منَ الأرضِ في البراري الجَنوبيَّة تكونُ تلكَ الأماكنُ مُحترقَةً ناريَّةً لا يتكوَّنُ فيها حيوانٌ البتَّةَ ، ولذلكَ - واللَّهُ أعلم - كانَ أكثرُ البُخارِ مِنَ الجانبِ الجنوبيِّ دونَ الشماليِّ ؛ لأنَّ الشمسَ إذا كانَت في حضيضِها كانَت أقربَ إلى الأرضِ ، وإذا كانَت في أَوْجِها كانَت أبْعَدَ ، وعندَ قُربها منَ الأرضِ يَعْظُمُ تسخينُها ، والسُّخونَةُ جاذبَةٌ للرُّطوباتِ ، وإذا انجذبَت الرُّطوباتُ إلى الجانبِ الجنوبيِّ انكشفَ الجانبُ الشماليُّ ضرورَةً ، وصارَ مُستقرًّا للحيوانِ الأرضيِّ والجنوبيُّ

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان رضي الله عنه .

أعظم الجانبين رُطوبَةً وأكثرها مياهًا ومقرًّا للحيوانِ المائيِّ ، وأمَّا المواضعُ المُسامتَةُ لأَوْجِ الشمسِ في الشمالِ فهيَ غيرُ مُحترقَةٍ ، بل معتدلَةٌ لبُعدِ الشمسِ منَ الأرضِ .

وسببُ التَّفاوتِ القليلِ الحاصلِ بينَ أقربِ قُربِ الشمس منَ الأرضِ وأبعَدِ بُعْدِها منها صارَ الجَنوبيُّ مُحترقًا والجانبُ الشماليُّ معتدلًا ، فلو كانَت الشمسُ حاصلَةً في فَلَكِ الكواكبِ لَفَسَدَ هذا العالَمُ من شدَّةِ البردِ ، ولو فَرَضْنَا أَنّها انْحَدَرتْ إلى فَلَكَ القَمَر لأَحرقتْ هذا العالَمَ ، فاقتَضَتْ حكمةُ العزيز العليمِ الحكيمِ أنْ وَضَعَ الشمسَ وسطَ الكواكبِ السَّبعَةِ ، وجعَلَ حركتَها المعتدلَةَ وقُرْبَها المعتدلَ سببًا لاعتدالِ هذا العالمِ ، وجعَلَ قُربَها وبُعدَها وارتفاعَها وانخفاضَها سببًا لفُصولِهِ الّتي هي نظامُ مصالحِهِ ، فتباركَ اللَّهُ ربُّ العالمين ، وأحسنُ الخالقين .

وأهلُ الإقليمِ الأوَّلِ لأجلِ قُربْهم منَ المَوضعِ المُحاذي لحضيضِ الشمسِ كانَت سُخونَةُ هوائهم شديدَةً ، ولا جَرَمَ كانوا أشدَّ سوادًا من مكان خطِّ الاستواء .

وأهلُ الإقليمِ الثَّاني سُخونَةُ هوائهم أَلْطَفُ فكانوا سُمْرَ الألوانِ .

والإقليمُ الثَّالثُ والرَّابعُ أعدلُ الأقاليمِ مِزاجًا بسببِ اعتدالِ الهواءِ ، وبسببِ تَعديلِ ارتفاعِ الشمسِ لا تكونُ في أبعَدِ بُعدها عن الأرضِ ، فها هُنا وإنْ حَصَلتْ مُسامتَةٌ مُفيدَةٌ لمزيدِ السُّخونَةِ لكنْ حصلَ أيضًا البُعْدُ المُقَلِّلُ للسُّخونَةِ ، فحَصَلَ الاعتدالُ مِن بعضِ الوُجوه ، وفي الجانبِ الجُنوبيِّ ، وإنْ حصلَ مزيدُ القُرْبِ منَ الأرضِ لكنْ لم يَحْصُلْ هناكَ مُسامَتَةٌ للسَّاكن المَعمورَةَ

لخطِّ الاعتدال في الجانبين بهذه الطَّريقِ وصارَ أهلُ الإقليمِ الثَّالث والرَّابع أفضلَ النَّاسِ صُورًا وأخلاقًا .

وأمَّا الإقليم الخامسُ ؛ فإنَّ سُخونَةَ الهواءِ هناكَ أقلُّ من الاعتدال بمقدارٍ يسيرٍ ، فلا جرَمَ صارَ في جُزءِ البَرْدِ ، وصارَت طبائعُ أهلِهِ أقلَّ نُضجًا من طبائعِ أهلِ الإقليمِ الرَّابعِ إلّا أنَّ بُعدَهم عن الاعتدال قليلٌ .

وأمَّا أهلُ الإقليمِ السَّادس والسَّابع ، فإنَّ أهلَها مَحْرورُونَ ، ولغلبَةِ البَردِ والرُّطوبَةِ عليهم يشتدُّ بياضُ ألوانِهم ، وزُرقَةُ عيونِهم .

وأمَّا المواضعُ التي تَقْرُبُ من أن يكونَ الخطُّ فيها فوقَ الرَّأسِ فهناكَ لا يَصِلُ تسخينُ الشمسِ إليها ، فلا جَرَمَ عَظُمَ البَرْدُ فيها ، ولم يكُن هناكَ حيوانٌ البتَّةُ .

وهذا كلُّهُ يدُلُّ على أنَّ الشمسَ جُزءُ السَّببِ ، وأنَّ الهواءَ جزءُ السَّببِ ، والأرضَ جزءٌ ، وانعكاسُ الشعاعِ جزءٌ ، وقبولُ المُنْفعِلات جزءٌ ، مجموعُ ذلكَ سببٌ واحدٌ قدَّرهُ العليمُ القديرُ ، وأجرى عليهِ نظامَ العالَمِ ، وقدَّرَ سبحانهُ أشياءَ أُخرَ لا يعرفُها هؤلاءِ الجُهَّال ، ولا عندهم منها خَبَرٌ من تدبيرِ الملائكةِ ، وحَركاتهم ، وطاعَةِ أُستُقُصّاتِ العالمِ وموادّهِ لهم ، وتَصريفِهم تلكَ الموادَّ بحسبِ ما رُسِمَ لهم منَ التَّقدير الإلهي ، والأمرِ الربَّاني .

ثمَّ قَدّرَ تعالى أشياءَ أُخرَ تُمَانِعُ هذه الأسبابَ عندَ التَّصادُم ، وتُدافِعُها ، وتقهرُ موجِبَها ومُقتَضاها ، ليَظهَرَ عليها أثرُ القَهرِ والتَّسخيرِ والعبوديَّةِ ، وأنَّها مُصَرَّفَةٌ مُدبَّرَةٌ بتَصريفِ قاهرٍ قادرٍ كيفَ يشاءُ ، لِيَدُلَّ عبادَهُ على أنَّهُ هو وحدَهُ الفعَّالُ لما يريدُ ، المُدبِّر لخلقهِ كيفَ يشاءُ ، وأنَّ كلَّ ما في المملكَةِ الإلهيَّةِ طوعُ

قُدرتِهِ ، وتحتَ مشيئتِهِ ، وأنَّهُ ليسَ شيءٌ يستقلُّ وحدَهُ بالفعلِ إلّا اللَّهَ ، وكلُّ ما سواهُ لا يفعلُ شيئًا إلّا بمشاركٍ ومعاونٍ ، ولهُ ما يُعاوِقهُ ويُمانِعهُ ويسلبهُ تأثيرَهُ ، فتارَةً يسلُبُ سبحانهُ النّارَ إحراقَها ، ويجعلُها بردًا ؛ كما جعَلها على خليلِهِ بردًا وسلامًا ، وتارَةً يُمْسِكُ بينَ أجزاءِ الماءِ فلا يتلاقى ، كما فعلَ لموسى وقومِهِ ، وتارَةً يشقُّ الأجرامَ السَّماويَّةَ ؛ كما شقَّ القمرَ لخاتمِ أنبيائِهِ ورسلِهِ ، وفتَحَ السَّماءَ لمصعدِهِ وعُروجِهِ ، وتارَةً يَقْلِبُ الجمادَ حيوانًا ؛ كما قلبَ عصا موسى ثُعبانًا ، وتارَةً يُغيِّرُ هذا النِّظامَ ويُطْلِعُ الشمسَ من مغربها كما أخبرَ به أصدقُ خلقِهِ عنهُ (١) ، فإذا أتى الوقتُ المَعلومُ فشقَّ السَّمواتِ وفَطَرَها ، ونثرَ الكواكبَ على وَجْهِ الأرضِ ، ونَسَفَ جبالَ العالمِ ودكَّها مع الأرضِ ، وكوَّرَ شمسَ العالمِ وقَمَرَهُ ، ورأى ذلكَ الخلائقُ عيانًا ظهرَ للخلائقِ كُلِّهم صِدقُهُ ، وصِدْقُ رسلِهِ ، وعمومُ قدرتِهِ ، وكمالُها ، وأنَّ العالمَ بأَسْرِهِ مُنقادٌ لمشيئتِهِ ، طوعُ قُدرتِهِ ، لا يَستعصي عليهِ انفعالُهُ لما يشاؤهُ ويُريدهُ منهُ ، وعَلِمَ الذينَ كفروا وكذَّبوا رُسُلَهُ مِنَ الفلاسفَةِ والمُنجِّمين والمُشركين والسُّفهاءِ الذين سمَّوا أنفسَهم الحُكماءَ ! أنَّهم كانوا كاذبين .

---

(١) كما رواه البخاريُّ (٤٦٣٥) ومسلمٌ (١٥٧) عن أَبي هُريرة أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « لا تقومُ الساعةُ حتَّى تطلُعَ الشمسُ من مغربِها ، فإذا طَلَعتْ مِن مغربِها آمَنَ الناسُ كلُّهم أَجمعون ، فيومئذٍ لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكُنْ آمنَتْ من قبلُ أَو كَسَبَتْ في إيمانِها خيرًا » .

وفي الباب أَحاديثُ عدّة .

وقال القاضي عِياض : « هذا الحديثُ على ظاهرِه عند أَهلِ الحديث والفقه والمُتكلّمين من أَهلِ السّنّةِ خلافًا لما تأوّلته الباطنيّة » ، نقلَه النوويُّ في « شرح صحيح مسلم » (١ / ٣٤٦) .

واجتمعَ جماعةٌ منَ الكُبراءِ والفضلاءِ يومًا ، فقرأ قارئٌ : ﴿ إذا الشمسُ كُوِّرَت وإذا النُّجومُ انكَدَرَتْ وإذا الجبالُ سُيِّرَتْ ﴾ حتى بلغَ : ﴿ علمَت نَفسٌ ما أَحْضَرَت ﴾ [التكوير : ١ - ١٤]، وفي الجماعَةِ أبو الوفاءِ ابن عَقِيل [1] فقال لهُ قائلٌ : يا سيِّدي هَبْ أنَّهُ أنْشَرَ المَوتى للبَعثِ والحسابِ ، وزوَّجَ النُّفوسَ بقُرنائها للثَّوابِ والعقابِ ، فما الحكمَةُ في هَدْمِ الأبنيَةِ ، وتسييرِ الجبالِ ، ودكِّ الأرضِ ، وفَطْرِ السَّماءِ ، ونَثْرِ النُّجوم ، وتخريبِ هذا العالمِ ، وتَكويرِ شمسهِ ، وخَسْفِ قمرهِ ؟! فقال ابنُ عَقِيلٍ على البديهَةِ : إنَّما بنى لهم هذه الدَّارَ للسُّكنى والتَّمتُّع ، وجعَلَها وما فيها للاعتبارِ والتَّفكُّرِ والاستدلالِ عليهِ بحُسنِ التَّأمُّل والتَّذكُّر ، فلمَّا انقضَتْ مدَّةُ السُّكنى وأجلاهم عنِ الدَّارِ خرَّبها لانتقالِ السَّاكنِ منها ، فأرادَ أنْ يُعلِمَهم بأنَّ في إحالَةِ الأحوالِ وإظهارِ تلكَ الأهوالِ وإبداءِ ذلكَ الصُّنعِ العظيمِ بيانًا لكمالِ قُدرتهِ ونهايَةِ حكمتهِ وعَظمةِ ربوبيَّتهِ وعزِّ جلالهِ وعِظَمِ شأنهِ وتَكذيبًا لأهلِ الإلحادِ وزنادقَةِ المُنجِّمينَ وعُبَّادِ الكواكبِ والشمسِ والقمرِ والأوثانِ ، ليعلمَ الذينَ كفروا أنَّهم كانوا كاذبينَ ، فإذا رأوا أنَّ منارَ آلهتِهم قد انْهَدَمَ ، وأَنَّ معبوداتِهم قَد انتَثَرَتْ ، والأفلاكَ التي زَعموا أنَّها وما حَوَتْهُ هي الأربابُ المُستَوليَةُ على هذا العالم قَد تَشقَّقَتْ وانفَطرَتْ ؛ ظَهرَتْ حينئذٍ فضائحُهم ، وتبيَّنَ كذبُهم ، وظهرَ أنَّ العالمَ مَربوبٌ مُحْدَثٌ مُدبَّرٌ ، لهُ ربٌّ يُصَرِّفهُ كيفَ يشاءُ ؛ تَكذيبًا لملاحدَةِ الفلاسفَةِ القائلينَ بقِدمهِ .

---

(١) هو من كُبَراءِ أَئمةِ الحنابلةِ ، توفّي سنة (٥١٣ هـ) ، ترجمتُه في « طبقات الحنابلة » (٢ / ٢٥٩) و « المنتظم » (٩ / ٢١٢) .

ومِن أَشهر كُتبه « الفنون » في أَزْيَدَ مِن أَربع مئة مجلدٍ ، لم يُوجد منه إلّا كرّاستان صغيرتان ! طُبعتا بتحقيق بعض النصارىٰ !

فكم للَّهِ من حكمَةٍ في هَدْمِ هذه الدَّارِ ! ودلالةٍ على عظيمِ قُدرتهِ وعزَّتهِ وسلطانهِ وانفرادهِ بالرُّبوبيَّةِ وانقيادِ المخلوقاتِ بأَسْرِها لقهرهِ وإذْعانِها لمشيئتهِ ، فتبارَكَ اللَّهُ ربُّ العالمين .

ونحنُ لا نُنْكِرُ ولا نَدفعُ أنَّ الزَّرعَ والنَّباتَ لا يَنمو ولا ينشأُ إلا في المواضعِ التي تَطْلُعُ عليها الشمسُ ، ونحنُ نعلمُ أيضًا أنَّ وجودَ بَعضِ النَّباتِ في بَعضِ البلادِ لا سَبَبَ لهُ إلّا اختلافُ البلدانِ في الحرِّ والبَردِ الذي سببهُ حركَةُ الشمسِ وتقارُبُها في قُرْبِها وبُعْدِها من ذلكَ البلدِ ، وأيضًا فإنَّ النَّخْلَ ينبتُ في البلادِ الحارَّةِ ، ولا ينبتُ في البلادِ الباردَةِ ، وشجرَ الموزِ لا ينبتُ في البلادِ الباردَةِ ، وكذلكَ ينبتُ في البلادِ الجَنوبيَّةِ أشجارٌ وفواكهُ وحشائشُ لا يُعرَف شيءٌ منها في جانبِ الشمالِ وبالعَكسِ .

وكذلكَ الحيواناتُ يختلفُ تكوُّنُها بحسبِ اختلافِ حرارَةِ البِلادِ وبرودتها ؛ فإنَّ النَّسرَ والفيلَ يكونانِ بأرضِ الهندِ ولا يكونانِ في سائرِ الأقاليمِ التي هي دونَها في الحرارَةِ ، وكذلكَ غزالُ المِسْكِ والكَركَنْدُ وغيرُ ذلكَ ، وكذلكَ لا نَدفعُ تأثيرَ القمرِ في وَقتِ امتلائهِ في الرُّطوبات حتى في جَزْرِ البحارِ ومَدِّها ، فإنَّ منها ما يأخذُ في الازديادِ من حينِ يُفارِقُ القمرُ الشمسَ إلى وقتِ الامتلاءِ ، ثمَّ إنَّهُ في الانتقاصِ ولا يزالُ نُقصانهُ يستمرُّ بحسبِ نقصانِ القمرِ حتى ينتهي إلى غايَةِ نقصانهِ عندَ حصولِ المَحَاقِ .

ومنَ البحارِ ما يحصلُ فيهِ المَدُّ والجَزْرُ ، وفي كلِّ يومٍ وليلَةٍ مع طلوعِ القمرِ وغروبهِ ، وذلكَ موجودٌ في بحرِ فارس وبحرِ الهندِ وكذلكَ بحرُ الصِّين ، وكيفيَّتُه أنَّهُ إذا بلغَ القمرُ مشرقًا من مشارقِ البَحرِ ابتدأَ البَحرُ بالمَدِّ ، ولا يزالُ

كذلكَ إلى أن يَصيرَ القمرُ إلى وسطِ سماءِ ذلكَ الموضع فعندَ ذلكَ ينتهي منتهاهُ ، فإذا زالَ القمرُ من مَغربِ ذلكَ الموضع ابتدأ المدُّ من تحتِ الأرضِ ، ولا يزالُ زائدًا إلى أنْ يَصِلَ القمرُ إلى وتَدِ الأرضِ ، فحينئذٍ ينتهي المدُّ مُنتهاهُ ، ثمَّ يبتدىءُ الجَزْرُ ثانيًا ، ويرجعُ الماءُ كما كانَ .

وسُكَّانُ البَحرِ كلَّما رأوا في البحرِ انتفاخًا وهيجانَ رياحٍ عاصفَةٍ وأمواجٍ شديدَةٍ ، علموا أنَّهُ ابتدأ المَدُّ ، فإذا ذهبَ الانتفاخُ وقلَّتِ الأمواجُ والرِّياحُ علموا أنَّهُ وقتُ الجَزْرِ ، وأمَّا أصحابُ الشُّطوطِ والسَّواحلِ فإنَّهم يجِدونَ عندهم في وقتِ المَدِّ للماءِ حركَةً من أسفلِهِ إلى أعلاه ، فإذا رجعَ الماءُ ونزلَ فذلكَ وقتُ الجَزْرِ .

وكذلكَ أيَّامُ بُحرانات [1] الأمراضِ بحسبِ زيادَةِ القمرِ ونُقصانه ، مُنْطَبِقَةٌ عليها .

وكذلك الأَخلاطُ الّتي في بدن الإِنسان ما دامَ القَمَرُ آخذًا في الزِّيادَةِ فإنَّها تكونُ أزيَدَ ، ويكونُ ظاهرُ البَدَنِ أكثرَ رطوبَةً وحُسنًا ، فإذا نَقَصَ ضوءُ القمرِ صارَت الأخلاطُ في غَوْرِ البَدَنِ والعُروقِ ، وازدادَ ظاهرُ البَدنِ يُبسًا .

وكذلكَ ألبانُ الحيواناتِ تتزايَدُ من أوَّلِ الشهرِ إلى نصفهِ ، فإذا أخذَ القمرُ في النُّقصانِ نقصَت غزارتُها .

وكذلكَ أدمِغَةُ الحيواناتِ في أوَّلِ الشَّهرِ أَزْيَدُ منها في نصفهِ الأخيرِ ، وإن حدثَ في أجوافِ الطُّيورِ بَيْضٌ في النِّصفِ الأوَّلِ منَ الشهرِ كان بياضُهُ أكثرَ من

---

(١) مفردها : (بُحران) ؛ وهو التغيُّرُ الّذي يحدثُ للعليلِ فجأةً في الأَمراضِ الحُمِّيَّةِ الحادّةِ .

بياضِ الحادثِ في نصفهِ الثَّاني .

وكذلكَ الإنسانُ إذا نامَ أو قعَدَ في ضوءِ القمرِ حدثَ في بدنهِ الاسترخاءُ والكسلُ ، وهاجَ عليهِ الزُّكامُ والصُّداعُ ، وإذا وُضعَت لحومُ الحيواناتِ مكشوفَةً تحتَ ضوءِ القمرِ تغيَّرت طعومُها وتعفَّنَتْ .

وكذلكَ السَّمكُ في البحارِ والآجامِ الجاريَةِ توجَدُ من أوَّلِ الشهرِ إلى وقتِ الامتلاءِ أكثرَ ، وخروجُها من قُعورِ البحارِ والآجامِ أظهَرُ ، ومن بَعدِ الامتلاءِ إلى الاجتماعِ فإنَّها تَدخُلُ قُعورَ البحارِ والآجامِ ، والذي يظهرُ من سمينِ السَّمكِ في النِّصفِ الأوَّلُ أكثرُ منَ الذي يظهرُ في الثَّاني منهُ .

وكذلكَ حُرُشُ [١] الأرضِ يكونُ خروجُها من أَجْحُرتِها [٢] في النِّصفِ الأوَّلِ منَ الشهرِ أكثرَ من خُروجها في النِّصفِ الثَّاني ، وأصحابُ الغِراسِ يزعُمونَ أنَّ الأشجارَ والغُروسَ إذا غُرسَت والقمرُ زائدُ الضُّوء كانَ نَشْؤُها وكمالُها وإسراعُها في النَّباتِ أحمدَ من التي تُغرَسُ في محاقهِ وذهاب نورهِ .

وكذلكَ تكونُ الرَّياحينُ والبقولُ والأعشابُ منَ الاجتماعِ إلى الامتلاءِ أزيدَ نُشوءًا وأكثرَ نموًّا ، وفي النِّصفِ الثَّاني بالضدِّ من ذلكَ .

وكذلكَ القِثَّاءُ والقَرعُ والخِيارُ والبطِّيخُ ينمو نُمُوًّا بالغًا عندَ ازديادِ الضُّوء ، وأمَّا في وَسَطِ الشَّهرِ عندَ حُصولِ الإمتلاءِ فهناكَ يَعظُمُ النموّ حتى يظهر التَّفاوتُ للحِسِّ في الليلَةِ الواحدَةِ .

وكذلكَ الينابيعُ تَزدادُ في النِّصفِ الأوَّلِ منَ الشهرِ وتنقصُ في النِّصفِ

---

(١) قال في « القاموس المحيط » (ص ٧٦٠) : « الحريش » دُوَيْبَّةٌ قَدْرُ الإصبع بأَرْجُل كثيرة ، ... والجمعُ : حُرُش » .

(٢) مفردها جُحْر ، وهو كلُّ شيء تحتفرُهُ الهوامُّ والسِّباعُ لأنفسِها ، والجادّةُ في الجمع : جِحَرَة ، وأَجْحار .

الثَّاني ...

إلى غيرِ ذلكَ منَ الوجوهِ التي تؤثِّر فيها الشمسُ والقمرُ في هذا العالم .

فنحنُ لم ندفعْكم عن هذه التَّأْثيراتِ وأضعافها ، إنَّما الذي أَنْكَرَهُ عليكم العقلاءُ مِن أهلِ المللِ وغيرِهم أنَّ جُملةَ الحوادثِ في هذا العالم ؛ خيرِها وشرِّها وصلاحِها وفسادِها وجميعِ أشخاصهِ وأنواعهِ وصُوَرِهِ وقواه ، ومُددِ بقاءِ أشخاصهِ ، وجميعِ أحوالها العارضَةِ لها وتكوُّن الجنين ومُدَّةِ لُبثهِ في بطنِ أُمِّهِ وخروجهِ إلى الدُّنيا ، وعُمرهِ ورزقهِ وشقاوتهِ وسعادتهِ ، وحُسنهِ وقبحهِ وحِذْقهِ وبلادتهِ ، وجهلهِ وعلمهِ ، بل ونزولِ الأمطارِ واختلافِ أنواعِ الشجرِ والنَّباتِ في الشكلِ واللونِ والطُّعومِ والرَّوائحِ والمقاديرِ ، بل انقسام الحيوانِ إلى الطَّيرِ وأصنافهِ والبحريّ وأنواعهِ والبريّ وأقسامه ، وأشكالِ هذه الحيواناتِ واختلافِ صُورِها وأنواعها وأفعالها وأخلاقها ومنافعها ، بل وتكوُّنِ المعادنِ المنطبعَةِ كالحديدِ والرَّصاصِ والنُّحاسِ والذَّهبِ والفضَّةِ ، بل وغيرِ المنطبعَةِ كالملحِ والقارِ والزَّرنيخِ والنَّفْطِ والزِّئبقِ ، بل العداوَةِ الواقعَةِ بينَ الذِّئابِ والغَنَمِ والحيَّاتِ والسِّباعِ وبني آدمَ ، والصَّداقَةِ والعداوَةِ بينَ أفرادِ النَّوعِ الواحدِ سيَّما بينَ ذُكورهِ وإناثهِ .

وبالجُملَةِ ؛ فالأرزاقُ والآجالُ ، والعِزُّ والذلُّ ، والرِّفعَةُ والخَفضُ ، والغَنَاءُ والفقرُ ، والإحياءُ والإماتَةُ ، والمنعُ والإعطاءُ ، والضرُّ والنَّفعُ ، والهدى والضَّلالُ ، والتَّوفيقُ والخِذْلانُ ، وجميعُ ما في العالمِ والأشخاصُ وأفعالها وقواها وصفاتها وهيآتها والمُعْطَىٰ له هذه واتِّصالاتها وانفصالاتها واتِّصالاتها بنُقطٍ وانفصالاتها عن نقطٍ ومقارنتها ومُفارقتها ومُسامَتَتها ومُباينتها ، فهي المعطيَةُ لهذا كلِّهِ المدبِّرَةُ الفاعلَةُ ، فهي الآلهَةُ والأربابُ على الحقيقَةِ ، وما تَحتها

عبيدٌ خاضعونَ لها ناظرونَ إليها .

فهذا كما أنَّهُ الكُفرُ الذي خَرَجوا بِهِ عن جميعِ المللِ ، وعن جملةِ شرائع الأنبياءِ ولم يُمْكِنْهم أنْ يُقيموا بينَ أربابِ المللِ إلّا بالتَّستُّرِ بهم ومُنافقتِهم والتَّزيي بزيِّهم ظاهرًا وإلّا فَقَتْلُ هؤلاءِ منَ الأمرِ الضَّروريِّ في كُلِّ ملَّةٍ لأنَّهم سُوسُها وأعداؤها ، فهو منَ الهذيانِ الذي أضحَكُوا به العُقلاءَ على عُقولِهم حتى ردَّ عليهم مَن لا يؤمنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ منَ الفلاسفَةِ كالفارابي وابن سينا [١] وغيرهما من عُقلاءِ الفلاسفَةِ وسَخِرُوا منهم ، واستَضعفوا عقولَهم ، ونسبوهم إلى الزَّرْقِ [٢] والزَّرْنَجَةِ [٣] والتَّلبيسِ .

وقَد ردَّ عليهم أفضلُ المُتأخِّرين من فلاسفَةِ الإسلامِ أبو البركاتِ البَغدادي في كتابِ « التَّعبير » [٤] لهُ ، فقال : وأمَّا علمُ أحكامِ النُّجومِ فإنَّهُ لا يتعلَّقُ بِهِ منهُ أكثرُ من قولهم بغيرِ دليلٍ بحرِّ الكواكبِ وبَرْدِها ورطوبتها ويُبوستها واعتدالها ، كما يقولون بأنَّ زُحَلَ منها باردٌ يابسٌ والمِرِّيخَ حارٌّ يابسٌ ، والمُشتري معتدلٌ ، والاعتدالَ خيرٌ والإفراطَ شرٌّ ، ويُنتجونَ من ذلكَ أنَّ الخَيرَ يُوجِبُ سعادَةً والشرَّ

(١) كلمةٌ مهمّة في هذين الفيلسوفين مِن هذا العالم الربّانيّ .

(٢) في « المعجم الفارسيّ » (ص ٣٢٠) : « الزَّرّاق : المُحتال » وانظر ما تقدّم (ص ٨١).

(٣) بمعنى خِفَّة الحرَكة ، كما في « المعجم الفارسي » (ص ٣٢١) .
وفي « المطبوع » : « الزينجة » .

(٤) كذا في « الأَصل » و « المطبوع » ! والصواب : « المُعتبر » .
وينقلُ عنه وعن كتابه شيخ الإِسلام ابنُ تيميّة كثيرًا ، كما في « درء التعارض » (٢ / ٢٠) ، و « منهاج السنّة » (١ / ١٧٨) وغيرها .
وكتابه مطبوع في الهند في ثلاث مجلّدات سنة (١٣٥٧هـ) .
توفي سنة (٥٤٧هـ) كما في « تاريخ الحكماء » (ص ١٥٢ - ١٥٤) لظهير الدين البيهقي .

يُوجبُ منحسَةً ! وما جانَسَ ذلكَ ممَّا لم يَقُلْ بهِ علماءُ الطَّبيعيّين ، ولم تُنتجهُ مقدّماتُهم في أنظارِهم ، وإنَّما الذي أنتجَتْهُ هو أنَّ السَّماءَ والسَّماويَّات فعَّالَةٌ فيما تَحويهِ وتَشتملُ عليهِ وتتحرَّكُ حولهُ فعلًا على الإطلاقِ ، ولم يحصُل لهُ من العلمِ الطَّبيعي حَدٌّ ولا تَقديرٌ ، والقائلونَ بهِ ادَّعَوْا حصولَهُ منَ التَّوقيفِ والتَّجربَةِ والقياسِ منهما كما ادَّعى أهلُ الكيمياء ، وإلّا فمتى يقولُ صاحبُ العلمِ الطَّبيعي بحسبِ أنظارِهِ الّتي سبقَت : إنَّ المُشتَري سعيدٌ ، والمِرِّيخَ نحسٌ ، المرّيخ حارٌّ يابسٌ ، وزُحلَ باردٌ يابسٌ ، والحارُّ والباردُ منَ المَلموسات ، وما دَلَّهُ على هذا لمسٌ كما يستدلُّ بلمسِ المَلموسات ؛ فإنَّ ذلكَ ما ظهَرَ للحِسِّ كما ظهَرَ في الشمسِ حيث تُسَخِّنُ الأرضَ بشُعاعها وإنْ كانَ في السَّماءِ بيانُ شيءٍ من طبائعِ الأضدادِ فالأَوْلى أن تكونَ كلُّها حارَّةً لأنَّ كواكبَها كُلَّها مُنيرَةٌ ومتى يقولُ الطَّبيعيُّ بتقطُّعِ الفَلَكِ وقِسمتهِ كما قسَّمَهُ المُنجِّمونَ قِسْمَةً وهميَّةً إلى بُروجٍ ودَرَجٍ ودقائقَ ، وذلكَ جائزٌ للمُتوهِّمِ كجوازِ غيرهِ ، غيرُ واجبٍ في الوجودِ ولا حاصلٍ ، ونقلوا ذلكَ التَّوهُّمَ الجائزَ إلى الوجودِ الواجبِ في أحكامهم !

وكانَ الأصلُ فيهِ - على زَعْمِهم - حركَةُ الشمسِ في الأيَّامِ والشهورِ ، فجعلوا منها قِسمَةً وهميَّةً وجعلوها حيثُ حكموا كالحاصلَةِ الوجوديَّةِ المتميِّزَةِ بحدودٍ وخُطوطٍ ؛ كأنَّ الشمسَ بحركتها من وقتٍ إلى وقتٍ مثلِه خطَّتْ في السَّماءِ خُطوطًا ، وأقامَت فيها جُدرانًا وحدودًا ، وغرَسَتْ في أجزائها طِباعًا مُعتبرًا بنفيِ فتَبقى بهِ القسمَةُ إلى تلكَ البُروجِ والدَّرَجِ مع جوازِ الشمسِ عنها ، وليسَ في جوهرِ الفَلَكِ اختلافٌ بتميُّزِ مَوْضِعٍ منهُ عن موضعٍ سوى الكواكبِ ، والكواكبُ تتحرَّكُ عن أمكنتِها فتبقى الأمكنَةُ على التَّشابهِ ، فبماذا يتميَّزُ درجَةٌ

عن دَرَجةٍ ويبقى اختلافُها بعدَ حركَةِ المتحرِّكِ في سَمْتها ؟ فكيفَ يقيسُ الطَّبيعيُّ على هذه الأُصولِ ويُنتج منها نتائجَ ويَحْكُمُ بحُسنها أحكامًا ؟ فكيفَ أن يقولَ بالحدودِ التي تُجعَل خمسَ درجاتٍ من بُرجِ الكوكبِ وستَّةً لآخَرَ وأربعَةً لآخَرَ ، ويختلفُ فيها المِصريُّونَ والبابليُّونَ ؟ ويصدقُ الحكمُ مع الاختلافِ وأربابِ البيوسات كأنَّها أملاكٌ بُنيَت بصُكوكٍ وحُكّامٍ ؛ الأسدُ للشمسِ ، والسَّرطانُ للقمرِ ، وإذا نظرَ النَّاظرُ وجدَ الأسدَ أسدًا من جهَةِ كواكبَ شكَّلوها بشكلِ الأسدِ ، ثمَّ انتقلت عن مواضعِها التي كانَ بها أَسَدًا كأنَّ المَلِكَ بيتٌ للشمسِ مع انتقالِ السَّاكنِ ، وكذلكَ السَّرطانُ للقمرِ ، هذا من ظواهرِ الصِّناعَةِ وما لا يُمارى فيهِ ، وَمَنْ طَالِعُهُ الأسدُ فالشمسُ كوكبُهُ ، وربَّةُ بيتهِ .

ومن الدَّقائقِ في الحقائقِ النُّجوميَّة المُذكَّرةِ والمؤنَّثةِ والمظلمَةِ والنيِّرَةِ والزَّائدَةِ في السَّعادَةِ ودَرَجِ الآثارِ من جهَةِ أنَّها أجزاءُ الفَلَكِ التي قطعوها وما انقطعت مع انتقالِ أنَّ الكوكبَ ينظرُ إلى الكوكبِ مِن ستِّينَ درجَةً نظرَ تَسْديسٍ لأنَّهُ سدسُ الفَلَكِ ، ولا ينظرُ إليهِ من خمسينَ ولا سبعين ، وقَد كانَ قبلَ السِّتِّين بخمسِ دَرَجٍ ، وهو أقربُ من ستِّين وبعدَها بخمس دَرَجٍ ، وهو أبعَدُ من السِّتِّين لا ينظرُ !

فليتَ شِعري ما هو هذا النَّظرُ ؟ أتَرى الكوكبَ يظهَرُ للكوكبِ ثمَّ يحتجبُ عنهُ ؟ أو شعاعهُ يختلطُ بشعاعهِ عندَ حدٍّ لا يختلطُ به قبلهُ ولا بعدَهُ ؟ وكذلكَ التَّربيع منَ الرُّبع الذي هو تسعونَ درجَةً ، والتَّثليث منَ الثُّلثِ الذي هو مئةٌ وعشرونَ ، فلمَ لا يكونُ التَّخميسُ منَ الخمسِ ؟ والتَّسبيع منَ السبعِ ؟ والتَّعشيرُ من العشرِ ؟ والحَمَلُ حارٌّ يابسٌ منَ البروجِ النَّاريَّةِ ، والثَّورُ باردٌ يابسٌ منَ الأرضيَّةِ ؟ والجوزاء حارَّةٌ رطبٌ منَ الهوائيَّةِ ؟ والسَّرطان باردٌ رطبٌ منَ

المائيَّةِ ؟

ما قال الطَّبيعيُّ قَطُّ هذا ، ولا يقولُ به !

وإذا احتجُّوا وقاسوا كانَت مبادىءُ قياساتِهم أنَّ الحَمَلَ مُنقلبٌ ، لأَنَّ الشمسَ إذا نَزَلَتْ فيهِ ينقلبُ الزَّمانُ منَ الشتاءِ إلى الرَّبيعِ ، والثَّورُ ثابتٌ لأَنَّهُ إذا نَزَلَت الشمسُ فيهِ يثبتُ الرَّبيعُ على ربيعيَّتهِ ، والحقُّ أنَّهُ لا انقلابَ في الحَمَلِ ولا ثباتَ في الثَّورِ ، بل هو في كُلِّ يومٍ غيرُ ما هو في الآخرِ ، ثمَّ إنَّ الزَّمانَ انقلبَ بحُلولِ الشمسِ فيهِ وهو يبقى دَهْرَهُ مُنقلبًا مع خروجِ الشمسِ منهُ وحُلولها فيهِ ، أتراها تختلفُ فيهِ أثرًا أو تُحيلُ منهُ طِباعًا ، وتَبقى تلكَ الاستحالَةُ إلى أن تعودَ فتُجَدِّدَها !

ولِمَ لا يقولُ قائلٌ : إنَّ السَّرطان حارٌّ يابسٌ ؛ لأنَّ الشمسَ إذا نَزَلَت اشتدَّ حرُّ الزَّمانِ ، وما يُجانِسُ هذا ممَّا لا يلزمُ لا هو ولا ضدُّهُ ما في الفَلَكِ [مِن] اختلافِ معرفَةِ الطَّبيعي إلّا بما فيهِ من الكواكبِ ومواضعها ، وهو واحدٌ متشابهُ الجَوهَرِ والطَّبعِ !!

وهذه أقوالٌ قالها قائلٌ ، فقبلها قابلٌ ، ونَقَلها ناقلٌ ، فَحَسُنَ بها ظنُّ السَّامعِ ، واغترَّ بها مَن لا خِبرَةَ له ولا قُدرَةَ له على النَّظرِ ، ثمَّ يحكُمُ بحسبها الحاكمونَ بجيِّدٍ ورديءٍ وسَلْبٍ وإيجابٍ وسَعْدٍ ونُحوسٍ فصادَفَ بعضُهُ مُوافقَةَ الوجودِ فصدقَ ، فاغترَّ به المُغترُّونَ ولم يلتفتوا إلى ما كُذِبَ منهُ فيكذِّبونَ ، بل عَذروا ، وقالوا : هو منجِّمٌ ، ما هو نبيٌّ حتى يصدقَ في كلِّ ما يقولُ ! واعتَذروا لهُ بأنَّ العلمَ أوسعُ مِن أن يُحيطَ بهِ ، ولو أحاطَ بهِ لصدَقَ في كلِّ شيءٍ .

ولَعَمْرُ اللَّهِ إنَّهُ لو أحاطَ به علمًا صادقًا لَصَدَق ، والشأنُ أن يُحيطَ بِهِ على الحقيقَةِ ، لا على أن يفرضَ فرضًا ويتوهَّمَ وَهَمًا فينقلَهُ إلى الوجودِ ويُثبتَهُ في المَوجودِ ، وينسبَ إليهِ ، ويقيسَ عليهِ .

والذي يصحُّ منهُ ويلتفِتُ إليهِ العُقلاء هي أشياءُ غيرُ هذه الخُرافاتِ التي لا أصلَ لها ممَّا حصلَ بتوقيفٍ أو **تجرِبَةٍ حقيقيَّةٍ** ؛ كالقِراناتِ ، والانتقالاتِ والمقابلَةِ من جُملةِ الاتِّصالاتِ ، فإنَّها المُقارنَةُ من جهَةِ أنَّ تلكَ غايَةُ القُربِ ، وهذه غايَةُ البُعدِ ، ومَمرُّ كوكبٍ منَ المتحيِّرَةِ تحتَ كوكبٍ من الثَّابتَةِ ، وما يفرضُ للمتحيِّرَةِ من رُجوعٍ واستقامَةٍ ورُجوعٍ في شمالٍ وانخفاضٍ في جنوبٍ وغيرِ ذلكَ .

وكأنِّي أُريدُ أن أختَصرَ الكلامَ ها هُنا وأُوافِقَ إشارتَكَ ، وأعملَ بحسبِ اختيارِكَ رسالَةً في ذلكَ أَذْكُرُ ما قيلَ فيها من علمِ أحكامِ النُّجومِ من أُصولٍ حقيقيَّةٍ أو مجازيَّةٍ أو وَهْميَّةٍ أو غَلطِيَّةٍ وفُروعٍ نتائجَ أُنْتِجَتْ عن تلكَ الأُصولِ ، وأذكرُ الجائزَ من ذلكَ والمُمتنعَ والقريبَ والبَعيدَ ، فلا أردُّ علمَ الأحكامِ من كلِّ وَجْهٍ كما ردَّهُ مَن جَهِلَهُ ، ولا أقبلُ فيهِ كُلَّ قولٍ كما قَبِلَهُ من لم يعْقِلْهُ ، بل أُوضِّحُ موضعَ القَبُولِ والرَّدِّ في المَقبولِ وموضعَ التَّوقيفِ والتَّجويزِ ، والذي منَ المنجِّمِ والذي مِنَ التَّنجيمِ ، والذي منهما ، وأُوضِّحُ لكَ أنَّهُ لو أمكنَ للإنسانِ أنْ يُحيطَ بشكلِ كلِّ ما في الفَلَكِ علمًا لأحاطَ علمًا بكلِّ ما يحويهِ الفَلَكُ ؛ لأنَّ منهُ مبادىءُ الأسبابِ ، لكنَّهُ لا يُمكِنُ ويَبْعُدُ عن الإمكانِ بُعْدًا عظيمًا ؛ والبَعْضُ المُمْكِنُ منهُ لا يَهدي إلى بَعضِ الحكم ، لأنَّ البَعضَ الآخَرَ المجهولَ قَد يُناقضُ المعلومَ في حُكمِهِ ، ويبطلُ ما يُوجِبهُ ، فنسبَةُ المعلومِ إلى المَجهولِ منَ الأحكامِ

كنسبةِ المعلومِ إلى المَجهولِ منَ الأسبابِ ، وكفى بذلكَ بُعدًا ، انتهى كلامهُ .

ولو ذَهَبْنا نذكرُ مَن رَدَّ عليهم من عُقلاءِ الفلاسفَةِ والطَّبائعيِّينَ والرِّياضيِّين لطالَ ذلكَ جدًّا ، هذا غيرُ ردِّ المتكلِّمينَ عليهم ، فإنَّا لا نقنعُ بهِ ، ولا نَرضى أكثرَهُ ؛ فإنَّ فيهِ من المُكابراتِ والمُنوعِ الفاسدَةِ والسُّؤالاتِ الباردةِ والتَّطويلِ الذي ليسَ تحتَهُ تَحصيلٌ ما يُضيِّعُ الزَّمانَ في غيرِ شيءٍ ، وكانَ تركُهم لهذه المُقابَلَةِ خَيرًا لهم منها ، فإنَّهم لا للتَّوحيدِ والإسلامِ نَصروا ، ولا لأعدائهِ كسَروا .

واللهُ المُستعانُ وعليهِ التُّكلان .

□□□□□

١٥٥ - فَصْلٌ
[تكميل رسالة التَّنجيم]

فَلْنَرْجِعْ إلى كلامِ صاحبِ الرِّسالةِ ، قال :

زَعَمُوا أنَّ القمَرَ والزُّهَرَةَ مُؤنَّثتان ، وأنَّ الشمسَ وزُحَلَ والمشتري والمِرِّيخ مُذكَّرَةٌ ، وأنَّ عُطاردَ ذكرٌ أنثى مُشاركٌ للجنسين جميعًا ، وأنَّ سائرَ الكواكبِ تُذكَّرُ وتؤنَّثُ بسببِ الأشكالِ التي تكونُ لها بالقياس إلى الشمسِ ؛ وذلكَ أنَّها إذا كانَت مُشرقَةً متقدِّمَةً للشمسِ فهي مُذكَّرَةٌ ، وإنْ كانَت مُغْربةً تابعَةً كانَت مؤنَّثَةً ، وأَنَّ ذلكَ أيضًا يكونُ بالقياسِ إلى أشكالها إلى الأُفقِ ، وذلكَ أنَّها إذا كانَت في الأشكالِ التي مِنَ المشرقِ إلى وسطِ السَّماءِ ممَّا تحتَ الأرضِ فهي مُذكَّرَةٌ ، لأنَّها إذا كانَت شرقيَّةً فهي من ناحيَةِ مَهَبِّ الصَّبا [1] وإذا كانَت في الرُّبعين الباقيين فهي مؤنَّثَةٌ لأنَّها في ناحيَةِ مهبِّ الدبور [2] وإذا كان هذا هكذا صارَت الكواكبُ التي يقال : إنَّها مُؤنَّثَةٌ ، مذكَّرَةً ، والتي يقالُ : إنَّها مُذكَّرَةٌ ، مؤنَّثَةً ، وصارَت طباعُها مستحيلَةً ، بل تَصيرُ أعيانُها تنقلبُ ، وأنَّ القمرَ والزُّهَرَةَ مُؤنَّثتان والكواكبَ الخمسَةَ الباقيَةَ مُذكَّرَةٌ على الوَضعِ الأوَّلِ ، فإنْ تَقَدَّمَ القمرُ والزُّهَرَةُ الشمسَ وكانا شرقيَّيْن صارا مُذكَّرين ، وإنْ تأخَّرَت الكواكبُ الخمسَةُ وكانَت مُغْرِبَةً تابعَةً كانَت مُؤنَّثَةً على الموضوعِ الثَّاني ، ويصيرُ عُطاردُ

---

(١) ريحٌ مَهَبُّها مِن مشرق الشمس إذا استوى الليلُ والنّهارُ .

(٢) ريحٌ تهُبُّ في الجزيرةِ العربيّةِ من المغرب وتقابلُ القَبولُ التي هي ريح الصَّبا .

ذَكَرًا إذا شرَّقَ ، أنثى إذا غرَّبَ ، وذكرًا أنثى إذا لم يكُن بأحدِ هاتين الصِّفتين !

قلتُ : وقَد أجابَ بعضُ فُضَلائهم عن هذا الإلزامِ ، فقال : ليسَ ذلكَ بمُمْكنٍ لأنَّا قَد نقولُ : إنَّ الأدكنَ أبيضُ إذا قِسناهُ إلى الأسودِ ، ونقولُ : إنَّهُ أسوَدُ إذا قِسْناه إلى الأبيَضِ ، وهو شيءٌ واحدٌ بعَينهِ ، مرَّةً يكونُ أسوَدَ ، ومرَّةً يكونُ أبيضَ ، وهو في نفسهِ لا أسوَدُ ولا أبيضُ ، وكذلكَ الكواكبُ ، يقالُ : إنَّها ذُكرانٌ وإناثٌ بالقياسِ إلى الأشكالِ - أعني الجهاتِ - والجهاتِ إلى الرِّياحِ ، والرِّياحِ إلى الكيفيَّاتِ ، لأنَّها ذكرانٌ وإناثٌ .

وهذا تلبيسٌ منهُ ؛ فإنَّ الأدكنَ فيهِ شائبَةُ البياضِ والسَّوادِ فلذلكَ صدقَ عليهِ اسمُهُما لأنَّ الكيفيَّتينِ محسوستانِ فيهِ ، فتكيُّفُهُ بهما أوجبَ أن يُقالَ عليهِ الاسمانِ ، وأمَّا تَقسيمُ الكواكبِ إلى الذُّكورِ والإناثِ فهي قِسمَةٌ وضعتُم فيها تمييزَ كلِّ نوعٍ عن الآخَرِ بحقيقتهِ وطبيعتهِ ، وقلتم : البروجُ تنقسمُ إلى ذكورٍ وإناثٍ قسمَةً تَميَّزَ فيها قسمٌ عن قسمٍ ، لا أنَّ حقيقتَها مُتركِّبَةٌ من طبيعتين ذكوريَّةٍ وأُنوثيَّةٍ بحيثُ يصدُقانِ على كلِّ برجٍ !

فنظيرُ ما ذكرتم منَ الأدكنِ أنْ يكونَ كلُّ برجٍ ذكرًا وأنثى ، فأينَ أحد البابين منَ الآخَرِ لولا التَّلبيسُ والمُحالُ ؟! وأيضًا فانقسامُها إلى الذُّكورِ والإناثِ انقسامٌ بحسبِ الطَّبيعَةِ والتَّأثيرِ والتَّأثُّر الذي هو الفعلُ والانفعالُ ، وما كانَ كذلكَ لم تنقلبْ حقيقتُهُ وطبيعتُهُ بحسبِ الموضعِ والقُربِ والبُعدِ .

قال صاحبُ الرِّسالَةِ :

وزَعموا أنَّ القمرَ منذُ الوقتِ الذي يُهِلُّ فيهِ إلى وقتِ انتصافهِ الأوَّل في الضُّوءِ يكونُ فاعلًا للرُّطوبَةِ خاصَّةً ، ومنذُ وقتِ انتصافهِ الأوَّل في الضُّوءِ إلى

وقتِ الامتلاءِ يكونُ فاعلًا للحرارَةِ ، ومنذُ وقتِ الامتلاءِ إلى وقتِ الانتصافِ الثَّاني في الضَّوء يكونُ فاعلًا لليُبْسِ ، ومنذُ وقتِ الانتصافِ إلى الوَقتِ الذي يَخفى فيهِ ويُفارقُ الشمسَ يكونُ فاعلًا للبرودَةِ !

وأيُّ شيءٍ أقبحُ من هذا ! ولا سيَّما وقَد أعطى قائلُهُ أنَّ القمرَ رطبٌ ، وأنَّهُ يفعلُ بطبعهِ لا باختيارهِ ، وكيفَ أَنْ يفعلَ شيءٌ واحدٌ بطبعهِ الأشياءَ المتضادَّةَ مرَّةً في الدَّهرِ ، فضلًا عن أن يفعلَها في كلِّ شهرٍ ؟ وهل القولُ بأنَّ شيئًا واحدًا يفعلُ بطبعهِ في الأشياءِ التَّرطيبَ في وقتٍ ، ويفعلُ بطبعهِ التَّجفيفَ في آخرَ ، ويفعلُ الإسخانَ في وقتٍ ، ويفعلُ التَّبريدَ في آخَرَ ، إلّا كالقَولِ بأنَّ شيئًا واحدًا تنقلبُ عينهُ وقتًا بعدَ وقتٍ !!

قلتُ : قَد قالوا : إنَّ الشمسَ لمَّا كانَت تفعلُ هذه الأفاعيلَ بحسبِ صُعودِها وهُبوطِها في فَلَكها ، فإنَّها إذا كانَت من خمسَ عشرةَ درجَةً منَ الحُوتِ إلى خمسَ عشرةَ منَ الجَوزاء فَعَلَتِ التَّرطيبَ وهو زمانُ الرَّبيعِ ، وكذلكَ من خمسَ عشرةَ درجَةً منَ القوسِ إلى خَمسَ عشرةَ من الحوتِ تفعلُ التَّبريد ، وهو زمانُ الشتاءِ ، وهذا دورُها في الفَلَكِ مرَّةً في العامِ ، والقمرُ يدورُ في شهرٍ واحدٍ صارَت نسبَةُ دوْرِ القمرِ في الفَلَكِ كنسبَةِ دَوْرِ الشمسِ فيهِ فكانَت نسبَةُ الشهرِ إلى القمرِ كنسبَةِ السَّنَةِ إلى الشمسِ ، فالشهرُ يجمعُ الفُصولَ الأربعَةَ كما تجمعُهُ السَّنَةُ ، وما تفعلُهُ الشمسُ في كلِّ تسعينَ يومًا وكَسرٍ يفعلُهُ القمرُ في سبعةِ أيَّامٍ وكَسرٍ .

قالوا : فآخِرُ الشهرِ شبيهٌ بالشتاءِ ، وأوَّلُهُ شبيهٌ بالرَّبيعِ ، والرُّبع الثَّاني منَ الشهرِ شبيهٌ بالصَّيفِ ، والرُّبع الثَّالث منهُ شبيهٌ بالخَريفِ ، فهذا غايَةُ ما قرَّروا به

هذا الحُكمَ .

قالوا : وأمَّا كونُ الشيءِ الواحدِ سببًا للضِّدَّينِ فَقَد قضى أرسطاطاليس في كتابِ « السَّماع الطَّبيعي » على جوازِهِ ، والجوابُ عن هذا أنَّ الشمسَ ليسَت هي السَّببَ الفاعلَ لهذه الطَّبائع المُختلفَةِ ، وإنَّما قُرْبُها وبُعْدُها وارتفاعُها وانخفاضُها أثَّرَ في سُخونةِ الهواء وتبريدِهِ ، وفي تحلُّلِ البُخارات وتكاثُفِها ، فيحدثُ بذلكَ في الحيوانِ والنَّباتِ والهواءِ هذه الطَّبائعُ والكيفيَّاتُ ، والشمسُ جزءُ السَّببِ كما قرَّرناهُ ، وأمَّا القمرُ فلا يُؤثِّرُ قُرْبُهُ ولا بُعْدُهُ وامتلاؤهُ ونقصانهُ في الهواءِ كما تُؤَثِّرُهُ الشمسُ ، فلو كانَ ذلكَ كذلكَ لكانَ كُلُّ شهرٍ من شهورِ العامِ يجمعُ الفُصولَ الأربعَةِ بطبائعِها وتأثيراتِها وأحكامِها وهذا شيءٌ يدفعهُ الحِسُّ فَضلًا عن النَّظرِ والمعقولِ .

وقياسُ القَمَرِ على الشمسِ في ذلكَ مِن أَفْسَدِ القياسِ ؛ فإنَّ الفارقَ بينهما في الصِّفَةِ والحركةِ والتَّأثيرِ أكثرُ منَ الجامعِ ، فالحُكْمُ على القمرِ بأنَّهُ يُحدثُ الطَّبائعَ الأربعَةَ قياسًا على الشمسِ والجامعُ بينهما قَطْعُهُ للفَلَكِ في كلِّ شهرٍ كما تقطعهُ في سَنَةٍ لا يَعْتَمِدُ عليهِ مَن له خبرةٌ بطرقِ الأدلَّةِ وصنعةِ البرهان .

وأمَّا قولُكم : إنَّ أرسطاطاليس نَصَّ في كتابهِ على أنَّ الواحدَ قَد يكونُ سَبَبًا للضِّدَّينِ فنحنُ نذكُرُ كلامَهُ بعينهِ في كتابهِ ونبيِّنُ ما فيه :

قال في المقالَةِ الثَّانيَةِ : وأيضًا فإنَّ الواحدَ قَد يكونُ سببًا للضِّدَّينِ ، فإنَّ الشيءَ الذي بحُضورهِ يكونُ أمرٌ منَ الأمورِ فَغَيْبَتُهُ قَد تكونُ سببًا لضدِّهِ !

فيُقالُ في ذلكَ: إنَّ غَيْبَةَ الرُّبَّانِ سببُ غَرَقِ السَّفينَةِ وهو الذي كانَ حُضورُهُ سببَ سلامتِها ! فتأمَّلْ هذا الكلامَ ، وقابِل بينَهُ وبينَ كلامِهم في فِعْلِ القَمَرِ

الأُمورَ المتضادَّةَ يظهرُ لك تلبيسُ القومِ وجهلُهم ، فإنَّ نَظَرَ ذلكَ يُوْجِبُ بُطلانَ هذه الطَّبائعِ والكيفيَّاتِ عندَ انقطاعِ تعلُّقِ القمرِ بهذا العالمِ، كما بطلَ عملُ السَّفينَةِ وجَرْيُها عندَ غَيبةِ الرُّبَّانِ عنها وانقطاعِ تعلُّقهِ بها ، فلم يكُن الرُّبَّانُ هو سببَ الغرقِ الذي هو ضدُّ السَّلامَةِ كما كانَ القمرُ سببًا لليُبسِ الذي هو ضدُّ الرُّطوبَةِ، وللحرارَةِ التي هي ضدُّ البرودَةِ ، وإنَّما كانَت أسبابُ الغرقِ غَلَبَةَ أحدِ الأسبابِ التي كانَ الرُّبَّانُ يمنعُ فِعْلَه ، فلمَّا غابَ عنها عَمِلَ ذلكَ السَّببُ عَمَلَهُ فَغرِقَتْ .

وهذا أوضحُ مِن أن يَحتاجَ إلى تَقريرٍ ، ولكنَّ الأذهانَ التي قَد اعتادَتْ قَبْولَ المُحالاتِ قَد يحتاجُ في علاجِها إلى ما لا يَحتاجُ إليهِ غيرُها ، وباللَّهِ التَّوفيقُ .

قال صاحبُ الرِّسالة :

وقالوا في معرفَةِ أحوالِ أُمَّهاتِ المدنِ : إنَّ ذلكَ يُعْلَمُ من المواضعِ التي فيها الشمسُ والقمرُ في أوَّلِ ابتنائها ومواضعِ الأوتادِ فيها ، خاصَّةً وتَدَ الطَّالعِ ، كما يُفْعَلُ في المواليدِ ؛ فإنْ لم يُوْقَفْ على الزَّمانِ الذي ابْتُنِيَتْ فيهِ فَلْيُنْظَر إلى موضعِ وسطِ السَّماءِ في مواليدِ الولاةِ والملوكِ الذين كانوا في ذلكَ الزَّمانِ الذي بُنيَت فيهِ تلكَ المدن .

قلتُ : ونظيرُ هذا من هذيانهم قولُهم : إنَّا نعرفُ أحوالَ الأبِ من مولدِ الابنِ ! إذا لم يُعرَف مولدُ الأبِ ! قالوا : إنَّ هذا الموضعَ تالٍ في المرتبَةِ للطَّالع ، وهو أخصُّ المواضعِ بالطَّالعِ ، كما أنَّ الأبَ أخصُّ الأشياءِ بالابنِ ، فكذلكَ أخصُّ الأشياءِ بالمَلِكِ مملكتُهُ ، فموضعُ وَسَطِ سمائهِ يدُلُّ على مدينتهِ وأحوالها !

وكلُّ عاقلٍ يعلمُ بُطلانَ هذه الدَّلالَةِ وفسادَها ، وأنَّهُ لا ارتباطَ بينَ طالعِ

المدينَةِ وطالعِ السُّلطانِ ! كما لا ارتباطَ بينَ طالعِ ولادَةِ الابنِ وطالعِ ولادَةِ أبيهِ ! وإنَّما هذه تَشبيهاتٌ بعيدَةٌ ، ومناسباتٌ في غايَةِ البُعدِ !!

قال صاحبُ الرِّسالَةِ :

وقالوا في معرفَةِ حالِ الوالدينِ : إنَّ الشمسَ وزُحَلَ يُشاكِلانِ الآباءَ بالطَّبعِ!

ولستُ أدري كيفَ تُعْقَلُ دلالَةُ شيءٍ ليسَ ممَّا يتوالدُ بطبعِهِ على شيءٍ من طريقِ التَّوالدِ ! لأنَّ الأبَ إنَّما يكونُ أبًا بإضافتِهِ إلى ابنِهِ ، والابنُ إنَّما يكونُ ابنًا بإضافتِهِ إلى أبيهِ ، وإنَّهم يستدلُّونَ على حالِ الأولادِ بالقمرِ والزُّهَرَةِ والمشتري ! وإنَّ أحوالَ الأبِ تُعرفُ من مواليدِ ابنِهِ ، بأنْ يُقامَ موضعُ الكوكبِ الدَّالِّ عليهِ - وهو الشمسُ أو زُحَل - مقامَ الطَّالعِ ، ويستدلُّ على حالِ الابنِ من مواليدِ أبيهِ بأن يقامَ موضعُ الكوكبِ الدَّالِّ عليهِ وهو أحدُ الكواكبِ الثَّلاثَةِ - القمر والمشتري والزُّهَرَة - مقامَ الطَّالعِ ، وقَد يكونُ الإنسانُ في أكثرِ الأوقاتِ أبًا فيكونُ الشمسُ وزُحَل يدلُّ عليهِ من مولدِ ابنهِ ، ولهُ في نفسِهِ مولدٌ لا محالَةَ ! ويمكنُ أن يكونَ ربُّ [1] طالعِ مولدُهُ كوكبًا غيرَ الكوكبينِ الدَّالَّينِ على حالِهِ من مولدِ أبيهِ وابنِهِ ، فيكونُ حالُهُ يُعْرَفُ من ثلاثَةِ كواكبَ وثلاثَةِ بُروجٍ مختلفَةِ الأشكالِ والطَّبائعِ .

وتناقُضُ هذا القولِ بيِّنٌ لمستعملِهِ فضلًا عن مُتَوَهِّمِهِ !

قلت : قَد قالوا في الجوابِ عن هذه أنَّهُ لا تناقُضَ فيهِ ، بل هو حقٌّ واجبٌ ، قالوا : إذا أرَدنا أنْ نعرفَ حالَ سُقراطَ مثلًا من حيثُ هو إنسانٌ ، أليسَ يُنْظَرُ إلى ما يَخُصُّ الحيوانَ والإنسانَ الكُلِّيَّ ، وإذا أرَدْنا أن نعرفَ حالَهُ من

---

(١) صاحِبُه .

حيثُ هو أبٌ أن يُنْظَرَ إلى المضافِ وما يلحقهُ ، وإذا أرَدْنا أن نعرفَ حالَهُ من حيثُ هو عالمٌ يُنْظَرُ إلى الكيفيَّةِ وما يَخُصُّها ، والأوَّلُ جوهرٌ ، والباقي أعْراضٌ ، وسقراطُ واحدٌ ، ونعرفُ أحوالَهُ من مواضعَ مُختلفَةٍ مُتباينَةٍ مرَّةً يكونُ جوهرًا ومرَّةً عَرضًا ، فكذلكَ إذا أردنا أن نعرفَ حالَهُ من مولدهِ نَظَرْنا إلى الطَّالِعِ وَرَبِّهِ ، وإذا أرَدنا أن نعرفَ حالَهُ من مولدِ أبيهِ نَظَرْنا إلى العاشرِ والشمسِ ، وكذلكَ إذا أرَدنا أن نعرفَ حالَهُ من مولدِ ابنهِ نَظَرْنا إلى موضعٍ آخَرَ ، وليسَ ذلكَ مُتناقضًا كما أنَّ الأوَّلَ ليسَ متناقضًا !

فيقالُ : هذا تنبيهٌ فاسدٌ ، واعتبارٌ باطلٌ ؛ فإنَّ [1] نَظَرَنا في طالعِ الأبِ لنستدلَّ بهِ على حالِ الولدِ ، ونَظَرَكُم في الطَّالعِ لتَستدلُّوا بهِ على حالِ الأبِ هو الاستدلالُ على شيءٍ واحدٍ ، وحُكمٌ عليهِ بسببٍ لا يقتضيهِ ولا يفارقهُ ، فأينَ هذا مِن تعرُّفِ إنسانيَّةِ سقراطَ وأُبوَّتهِ وعدالتهِ وعلمهِ مثلًا وطبيعتهِ ؟! فإنَّ هذه أحوالٌ مُختلفَةٌ لها أدلَّةٌ وأسبابٌ مُختلفَةٌ فنظيرها أنْ نعرفَ حالَ الولدِ من جهَةِ سعادتهِ ومحبَّتهِ وصحَّتهِ وسقمهِ من طالعهِ ، وحالهِ من جهَةِ ما يُناسِبُهُ مِنَ الأغذيَةِ والأدويَةِ من مزاجهِ ، وحالهِ من جهَةِ أفعالهِ ورِئاستهِ من أخلاقهِ ؛ كالحياءِ والصَّبرِ والبَذْلِ ، وحالهِ من جهَةِ اعتدالِ مزاجهِ من اعتدالِ أعضائهِ وتركيبهِ وصورتهِ ، فهذه أحوالٌ بحسبِ اختلافِ أسبابها ، فأينَ هذا مِن أخذِ حالِ الولدِ وعمرهِ وسعادتهِ وشقاوتهِ من طالعِ أبيهِ وبالعكسِ ؟ فاللَّهُ يُعينُ العُقلاءَ على تلبيسِكم ، ومُحالِكم ، ويُثَبِّتُ عليهم ما وَهبَهُم من العُقولِ التي رَغِبَتْ بها - وَرَغِبُوا بها -

(١) في « الأصل » : « وإن » و في « المطبوع » « فإنا » ، ولعلَّ الصوابَ ما أثبتُّ .

عن مثلِ ما أنتُم عليهِ .

قال : وزعمَ بَطْلِيموس أنَّ الفَلَكَ إذا كانَ على شكلٍ ما ذَكَرَهُ في مولدٍ ما وكانَت الكواكبُ في مواضِعَ ذكرها - وجبَ أن يكونَ الولدُ أبيضَ اللونِ سَبِطًا ، وإن وُجدَ مولودٌ في بلادِ الحبشةِ والفَلَكُ مُتَشكِّلٌ على ذلكَ الشكلِ والكواكبُ في المواضعِ التي ذَكَرَها لم يَمْضِ ذلكَ الحُكْمُ عليهِ ومَضى على المولودِ ، وإنْ كانَ من الصَّقالبَةِ أو مَن قَرُبَ مزاجُهُ من مزاجهم ، وزعمَ أنَّ الفَلَكَ إذا كانَ على شَكْلٍ ما ذكرهُ في مولدٍ ما وكانَت الكواكبُ في مواضعَ - ذكرها - فإنَّ صاحبَ الولد يتزوَّجُ أُخْتَهُ إنْ كانَ مصريًّا ، فإنْ لم يكُن مصريًّا لم يتزوَّجها ! وزعمَ أَنَّ الفَلَكَ إذا كانَ على شكلٍ آخَر - ذكرهُ - في مولدٍ من المواليدِ وكانَت الكواكبُ في موضعٍ بينهما تزوَّجَ الولدُ بأُمِّهِ إنْ كانَ فارسيًّا ، وإن لم يكُن فارسيًّا لم يتزوَّجها !

وهذه مُناقضَةٌ شنيعَةٌ لأنَّهُ ذَكَرَ عِلَّةً ومَعلولًا يُوجَدُ بِوُجودِها ، وتَرتفعُ بارتفاعِه ، ثمَّ ذكرَ أنَّها توجَدُ من غيرِ أن يوجَدَ معلولُها !

قلتُ : أربابُ هذا الفنِّ يقولون : لا بدَّ من معرفَةِ الأُصولِ التي يحكَمُ عليها لئلّا يغلطَ الحاكمُ ويذهبَ كلامُهُ إنْ لم يَعْرِفِ الأصولَ وهي الجنسُ والشريعَةُ والأخلاقُ والعاداتُ ممَّا يحتاجُ المُنجِّمُ إلى تَحْصيلِها ، ثمَّ يحكُم عليها ، وكذلكَ قال بَطْلِيمُوس : إنَّهُ يجبُ على المُنجِّمِ النَّظرُ في صورِ الأبدانِ وخَواصِّ حالاتِ الأنفُسِ واختلافِ العاداتِ والسُّنَن .

قال : ويجبُ على مَن نظرَ في هذه الأشياءِ على المذهبِ الطَّبيعيِّ أنْ يتشبَّثَ أبدًا بالأسبابِ الأُوَلِ الصَّحيحَةِ لئلّا يغلطَ بسببِ اشتباهِ المواليدِ فيقولَ

مثلًا : إنَّ المولودَ في بلادِ الحبشِ يكونُ أبيضَ اللونِ سَبِطَ الشعرِ ! وإنَّ المولودَ في بلادِ الرُّومِ أسودُ اللَّونِ جَعْدُ الشعرِ ! أو يغلطَ أيضًا في السُّننِ والعاداتِ التي يُخَصُّ بها بعضُ الأمَمِ في الباهِ [1] ، فيقول مثلًا : إنَّ الرَّجُلَ من أهلِ أنطاكيا يتزوَّجُ بأُختِهِ ! وكانَ الواجبُ أن يَنسبَ ذلكَ إلى الفارسيِّ .

وفي الجملة ؛ ينبغي أَنْ يعلمَ أوَّلًا حالاتِ القضاءِ الكُلِّي ، ثمَّ يأخذَ حالاتِ القضاءِ الجُزئيِّ ليعلمَ منها الأمرَ في الزِّيادَةِ والنُّقصانِ ، وكذلكَ يجبُ - ضرورةً أَنْ يُقدِّمَ في قسمَةِ الأزمانِ أصنافَ الأسنانِ الزَّمانيَّةِ ومُوافقتَها لكلِّ واحدٍ منَ الأحداثِ ، وأَنْ يتفقَّدَ أمرَها لئلَّا يَغْلطَ في وقتٍ منَ الأوقاتِ في الأغْراضِ العامِّيَّةِ البَسيطَةِ التي يُنظَرُ فيها في المواليدِ ، فيقول : إنَّ الطِّفلَ يباشرُ الأعمالَ أو يتزوَّجُ أو يفعلُ شيئًا من الأشياءِ التي يفعلُها مَن هو أتمُّ سنًّا منهُ ، وإنَّ الشيخَ الفاني يُولَدُ لهُ أو يفعلُ شيئًا من أفعالِ الأحداثِ !

وهذا ونحوهُ يدُلُّ على أنَّ الأُمورَ وغيرَها إنَّما هي بحسبِ اختلافِ العوائدِ والسُّنَنِ والبلادِ وخواصِّ الأنفُسِ واختلافِ الأسنانِ والأغذيَةِ وقواها أيضًا ممَّا فيها تأثيرٌ قويٌّ ، وكذا الهواءُ والتُّربَةُ واللباسُ وغيرها ؛ كلُّ هذه لها تأثيرٌ في الأخلاقِ والأعمالِ وأكبرُها العوائدُ والمزَايا والمنشأ ، فإحالَةُ هذه الأمورِ على الكواكبِ والطَّالعِ والمقارنَةِ والمفارقَةِ والمناظرِ من أبينِ الجَهلِ ، ولهذا اضطرَّ إمامُ المنجِّمين ومُعلِّمُهم إلى مُراعاةِ هذه الأمورِ ، وأخبرَ أنَّ الحاكمَ بدونِ معرفتها والتَّشبُّث بها يكونُ مُخطئًا ، وحينئذٍ فالطَّالِعُ المُعْتَبَرُ المؤثِّرُ إنَّما هو طالعُ العوائدِ

---

(١) كذا في « المطبوع » ، وهو بمعنى النكاح ، ووقَعَ في « المخطوط » : الباهليّ ؛ يُقالُ : بَهِلَت المرأةُ : خَلَت من الزوجِ ، وليسَ لها ولدٌ ، فهي باهِل ، وباهلة . واللهُ أَعلم .

والسُّنَنِ والبلادِ وخواصُّ هيآتِ النُّفوسِ الإنسانيَّةِ وقوى أغذيَةِ أبدانها وهوائها وتُربتها ، وغيرِ ذلكَ ممَّا هو مُشاهَدٌ بالعِيانِ تأثيرُهُ في ذلكَ ، أفليسَ مِن أبْيَنِ الجهلِ الإعراضُ عن هذه الأسبابِ والحوالَةُ على حَرَكاتِ النُّجومِ واجتماعِها وافتراقِها ومقابلتِها في تربيعٍ أو تثليثٍ أو تَسديسٍ ممَّا لو صحَّ لكانَ غايتُهُ أن يكونَ جُزْءَ سببٍ منَ الأسبابِ التي تَقْتَضي هذه الآثارَ ؟! ثمَّ إنَّ لها منَ المقارناتِ والمفارقاتِ والصَّوارفِ والعوارضِ ما لا يُحصي المنجِّمُ القليلُ من عُشرِ معشارِهِ ، أفليسَ الحُكْمُ بمُجرَّدِ معرفَةِ جزءٍ من أجزاءِ السَّببِ بالظَّنِّ والحَدْسِ والتَّقليدِ لمَن حَسُنَ ظنُّهُ به حُكمٌ كاذبٌ ؟!

ولهذا كَذِبُ المُنجِّم أضعافُ أضعافِ صدقهِ بكثيرٍ ، حتى إنَّ صِدْقَ بَعضَ الزَّرَّاقين [١] وأصحابِ الكشفِ وأربابِ الفراسَةِ والحَزَّائين [٢] أكثرُ مِن صدقِ هؤلاءِ بكثيرٍ ، وما ذاكَ إلّا لأنَّ المجهولَ مِن جُمَلِ الأسبابِ ، وما يعارضُها ويمنعُ تأثيرَها أكثرُ منَ المعلومِ ، فكيفَ لا يقعُ الكذبُ والخطأُ ؟! بل لا يكادُ يقعُ الصِّدقُ والصَّوابُ إلّا على سبيلِ التَّصادُفِ .

ونحنُ لا نُنْكِرُ ارتباطَ المُسبَّباتِ بأسبابها ، كما ارتكبهُ كثيرٌ من المُتكلِّمين ، وكابَروا العِيانَ وجحَدوا الحقائقَ ، كما أنَّا لا نَرضى بهذياناتِ الأَحْكاميِّين ومُحالاتِهم ، بل نُثْبتُ الأسبابَ والمُسبَّباتِ والعِلَلَ والمَعلولاتِ ، ونُبيِّنُ مع ذلكَ بُطلانَ ما يدَّعونهُ من علمِ أحكامِ النُّجومِ وأنَّها هي المُدَبِّرَةُ لهذا العالَم ، المُسعدَةُ المُشقيةُ ، المُحيية المُميتةُ المُعْطيَةُ للعلومِ والأعمالِ والأَخلاقِ والأرزاقِ والآجالِ ، وإنَّ نَظَرَكُم في هذا العالَم مُوجِبٌ لكُم من علمِ الغَيبِ ما انفردتُم به عن سائرِ

(١) أي : الدجّالين .

(٢) يُقال : حَزَىٰ يَحزي ؛ أي : تكهَّنَ ، « قاموس » (ص ١٦٤٤) .

النَّاس !

وليسَ في طوائفِ النَّاسِ أقلُّ علمًا بالغيبِ منكم ، بل أنتُم أجهلُ النَّاسِ بالغيبِ على الإطلاقِ ، ومَن اعتبرَ حالَ حُذَّاقِكم وعلمائكم واعتمادَهم على ملاحمَ مُركَّبةٍ من إخباراتِ بعضِ الكُهَّانِ ، ومناماتٍ وفراساتٍ وقَصَصٍ مُتوارَثَةٍ عن أهلِ الكتابِ وغيرهم ، ومَزْج ذلكَ بتجاربَ حَصَلَتْ مع اقتراناتٍ نُجوميَّةٍ واتِّصالاتٍ كوكبيَّةٍ يُعْلَمُ بالحسابِ حصولُها في وقتٍ مُعيَّنٍ ! فقضيتُم بحصولِ تلكَ الآثارِ أو نَظيرِها عندها ! إلى أمثالِ ذلكَ من أسبابِ علمٍ تُقَدِّمُهُ المعرفةُ التي قَد جُرِّبَ بين النَّاسِ منها مثلُ ما جرَّبتُم ، فَصَدَقَتْ تارَةً وكَذَبَتْ تارَةً ، فغايَةُ الحَرَكاتِ النُّجوميَّةِ والاتِّصالاتِ الكوكبيَّةِ أنْ تكونَ كالعِلَلِ والأسبابِ المُشاهَدَةِ التي تأثيراتُها مَوْقوفَةٌ على انضمامِ أُمورٍ أُخرى إليها ، وارتفاعِ موانعَ تمنعُها تأثيرَها ، فهي أجزاءُ أسبابٍ غيرُ مستقلَّةٍ ، ولا مُوجبَةٍ .

هذا لو أقمتم على تأثيرها دليلًا ، فكيفَ وليسَ مَعَكم إلّا الدَّعاوىٰ وتقليدُ بعضِكم بعضًا !

واعترافُ حُذَّاقِكم بأنَّ الذي يُجْهَلُ من بقيَّةِ الأسبابِ المؤثِّرَةِ - ومنَ الموانعِ الصَّارفَةِ - أعظمُ منَ المعلومِ منها بأضعافٍ مُضاعفَةٍ لا يدخُلُ تحتَ الوَهمِ فكيفَ يستقيمُ لعاقلٍ الحُكْمُ بعد هذا ؟ وهل يكونُ في العالَمِ أكذبُ منهُ ؟

قال صاحبُ الرِّسالة :

وإذا كانَ الفَلَكُ متى تشكَّلَ شكلًا ما ، دلَّ إن كانَ في مولدِ مصريٍّ على أنَّهُ يتزوَّجُ أُختَهُ فذلكَ سُنَّةٌ كانَت لهم وعادَةٌ ، وإن كانَ في مولدِ غيرِهِ لم يدلَّ على ذلكَ .

ونحنُ نَجِدُ أهلَ مِصْرَ في وقتنا هذا قَد زالوا عن تلكَ العادَةِ ، وتركوا تلكَ

السُّنَّةَ بدخولهم في الإسلامِ والنَّصرانيَّةِ واستعمالِهم أحكامَها ، فيجبُ أن تسقطَ هذه الدَّلالَةُ من مواليدِهم لزوالِهم عن تلكَ العادَةِ ، أو تكونَ الدَّلالةُ تُوْجِبُ ذلكَ في مولدِ كلِّ أحدٍ منهم ومِن غيرِهم ، أو تسقطَ الدَّلالَةُ وتبطُلَ بزوالِ أهلِ مصرَ عمَّا كانوا عليهِ ، وكذلكَ جمهورُ أهلِ فارس .

وأيُّ ذلكَ كانَ فهو دالٌّ على قُبْحِ المناقضَةِ وشدَّةِ المغالطَةِ ، وقَد رأيتُ وجهَهُم بَطْليموسَ يقول في كتابهِ المعروف بـ « الأربعَة » : فَيَحْدُثُ كذا وكذا توهَّمنا أنَّهُ يكونُ كذا وكذا .

قلت : الذي صرَّحَ بهِ بَطْليموسُ أَنَّ عِلْمَ أحكامِ النُّجومِ بَعدَ استقصاءِ معرفَةِ ما ينبغي معرفتُهُ إنَّما هو على جهَةِ الحَدْسِ لا العلمِ واليقينِ ، فَمِن ذلكَ قولُهُ : هذا وبالجُملَةِ ؛ فإنَّ جميعَ علمِ حالِ هذا العُنصر إنَّما يستقيمُ أَنْ يُلْحَقَ على جهَةِ الظَّنِّ والحَدْسِ لا على جهَةِ اليقينِ ، وخاصَّةً منه ما كانَ مُركَّبًا من أشياءَ كثيرَةٍ غيرِ متشابهَةٍ .

قال شارحُ كلامهِ (١) : وإنَّما ذهبَ إلى ذلكَ لأنَّ الأفعالَ التي تَصدرُ عن الكواكبِ إنَّما هي بطريقِ العَرَضِ ، وأنَّها لا تَفْعَلُ بذواتها شيئًا ، والدَّليلُ على ذلكَ قولهُ في البابِ الثَّاني من كتابِ « الأربعَة » : وإذا كانَ الإنسانُ قَد اسْتَقْصىٰ معرفَةَ حركةِ جميعِ الكواكبِ والشمسِ والقمرِ ، حتى إنَّهُ لا يذهبُ عليهِ شيءٌ من المواضعِ والأوقاتِ التي تحدثُ لها فيها الأشكالُ وكانَت عندهُ معرفَةٌ بطبائعها قَد أخذها عن الأخبارِ المتواترَةِ التي تَقَدَّمَتْهُ وإنْ لم يعلم طبائعَها في نفسِ جواهرها لكنْ يعلمُ قواها التي تفعلُ بها كالعلمِ بقوَّةِ الشمسِ أنَّها تُسَخِّنُ ،

---

(١) لم يتبيّن لي مَن هو !!

وكالعلمِ بقوَّةِ القمرِ أنَّها تُرطِّبُ ، وكذلكَ يعلمُ أمرَ قوى سائرِ الكواكبِ وكانَ قويًّا على معرفَةِ أمثالِ سائرِ هذه الأشياءِ لا على المذهبِ الطَّبيعيِّ فقط لكنْ يُمْكِنُهُ أيضًا أن يعلمَ بجُودَةِ الحَدْسِ خواصَّ الحالِ التي تكون من امتزاج جميعِ ذلك .

قال الشارحُ : وبطليموس يرى أنَّ عِلْمَ الأحكامِ إنَّما يُلْحَقُ على جهَةِ الحَدسِ لا على جهَةِ اليقين .

قلتُ : وكذلك صرَّحَ أَرِسْطاطاليس في أوَّلِ كتابِهِ « السَّماع الطَّبيعي » أنَّهُ لا سبيلَ إلى اليقينِ بمعرفَةِ تأثيرِ الكواكبِ ، فقال : لمَّا كانَتْ حالُ العلمِ واليقينِ في جميعِ السُّبلِ التي لها مبادىءُ أو أسبابٌ أو استِقْصاتٍ ، إنَّما يَلْزَمُ مِنْ قِبَلِ المعرفَةِ بهذه ، فإذا لَم تُعرفِ الكواكبُ على أيِّ وجهٍ تفعلُ هذه الأفاعيلَ - أعني بذاتها أو بطريقِ العَرَضِ - ولَم تُعْرف ماهيَّتُها وذواتها لم تكُن معرفتُنا بالشيءِ أنَّهُ يُفْعَلُ على جهَةِ اليقينِ .

وهذا ثابتُ بنُ قُرَّةَ [١] - وهو مَنْ هو عندهم - يقولُ في كتابِ « ترتيبِ العلمِ » : وأمَّا علمُ القضاءِ منَ النُّجومِ فَقَد اختلفَ فيهِ أهلُهُ اختلافًا شديدًا ، وخرجَ فيهِ قَوْمٌ إلى ادِّعاء ما لا يصحُّ ولا يُصَدَّقُ بما لا اتِّصالَ لهُ بالأُمورِ الطَّبيعيَّةِ ، حتى ادَّعوا في ذلك ما هو من علمِ الغيبِ ، ومع هذا فلم يُوجَدْ منهُ إلى زماننا هذا قريبٌ منَ التَّمامِ كما وُجدَ غيرُهُ .

هذا لفظُهُ مع حُسنِ ظنِّهِ به [٢] وعَدِّهِ لهُ في العلومِ !!

---

(١) وهو طبيب صابئٌ ! توفّي سنة (٢٨٨ هـ) ، ترجمه ابنُ أَبي أُصيبعة في « طبقات الأَطباء » (١ / ٢١٥) .

(٢) أَي : بعلم النجوم .

وهذا أبو نَصرِ الفارابيُّ يقول : واعْلَمْ أنَّكَ لو قَلَبْتَ أوضاعَ المنجِّمينَ فجعلتَ السَّعدَ نَحْسًا ، والنَّحْسَ سعدًا ، والحارَّ باردًا ، والباردَ حارًّا ، والذَّكرَ أنثى ، والأنثى ذكرًا ، ثمَّ حَكَمْتَ لكانَتْ أحكامُكَ من جنسِ أحكامِهم تُصيبُ تارَةً وتخطىءُ تارَةً !!

وهذا أبو عليٍّ بنُ سينا قَد أتى في آخِرِ كتابهِ « الشفاء » في ردِّ هذا العلمِ وإبطالهِ بما هو موجودٌ فيهِ .

وقرأتُ بخطِّ رزقِ اللَّهِ المنجِّم - وكانَ من زعمائهم - في كتابِ « المُقايسات » لأبي حَيَّان التَّوحيدي مُناظَرَةً دارَتْ بينَ جماعَةٍ من فُضلائهم جَمَعَ جَمْعَهم بعضُ المجالس ، فذكرتُها ملخَّصةً ممَّا لا يتعلَّقُ بها ، بل ذكرتُ مقاصدَها :

قال أبو حَيَّان : هذه مقايَسةٌ دارَت في مجلسِ أبي سليمانَ محمَّد بن طاهر ابن بَهْرامَ السِّجِسْتاني (١) وعندهُ أبو زكريَّا الصَّيْمَري والبوشِنْجاني أبو الفتح وأبو محمَّدٍ العَرُوضيّ وأبو محمَّد المقدسيّ والقُوطَسِي وغُلامُ زُحَلَ (٢)، وكلُّ واحدٍ من هؤلاءِ إمامٌ في شأنهِ ، فَرْدٌ في صناعتهِ ، فقيلَ في المجلسِ : لِمَ خلا علمُ النُّجومِ منَ الفائدَةِ والثَّمرَة ؟ وليسَ علمٌ منَ العلومِ كذلكَ ؛ فإنَّ الطِّبَّ ليسَ على هذه الحالِ ، ثمَّ ذُكِرتْ فائدَتُهُ والمنفعةُ بهِ وكذلكَ الحسابُ والنَّحوُ

---

(١) توفّي نحو سنة (٣٨٠هـ) ، ترجمه القِفْطيُّ في « أَخبار الحكماء » (١٨٥) .

(٢) هو أَبو القاسم عُبيدالله بن الحَسَن ، توفّي سنة (٣٧٦هـ) ، انظر « الإمتاع والمؤانسة » (١ / ٣٨) لأَبي حيّان .

وانْظُر (٢ / ٨٤) و (٣ / ٢٨٤ و ٢١٦ و ٢٢١) منه حولَ تراجم الباقينَ .

والهندسَةُ والصَّنائعُ ، ذُكِرَتْ وذُكرتْ منافعُها وثمراتُها ، ثمَّ قالَ السَّائلُ : وليسَ علمُ النُّجومِ كذلكَ ؛ فإنَّ صاحبَهُ إذا استقصى وبلغَ الحدَّ الأقصى في معرفَةِ الكواكبِ وتَحصيلِ سيرِها واقترانِها ورُجوعِها ومُقابلتِها وتَربيعِها وتثليثِها وتَسديسِها وضُروبِ مزاجِها في مواضعها من بُروجِها وأشكالِها ومطالِعِها ومعاطفِها ومغاربِها ومشارِقِها ومذاهبِها ، حتّى إذا حكمَ أصابَ ، وإذا أصابَ حقَّقَ ، وإذا حقَّقَ جزمَ ، وإذا جزمَ حتَمَ ، فإنَّهُ لا يستطيعُ البتَّةَ قَلْبَ شيءٍ عن شيءٍ ، ولا صَرْفَ شيءٍ عن شيءٍ ، ولا تبعيدَ حالٍ قَد دَنَتْ ولا يفي ملَّةً قد اكْتُتِبَتْ ، ولا رفعَ سعادَةٍ قد أَجَمَّتْ وأَطلَّتْ - أعني أنَّ امرءًا لا يقدرُ على أن يجعلَ الإقامَةَ سفرًا ، ولا الهزيمَةَ ظَفَرًا ، ولا العَقْدَ حلًّا ، ولا الإبرامَ نَقْضًا ، ولا اليأسَ رجاءً ، ولا الإخفاقَ دَرَكًا ، ولا العدُوَّ صديقًا ، ولا الوليَّ عدوًّا ، ولا البَعيدَ قريبًا ، ولا القريبَ بعيدًا ، فكانَ العالِمُ به الحاذقُ المتناهي في خفيَّاتهِ بعدَ هذا التَّعب والنَّصَب ، وبَعد هذا الكَدِّ والدَّأَبِ ، وبعدَ هذه الكُلفَةِ الشديدَةِ والمعرفَةِ الغليظَةِ هو مُلتزمٌ للمقدارِ ، مُستجدٌّ لِمَا يأتي بهِ الليلُ والنَّهارُ ، وعادَتْ حالُهُ مع علمهِ الكثيرِ إلى حالِ الجاهلِ بهذا العلمِ الذي انقيادُهُ كانقيادِهِ ، واعتبارُهُ كاعتبارِهِ ، ولعلَّ تَوَكُّلَ الجاهلِ أحسنُ مِن توكُّلِ العالم بهِ ، ورضاه في الخيرِ المُشتَهى ونجاتهُ منَ الشرِّ المُتَّقى أقوى وأصحُّ من رجاءِ هذا المُدِلِّ بزيجهِ وحسابهِ وتقويمِهِ واسطرلابهِ .

ولهذا لقيَ أبو الحُسين النُّوري [1] مانِيًا المنجِّم قال لهُ : أنتَ تخاف زُحَل وأنا أخافُ رَبَّ زُحَل ، وأنتَ تَرجو المشتري وأنا أعبدُ ربَّ المشتري ، وأنتَ تَعدو

(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٤٩ - ٢٥٥) لأبي نُعَيم .

بالإشارَةِ ، وأنا أعدو بالاستخارَةِ ، فكم بينَنا !

وهذا أنوشِرْوان - وكانَ منَ المُلوكِ الأفاضلِ - كانَ لا يرفعُ بالنُّجومِ رأسًا ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ؟ فقال : صوابهُ يشبهُ الحَدْسَ ، وخطأهُ شديدٌ على النَّفس ، فمتى أَفْضَى هذا الفاضلُ النّحريرُ والحاذقُ البصيرُ إلى هذا الحدِّ والغايَةِ كانَ علمُهُ عاريًا منَ الثَّمرةِ ، خاليًا منَ الفائدَةِ ، حائلًا عن النَّتيجَةِ بلا عائدَةٍ ولا مرجوعٍ .

وإنَّ أمرًا أوَّلُهُ على ما قرَّرنا ، وآخِرُهُ على ما ذكرنا لَحَرِيٌّ أن لا يُشغلَ الزَّمانُ بهِ ، ولا يُوهَبَ العمرُ لهُ ، ولا يعارَ الهمَّ والكدَّ ، ولا يعاجَ [1] عليهِ بوجهٍ ولا سببٍ ، هذا إنْ كانَت الأحكامُ صحيحَةً مُدْرَكَةً محقَّقَةً ، ومُصابَةً مُلحقَةً مَعروفَةً مُحصَّلَةً ، ولم يكُن المذهبُ على ما زعمَ أربابُ الكلامِ والذينَ يأْبَوْنَ تأثيرَ هذه الأجرامِ العاليَةِ في الأجسامِ السَّافلَةِ وينفونَ الوسائطَ بينهما والوصائل ، ويَدفعون الفواعلَ والقوابلَ ، ثَمَّ السُّؤالُ .

فأجابَ كلٌّ من هؤلاء بما سَنَحَ لهُ ، فقال قائلٌ منهم : عن هذا السُّؤالِ المَهُولِ جوابان :

أحدهما : هو زجرٌ عن النَّظرِ فيه لئلّا يكونَ هذا الإنسانُ مع ضعفِ تجربتهِ واضطرابِ غريزتهِ وضَعفِ بُنيتهِ غَدَا على ربِّه شريكًا لهُ في غَيْبِهِ ، مُتكبِّرًا على عبادهِ ، ظانًّا بأنَّهُ فيما يأتي من شأنهِ قائمٌ بجَدِّهِ وقُدرتهِ وحولهِ وقوَّتهِ وتشميرهِ وتقليصهِ وتَهجيرهِ وتَقريبهِ ، فإنَّ هذا النَّمَطَ يَحجُزُ الإنسانَ عن الخُشوعِ لخالقهِ والإذْعانِ لربِّهِ ويُبعِدهُ عن التَّسليم لِمُدبِّرهِ ، ويحُولُ بينه وبينَ طَرْحِ الكاهلِ بينَ

---

(١) يُنزَل .

يَدي مَنْ هو أملَكُ لهُ وأَوْلى بِهِ .

وأمَّا الجوابُ الآخر : فهو بُشرى عظيمَةٌ على نعمَةٍ جسيمَةٍ لمَن حصلَ لهُ هذا العلمُ ، وذلكَ سرٌّ لو اطَّلعَ عليهِ ، وغيبٌ لو وصلَ إليهِ لكانَ ما يجدُهُ الإنسانُ فيهِ منَ الرَّوحِ والرَّاحَةِ والخيرِ في العاجلَةِ والآجلةِ تكفيه مُؤنَةَ هذا الخَطْبِ الفادحِ ، وتُغنيهِ عن تجشُّمِ هذا الكدِّ الكادحِ ، فاجعَلْ أيُّها المُنْكِرُ لشرفِ هذا العلمِ قِبَلَ عينِكَ ما يَخْفىٰ عليكَ خفيُّه ومكنونُه تذلُّلًا للَّهِ تقدَّسَ اسمهُ فيما استبانَ لكَ معلومهُ ووضحَ عندكَ مظنونهُ .

ثمَّ قال : اعْلَمْ أنَّ العلمَ به حقٌّ ، ولكنَّ الإصابَةَ بعيدَةٌ ، وليسَ كلُّ بعيدٍ مُحالًا ، ولا كلُّ قريبٍ صوابًا ، ولا كلُّ صوابٍ معروفًا ، ولا كلُّ محالٍ موصوفًا ، وإنَّما كانَ العلمُ حقًّا والاجتهادُ فيهِ مُبَلِّغًا ، والقياسُ فيهِ صوابًا ، وبذلُ السَّعيِ دونهُ محمودًا لاشتباكِ هذا العالَمِ السُّفليِّ بذلكَ العالَمِ العُلويِّ ، واتِّصالِ هذه الأجسامِ القابلةِ بتلك الأَجْسامِ الفاعلَةِ واستحالةِ هذه الصُّورِ بحركاتِ تلكَ المُحرِّكاتِ المُشاكِلَةِ بالوحدَةِ ، وإذا صحَّ هذا الاتِّصالُ والتَّشابُكُ ، وهذه الحبالُ والرَّوابطُ ، صحَّ التَّأثيرُ منَ العُلْويِّ ، وقَبُولُ التَّأثيرِ منَ السُّفليِّ بالمواضعِ الشعاعيَّةِ ، وبالمُناسَباتِ الشكليَّةِ ، والأحوالِ الخَفِيَّةِ والجَلِيَّةِ ، وإذا صحَّ التَّأثيرُ منَ المُؤثِّرِ وقَبُولُهُ منَ القابلِ صحَّ الاعتبارُ ، واستتبَّ القياسُ ، وصدقَ الرَّصَدُ ، وثبتَ الإلْفُ ، واستحكَمَت العادَةُ ، وانكشفَتِ الحدودُ ، وانْثالَت العللُ ، وتعاضدَت الشواهدُ ، وصارَ الصَّوابُ غامرًا ، والخطأُ مغمورًا ، والعلمُ جوهرًا راسخًا ، والظَّنُّ عَرَضًا زائلًا !

فقيلَ : هَل تَصِحُّ الأحكامُ أم لا ؟

فقال : الأحكامُ لا تصحُّ بأسرها ، ولا تبطلُ مِن أصلها ، وذلكَ سببٌ يتبيَّنُ إذا أنعمَ النَّظَرَ ، وبَسَطَ الإصْغاءَ ، وصَمَدَ نحوَ الفائدَةِ بغيرِ مُتابعَةِ الهوى وإيثارِ التَّعصُّبِ .

ثمَّ قال : الأمورُ الموجودَةُ على ضَرْبينِ :

ضربٍ لهُ الوجودُ الحقُّ .

وضربٍ لهُ الوجودُ ، ولكنْ ليسَ الوجودَ الحقَّ .

فأمَّا الأمورُ الموجودَةُ بالحقِّ ؛ فقَد أعطَتِ الأُخرى نسبَةً من جهَةِ الوُجودِ الحقِّ .

وأمَّا الأمورُ الموجودَةُ لا بالحقِّ ، فقد أعطَت الأخرى نسبَةً من جهَةِ الوجودِ ، وارْتَجَعَتْ منها حقيقَةَ ذلكَ .

فالحُكْمُ بالاعتبارِ الفاحصِ عن هذه الأسرارِ ؛ إنْ أصابَ فبسببِ الوجودِ الذي هو هذا العالمُ السُّفليِّ من ذلكَ العالمِ العُلويِّ ، وإنْ أخطأ فبآفاتِ هذا العالَمِ السُّفليِّ من ذلكَ العالَمِ العُلويِّ .

والإصابَةُ في هذه الأمورِ السيَّالَةِ المُتَبدِّلَةِ عَرَضٌ ، والإصابَةُ في أمورِ الفَلَكِ جوهرٌ ، وقَد يكونُ هناكَ ما هو كالخطأ ، ولكنْ بالعَرَضِ لا بالذَّاتِ ، كما يكون ها هُنا ، لا هو بالصَّوابِ والحقِّ ، لكنْ بالعَرَضِ لا بالذَّاتِ ؛ فلهذا صحَّ بعضُ الأحكامِ وبَطَلَ بعضُها .

وممَّا يكونُ شاهدًا لهذا أنَّ العالمَ السُّفليَّ مع تبدُّلِهِ في كلِّ حالةٍ ، واستحالَتِهِ في كلِّ طَرْفٍ ولَمْحٍ مُتقبِّلٌ لذلكَ العالَمِ العُلويِّ ، يتحرَّكُ شوقًا إلى كمالِهِ ، وعِشقًا لجمالِهِ ، وطلبًا للتَّشبُّهِ به ، وتَحَقُّقًا بكُلِّ ما أمكنَ من شَكْلِهِ ،

فهو بِحَقِّ التقبُّلِ يُعْطِي هذا العالَمَ السُّفليَّ ما يكونُ به مُشابهًا للعالَمِ العُلويِّ ، وبهذا التَّقبُّل يقبلُ الإنسانُ النَّاقصُ الكاملَ ، ويقبلُ الكاملُ منَ البشرِ المَلَكَ ، ويقبلُ المَلَكُ الباريَ جلَّ وعزَّ .

قال آخَر : إنَّما وجبَ هذا التَّقبُّلُ والتَّشبّهُ لأنَّ وجودَ هذا العالَمِ وجودٌ متهافتٌ مستحيلٌ لا صورَةٌ له ثابتَةٌ ، ولا شكلٌ دائمٌ ، ولا هيئةٌ مَعروفَةٌ ، وكانَ من هذا الوجهِ فقيرًا إلى ما يَمُدُّهُ ويشدُّهُ ، فإمَّا مَسْحُهُ فهو موجودٌ وثابتٌ مُقابِلٌ لذلكَ العالَمِ الموجودِ الثَّابتِ ، وإنَّما عَرَضَ ما عَرَضَ لأنَّ أحدَهما مُؤثِّرٌ ، والآخَرَ قابلٌ ، فبحقِّ هذه المرتبةِ ما وُجِدَ التَّواصلُ .

وقال آخَرُ : قَد يُغْفِلُ مع هذا كلِّهِ المنجِّمُ اعتبارَ حَرَكاتٍ كثيرَةٍ من أجرامٍ مُختلفَةٍ ، لأنَّهُ يعجزُ عن نَظْمِها وتَقويمِها ، ومَزجِها وتَسييرِها ، وتَفصيلِ أحوالِها وتَحصيلِ خواصِّها ، مع بُعْدِ حركةِ بَعضِها وقُرْبِ حركَةِ بَعضِها ، وبُطئِها وسُرعتِها ، وتوسُّطِها والتفافِ صُورِها ، والتباسِ تقاطُعِها وتداخُلِ أشكالِها .

ومِنَ الحِكمَةِ في هذا الإغفالِ أنَّ اللَّهَ تَقدَّسَ اسمُهُ يُتِمُّ بذلكَ القَدْرِ المُقْفَلَ والقليلِ الذي لا يُؤْبَهُ ، والكثيرِ الذي لا يُحاوِلُ البحثَ عنهُ ؛ أَمْرًا لم يكن في حُسبانِ الخَلْقِ ، ولا فيما أَعْمَلُوا فيهِ القياسَ والتَّقديرَ والتَّوهُّمَ .

ولهذا يُحْكِمُ هذا الحاذقُ في صناعتِهِ لهذا الملكِ ، وهذا الماهرُ في عملِهِ لهذا الملكِ ، ثمَّ يلتقيانِ فتكونُ الدَّائرَةُ على أحدِهما مع شدَّةِ الوِقاعِ وصدقِ المِصاع (١) ، هذا وقد حُكِمَ لهُ بالظَّفَرِ والغلبِ .

وقال آخرُ - وهو البوشَنْجانيّ - : إنَّما يُؤتَى أحدُ الحاكِمَيْنِ لأحدِ

---

(١) القتال والمُجالَدَة .

السَّائِلين لا مِن جهَةِ غَلَطٍ يكونُ في الحسابِ ، ولا مِن قِلَّةِ مهارَةٍ في العملِ ، ولكنْ يكونُ في طالعِهِ أنْ لا يُصيبَ في ذلكَ الحُكمِ ، ويكونُ في طالعِ المَلِكِ أن لا يُصيبَ مُنجِّمُهُ في تلكَ الحربِ ، فمُقتَضى حالِهِ وحالِ صاحبِهِ يَحُولُ بينَهُ وبينَ الصَّوابِ ، ويكونَ الآخَرُ مع صحَّةِ حسابِهِ وحُسْنِ إدْراكِهِ قَد وجبَ في طالعِ نفسِهِ وطالعِ صاحبِهِ ضدُّ ذلك ، فيقعُ الأمرُ الواجبُ ، ويَبْطُلُ الآخرُ الذي ليسَ بواجبٍ .

وقَد كانَ المُنجِّمانِ من جهَةِ العلمِ والحسابِ أعطيا للصِّناعَةِ حقَّها ، ووفَّيا ما عليهما ، وَوَقفا موقفًا واحدًا على غيرِ مَزِيَّةٍ بيِّنَةٍ ولا علَّةٍ قائمَةٍ !

قال آخَرُ : ولولا هذه البقيَّةُ المُدفنَةُ والغايَةُ المستَتِرَةُ الّتي استأثرَ اللَّهُ بها لكانَ لا يُعْرَضُ هذا الخَطَأُ مع صحَّةِ الحسابِ ودقَّةِ النَّظرِ وشدَّةِ الغَوْصِ وتَوَفّي المَطْلُوبِ ومع غَلَبَةِ الهوى والميلِ إلى المَحْكُومِ لهُ .

وهذه البقيَّةُ دائرَةٌ في أُمورِ هذا الخَلْقِ فاضلِهم وناقصِهم ومتوسِّطِهم في دقيقِها وجليلِها وصَعبِها .

ومَن كانَ لهُ في نفسِهِ باعِثٌ على التَّصفُّحِ والنَّظرِ والبحثِ والاعتبارِ وقفَ على ما أومأْتُ إليهِ وسلَّمَ .

ولحكمَةٍ جليلةٍ ضربَ اللَّهُ دونَ هذا العلمِ بالأسدادِ ، وطَوى حقائقَهُ عن أكثرِ العبادِ ، وذلكَ أنَّ العلمَ بما سيكونُ ويحدثُ ويستقبلُ علمٌ حُلْوٌ عندَ النَّفسِ ، ولهُ موقعٌ عندَ العَقلِ ، فلا أحدَ إلّا وهو يتمنَّى أَنْ يعلمَ الغَيبَ ، ويطَّلعَ عليهِ ، ويُدركَ ما سوفَ يكونُ في غدٍ ، ويجدَ سبيلًا إليهِ ولو ذُلِّلَ السَّبيلُ إلى هذا الفنِّ لرأيتَ النَّاسَ يُهْرَعونَ إليهِ ، ولا يُؤْثِرُونَ شيئًا آخَرَ عليهِ ، لحلاوَةِ هذا العلمِ

عندَ الرُّوحِ ولُصوقِهِ بالنَّفسِ ، وغرامِ كلِّ أحدٍ بِهِ ، وفتنَةِ كلِّ إنسانٍ فيهِ ، فبنعمَةٍ منَ اللَّهِ لم يُفْتَحْ هذا البابُ ولم يُكْشَفْ دونَهُ الغطاءُ حتى يرتقيَ كلُّ أحدٍ روضَهُ ، ويلزمَ حدَّهُ ، ويرغبَ فيما هو أجدى عليهِ وأنفعُ لهُ إمَّا عاجلًا وإمَّا آجلًا ، فطوى اللَّهُ عن الخَلْقِ حقائقَ الغيبِ ، ونشرَ لهم نُبذًا منهُ وشيئًا يسيرًا يتعلَّلونَ بهِ ؛ ليكونَ هذا العلمُ محروصًا عليهِ كسائرِ العلومِ ، ولا يكونَ مانعًا من غيرهِ .

قال : فلولا هذه البقيَّةُ التي فضحَت الكامِلينَ ، وأعجزَت القادرِينَ ، لكانَ تعجُّبُ الخَلْقِ من غرائبِ الأحداثِ وعجائبِ الصُّروفِ وطرائفِ الأحوالِ عَبَثًا وسَفَهًا ، وتوكُّلُهم على اللَّهِ لَهْوًا ولَعِبًا .

فقال آخَرُ : وهذا يتَّضحُ بمثالٍ ، ولْيكُن المثالُ أنَّ مَلِكًا في زمانكَ وبلادكَ واسعَ المُلكِ ، عظيمَ الشأنِ ، بعيدَ الصِّيت ، سابغَ الهيبَةِ ، معروفًا بالحكمَةِ ، مشهورًا بالحَزمِ ، يضعُ الخيرَ في مواضعهِ ، ويُوقعُ الشرَّ في مَوَاقعهِ ، عندهُ جزاءُ كُلِّ سيِّئةٍ وثوابُ كلِّ حسنَةٍ ، قَد رتَّبَ لبريدِهِ أصلحَ الأولياءِ لهُ ، وكذلكَ نَصبَ لجبايَةِ أموالهِ أقومَ النَّاسِ بها ، وكذلكَ وَلَّى عمارَةَ أرضهِ أنهضَ النَّاسِ بها ، وشرَّفَ آخَرَ بكتابهِ ، وآخَر بوزارتهِ ، وآخَرَ بنيابتهِ ، فإذا نظَرْتَ إلى مُلكهِ وجدتَهُ مُؤَزَّرًا بسدادِ الرَّأيِ ومحمودِ التَّدبيرِ ، وأولياؤهُ حوالَيْهِ ، وحاشيتهُ بينَ يديهِ ، وكلٌّ يَخِفُّ إلى ما هو مَنُوطٌ بهِ ، ويَستقصي طاقتَهُ ويبذُلُ فيهِ ، والمَلِكُ يأمرُ ويَنهى ، ويُصدرُ ويُوردُ ، ويثيبُ ويعاقبُ ، وقَد علمَ صغيرُ أوليائهِ وكبيرُهم ، ووضيعُ رعاياه وشريفُهم ، ونبيهُ النَّاسِ وخاملُهم أنَّ الأمرَ الذي تعلَّقَ بكذا وكذا صَدَرَ منَ المَلِكِ إلى كاتبهِ ، لأنَّهُ مِن جنسِ الكتابَةِ وعلائقِها وما يدخُلُ في شرائطها

ووثائقها ، والأمرُ الآخَرُ صَدَرَ إلى صاحبِ بريدِهِ لأنَّهُ من أحكامِ البريدِ وفُنونِهِ ، والأمرُ الآخَرُ أُلقي إلى صاحبِ المَعُونَةِ لأنَّهُ من جنسِ ما هو مُرتَّبٌ لهُ منصوبٌ من أجلِهِ ، والحديثُ الآخَرُ صَدَرَ إلى القاضي لأنَّهُ من بابِ الدِّينِ والحُكمِ والفَصلِ .

وكلُّ هذا مُسَلَّمٌ إلى الملكِ لا يُفتَأتُ عليهِ في شيءٍ منه ، ولا يُستَبدُّ بشيءٍ دونَهُ ، فالأحوالُ على هذا كلُّها جاريَةٌ على أُصولِها وقواعدِها في مجاريها ، لا يُرَدُّ شيءٌ منها إلى غيرِ شَكْلهِ ، ولا يرتقي إلى غيرِ طبقتهِ ، فلو وقفَ رجلٌ لهُ منَ الحزمِ نَصيبٌ ، ومنَ اليقظَةِ قِسْطٌ على هذا المَلِكِ الجسيمِ ، وتصفَّحَ أبوابَهُ بابًا بابًا ، وحالًا حالًا، وتخلَّلَ بيتًا بيتًا ، ورفعَ سَجْفًا سَجْفًا [1] ، لا يُمكنهُ أن يعلمَ - بما يُثْمِرُهُ لهُ هذا النَّظرُ ، وميَّزهُ له هذا القياسُ ، وأوقَعَهُ عليهِ هذا الحَدْسُ - ماسيفعلُهُ هذا المَلِكُ غدًا ، وما يتقدَّمُ بهِ إلى شهرٍ ، وما يكادُ يكونُ منهُ إلى سنَةٍ وسنتينِ ، لأنَّهُ يُعاني الأحوالَ ، ويُقايسُ بينها ، ويلتقطُ ألفاظَ المَلِكِ ولحظاتِهِ وإشاراتِهِ وحركاتِهِ ، ويقولُ في بعضها : رأيتُ الملكَ يفعلُ كذا وكذا ، ويفعلُ كذا وكذا ، وهذا يدلُّ على كذا وكذا ، وإنَّما جرَّأهُ هذه الجُرأةَ على هذا الحُكمِ والبتِّ أنَّهُ قد مَلَكَ لحظَ المَلِكِ ولفظَه ، وحركتَه وسُكونَه ، وتَعريضَه وتَصريحَه ، وجدَّه وهَزْلَه ، وشكلَه وسجيَّتَه ، وتجعُّدَه واسترسالَه ، ووُجومَه ونشاطَه ، وانقباضَه وانبساطَه ، وغضبَه ورضاه ، ثمَّ هَجَسَ في نَفسِ هذا المَلِكِ هاجسٌ ، وخَطَر ببالِهِ خاطرٌ ، فقال : أُريدُ أنْ أعملَ عملًا وأُوثِرَ أثرًا ، وأُحدثَ حالًا لا يَقِفُ عليها أَوْليائي ، ولا المطيعونَ لي ، ولا المُخْتَصُّونَ بقولي ، ولا المُتعلّقونَ بحِبالي ، ولا أحَدٌ مِن أعدائي المُتتبّعينَ لأمري والمُحْصِينَ لأنْفاسي ،

---

(١) هو السِّتْرُ .

ولا أدري كيفَ أَفتتِحُهُ ولا أَقترِحُهُ ؛ لأنّي متى تَقدَّمتُ في ذلكَ إلى كلٍّ من يلوذُ بي ويطوفُ بناحيتي ، كان الأَمْرُ في ذلك نظيرَ جميعِ أُموري ، وهذا هو الفَسَادُ الّذي يَلْزَمُني تَجنُّبُهُ، ويجبُ عليَّ التَّيقُّظُ فيهِ ، فيقدَحُ لهُ الفكرُ الثَّاقبُ أنَّهُ ينبغي أنْ يتأهَّبَ للصَّيدِ ذاتَ يومٍ ، فيتقدّمُ بذلكَ ، ويذيعُهُ ، فيأخذُ أصحابُهُ وخاصَّتُهُ في أُهبَةِ ذلكَ وإعدادِ الآلَةِ ، فإذا تكامَلَ ذلكَ لهُ أصْحَرَ للصَّيدِ ، وتقلَّبَ في البيداءِ ، وصمَّمَ على ما يلوحُ لهُ ، وأمعنَ وراءهُ ، وركضَ خَلفَهُ جوادَهُ ، ونهى مَن معهُ أنْ يتبعَهُ ، حتى إذا وغلَ في تلكَ الفِجَاجِ الخاويَةِ ، والمدارجِ المتنائيَةِ ، وتباعَدَ عن مَتنِ الجادَّةِ وَوَضَحِ المحجَّةُ ، صادفَ إنسانًا ، فوقفَ وحاوَرَهُ ، وفاوَضَهُ ، فوجدهُ حصينًا مُحَصِّلًا يتَّقدُ فهمًا ، فقال لهُ : أفيكَ خيرٌ ؟ فقال : نعم، وهَل الخيرُ إلّا فيَّ وعندي وإلّا معي ؟ أَلْقِ إليَّ ما بدا لكَ ! وخَلِّني وذلك ! فقال لهُ : إنَّ الواقفَ عليكَ المُكلّمَ لكَ مَلِكُ هذا الإقليمِ فلا تُرَع وأهدأْ ، فقال : السَّعادَةُ قيَّضَتْني لكَ والجدُّ أطلعكَ عليَّ، فيقول لهُ المَلِك : إنِّي أُريدُ أن أُطيعَكَ لأَرَبٍ في نَفْسي ، وأبلغَ بكَ إنْ بلغتَ لي ذلكَ ، أريدُ أن تكونَ عَينًا لي وصاحبًا لي ونَصُوحًا ، واطوِ سرّي عن سَلْخِ فؤادِكَ فَضلًا عن غيرِهِ ، فإذا منهُ التَّوثِقَةُ والتَّوكيدُ ألقى إليهِ ما يأمرهُ به ويَحُثُّهُ على السَّعيِ فيهِ ، وأزاحَ عِلَّتَهُ في جميعِ ما يتعلَّقُ المرادُ بِهِ ، ثمَّ ثَنَى عَنانَ دابَّتِهِ إلى وجهِ عسكرِهِ وأوليائِهِ ، وألحَقَ بهم فقضى وَطَرَهُ ، ثمَّ عادَ إلى سريرِهِ ، وليسَ عندَ أحدٍ من رهطِهِ وبطانتهِ وحاشيتِهِ وخاصَّتِهِ وعامَّتِهِ علمٌ بما قَد أسرَّهُ إلى ذلكَ الإنسانِ ، فبينما النَّاسُ على مكانِهم وغَفَلاتِهم إذ أصبحوا ذاتَ يومٍ في حادثٍ عظيمٍ وخَطْبٍ جسيمٍ ، وشأْنٍ هائلٍ ، فكلٌّ يقولُ ذلكَ عندَ ذلكَ : ما أعجبَ هذا ! مَن فعل هذا ؟ متى تهيَّأ هذا ؟ هذا صاحبُ

البريدِ ليسَ عنده منه أثَرٌ ، هذا صاحبُ المَعُونةِ ، وهو عن الخبَرِ بمعزلٍ ، وهذا الوزيرُ الأكبرُ ، وهو متحيّرٌ ، وهذا القاضي وهو متفكّرٌ ، وهذا حاجبُهُ وهو ذاهلٌ ، وكلُّهم عن الأمرِ الذي دَهَمَ غافلٌ ، وقَد قَضى الملكُ مأربَتَهُ ، وأدركَ حاجتَهُ ، وطلبَ بُغيتَهُ ، ونالَ غَرَضَهُ ! فلذلكَ ينظرُ المُنجِّمُ إلى زُحلَ والمشتري والمرِّيخ والشمسِ والقمرِ وعُطاردَ والزُّهَرَةِ ، وإلى البُروجِ وطبائعها والرَّأْسِ والذَّنَبِ وتقاطعِهما ، والهَيْلاج والكامداه (١) وإلى جميعِ ما داني هذا وقارَنَهُ ، وكانَ لهُ فيهِ نتيجَةٌ وثمرَةٌ ، فيحسبُ ويمزجُ ويرسمُ ، فينقلبُ عليهِ أشياءُ كثيرَةٌ من سائرِ الكواكبِ التي لها حركاتٌ بطيئةٌ وآثارٌ مَطْوِيَّةٌ فينبعثُ فيما أهملَهُ وأغفلَهُ وأضربَ عنهُ ، لم يتَّسع لهُ ما يملكُ عليهِ حِسَّهُ وعقلَهُ وفكرَهُ ورُؤيتَهُ ، حتى لا يدري مِنْ أينَ أتى ؟ ومِن أينَ دَهى ؟ وكيفَ انفرجَ عليهِ الأمرُ ؟ وانسدَّ دونهُ المطلبُ ، وفاتَ المطلوبُ ، وعزبَ عنهُ الرَّأيُ ، هذا ولا خَطَأَ لهُ في الحسابِ ، ولا نقصَ في قَصْدِ الحقِّ ، وهذا كي يُلاذَ باللَّهِ وَحدهُ في الأمورِ كُلِّها ، ويُعْلَمَ أنَّهُ مالكُ الدُّهورِ ، ومُدبِّرُ الخلائقِ ، وصاحبُ الدَّواعي والعلائقِ ، والقائمُ على كُلِّ نَفسٍ ، والحاضرُ عندَ كلِّ نَفسٍ ، وأنَّهُ إذا شاءَ نفعَ ، وإذا شاءَ ضرَّ ، وإذا شاءَ عافى ، وإذا شاءَ أسقمَ ، وإذا شاءَ أغنى ، وإذا شاءَ أُفقرَ ، وإذا شاءَ أحيا ، وإذا شاءَ أماتَ ، وأنَّهُ كاشفُ الكُرُباتِ ، مُغيثُ ذوي اللَّهفاتِ ، قاضي الحاجاتِ ، مُجيبُ الدَّعواتِ ، ليسَ فوقَ يدهِ يدٌ ، وهو الأحدُ الصَّمدُ على الأبدِ والسَّرْمَدِ .

---

(١) كذا في « المخطوط » ! وفي « المطبوع » : « والكامداء » ! ولعلَّ الصواب : (الكامران) كما في « المعجم الفارسي » (ص ٥٢٩) وهي بمعنى « الحسن الحظّ » .
وفي « القاموس الفارسي » (ص ٨٢٠) : « هَيْلاج : طالِع المولود » .

وقال آخَر : هذه الأمورُ وإنْ كانتْ مَنُوطَةً بهذه العُلويَّاتِ ، مربوطَةً بالفَلَكيَّاتِ ، عنها تحدثُ ، ومِن جهتها تنبعثُ ، فإنَّ في عَرَضها ما لا يستحقُّ أن يُنسبَ إلى شيءٍ منها إلّا على وجهِ التَّقريبِ ، ومثالُ ذلكَ : مَلِكٌ لهُ سلطانٌ واسعٌ ونعمَةٌ جمَّةٌ ، فهو يُفْرِدُ كلَّ أحدٍ بما هو لائقٌ به ، وبما هو ناهضٌ فيهِ ، فيُوَلِّي بيتَ المالِ مثلًا خازنًا أمينًا كافيًا شَهْمًا يُفَرِّقُ على يدهِ ، ويُخْرِجُ على يدهِ ، ثمَّ إنَّ هذا الملكَ قَد يضعُ في هذه الخِزانةِ شيئًا لا عِلْمَ للخازنِ به ، وقَد يُخرِجُ منها شيئًا لا يقفُ الخازنُ عليهِ ، ويكونُ هذا منهُ دليلًا على مُلكهِ واستبدادهِ وتصرُّفهِ وقدرتهِ .

وقال آخَر : لمَّا كانَ صاحبُ علمِ النُّجومِ يريدُ أنْ يقفَ على أحداثِ الزَّمانِ ومستقبلِ الوقتِ من خَيرٍ وشرٍّ ، وخَصْبٍ وَجَدْبٍ ، وسعادَةٍ ونَحسٍ ، وولايَةٍ وعَزلٍ ، ومُقامٍ وسفرٍ ، وغَمٍّ وفرحٍ ، وفقرٍ ويَسارٍ ، ومحبَّةٍ وبُغضٍ ، وجِدَّةٍ وعدمٍ ووجدانٍ ، وعافيَةٍ وسقمٍ ، وإلفَةٍ وشتاتٍ ، وكسادٍ ونَفَاقٍ ، وإصابَةٍ وإخفاقٍ ، وحياةٍ ومماتٍ ، وهو إنسانٌ ناقصٌ في الأصلِ ؛ لأنَّ نقصانَهُ بالطَّبعِ ، وكمالَه بالعَرَضِ ، ومع هذه الحالِ المَحُوطَةِ بالشُّحِّ المعروفَةِ بالظَّنِّ قَد بارى بارِئَهُ ، ونازعَ ربَّهُ ، وتتبَّعَ غَيْبَهُ ، وتحلَّلَ حُكْمَهُ ، وعارَضَ مالِكَهُ ، فَحَرَمَهُ اللَّهُ فائدَةَ هذا العلمِ ، وصَرَفَهُ عن الانتفاعِ بهِ والاستثمارِ من شجرتهِ وأَضافَهُ إلى مَن لا يُحيطُ بشيءٍ منه ولا يُخِلُّ بشيءٍ فيه ، ونَظَمَهُ في بابِ القَصْرِ والظَّهْرِ ، وجَعَلَ غايةَ سَعْيهِ في الخيبة ، ونهايةَ علمِهِ به الحَيْرَةَ ، وسلَّطَ عليهِ في صناعتهِ الظَّنَّ والحَدْسَ والحيلَةَ والزَّرْقَ والكذبَ والخَتْلَ .

ولو شئتُ لذكَرتُ لكَ من ذلكَ صَدْرًا ، وهو مَبْثوثٌ في الكتبِ ، ومنثورٌ

في المجالسِ ، ومُتداولٌ بينَ النَّاسِ ، فلذلكَ وأشباهِهِ حَطَّ رُتبتَهُ ، وردَّهُ على عَقبَيْهِ ليعلمَ أنَّهُ لا يعلمُ إلّا ما علمَ ، وأنَّهُ ليسَ لهُ أنْ يتمطَّى بما علمَ على ما جهلَ ؛ فإنَّ اللَّهَ سبحانهُ لا شريكَ لهُ في غيبِهِ ، ولا وزيرَ لهُ في ربوبيَّتِهِ ، وأنّهُ يُؤْنِسُ بالعلمِ لِيُطاعَ ويُعبَدَ ، ويُوحِشُ بالجَهلِ ليُفزَعَ إليهِ ويُقصَدَ ، عزَّ ربًّا وجلَّ إلهًا ، وتقدَّسَ مشارًا إليهِ ، وتعالى مُعتمَدًا عليهِ .

وقال آخَرُ - وهو العروضيُّ - : قَد يقوى هذا العلمُ في بعضِ الدَّهرِ حتى يُشْغَفَ به ، ويُدانَ بتعلُّمهِ بقوَّةٍ سماويَّةٍ وشكلٍ فلكيٍّ ، فَيَكْثُرُ الاستنباطُ والبحثُ ، وتَشتدُّ العنايَةُ والفكرُ ، فتغلبُ الإصابَةُ حتى يزولَ الخطأُ .

وَقَد يضعُفُ هذا العلمُ في بَعضِ الدَّهرِ ، فيكثرُ الخطأُ فيهِ بشكلٍ آخَرَ يقتضي ذلكَ حتى يسقطَ النَّظرُ فيهِ ، ويحْرُمَ البحثُ عنهُ ، ويكونَ الدِّينُ حاظرًا للطَّلَبِ والحكْمِ به .

وقَد يعتدلُ الأمرُ في دهرٍ آخَرَ حتى يكونَ الخطأُ في قَدْرِ ذلكَ الصَّواب ، والصَّوابُ في قَدْرِ الخطأِ ، وتكونَ الدَّواعي والصَّوارفُ مُتكافئةً ، ويكونَ الدِّينُ لا يَحُثُّ عليهِ كُلَّ الحثِّ ، ولا يَحظُرُ على طالبهِ كلَّ الحَظْرِ .

قال : وهذا إذا صحَّ تعلَّقَ الأمرُ كلُّهُ بما يتَّصلُ بهذا العالم السُّفليّ من ذلكَ العالم العُلويّ ، فإذا الصَّوابُ والخَطأُ محمولانِ على القوى المُثبتَةِ ، والأنوارِ الشائعَةِ ، والآثارِ الذَّائعَةِ ، والعللِ الموجبَةِ والأسبابِ المتوافيَةِ .

وقال آخَر - وهو البوشِنْجاني - : أيُّها القومُ ! اختَصروا الكلامَ ، وقرِّبوا البقيَّةَ ؛ فإنَّ الإطالَةَ مُصِدَّةٌ عن الفائدَةِ ، مُضِلَّةٌ للفهمِ والفطنَةِ ، هَل تصحُّ الأحكام ؟!

فقال غلامُ زُحَل : ليسَ عن هذا جوابٌ يَثْبُتُ على كلِّ وجهِ فَصْلٍ ، ولم يَبِنْ ذلكَ ، قال : لأنَّ صحَّتَها وبطلانَها يتعلَّقانِ بآثارِ الفَلَكِ ، وَقَد يقتَضي شكلُ الفَلَكِ في زمانٍ أنْ لا يصحَّ منها شيءٌ ، وإنْ غِيصَ على دقائقها ، وبلغَ إلى أعماقها ، وقَد يزولُ ذلكَ الشكلُ في وقتٍ آخَرَ إلى أن يكثُرَ الصَّوابُ فيها والخطأُ ، ويتقاربان ، ومتى وقفَ الأمرُ على هذا الحدِّ لم يَثْبُتْ على قضاءٍ ولم يُوثَق بجواب .

وقال آخَرُ : إنَّ اللَّهَ تعالى وتقدَّسَ اخترَعَ هذا العالَم ، وزيَّنهُ ورتَّبهُ وحَسَّنهُ ، ووشَّحَهُ ونَظَّمهُ ، وهذَّبهُ وقوَّمهُ ، وأظهَرَ عليهِ البهجَةَ وأبطَنَ في أثنائهِ الحكمَةَ ، وحفَّهُ بما اضطرَّ العقولَ إلى تصفُّحِهِ ومعرفتِهِ ، وحشاه بكلِّ ما حاشَ النُّفوسَ إلى علمِهِ وتعليمِهِ والتَّعجُّبِ من أعاجيبِهِ ، وأمتعَ الأرواحَ بمحاسنِهِ ، وأَوْدَعَهُ أمورًا واسْتَخْزَنَهُ أسرارًا ، ثمَّ حرَّكَ الألبابَ عليها حتى استثارَتْها ولَقَطَتْها ، وأحبَّتْها وعَشِقَتْها ودارَت عليها ؛ لأنَّها عَرَفَتْ بها ربَّها وخالقَها وإلهَها وواضعَها وصانعَها وحافظَها وكافلَها .

ثمَّ إنَّهُ تعالى مَزَجَ بعضَ ما فيهِ ببعضٍ ، وركَّبَ بعضَهُ على بَعْضٍ ، ونَسَجَ بعضَهُ في بعضٍ ، وأمدَّ بعضَهُ من بَعضٍ ، وأحالَ بعضَهُ إلى بعضٍ ، بوسائطَ مِن أشخاصٍ وأجناسٍ وطبائعَ وأنفُسٍ وعلومٍ وعقولٍ ، وتصرَّفَ في مُلكِهِ بقدرتِهِ وجُودِهِ وحِكمتِهِ ، لا مَعِيبَ الفضلِ ، ولا مَعدومَ الاختيارِ ، ولا مردودَ الحكمَةِ ، ولا مجحودَ الذَّاتِ ، ولا مَحدودَ الصِّفاتِ - سبحانهُ - وهو مع هذا كلِّه لم يستفدْ شيئًا ولم ينتفِعْ بشيءٍ ، بل استفادَ منهُ كلُّ شيءٍ ، وبلغَ غايتَهُ كلُّ شيءٍ بحسبِ مادَّتِهِ المنقادَةِ وصورتِهِ المعتادَةِ ، ولم يثبت بشيءٍ وثبتَ بهِ كلُّ شيءٍ ،

فهو الفاعلُ القادرُ الجوادُ الواهِبُ ، والمُنيلُ المُفْضِلُ والأوَّلُ السَّابقُ .

فلمَّا كانَ الباحثُ عن العالَمِ العُلويِّ يتصفَّحُ سكَّانهُ ومعرفَةَ آثارِهِ ومواقعهِ وأسرارِهِ مُتعرِّضًا لأن يكونَ مُثْبِتًا بها لبارئِهِ ، مناسبًا لربِّهِ بهذا الوجهِ المعروفِ استحالَ أن يستفيدَ بعلمهِ كما اسْتحالَ أنْ يستفيدَ خالقُهُ بفعلِهِ ، فَمَن يَفيهِ لِصَوْنهِ وحُكمِهِ لَزِمَه ، كُلِّيَّتُه بَدَتْ منهُ ، وصِفَتُهُ عادَت عليهِ ، وهذه حالٌ إذا فَطِنَ لها وأشرفَ ببصيرَةٍ ثاقبَةٍ عليها ، وتحقَّقَ بحقيقتِها ، وترقَّى للخبرَةِ بسَنَى ما فيها ، علمَ اضطرارًا عقليًا أنَّها أَجَلُّ وأغلى وأنفسُ وأسمى وأَدْوَمُ وأبقى مِن جميعِ فوائدِ سابقِ العُلومِ التي حازَها أولئكَ العالِمونَ لأنَّ أولئكَ عَلِمُوا فوائدَ علومهم فيما حفظَ عليهم حدَّ الإنسان وخَلْقَه وعادَتَه ، وخَلْقَه وشهوتَه ، وراحتَه واجتلابَ نفعٍ ، ودفعَ ضررٍ ، ونقصَت رتبتُهم عن مُشابهته ومناسبتِهِ والتَّشبُّهِ بخاصَّتهِ ، والتَّحلِّي بحِلْيَتِهِ ، ولذلكَ جَبَرَ اللَّهُ نَقْصَهُم في علمِهم بفوائدَ نالوها ، ومنافعَ خَبَرُوها .

فأمَّا مَن أرادَ معرفَةَ هذه الخفايا والأسرارِ من هذه الأجرامِ والأنوارِ على ما هُيِّئَتْ لهُ ونُظِّمَتْ عليهِ ، فهو حَرِيٌّ جديرٌ أَن يُعرَّى من جميعِ ما وَجَدَهُ صاحبُ كُلِّ علمٍ في علمهِ من المرافقِ والمنافعِ ويُفْرَدَ بالحكمِ مَن رَتَّبَها على ما هي عليهِ غيرَ مستفيدٍ بذلكَ فائدَةً ولا جَدوى .

وهذه لطيفَةٌ شريفَةٌ ، متى وُقِفَ عليها حقَّ الوقوفِ وتُقُبِّلَتْ حقَّ التَّقبُّلِ كانَ المُدْرِكُ لها أجلَّ مِن كلِّ فائتٍ وإنْ عزَّ ، لأنَّها بشريَّةٌ صارَت إلهيَّةً ، وجسميَّةٌ استحالَت روحانيَّةً ، وطينيَّةٌ انقلبَت نُوريَّةً ، ومركَّبٌ عادَ بسيطًا ، وجزءٌ استحالَ كُلًّا ، وهذا أمرٌ قلَّما يُهتدى إليهِ ويُتنبَّهُ عليه.

وقال آخرُ - وهو أبو سُليمان المَنْطِقي (١) - وقَد سألهُ أبو حيَّان تلميذُهُ عن هذه الأجوبَةِ وما فيها من حقٍّ وباطلٍ ؟ : إنَّ ها هُنا أنفُسًا خبيثَةً ، وعقولًا رديَّةً ، ومعارفَ خسيسَةً ، لا يجوزُ لأربابها أَنْ يَنْشُقُوا ريحَ الحكمَةِ ، أو يتطاوَلوا إلى غرائبِ الفلسفَةِ، والنَّهيُ وردَ من أجلِهم وهو حقٌّ ؛ فأمَّا النُّفوسُ التي قُوتُها الحكمةُ وبُلْغَتُها العلمُ ، وعُدَّتها الفضائلُ ، وعُقدتُها الحقائقُ ، وذُخْرُها الخيراتُ ، وعادتُها المكارمُ ، وهِمَّتُها المعالي ، فإنَّ النَّهي لم يُوجَّه إليها والعَتْبُ لم يُوْقَعْ عليها ، وكيفَ يكونُ ذلكَ وقَد بان بما تكرَّر منَ القولِ أنَّ فائدَةَ هذا العلمِ أجلُّ فائدَةٍ ، وثمرتَهُ أجلُّ ثمرَةٍ ، ونتيجَتهُ أشرفُ نتيجَةٍ ، فلْيكُن هذا كلُّهُ كافًّا عن سوءِ الظَّنِّ ، وكافيًا لكَ فيما وقعَ فيهِ القولُ ، وطالَ بينَ هؤلاءِ السَّادَةِ الجَحاجِحَةِ (٢) في العلمِ والفهمِ والبيانِ والنُّصحِ ، انتهَت الحكايَةُ .

فلْيتأمَّلْ مَن أنعَمَ اللَّهُ عليهِ بالعَقلِ والعلمِ والإيمانِ وصانَهُ عن تقليدِ هؤلاءِ وأمثالِهم من أهلِ الحَيْرَةِ والضَّلالِ ما في هذه المُحاورَةِ ، وما انطَوَتْ عليهِ من اعترافِهم بغايَةِ علمهم ، ومُستقرِّ أقدامِهم فيهِ ، وما حَكَمُوا بهِ على أنفُسِهم مِن مُقتَضى حكمَةِ اللَّهِ فيهم أَنْ يَسْلُبَهم ثمراتِ عُلومِ النَّاسِ وفوائدَها ، وأنْ يكْسُوَهم لباسَ الخيبَةِ ، وقَهْرَ النَّاسِ لهم ، وإذلالَهم إيَّاهم ، وأنْ يجعَلَ نَصيبَ كُلِّ أحدٍ من العلمِ والسَّعادَةِ فوقَ نصيبِهم ، وأنْ يجعَلَ رزقَهم من أبوابِ الكذبِ والظَّنِّ والزَّرَقِ ، وهو أخبثُ مكاسبِ العالَمِ ،ومكسَبُ البغايا وأربابِ المواخيرِ خيرٌ مِنْ مكاسِبِ هؤلاءِ لأنَّهم كَسَبُوها بذُنوبٍ وشَهَواتٍ ، وهؤلاءِ اكتَسبوا ما اكتسبوهُ

(١) تقدّمت ترجمتُه ، وانظر « الإمتاع والمؤانسة » (١ / ٢٩) .

(٢) مفردها (جَحَاجِح) ، وهذه جمعُ جَحْجاح ؛ وهو السيِّد .

بالكذبِ على اللَّهِ وادِّعاءِ ما يعلمون هم فيهِ كذبَ أنفسِهم [1] .

والعَجَبُ من شهادتِهم على أنفسِهم أنَّ حِكمَةَ اللَّهِ سبحانهُ اقتَضَتْ ذلكَ فيهم لتعاطِيهم مشاركتَهُ في غَيْبِهِ ، والاطِّلاعَ على أسرارِ مملكتِهِ ، وتعدِّيهم طَوْرَ العُبوديَّةِ التي هي سَمْتُهم إلى طورِ الرُّبوبيَّةِ الذي لم يَجْعَلْ لأحدٍ سبيلًا إليهِ ، فاقتَضَت حكمةُ العزيزِ الحكيمِ أَنْ عامَلَهم بنقيضِ قُصودِهم وعكسِ مُراداتِهم ، وجَعَلَ كُلَّ واحدٍ فوقَهم في كلِّ مِلَّةٍ ، ورَمى النَّاسُ باللسانِ العامِّ والخاصِّ لهم بأنَّهم أكذبُ النَّاسِ ، فإنَّهم هم الزَّنادقَةُ الدَّهريَّةُ أعداءُ الرُّسل وسوسُ المِلَلِ ، وأنَّ طالِعَهم على مَن حَسَّنَ الظَّنَّ بهم وتقيَّدَ بأحكامهم في حركاتِهِ وسكناتِهِ وتَدبيرِهِ شرُّ طالعٍ ، والمُلْكُ والولايَةُ المَسُوسُ بهم أذلُّ مُلْكٍ وأقلُّهُ .

ومَن لهُ شيءٌ مِن تجارِبِ الأُمَمِ وأخبارِ الدُّوَلِ والوزراءِ وغيرهم فعندهُ مِن العلمِ بهذا ما ليسَ عندَ غيرِهِ ؛ ولهذا الملوكُ والخُلَفاءُ والوزراءُ الذينَ لهم قَبُولٌ في العالمِ وصِيتٌ ولسانُ صدقٍ هم أعداءُ هؤلاءِ الزَّنادقَةِ كالمَنصورِ والرَّشيدِ والمَهديِّ ، وكخُلَفاءِ بني أميَّةَ ، وكالملوكِ المؤيّدينَ في الإسلامِ قديمًا وحديثًا ، كانوا أشدَّ النَّاسِ إبعادًا لهؤلاءِ عن أبوابهم ولم يَقُمْ لهم سوقٌ في عَهدهم إلّا عندَ أشباههم ونُظرائهم مِن كُلِّ منافقٍ مُتستِّرٍ بالإسلامِ ، أو جاهلٍ مُفرطٍ في الجَهلِ أو ناقصِ العَقلِ والدِّين .

وهؤلاءِ المذكورونَ في هذه المحاورَةِ لمَّا صَحَوا وخلا بعضُهم ببعضٍ ولم يُمْكِنْهم أنْ يعتمدوا من التَّلبيسِ والكذبِ والزَّرْقِ مع بعضِهم بعضًا ما يعتمِدونهُ

---

(١) ومِن هُنا قالَ مَن قالَ مِن أَئمَةِ السَّلَفِ : « البدعةُ أَحبُّ إلى إبليس من المعصيّة » ، وانظر كتابي « علم أُصول البدع » (ص ٢١٨) .

مع غيرهم تكلَّموا ممَّا عندهم في ذلكَ منَ الاعترافِ بالجَهلِ ، وأنَّ الأمرَ إنَّما هو حَدْسٌ وظنٌّ وزرَقٌ ، وأنَّ أحوالَ العالمِ العُلويِّ أجلُّ وأعظمُ مِن أن تَدخُلَ تحتَ معارفهم وتُكالَ بقُفزانِ عقولِهم ، وأنَّ جهلَهم بذلكَ يُوجبُ ولا بدَّ جهلَهم بالأحكامِ ، وأنَّهم لا وُثوقَ لهم بشيءٍ ممَّا فيهِ ، لجوازِ تشكُّلِ الفَلَكِ بشكلٍ يقتَضي بُطلانَ جميعِ الأحكامِ ، وتشكُّلِهِ بشكلٍ يكونُ بُطلانُها وصحَّتُها بالنِّسبَةِ إليهِ على السَّواء ، وليسَ لهم علمٌ بانتفاءِ هذا الشكلِ ولا بوقتِ حصولهِ فإنَّهُ ليسَ جاريًا على قانونٍ مضبوطٍ ، ولا على حسابٍ معروفٍ ، ومع هذا فيكفَ ينبغي لعاقلٍ الوثوقُ بشيءٍ مِن علمِ أحكامهم ؟!

وهذه شهادَةُ فُضلائِهم وأئمَّتِهم ، ولو أنَّ خُصومَهم الذين لا يُشاركونهم في صناعتهم قالوا هذا القولَ ، لم يكن مقبولًا كقَبُولهِ منهم !

والحمدُ للهِ الذي أشْهَدَ أهلَ العلمِ والإيمانِ جَهْلَ هؤلاءِ وحيرتَهم وضلالَهم وكذبَهم وافتراءَهم بشهادتِهم عن نفوسِهم وعلى صناعتهم ، وأَنَّ استفادَةَ كلِّ ذي علمٍ بعلمِهِ وكلِّ ذي صناعَةٍ بصناعتهِ أعظمُ مِن استفادتِهم بعلمهم وأَنَّ أحدًا منهم لا يُمكِنهُ أنْ يعيشَ إلّا في كَنَفِ مَن لم يُحِطْ من هذا العلمِ بشيءٍ ، وتحتَ ظلِّ مَن هو أجهَلُ النَّاسِ .

ومِن العَجَبِ قولُهم : إنَّ طالعَ أحدِ المَلِكَيْنِ المتغالِبَينْ قَد يكونُ مُقتضيًا أنْ لا يُصيبَ مُنجِّمُهُ في تلكَ الحَربِ ، وطالِعُ المُنجِّم يقتضي خَطَأَهُ في ذلكَ الحُكْمِ ، وطالِعُ خَصْمِهِ ومُنجِّمِه بالضِّدِّ .

فَلْيعجَبْ ذو اللُّبِّ من هذا الهَذَيان وتهافتهِ ، فإذا كانَ الطَّالِعُ مُقتضيًا أنْ لا يُصيبَ المُنجِّمُ في تلكَ الحَربِ وقَد أَعطى الحسابَ والحُكمَ حقَّهُ عندَ أربابِ

الفَنّ ، بحيثُ يَشْهَدُ كُلٌّ واحدٍ منهم أَنَّ الحُكمَ ما حكمَ بهِ ، أفليسَ هذا من أبينِ الدَّلائلِ على بُطلانِ الوثوقِ بالطَّالع وأنَّ الحُكْمَ به حُكْمٌ بغيرِ علمٍ ، وحكمٌ بما يجوزُ كذبُهُ .

فما في الوجودِ أعجبُ مِنْ هذا الطَّالِع الصَّادقِ الكاذبِ المصيبِ المُخْطِىءِ !

وأعجبُ مِن هذا أنَّ الطَّالعَ بعَينهِ يكونُ قَد حَكَمَ به لظَفَر عَدُوٍّ هذا عليهِ مُنجِّمُهُ ، فوافقَ القضاءُ والقدرُ ذلكَ الطَّالعَ وذلكَ الحُكْمَ ، فيكونُ أحدُ المنجِّمَيْنِ قَد أصابَ لِمَلِكِهِ طالعًا وحُكمًا ، والآخَرُ قَد أخطأَ لملكهِ ، وقَد خرجا بطالعٍ واحدٍ !

وأعجبُ مِن هذا كُلِّه تشكُّلُ الفلكِ بشكْلٍ وحصولُ طالعِ سَعدٍ فيهِ باتِّفاقِ مَلَئِكم ، فيحدثُ معهُ مِن عُلُوٍّ كلمةِ مَن لا يَعْبَؤُونَ به ولا يَعُدُّونهُ ، وظهورِ أمرِهم ، واستيلائهم على المملكَةِ والرِّئاسَةِ والعزِّ والحياةِ ، ولَهْجِهم بذمِّكم وعيبكم وإبداءِ جَهْلِكم وزندقتكم وإلحادِكم ، فتحتاجونَ أَنْ تَنْضَوُوا إليهم ، وتَعتصموا بحبلهم ، وتتَّرسوا بهم ، وتقولونَ لهم بألسِنتِكُم ما تنطوي قلوبُكم على خلافهِ ، ممَّا لو أظهَرتُموهُ لكنتم حصائدَ سُيُوفِهم كما صِرْتُم حصائدَ ألسنتهم !

فأيُّ سَعْدٍ في هذا الطَّالع - لَعَمْري - أم أيُّ خيرٍ فيهِ ؟

وليتَ شِعْري ! كيفَ لم يُوْجِب لكم هذا الطَّالعُ بارقَةً مِن سعادَةٍ أو لائحًا مِن عزٍّ وقَبُولٍ ، ولكنْ هذه حكمَةُ رَبِّ الطَّالع ومُدِّبِّرِ الفَلَكِ وما حواهُ ومُسخِّرِ الكواكبِ ومُجريها على ما يشاءُ سبحانهُ أنْ جَعَلَكم كالذِّمَّةِ ، بل أذلَّ منهم ، تحتَ قَهرِ عبيدِهِ ، وجعلَ سهامَ سعادتهم مِن كلِّ خيرٍ وعلمٍ ورئاسَةٍ وجاهٍ أوفرَ

مِن سهامِكم ، وبيوتَ شَرَفِهم في هذا العالمِ أعمرَ من بيوتكم ، بل خرَّبَ بيوتَكم بأيديهم ، فلا ينعمِرُ منها بيتٌ إلّا بالانضمامِ إليهم والانتماءِ إلى شريعتهم وملَّتهم ، وهذا شأنُ العزيزِ الحكيم في الكذَّابين عليه ؛ قال تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَينالُهُم غَضَبٌ مِن ربِّهِم وذِلَّةٌ في الحياةِ الدُّنيا وكذلكَ نَجْزي المُفتَرين ﴾ [الأعراف : ١٥٢]، قال أبو قِلابَة : **هي لكُلِّ مفترٍ من هذه الأمَّةِ [إلى] يومِ القيامَةِ** (١) .

وهذه المُحاوَرَةُ التي جَرَتْ بين أصحابِ هذا المَجْمَعِ هي غايَةُ ما يُمكِنُ النُّجوميُّ أن يقولَهُ ، ولا يَصِلُ إلى ذلكَ المبرِّزونَ منهم ، ومع هذا فَقَد رأيتَ حاصلَها ومضمونَها ، ولعلَّهم لو علموا أنَّ هذه الكلماتِ تَصدرُ مِن جماعتهم ، وتتَّصلُ بأهلِ الإيمانِ لم ينطِقُوا منها ببنتِ شَفَةٍ ، ويأبى اللَّهُ إلّا أنْ يفضحَ المفتَري الكذَّابَ ويُنْطِقَهُ بما يُبيِّنُ باطلَهُ .

□□□□□

---

(١) رواه عبدُالرزّاق في « تفسيره » (٢ / ٢٣٦) وابنُ أَبي حاتمٍ في « تفسيره » (٣ / ق ٦٥) بسند صحيح .

١٥٦ - فَصْلٌ

[مُناقشة المُنَجِّمين]

قال صاحبُ الرِّسالة :

○ ذِكْرُ جُمَلٍ من احتجاجِهم والاحتجاجِ عليهم :

مِن أوكدِ ما يستدلُّونَ بهِ على أنَّ الكواكبَ تفعلُ في هذا العالَمِ - أوْ لَهَا دلالَةٌ على ما يحدثُ فيهِ - أنَّهم امتحَنُوا عدَّةَ مواليدَ صحَّحوا طوالعَها ، وجماعَةَ مسائلَ راعَوها ، فوجدوا القضيَّةَ في جميعِ ذلكَ صادقَةً ، فدلَّهم ذلكَ على أنَّ الأُصولَ التي عَمِلوا عليها صحيحَةً !

فيُقالُ لهم : إذا كانَ ما تَدَّعُونهُ من هذا دليلًا على صحَّةِ الأحكامِ ، فما الفَصْلُ بينكم وبينَ مَن قال : الدَّليلُ عل بُطلانِ الأحكامِ أنَّا امتحنَّا مواليدَ صحَّحْنا طوالعَها ومسائلَ تفقَّدْنا أحوالَها فَوجَدنا جميعَها باطلًا ولم يصحَّ الحكمُ في شيءٍ منها ؟!

فإنْ قالوا : إنَّما يكونُ هذا لجواز الغَلَط على المُنَجِّم الذي عَمِلَها !

قيلَ لكم : فما تُنكِرونَ مِن أن يكونَ صِدقُ المنجِّمِ في حُكمهِ باتِّفاقٍ وتخمينٍ كإخراجِ الزَّوجِ والفَردِ وصدقِ الحَزْرِ في الوَزنِ والكيلِ والذَّرْع والعَدَد ، وإذا كانَت الدَّلالَةُ على صحَّةِ مقالتِكم صِدْقَكم في بعضِ أحكامِكم فالدَّلالَةُ على بُطلانها كذبكُم في بعضها .

فإنْ قالوا : ليسَ ما قُلناهُ بتَخْمينٍ ؛ لأنَّا إنَّما نُحْكِمُهُ على أُصولٍ موضوعَةٍ

في كُتُبِ القدماءِ .

قيل لهم : لسنا نَشُكُّ في أنَّكم تتبَّعُونَ ما في الكتُبِ ، وتُقلِّدونَ مَن تقدَّمكم ، وما يقعُ مِنَ الصِّدقِ فإنَّما يقعُ بحسبِ الاتِّفاقِ ، والذي حَصَلْتُم عليهِ هو الحَدْسُ والتَّخمينُ بحسبِ ما في الكُتُبِ .

وممَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ مَن ينتسِبُ إلى الإسلامِ منهم على تَصحيحِ دلالَةِ النُّجومِ قولُه تعالى : ﴿ فنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجومِ فقالَ إنِّي سَقيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٨ - ٨٩] ولا حُجَّةَ في هذا البتَّةَ ؛ لأنَّ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام إنَّما قال هذا ليدفعَ بِهِ قومَه عن نفسهِ ، أَلَا ترى أنَّهُ عزَّ وجلَّ قال بَعْدُ : ﴿ فتَوَلَّوْا عنهُ مُدْبِرين فراغَ إلى آلهتِهم فقالَ ألا تأْكُلُون ﴾ [الصافات : ٩٠]، فبيَّنَ تباركَ وتعالى أنَّهُ إنَّما قال ذلكَ ليدفَعَهم بهِ لما كانَ عَزَمَ عليهِ من أمرِ الأصنامِ ، وليسَ يحتاجُ أحدٌ إلى معرفَةِ أصحيحٌ هو أم سقيمٌ من النُّجومِ ؛ لأنَّ ذلكَ يُوجَدُ حِسًّا ويُعْلَمُ ضرورَةً ، ولا يُحتاجُ فيهِ إلى استدلالٍ وبحثٍ .

قلتُ : قَد احْتُجَّ لهم بغيرِ هذه الحُجَجِ ، فنذكرُها ونُبيِّنُ بطلانَ استدلالِهم بها ، وبيانَ الباطلِ منها :

قال أبو عبدِاللَّهِ الرَّازي : اِعْلَمْ أنَّ المُثْبِتينَ لهذا العلمِ احتجُّوا من كتابِ اللَّهِ بآياتٍ :

إحداها : الآياتُ الدَّالَّةُ على تَعظيمِ هذه الكواكبِ ، فمنها قولُه تعالى : ﴿ فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجواري الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير : ١٦] ، وأكثرُ المُفسِّرين[1] على أنَّ المُرادَ هو الكواكبُ التي تَسِيرُ راجعَةً تارَةً ومُستقيمَةً أخرى .

ومنها قولُهُ تعالى : ﴿ فلا أُقسِمُ بِمواقِعِ النُّجوم وإنَّهُ لقَسَمٌ لو تَعلمونَ

---

(١) انظر « مفاتيح الغيب » (٣١ / ٧١) للفخر الرازي .

عظيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥] ، وقد صرَّحَ تعالى بتعظيمِ هذا القَسَم ، وذلكَ يدلُّ على غايَةِ جلالةِ مواقعِ النُّجومِ ونهايَةِ شَرَفها .

ومنها قولهُ تعالى : ﴿ والسَّماءِ والطَّارقِ وما أدراكَ ما الطَّارقُ النَّجْمُ الثَّاقبُ ﴾ [الطارق : ١ - ٣]، قال ابنُ عبَّاس : الثَّاقب هو زُحَل ؛ لأنَّهُ يثقُبُ بنورهِ سَمْكَ السَّمواتِ السَّبعِ[١] .

ومنها أنَّهُ تعالى بيَّنَ إلهيَّتهُ بكَوْنِ هذه الكواكبِ تحتَ تَدبيرهِ وتَسخيرهِ ؛ فقال : ﴿ والشمسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ بأمرهِ ألَا لهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

النَّوع الثَّاني : الآياتُ الدَّالَّة على أنَّ لها تأثيرًا في هذا العالَمِ ؛ كقوله تعالى : ﴿ فالمُدبِّراتِ أمرًا ﴾ [النازعات : ٥] .

وقوله : ﴿ فالمُقسِّماتِ أمرًا ﴾ [الذاريات : ٤]، قال بعضُهم : المرادُ هذه الكواكبُ .

النَّوعُ الثَّالث : الآياتُ الدَّالَّةُ على أنَّهُ تعالى وضعَ حركاتِ هذه الأجرامِ على وجهٍ يُنْتَفَعُ بها في مصالحِ هذا العالمِ ؛ فقال : ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نورًا وَقدَّرَهُ منازلَ لتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ والحسابَ ما خَلَقَ اللهُ ذلكَ إلّا بالحقِّ ﴾ [يونس : ٥] ، وقال : ﴿ تباركَ الَّذي جعلَ في السَّماءِ بُروجًا وجعَلَ فيها سِراجًا وقَمَرًا منيرًا ﴾ [الفرقان : ٦١] .

النَّوعُ الرَّابع : أنَّهُ تعالى حكى عن إبراهيم عليهِ السَّلام أنَّهُ تمسَّكَ بعلومِ النُّجومِ، فقال : ﴿ فنظرَ نَظْرَةً في النُّجومِ فقال إنِّي سقيمٌ ﴾ [الصافات : ٨٨ - ٨٩] .

---

(١) انظر « الدر المنثور » (٦ / ٣٣٥) .

النَّوع الخامس : أنَّهُ قال : ﴿ لَخَلْقُ السَّمٰواتِ والأرضِ أكبرُ من خَلْقِ النَّاسِ ولٰكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمون ﴾ [غافر : ٥٧]، ولا يكونُ المرادُ من هذا كِبَرَ الجُثَّة ؛ لأنَّ كُلَّ أحدٍ يعلمُ ذلكَ فوجبَ أن يكونَ المرادُ كِبَرَ القَدْرِ والشرفِ .

وقال تعالى : ﴿ ويتفكَّرونَ في خَلْقِ السَّموات والأرضِ ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١]، ولا يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ أنَّهُ تعالى خَلَقها لِيُستدلَّ بتركيبها وتأليفِها على وجودِ الصَّانعِ ؛ لأنَّ هذا القَدْرَ حاصلٌ في تركيبِ البَقَّةِ والبعُوضَةِ ، وفي حُصولِ الحياةِ في بُنيَةِ الحيواناتِ على وجودِ الصَّانعِ أقوى من دلالَةِ تركيبِ الأَجْرامِ الفَلَكيَّةِ على وجودِ الصَّانع ، لأنَّ الحياةَ لا يَقْدِرُ عليها أحدٌ إلّا اللَّهُ ، أمَّا تركيبُ الأجسامِ وتأليفُها فقد يقدرُ على جِنْسهِ غيرُ اللَّهِ .

فلمَّا كانَ هذا النَّوعُ من الحكمَةِ حاصلًا في غيرِ الأفلاكِ ، ثمَّ إنَّهُ تعالى خصَّها بهذا التَّشريفِ - وهو قولُه : ﴿ ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا ﴾ - عَلِمْنا أنَّ له تعالى في تخليقها أسرارًا عاليةً، وحِكَمًا بالغَةً تتقاصرُ عقولُ البشرِ عن إدراكها.

ويَقْرُبُ من هذه الآيَةِ قولُه تعالى : ﴿ وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينهما باطلًا ذلكَ ظنُّ الَّذينَ كَفَرُوا فويلٌ للَّذينَ كفروا منَ النَّارِ ﴾ [ص : ٢٧]؛ ولا يُمْكِنُ أنْ يكونَ المرادُ أنَّهُ تعالى خَلَقها على وَجْهٍ يُمْكِنُ الاستدلالُ بها على وجودِ الصَّانعِ الحكيمِ ؛ لأنَّ كونَها دالَّةً على الافتقارِ إلى الصَّانعِ أمرٌ ثابتٌ لها لذاتِها ، لأنَّ كلَّ مُتحيِّزٍ فهو مُحْدَثٌ ، وكُلَّ محدثٍ فإنَّهُ مُفتقرٌ إلى الفاعلِ ، فثبتَ أنَّ دلالَةَ المُتَحَيِّزاتِ على وجودِ الفاعلِ أمرٌ ثابتٌ لها لذواتها وأعيانِها ، وما كانَ كذلكَ لم يكن سببَ الفعلِ والجَعلِ ، فلم يمكن حَمْلُ قولِهِ : ﴿ وما خَلَقْنا

السَّماءَ والأرضَ وما بينهما باطلًا ﴾ [ص : ٢٧] على هذا الوجه ، فوجبَ حملُهُ على الوجهِ الذي ذكرناهُ .

النَّوع السَّادس : رُويَ أنَّ عمرَ بنَ الخيَّام[1] كانَ يقرأُ كتابَ « المِجَسْطي »[2] على أُستاذهِ ، فدخَلَ عليهم واحدٌ من أَجلافِ المتفقِّهةِ ، فقال لهم : ماذا تقرؤون ؟ فقال عُمرُ بن الخيَّام : نحنُ في تَفسيرِ آيَةٍ من كتابِ اللَّهِ : ﴿ أفلَم يَنظُروا إلى السَّماءِ فوقَهُم كيفَ بنَيناها وزيَّنَّاها وما لها مِن فُروج ﴾ [ق : ٦]، فنحنُ ننظرُ كيفَ خلقَ السَّماءَ وكيفَ بناها وكيف صانَها عن الفُروج !؟

النَّوعُ السَّابع : أنَّ إبراهيمَ عليهِ السَّلام لمَّا استدلَّ على إثباتِ الصَّانعِ تعالى بقوله : ﴿ ربِّيَ الَّذي يُحيي ويُميت ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال له نُمرودُ : أَتدَّعي أنَّهُ يُحْيي ويُميتُ بواسطَةِ الطَّبائعِ والعناصرِ ، أو لا بواسطَةِ هذه الأشياء ؟ فإنِ ادَّعَيْتَ الأوَّل ؛ فذلكَ ممَّا لا تجدهُ البتَّةَ ؛ لأنَّ كلَّ ما يحدُثُ في هذا العالمِ فإنَّما يحدثُ بواسطَةِ أحوالِ العناصرِ الأربعَةِ والحركاتِ الفَلَكيَّةِ ، وإذا ادَّعيتَ الثَّاني ؛ فمثلُ هذا الإحياءِ والإماتَةِ حاصلٌ منّي ومن كلِّ أَحدٍ ، فإنَّ

---

(١) توفّي سنة (٥١٥ هـ) ، ترجمته في « أَخبار الحكماء » (١٦٢) ، وقَدَحَ أَهلُ زمانِه في عقيدتِه .

ولبعض المُعاصرين رسالةٌ بعنوان « عُمر الخيَّام بين الكفر والإيمان » .

(٢) كلمة يونانيَّة معناها (الترتيب)، وهو كتابٌ في علم هيئة الفَلَك بالبراهين الهندسيَّة، ولم يتعرَّض أَحدٌ بعده لتأليفِ مثلِه ، ولا تعاطى مُعارضتَه ، بل تناوَلَه بعضُهم بالشرح والتبيين .

وهو من تصنيف بطليموس .

كذا في « كشف الظنون » (٢ / ١٥٩٤) .

الرَّجلَ قد يكونُ سببًا لحدوثِ الوَلدِ لكنْ بواسطَةِ تمزيجِ الطَّبائع وتَحريكِ الأجرامِ الفَلَكيَّةِ ، ولذلكَ قَد نَمَتْ بهذه الوسائطِ ، وهذا هو المرادُ من قولهِ تعالى حكايَةً عن الخصمِ : ﴿ أنا أُحْيِي وأُميت ﴾ ، ثمَّ إنَّ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام أجابَ عن هذا السُّؤال بقوله : ﴿ فإنَّ الله يأتي بالشمسِ منَ المشرقِ فَأْتِ بها منَ المغربِ ﴾[البقرة : ٢٥٨] ، يَعني : هَب أنَّهُ سبحانهُ إنَّما يُحدثُ حوادثَ العالَمَ بواسطةِ الحركاتِ الفَلَكيَّةِ لكنَّه تعالى هو المُبْدئُ للحركاتِ الفلكيَّة ؛ لأَنَّ تلك الحركاتِ لابدَّ لها من سببٍ ولا سببَ لها سوى قدرَةِ اللَّهِ تعالى فثبتَ أنَّ حوادثَ هذا العالم وإن سلَّمنا أنَّها إنَّما حصلت بواسطَةِ الحركاتِ الفلكيَّةِ لكنَّهُ لمَّا كانَ المدبِّرُ لتلكَ الحركاتِ الفلكيَّةِ هو اللَّهَ تعالى كانَ الكلُّ منهُ بخلافِ الواحدِ منَّا ، فإنَّا وإنْ قَدَرْنا على الإحياءِ والإماتَةِ بواسطَةِ الطَّبائعِ وحركاتِ الأَفْلاكِ ، إلّا أنَّ حركاتِ الأفلاكِ ليسَت منَّا بدليلِ أنَّا لا نقدرُ على تحريكها على خلافِ التَّحريكِ الإلهي ، وظهرَ الفَرْقُ .

وهذا هو المرادُ من قولِ إبراهيمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام : ﴿ فإنَّ اللهَ يأتي بالشمسِ مِنَ المَشْرقِ فأْتِ بها من المغربِ ﴾ ، يعني : هَبْ أنَّ هذه الحوادثَ في هذا العالم حَصَلَتْ بحركةِ الشمسِ من المشرقِ إلّا أنَّ هذه الحركاتِ منَ اللَّهِ ، لأنَّ كلَّ جسمٍ متحرّكٍ فلا بدَّ لهُ من مُحرّكٍ ، وذلكَ المحرِّكُ لستَ أنتَ ولا أنا فَلِمَ لا نُحرِّكها منَ المغربِ ؟ فثبتَ أنَّ اعتمادَ إبراهيمَ الخليلَ عليهِ السَّلام في معرفةِ ثبوتِ الصَّانعِ على الدَّلائلِ الفَلكيَّةِ ، وأنَّهُ ما نازعَ الخَصْمَ في كونِ هذه الحوادثِ السُّفليَّةِ مُرتبطَةً بالحركاتِ الفلكيَّةِ .

واعْلَمْ أنَّكَ إذا عَرَفْتَ نَهْجَ الكلامِ في هذا البابِ عَلِمْتَ أنَّ القرآنَ مملوءٌ مِنْ

تعظيمِ الأجرامِ الفَلَكِيَّةِ وتشريفِ الكُراتِ الكوكبيَّةِ .

وأمَّا الأخبارُ فكثيرةٌ :

منها ما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ نَهى عندَ قضاءِ الحاجَةِ عن استقبالِ الشمسِ والقمرِ واستدبارِهما(١).

ومنها أنَّهُ لمَّا ماتَ ولدُهُ إبراهيمُ انكسفَت الشمسُ ، ثمَّ إنَّ النَّاسَ قالوا : إنَّما انكسفتْ لموتِ إبراهيم ، فقال : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللَّهِ لا ينكسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ ، فإذا رأيتم ذلكَ فافْزَعُوا إلى الصَّلاة »(٢).

ومنها ما روى ابنُ مسعودٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « إذا ذُكِرَ القَدَرُ فأَمْسِكوا ، وإذا ذُكِرَ أصحابي فأَمْسِكوا ، وإذا ذُكِرَ النُّجومُ فأَمْسِكوا »(٣) .

ومنَ النَّاسِ من يَروي أنَّهُ ﷺ قال : « لا تسافروا والقمرُ في العقرب » .

ومنهم مَن يروي ذلكَ عن عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، وإنْ كانَ المُحدِّثونَ لا يقبلونه(٤).

---

(١) سيأتي نقدُ المصنِّف - رحمه اللَّهُ - له .

(٢) رواه البخاري (١٠٦٠) ، ومسلم (٩١٥) عن المُغيرة بن شُعبة .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » (١٠٤٤٨) ، وأَبو نُعَيم في « الحليَة » (٤ / ١٠٨) عن ابن مسعودٍ ، بسندٍ حسَّنه الحافظُ في « الفتح » (١١ / ٤٧٧) ، والعراقي في « تخريج الإحياء » (١ / ٥٠) .

وذكر شيخُنا في « الصحيحة » (١ / ٤٥) شاهدًا للحديث مِن « أَمالي عبدالرزَّاق » (٢ / ٣٩ / ١) عن طاوس مرسلًا بسند صحيح .

وانظر « شرح الإحياء » (١ / ٢٢١ - ٢٢٢) للزَّبيدي ، فقد ذكر له طرقًا أُخرى .

(٤) ذكره الصَّغاني في « الموضوعات » (رقم : ٩٩) بغير إسنادٍ !

وأَمَّا الموقوفُ فقد رواه ابنُ الجنيد في « سؤالاته » (٦٠) . =

وأمَّا الآثارُ فكثيرَةٌ ؛ منها : أنَّ رجلًا أتاهُ ، فقال لهُ : إنِّي أُريدُ الخروجَ في تجارَةٍ ، وكانَ ذلكَ في مُحاقِ الشهرِ ! فقال : تريدُ أن يمحَقَ اللَّهُ تجارتكَ ، استقبل هلالَ الشهرِ بالخروج .

وعن عِكرمة أنَّ يهوديًّا مُنجِّمًا قال لهُ ابنُ عبَّاس : ويحَكَ تُخبرُ النَّاسَ بما لا تدري ، فقال اليهوديُّ : إنَّ لكَ ابنًا وهو في المكتبِ ، ويجيءُ غدًا محمومًا ، ويموتُ في اليومِ العاشرِ منهُ ، قال ابنُ عبَّاس : ومتى تموتُ أنتَ ؟ قال : في رأسِ السَّنَةِ ، ثمَّ قال لابنِ عبَّاس : لا تموتُ أنتَ حتى تَعمى ، ثمَّ جاءَ ابنُ ابنِ عبَّاس وهو محمومٌ ، وماتَ في العاشرِ ، ومات اليهوديُّ في رأسِ السَّنَةِ ، ولم يمُت ابن عبَّاسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ حتى ذهَبَ بصرهُ .

وعَن الشعبي رضيَ اللَّهُ عنهُ قال : قال أبو الدَّرداء : واللَّهِ لقَد فارَقَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ وتَرَكنا ولا طائرٌ يطيرُ بجناحيهِ إلّا ونحنُ نَدَّعي فيهِ علمًا[1] .

وليسَت الكواكبُ مُوكَّلَةً بالفسادِ والصَّلاحِ ، ولكنَّ فيها دليلَ بَعضِ الحوادثِ ، عُرِفَ ذلكَ بالتَّجرِبَةِ .

وجاءَ في الآثارِ أنَّ أوَّلَ مَن أعطيَ هذا العلمَ آدمُ ، وذلكَ أنَّهُ عاش حتى أَدركَ من ذُرِّيَّتهِ أربعينَ ألفَ أهلِ بيتٍ ، وتَفرَّقوا عنهُ في الأرضِ ، وكانَ يغتمُّ

= وفي سنده إبراهيم بن ناصح ، وهو متروك الحديث .

وانظر « لسان الميزان » (٤ / ٣٢٤) ، و « تاريخ الخطيب » (١١ / ١٨٤) .

(١) رواه ابنُ حبَّان (٦٥) والطَّبراني (١٦٤٧) والبزَّار (١٤٧) من طريق أَبي الطُّفيل عن أَبي الدرداء .

وهذا سندٌ صحيحٌ .

وانظر شرحَ الأَثَر في « النِّهاية في غريب الحديث » (٣ / ١٥٠) لابن الأَثير .

لخفاءِ خبرهم عليهِ ، فأكرمهُ اللَّهُ تعالى بهذا العلمِ ، وكانَ إذا أرادَ أن يعرفَ حالَ أحدِهم حَسَبَ لهُ بهذا الحسابَ ، فيقفُ على حالتهِ .

وعن ميمونَ بن مِهران ، أنَّهُ قال : « إيَّاكم والتَّكذيبَ بالنُّجومِ ، فإنَّهُ علمٌ من علمِ النُّبوَّةِ » .

وعنهُ أيضًا أنَّهُ قال : « ثلاثٌ ارْتَضُوهنَّ؛ لا تُنازِعوا أهلَ القَدَرِ ، ولا تذكُروا أصحابَ نبيِّكُم إلّا بخير ، وإيَّاكم والتَّكذيبَ بالنُّجومِ فإنَّهُ من علمِ النُّبوَّةِ »[1].

ورُوِيَ أنَّ الشافعيَّ كانَ عالمًا بالنُّجومِ ، وجاءَ لبَعضِ جيرانهِ ولدٌ ، فحكمَ لهُ الشافعِيُّ أنَّ هذا الولدَ ينبغي أن يكونَ على العُضوِ الفلاني منهُ خالٌ صِفَتُهُ كذا وكذا ، فوُجدَ الأمرُ كما قال[2] .

وأيضًا أنَّهُ تعالى حكى عن فِرْعَون أنَّهُ كانَ يذبحُ أبناءَ بني إسرائيل ويَسْتحيي نساءهم ، والمفسِّرونَ[3] قالوا : إنَّ ذلكَ إنَّما كانَ لأنَّ المُنجِّمين أخبروهُ بأنَّهُ سيجيءُ ولدٌ من بني إسرائيلَ ، ويكونُ هلاكُهُ على يدهِ ، وهذه الرِّوايَةُ ذكرها محمَّد بن إسحاق وغيرهُ وهذا يدلُّ على اعترافِ النَّاسِ قديمًا وحديثًا بعلمِ النُّجومِ .

وأمَّا المعقولُ ؛ فهو أنَّ هذا عِلْمٌ ما خَلَتْ عنهُ مِلَّةٌ مِنَ المللِ ، ولا أُمَّةٌ من الأممِ ، ولا يُعرَفُ تاريخٌ مِنَ التَّواريخِ القديمَةِ والحديثَةِ إلّا وكانَ أهلُ ذلكَ الزَّمانِ

---

(١) قارن بِـ « فضل علم السَّلف على الخلف » (ص ٢٦ - ٢٧) لابن رجب الحنبلي - بتحقيقي .

(٢) رواه - بسنده - البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢ / ١٢٦) وزاد : « .. فأَحرق الشافعيُّ بعد ذلك الكتبَ ، وما عاود النَّظَرَ في شيءٍ منها » .

(٣) راجع « مفاتيح الغيب » للرازي .

مُشتغلين بهذا العلمِ ، ومُعوّلين عليهِ في معرفَةِ المصالحِ ، ولو كانَ هذا العلمُ فاسدًا بالكُليَّةِ لاستحالَ إِطْباقُ أهلِ المشرقِ والمغربِ من أوَّلِ بناءِ العالمِ إلى آخرهِ عليهِ .

وقال بَطْلِيمُوس في بعضِ كُتُبِهِ : بعضُ النَّاسِ يَعيبونَ هذا العلمَ ، وذلكَ العيبُ إنَّما حصلَ من وجوهٍ :

الأوَّل : عَجْزُهم عن معرفَةِ حقيقَةِ موضعِ الكواكبِ بدقائِقها ومراتِبها ، وذلكَ أنَّ الآلاتِ الرَّصْدِيّةَ لا تَنْفَكُّ عن مُسامحاتٍ لا يفي بضَبْطِها الحِسُّ لأجلِ قِلَّتها في الآلاتِ الرَّصديَّةِ ، لكنَّها وإنْ قَلَّتْ في هذه الآلات إلّا أنَّها في الأَجْرامِ الفلكيَّةِ كثيرةٌ ، فإذا تباعَدَتِ الأرصادُ حصلَ بسببِ تلكَ المُسامحاتِ تفاوتٌ عظيمٌ في مواضعِ الكواكبِ .

الثَّاني : أنَّ هذا العلمَ علمٌ مبنيٌّ على معرفَةِ الدَّلائلِ الفَلَكيَّةِ ، وتلكَ الدَّلائلُ لا تَحْصُلُ إلّا بتمزيجاتِ أحوالِ الكواكبِ ، وهي كثيرَةٌ جدًّا ، ثمَّ إنَّها مع كثرتها قَد تكونُ مُتعارضَةً ، ولا بدَّ فيها من التَّرجيحِ ، وحينئذٍ يصعُبُ على أكثرِ الأفهامِ الإحاطَةُ بتلكَ التَّمزيجاتِ الكثيرَةِ ، وبَعْدَ الإحاطَةِ بها فإنَّهُ يصعبُ التَّرجيحاتُ الجيِّدَةُ ، فلهذا السَّببِ لا يتَّفِقُ مَنْ يحيطُ بهذا العلم كما ينبغي إلّا الفردُ بعدَ الفردِ ثمَّ إنَّ الجهَّالَ يظهرون من أنفسهم كونهم عارفينَ بهذا العلمِ فإذا حَكَموا وأَخْطَأُوا ظنَّ النَّاسُ أنَّ ذلكَ بسببِ أنَّ هذا العلمَ ضعيفٌ.

الثَّالث : أنَّ هذا العلمَ لا يَفي بإدْراكِ الجزئيَّات على وجهِ التفصيلِ الباهرِ ، فَمَنْ حَكَمَ على هذا الوجهِ فَقَد يقعُ في الخطأ .

فلهذه الأسبابِ الثَّلاثَةِ توجَّهَتِ المطاعنُ إلى هذا العلمِ .

وحُكيَ أنَّ الأكاسرَة كانَ إذا أرادَ أحدُهم طَلَبَ الولدِ أمرَ بإحضارِ المُنجِّم ،

ثمَّ كانَ ذلكَ المَلِكُ يخلو بامرأتِهِ فساعَةَ ما يقعُ الماءُ في الرَّحِم يأمرُ خادمًا على الباب يَضْرِبُ طَسْتًا يكونُ في يدِهِ ، فإذا سمعَ المُنجِّمُ طنينَ الطَّسْتِ أخذَ الطَّالعَ ، وحكمَ عليهِ حتى يُخبرَ بعددِ السَّاعات التي يمكُثُ في بَطنِ أمّهِ ، ثمَّ إنَّهُ كانَ يأخذُ الطَّالعَ عندَ الولادَةِ مرَّةً أُخرى ، ويحكمُ ، فلا جَرَمَ كانَت أحكامُهم كاملَةً قويَّةً ؛ لأنَّ الطَّالعَ الحقيقيَّ هو طالعُ مَسْقَطِ النُّطفَةِ ، فإنَّ حدوثَ الولدِ إنَّما يكونُ في ذلكَ الوقتِ ، فأمَّا طالعُ الولادَةِ فهو طالعٌ مُستعارٌ ، لأنَّ الولدَ لا يحدُثُ في ذلكَ الوقتِ وإنَّما ينتقلُ من مكانٍ إلى آخَر .

ورُوِيَ أنَّ في عَهدِ أَرْدَشِير بن بابَكَ أنَّهُ قال في العهدِ الذي كتبهُ لولدِهِ : لولا اليقينُ بالبَوَارِ الذي على رأسِ أَلْفِ سنَةٍ لكنتُ أكتبُ لكم كتابًا ، إنْ تمسَّكْتُم بِهِ لَن تضلُّوا أبدًا .

وعَنَىٰ بالبَوَارِ ما أخبَرهُ المُنجِّمونَ مِن أنَّهُ يزولُ مُلْكُهُم عند رأسِ ألفِ سنَةٍ من ملكِ كَشتاسِت ، والمرادُ منهُ زوالُ دولتِهم وظهورُ دولَةِ الإسلام .

ورُوِيَ أنَّهُ دخَلَ الفَضْلُ بن سهلٍ(١) على المأمونِ في اليومِ الذي قُتلَ فيهِ ، وأخبرهُ أنَّهُ يُقتلُ في هذا اليوم بينَ الماءِ والنَّارِ ، وأنكرَ المأمونُ ذلكَ عليهِ ، وقويَ قلبُهُ ، ثمَّ اتَّفقَ أنَّهُ دخَلَ الحمَّام فَقُتِلَ في الحمَّام ، وكانَ الأمرُ كما أخبَرَ .

ثمَّ قال : واعْلَمْ أنَّ التجارِبَ في هذا البابِ كثيرَةٌ ، وفيما ذَكَرْنا كفايَةٌ .

قلتُ : فهذا أقصى ما قرَّر به الرَّازيُّ كلامَ هؤلاءِ ومذهبَهم ، ولقَد نَثَرَ الكِنانَةَ ، ونفضَ الجَعْبَةَ(٢)، واستفرغَ الوُسْعَ ، وبذلَ الجُهدَ ، وروَّجَ ، وبهرجَ ،

---

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤ / ٤١) ، و « البداية والنِّهاية » (١٠ / ٢٤٩) ، و « تاريخ بغداد » (١٢ / ٣٣٩) .

(٢) بفتح الجيم ، لا غير .

وقعقعَ ، وفرقعَ ، وجعجعَ ولا ترى طِحْنًا ، وجمعَ بينَ ما يُعْلمُ بالاضطرارِ أنَّهُ كذبٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ وعلى أصحابهِ ، وبينَ ما يُعْلَمُ بالاضطرارِ أنَّهُ خَطأٌ في تأويلِ كلامِ اللَّهِ ومعرفَةِ مُرادهِ .

ولا يَرُوجُ ما ذَكَرَهُ إلّا على مُفرِطٍ في الجَهلِ بدينِ الرُّسلِ ، وما جاؤوا بهِ ، أو مُقَلِّدٍ لأهلِ الباطلِ ، والمُحالِ منَ المنجِّمينَ ، وأقاويلِهم ، فإنْ جُمِعَ بينَ الأمرين شُرِبَ كلامُهُ شربًا ! ونحنُ بحمدِ اللَّهِ ومَعُونتهِ وتأييدهِ ، نُبيِّنُ بُطلانَ استدلالهِ واحتجاجهِ ، فنقولُ :

أمَّا الاستدلالُ بقولهِ تعالى : ﴿ فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجوارِ الكُنَّسِ ﴾ ؛ فإنَّ أكثرَ المُفسِّرينَ على أنَّ المرادَ هو الكواكبُ التي تسيرُ راجعَةً تارَةً ومُستقيمَةً أُخرى ، وهذا القولُ قَد قالهُ جماعَةٌ مِن المفسِّرينَ[١]، وأنَّها الكواكبُ الخمسَةُ زُحَلُ وعُطاردُ والمُشتري والمِرِّيخ والزُّهَرَةُ ، ورُويَ عن عليٍّ ، واختارَهُ ابنُ مُقاتِلٍ وابنُ قتيبَةَ[٢]، قالوا : وسمَّاها خُنَّسًا لأنَّها في سيرِها تتقدَّمُ إلى جهَةِ المشرقِ ، ثمَّ تَخْنُس ، أي : تتأخَّر ، وكنوسُها استتارُها في مغربها كما تَكْنِسُ الظِّباءُ ، وتفِرُّ منَ الوحوشِ ، إلى أن تأْويَ إلى كِناسها ، وهي أكنَّتُها ، وتُسمَّى هذه الكواكبُ المُتَحيِّرَةَ لأنَّها تسيرُ مستقيمَةً وتسيرُ راجعَةً ، وقيلَ : كُنُوسُها بالنِّسبَةِ إلى النَّاظرِ ، وهو استتارها تحتَ شعاعِ الشمسِ .

وقيلَ : هي النُّجوم كلُّها ، وهو اختيارُ أبي عُبيدٍ ، وقاله الحَسنُ وقتادَة .

وعلى هذا القولِ فيكون باعتبارِ أحوالها الثَّلاثَةِ مِن طُلوعِها وغُروبـها وما

---

(١) قارن بكلام المصنِّف في « التبيان في أَقسام القرآن » (١١٤) ، و « زاد المعاد » (٤ / ٢٧٠) .

(٢) انظر « غريب القرآن » (٥١٧) له .

بينهما ، فهي خُنَّسٌ عندَ أوَّلِ الطُّلوعِ ؛ لأنَّ النَّجمَ منها يُرى كأنَّهُ يبدو ويخنُس ، وتكنِس عندَ غروبها تشبيهًا بالظِّباء التي تأوي إلى كِناسها ، وهي جَوَارٍ ما بينَ طلوعها ، وغروبها ، خُنَّسٌ عندَ الطُّلوعِ ، جوارٍ بعده ، كُنَّسٌ عندَ الغروبِ .

وهذا كلُّهُ بالنِّسبةِ إلى أُفُقِ كلِّ بلدٍ تكونُ لها فيهِ الأحوالُ الثَّلاثَةُ .

وقال عبدُاللَّهِ بن مسعودٍ : هي بقرُ الوَحش .

وهي روايَةٌ عن ابنِ عبَّاسٍ ، واختارَهُ سعيد بن جُبَيْر .

وقيلَ - وهو أضعفُ الأقوالِ - : الملائكة، حكاهُ المروزيُّ في « تفسيرِهِ » .

فإنْ كانَ المرادُ بعضَ هذه الأقوالِ غيرَ ما حكاهُ الرَّازيُّ فلا حُجَّةَ لهُ ، وإنْ كانَ المرادُ ما حكاهُ ، فغايتهُ أَنْ يكونَ اللَّهُ سبحانهُ وتعالى قَد أقسمَ بها كما أقسمَ بالليلِ والنَّهارِ والضُّحى والوالدِ وولدِهِ والفجرِ وليالٍ عشرٍ والشفعِ والوترِ والسَّماءِ والأرضِ واليومِ الموعود وشاهدٍ ومشهودٍ والنَّفْسِ والمُرْسلات والعاصِفات والنَّاشرات والفارقات والنَّازعات والنَّاشطات والسَّابحات والسَّابقات ، وما نُبْصِرهُ وما لا نُبصِرهُ من كُلِّ غائبٍ عنَّا وحاضرٍ ممَّا فيهِ التَّنبيهُ على كمالِ ربوبيَّتهِ وعِزَّتهِ وحكمتهِ وقُدرتهِ وتدبيرهِ وتنوُّعِ مخلوقاتهِ الدَّالَّةِ عليهِ المُرشدَةِ إليهِ بما تضمَّنَتْهُ من عجائبِ الصَّنْعَةِ وبديعِ الخِلْقَةِ وتشهَدُ لفاطرها وبارئها بأنَّهُ الواحدُ الأحدُ الذي لا شريكَ لهُ ، وأنَّهُ الكاملُ في علمهِ وقُدرتهِ ومشيئتهِ وحكمتهِ وربوبيَّتهِ ومُلكهِ ، وأنَّها مُسَخَّرةٌ مُذلَّلةٌ مُنقادَةٌ لأمرهِ مُطيعَةٌ لمرادهِ منها .

ففي الإقْسامِ بها تَعظيمٌ لخالقها تباركَ وتعالى ، وتنزيهٌ لهُ عمَّا نَسَبهُ إليهِ أعداؤهُ الجاحدون المعطِّلون لربوبيَّتهِ وقُدرتهِ ومشيئتهِ ووحدانيَّتهِ ، وإنَّ مَن هذه عبيدُه ومماليكُهُ وخَلْقُهُ وصنعُهُ وإبداعُهُ فكيفَ تُجحدُ ربوبيَّتُهُ وإلٰهيَّتهُ ؟! وكيفَ

تُنْكَرُ صفاتُ كمالِهِ ونعوتُ جلالِهِ ؟! وكيفَ يَسُوغُ لذي حِسٍّ سليمٍ وفطرةٍ مُستقيمةٍ تَعطيلُها عن صانعها أو تعطيلُ صانعِها عن نعوتِ جلالِهِ وأوصافِ كمالِهِ وعن أفعالِهِ ؟!

فإقسامُهُ بها أكبرُ دليلٍ على فسادِ قولِ نوعَي المُعَطِّلةِ والمشركين الذين جَعَلُوها آلهَةً تُعبَدُ مع دلائل الحُدوثِ والعبوديَّةِ والتَّسخير والافتقار عليها ، وأنَّها أدلَّةٌ على بارئها وفاطرها وعلى وحدانيَّتِهِ ، وأنَّهُ لا تَنبغي الرُّبوبيَّةُ والإلهيَّةُ لها بوجهٍ ما ، بل لا تَنبغي إلّا لمَن فَطَرها ، وبرأها كما قال القائلُ :

تأمَّلْ سُطورَ الكائناتِ فإنَّها ... مِن الملأ الأعلى إليكَ رسائلُ
وقَد خُطَّ فيها لو تأمَّلتَ خَطَّها ... أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلُ

وقال آخَرُ :

فواعَجَبًا كيفَ يُعْصَى الإلهُ ... أم كيفَ يَجحَدُهُ جاحدُ
وللَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ... وتَسكينَةٍ أبدًا شاهدُ
وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيَةٌ ... تدُلُّ على أنَّهُ واحدُ

فلم يكن إقسامُهُ بها سبحانهُ مُقرِّرًا بذلكَ علمَ الأحكامِ النُّجوميَّةِ كما يقولُهُ الكاذبون المفترون ، بل مُقرِّرًا لكمالِ ربوبيَّتِهِ ووحدانيَّتِهِ ، وتفرُّدِهِ بالخَلقِ والإبداعِ ، وكمالِ حكمتهِ وعلمِهِ وعظمتِهِ .

وهذا نظيرُ إخبارِهِ سبحانهُ عن خَلْقِها وعن حكمَةِ خالِقِها ، بقولِه : ﴿ اللهُ الَّذي خَلَقَ سبعَ سمٰواتٍ ومِنَ الأرضِ مثلَهُنَّ يتنزَّلُ الأمرُ بينهنّ لتَعلَمُوا أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ وأنَّ اللهَ قَد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا ﴾ [الطلاق : ١٢] ، وقولِه : ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ الليلَ والنَّهارَ والشمسَ والقمرَ كلٌّ في فَلَكٍ

يسبحون ﴾ [الأنبياء : ٣٣] ، وقولِه : ﴿ ومِن آياتهِ الليلُ والنَّهارُ والشمسُ والقمرُ لا تَسجُدوا للشمسِ ولا للقمرِ واسجُدوا للهِ الَّذي خَلَقهنَّ إنْ كنتُم إيَّاهُ تَعبدون ﴾ [فصلت : ٣٧] وقولِه : ﴿ إنَّ ربَّكُم اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ثمَّ استَوى على العَرشِ يُغْشي اللَّيلَ النَّهارَ يطلبُهُ حثيثًا والشمسَ والقَمَرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ بأمرهِ ألا لهُ الخَلقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤]، وقوله : ﴿ وسخَّرَ لكُم الليلَ والنَّهارَ والشمسَ والقمرَ والنُّجومَ مسخَّراتٍ بأمرهِ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقِلُونَ ﴾ [النحل : ١٢] .

وهؤلاء المُشْرِكون يُعَظِّمون الشمسَ والقمرَ والكواكبَ تَعظيمًا ؛ يسجُدونَ لها ، ويتذلَّلونَ لها ، ويُسبِّحونها تسابيحَ معروفَةً في كُتُبِهم ، ودعواتٍ لا ينبغي أن يُدعى بها إلّا خالقُها وفاطرُها وحدَه .

ويقولُ بعضُهم في كتابِه : مصحف الشمسِ ! مصحف القمرِ! مصحَف زُحَل ! مُصحَف عُطاردَ !

وبعضهم يقولُ : تَسبيحَة الشمسِ ! تَسبيحَة القمرِ! تَسبيحَة عُطارد ! تَسبيحَة زُحَل ! ولا يتحاشى من ذلكَ .

وبعضُهم يقولُ : دَعوَة الشمسِ ! دعوَة القمرِ ! دعوةُ عُطارد ! دعوة زُحَل !

وبعضُهم يقول : هيكل الشمسِ والقمرِ وعُطاردَ !

وأصلهُ أنَّ الهيكلَ هو البيتُ المبنيُّ للعبادَةِ ، وكانَ الصَّابئون يبنونَ لكلِّ كوكبٍ من هذه الكواكبِ هيكلًا ، ويُصَوِّرونَ فيهِ ذلكَ الكوكبَ ويتَّخذُونَه لعبادتهِ وتَعظيمهِ ودعائهِ ، ويزعُمونَ أنَّ روحانيَّة ذلكَ الكوكبِ تتنزَّلُ عليهم ، فتخاطِبُهم ، وتَقضي حوائجَهم ، وشاهدوا ذلكَ منها وعاينوه ، وتلكَ الرُّوحانيَّةُ

هي الشياطينُ تنزَّلَتْ عليهم ، وخاطَبتْهم ، وقَضَتْ حوائجَهم .

ثمَّ لـمَّا رامَ هذا الفعلَ مَن تستَّرَ منهم بالإسلامِ ، ولم يمْكِنْهُ أن يبنيَ لها بيوتًا يعبدُها فيهِ كتبَ لها دعواتٍ وتَسبيحاتٍ وأذكارًا سمَّاها هياكلَ !

ثمَّ مَن اشتدَّ تَستُّرهُ وخوفُهُ أخرجَها في قالبِ حُروفٍ وكلماتٍ لا تُفْهَم لئلّا يُبادرَ إِلى إنكارِها وردِّها .

ومَن لم يَخفْ منهم صرَّحَ بتلكَ الدَّعواتِ والتَّسبيحاتِ والأذكارِ بلسانِ مَن يخاطبهُ بالفارسيَّةِ والعربيَّةِ وغيرها ، فلمَّا أنكرَ عليهِ أهلُ الإيمانِ ، قال : إنَّما ذكرتُ هذه معرفَةً لهذا العلمِ وإحاطَةً به ، لا اعتقادًا لهُ ، ولا تَرغيبًا فيه .

وقد وَصَفَ ذلكَ العلمَ وقرَّرَهُ أتمَّ تَقريرٍ وحَمَلهُ هديَّةً إلى مَلِكهِ فأثابهُ عليهِ جُملَةً من الذَّهبِ ، يقال : إنَّهُ ألفُ دينارٍ ، وصارَ ذلكَ الكتابُ إمامًا لأَهلِ هذا الفنِّ إليهِ يَلْجَؤُون ، وعليهِ يُعوِّلون ، وبهِ يحتجُّون ، ويقولون : شهرةُ مصنِّفهِ وجلالتُهُ وعلمُهُ وفضلُهُ لا تُنْكَرُ ولا تُجحَدُ .

وفي هذا الكتابِ من مُخاطبَةِ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ بالخِطَابِ الذي لا يليقُ إلّا باللّهِ عزَّ وجلَّ ولا ينبغي لأحدٍ سواه ومنَ الخُضوعِ والذُّلِّ والعبادَةِ التي لم يَكُن عُبَّادُ الأصنامِ يبلُغونها من آلهتِهم .

فباللّهِ ؛ أتجعلُ قوله تعالى : ﴿ فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ الجواري الكُنَّسِ ﴾ [التكوير : ١٦]، دليلًا على هذا ومُقدّمةً لهُ في أوَّلِ الكتابِ ؟ فإنْ كانَ الإقسامُ بها دليلًا على تأثيراتها في العالَمِ - كما يقولون - فينبغي أنْ يكونَ سائرُ ما أُقسِمَ به كذلكَ ، وإن لم يكن القسمُ دليلًا بطلَ الاستدلالُ به .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ فلا أُقسمُ بمواقعِ النُّجوم ﴾ [الواقعة : ٧٥]، ففيها

قولان :

أحدهما : أنَّها النُّجومُ المعروفةُ ، وعلى هذا ففي مواقِعها أقوالٌ :

أحدها : أنَّهُ انْكِدارُها وانتشارها يومَ القيامَةِ ، وهذا قولُ الحسنِ ، والمُنجِّمونَ يُكَذِّبونَ بها ولا يُقِرُّونَ به .

الثَّاني : مواقعُها منازلُها ، قالهُ عَطَاءٌ وقتادَةُ .

والثَّالث : أنَّهُ مغاربُها .

الرَّابع : أنَّهُ مواقعُها عندَ طلوعِها وغروبِها ، حكاهُ ابنُ عطيَّة[1] عن مجاهد وأبي عبيدَة .

الخامس : أنَّ مواقعَها مواضعُها من السَّماءِ ، وهذا الذي حكاهُ ابنُ الجَوْزي[2] عن قتادَة حكاهُ ابنُ عطيَّة عنهُ ، فَيُحتملُ أن يكونا واحدًا وأن يكونا قولين .

السَّادس : أنَّ مواقعَها انقضاضُها أثرَ العِفْريت وقتَ الرُّجوم ، حكاهُ ابنُ عطيَّةَ أيضًا ولم يذكر أبو الفَرَج ابنُ الجَوْزيِّ سوى الثَّلاثَةِ الأُولى[3] .

والقول الثَّاني : أنَّ مواقعَ النُّجومِ هي منازلُ القُرآنِ ونجومُهُ ، الّتي نَزَلَتْ على النَّبيِّ ﷺ في مدَّةِ ثلاثٍ وعشرين سنَةً ، قال ابنُ عِطيَّة : وَيُؤَيِّدُ هذا القولَ عَوْدُ الضَّميرِ على القرآن في قولِهِ : ﴿ إنَّهُ لقُرآنٌ كريم في كتابٍ مكنونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٨]، وذلكَ أنَّ ذِكْرَهُ لم يتقدَّم إلّا على هذا التَّأويل .

ومَن لا يتأوَّلُ هذا التَّأويلَ يقولُ : إنَّ الضَّميرَ يعودُ على القرآن وإنْ لم يتقدَّم

---

(١) انظر « المحرّر الوجيز » (١٥ / ٣٨٥) .

(٢) انظر « زاد المسير » (٨ / ١٥١) .

(٣) انظر « إعلام الموقّعين » (١ / ٢٨٩ - ٢٩٠) للمصنِّف .

ذِكْرُهُ لشهرةِ الأمرِ ووضوحِ المعنى ، كقولِهِ تعالى : ﴿ حتَّى توارَتْ بالحِجاب ﴾ [ص : ٣٢] ، و : ﴿ كلُّ مَن عليها فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦]، وغيرُ ذلكَ .

قلتُ : ويؤيِّدُ القولَ الأوَّلَ أنَّهُ أعادَ الضَّميرَ بلفظِ الإفراد والتَّذكير ، ومواقعُ النُّجوم جمْعٌ ، فلو كانَ الضَّميرُ عائدًا عليها لقال : إنَّها لقرآنٌ كريمٌ ، إلّا أن يُقال : مواقعُ النُّجوم دلَّ على القرآن ، فأعادَ الضَّميرَ عليهِ ، لأنَّ مُفسِّرَ الضَّمير يُكْتَفَىٰ فيهِ بذلكَ ، وهو مِن أنواعِ البلاغَةِ والإيجازِ .

فإنْ كانَ المرادُ منَ القَسَمِ نجومَ القرآنِ بطلَ استدلالُهُ بالآيَةِ ، وإنْ كانَ المرادُ الكواكبَ - وهو قولُ الأكثرين - فلِما فيها منَ الآيات الدَّالَّةِ على ربوبيَّةِ اللَّهِ تعالى وانفرادهِ بالخَلْقِ والإبداع ، فإنَّهُ لا ينبغي أن تكونَ الإلٰهيَّةُ إلّا لهُ وحدَهُ ، كما أنَّهُ وحدَهُ المتفرِّدُ بخَلْقِها وإبداعِها وما تضمَّنتهُ منَ الآياتِ والعجائبِ ، فالإقْسامُ بها أوضحُ دليلٍ على تكذيب المشركين والمنجِّمين والدَّهريَّة ونَوعي المعطِّلَةِ كما تقدَّمَ .

وكذلكَ قولهُ : ﴿ النَّجمُ الثَّاقب ﴾ [الطارق : ٣] على أنَّ فيهِ قولين آخَرين غيرَ القولِ الذي ذكره :

أحدهما : أنَّهُ الثُّريَّا ، وهذا قولُ ابنُ زيدٍ ، حكاهُ عنهُ أبو الفرجِ ابنُ الجوزي[1]، وعنهُ روايَةٌ ثانيَةٌ أنَّهُ زُحَل حكاها عنهُ ابنُ عطيَّة[2] .

الثَّاني : أنَّهُ الجَدْيُ ، حكاهُ ابنُ عطيَّةَ عن ابن عبَّاس ، وقولٌ آخَر حكاه أبو الفَرَجِ ابن الجوزي عن عليٍّ بن أحمَدَ النَّيسابوري[3] أنَّهُ جنسُ النُّجومِ .

---

(١) « زاد المسير » (٩ / ٨١) .

(٢) « المحرّر الوجيز » (١٦ / ٢٧٥) .

(٣) هو الواحديُّ، صاحبُ التفسير المشهور ، المُسَمَّى « الوسيط » فانْظُر (٤/ ٤٦٤).=

وأمَّا قولهُ تعالى : ﴿ فالمُدبِّراتِ أمرًا ﴾ [النازعات:٥]، فلم يقُلْ أحَدٌ منَ الصَّحابة ولا التَّابعين ولا العلماء بالتَّفسيرِ أنَّها النُّجومُ ، وهذه الرِّواياتُ عنهم : فقال ابنُ عبَّاسٍ : هي الملائكَةُ ، قال عطاءٌ : وُكِّلَتْ بأُمورٍ عرَّفهم اللَّهُ العملَ بها ، وقال عبدالرَّحمن بن سابِطٍ : يدبِّرُ أمورَ الدُّنيا أربعَةٌ : جبريلُ وهو مُوكَّلٌ بالوَحي والجنودِ ، وميكائيلُ وهو مُوكَّلٌ بالقَطرِ والنَّبات ، وملكُ الموتِ وهو مُوكَّلٌ بقبضِ الأنفسِ ، وإسرافيلُ وهو يَنزِلُ بالأمرِ عليهم ، وقيلَ : جبريلُ للوحي ، وإسرافيلُ للصُّور .

وقال ابنُ قتيبةَ[1]: فالمُدبِّرات أمرًا : الملائكَة تنزلُ بالحلالِ والحرامِ .

ولم يذكرِ المتوسِّعون في نَقلِ أقوال المفسِّرين كابنِ الجوزي والماوَرْدي وابنِ عطيَّة غيرَ الملائكَةِ ، حتى قال ابنُ عطيَّة[2]: ولا أحفظُ خلافًا أنَّها الملائكة .

هذا مع تَوَسُّعِهِ في النَّقلِ ، وزيادتهِ فيهِ على أبي الفرجِ وغيرهِ ، حتى إنَّهُ لينفردُ بأقوالٍ لا يحكيها غيرهُ .

فتفسيرُ المدبِّراتِ بالنُّجوم كذبٌ على اللَّهِ وعلى المفسِّرين .

وكذلكَ المقسِّمات أمرًا ؛ لم يقُلْ أحدٌ من أهلِ التَّفسيرِ العالِمين به أنَّها النُّجومُ ، بل قالوا : هي الملائكة التي تُقَسِّمُ أمرَ الملَكُوتِ بإذنِ ربِّها منَ الأرزاق والآجالِ والخلْق في الأرحامِ ، وأمرِ الرِّياحِ والجبالِ ، قال ابنُ عطيَّة[3]: لأنَّ كلَّ هذا إنَّما هو بملائكةٍ تخدمُهُ ، فالآيَةُ تتضمَّنُ جميعَ الملائكة ، لأنَّهم كُلَّهم في

= وانظر « تفسير البغوي » (٤ / ٤٧٣) ، و « تفسير الطبري » (٣٠ / ٩١) .

(١) انظر « غريب القرآن » (٢ / ٥) له .

(٢) « المحرّر الوجيز » (١٦ / ٢٢٠) .

(٣) المرجع السابق .

أُمورٍ مختلفَةٍ ، قال أبو الطُّفيلِ عامرُ بنُ واثلَةَ : كانَ عليٌّ بنُ أبي طالب على المنبر فقال : لا تسألون عن آيَةٍ من كتابِ اللَّهِ وسنَّةٍ ماضيَةٍ إلّا قلتُ لكم ، فقامَ إليهِ ابنُ الكَوَّاءِ ، فسألهُ عن : ﴿ الذَّاريات ذروًا فالحاملات وِقْرًا فالجاريات يُسرًا فالمُقسِّماتِ أَمْرًا ﴾ فقال : الذاريات : الرياح ، والحاملات : السَّحاب ، والجاريات : السفن ، والمُقسِّمات : الملائكة ، ثمَّ قال : سَلْ سؤالَ تعلُّمٍ ، ولا تسألْ سؤالَ تعنُّتٍ[١] .

وكذلكَ قال أبو الفرج[٢]، ولم يذكُر فيهِ خلافًا في المقسِّمات أمرًا : يعني الملائكةَ تُقَسِّمُ الأمورَ على ما أمَرَ اللَّهُ به ، قال ابنُ السَّائبِ : المُقسِّماتُ أربعَةٌ : جبريلُ ، وهو صاحبُ الوَحي والغلظَةِ - يعني العقوبَةَ على أعداءِ الرُّسل - ، وميكائيلُ ، وهو صاحبُ الرِّزق والرَّحمَة ، وإسرافيلُ ، وهو صاحبُ الصُّورِ واللوحِ ، وعُزرائيلُ[٣] وهو قابضُ الأرواحِ .

فتفسيرُ الآيَةِ بأنَّها النُّجومُ تَفسيرُ المُنجِّمين ومَن سلكَ سبيلَهم .

وأمَّا وصفُهُ تعالى بعضَ الأيَّامِ بأنَّها أيَّامُ نَحسٍ ؛ كقولِهِ : ﴿ فأرسَلْنا عَلَيهِم ريحًا صَرصَرًا في أيَّامٍ نَحِساتٍ ﴾ [فصلت:١٦]، فلا ريبَ أنَّ الأيَّامَ التي أوقعَ اللَّهُ سبحانَهُ فيها العُقوبَةَ بأعدائِهِ وأعداءِ رُسُلِهِ كانَت أيَّامًا نَحِساتٍ عليهم ؛ لأنَّ النَّحْسَ أصابَهم فيها ، وإنْ كانَت أيَّامَ خَيرٍ لأوليائِهِ المؤمنين ، فهي نَحْسٌ على المُكذِّبين سَعْدٌ للمؤمنين ، وهذا كيوم القيامَةِ فإنَّهُ عَسِيرٌ على الكافرين يومُ نحْسٍ

---

(١) رواه ابنُ أَبي حاتمٍ ، كما في « الدر المنثور » (٨ / ٤٠٥) .

(٢) « زاد المسير » (٨ / ٢٨) .

(٣) لم يصحَّ حديثٌ في تسمية ملك الموت بهذا الاسم ، وانظر « معجم المناهي اللفظية » (ص ٢٣٨) للشيخ بكر أَبو زيد حفظه اللَّه .

لهم ، يسيرٌ على المؤمنين يومُ سَعدٍ لهم ، قال مُجاهد : أيَّامٌ نَحِساتٌ : مشائيم ، وقال الضَّحَّاك : معناهُ : شديدٌ ، أي : شديدُ البَردِ ، حتى كانَ البردُ عذابًا لهم ، قال أبو عليٍّ : وأنشدَ الأصمعيُّ في النَّحْسِ بمعنى البردِ :

كأَنَّ سُلافَةً عُرِضَت بنَحْسٍ ... يُحيلُ شَفيفُها الماءَ الزُّلالا

وقال ابنُ عبَّاسٍ : نحساتٍ : متتابعاتٍ[1] .

وكذلكَ قولهُ: ﴿ إِنَّا أرسَلْنا عَلَيهم ريحًا صَرْصَرًا في يومِ نَحْسٍ مُستمرٍّ ﴾ [القمر:١٩]، وكانَ اليومُ نَحْسًا عليهم لإرسالِ العذابِ عليهم ، أي : لا يقلعُ عنهم كما تقلعُ مصائبُ الدُّنيا عن أهلها ، بل هذا النَّحْسُ دائمٌ على هؤلاءِ المكذِّبين للرُّسلِ ، ومستمرٌّ : صفَةٌ للنَّحْسِ ، لا لليومِ ، ومَن ظنَّ أنَّهُ صفَةٌ لليومِ وأنَّهُ كانَ يومَ الأربعاءِ آخرَ الشهرِ ، وأنَّ هذا اليومَ نحسٌ أبدًا فَقَد غَلِطَ وأخطأَ فَهْمَ القرآن ، فإنَّ اليومَ المذكورَ بحسبِ ما يقعُ فيه .

وكم للَّهِ مِنْ نعمَةٍ على أوليائهِ في هذا اليومِ ! وإنْ كانَ لهُ فيهِ بلايا ونَقِمٌ على أعدائهِ ، كما يقعُ ذلكَ في غَيْرِهِ من الأيَّامِ .

فسُعودُ الأيَّامِ ونحوسُها إنَّما هو بسُعودِ الأعمالِ وموافقتها لمرضاةِ الرَّبِّ ، ونُحوسُ الأعمالِ مخالفتُها لِمَا جاءَت بهِ الرُّسلُ .

واليومُ الواحدُ يكونُ يومَ سَعدٍ لطائفَةٍ ، ونحسٍ لطائفَةٍ كما كانَ يومُ بَدرٍ يومَ سَعدٍ للمؤمنين ، ويومَ نحسٍ على الكافرين .

فما للكوكبِ والطَّالعِ والقِراناتِ وهذا السَّعْدِ والنَّحْسِ ! وكيفَ يُسْتَنْبَطُ علمُ أحكامِ النُّجومِ من ذلكَ ؟ ولو كانَ المؤثِّرُ في هذا النَّحسِ هو نَفسَ الكوكبِ

---

(١) انظر « تفسير ابن كثير » (٤ / ١٤٣) .

والطَّالعِ لكانَ نحسًا على العالمِ فأَمَّا أَنْ يقتَضي الكوكبُ كونَهُ نَحْسًا لطائفَةٍ سَعدًا لطائفةٍ فهذا هو المُحالُ !

□□□□□

١٥٧ - فَصْلُ

[توجيه دلالة بعض الآيات]

وأمّا الاستدلالُ بالآياتِ الدَّالَّةِ على أنَّ اللَّهَ سبحانهُ وضعَ حركاتِ هذه الأجرامِ على وجهٍ يُنتفَعُ بها في مصالحِ هذا العالمِ، بقوله: ﴿ هُو الَّذي جَعَلَ الشمسَ ضياءً والقَمَرَ نُورًا وقدَّرهُ منازلَ لتَعلموا عَدَدَ السِّنينَ والحسابَ ما خَلَقَ ذلكَ إلّا بالحقِّ ﴾ [يونس:٥]، وقولِه تعالى: ﴿ تبارَكَ الَّذي جَعَلَ في السَّماءِ بُروجًا وجَعَلَ فيها سِراجًا وقَمَرًا مُنيرًا ﴾ [الفرقان:٦١]، الآيَةُ ... فَمِنْ أطرفِ الاستدلالِ! فأينَ في هذه الآياتِ ما يدُلُّ على ما يدَّعيهِ المُنجِّمون من كذبهم وبُهتانِهم وافترائهم ؟! ولو كانَ الأمرُ كما يدَّعيهِ هؤلاءِ الكذَّابون لكانَت الدَّلالَةُ والعبرَةُ فيهِ أعظمَ مِنْ مُجرَّدِ الضِّياءِ والنُّورِ والحسابِ، ولكانَ الأليقُ ذِكْرَ ما تَقتضيهِ منَ السَّعدِ والنَّحْسِ وتعطيهِ منَ السَّعادَةِ والشقاوَةِ، وتهبُهُ منَ الأعمارِ والأرزاقِ والآجالِ والصَّنائعِ والعلومِ والمعارفِ والصُّورِ الحيوانيَّة والنَّباتيَّةِ والمَعدنيَّةِ وسائرِ ما في هذا العالمِ من الخَيرِ والشرِّ.

وأمَّا قولُهُ: ﴿ تبارَكَ الَّذي جَعَلَ في السَّماءِ بروجًا وجَعَلَ فيها سراجًا وقمرًا منيرًا ﴾ فهو تَعظيمٌ وثناءٌ منه تعالى على نَفسِهِ، بجَعلِ هذه البروجِ والشمسِ والقمرِ في السَّماءِ.

وقد اختُلِفَ في البُروجِ المذكورَةِ في هذه الآيَةِ، فأكثرُ السَّلفِ على أنَّها القُصورُ أو الكواكبُ العظامُ.

قال ابنُ المنذر في « تَفسيرِهِ »[1] : حدَّثنا موسى : حدَّثنا شُجاعُ : حدَّثنا ابنُ إدريسَ ، عن أبيهِ ، عن عطيَّةَ : ﴿ جعَلَ في السَّماءِ بروجًا ﴾ قال : قصورًا فيها حَرَسٌ .

حدَّثنا موسى : حدَّثنا أبو بكرٍ : حدَّثنا أبو معاويَةَ ووكيعٌ ، عن إسماعيلَ ، عن يحيى بن رافعٍ ، قال : قصورًا في السَّماءِ .

حدَّثنا موسى : حدَّثنا أبو بكرٍ : حدَّثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : بُروجًا يعني : النُّجوم ، وكذلكَ قال عِكرمةُ .

حدَّثنا أبو أحمَدَ : حدَّثنا يَعلى : حدَّثنا إسماعيلُ ، عن أبي صالحٍ : ﴿ تباركَ الذي جعَلَ في السَّماءِ بروجًا ﴾ قال : النُّجوم الكبارُ .

وهذا مُوافِقٌ لمَعنى اللفظَةِ في اللغَةِ ؛ فإنَّ العربَ تسمِّي البناءَ المرتفع بُرجًا ، قال تعالى : ﴿ أينما تَكونوا يُدرِكْكُم الموتُ ولو كُنتمُ في بروجٍ مُشيَّدَةٍ ﴾ [النساءُ : ٧٨] .

وقال الأخطلُ :

كأنَّها برجُ روميٍّ يُشيِّدهُ ... بانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأحجارِ

قال الأعمش : كانَ أصحابُ عبدِاللَّهِ يَقْرؤونها : (تباركَ الَّذي جعَلَ في السَّماءِ قصورًا) .

وأمَّا المتأخِّرون منَ المُفسِّرين فكثيرٌ منهم يذهبُ إلى أنَّها البُروجُ الاثنىٰ عَشر التي تنقسمُ عليها المنازلُ ، كلُّ برجٍ منزلتان وثلاثٌ وهذه المنازلُ الثَّمانيةُ والعشرون يبدو منها للنَّاظرِ أربعَةَ عشر منزلًا أبدًا ، ويَخفى منها أربعَةَ عشر منزلًا ، كما أنَّ البروجَ يظهرُ منها أبدًا ستَّةٌ ، ويَخفى ستَّةٌ ، والعربُ تُسمِّي أربعَةَ

---

(١) يوجد منه قطعة مخطوطة صغيرة في ألمانيا ، وهو كتابٌ - لو وجِدَ - عُجابٌ .

عشرَ منزلًا منها شاميَّةً ، وأربعَة عشر يمانيَّةً ، فأوَّل الشاميَّة السَّرطان ، وآخِرُها السِّماكُ الأعزلُ ، وأوَّلُ اليمانيَّة الغفرُ وآخرها الرِّشا ، إذا طلعَ منها منزلٌ منَ المشرقِ غابَ رقيبُهُ منَ المغربِ ، وهو الخامسَ عشر ، وبها تنقسمُ فصولُ السَّنَةِ الأربع ؛ فللرَّبيعِ منها الحَمَلُ والثَّورُ والجوزاء ، ومنازلها الشرطينُ والبطين والثريَّا والدَّبَران والهقْعَةُ والهنْعَةُ والذِّراعُ ، وللصَّيفِ منها السَّرطان والأسدُ والسُّنبلةُ ومنازلها النَّثرَةُ والطَّرفُ والجبهةُ ، والزّبرَةُ والصَّرفَةُ والعواءُ والسِّماكُ ، وللخريفِ منها الميزان والعقرب والقوس ومنازلها الغفرُ والزّبانُ والإكليلُ والقلبُ والشولةُ والنَّعائمُ والبلدَةُ ، وللشتاءِ منها الجَدْيُ والدَّلوُ والحوتُ ، ومنازلها سعدُ الذَّابح وسعدُ بلعَ وسعد السُّعود وسعد الأخبيَة والفرعُ المقدَّم - ويسمَّى الأوَّل - والفرعُ المؤخَّرُ - ويسمَّى الثَّاني - والرَّشا .

ولمّا كانَ نزولُ القمرِ في هذه المنازلِ معلومًا بالعيانِ والمشاهدَةِ ، ونزولُ الشمسِ فيها إنَّما هو بالحسابِ لا بالرُّؤيَةِ ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نورًا وقدَّرهُ منازلَ ﴾ [يونس:٥]، وقال تعالى : ﴿ والشمسُ تَجري لِمُستقرٍّ لها ذلكَ تَقديرُ العزيزِ العليمِ والقَمَرَ قدَّرْناهُ منازلَ حتى عادَ كالعُرْجون القديم ﴾ [يس : ٣٨ - ٣٩] ، فخَصَّ القمرَ بذكرِ تَقديرِ المنازلِ دونَ الشمسِ وإنْ كانَت مُقدَّرَةَ المنازلِ لظهورِ ذلكَ للحِسِّ في القمرِ ، وظهورِ وتفاوُتِ نُورِهِ بالزِّيادَةِ والنُّقصانِ في كُلِّ منزلٍ منزلٍ ، ولذلكَ كانَ الحسابُ القمريُّ أشهرَ وأعرفَ عندَ الأُمَمِ وأَبعدَ من الغَلَطِ ، وأصحَّ للضَبطِ منَ الحسابِ الشمسيِّ ، ويشتركُ فيهِ النَّاسُ دُونَ الحسابِ الشمسيِّ ، ولهذا قال تعالى في القَمَر : ﴿ وَقَدَّرهُ منازلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ والحسابَ ﴾ [يس :

٣٩] ، ولم يقُل ذلكَ في الشمسِ .

ولهذا كانَت أشهرُ الحجِّ والصَّومِ والأعيادُ ومواسمُ الإسلام إنَّما هي على حسابِ القمرِ وسيرهِ ونزولهِ في منازلِهِ ، لا على حسابِ الشمسِ وسيرها ؛ حكمَةً منَ اللَّهِ ورحمَةً وحِفْظًا لدينهِ لاشتراكِ النَّاسِ في هذا الحسابِ ، وتَعَذُّرِ الغلطِ والخَطَإِ فيهِ ، فلا يدخُلُ في الدِّين منَ الاختلاف والتَّخليط ما دخلَ في دينِ أهلِ الكتابِ[1] .

فهذا الذي أخبرَنا تعالى به مِن شأْنِ المنازل وسيرِ القمرِ فيها ، وجَعْلِ الشمسِ سراجًا وضياءً يُبصرُ به الحيوانُ ، ولولا ذلكَ لم يُبصرِ الحيوانُ ، فأينَ هذا ممَّا يدَّعيهِ الكذَّابون من علمِ الأحكامِ التي كذِبُها أضعافُ صدقِها ؟!

□□□□□

---

(١) وهذا مِن المصنِّف - رحمه اللَّه - ترجيحٌ قويٌّ في إثبات الرؤية ، والردّ على الذين يُلْزِمون بحساب الشمس .

ولشيخهِ شيخ الإسلام ابن تيميّةَ رسالةٌ مُستقلةٌ في هذه المسأَلةِ .

١٥٨ - فَصْلٌ
[تصحيحُ القول في قصّة إبراهيمَ عليه السلام]

وأمَّا ما ذَكَرَهُ عن إبراهيمَ خليلِ الرَّحمن أنَّهُ تمسَّكَ بعلمِ النُّجوم حينَ قال : ﴿ إنِّي سقيمٌ ﴾ فَمِنَ الكذبِ والافتراءِ على خليلِ الرَّحمن ﷺ ، فإنَّهُ ليسَ في الآيةِ أكثرُ مِن أنَّهُ نظرَ نظرَةً في النُّجوم ، ثمَّ قال لهم : ﴿ إنِّي سقيمٌ ﴾ فَمَنْ ظنَّ من هذا أنَّ علمَ أحكامِ النُّجوم من علمِ الأنبياء وأنَّهم كانوا يُراعونهُ ويُعانونهُ فَقَد كَذَبَ على الأنبياء ، ونَسَبَهُم إلى ما لا يليقُ ، وهو مِن جنسِ مَن نَسَبَهم إلى الكهانَةِ والسِّحرِ ، وزَعَمَ أنَّ تلقِّيَهُمُ الغيبَ من جنسِ تلقِّي غيرِهم ، وإنْ كانوا فوقَهم في ذلك لكمالِ نفوسم وقوَّةِ استعدادِها وقَبُولها لفيضِ العُلويَّاتِ عليها !

هؤلاءِ لم يعرفوا الأنبياءَ ولا آمَنوا بهم ، وإنَّما هم عندهم بمنزلَةِ أصحابِ الرِّياضاتِ الذين خُصُّوا بقوَّةِ الإدراكِ وزكاةِ النُّفوس وزكاةِ الأخلاقِ ، ونَصَبُوا أنفسَهم لإصلاحِ النَّاسِ ، وضبطِ أمورِهم .

ولا ريبَ أنَّ هؤلاءِ أبعدُ الخَلْقِ عن الأنبياءِ وأتباعِهم ومعرفتِهم ومعرفَةِ مُرْسِلِهم وما أَرْسَلَهم بهِ ، هؤلاءِ في شأنٍ والرُّسلُ في شأنٍ آخرَ ، بل هم ضدُّهم في علومِهم وأعمالِهم وهَدْيِهم وإرادتِهم وطرائقِهم ومعادِهم ، وفي شَأْنِهم كُلِّه .

ولهذا نجدُ أتباعَ هؤلاءِ ضدَّ أَتباعِ الرُّسل في العلومِ والأعمالِ والهُدى والإراداتِ .

ومتى بعثَ اللَّهُ رسولًا يُعاني التَّنجيمَ والزِّيجاتِ والطَّلْسَمات والأوفاق

والتَّداخين والبَخورات ومعرفَة القِراناتِ والحُكمِ على الكواكبِ بالسُّعودِ والنُّحوسِ والحرارَةِ والبرودَةِ والذُّكورةِ والأُنوثَةِ ! وهل هذا إلّا صنائعُ المشركين وعلومُهم ؟

وهل بُعثتِ الرُّسل إلّا بالإنكارِ على هؤلاءِ ومَحْقِهم ومَحْقِ علومهم وأعمالهم منَ الأرضِ ؟ وهل للرُّسلِ أعداءٌ بالذَّاتِ إلّا هؤلاءِ ومَن سَلَكَ سبيلَهم ؟

وهذا معلومٌ بالاضطرارِ لكُلِّ مَنْ آمَنَ بالرسلِ صلواتُ اللَّهِ وسلامهُ عليهم ، وصَدَّقَهُم فيما جاؤا بهِ وعَرَفَ مُسمَّى رسولِ اللَّهِ ، وعرفَ مُرْسِلَهُ ، وهل كانَ لإبراهيم الخليل عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام عَدُوٌّ مثلُ هؤلاءِ المُنجِّمين الصَّابئين ، وحَرَّانُ[1] كانَت دارَ مملكتِهم ، والخليلُ أعدى عدوٍّ لهم .

وهم المشركون حقًّا ، والأصنام التي كانوا يعبدونها كانَت صُورًا وتماثيلَ للكواكبِ ، وكانوا يتَّخِذونَ لها هياكلَ - وهي بيوتُ العباداتِ - لكلِّ كوكبٍ منها هيكلٌ ، فيهِ أصنامٌ تناسِبُهُ ، فكانَت عبادتُهم للأصنامِ وتعظيمُهم لها تعظيمًا منهم للكواكبِ الَّتي وضعوا الأصنامَ عليها ، وعبادَةً لها .

وهذا أقوى **السَّببين** في الشركِ الواقعِ في العالَمِ ، وهو الشركُ بالنُّجوم وتَعظيمُها ، واعتقادُهُ أنَّها أُحْياءٌ ناطِقةٌ ، ولها روحانيَّاتٌ تتنزَّلُ على عائديها ومُخاطِبيها ، فصوَّروا لها الصُّورَ الأرضيَّةَ ، ثم جعلوا عبادتَها وتَعظيمَها ذريعَةً إلى عبادَةِ تلكَ الكواكبِ واستنزالِ رَوحانيَّاتها ، وكانَت الشياطينُ تتنزَّلُ عليهم وتخاطبُهم وتُكَلِّمُهُم وتُريهم منَ العجائبِ ما يَدْعُوهم إلى بَذْل نفوسِهم وأولادهم وأموالهم لتلكَ الأصنام والتَّقرُّبِ إليها ، وكانَ مبدأُ هذا الشرك تعظيمَ

(١) انظر « معجم ما استعجم » (١ / ٤٣٥) للبكري .

الكواكبِ وظنِّ السُّعود والنُّحوس وحُصولَ الخَيرِ والشرِّ في العالمِ منها ، وهذا هو شركُ خواصِّ المشركين وأربابِ النَّظر منهم ، وهو شركُ قومِ إبراهيم عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام .

والسَّببُ الثَّاني : عبادَةُ القبورِ ، والإشراكُ بالأمواتِ ، وهو شركُ قومِ نوحٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، وهو أوَّلُ شركٍ طَرَقَ العالَمَ ، وفِتْنَتُهُ أعمُّ ، وأهلُ الابتلاء بهِ أكثرُ ، وهم جُمهورُ أهلِ الإشراك .

وكثيرًا ما يجتمعُ السَّببانِ في حقِّ المشركِ يكونُ مَقابريًّا نُجوميًّا ، قال تعالى عن قومِ نوحٍ : ﴿ **وقالوا لا تَذرُنَّ آلِهَتَكُم ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا** ﴾ [نوح:٢٣] .

قال البُخاريُّ في « صحيحه »[١]: قال ابنُ عبَّاس : كانَ هؤلاءِ رجالًا صالحين من قومِ نُوحٍ ، فلمَّا هَلَكُوا أوحى الشياطينُ إلى قومِهم أَنِ انصِبُوا على مجالسِهم التي كانوا يجلِسُون عليها أنصابًا ، وسَمُّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد حتى إذا هَلَكَ أولئكَ ، ونُسخَ العلمُ ، عُبدَت .

ولهذا لعنَ النَّبيُّ ﷺ الذين اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ[٢]، ونَهى عن الصَّلاةِ إلى القبورِ[٣] .

وقال : « اللهمَّ لا تجعل قَبْري وثنًا يُعبدُ »[٤] .

---

(١) (٤٩٢٠) .
وقد تُكُلِّم في سنده بما لا ينهضُ ! وردّه الحافظُ ابنُ حَجَرٍ ، فراجع « الفتح » (٨ / ٦٦٧ - ٦٦٨) .

(٢) رواه البخاري (٤٣٥) و (١٣٣٠) ، ومسلم (٥٣١) عن عائشة .

(٣) رواه مسلم (٩٧٢) عن أبي مَرْثَدٍ الغَنَويِّ .

(٤) رواه مالكٌ في « الموطأ » (١٧٢١) وابنُ سعد في « الطبقات » (٢ / ٢٤٠) =

وقال : « اشتدَّ غضبُ اللَّهِ على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد »[1].

وقال : « إنَّ مَن كانَ قبلكم كانوا يتَّخذون قبورَ أنبيائهم مساجدَ ، أَلَا فلا تَتَّخذوا القبورَ مساجدَ ، فإنِّي أنهاكم عن ذلكَ »[2] .

وأخبرَ أنَّ هؤلاء شرارُ الخَلقِ عندَ اللَّهِ يومَ القيامَةِ[3] .

وهؤلاءِ هم أعداءُ نوحٍ ، كما أنَّ المشركين بالنُّجوم أعداءُ إبراهيم ؛ فنوحٌ عاداه المشركون بالقبور ، وإبراهيمُ عاداه المشركون بالنُّجومِ ، والطَّائفتان صوَّروا الأَصنامَ على صُورِ معبوديهم ، ثمَّ عبدوها ، وإنَّما بُعِثَتِ الرُّسلُ بمَحْقِ الشركِ مِنَ الأرضِ ، ومَحْقِ أهلِهِ وقَطْعِ أسبابِهِ ، وهَدْمِ بيوتِهِ ، ومُحاربةِ أهلِهِ ، فكيفَ

= من طريق زيد بن أَسلم عن عطاء بن يسار مُرْسلًا .

وهذا سندٌ مرسلٌ صحيحٌ .

ويشهدُ له - ويُقَوِّيهِ - ما رواه أَحمد (٢ / ٢٤٦) ، والحُميدي (١٠٢٥) ، وأَبو يعلى (٤٦٨١) ، وأَبو نعيم (٦ / ٢٨٣) و (٧ / ٣١٧) ، وابن سعد (٢ / ٢٤١) مِن طريق حمزة بن المغيرة ، عن سهيل بن أَبي صالح عن أَبيه عن أَبي هُريرة .

وحمزة (رجلُ الكوفة) كما قال هاشم بن القاسم .

وقال ابنُ معين : ليس به بأْس .

وروى عنه جماعةٌ ، ووثَّقه ابن حبَّان والعِجْليّ .

انظر « تهذيب الكمال » (٧ / ٣٤٠) .

(١) قطعة من الحديث السابق .

(٢) رواه مسلم (٢٣٢) عن جُنْدُب .

(٣) رواه أَحمد (١ / ٤٧٥) ، وابن أَبي شيبة (٣ / ٣٤٥) ، وابن خزيمة (٧٨٩) ، وابن حبَّان (٣٤٠) ، والطبراني في « الكبير » (١٠٤١٣) .

وعلَّق البخاريُّ في « صحيحه » (١٣ / ١٤) القطعة الأُولى منه .

وجوَّد شيخُ الإِسلام في « الاقتضاء » (ص ٣٣٠) سَنَدَهُ، وحسَّنه الهيثمي (٢ / ٢٧) .

يُظَنُّ بإمامِ الحُنفاء وشيخ الأنبياء وخليلِ ربِّ الأرضِ والسَّماء أنَّهُ كانَ يتعاطى علمَ النُّجوم ، ويأخذُ منهُ أَحكامَ الحوادثِ ؟!

سبحانكَ هذا بهتانٌ عظيمٌ .

وإنَّما كانَت النَّظرَةُ التي نَظَرَها في علمِ النُّجومِ من معاريضِ الأفعالِ ، كما كانَ قولُهُ : ﴿ فَعَلَهُ كبيرُهم هذا ﴾ وقولُهُ : ﴿ إنِّي سقيمٌ ﴾ وقولُهُ عن امرأتهِ سارَةَ : « هذه أُختي »[1] مِن معاريضِ المقالِ لِيَتَوَصَّلَ بها إلى غَرَضهِ من كسرِ الأصنامِ ، كما توصَّلَ بتعريضهِ بقولهِ : « هذه أُختي » إلى خلاصِها من يد الفاجرِ .

ولمّا غَلُظَ فَهْمُ هذا عن كثيرٍ من النَّاسِ ، وكَثُفَت طِباعُهم عن إدراكهِ ، ظنُّوا أنَّ نَظَرَهُ في النُّجومِ ليستنبطَ منها علمَ الأحكامِ ! وعَلِمَ أنَّ نَجْمَهُ وطالِعَهُ يقضي عليهِ بالسَّقم !! وحاشى للَّهِ أنْ يُظَنَّ ذلكَ بخليلهِ ﷺ أو بأحدٍ من أتباعهِ.

وهذا من جنسِ معاريضِ يوسُفَ الصِّدِّيق ﷺ حينَ تَفتيشِ أوعيَةِ أخيهِ عن الصَّاعِ ، فإنَّ المفتِّش بدأ بأوعيتِهم مع علمهِ أنَّهُ ليسَ فيها ، وأخَّر وعاءَ أخيهِ مع علمهِ أنّهُ فيها ، تَعريضًا بأنَّهُ لا يعرفُ في أيِّ وعاءٍ هي ، ونفيًا للتُّهمَةِ عنهُ بأنَّهُ لو كانَ عالمًا في أيِّ الأوعيَةِ هي لَبَادَرَ إليها ، ولم يُكلِّفْ نفسَهُ تَعَبَ التَّفتيشِ لغيرها .

فلهذا نَظَرَ الخليلُ ﷺ في النُّجومِ نظرَ توريَةٍ وتَعريضٍ مَحْضٍ ، ينفي به عنهُ تُهمَةَ قومهِ ويتوصَّلُ به إلى كيدِ أصنامهم .

---

(١) كما في الحديث المتقدّم (٢ / ٣٩٥) .

١٥٩ - فَصْلٌ

[المُراد بـ « خَلْق » السموات والأَرض]

وأمَّا الاستدلالُ بقوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ أكبرُ مِن خَلقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] ، وأنَّ المُرادَ بِهِ كِبَرُ القَدْرِ والشرفِ ، لا كبرُ الجُثَّةِ ! ففي غايةِ الفسادِ ؛ فإنَّ المُرادَ من الخَلْقِ ها هُنا الفِعلُ ، لا نفسُ المفعولِ ، وهذا مِن أبلغِ الأدلَّةِ على المَعادِ ، أي : أنَّ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ - وخَلْقُها أكبرُ من خلقِكم - كيفَ يُعْجِزهُ خَلْقُكُم بعدما تموتون خَلْقًا جديدًا ؟ ونظيرُ هذا في قولِهِ : ﴿ أوَلَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مثلهم ﴾ [يس : ٨١] ، أي : مثل هؤلاءِ المنكرين .

فهذا استدلالٌ بشمولِ القُدرَةِ للنَّوعين ، وأنَّها صالحَةٌ لهما ، فلا يجوزُ أَنْ يَثْبُتَ تعلُّقُها بأحدِ المقدورين دونَ الآخَر ، فكذلك قولُهُ : ﴿ لَخَلْقُ السَّمواتِ والأرضِ أكبرُ مِن خَلقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] ، أي : مَن لم تَعْجَزْ قدرتُهُ عن خَلْقِ العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ ، كيفَ يعجَزُ عن خَلْقِ النَّاسِ خَلْقًا جديدًا بعدَ ما أماتَهُم ؟

ولا تعرُّضَ في هذا لأحكامِ النُّجومِ بوجهٍ قطُّ ، ولا لتأثيرِ الكواكبِ .

وأمَّا قولهُ تعالى : ﴿ ويَتفكَّرون في خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ ربَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا ﴾ [آل عمران : ١٩١] ، فلا ريب أنَّ خَلْقَ السَّمواتِ والأرضِ من أعظمِ الأدلَّةِ على وجودِ فاطرِهما وكمالِ قُدرتهِ وعلمِهِ وحكمتهِ وانفرادهِ بالرُّبوبيَّةِ

والوَحدانيَّةِ ، ومَنْ سوَّى بينَ ذلكَ وبينَ البَقَّةِ وجَعَلَ العِبرَةَ والدَّلالَةَ والعلمَ بوجودِ الرَّبِّ الخالقِ البارئِ المُصوِّر منهما سواءً ، فَقَد كابَرَ ، واللَّهُ سبحانهُ إنَّما يَدعو عبادَهُ إلى النَّظرِ والفكرِ في مخلوقاتهِ العِظَامِ لظهورِ أَثَرِ الدَّلالَةِ فيها ، وبديعِ عجائبِ الصَّنعَةِ والحكمَةِ فيها ، واتِّساعِ مجالِ الفكرِ والنَّظرِ في أرجائها، وإلّا :

ففي كُلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ تَدُلُّ على أنَّهُ واحدُ

ولكنْ ؛ أينَ الآيَةُ والدَّلالَةُ في خَلْقِ العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ إلى خَلقِ القملَةِ والبرغوثِ والبَقَّةِ ؟ فكيفَ يسمحُ لعاقلٍ عقلُهُ أن يُسوِّي بينهما ، ويجعلَ الدَّلالَةَ من هذا كالدَّلالَةِ منَ الآخرِ ؟! واللَّهُ سبحانهُ إنَّما يذكُرُ من مخلوقاتهِ للدَّلالَةِ عليهِ أشرفَها وأظهرَها للحِسِّ والعَقلِ ، وأَبْيَنَها دلالَةً ، وأَعْجَبَها صَنعَةً ؛ كالسَّماءِ والأرضِ والشمسِ والقمرِ والليلِ والنَّهارِ والنُّجومِ والجبالِ والسَّحابِ والمطرِ ، وغير ذلكَ من آياتهِ ، ولا يدعو عبادَهُ إلى التَّفكُّرِ في القَمْلِ والبراغيثِ والبَعُوضِ والبقِّ والكلابِ والحشرات ونحوها ! وإنَّما يذكُرُ ما يذكرُ من ذلكَ في سياقِ ضَرْبِ الأمثالِ مُبالغَةً في الاحتقارِ والضَّعفِ؛ كقوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِن دونِ اللهِ لن يَخْلُقوا ذُبابًا وَلو اجتَمعوا لهُ وإنْ يَسْلُبْهُم الذُّبابُ شيئًا لا يستنقذوهُ منهُ ﴾ [الحج : ٧٣] ، فهنا لم يذكر الذُّبابَ في سياقِ الدَّلالَةِ على إثباتِ الصَّانع تعالى ، وكذلك قولُه : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أن يضربَ مثَلًا ما بَعُوضَةً فما فَوقها ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وكذلك قولُه : ﴿ مَثَلُ الَّذين اتَّخذوا مِن دونِ اللهِ أولياءَ كمثلِ العنكبوتِ اتَّخَذَتْ بيتًا وإنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لبَيتُ العنكبوت ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

فتأمَّلْ ذِكْرَ هذه المخلوقاتِ الحقيرةِ في أيِّ سياقٍ ، وذِكْرَ المخلوقاتِ

العظيمَةِ في أيِّ سياق !

وأمَّا قولُ مَنْ قال مِنَ المُتكلِّمين المتكلِّفين : إنَّ دلالَةَ حُصولِ الحياةِ في الأبدانِ الحيوانيَّةِ أقوى من دلالَةِ السَّمواتِ والأرضِ على وُجودِ الصَّانع تعالى !

فبناءُ هذا القائلِ على الأصلِ الفاسدِ ، وهو إثباتُ الجوهرِ الفردِ ، وأَنَّ تأثيرَ الصَّانعِ تعالى في خَلْقِ العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ هو تركيبُ تلكَ الجواهرِ وتأليفُها هذا التَّأليفَ الخاصَّ ، والتَّركيبُ جنسُهُ مقدورٌ للبشرِ وغيرِهم ، وأمَّا الإِحدْاثُ والاختراعُ فلا يقدرُ عليهِ إلّا اللَّهُ .

والقولُ بالجوهرِ الفردِ وبناءُ المبدأ والمعادِ عليهِ ممَّا هو من أُصولِ المتكلِّمين الفاسدَةِ التي نازَعَهُم فيها جمهورُ العُقلاء ، قالوا : وخَلْقُ اللَّهِ تعالى وإحْداثُهُ لِمَا يُحْدِثُهُ من أجسامِ العالمِ هو إحداثٌ لأجزائِها وذواتِها لا مُجَرَّد تركيبِ الجواهرِ مُنفردَةً ، ثمَّ قَد فَرَغَ من خَلْقِها وصُنعِهِ وإبداعِهِ الآنَ ، إنَّما هو في تأليفها وتركيبِها .

وهذا من أقوالِ أهلِ البدعِ التي ابتدعُوها في الإسلامِ ، وبَنَوْا عليها المعادَ وحُدوثَ العالمِ ، فسلَّطوا عليهم أعداءَ الإسلامِ ولم يُمْكِنْهُم كَسْرُهم ، لمّا بنوا المبدأَ والمعادَ على أمرٍ وهميٍّ خياليٍّ وظنُّوا أنَّهُ لا يتمُّ لهم القولُ بحدوثِ العالمِ وإعادَةِ الأجسامِ إلّا به ! وأقامَ مُنازِعُوهم حُججًا كثيرَةً جدًّا على بطلانِ القولِ بالجوهرِ ، واعترفوا هم بقوَّةِ كثيرٍ منها وصحَّتهِ ، فأوقعَ ذلكَ شكًّا لكثيرٍ منهم في أمرِ المبدأ والمعادِ لبنائِهِ على شفا جرفٍ هارٍ .

وأمَّا أَئمَّةُ الإسلامُ وفُحولُ النُّظَّار فلم يعتمدوا على هذه الطَّريقَةِ ، وهي عندهم أضعفُ وأوهى من أن يَبْنُوا عليها شيئًا منَ الدِّين ، فَضْلًا عن حُدوثِ

العالمِ وإعادَةِ الأجسامِ ، وإنَّما اعتمدوا على الطُّرقِ التي أرشدَ اللَّهُ سبحانهُ إليها في كتابهِ ، وهي حدوثُ ذاتِ الحيوانِ والنَّباتِ ، وخَلْقُ نَفسِ العالمِ العُلويِّ والسُّفليِّ ، وحدوثُ السَّحابِ والمطرِ والرِّياحِ وغيرها من الأجسامِ التي يُشاهَدُ حدوثُها بذواتها لا مُجرَّدُ حدوثِ تأليفها وتركيبها .

فعندَ القائلينَ بالجوهرِ لا يُشْهَدُ أنَّ اللَّهَ أحدثَ في هذا العالمِ شيئًا من الجواهرِ ، وإنَّما أحدثَ تأليفَها وتركيبَها فقط ! وإنْ كانَ إِحداثُهُ بجواهره سابقًا مُتقدِّمًا قبلَ ذلكَ ، وأمَّا الآنَ فإنَّما تحدثُ الأعراضُ من الاجتماعِ والافتراقِ والحركةِ والسُّكونِ فقط ! وهي الأكوانُ عندهم ! وكذلك المعادُ ؛ فإنَّهُ سبحانهُ يُفَرِّقُ أجزاءَ العالمِ وهو إعدامُهُ ، ثمَّ يُؤلِّفُها ويجمعُها ؛ وهو المعادُ !

وهؤلاءِ احتاجوا إلى أَنْ يستدلُّوا على كونِ عَينِ الإنسانِ وجوهرِهِ مخلوقَةً ، إذ المُشاهَدُ عندهم بالحِسِّ دائمًا هو حدوثُ أعراضٍ في تلكَ الجواهرِ منَ التَّأليفِ الخالصِ ، وزعموا أنَّ كُلَّ ما يُحْدِثُهُ اللَّهُ منَ السَّحابِ والمطرِ والزُّروعِ والثِّمارِ والحيوانِ فإنَّما يُحْدِثُ فيهِ أعراضًا ، وهي جمعُ الجواهرِ التي كانَت موجودَةً وتفريقُها !

وزعموا أنَّ أحدًا لا يعلمُ حُدوثَ عَينٍ منَ الأعيانِ بالمشاهدَةِ ولا بضرورَةِ العقلِ ، وإنَّما يُعْلَمُ ذلكَ بالاستدلالِ !

وجمهورُ العقلاءِ من الطَّوائفِ يُخالفون هؤلاءِ ، ويقولون : الرَّبُّ لا يزالُ يُحْدِثُ الأعيانَ كما دلَّ على ذلكَ الحِسُّ والعقلُ والقرآنُ ؛ فإنَّ الأجسامَ الحادثَةَ بالمُشاهَدَةِ ذواتُها وأجزاؤُها حادثَةٌ بعدَ أن لم تكن جواهرَ مُفرَّقَةً فاجتمعتْ ، ومَن قال غيرَ ذلكَ فَقَد كابَر الحِسَّ والعقلَ ، فإنَّ كونَ الإنسانِ

والحيوانِ مَخْلُوقًا مُحْدَثًا كائنًا بعدَ أن لم يكُن أمرٌ معلومٌ بالضَّرورَةِ لجميعِ النَّاسِ ، وكلُّ أحدٍ يعلمُ أنَّهُ حَدَثَ في بطنِ أمِّهِ بعدَ أَنْ لم يكن ، وأَنَّ عينَهُ حدثَت ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَقَد خَلَقْتُكَ مِن قبلُ وَلَم تَكُ شيئًا ﴾ [مريم : ٩١] .

وليسَ هذا عندهم ممَّا يُستدَلُّ عليهِ ؛ بل يُسْتَدَلُّ بهِ ؛ كما هي طريقَةُ القرآنِ ؛ فإنَّهُ جعلَ حُدوثَ الإنسانِ وخَلْقَه دليلًا ، لا مدلولًا عليهِ .

وقولُهم : إنَّ الحادثَ أعراضٌ فقط ، وأنَّهُ مركَّبٌ من الجواهرِ المفردَةِ ! قولانِ باطلانِ ، بل يُعْلَمُ حدوثُ عينِ الإنسانِ وذاتِهِ وبُطلانُ الجوهرِ الفَردِ ، ولو كانَ القولُ بالجوهرِ صحيحًا لم يكُن معلومًا إلّا بأدلَّةٍ خفيَّةٍ دقيقَةٍ ، فلا يكونُ مِن أصولِ الدِّين ، بل ولا مُقدِّمَةً فيها ، فطريقتُهم تتضمَّنُ جحدَ المعلومِ وهو حدوثُ الأعيانِ الحادثَةِ وذواتِها ، وإثباتَ ما ليسَ بمعلومٍ - بل هو باطلٌ - وهو إثباتُ الجوهرِ الفردِ !

وليسَ هذا موضعَ استقصاء هذه المسألةِ .

والمقصودُ الكلامُ على قولِهِ : إنَّ الاستدلالَ بحُصولِ الحياةِ في بُنيةِ الحيوانِ على وجودِ الصَّانع أقوى من دلالَةِ تركيبِ الأجرامِ الفَلَكيَّةِ ! وهو مبنيٌّ على هذا الأصلِ الفاسد .

□□□□□

١٦٠ - فَصْلٌ

[ردٌّ استدلالٍ عجيب]

وأمَّا استدلالُهُ بقوله تعالى : ﴿ وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بينهما باطِلًا ﴾ [ص : ٢٧] ، فَعَجَبٌ مِنَ العَجَبِ ! فإنَّ هذا من أقوى الأدلَّةِ وَأَبْيَنِها على بُطلانِ قولِ المُنجِّمين والدَّهريَّةِ الذين يُسنِدون جميعَ ما في العالمِ منَ الخَيرِ والشرِّ إلى النُّجومِ وحَرَكاتها واتِّصالاتها ! ويزعُمون أنَّ ما تأتي به منَ الخيرِ والشرِّ فعَن تعريفِ الرُّسلِ والأنبياءِ ، وكذلكَ ما تُعطيهِ منَ السُّعودِ والنُّحوسِ !

وهذا هو السَّبب الذي سُقنا الكلامَ لأجلِهِ معهم لَمّا حَكَيْنا قولَهم أنَّهُ لمّا كانَت الموجوداتُ في العالَم السُّفلي مُترتِّبَةً على تأثيرِ الكواكبِ والرُّوحانيَّات الّتي هي مُدبِّراتُ الكواكبِ ، وإنْ كانَ في اتِّصالاتها نَظَرُ سعدٍ ونحسٍ وَجَبَ أنْ يكونَ في آثارها حُسْنٌ وقُبْحٌ في الخَلْقِ والأخلاقِ .

والعقولُ الإنسانيَّةُ مُتساويَةٌ في النَّوعِ ، فَوَجَبَ أنْ يُدْرِكَها كُلُّ عقلٍ سليم ، ولا يتوقَّفُ إدراكُها على مَن هو مثلُ ذاكَ العاقلِ في النَّوعِ ، ﴿ ما هذا إلّا بشرٌ مثلُكُم يريدُ أن يتفضَّل عليكم ﴾ [المؤمنون : ٢٤] إلى آخرِ كلامِكم المتضمِّنِ خَلْقَ السَّمواتِ والأرضِ بغيرِ أمرٍ ولا نَهيٍ ولا ثوابٍ ولا عقابٍ !

وهذا هو الباطلُ الذي نفاهُ اللّهُ سبحانهُ عن نفسهِ ، وأخبرَ أنَّهُ ظَنُّ أعدائهِ الكافرين ، ولهذا اتَّفقَ المفسِّرون على أنَّ الحقَّ الذي خُلِقَت بهِ السَّمواتُ والأرضُ هو الأمرُ والنَّهي وما يترتَّب عليهما منَ الثَّوابِ والعقاب ، فَمَنْ جحَدَ

ذلكَ وَجَحَدَ رسالَةَ الرُّسل ، وكَفَرَ بالمعادِ وأحالَ حوادثَ العالَم على حركاتِ الكواكبِ ، فَقد زَعَمَ أنَّ خَلْقَ السَّمواتِ والأرضِ أبطلُ الباطلِ ، وأنَّ العالمَ خُلِقَ عَبَثًا ، وتُرِكَ سُدىً ، وخُلِّي هَمَلًا ، وغايَةُ ما خُلِقَ لهُ أنْ يكونَ مُتمتِّعًا باللذَّاتِ الحِسّيَّةِ كالبهائم في هذه المدَّةِ القصيرَةِ جدًّا ، ثمَّ يُفارِقُ الوجودَ وتُحْدِثُ حركاتُ الكواكبِ أشخاصًا مثلَهُ هكذا أبدًا ! فأيُّ باطلٍ أبطلُ من هذا ؟ وأيُّ عبثٍ فوقَ هذا ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُم أنَّما خَلَقْناكُم عَبَثًا وأنَّكُم إلينا لا تُرْجَعُون فتعالى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إلهَ إلّا هو ربُّ العرشِ الكريم ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

والحقُّ الذي خُلقَت بهِ السَّمواتُ والأرضُ وما بينهما هو إلهيَّةُ الرَّبِّ المُتضمِّنَةُ لكمالِ حِكمتهِ ومُلكهِ ، وأمرهِ ونهيهِ ، المتضمِّنِ لشرعهِ وثوابهِ وعقابهِ ، المتضمِّنِ لعدلهِ وفضلهِ ولقائهِ ، فالحقُّ الذي وُجدَ به العالَمُ كونُ اللَّهِ سبحانهُ هو الإلهَ الحقَّ المعبودَ ، والآمرَ النَّاهي المتصرِّف في الممالك بالأَمرِ والنَّهي ، وذلكَ يستلزمُ إرسالَ الرُّسلِ وإكرامَ مَن استجابَ لهم وتمامَ الإنعامِ عليهِ ، وإهانَةَ مَنْ كَفرَ بهم وكذَّبهم ، واختصاصَه بالشفاءِ والهلاكِ ، وذلكَ معقودٌ بكمالِ حِكمَةِ الرَّبِّ تعالى وقُدرتهِ وعلمهِ وعدلهِ وتمامِ ربوبيّتهِ وتصرُّفهِ وانفرادهِ بالإلهيَّةِ ، وجَرَيان المخلوقاتِ على مُوجَبِ حكمتهِ وإلهيَّتهِ ومُلكهِ التَّامِّ ، وأنَّهُ أَهلٌ أَنْ يُعْبَدَ ويُطاعَ ، وأنَّهُ أولى مَن أكرمَ أحبابَه وأولياءَه بالإكرامِ الذي يليقُ بعظمتهِ وغِناهُ وجُودهِ ، وأهانَ أعداءَهُ المُعْرِضين عنه الجاحدين لهُ المشركين بهِ المُسوِّين بينهُ وبينَ الكواكبِ والأوثانِ والأصنامِ في العبادَةِ بالإهانَةِ التي تَليقُ بعظمتهِ وجلالهِ وشدَّةِ بأسهِ فهو اللَّهُ العزيزُ العليمُ غافرُ الذَّنبِ ، وقابلُ التَّوبِ شديدُ العقاب ذو الطَّوْلِ ، لا إلهَ إلّا هوَ إليهِ المَصير ، وهو ذو الرَّحمَةِ الواسعَةِ الذي لا يُرَدُّ بأسُهُ عن القومِ

المجرمين ، أَلَا لهُ الخَلقُ والأمرُ تباركَ اللَّهُ ربُّ العالَمين ، وهو سبحانهُ خَلقَ العالمَ العُلويَّ والسُّفليَّ بسببِ الحقِّ ولأجلِ الحقِّ وضمَّنهُ الحقَّ ، فبالحقِّ كانَ وللحقِّ كانَ وعلى الحقِّ اشتمل ، والحقُّ هو توحيدُهُ وعبادتُهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، ومُوجَبُ ذلكَ ومُقتضاه ، وقامَ بعدلهِ الذي هو الحقُّ وعلى الحقِّ اشتملَ ، فما خَلَقَ اللَّهُ شيئًا إلّا بالحقِّ وللحقِّ ، ونَفْسُ خَلقهِ لهُ حَقٌّ ، وهو شاهدٌ من شواهدِ الحقِّ ، فإنَّ أحقَّ الحقِّ هو التَّوحيدُ ، كما أنَّ أظلمَ الظُّلمَ هو الشركُ(١).

ومخلوقاتُ الرَّبِّ تعالى كلُّها شاهدةٌ لهُ بأنَّهُ اللَّهُ الذي لا إلهَ إلّا هو ، وأنَّ كُلَّ معبودٍ باطلٌ سواه، وكلَّ مخلوقٍ شاهدٌ بهذا الحقِّ ؛ إمَّا شهادةَ نُطقٍ ، وإمَّا شهادةَ حالٍ ، وإنْ ظَهَرَ بفعلِهِ وقولِهِ خلافُها كالمشركِ الذي يشهدُ حالُ خلقهِ وإبداعهِ وصُنعهِ لخالقهِ وفاطرهِ أنَّهُ اللَّهُ الذي لا إلهَ إلّا هو ، وإنْ عَبدَ غيرَهُ ، وزعمَ أنَّ لهُ شريكًا ، فشاهِدُ حالِه مُكذِّبٌ لهُ مُبْطِلٌ لشهادَةِ فعلِهِ وقاله .

وأمَّا قولُهُ : إنَّهُ لا يُمكِن أَنْ يقال : المرادُ أنَّهُ خَلقَها على وجهٍ يُمْكِنُ الاستدلالُ بها على الصَّانع الحكيم ... إلى آخرِ كلامهِ .

فَيُقال لهُ : إذا كانَت دلالتُها على صانعها أمرًا ثابتًا لها لذواتها ، وذواتُها إنَّما وُجِدَتْ بإيجادهِ وتكوينهِ ، كانَت دلالتُها بسببِ فعلِ الفاعلِ المختارِ لها ، ولكنَّ هذا بناءٌ منهُ على أصلٍ فاسدٍ يُكرِّرهُ في كُتُبهِ ، وهو أنَّ الذَّواتَ ليسَت بمجعُولةٍ ، ولا تتعلَّقُ بفعلِ الفاعلِ ! وهذا مِمَّا أنكرهُ عليهِ أهلُ العلمِ والإيمانِ ، وقالوا : إنَّ كونَها ذواتًا ، وإنَّ وجودَها وأوصافَها وكُلَّ ما يُنْسَبُ إليها هو بفعلِ

---

(١) أَفلا يعقلُ هذا الكلامَ (الحقَّ) أُولئك النَّاسُ المُهَوِّنون مِن أَمر التوحيد ! الذين لا يُعْطونَه قَدْرَه (الحقَّ) ، وقيمتَه الواجبةَ له !!؟

الفاعلِ ، فكونُها ذواتًا وما يَتْبَعُ ذلكَ مِن دلالتِها على الصَّانع كلُّه بِجَعْلِ الجاعلِ ، فهو الذي جعلَ الذَّواتَ والصِّفاتِ ، وثبوتُ دلالتها لذاتها لا تنفي أنْ تكونَ بَجْعلِ الجاعلِ ، فإنَّهُ لمَّا جَعَلَها على هذه الصِّفَةِ مُستلزِمَةً لدلالتها عليهِ كانَت دلالتُها عليهِ بجعلهِ .

فإنْ قيلَ : لو قُدِّرَ عدمُ الجاعلِ لها لم يرتفعْ كونُها ذواتًا ، ولو كانَت ذواتًا بِجَعْلهِ لارْتَفَعَ كونُها ذواتًا بتقديرِ ارتفاعه !

قيلَ : ما تعني بكونها ذواتًا وماهيَّاتٍ ؟ أتَعني به تحقُّقَ ذلكَ في الخارج أو في الذِّهنِ ؟ أو أعمَّ منها ؟

فإنْ عَنَيْتَ الأوَّلَ ، فلا ريبَ في بُطلانِ كونها ذواتًا وماهيَّاتٍ على تَقديرِ ارتفاعِ الجاعلِ ، وإنْ عَنَيْتَ الثَّاني فالصُّورُ الذِّهنيَّةُ مجعولَةٌ لهُ أيضًا ، لأنَّهُ هو الذي عَلِمَ فأَوْجَدَ الخلائقَ الذِّهنيَّة في العلمِ ، كما أنَّهُ الذي خَلَقَ فأوجدَ الحقائقَ الذِّهنيَّة في العَيْنِ ، فهو الأكرمُ الذي خَلَقَ وعلَّم ، فما في الذِّهنِ بتعليمهِ ، وما في الخارجِ بخَلْقهِ ، وإنْ عنيتَ القَدْرَ المشتركَ بينَ الخارجِ والذِّهن - وهو مُسمَّى كونها ذواتًا وماهيَّاتٍ بقَطْعِ النَّظَرِ عن تَقييدهِ بالذِّهنِ أو الخارجِ - قيلَ لكَ : هذه ليسَت بشيءٍ البتَّة ، فإنَّ الشيءَ إنَّما يكونُ شيئًا في الخارجِ أو في الذِّهنِ والعلمِ ، وما ليسَ لهُ حقيقَةٌ خارجيَّةٌ ولا ذهنيَّةٌ فليسَ بشيءٍ ، بل هو عَدَمٌ صِرْفٌ ، ولا ريبَ أنَّ العَدَمَ ليسَ بفعلِ فاعلٍ ولا جَعْلِ جاعلٍ .

فإنْ قيلَ : هي لا تنفكُّ عن أحدِ الوُجودين ، إمَّا الذِّهنيُّ وإمَّا الخارجيُّ ، ولكنْ نحن أَخَذْناها مُجرَّدَةً عن الوجودين ، ونَظَرْنا إليها من هذه الحيثيَّةِ وهذا

الاعتبارِ ، ثمَّ حَكَمْنا عليها بِقَطْعِ النَّظرِ عن تقيُّدها بذهنٍ أو خارجٍ .

قيلَ : الحُكْمُ عليها بشيءٍ ما يستلزمُ تصوُّرَها لِيُمْكِنَ الحكمُ عليها ، وتصوُّرُها مع أخذِها مُجرَّدَةً عن الوجودِ والذِّهن مُحالٌ !

فإنْ قيلَ : مُسلَّمٌ أَنَّ ذلكَ مُحالٌ ، ولكنْ إذا أخَذْناهُ مع وُجودِها الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ فهُنا أمرانِ : حقيقتُها وماهيَّتُها ، والثَّاني : وجودُها الذِّهنيُّ أو الخارجيُّ ، فنحنُ أَخَذْناها موجودَةً ، وحَكَمْنا عليها مُجرَّدَةً ، فالحُكمُ على جُزءِ هذا المأخوذِ المُتَصوَّر .

قيل : هذا القدرُ المأخوذُ عَدَمٌ مَحْضٌ - كما تقدَّمَ - والعَدَمُ لا يكونُ بجعلِ جاعلٍ، ونُكتَةُ المسألةِ أنَّ الذَّواتَ مِن حيثُ هي ذواتٌ إمَّا أنْ تكونَ وجودًا أو عَدَمًا ، فإنْ كانَت وجُودًا فهي بجعلِ الجاعلِ ، وإنْ كانَت عَدَمًا فالعدمُ كاسمهِ لا يتعلَّقُ بجعلِ الجاعلِ .

□□□□□

١٦١ - فَصْلٌ
[هل اعتمد إبراهيم ﷺ على الفَلَك ؟!]

وأمَّا قولُهُ : إنَّ إبراهيمَ ﷺ كانَ اعتمادُهُ في إثباتِ الصَّانعِ على الدَّلائلِ الفَلَكيَّة ، كما قرَّرهُ ! فيُقال : مِنَ العجب ذِكْرُكم لخليلِ الرَّحمن في هذا المقام ، وهو أعظمُ عدُوٍّ لعُبّادِ الكواكبِ والأصنامِ الّتي اتُّخِذَت على صُورِها ، وهم أعداؤهُ الذين أَلْقَوهُ في النَّارِ ، حتى جَعَلَها اللَّهُ عليهِ بردًا وسلامًا ، وهو ﷺ أعظمُ الخَلْقِ براءَةً منهم .

وأمَّا ذلك التَّقريرُ الذي قرَّرهُ الرَّازيُّ في المناظرَةِ بينهُ وبينَ المَلِكِ المُعطِّل ؛ فمِمَّا لم يخطُرْ بقلبِ إبراهيم ، ولا بِقَلْبِ المشرِك ، ولا يدُلُّ اللفظُ عليها البتَّةَ ، وتلكَ المناظرَةُ التي ذكرها الرَّازيُّ تشبهُ أن تكونَ مناظرَةً بينَ فيلسوفٍ ومتكلِّمٍ ، فكيفَ يَسُوغُ أن يُقال : إنَّها هي المرادَةُ من كلامِ اللَّهِ تعالى ! فيُكْذَبَ على اللَّهِ ، وعلى خليلِهِ ، وعلى المشركِ المعطِّلِ ، وإبراهيمُ أعلمُ باللَّهِ ووحدانيَّتِهِ وصفاتِهِ مِن أَنْ يُوحي إليهِ بهذه المناظرَةِ .

ونحنُ نذكُرُ كلامَ أئمَّة التَّفسيرِ في ذلكَ لِيُفْهَمَ معنى المناظرَةِ ، وما دلَّ عليهِ القرآنُ مِن تقريرِها :

قال ابنُ جريرٍ[1]: معنى الآيَةِ : أَلَم تَرَ يا مُحمَّد إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ حينَ قال لهُ إبراهيمُ : ربِّي الذي يُحيي ويُميت ، يعني بذلكَ : ربِّي الذي

(١) « جامع البيان » (٣ / ٢٣) .

بيدِهِ الحياةُ والموتُ ، يُحْيي مَن يشاءُ ويميتُ مَن أرادَ بَعدَ الإحياءِ ، قال : أنا أفعلُ ذلكَ فأُحْيي وأُميت ، أَسْتَحْيي مَن أرَدتُ قَتلهُ فلا أقتلهُ ، فيكون ذلك منِّي إحياءً لهُ ، وذلكَ عندَ العربِ يسمَّى إحياءً ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَن أَحْياها فكأنَّما أَحْيا النَّاسَ جميعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] ، وأقتلُ آخرَ ، فيكونُ ذلكَ منِّي إماتَةً لهُ ، قال إبراهيمُ لهُ : فإنَّ اللَّهَ هو الذي يأتي بالشمسِ من مشرقِها ، فإنْ كنتَ صادقًا أنَّكَ إله فَأْتِ بها من مغربِها ! قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَبُهِتَ الَّذي كفَر ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، يعني : انقطعَ وبَطَلَتْ حُجَّتهُ .

ثمَّ ذكرَ مَنْ قال ذلكَ منَ السَّلفِ ، فَروى عن قتادَة : ذُكِرَ لنا أنَّهُ دعا برجلين ، فَقَتلَ أحدَهما واستحيا الآخَرَ ، وقال : أنا أُحْيِي هذا وأميتُ هذا ، قال إبراهيمُ عندَ ذلك : فإنَّ اللَّهَ يأتي بالشمسِ منَ المشرقِ فَأْتِ بها منَ المغربِ .

وعن مُجاهدٍ : أنا أُحْيِي وأميتُ ؛ أقتلُ مَن شئتُ وَأَسْتَحْيِي مَن شئتُ أدعهُ حيًّا فلا أقتلهُ .

وقال ابنُ وهبٍ : حدَّثني عبدُالرَّحمن بن زيدِ بنِ أسلمَ أنَّ الجبَّارَ قال لإِبراهيم : أنا أُحْيِي وأُميت إنْ شئتُ قتلتُكَ وإنْ شئتُ استحييتكَ ، فقال إبراهيم: إنَّ اللَّهَ يأتي بالشمسِ من المشرق فَأْتِ بها من المغرب ، فبُهتَ الذي كفر .

وقال الرَّبيعُ : لمّا قال إبراهيمُ : ربِّي الذي يُحيي ويُميت ، قال هو - يعني نُمرود - : فأنا أُحْيِي وأُميت ، فدعا برجلين فاستَحيا أحدَهما وقتلَ الآخَر ، وقال : أنا أُحْيِي وأُميت أي : أستَحيي من شئتُ ، فقال إبراهيم : فإنَّ اللّه يأتي بالشمسِ من المشرق .

وقال السُّدِّي : لمّا خرجَ إبراهيمُ من النَّار أدخلوه على الملكِ ، ولم يكُن قبلَ

ذلكَ دخَلَ عليهِ ، فكلَّمهُ وقال لهُ : مَن ربُّكَ ؟ قال : ربِّي الذي يُحْيي ويُميت ، قال نمرود : أنا أُحْيِي وأُميت ، أنا آخذُ أربعَةَ نفرٍ فأُدخِلهم بيتًا فلا يُطْعَمون ولا يُسْقَون ، حتى إذا هَلَكُوا مِنَ الجُوعِ أطعَمتُ اثنين وسقيتُهما ، فعاشا ، وتركتُ الاثنين فماتا ، فعرفَ إبراهيمُ أنَّ لهُ قدرَةً بسلطانهِ ومُلكهِ على أنْ يَفعلَ ذلكَ ، قال إبراهيمُ : فإنَّ اللَّهَ يأتي بالشمسِ مِن المشرقِ فَأْتِ بها مِن المغرب ، فَبُهِتَ الذي كفرَ ، وقال : إنَّ هذا إنسانٌ مجنونٌ ، فأَخْرِجوه ، أَلَا ترونَ أنَّهُ مِن جنونهِ اجْتَرَأَ على آلهتِكم ، فَكَسَرها ، وأنَّ النَّارَ لم تأْكُلْهُ ، وخَشيَ أن يُفْتَضَحَ في قومِهِ ، وكانَ يزعُمُ أنَّهُ رَبٌّ ، فأَمَرَ بإبراهيمَ ، فأُخرجَ .

وقال مُجاهدٌ : أُحْيِي فلا أقتلُ ، وأُميتُ مَن قتلتُ .

وقال ابنُ جُريجٍ : أُتيَ برجلين ، فقتل أحدَهما وتركَ الآخَر ، فقال : أنا أُحْيِي وأُميت ، فأُميت مَن قتلتُ وأُحْيِي فلا أقتلُ .

وقال ابنُ إِسحاق : ذُكِرَ لنا - واللَّهُ أَعلم - أنَّ نمرودَ قال لإبراهيم : أرأيتَ إلٰهَكَ هذا الذي تعبدُ وتَدعو إلى عبادتهِ تذكرُ مِنْ قُدرتهِ التي تُعظِّمهُ بها على غيرِه ، ما هي ؟ قال إبراهيم : ربِّي الذي يحيي ويُميت ، قال نمرود : أنا أُحْيِي وأُميت ، فقال لهُ إبراهيمُ : كيفَ تُحْيِي وتُميت ؟ قال : آخذُ الرَّجلين قَد استوجبا القتلَ في حُكمي ، فأقتلُ أحدَهما فأكونُ قد أمتُّهُ ، وأعفو عن الآخَرِ فأتركُهُ ، فأكونُ قَد أُحْيَيْتهُ ، فقال لهُ إبراهيمُ عند ذلكَ : فإنَّ اللَّه يأتي بالشمسِ من المشرق فَأْتِ بها من المغربِ ، أعرفُ أنَّهُ كما تقولُ ، فَبُهِتَ عندَ ذلكَ نمرودُ ، ولم يَرْجِعْ إليهِ شيئًا ، وعَرَفَ أنَّهُ لا يُطيقُ ذلكَ .

فهذا كلامُ السَّلفِ في هذه المُناظرَةِ ، وكذلكَ سائرُ المفسِّرين بعدَهم ، لم

يَقُلْ أحدٌ منهم قطُّ أنّ معنى الآيَةِ أنَّ هذا الإحياءَ والإماتَةَ حاصِلٌ منِّي ومِنْ كُلِّ أحدٍ ، فإنَّ الرَّجلَ يكونُ منهُ الحدوثُ بواسطَةِ تمْزيجِ الطَّبائع وتحريكِ الأجرامِ الفَلكيَّةِ ، بل نَقْطَعُ بأنَّ هذا لم يخْطُر بقلبِ المُشركِ المناظِرِ البتَّةَ ، ولا كانَ هذا مدارَهُ ، فلا يَحِلُّ تفسيرُ كلامِ اللَّهِ بمثلِ هذه الأباطيل ، ونسألُ اللَّهَ أَنْ يُعيذَنا من القولِ عليهِ بما لم نعلمْ ، فإنَّهُ أعظمُ المحرّماتِ على الإطْلاقِ وأشدُّها إثمًا .

وقَد ظنَّ جماعَةٌ منَ الأُصوليِّين وأربابِ الجَدَلِ أنَّ إبراهيمَ انتقلَ مع المشركِ مِنْ حُجَّةٍ إلى حُجَّةٍ ، ولم يُجِبْهُ عن قولِهِ : أنا أُحْيِي وأُميت ، قالوا : وكانَ يُمْكِنُهُ أنْ يُتِمَّ معهُ الحُجَّةَ الأولى ، بأن يقولَ : مرادي بالإحياء إحياءُ الميِّت وإيجادُ الحياةِ فيهِ ، لا استبقاؤهُ على حياتِهِ ، وكانَ يُمْكِنُهُ تتميمُها بمعارضَتِهِ في نفسها ، بأن يقول : فأَحْيِ من أمتَّ وقتلتَ إنْ كنتَ صادقًا ، ولكن انتقلَ إلى حُجَّةٍ أوضحَ من الأُولى فقال : إنَّ اللَّهَ يأتي بالشمسِ من المشرقِ فَأْتِ بها من المغربِ ، فانْقَطَعَ المشركُ المعطِّلُ !

وليسَ الأمرُ كما ذكروهُ ، ولا هذا انتقالٌ ، بل هذا مُطالبَةٌ لهُ بمُوجَبِ دعواهُ الإلٰهيَّةَ ، والدَّليلُ الذي استدلَّ به إبراهيمُ قَد تمَّ وثَبَتَ مُوجَبهُ ، فلمَّا ادَّعى الكافرُ أنَّهُ يفعلُ كما يفعلُ اللَّهُ فيكونُ إلٰهًا مع اللَّهِ طالَبَهُ إبراهيمُ بمُوجَبِ دعواه مُطالبَةً تتضمَّنُ بُطلانَها ، فقال : إنْ كنتَ أنتَ ربًّا كما تزعُم فَتُحْيِي وتميتُ كما يُحْيِي ربِّي ويميتُ ، فإنَّ اللَّهَ يأتي بالشمسِ من المشرقِ فتنصاعُ لقدرتهِ وتسخيرِهِ ومشيئتهِ ، فإنْ كُنتَ أنتَ ربًّا فَأْتِ بها من المغربِ .

وتأمَّلْ قولَ الكافر : أنا أُحْيِي وأُميت ، ولم يقل : أَنا الذي أُحْيِي وأُميت ، يعني : أنا أفعلُ كما يفعلُ اللَّهُ ، فأكونُ ربًّا مثلَهُ ، فقال لهُ إبراهيم : فإنْ كنتَ

صادقًا فافْعَلْ مثلَ فعلهِ في طلُوعِ الشمسِ ، فإذا أَطْلَعَها مِن جهَةٍ فأَطْلِعْها أنتَ من جهَةٍ أخرى .

ثمَّ تأمَّلْ ما في ضمنِ هذه المناظرَةِ من حُسنِ الاستدلالِ بأفعالِ الرَّبِّ المشهودَةِ المحسوسَةِ التي تستلزمُ وُجودَهُ ، وكمالَ قُدرتهِ ومشيئتهِ وعلمهِ ووحدانيَّتهِ منَ الإحياءِ والإماتَةِ المشهودَيْنِ اللَّذَيْنِ لا يقدرُ عليهما إلّا اللَّهُ وحدَهُ ، وإتيانهُ تعالى بالشمسِ من المشرقِ لا يقدرُ أحدٌ سواهُ على ذلكَ .

وهذا بُرهانٌ لا يقبلُ المُعارضَةَ بوجهٍ ، وإنَّما لبَّسَ عدوُّ اللَّهِ ، وأَوْهَمَ الحاضرين أنَّهُ قادرٌ منَ الإحياءِ والإماتَةِ على ما هو مُماثِلٌ لمقدورِ الرَّبِّ تعالى ، فقال لهُ إبراهيمُ : فإنْ كانَ الأمرُ كما زعمتَ فأَرِني قُدْرَتَكَ على الإتيانِ بالشمسِ من المغربِ ، لتكونَ مُماثلَةً لقدرَةِ اللَّهِ على الإتيانِ بها من المشرقِ .

فأينَ الانتقالُ في هذا الاستدلالِ والمناظرَةِ ؟ بل هذا مِن أحسنِ ما يكونُ منَ المُناظرَةِ.

والدَّليلُ الثَّاني مُكمِّلٌ لمعنى الدَّليلِ الأوَّلِ ، ومُبيِّنٌ لهُ ، ومُقرِّرٌ لتضمُّنِ الدَّليلين أفعالَ الرَّبِّ الدَّالَّةَ عليهِ وعلى وحدانيَّتهِ وانفرادهِ بالرُّبوبيَّة والإلهيَّة ، كما لا تقدرُ أنتَ ولا غيرُ اللَّهِ على مثلِها .

ولـمَّا عَلِمَ عدوُّ اللَّهِ صِحَّةَ ذلكَ ، وأنَّ مَن هذا شأنُهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ لا يُعْجزهُ شيءٌ ، ولا يستصعبُ عليهِ مُرادٌ ، خافَ أن يقولَ لإبراهيم : فَسَلْ ربَّكَ أنْ يأتيَ بها من مغربها ، فيفعلَ ذلك فَيَظْهَرَ لأتباعهِ بُطلانُ دعواه وكذبُهُ ، وأنَّهُ لا يَصْلُحُ للرُّبوبيَّةِ ، فَبُهِتَ وأمسكَ !

وفي هذه المناظرَةِ نُكْتَةٌ لطيفَةٌ جدًّا ، وهي أنَّ شِركَ العالَمِ إنَّما مُسْتَنِدٌ إلى

عبادَةِ الكواكبِ والقُبورِ ، ثمَّ صُوِّرَت الأصنامُ على صُورِها - كما تقدَّمَ - ، فتضمَّنَ الدَّليلان اللذان استدلَّ بهما إبراهيمُ إبطالَ إلهيَّةِ تلكَ جُملَةً بأنَّ اللَّهَ وحدَهُ هو الذي يُحْيِي ويميت ، ولا يصلحُ الحيُّ الذي يموتُ للإلهيَّة ، لا في حالِ حياتهِ ولا بعدَ موتهِ ؛ فإنَّ لهُ ربًّا قادرًا قاهرًا مُتصرِّفًا فيهِ إحياءً وإماتَةً ، ومَنْ كانَ كذلكَ فكيفَ يكونُ إلهًا حتى يُتَّخذَ الصَّنمُ على صورتهِ ويُعْبدَ من دونهِ ! وكذلكَ الكواكبُ أظهرُها وأكبرُها للحِسِّ !

هذه الشمسُ وهي مربوبَةٌ مُدبَّرةٌ مُسخَّرَةٌ لا تَصرُّفَ لها في نَفْسِها بوجهٍ ما ، بل ربُّها وخالقُها سبحانهُ يأتي بها مِن مشرقِها ، فتنقادُ لأمرهِ ومشيئتهِ ، فهي مربوبَةٌ مُسخَّرَةٌ مُدَبَّرَةٌ ، لا إلهَ يُعبَدُ من دونِ اللَّهِ .

□□□□□

١٦٢ - فَصْلٌ
[سبب الخسوف والكسوف]

وأمَّا استدلالُهُ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عندَ قضاءِ الحاجَةِ عن استقبالِ الشمسِ والقمر واستدبارهما ! فكأنَّهُ - واللَّهُ أعلم - لمَّا رأى بعضَ الفُقهاءِ قَد قالوا ذلك في كُتُبهم في آدابِ التَّخلِّي[١] : « ولا تُستقبل الشمسُ والقمرُ » ! ظنَّ أنَّهم إنَّما قالوا ذلكَ لنهي النَّبيِّ ﷺ عنهُ ! فاحتجَّ بالحديثِ !

وهذا مِن أبطلِ الباطلِ ؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُنقَل عنهُ ذلك في كلمَةٍ واحدَةٍ ، لا بإسنادٍ صحيحٍ ، ولا ضعيفٍ ، ولا مُرْسَلٍ ، ولا مُتَّصلٍ ، وليسَ لهذهِ المسألةِ أصلٌ في الشرعِ ، والّذين ذكروها من الفُقهاءِ مِنهم مَن قال : العلَّةُ أنَّ اسمَ اللَّهِ مكتوبٌ عليهما ! ومِنهم مَن قال : لأنَّ نُورَهما مِن نورِ اللَّهِ ! ومِنهم مَن قال : إنَّ التَّنكُّبَ عن استقبالهما واستدبارهما أبلغُ في التَّستُّرِ وعدمِ ظهورِ الفرجين !

وبكُلِّ حالٍ فما لهذا ولِأَحكامِ النُّجومِ ، فإنْ كانَ هذا دالًّا على دعواكم ، فدلالَةُ النَّهيِ عن استقبالِ الكعبَةِ[٢] بذلكَ أقوى وأَوْلى ، وأمَّا الاستدلالُ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال يومَ موتِ ولدِهِ إبراهيم : « إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ اللَّهِ لا ينكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ، فإذا رأيتُم ذلكَ فافْزَعُوا إلى الصَّلاةِ » ،

---

(١) انظر « المُغني » (١ / ٢٢٢ - طبع الطناحي) لابن قُدامة !!

(٢) انظر الأَحاديثَ في ذلك في « نيل الأوطار » (١ / ٩٣ - ١٠٢) للعلاّمة الشوكاني ، وتحقيقَ القولِ فيها ، وكذا « تمام المِنّة في التعليق على فقه السُّنَّة » ١ / ٥٩) لشيخنا الألباني .

وهذا الحديثُ صحيحٌ[١]، وهو من أعظمِ الحُجَجِ على بُطلانِ قولكم ؛ فإنَّهُ ﷺ أخبرَ أنَّهما آيتانِ من آياتِ اللَّهِ ، وآياتُ اللَّهِ لا يُحْصِيها إلّا اللَّهُ ، فالمطرُ والنَّباتُ والحيوانُ والليلُ والنَّهارُ والبرُّ والبَحْرُ والجبالُ والشجرُ وسائرُ المخلوقات آياتُه تعالى الدَّالَّة عليهِ وهي في القرآنِ أكثرُ مِن أنْ نذكُرَها ها هُنا ، فهما آيتانِ لا رَبَّانِ ولا إلهانِ ، ولا ينفعانِ ولا يضُرَّانِ ، ولا لهما تصرُّفٌ في أنفسِهما وذواتِهما البتَّةَ ، فَضْلًا عن إعطائهما كُلَّ ما في العالمِ من خيرٍ وشرٍّ وصلاحٍ وفسادٍ ، بل كُلُّ ما فيهِ من ذَرَّاتهِ وأجزائهِ وكُلِّيَّاتهِ وجزئيَّاتهِ لهُ ، تعالى اللَّهُ عن قولِ المُفْترين المُشركين عُلُوًّا كبيرًا .

وفي قولهِ ﷺ : « لا ينكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ » قولان :

أحدُهما : أنَّ موتَ الميِّتِ وحياتَهُ لا يكونُ سببًا في انكسافِهما ، كما كانَ يقولُه كثيرٌ من جُهَّالِ العربِ وغيرِهم عندَ الانكسافِ ، أَنَّ ذلكَ لموتِ عظيمٍ أو ولادةِ عظيمٍ ، فأَبْطَلَ النَّبيُّ ﷺ ذلكَ ، وأخبرَ أنَّ موتَ الميِّتِ وحياتَهُ لا يُؤَثِّرُ في كسوفِهما البتَّة .

والثَّاني : أنَّهُ لا يَحْصُلُ عن انكسافِهما موتٌ ولا حياةٌ ، فلا يكونُ انكسافُهما سببًا لموتِ ميِّتٍ ولا لحياةِ حيٍّ ، وإنَّما ذلكَ تخويفٌ منَ اللَّهِ لعبادهِ ، أَجرى العادَةَ بحصولهِ في أَوقاتٍ معلومَةٍ بالحسابِ ، كطُلوعِ الهلالِ وإبْدارهِ وسرارهِ .

فأمَّا سببُ كُسوفِ الشمسِ فهو تَوَسُّطُ القمرِ بينَ جِرمِ الشمسِ وبينَ أبصارِنا ، فإنَّ القمرَ عندهم جِسْمٌ كثيفٌ مُظْلِمٌ ، وفَلَكُهُ دونَ فَلَكِ الشمسِ ، فإذا

---

(١) وقد تقدَّمَ تخريجُهُ (ص ١٧١) .

كانَ على مُسامَتَةِ إحدى نُقطتي الرَّأس أو الذَّنَب أو قريبًا منهما حالةَ الاجتماعِ من تحتِ الشمسِ ، حالَ بيننا وبينَ نُورِ الشمسِ كَسَحابَةٍ تَمُرُّ تحتَها إلى أن يتجاوَزَها منَ الجانبِ الآخَرِ ، فإنْ لم يكُن للقمرِ عَرْضٌ سَتَر عنَّا نُورَ كلِّ الشمسِ ، وإنْ كانَ له عَرَضٌ فَبِقَدْرِ ما يُوجِبهُ عرضُهُ ، وذلكَ أنَّ الخُطوطَ الشُّعاعيَّة تَخْرُجُ من بصرِ النَّاظرِ إلى المرئيِّ على شكلِ مخروطٍ ، رأسُهُ عندَ نُقطَةِ البصرِ ، وقاعدتُهُ عندَ جِرمِ المرئيِّ ، فإذا وجَّهْنا أبصارَنا إلى جِرمِ الشمسِ حالَةَ كسوفِها فإنَّهُ ينتهي إلى القمرِ أوَّلًا مخروطُ الشُّعاعِ ، فإذا تَوَهَّمْنا نُفوذَهُ منهُ إلى الشمسِ وقعَ جِرْمُ الشمسِ في وَسَطِ المَخْرُوطِ ، وإنْ لم يكن للقمرِ عَرْضٌ انكسفَ كُلُّ الشمسِ ، وإنْ كانَ للقمرِ عَرْضٌ فَبِقَدْرِ ما يُوجِبهُ عرضُهُ ينحرفُ جِرْمُ الشمسِ عن مَخْرُوطِ الشعاعِ ، ولا يقعُ كلُّهُ فيهِ ، فينكسفُ بعضُهُ ويبقى الباقي على ضيائهِ ، وذلكَ إذا كانَ العَرْضُ المرئيُّ أقلَّ من نصفِ مجموعِ قُطْرِ الشمسِ والقمرِ ، حتى إذا ساوى العَرْضُ المرئيُّ نصفَ مجموعِ القُطرين كانَ صفحَةُ القمرِ تُماسُّ مخروطَ الشعاعِ ، فلا ينكسفُ ، ولا يكونُ لكسوفِ الشمسِ لُبثٌ ؛ لأنَّ قاعدَةَ المخروطِ المتَّصِلِ بالشمسِ مُساوٍ لِقُطْرَيْها ، فكما ابتدأ القمرُ بالحركةِ بعدَ تمامِ المُوازاةِ بينَهُ وبينَ الشمسِ ، تحرَّكَ المَخْرُوطُ وابتدأت الشمسُ بالإسفارِ ، إلّا أنَّ كُسوفَ الشمسِ يختلفُ باختلافِ أوضاعِ المساكنِ ، حتى إنَّهُ يُرى في بعضها ولا يُرى في بعضها ، ويُرى في بعضها أقلَّ ، وفي بعضها أكثَرَ ، بسببِ اختلافِ المنظرِ ، إذ الكاسفُ ليسَ عارضًا في جِرمِ الشمسِ يَستوي فيهِ النُّظّارُ من جميعِ الأماكنِ ، بل الكاسفُ شيءٌ مُتوسِّطٌ بينها وبينَ الأبصارِ ، وهو قريبٌ منها ، والمحجوبُ عنَّا بعيدٌ ، فيختلفُ التَّوسُّطُ باختلافِ

مواضعِ النَّاظرين ، وكذلك يختلفُ كسوفُ الشمسِ في مبَاديها وعندَ انجلائها في كَمِّيَّةِ ما ينكسفُ منها وفي زمانِ كُسوفِها الذي هو من أوَّل البُدُوِّ إلى وسطِ الكسوف ، وَمِن وسطِ الكسوفِ إلى آخرِ الانجلاء .

فإنْ قيلَ : جِرْمُ القَمَر أَصغرُ مِن جِرم الشمس بكثيرٍ ، فكيف يحجبُ عنّا كُلَّ الشمس ، قيلَ : إنَّما يحجبُ عنَّا جِرمَ الشمسِ لِقُربهِ منَّا وبُعدِها عنَّا ، لأنَّ الشيئين المختلفين في الصِّغَر والكبر إذا قَرُبَ الصَّغيرُ من الكبيرِ يُرى من أطرافِ الكبيرِ أكثرَ ما يُرى منها مع بُعدِ الأصغَرِ عنهُ ، وكلَّما بَعُدَ الأصغرُ عنهُ وازدادَ قُرْبُهُ من النَّاظر تناقَصَ ما يُرى من أطرافِ الأكبرِ ، إلى أنْ ينتهيَ إلى حَدٍّ لا يُرى من الأكبرِ شيءٌ ، والحِسُّ شاهدٌ بذلك .

وأمَّا سببُ خُسوفِ القمرِ ؛ فهو توسُّطُ الأرض بينَهُ وبينَ الشمسِ ، حتى يصيرَ القمرُ ممنوعًا مِن اكتسابِ النُّورِ من الشمسِ ويبقى ظلامُ ظِلِّ الأرضِ في مَمَرِّهِ ، لأنَّ القمرَ لا ضُوءَ لهُ أبدًا ، وأنَّهُ يكتسبُ الضُّوءَ من الشمسِ .

وهل هذا الاكتسابُ خاصٌّ بالقمرِ أم يُشارِكهُ فيهِ سائرُ الكواكب ؟

ففيهِ قولانِ لأربابِ الهيئة :

أحدُهما : أنَّ الشمسَ وحدَها هي المضيئةُ بذاتها وغيرُها مِنَ الكواكبِ مُستضيئةٌ بضيائها على سبيلِ العَرَضِ كما عُرِفَ ذلك في القمرِ .

والقولُ الثَّاني : أنَّ القمرَ مَخْصُوصٌ بالكُمودَةِ دونَ سائرِ الكواكبِ ، وغيرُه من الكواكبِ مُضيئةٌ بذاتها كالشمس .

وردَّ هؤلاء على أربابِ القولِ الأوَّلِ بأنَّ الكواكبَ لو استفادَتْ أضواءها من الشمسِ لاخْتَلَفَ مقاديرُ تلكَ الأضواء فيما كانَ تحتَ فَلَكِ الشمسِ منها

بسببِ القُرْبِ والبُعْدِ من الشمسِ ، كما في القَمَرِ فإنَّهُ لا يختلفُ ضَوؤهُ بحسبِ قُرْبِهِ وبُعْدهِ من الشمس .

والذي حَمَلَ أربابَ القولِ الأوَّلِ عليهِ ما وَجَدُوهُ من تَعَلُّقِ حَرَكاتِ الكواكبِ بحَرَكاتِ الشمسِ ، وظنُّوا أنَّ ضُوءَها مِن ضيائها .

وليسَ الغَرَضُ استيفاءَ الحِجَاجِ من الجانبين ، وما لكُلٍّ قولٍ وعليهِ ، والمقصودُ ذِكْرُ سببِ الخُسوفِ القمريِّ .

ولمَّا كانَت الأرضُ جسمًا كثيفًا ، فإذا أشرقَتِ الشمسُ على جانبٍ منها ، فإنَّهُ يقعُ لها ظلٌّ في الجهةِ الأخرى ؛ لأنَّ كُلَّ ذي ظلٍّ يقعُ في الجهَةِ المقابلَةِ للجِرْمِ المضيءِ فمتى أشرقَتْ عليها من ناحيَة المشرقِ وقعَتْ أَظْلالُها في ناحيَةِ المغربِ ، وإذا وقعَتْ عليها من ناحيَةِ المغربِ مالَت أظلالُها إلى ناحيَةِ المشرق ، والأرضُ أصغرُ من جِرمِ الشمسِ بكثيرِ ، فينبعثُ ظلُّها ويرتفعُ في الهواءِ على شكلِ مَخْرُوطِ قاعدتُهُ قريبَةٌ من تدويرِ الأرضِ ، ثمَّ لا يزالُ ينخرطُ تدويرهُ حتى يَدِقَّ ويتلاشى ، لأنَّ قُطرَ الشمسِ لمَّا كانَ أعظمَ من قُطرِ الأرضِ ؛ فالخُطوطُ الشعاعيَّةُ المارَّةُ من جوانبِ الشمسِ إلى جوانبِ الأرضِ تكونُ مُتلاقيَةً لا مُتوازيَةً ، فإذا مرَّتْ على الاستقامَةِ إلى الأرضِ انقذفَتْ على جوانبها فتلتقي لا محالَةَ إلى نقطَةٍ ، فينحصرُ ظلُّ الأرضِ في سطحِ مخروطٍ فيكونَ مخروطًا لا محالَةَ ، قاعدتُهُ حيثُ ينبعثُ منَ الأرضِ ، ورأسُهُ عندَ نُقطَةِ تلاقي الخُطوطِ .

ولو كانَ قُطْرُ الأرضِ مُساويًا لِقُطرِ الشمسِ لكانَت الخطوطُ الشعاعيَّةُ تَخْرُجُ إليها على التَّوازي ، فيكونَ الظلُّ مُتساوي الغِلَظِ إلى أنْ ينتهيَ إلى مُحيط العالم ، ولو كانَ قُطْرُ الشمسِ أصغرَ من قُطرِ الأرضِ ، لكانَت الخطوطُ تخرجُ

على التّلاقي في جهَةِ الشمسِ ، وأوسعُها عندَ قُطرِ الأرضِ ، ولكانَ الظلُّ يزدادُ غِلَظًا كلَّما بَعُدَ عن الأرضِ إلى أنْ ينتهيَ إلى مُحيطِ العالمِ ، ويلزمُ مِن ذلكَ أن ينخسفَ القمرُ في كُلِّ استقبالٍ ، والوجودُ بخلافِهِ .

ولـمَّا ثبتَ أنَّ ظِلَّ الأرضِ مَخْرُوطيُّ الشكلِ ، وقَد وقعَ في الجهَةِ المقابلَةِ لجهَةِ الشمسِ ، فيكونُ نُقطَةُ رأسِهِ في سطحِ فَلَكِ البروجِ لا مَحالَةَ ، ويدورُ بدورانِ الشمس مُسامِتًا للنُّقطَةِ المقابلَةِ لموضعِ الشمسِ .

وهذا الظلُّ الذي يكون فوقَ الأرضِ هو الليلُ ، فإنْ كانَت الشمسُ فوقَ الأرضِ كانَ الظلُّ تحتَ الأرضِ بالنِّسبَةِ إلينا ، ونحنُ في ضياءِ الشمسِ ، وذلكَ النَّهارُ والزَّمانُ الذي يُوازي دوامَ الظلِّ فوقَ الأرضِ هو زمانُ الليلِ ، فإذا اتَّفقَ مرورُ القمرِ على مُحاذاةِ نُقطتي الرَّأسِ والذَّنب حالَةَ الاستقبالِ يقعُ في مخروطِ الظلِّ لا محالَةَ ؛ لأنَّ الخطَّ الخارجَ مِن مركزِ العالمِ المارَّ بمركزِ الشمسِ ثم بمركزِ القمرِ من الجانبِ الآخرِ ينطبقُ على سَهْمِ مخروطِ الظلِّ ، فيقعُ القَمَرُ في وَسَطِ المخروطِ فينخسفُ كلُّهُ ضرورَةً ، لأنَّ الأرضَ تمنعُهُ مِن قَبُولِ ضياءِ الشمسِ ، فيبقى القمرُ على جوهرِهِ الأصليِّ .

فإنْ كانَ للقمرِ عرضٌ ينحرفُ عن سهمِ المخروطِ بَقِيَ الضُّوءُ فيهِ بِقَدْرِهِ وطَبْعِهِ ، وقَد يقعُ كلُّهُ في المخروطِ ، ولكنْ يَمُرُّ في جانبٍ منهُ ، وقَد يقعُ بعضُهُ في المخروطِ ويبقى بعضُهُ خارجًا ، وربَّما يماسُّ مخروطَ الظلِّ ولا يقعُ من جِرمِهِ شيءٌ ، وإنَّما يختلفُ هذا باختلافِ بُعْدِهِ منَ الخطِّ الخارجِ مِن مركزِ العالمِ المارِّ بمركزِ الشمسِ المطابقِ لسهم المخروطِ ، حتى إذا عَظُمَ عرضُهُ بأنْ لا يبقى بينهُ وبينَ إحدى نُقطتي الرَّأس والذَّنب أكثرُ مِن ثلاثَ عشرةَ دقيقَةً لا يُماسُّ المخروطَ

أصلًا ، وإذا وقعَ في جانبٍ منهُ قلَّ مُكْثُهُ ، وربَّما لم يكُن لهُ مُكْثٌ أصلًا ، وإنَّما يُعْرَفُ ذلكَ بتقديمِ معرفَةِ قُطرِ الظِّلِّ ، وقُطْرُ القمرِ يختلفُ باختلافِ أبعادِهِ عن الأرضِ ، وكذلكَ قُطْرُ الظلِّ أيضًا يختلفُ باختلافِ أبعادِ الشمسِ عن الأرضِ ، فإنَّ الشمسَ متى قَرُبَتْ من الأرضِ كانَ ظلُّ الأرضِ دقيقًا قصيرًا ، وإذا بَعُدَت عنها كانَ ظلُّ الأرضِ طويلًا غليظًا ، لأنَّها متى بَعُدَت عن الأرضِ يُرى قُطْرُها أصغَرَ وأَقربَ تلاقيًا منها ، وكلَّما كانَ أعظمَ مِقدارًا في رأي العينِ فالخطوطُ الشعاعيَّة أقصرُ وأقربُ تلاقيًا ، فلذلكَ يختلفُ قَطْعُ القمرِ غِلَظَ الظلِّ في أوقاتِ الكسوفاتِ ، والموضعُ الذي يقطعهُ القمرُ منَ الظلِّ يُسمُّونهُ فَلَكَ الجوهرِ ، وإذا عُرِفَ قُطْرُ الظلِّ وعُرِفَ مقدارُ قُطرِ نصفِ القمرِ وجُمعَ بينهما ونصف ذلكَ وعُرِفَ عرضُ القمرِ - إنْ كانَ لهُ عرضٌ - فإنْ كانَ العرضُ مساويًا لنصفِ مجموعِ القُطرين فإنَّ القمرَ يُماسُّ دائرَةَ الظلِّ ، ولا ينكسفُ ، وإنْ كانَ العَرْضُ أقلَّ من نصفِ مجموعهما فإنَّهُ ينكسفُ ، فَيُنْظَرُ إنْ كانَ مُساويًا لنصفِ قُطرِ الظلِّ انكسفَ منَ القمرِ مثلُ نصفِ صفحتهِ ، وإنْ كانَ العرضُ أقلَّ من نصفِ قُطرِ الظلِّ فينتقصُ العرضُ مِن نصفِ قُطرِ الظلِّ ، فإنْ كانَ الباقي مثلَ قطرِ القمرِ انكسفَ كلُّهُ ولا يكونُ لهُ مُكْثٌ ، وإذا لم يكُن لهُ عَرضٌ انكسفَ كلُّهُ ويَمْكُثُ زمانًا أكثرَ .

وأطولُ ما يَمْتَدُّ زمانُ الكسوفِ القمريِّ أربعُ ساعاتٍ ، وأمَّا زمانُ الكُسوفِ الشمسيِّ فلا يزيدُ على ساعتين .

وكسوفُ القمرِ يختلفُ باختلافِ أوضاعِ المساكنِ ، إذ الكسوفُ عارِضٌ في جهَةٍ وهو عبورُهُ في ظلامِ ظلِّ الأرضِ ، بخلافِ كسوفِ الشمسِ ، وإنَّما

يختلفُ الوقتُ فَقَط بأن يكونَ في بعضِ المساكنِ على مُضيٍّ ساعَةٍ من الليلِ ، وفي بعضِها على مُضيٍّ نصفِ ساعَةٍ ، وقَد يطلُعُ مُنكسِفًا في بعضِ المساكنِ ، وينكسفُ بعدَ الطُّلوعِ في بعضِها ، وقد لا يُرى منكسفًا أصلًا إذا كانَت الشمسُ فوقَ الأرضِ حالَةَ الاستقبال .

ويُرى الخسوفُ في القمرِ أبدًا يكونُ مِن طَرَفِهِ الشرقيِّ إذ هو الذَّاهبُ إلى الاستقبالِ نحوَ المشرقِ ، والدُّخولِ في الظلِّ بحركتِهِ ، ثمَّ ينحرفُ قليلًا قليلًا إلى الشمالِ أو الجنوبِ في بَدْءِ انجلائهِ أيضًا من طَرَفِهِ الشرقي ، وأمَّا في الشمسِ فبدءُ كُسوفِها من طَرَفِها الغربيِّ ، إذا الكاسِفُ لها يأْتي من ناحيَةِ الغربِ ، وكذلكَ الانجلاءُ أيضًا من الطَّرَفِ الغربيِّ لكنْ بانحرافٍ منهُ إلى الشمالِ والجنوبِ .

وإنَّما ذَكَرْنا هذا الفصلَ - ولم يكُن من غَرَضِنا - لأنَّ كثيرًا من هؤلاءِ الأَحْكاميِّين يُمَوِّهونَ على الجُهَّالِ بأمرِ الكُسوفِ ويُوَهِّمونهم أنَّ قضاياهم وأحكامَهم النُّجوميَّةَ من السَّعْدِ والنَّحْسِ والظَّفَرِ والغَلَبَةِ وغَيْرِها هي مِن جنسِ الحُكمِ بالكسوفِ ، فيُصدِّقُ بذلكَ الأغمارُ والرَّعاعُ ، ولا يعلمونَ أنَّ الكُسوفَ يُعلمُ بحسابِ سير النَّيِّرَيْنِ في مَنازِلهما ، وذلكَ أمرٌ قَد أجرى اللَّهُ تعالى العادَةَ المُطَّرِدَةَ بِهِ كما أجراها في الأبدارِ والسِّرارِ[1] والهلالِ ، فَمَنْ عَلِمَ ما ذكرناهُ في هذا الفَصلِ علمَ وقتَ الكُسوفِ ودوامَه ومِقدارَه وسببَه .

وأمَّا أنَّهُ يقتَضي منَ التَّأثيرات في الخيرِ والشرِّ والسَّعْدِ والنَّحْسِ والإماتَةِ والإحياءِ وكذا وكذا - كمَا يحكمُ بِهِ المُنجِّمون - فَقَوْلٌ على اللَّهِ وعلى خلقهِ

(١) هي آخر ليالي الشهر .

بما لا يعلمون ، نَعَم ؛ لا نُنكِرُ أنَّ اللَّهَ سبحانهُ يُحدِثُ عندَ الكسوفين مِن أقضيتهِ وأقدارهِ ما يكونُ بلاءً لقومٍ ومُصيبَةً لهم ، ويجعلُ الكسوفَ سببًا لذلكَ ، ولهذا أمرَ النَّبيُّ ﷺ عندَ الكُسوفِ بالفَزَعِ إلى ذكرِ اللَّهِ[1] والصَّلاةِ[2] والعِتاقَةِ[3] والصَّدقَةِ والصِّيامِ ، لأنَّ هذه الأشياءَ تدفعُ مُوجِبَ الكسفِ الذي جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِمَا جَعَلَهُ ، فلولا انعقادُ سببِ التَّخويفِ لَمَا أمرَ بدفعِ مُوجِبهِ بهذه العبادات .

وللَّهِ تعالى في أيَّامِ دهرهِ أوقاتٌ يُحْدِثُ فيها ما يشاءُ من البلاءِ والنَّعماء ، ويَقْضي منَ الأسبابِ بما يدفعُ مُوجِبَ تلكَ الأسباب لمن قامَ به أو يُقلِّلهُ أو يُخفِّفهُ ، فمَن فَزِعَ إلى تلكَ الأسبابِ أو بعضِها اندفعَ عنهُ الشرُّ الذي جَعَلَ اللَّهُ الكسوفَ سبباً لهُ أو بعضُهُ ، ولهذا قلَّ ما يسلمُ أطرافُ الأرضِ حيثُ يخفىٰ الإيمانُ وما جاءَت بهِ الرُّسل فيها مِن شرٍّ عظيمٍ يحصلُ بسببِ الكسوفِ ، وتسلمُ منهُ الأماكنُ التي يظهرُ فيها نورُ النُّبوَّةِ والقيامُ بما جاءَت بهِ الرُّسُل أو يَقِلُّ فيها جدًّا[4] .

ولمَّا كُسِفَت الشمسُ على عَهدِ النَّبيِّ ﷺ قامَ فَزِعًا مُسرِعًا يجرُّ رداءَهُ ، ونادى في النَّاسِ : الصَّلاةُ جامعَةٌ ، وخَطَبَهم بتلكَ الخُطبَةِ البليغَةِ ، وأخبرَ أنَّهُ لم يَرَ كيومهِ ذلكَ في الخَيرِ والشرِّ ، وأمرَهُم عندَ حُصولِ مثلِ تلكَ الحالَةِ بالعتاقَةِ والصَّدقَةِ والصَّلاةِ والتَّوبَةِ ، فصلواتُ اللَّهِ وسلامهُ على أعلمِ الخَلْق باللَّهِ وبأمرهِ وشأنهِ وتَعريفهِ أمورَ مخلوقاتهِ وتَدبيرَهُ ، وأنصحِهم للأُمَّةِ ، ومَن دعاهُم إلى ما فيهِ

---

(١) أَخرجه البخاري (١٠٥٢) ، ومسلم (٩٠٧) عن ابن عبَّاس .

(٢) أَخرجه البخاري (١٠٢٤) ، ومسلم (٩١٤) عن ابن عمر .

(٣) أَخرجه البخاري (٢٥١٩) عن أَسماءَ .

(٤) وهذا أَمرٌ مُشاهَدٌ - وللَّه الحمدُ والمِنَّة - .

سعادتُهم في معاشِهم ومعادهم، ونهاهم عمَّا فيهِ هلاكهم في معاشِهم ومعادِهم .

ولقَد خفيَ ما جاءَت بهِ الرُّسلُ على طَّائفتينِ هلكَ بِسَبَبِهما مَن شاءَ اللَّهُ ونَجَا مِن شِرْكهما من سبقَت لهُ العنايَةُ منَ اللَّهِ :

إحدى الطَّائفتين : وقفتْ مع ما شاهَدَتْهُ وعَلِمَتْهُ من أمورِ هذه الأسبابِ والمُسبِّباتِ ، وإحالَةِ الأمرِ عليها ، وظنَّتْ أنَّهُ ليسَ لها شيءٌ ، فَكَفَرَتْ بما جاءَتْ به الرُّسلُ ، وجحَدَتِ المبدأَ والمعادَ والتَّوحيدَ والنُّبوَّاتِ وغيرَها ممّا انتهى إليهِ علومُها وَوَقَفَتْ عندَهُ أقدامُها من العلمِ بظاهرٍ من المخلوقات وأحوالها .

وجاءَ ناسٌ جُهَّالٌ رأوْهُم قَد أصابوا في بعضها أو كثيرٍ منها ، فقالوا : كُلُّ ما قاله هؤلاء فهو صوابٌ لِما ظَهَرَ لنا مِن صوابهم ، وانْضَافَ إلى ذلك أَنَّ أولئكَ لمَّا وَقَفُوا على الصَّوابِ فيما أدَّتْهم إليهِ أفكارُهم منَ الرِّياضيَّات وبعضِ الطَّبيعيَّات وَثِقُوا بعقُولِهم ، وفَرِحُوا بما عندهم منَ العلمِ ، وظنُّوا أنَّ سائرَ ما خَدَمَتْهُ أفكارُهم منَ العلمِ باللَّهِ وشأنهِ وعَظَمتهِ هو كما أوقَعَهُم عليهِ فِكْرُهم ، وحُكْمُهُ حكمُ ما شهدَ بهِ الحِسُّ من الطَّبيعيَّات والرِّياضيَّات ؛ فتفاقمَ الشرُّ ، وعَظُمَت المصيبَةُ ، وجُحِدَ اللَّهُ وصفاتهُ وخلقُه للعالَمِ وإعادتُه لهُ ، وجُحِدَ كلامُهُ ورُسُلهُ ودينُهُ !

ورأى كثيرٌ مِن هؤلاءِ أنَّهم هم خَواصُّ النَّوعِ الإنسانيِّ ، وأهلُ الألبابِ ، وأنَّ ما عَداهم هم القُشور ، وأنَّ الرُّسُلَ إنَّما قاموا بسياسِتهم لئلّا يكونُوا كالبهائم ، فهم بمنزلَةِ قيِّم المارِسْتان[1]، وأمَّا أهلُ العقولِ والرِّياضاتِ والأفكارِ فلا يحتاجُون إلى الرُّسل ، بل هم يُعَلِّمون الرُّسلَ ما يصنعونهُ للدَّعوَةِ الإنسانيَّة ، كما تجدُ في كُتُبهم : وينبغي للرَّسولِ أن يفعلَ كذا وكذا !

---

(١) هو المُستشْفى .

والمقصودُ أنَّ هؤلاءِ لمّا أَوْقَفَتْهُم أفكارُهم على العلمِ بما خَفِيَ على كثيرٍ من أسرارِ المخلوقات وطبائِعها وأسبابِها ذهبوا بأفكارِهم وعُقولِهم وتجاوَزُوا ما جاءَتْ به الرُّسلُ وظنُّوا أنَّ إصابَتَهُم في الجميعِ سواءٌ ، وصارَ المقلِّدُ لهم في كُفرهم إذا خَطَرَ لهُ إشكالٌ على مذهبهم أو دَهَمَهُ ما لا حِيلَةَ لهُ في دفعهِ من تناقُضِهم وفسادِ أُصولهم يُحَسِّنُ الظَّنَّ بهم ، ويقولُ : لا شكَّ أنَّ علومَهم مُشتملَةٌ على حكمَةٍ ! والجوابُ عنهُ إنَّما يَعْسُرُ عليَّ إدْراكُه ، لأنَّ مَن لم يُحصِّل الرِّياضيَّات ولم يُحْكِم المنطقيَّاتِ وتَمُدُّهُ علومٌ قَد صَقَلَتْها أذهانُ الأوَّلين وأحكمَتْها أفكارُ المتقدِّمين فالفاضلُ كُلُّ الفاضِل من يفهم كلامهم .

وأمَّا الاعتراضُ عليهم وإبطالُ فاسدِ أُصولِهم فعندهم منَ المُحالِ الذي لا يُصَدَّق به ، وهذا مِن خداعِ الشيطان وتلبيسهِ بغرورهِ لهؤلاءِ الجُهَّالِ مُقلِّدي أهلِ الضَّلال كما لَبَّسَ على أئمَّتِهم وسَلَفِهم بأنْ أوهَمَهُم أنَّ كلَّ ما نالوه بأفكارِهم فهو صوابٌ ، كما ظهرتْ إصابتُهم في الرِّياضيَّات وبعضِ الطَّبيعيَّات ، فركَّبَ مِن ضلالِ هؤلاءِ وجَهْلِ أتباعِهم ما اشتدَّتْ بهِ البَلِيَّةُ ، وعَظُمَت لأجلهِ الرَّزيَّةُ ، وضُرِبَ لأجلهِ العالمُ وجُحِدَ ما جاءَت به الرُّسلُ ، وكُفِرَ باللَّهِ وصفاتهِ وأفعالهِ !

ولم يَعلم هؤلاء أنَّ الرَّجلَ يكونُ إمامًا في الحسابِ وهو أجهلُ خَلقِ اللَّهِ بالطِّبِّ والهيئةِ والمنطقِ ، ويكونُ رأسًا في الطِّبِّ ويكونُ من أجهَلِ الخَلْق بالحسابِ والهيئةِ ، ويكونُ مُقدَّمًا في الهندسَةِ وليسَ لهُ علمٌ بشيءٍ من قضايا الطِّبِّ !

وهذه علومٌ مُتقاربَةٌ ، والبُعْدُ بينها وبينَ علومِ الرُّسلِ التي جاءَت بها عن اللَّهِ

أعظمُ من البُعْدِ بينَ بعضها وبعضٍ ، فإذا كانَ الرَّجلُ إمامًا في هذه العلوم ولم يعلم بأيِّ شيءٍ جاءَت بهِ الرُّسلُ ولا تحلَّى بعلومِ الإسلامِ فهو كالعامِّيِّ بالنِّسبَةِ إلى عُلومِهم ، بل أبعدُ منهُ ، وهل يلزمُ مِن معرفَةِ الرَّجلِ هيئةَ الأفلاكِ والطِّبِّ والهندسَةَ والحسابَ أَنْ يكونَ عارفًا بالإلٰهيَّات وأحوالِ النُّفوسِ البشريَّةِ وصفاتِها ومعادِها وسعادتِها وشقاوتِها ؟ وهل هذا إلّا بمنزلَةِ مَنْ يظُنُّ أنَّ الرَّجلَ إذا كان عالمًا بأحوالِ الأبنيةِ وأوضاعِها وَوَزْنِ الأنهارِ والقُنيِّ والقنطرةِ كانَ عالمًا باللَّهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ وما ينبغي لهُ وما يستحيلُ عليهِ !

فعلومُ هؤلاءِ بمنزلِةِ هذه العُلوم التي هي نتائجُ الأفكارِ والتَّجارِب ، فما لها ولعلومِ الأنبياءِ التي يتلقَّوْنها عن اللَّهِ بوسائطِ الملائكَةِ !

هذا وأَيْنَ تَعَلُّقُ الرِّياضيَّات - التي هي نَظَرٌ في نوعي الكمِّ المتَّصل والمنفصلِ والمنطقيَّات - التي هي نظرٌ في المعقولاتِ الثَّابتَةِ ونسبَةِ بعضها إلى بعضٍ بالكُلِّيَّةِ والجزئيَّة والسَّلب والإيجابِ وغير ذلكَ - بمعرفَةِ ربِّ العالمين وأسمائِهِ وصفاتِهِ وأَفعالِهِ وأمرِهِ ونهيِهِ وما جاءَت به رسلُهُ وثوابِه وعقابِه ؟!

ومن الخِدَعِ الإبليسيَّة قولُ الجُهَّالِ : إنَّ فَهْمَ هذه الأُمورِ موقوفٌ على فهم هذه القضايا العقليَّة ! وهذا هو عَينُ الجَهلِ والحُمقِ ، وهو بمنزلَةِ قولِ القائلِ : لا يعرفُ حُدوثَ الرُّمَّانَةِ مَن لم يعرفْ عددَ حبَّاتها وكيفيَّةَ تركيبها وطَبْعَها ، ولا يعرفُ حُدوثَ العينِ مَن لم يعرفْ عددَ طبقاتها وتشريحَها وما فيها من التَّركيب ، ولا يعرفُ حدوثَ هذا البيتِ مَن لم يعرفْ عددَ لَبِناتِهِ وأخشابِه وطبائعَها ومقاديرَها ، وغير ذلكَ منَ الكلامِ الذي يَضْحَكُ منهُ كلُّ عاقلٍ ، ويُنادي على جهلِ قائلِهِ وحُمقِهِ .

بل العلمُ باللَّهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ ودينِهِ لا يحتاجُ إلى شيءٍ من ذلكَ ، ولا يتوقَّفُ عليهِ ، وآياتُ اللَّهِ التي دعا عبادَهُ إلى النَّظرِ فيها دالَّةٌ عليهِ بأوَّلِ النَّظرِ دِلالَةً يشتركُ فيها كُلُّ سليمِ العقلِ والحاسَّةِ .

وأمَّا أدلَّةُ هؤلاءِ فَخيالاتٌ وهميَّةٌ ، وشُبَهٌ عَسِرَةُ المَدْرَكِ ، بعيدَةُ التَّحصيلِ ، مُتناقِضَةُ الأصولِ ، غيرُ مُؤدِّيَةٍ إلى معرفَةِ اللَّهِ ورُسُلِهِ والتَّصديقِ بها ، مستلزمةٌ للكفرِ باللَّهِ وجَحْدِ ما جاءَت بِهِ رسلُه .

وهذا لا يُصدِّق بِهِ إلّا مَنْ عَرَفَ ما عندَ هؤلاءِ ، وعَرَفَ ما جاءَت بِهِ الرُّسلُ ، ووازَنَ بينَ الأمرين ، فحينئذٍ يظهرُ لهُ التَّفاوتُ ، وأمَّا مَن قلَّدهم ، وأحْسَنَ ظَنَّهُ بهم ، ولم يعرفْ حقيقَةَ ما جاءَت بِهِ الرُّسلُ فليسَ هذا عُشُّهُ ، بل هو في أوديَةٍ هائم حيران ينقادُ لكلِّ حيران .

يَغْدُو منَ العلمِ في ثَوبين مِنْ طَمَعٍ مُعَلَّمين بحِرْمانٍ وخِذلانِ

والطَّائفَةُ الثَّانية : رأتْ مُقابَلَةَ هؤلاءِ بِرَدِّ كُلِّ ما قالوهُ من حقٍّ وباطلٍ وظنُّوا أنَّ من ضرورَةِ تَصديقِ الرُّسلِ ردَّ ما عَلِمَهُ هؤلاءِ بالعقلِ الضَّروريِّ ، وعلموا مُقدِّماتِه بالحِسِّ ، فنازعوهم فيهِ ، وتعرّضوا لإبطالِهِ بمقدِّماتٍ جدليَّةٍ لا تُغْني منَ الحقِّ شيئًا ، وليتَهم مع هذه الجنايَةِ العظيمَةِ لم يُضِيفُوا ذلكَ إلى الرُّسل ، بل زعموا أنَّ الرُّسلَ جاؤوا بما يقُولونَهُ ، فساءَ ظنُّ أولئكَ الملاحدَةِ بالرُّسلِ ، وظنُّوا أنَّهم هم أعلمُ وأعرفُ منهم ، ومَنْ حَسُنَ ظنُّهُ بالرُّسلِ ، قال : إنَّهم لم يَخْفَ عليهم ما نقولُهُ ، ولكنْ خاطَبُوهم بما تحتملُهُ عقولُهم من الخطابِ الجُمهوريِّ النَّافعِ للجمهورِ ، وأمَّا الحقائقُ فَكَتَمُوها عنهم .

والذي سلَّطهم على ذلك جَحْدُ هؤلاءِ لحقِّهم ، ومُكابرتُهم إيَّاهم على ما

لا يُمْكِنُ المكابرَةُ عليهِ مما هو معلومٌ لهم بالضَّرورَةِ ؛ كمُكابرتهم إيَّاهم في كونِ الأفلاكِ كُرويَّةَ الشكلِ ، والأرضِ كذلك ، وأنَّ نورَ القمر مُستفادٌ من نورِ الشمسِ ، وأَنَّ الكسوفَ القمريَّ عبارَةٌ عن انْمِحَاءِ ضوءِ القمرِ بتوسُّطِ الأرضِ بينَهُ وبينَ الشمس من حيثُ إنَّهُ يَقتبسُ نُورَهُ منها ، والأرضُ كُرةٌ والسَّماءُ محيطَةٌ بها من الجوانبِ ، فإذا وقعَ القمرُ في ظلِّ الأرضِ انقطعَ عنهُ نورُ الشمسِ - كما قدَّمنا - وكقولهم : إنَّ الكُسوفَ الشمسيَّ معناهُ وقوعُ جِرمِ القمرِ بينَ النَّاظرِ وبينَ الشمسِ عندَ اجتماعِهما في العُقدتين على دقيقَةٍ واحدَةٍ ، وكقولهم بتأثيرِ الأسبابِ المحسوسَةِ في مُسبَّباتها وإثباتِ القوى والطَّبائعِ والأفعالِ والانفعالاتِ ممَّا تقوم عليهِ الأدلَّةُ العقليَّةُ والبراهينُ اليقينيَّةُ ، فيخوضُ هؤلاءِ معهم في إبطالهِ ، فيُغريهم ذلكَ بكُفرهم وإلحادِهم ، والوصيَّةِ لأصحابهم بالتَّمسُّكِ بما هم عليهِ ، فإذا قال لهم هؤلاءِ : هذا الذي تذكُرونهُ على خلافِ الشرعِ ، والمصيرُ إليهِ كفرٌ وتكذيبٌ بالرُّسلِ لم يستريبوا في ذلك ، ولم يَلْحَقْهم فيهِ شكٌّ ، ولكنَّهم يستريبون بالشرعِ ، وتَنْقُصُ مرتبةُ الرُّسلِ من قلوبهم .

وضَرَرُ الدِّين وما جاءَت بِهِ الرُّسل بهؤلاءِ مِن أعظمِ الضَّررِ ، وهو كضررهِ بأُولئكَ الملاحدَةِ ، فهما ضَرَرانِ على الدِّين ضَرَرُ مَنْ يطعنُ فيهِ ، **وضررُ مَن ينصرُهُ بغير طريقِه**[1]، وقد قيل : إنَّ العدوَّ العاقلَ أقلُّ ضررًا مِنَ الصَّديقِ الجاهلِ ، فإنَّ الصَّديقَ الجاهلَ يضرُّكَ من حيثُ يُقدِّرُ أنَّهُ ينفعكَ .

والشأنُ كلُّ الشأنِ أنْ تجعلَ العاقلَ صديقكَ ولا تجعلَهُ عدوَّكَ وتُغْرِيَهُ

---

(١) وهذا تنبيهٌ مهمٌّ له صِلةٌ بالمنهج العلْميِّ والدعوي الذي يجبُ على الأُمَّة - عُلماءَ ودُعاةً وطلبةَ علمٍ - سلوكه ، وهو أَنَّ نصرَ الدينِ إِنَّما يكونُ بطريق الدين لا غير .

بمحاربَةِ الدِّين وأهلِهِ .

فإنْ قلتَ : فَقَد أَطَلْتَ في شأنِ الكُسوفِ وأسبابِهِ ، وجئتَ بما شئتَ بِهِ من البيانِ الذي لم يشهدْ لهُ الشرعُ بالصحَّةِ ولم يشهد له بالبُطلان ، بل جاءَ الشرعُ بما هو أهمُّ منهُ وأجلُّ فائدَةً مِن الأمرِ عندَ الكسوفَين بما يكونُ سببًا لصلاحِ الأُمَّةِ في معاشِها ومعادِها ، وأمَّا أسبابُ الكسوفِ وحسابُه والنَّظرُ في ذلكَ فإنَّهُ مِن العلمِ الذي لا يضُرُّ الجهلُ به ، ولا ينفعُ نفعَ العلمِ بما جاءَت بِهِ الرُّسلُ ، [فَفَرْقٌ بين هذا العلم] وبينَ علومِ هؤلاءِ ، فكيفَ نصنعُ بالحديثِ الصَّحيحِ عن النَّبيِّ ﷺ : « إِنَّ الشمسَ والقمرَ آيتان من آيات اللّهِ ، لا ينخَسِفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ، فإذا رأيتم ذلكَ فافزَعُوا إلى ذكرِ اللّهِ والصَّلاةِ »[1] فكيفَ يُلائمُ هذا ما قالَهُ هؤلاء في الكسوف ؟!

قيلَ : وأيُّ مُناقَضَةٍ بينهما ؟ وليسَ فيهِ إلّا نفيُ تأثيرِ الكسوفِ في الموتِ والحياةِ على أحدِ القولين أو نفيُ تأثُّرِ النَّيِّرَيْنِ بموتِ أحدٍ أو حياتِهِ على القولِ الآخَرِ ، وليسَ فيهِ تعرُّضٌ لإبطالِ حسابِ الكُسوفِ ، ولا الإِخبارُ بأنَّهُ مِنَ الغيبِ الذي لا يعلمُهُ إلّا اللَّهُ .

وَأَمْرُ النبيِّ ﷺ عندهُ بما أَمَرَ بِهِ من العتاقَةِ والصَّلاةِ والدُّعاء والصَّدقَةِ كأمرِهِ بالصَّلواتِ عندَ الفجرِ والغروبِ والزَّوالِ ، مع تضمُّنِ ذلكَ دفعَ مُوجِبِ الكسوفِ الذي جَعَلَهُ اللَّهُ سبحانهُ سببًا لهُ .

فَشَرَعَ النَّبيُّ ﷺ للأُمَّةِ عندَ انعقادِ هذا السَّبب ما هو أنفعُ لهم وأجدى عليهم في دنياهم وأخراهم مِن اشتغالهم بعلمِ الهيئةِ وشأنِ الكُسوفِ وأسبابِهِ .

فإنْ قيلَ : فما تصنعون بالحديثِ الذي رواهُ ابنُ ماجه في « سننِهِ » والإمامُ

(١) تقدَّم تخريجُه .

أحمد والنَّسائي[١] من حديثِ النُّعمان بن بشير قال : انكسفت الشمسُ على عَهدِ النَّبيِّ ﷺ فَخَرجَ فَزِعًا يجُرُّ ثوبهُ ، حتى أتى المسجدَ ، فلم يزل يُصلِّي حتى انجلَت ، ثمَّ قال : « إنَّ ناسًا يزعُمون أنَّ الشمسَ والقمرَ لا ينكسِفان إلّا لموتِ عظيمٍ منَ العظماء ، وليسَ كذلك ؛ إنَّ الشمسَ والقمرَ لا ينكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياتهِ ، فإذا تجلَّى اللَّهُ لشيءٍ من خلقهِ خشعَ لهُ » .

قيلَ : قَد قال أبو حامدٍ الغَزَالي : إنَّ هذه الزِّيادَة لم يصحَّ نقلُها ، فيجبُ تكذيبُ قائِلها ، وإنَّما المرويُّ ما ذَكَرْنا - يعني الحديثَ الذي ليستْ هذه الزِّيادَةُ فيه - ، قال : ولو كانَ صحيحًا لكانَ تأويلُهُ أهونَ مِن مُكابرَةِ أمورٍ قطعيَّةٍ ، فكم من ظواهرَ أُوِّلَتْ **بالأدلَّةِ العقليَّة**[٢] التي لا تتبيَّنُ في الوضوحِ إلى هذا الحدِّ وأعظمَ .

فانفرجَ بهِ المُلْحِدَةُ أَنْ يُصرِّحَ ناصرُ الشرع بأنَّ هذا وأمثالَهُ على خلافِ الشرعِ ، فيسهلُ عليهِ طريقُ إبطالِ الشرعِ ، وإنْ كانَ شرطُهُ أمثالَ ذلكَ !

وليسَ الأمرُ في هذه الزِّيادَة كما قالهُ أبو حامدٍ ؛ فإنَّ إسنادها لا مطعنَ فيهِ؛ قال ابنُ ماجه : حدَّثنا مُحمَّد بن المثنَّى وأحمد بن ثابتٍ وحُميد بن الحسن

---

(١) أَخرجه ابنُ ماجه (١٢٦٢) ، وأَحمد (٤ / ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٧٧) ، والنَّسائي (٣ / ١٤١ و ١٤٥) ، وأَبو داود (١١٩٣) ، وابنُ خُزيمة (١٤٠٣) و (١٤٠٤) من طريق عن أَبي قِلابة عن النُّعمان .

ورواه البيهقي في « سننه » (٣ / ٣٣٢ - ٣٣٣) وقال : « هذا مُرسَلٌ ؛ أَبو قِلابة لم يسمعْهُ من النعمان بن بشير ، إنَّما رواه عن رجل عن النعمان ، وليس فيه هذه اللفظةُ الأَخيرةُ » .

قُلْتُ : وأَخرجه هكذا أَحمد (٤ / ٢٦٧) ، والبيهقي (٣ / ٣٣٣) .

(٢) **القاطعة التي لا تحتملُ شكًّا ، ويكون لتأويلها وجهٌ من وجوهِ العلم الصحيح المُعْتَبَر الموافق لقواعد اللغةِ .**

قالوا : حدَّثنا عبدُالوهَّابِ قال : حدَّثنا خالدٌ الحذَّاء ، عن أبي قِلابَةَ ، عن النُّعمان بن بشيرٍ ... فذكرهُ ؛ وهؤلاءِ كلُّهم ثقاتٌ حُفَّاظٌ[1]، لكنْ **لعلَّ** هذه اللفظَةَ مُدْرَجَةٌ في الحديثِ من كلامِ بعضِ الرُّواةِ ، ولهذا لا تُوجَدُ في سائرِ أحاديثِ الكسوفِ ، فَقَد رواها عن النَّبيِّ ﷺ بضعَةَ عشرَ صحابيًّا :

عائشةُ أمُّ المؤمنين ، وأسماءُ بنت أبي بكرٍ، وعليُّ بن أبي طالبٍ، وأُبَيُّ بن كعبٍ ، وأبو هُرَيرَة ، وعبدُاللَّهِ بنُ عبَّاسٍ ، وعبدُاللَّهِ بن عُمر ، وجابرُ بن عبداللَّهِ ، وسَمُرَةُ بن جُنْدُب ، وقَبِيصَة الهِلالي، وعبدالرَّحمن بن سَمُرة[2]، فلم يذكر أحدٌ منهم هذه اللفظَةَ التي ذُكِرَتْ في حديثِ النُّعمانِ بن بشيرٍ ، فَمِن ها هُنا نخافُ أَنْ تكونَ أُدْرِجَت في الحديثِ إدراجًا ، وليسَت من لفظِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) نَعَم ؛ ولكنْ ماذا تفعل - أَيُّها الإمام - بالانقطاع بين أَبي قِلابةَ والنعمان ، وقد أَعلَّه به البيهقيُّ ؟!

وانظر « المراسيل » (ص٧١) لأبنِ أَبي حاتم، و « جامع التحصيل » (ص٢١١) للعلائي.

ثمَّ إِنّي أَقولُ : لا يختلفُ حكمُ المصنِّف على الحديثِ - من حيثُ الثمرة - عن حُكمنا عليه ، لأَنَّه حَكَم على الزيادة بالإِدْراجِ ، وهذا مَصِيرٌ منه إِلى ردِّها .

وأَمَّا أَصلُ الحديثِ فله عشراتُ الشواهد تُثبِّتُهُ وتصحِّحهُ .

(٢) هؤلاء أَحدَ عشر راويًا ، ذكر منهم ابنُ الأَثير في « جامع الأُصول » (٦ / ١٥٦ - ١٩١) عشرةً ، ولم يذكر حديثَ عليٍّ رضي اللَّه عنه ، وهو في « المسند » (١ / ١٤٣) .

ورواه - أَيضًا - ابنُ خزيمة (١٣٨٨) و (١٣٩٤) ، والبيهقي (٣ / ٣٣٠) .

وأَشار إِلى حديثِ عليٍّ - دون سنده أَو متنه - الإِمام مسلم في « صحيحه » (٩٠٨) ، وهذا منه كالتعليق ، فَلْيُسْتَدْرك على مُعلّقات مسلمِ المعروفة .

وفي « جامع الأُصول » (٦ / ١٦٧ و ١٧٦ - ١٧٨ و ١٨٤) أَحاديثُ أَبي مسعود البدري ، والمغيرة ، وأَبي موسى الأَشعري ، وأَبي بكرة وعبداللَّه بن عَمْرو .

ولشيخنا الأَلباني جُزْءٌ مُفرَدٌ في صلاة الكسوف ، لمّا يُطبع بعد .

على أنَّ ها هُنا مسلكًا بعيدَ المأخذِ ، لطيفَ المَنْزِعِ ، يتقبَّلُهُ العقلُ السَّليم والفطرَةُ السَّليمَةُ ، وهو أنَّ كُسوفَ الشمسِ والقمرِ وَجَبَ لهما مِن الخُشوعِ والخُضوعِ بانْمِحَاءِ نُورِهما ، وانقطاعِهِ عن هذا العالَم ما يكونُ فيه سُلطانُهما وبهاؤهما ، وذلك يُوجِبُ لا محالَةَ لهما من الخُشوعِ والخضوعِ لربِّ العالمين وعظمتِهِ وجلالِهِ ما يكونُ سَبَبًا لتجلِّي الربِّ تباركَ وتعالى لهما ، ولا يُسْتَنْكَر أن يكونَ تجلِّي اللَّهِ سبحانهُ وتعالى لهما في وقتٍ مُعيَّنٍ كما يدنو من أهلِ الموقفِ عشيَّةَ عرفةَ[١]، وكما ينزلُ كلَّ ليلَةٍ إلى سماءِ الدُّنيا عندَ مُضيِّ نصفِ الليلِ[٢]، فَيُحدِثُ لهما ذلك التَّجلِّي خُشوعًا آخرَ ليسَ هو الكسوفَ ، ولم يَقُلِ النَّبيُّ ﷺ : إنَّ اللَّهَ إذا تجلَّى لهما انْكَسَفا ! ولكنَّ اللفظَةَ : « فإذا تَجَلَّى اللَّهُ لشيءٍ من خلقهِ خَشَعَ لهُ » ، ولفظُ الإمامِ أحمد[٣] في الحديث : « إذا بَدَا اللَّهُ لشيءٍ من خلقهِ خَشَعَ له » ، فها هُنا خشوعان : خشوعٌ أوجبهُ كسوفُهما بذهابِ ضوئهما وانمحائهِ فتجلَّى اللَّهُ سبحانهُ لهما ، فَحَدثَ لهما عندَ تجلِّيهِ تعالى خشوعٌ آخرُ بسَبَبِ التَّجلِّي[٤]، كما حدثَ للجبلِ إذ تجلَّى تباركَ وتعالى لهُ أنْ صارَ دكًّا ، وساخَ في الأرضِ ، وهذا غايَةُ الخُشوعِ ، لكنَّ الربَّ تباركَ وتعالى

---

(١) وفي هذا أَحاديثُ ، منها ما أَخرجه مسلم (١٣٤٨) عن عائشة .

(٢) والأَحاديثُ في ذلك مُتواترةٌ مشهورةٌ ، فانظر « عقيدة السَّلف أَصحاب الحديث » (ص ٢٦ - ٥٠) للإمام أَبي عُثمان الصابوني .

وللحافظ الدارقطني جزءٌ مُفْرَدٌ في ذلك .

(٣) لفظُ أَحمد في النّسخة التي بين أَيدينا : « إذا تجلّى » ، واللفظُ المذكور عند المؤلّف هنا ، إنَّما هو لفظُ النّسائي (٣ / ١٢١) .

(٤) وهذا كلُّه على اعتبار صحَّة اللفظة المشار إليها ، ولم تصحَّ ، كما تقدَّم .

ثَبَّتَهما لتجلِّيهِ عنايَةً بِخَلْقهِ لانْتِظامِ مَصالحِهِمْ بهما ، ولو شاءَ سبحانهُ لثبَّتَ الجبلَ لِتَجَلِّيهِ كما ثبَّتهما ، ولكنْ أَرىٰ كليمَهُ موسى أنَّ الجبلَ العظيمَ لم يُطِقِ الثَّباتَ لهُ ، فكيفَ تطيقُ أنتَ الثَّباتَ للرُّؤيَةِ التي سأَلْتَها ؟!

□□□□□

١٦٣ - فَصْلٌ
[إذا ذُكر النُّجومُ فأَمسِكوا]

وأمَّا استدلالُهُ بحديثِ ابنِ مسعودٍ عن النَّبيِّ ﷺ : « إذا ذُكرَ القدرُ فأمسِكوا ، وإذا ذُكرَ أصحابي فأمسِكوا ، وإذا ذُكرَ النُّجومُ فأمسِكوا » ، فهذا الحديثُ - لو ثبَتَ[1]- لكانَ حُجَّةً عليهِ لا لهُ ، إذ لو كانَ علمُ الأحكامِ النُّجوميَّة حقًّا لا باطلًا ، لم يَنْهَ عنهُ النَّبيُّ ﷺ ، ولا أمرَ بالإمساكِ عنهُ ؛ فإنَّهُ لا ينهى عن الكلامِ في الحَقِّ ، بل هذا يَدُلُّ على أنَّ الخائضَ فيهِ خائضٌ فيما لا علمَ له بهِ ، وأنَّهُ لا ينبغي لهُ أن يخُوضَ فيهِ ، ويقولَ على اللَّهِ ما لا يعلمُ ، فأينَ في هذا الحديثِ ما يدلُّ على صحَّةِ علمِ أحكامِ النُّجومِ ؟!

وأمَّا أحاديثُ النَّهيِ عن السَّفرِ والقمرُ في العقرب فصحيحٌ من كلامِ المُنجِّمين ! وأمَّا رسولُ ربِّ العالمين فبريءٌ ممَّن نَسَبَ إليهِ هذا الحديثَ وأمثالَهُ ، ولكنْ إذا بَعُدَ الإنسان عن نُورِ النُّبوَّةِ ، واشتدَّت غربتُهُ عمَّا جاءَ بِهِ الرَّسولُ جوَّزَ عقلُهُ مثلَ هذا كما يُجَوِّزُ عقلُ المشركين أَنْ يقولَ النَّبيُّ ﷺ : « لو حسَّنَ أَحدُكم ظنَّهُ بحجرٍ نَفَعَهُ »[2] ! وهذا ونحوُه من كلامِ عُبَّادِ الأصنامِ الذين

---

(١) تقدَّم تخريجُهُ ، وبيان ثبوتِه .

(٢) نقل السخاوي في « المقاصد » (٨٨٣) عن شيخِ الإِسلام قولَه : « إنَّه كذبٌ » ، وعن ابن حَجَر قولَه : « لا أَصلَ له » .

ونقل القاري في « الأَسرار المرفوعة » (ص ٢٨٢) عن مُصنِّفنا في هذا الكتابِ كلامَه في الحديثِ .

=

حسَّنوا ظنَّهم بالأحجارِ ، فساقهم حُسنُ ظنِّهم إلى دارِ البوار .

وأمَّا الرِّوايَةُ عن عليٍّ أنَّهُ نهى عن السَّفرِ والقَمَرُ في العقربِ ! فَمِنَ الكذبِ على عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ ، والمشهورُ عنهُ خلافُ ذلك وعكسُهُ ، وأنَّهُ أرادَ الخُروجَ لحربِ الخوارج ، فاعترضَهُ مُنجِّمٌ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين لا تخْرُجْ ، فقال : لأيِّ شيءٍ ؟ قال : إنَّ القمرَ في العقرب ، فإنْ خَرَجْتَ أُصِبْتَ وهُزِمَ عسكرُكَ ، فقال عليٌّ رضيَ اللَّهُ عنهُ : ما كانَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا لأبي بكرٍ ولا لِعُمَرَ مُنجِّمٌ ، بل أخرُجُ ثقَةً باللَّهِ ، وتوكُّلًا على اللَّهِ ، وتكذيبًا لقولكَ ، فما سافَرَ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ سفرَةً أبركَ منها ؛ قَتَلَ الخوارجَ ، وكفى المسلمين شرَّهم ورجعَ مُؤيَّدًا منصورًا ، فائزًا ببشارَةِ النَّبيِّ ﷺ لمَن قَتَلَهُم حيثُ يقولُ : « شرُّ قتلى تحتَ أديمِ السَّماءِ ، خيرُ قتيلٍ مَنْ قتلوهُ[1] » ، وفي لفظٍ : « طوبى لِمَن

= وانظر « تذكرة الموضوعات » (٢٨) لِلفَتَّني .

(١) رواه عبدالرزَّاق (١٨٦٦٣)، وأَحمد (٥ / ٢٥٣ و ٢٦٢)، والحُميدي (٩٠٨) ، والترمذي (٣٠٠٠) ، وابن ماجه (١٧٦) ، والطَّحاويُّ في « المُشكل » (٣ / ٢٠٩) ، والطبراني في « الكبير » (٨٠٣٣) و (٨٠٣٤) و (٨٠٣٥) ، و (٨٠٣٧) و (٨٠٤٦) و (٨٠٤٩) و (٨٠٥٦) من طرق عن أَبي غالبٍ عن أَبي أُمامة .

وقال الترمذي : حديثٌ حَسَنٌ .

وفي أَبي غالبٍ كلامٌ لا يُسْقِطه - إِن شاء اللَّهُ - عن حَيِّز الحُسْنِ .

وتوبع أَبو غالب :

فرواه أَحمد (٥ / ٢٥٠) مِن طريق سيَّار عن أَبي أُمامة .

ورواه - أَيضًا - (٥ / ٢٦٩) من طريق صفوان بن سُليم عنه .

ورواه الحاكمُ (٢ / ١٤٩ - ١٥٠) من طريق شدَّاد أَبي عمَّار ، عنه .

والأَلفاظ الأُخرى التي أَشار إِليها المؤلِّف هي شواهدُ لها ، وسيأْتي تخريجُها معها .

قتلهم »[١]، وفي لفظٍ : « تقتُلُهم أَوْلى الطَّائفتين بالحقِّ »[٢]، وفي لفظٍ : « لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتلَ عادٍ[٣]» ، وقال عليٌّ لأصحابهِ : لولا أن تَتَّكِلوا لحدَّثْتُكم بما لكم عندَ اللَّهِ في قتلهم .

فكانَ هذا الظَّفَرُ ببركَةِ خلافِ ذلكَ المُنجِّم وتكذيبِهِ والثِّقَةِ باللَّهِ ربِّ النُّجوم والاعتماد عليهِ ، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ فيمَن لم يلتفتْ إلى النُّجوم ولا بَنَىٰ عليها حركاتِه وسكناتِهِ وأسفارَهُ وإقامَتهُ ، كما أنَّ سُنَّتَهُ نَكبَةُ مَن كانَ مُنقادًا لأربابها ، عاملًا بما يحكُمون لهُ بهِ ، وفي التَّجارِب من هذا ما يكفي اللبيبَ المؤمنَ ، واللَّهُ الموفِّقُ .

□ □ □ □ □

(١) رواهُ أَحمدُ (٤ / ٣٨٢) وابنُ أَبي عاصم في « السُّنَّة » (٩٠٦) عن عبداللَّه بن أَبي أَوْفىٰ بسند حَسَن .

(٢) رواه مسلم (١٠٦٥) (١٥١) .

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٢) عن أَبي سعيد الخُدريّ .

١٦٤ - فَصْلٌ
[المُنَجِّمون والبُرُوج]

والذي أوجبَ للمُنجِّمين كراهيةَ السَّفرِ والقمرُ في العقرب أنَّهم قالوا : السَّفر أمرٌ يرادُ لخيرٍ منَ الخيرات ، فإذا كانَ الوُصولُ إلى ذلك الأمرِ أسرعَ كانَ أَجْوَدَ ، فينبغي على هذا أن يكونَ القمرُ في بُرجٍ مُنقلبٍ والعقربُ برجٌ ثابتٌ ، والثَّوابتُ عندهم تدلُّ على الأُمورِ البطيئةِ !

قالوا : وأيضًا البُرجُ للمِرِّيخ ، والمِرِّيخُ عندهم نَحْسٌ أكبرُ ، والنَّحْسُ يَنْحَسُ الحُظوظَ على أصحابها فينبغي أَنْ يكونَ القمرُ في بُرجِ سَعْدٍ لأنَّ السَّعْدَ ينفعُ والنَّحسَ يضرُّ ، وأيضًا فإنَّ هذا البُرْجَ هو بُرجُ هُبوطِ القمرِ ، وإذا كانَ الكوكبُ في هُبوطهِ لا يلتئمُ لصاحبهِ ما يريدُهُ ويقصدُهُ ، بل يكون وَبالًا عليهِ ، لأنَّ الكوكبَ الهابطَ عندهم كالمُنَكَّسِ ، وأيضًا فإنَّ القمرَ عندهم ربُّ تاسعِ العقربِ ، وإذا كانَ ربُّ التَّاسعِ منحوسًا فالسَّفَرُ مكروهٌ لأنَّ التَّاسعَ منسوبٌ إلى السَّفرِ .

وبالجُملَةِ ؛ فإنَّ العقربَ عندهم شرُّ البروج ، والقمر على الإطلاق .

قالوا : فلذلك ، ينبغي الحَذَرُ منَ السَّفرِ والقمرُ في العقربِ ، قالوا : فَمَنْ كَرِهَ السَّفر إذ ذاكَ فإنَّما يكرهُهُ بعلمهِ وعقلهِ ، وأميرُ المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رضيَ اللَّهُ عنهُ أعقلُ أهل زمانهِ وأعلمُهم ، فهو أَوْلى بكراهتهِ ، وليسَ ذلكَ مخصوصًا عندهم بالسَّفرِ وحدَهُ ، بل يَكْرَهُون جميعَ الابتداآتِ والاختياراتِ

والقمرُ في العقربِ ، ولمّا كانَ القمرُ أسرعَ الكواكبِ حركَةً ، فهو أَوْلىٰ أن يكونَ دليلًا على الأُمورِ المُنقلبَةِ ، والسَّفرُ أمرٌ منقلبٌ ، والعقربُ برجٌ ثابتٌ غيرُ منقلبٍ !

والتَّجرِبَةُ والواقعُ من أكبرِ شاهدٍ على تكذيبهم في هذا الحُكم ، فكم مِمَّن سافَرَ وتزوَّجَ وابتدأ واختارَ ، والقمرُ في العقربِ ، وتمَّ لهُ مُرادُهُ على أكملِ ما كانَ يُؤَمِّلهُ ، ولا يزالُ النَّاسُ يُنْشِؤونَ الأسفارَ والابتداآتِ والاختياراتِ في كُلِّ وقتٍ والقمرُ في العقربِ وغيرِهِ ، ويَحْمَدُونَ عواقبَ أسفارِهم ، كما أَنْشَأَ أميرُ المؤمنين عليٌّ رضيَ اللّٰهُ عنهُ سفَرَ جهادِهِ للخوارجِ والقمرُ في العقربِ ، وأنشأ المعتصمُ سَفَرَ فتحِ عُمورِيَةَ وجهادِ أعداءِ اللّٰهِ والقمرُ في العقرب .

وقَد أجْمَعَ الكذَّابون أنَّهُ إنْ خَرجَ كُسِرَ عسكرُهُ وقُتِلَ أو أُسِرَ ، فبيَّنَ اللّٰهُ للمسلمين كذبَهم بذلك الفتحِ الجليلِ .

ولو استقْصَيْنا أمثالَ هذه الوقائع لطالَ الأمرُ جدًّا .

ومَن أرادَ أنْ يعلمَ كذبَهم قَطعًا فَلْيَبتدىء سَفَرًا أو اختيارًا أو بناءً أو غيرَه والقمرُ في العقربِ ، ولْيتوكَّل على اللّٰهِ ، ولْيُسافر ، فإنَّهُ يَرى ما يغبِطُهُ ويَسُرُّهُ .

ومِنْ أبينِ الكذبِ والبَهْتِ الكذبُ على الحِسِّ والواقع ، وهذا الذي كَرِهُوه وحذَّروا منهُ لو كانَ الواقعُ شاهدًا بِهِ لكانَ النَّاسُ لا يختارون ولا يُسافرون ولا يبتدؤون شيئًا البتَّةَ والقمرُ في العقربِ ، وكانَ علمُهُمْ بهذا وتجربتُهم لهُ معلومًا بالضَّرورَةِ ، فكيفَ والأمرُ بالعكسِ ؟ وأيضًا ، فيُقال لهُ : قَد يكونُ القمرُ في العقربِ ويُجامِعُهُ السُّعودُ ، وهما المشتري والزُّهَرَة مثلًا ، ويكون ربُّ بيتِ السَّفرِ وبيتِ الطَّالع وبيتُ السَّفرِ أيضًا سُعوداتٍ ، فهلّا قلتُم : إنَّ السَّفرَ حينئذٍ يكونُ صالحًا لاجتماعِ هذه السُّعودات في البُرجِ المنقلبِ ، واجتماعُها

يُكسِبُها قوّةً ؟ بل قال فُضَلاؤكم : يكونُ القمرُ في العقربِ مَسعودًا إنْ جامعَ السُّعودَ ، بل قالوا : إنَّ السُّعودَ أيضًا تنتحسُ فيهِ ، فإذا حلَّ السُّعودُ العقربَ انتحسَت فيهِ ، ولذلكَ قلتم : إنَّ الشمسَ إذا حلَّت ضَعُفَتْ فيهِ أيضًا جدًّا ، وإنْ كانَ معهُ السَّعدانِ - أعني المشتري والزُّهَرَة - فلوْ قُلِبَ عليكم هذا الاستدلالُ ، وقيلَ : إذا حلَّت السُّعودُ في هذا البُرج قَوِيَ فعلُها وتضافَرَ بعضُها مع بعضٍ ، فقويَ السَّعدُ باجتماعها ، ولم يَقْوَ البرجُ على إنحاسها ، وقوّةُ زُحَلَ والمِرِّيخ النَّحسين على هذا البُرجِ لا يستلزمُ إنحاسَ هذه السُّعود ، بل إنَّ سعادتَها تُؤثِّرُ في نحسِها ! كانَ من جنسِ قولكم .

ومن هنا قال أبو نَصرٍ الفارابيُّ : واعلم أنَّكَ لو قَلَبْتَ أوضاعَ المنجِّمين ، فجعلتَ السَّعدَ نحسًا ، والنَّحسَ سعدًا ، والحارَّ باردًا ، وعكسَهُ لكانَت أحكامُكَ مِن جنسِ أحكامهم تصيبُ وتُخطىءُ (١) !

□□□□□

---

(١) فهل مِن مُدَّكِرٍ ؟!

١٦٥ - فَصْلٌ
[مِن الكذب على عليٍّ بن أبي طالب]

وأمَّا ما احْتُجَّ بهِ منَ الأثرِ عَن عليٍّ أنَّ رجلًا أتاهُ ، فقالَ : إنِّي أريدُ السَّفرَ ، وكانَ ذلكَ في مَحَاقِ الشهر ، فقال : أَتُريدُ أنْ يمحَقَ اللَّهُ تجارتَكَ ، استقبِلْ هلالَ الشهرِ بالخروجِ !

فهذا لا يُعلَمُ ثُبوتهُ عن عليٍّ ، **والكذَّابون كثيرًا ما يُنَفِّقون سِلَعَهُم البَطَّالَة بنسبتها إلى عليٍّ وأهلِ بيتهِ** كأصحابِ القُرعَةِ والجَفْرِ والبطاقَةِ والهَفْتِ[1] والكيمياءِ والملاحم وغيرِها، فلا يَدري ما كُذبَ على أهلِ البيتِ إلّا اللَّهُ سبحانهُ.

ثمَّ لو صحَّ هذا عن عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنهُ لم يكُن فيه تَعْريضٌ لِثُبوتِ أحكامِ النُّجومِ بوجهٍ .

ولا ريبَ أنَّ استقبالَ الأسفارِ والأفعالِ في أوائلِ النَّهارِ والشهرِ والعامِ لها مَزِيَّةٌ ، والنَّبيُّ ﷺ قَد قال : « اللهمَّ بارك لِأُمَّتي في بُكورِها »[2]، وكانَ صخرٌ

(١) هذه كلُّها مِنْ ضلالات الروافض الَّتي ينسبونها - سواءٌ أكانت كُتُبًا أَم مقالاتٍ أَم أَفكارًا - لعليٍّ رضي الله عنه ، وانظر لنقضها « مجموع فتاوى شيخ الإسلام » (٣٥ / ١٨٣) و « دَرْء التعارض » (٥ / ٢٦) و « منهاج السنَّة » (٢ / ٤٦٤) و (١٠٨) ، و « نقض المنطق » (ص ٦٦) .

وانظر كتابي « التحذيرات مِن الفتن العاصفات » (ص ٣٨ - ٤٩) .

(٢) رواه أَحمد (٣ / ٤١٦ و ٤١٧ و ٤٣١) و (٤ / ٣٨٤ و ٣٩٠) ، وأَبو داود (٢٦٠٦) ، وابن ماجه (٢٢٣٦) ، والترمذي (١٢١٢) ، وعبد بن حُميد (٤٣٢) ، =

الغامديُّ راوي الحديثِ إذا بعثَ تجارَةً لهُ بَعَثها في أوَّلِ النَّهارِ ، فأَثرىٰ وكَثُرَ مالُهُ .

ونسبَةُ أوَّلِ النَّهارِ نسبَةُ أوَّلِ الشهر إليهِ وأوَّل العامِ إليهِ ، فللأوائلِ مَزِيَّةُ القُوَّةِ ، وأوَّل النَّهارِ والشمسِ بمنزلَةِ شبابِهِ ، وآخِرُهُ بمنزلَةِ شيخوختهِ ، وهذا أمرٌ معلومٌ بالتَّجرِبَةِ ، وحكمَةُ اللّهِ تَقتضيهِ .

وأمَّا ما ذكرهُ عن اليهوديِّ الذي أخبرَ ابنَ عبَّاسٍ بما أخبرهُ من موتِ ابنهِ إلى تمام ذِكْرِ القصَّةِ ! فهذه الحكايَةُ إنْ صحَّتْ فهي من جنسِ إخبارِ الكُهَّان بشيءٍ

= والدارمي (٢ / ٢١٤) ، والنَّسائي في « الكبرى » (٨٨٣٣) ، وابنُ أَبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٤٠٢) ، والبخاري في « تاريخه » (٤ / ٣١٠)، وابن أَبي شيبة (١٢ / ٥١٦) ، والبغوي في « مسند ابن الجعد » (٢٥٥٧) وابن حبَّان (٤٧٥٤) و (٤٧٥٥) ، ومُحييُ السنَّة في « شرح السنَّة » (٢٦٧٣) ، والطبراني في « الكبير » (٧٢٧٥) و (٧٢٧٦) و (٧٢٧٧) من طريق يعلى بن عطاء عن عُمارة بن حَديد ، عن صخر .

وعُمارةُ فيه جهالةٌ .

وقال الترمذي : « حديث حَسَنٌ » .

أَي : لغيرهِ ، بشواهدِهِ وطرقِهِ .

ومن شواهده : حديثُ عليٍّ ؛ أَخرجه عبداللّٰه بن أَحمد في « زوائد المسند » (١٣٢٠) و (١٣٢٣) و (١٣٢٩) و (١٣٣١) و (١٣٣٩)، والبزَّار (٦٩٦)، وأَبو يعلى (٤٢٥)، والترمذي في « العلل الكبير » (١٨٤) ، وابن أَبي شيبة (١٢ / ٥١٧) وفيه ضعفٌ وجهالةٌ .

وفي الباب أَحاديثُ عِدَّةٌ ، يجزم معها الباحثُ (المنصفُ) بحسنِها :

قال المنذري في « الترغيب » (٢ / ٥٢٩) بعد ذِكره أَسماءَ مَن رواه عن النَّبيِّ ﷺ مِن الصحابة : « وبعض أَسانيده جيدة » ، وقال : « وفي كثير من أَسانيدها مقالٌ ، وبعضُها حَسَنٌ » .

ونَقَلَ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٩٠) عن شيخه الحافظ ابن حجر قولَه فيها : « منها ما يصحّ ، ومنها ما لا يصحُّ ، وفيها الحَسَن والضعيف » .

واللّهُ الموفِّق للسَّداد .

من المُغَيَّبات ، وقَد أخبرَ ابنُ صيَّادٍ النَّبيَّ ﷺ بما خبَّأ لهُ في ضميرِهِ ، فقال لهُ : « إنَّما أنتَ من إخوانِ الكُهَّانِ[1] » ، وعِلمُ تقدُّم المعرفَةِ لا يَختصُّ بما ذكرهُ المنجِّمون ، بل لهُ عدَّةُ أسبابٍ يُصيبُ ويُخطىء ، ويَصْدُقُ الحكمُ معها ويكذبُ ؛ منها الكهانَةُ ، ومنها المنامات ، ومنها الفألُ والزَّجرُ ، ومنها السَّانحُ والبارحُ[2] ، ومنها الكفُّ ، ومنها ضربُ الحصى ، ومنها الخطُّ في الأرضِ ، ومنها الكُشوفُ المستندَة إلى الرِّياضَةِ ، ومنها الفراسَةُ ، ومنها الخَزَارَة[3] ، ومنها علمُ الحُروفِ وخَوَاصِّها ، إلى غيرِ ذلكَ منَ الأمورِ التي يُنَالُ بها جزءٌ يسيرٌ من علمِ الكُهَّانِ .

وهذا نظيرُ الأسبابِ التي يَستدلُّ بها الطَّبيبُ والفلَّاحُ والطَّبائعيُّ على أُمورٍ غيبيَّةٍ بما تقتضيه تلكَ الأدلَّةُ ، مثالُ الطَّبيبِ إذا رأى الجرحَ مُستديرًا حكَمَ بأنَّهُ عَسِرُ البرءِ ، وإذا رآهُ مُستطيلًا حكَمَ بأنَّهُ أسرع برءًا ، وكذلكَ علاماتُ البحَّارين وغيرُهما .

ومَن تأمَّلَ ما ذكرهُ بُقراطُ في علائمِ الموتِ رأى العجائبَ ، وهي علاماتٌ صحيحَةٌ مُجَرَّبةٌ ، وكذلكَ ما عَلِمَ به الرُّبَّان في أُمورٍ تحدثُ في البحرِ والرِّيح

---

(١) لم أَقِف على هذا اللفظ فيما بحثتُ في قصَّةِ ابن صيَّاد ، والمشهورُ ما أَخرجه البخاري (٣٠٥٥) ، و مسلم (٢٩٣٠) عن ابن عُمر أَنَّ النَّبيّ ﷺ قال لابن صيَّاد : « إِنِّي قد خَبَّأْتُ لك خبيئًا » ، قال ابنُ صيَّاد : الدُّخّ ! فقال النَّبيُّ ﷺ : « اِخْسَأْ فلن تَعْدُوَ قَدْرَك » .

قال القاضي عِيَاض : أَي : « القدر الذي يُدركه الكُهّانُ مِن الاهتداء إِلى بعض الشيء ، وما لا يبين من تحقيقِه ، ولا يَصِلُ به إِلى بيان وتحقيق أُمور الغيب » .

نقله النووي في « شرح مسلم » (٥ / ٧٧١) .

(٢) البَرَكة والشؤم .

(٣) يقال : الخازِر : الرجل الداهية .

بعلاماتٍ تدُلُّ على ذلكَ من طُلوعِ كوكبٍ أو غُروبِهِ أو علاماتٍ أخرى فيقول : يَقَعُ مطرٌ ، أو : يحدثُ ريحٌ كذا وكذا ، أو : يضطربُ البحرُ في مكانِ كذا ووقتِ كذا ، فيقعُ ما يَحْكُمُ به ، وكذلكَ الفَلَّاحُ يَرى علاماتٍ فيقول : هذه الشجرَةُ يُصيبها كذا ، وتَيْبَسُ في وقتِ كذا ، وهذه الشجرةُ لا تحملُ العامَ ، وهذه تحملُ ، وهذا النَّباتُ يصيبهُ كذا وكذا ؛ لِمَا يرى من علاماتٍ يختصُّ هو بمعرفتها .

بل هذا أمرٌ لا يَخْتَصُّ بالإنسانِ ، بل كثيرٌ من الحيوانِ يعرفُ أوقاتَ المطرِ والصَّحوِ والبردِ وغيرِهِ ، كما ذكرهُ النَّاسُ في كُتُبِ الحيوانِ :

والفَرَسُ الرَّديءُ الخُلُقِ إذا رأى اللِّجام مِن بعيدٍ نَفَرَ وجزعَ وعضَّ مَن يريدُ أن يُلْجِمَهُ ، علمًا منهُ بما يكونُ بعدَ اللِّجامِ .

وهذه النَّمْلَةُ إذا خزنَت الحَبَّ في بيوتها كَسَرَتْهُ نِصْفَين ، علمًا منها بأنَّهُ ينبتُ إذا كانَ صحيحًا ، وأنَّهُ إذا انكسرَ لا ينبتُ ، فإذا خَزَنَتْ الكُسْفُرةَ[1] كَسَرَتْها بأربعَةِ أرباعٍ ، علمًا منها بأنَّها تَنْبُتُ إذا كُسرَت بنصفين .

وهذا السِّنَّور يدفنُ أذاهُ ويُغطِّيهِ بالتُّرابِ ، علمًا منهُ بأنَّ الفَأْرَ تهربُ من رائحتِهِ فيفوتهُ الصَّيدُ ويشمُّهُ أوَّلًا ، فإنْ وجَدَ رائحَتهُ شديدَةً غطَّاهُ بحيثُ يُواري الرَّائحَةَ والجِرمَ ، وإلّا اكتفى بأيسرِ التَّغطيَةِ .

وهذا الأسدُ إذا مشى في لِينٍ سَحَبَ ذَنَبَهُ على آثارِ رجليهِ ليغطِّيهما ، علمًا منهُ بأنَّ المارَّ يَرى مواطىءَ رجليهِ ويديهِ .

---

(١) لعلَّها الكُسْبُرة ، قال في « القاموس المحيط » (ص ٦٠٤) : « نباتُ الجُلْجُلان » ، واللّهُ أَعلم .

والجُلْجُلان : هو ثَمَرُ الكُزْبَرة ، وحبُّ السِّمْسِم ، كما في « القاموس » (ص ١٢٦٥) .

وإذا أَلِفَ السِّنَّورُ المنزلَ منعَ غيرَهُ مِن السَّنانير الدُّخولَ إلى ذلكَ المنزل ، وحارَبَهم أشدَّ مُحاربَةٍ ، وهم من جنسهِ ؛ علمًا منهُ بأنَّ أربابَهُ ربَّما استحسنوهُ وقدَّموهُ عليهِ ، أو شاركوا بينَه وبينَه في المطعمِ ، وإنْ أخذَ شيئًا ممَّا يَجْزيه أصحابُ المنزلِ عنهُ هربَ ، علمًا منه بما يكونُ إليهِ منهم من الضَّربِ ، فإذا ضربوهُ تملَّقهم أشدَّ التَّملُّق ، وتمسَّحَ بهم ، ولَطَعَ أقدامهم ، علمًا منهُ بما يُحَصِّلُهُ لهُ المَلَقُ من العفوِ والإحسانِ .

وهذا في الحيوانِ البهيمِ أكثرُ مِن أنْ نَذكُرَهُ ، فلهُ من تقدمةِ المعرفةِ ما يليقُ به ، وللخيلِ والحمامِ من ذلكَ عجائبُ ، وكذلكَ الثَّعلبُ وغيرهُ .

فَعُلِمَ أنَّ هذا أمرٌ عامٌّ للإنسانِ والحيوانِ أُعطي من تقدمَةِ المعرفَةِ بحسبهِ ، وأسبابُ هذه التَّقدمَةِ تختلفُ .

والأُمَمُ الذين لم يتقيَّدوا بالشرائعِ لهم اعتبارٌ عظيمٌ بهذا ، وكذلكَ مَن قلَّ التِفاتُهُ واعتناؤهُ بما جاءَتْ بهِ الرُّسل ، فإنَّهُ يشتدُّ التِفاتُهُ ويكثرُ نظرُهُ واعتناؤهُ بذلكَ ، وأمَّا أتباعُ الرُّسلِ فَقَد أغنَاهُم اللَّهُ بما جاءَت به الرُّسلُ مِنَ العلومِ النَّافعَةِ ، والأعمالِ الصَّالحَةِ عن هذا كلِّهِ ، فلا يَعْتَنُون بهِ ولا يجعلونهُ من مطالِبهم المُهمَّةِ ، لأنَّ ما يطلبُونهُ أغلى وأجلُّ مِن هذا ، ومَعَ هذا فلهم منهُ أوفرُ نصيبٍ بحسبِ مُتابعتِهم الرُّسلَ مِنَ الفراسَةِ الصَّادقَةِ والمناماتِ الصَّالحَةِ الصَّحيحَةِ والكُشوفاتِ[1] المطابقَةِ وغيرِها ، وهِمَمُهم لا تقفُ عندَ شيءٍ مِن ذلكَ ، بل هي طامحَةٌ نَحوَ كشفِ ما جاءَ به الرُّسلُ مِنَ الهدى ودينِ الحقِّ في كلِّ مسألَةٍ .

---

(١) وليس ككُشوفات كثيرٍ مِن المتصوِّفة المبنيَّة على التخيُّل المنعكس من وساوس النَّفس وخيالات الأذهان !

وهذا أعظمُ الكُشوفِ وأجلُّهُ ، وأنفعهُ في الدَّارين ، مع كشفِ عُيوبِ النَّفسِ وآفاتِ الأعمال .

وأمَّا الكشفُ الجزئي عمّا أَكَلَ فُلانٌ ، وعمَّا أحدثهُ في دارهِ ، وعمَّا يجري لهُ في هذهِ ، ونحوُ ذلكَ ؛ فهذا ممَّا لا يَعْبَأ به مَن عَلَتْ هِمَّتُهُ ، ولا يلتفتُ إليهِ ولا يَعُدُّهُ شيئًا ، على أنَّهُ مُشْتَرَكٌ بينَ المؤمن والكافرِ ، فَلِعُبَّادِ الأصنامِ والمجوسِ والصَّابئةِ والفلاسفَةِ والنَّصارى من ذلكَ شيءٌ كثيرٌ ، وذلكَ لا ينفعُهم عندَ اللَّهِ ولا يُخَلِّصُهم من عذابهِ .

وهؤلاءِ الكُهَّانُ وعبيدُ الجنِّ والسَّحرَةُ لهم مِن ذلكَ أُمورٌ معروفَةٌ ، وهم أكفرُ الخَلقِ ، فغايَةُ هذا المنجِّم اليهوديِّ الذي أخبرَ ابنَ عبَّاسٍ بما أخبرَهُ أنْ يكونَ واحدًا من هؤلاءِ ، فكانَ ماذا ؟

وهل يقفُ عندَ هذا إلّا الهِمَمُ الدَّنيئةُ السُّفليَّةُ الّتي لا نهضَةَ لها إلى اللَّهِ والدَّارِ الآخرَةِ ، لِمَا يُرى لها بذلكَ من التَّمييزِ عن الهَمَجِ الرَّعاع مِن بني آدم ؟!!

□□□□□

١٦٦ - فَصْلٌ

[إبطال استدلالهم بحديث أبي الدرداء]

وأمَّا احتجاجُهُ بحديثِ أبي الدَّرداء : « لَقد تُوُفِّي رسولُ اللَّهِ ﷺ وتَرَكَنا وما طائرٌ يُقَلِّبُ جناحيهِ إلّا وقَد ذكرَ لنا منهُ علمًا »(١)؛ فهذا حَقٌّ وصِدْقٌ ، وهو من أعظمِ الأدلَّةِ على إبْطالِ قولِكم وتكذيبِكم فيما تدَّعونهُ مِن علمِ أحكامِ النُّجومِ ، فإنَّهُ ﷺ ذكَّرهم عِلْمَ كلِّ شيءٍ حتى الخِراءَة(٢)، ذكَّرهم من علمِ كلِّ طائرٍ وكلِّ حيوانٍ ، وكلِّ ما في هذا العالَمِ ، ولم يُذَكِّرهم مِن علمِ أحكامِ النُّجومِ شيئًا البتَّة ، وهو ﷺ أجلُّ مِن هذا وأعظمُ ، وقَد صانهُ اللَّهُ سبحانهُ عن ذلكَ .

وإنَّما الذي ذكَّركم بهذه الأحكامِ المُشركون عُبَّادُ الأصنامِ والكواكبِ ، مثلُ بَطْلِيمُوس وبَنْكَلُوسا وطُمْطُم صاحب الدَّرَج(٣)، وهؤلاءِ مُشرِكون عبَّادُ أصنامٍ ، وكذلكَ أَتْباعُهم .

أفلا يَسْتَحِي رَجُلٌ أَنْ يذكُرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ في هذا المقامِ !!

نَعَمَ ؛ رسولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَّرَ أُمَّتَهُ من تَكذيبِكم وكُفرِكم ومُعاداتِكم والبراءَةِ منكم ، والإخبارِ بأنَّكم وما تَعْبُدونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جهنَّم أَنْتُم لها وارِدون ، ما يعرفهُ مَن عرفَ ما جاءَ به مِن أُمَّتهِ ، والبَهْتِ والفِريَةِ والكذبِ على

---

(١) تقدَّمَ تخريجه .

(٢) كما رواه مسلمٌ (رقم : ٢٦٢) عن سَلْمان رضي الله عنه .

(٣) سبق التعريفُ بها .

اللَّهِ ورسولِهِ .

هل كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أو أحدٌ من أهلِ بيتهِ مُثْبِتًا لأحكامِ النُّجومِ ، عاملًا بها في حَرَكاتهِ وسَكَناتهِ وأسفارهِ ، كما هو المعروفُ مِن المُشْرِكين وَأَتْباعِهِم ؟!

سُبحانكَ هذا بُهتانٌ عظيمٌ .

وأمَّا قولُهُ : إنَّهُ جاءَ في الآثارِ أنَّ أوَّلَ مَن أُعطيَ هذا العلمَ هو آدمُ ، لأنَّهُ عاشَ حتى أدركَ مِن ذُرِّيَّتهِ أربعينَ ألفَ أهلِ بيتٍ تفرَّقُوا عنهُ في الأرضِ ، فكانَ يغتمُّ لخفَاءِ خَبَرِهم عليهِ ، فأَكْرَمَهُ اللَّهُ تعالى بهذا العلمِ ، فكانَ إذا أرادَ أنْ يعرفَ حالَ أحدِهم حَسَبَ لهُ بهذا الحِسَابِ فيقفُ على حالتهِ !! فليسَ هذا بِبِدْعٍ مِن بَهْتِ المنجِّمين والملاحدَةِ وإفْكِهم وافترائِهم على آدمَ ، وقَد عَمِلُوا بالمَثَلِ السَّائرِ هنا : إذا كَذَبْتَ فَأَبْعِدْ شاهِدَكَ !!

□□□□□

١٦٧ - فَصْلٌ
[الكذب على الشافعيّ في علم النُّجوم]

وأمَّا ما نَسَبَهُ إلى الشافعيِّ مِن حُكمِهِ بالنُّجُومِ على عُمرِ ذلكَ المولود ! فلقَد نُسِبَ الشافعيُّ إلى هذا العلمِ وحُكمِهِ فيهِ بأحكامٍ ليعجزُ عن مثلِها أئمَّةُ المُنجِّمين ، وأظنُّ الذي غَرَّهُ في ذلكَ أبو عبدِاللَّهِ الحاكم ، فإنَّهُ صنَّف في « مناقب الشافعيّ »[1] كتابًا كبيرًا ، وذكرَ عُلومَهُ في أبوابٍ ، وقال : البابُ الرَّابع والعشرون[2] في معرفَتِهِ تسييرَ الكواكبِ من علمِ النُّجومِ ، وذكرَ فيهِ حكاياتٍ عن الشافعيّ تَدُلُّ على تَصحيحِهِ لأحكامِ النُّجومِ ، وكانَ هذا الكتابُ وقعَ للرَّازي ، فتصرَّفَ فيهِ وزادَ ونَقَصَ ، وصنَّفَ « مناقبَ الشافعيِّ »[3] من هذا الكتاب ، على أنَّ في كتابِ الحاكم من الفوائد والآثارِ ما لَم يُلِمَّ بهِ الرَّازيُّ ، والذي غرَّ الحاكمَ من هذه الحكاياتِ تساهُلُهُ في إسنادها ، ونحنُ نُبيِّنُها ونبيِّنُ حالَها ليتبيَّنَ أنَّ نِسبةَ ذلكَ إلى الشافعيِّ كذبٌ عليهِ ، وأنَّ الصَّحيحَ عنه مِن ذلكَ ما كانَت العربُ تعرفُهُ مِن علمِ المنازل والاهتداءِ بالنُّجومِ في الطُّرُقات ، وهذا هو الثَّابتُ الصَّحيحُ عنهُ بأصحِّ إسنادٍ إليهِ ، قال الحاكم : حدَّثنا أبو العبَّاس محمَّد ابن يعقوب : حدَّثنا الرَّبيعُ بن سليمان ، قال : قال الشافعيُّ : قال اللَّهُ عزَّ

---

(١) ولا نعلمُ عن نُسختِه شيئًا .

(٢) قارن بـ « مناقب الشافعيّ » (٢ / ١٢٤) للبيهقيّ .

(٣) وهو مطبوعٌ .

وجَلَّ : ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُم النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بها في ظُلُماتِ البرِّ والبَحرِ ﴾ [الأنعام : ٩٧]، وقال : ﴿ وعَلَاماتٍ وبالنَّجْمِ هُم يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل : ١٩]، كانَت العلاماتُ جبالًا يعرفونَ مواضِعَها من الأرضِ ، وشمسًا وقمرًا ونَجْمًا مِمّا يعرفونَ من الفَلَكِ ، ورياحًا يعرفونَ صفاتِها في الهواءِ تَدُلُّ على قَصْدِ البيتِ الحرامِ .

وأمَّا الحكاياتُ التي ذُكِرَتْ عنهُ في أحكامِ النُّجومِ فثلاثُ حكاياتٍ :

إحداها : قال الحاكمُ : قُرِئَ على أبي يَعلى حمزَةَ بن محمَّد العَلَويّ - وأكثرُ ظنّي أنّي حضَرتُهُ - : حدَّثنا أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمَّد بن العبَّاس الأَزْدي في آخرين ، قالوا : حدَّثنا محمَّد بن أبي يعقوب الجَوَّال الدِّينَوَريُّ : حدَّثنا عبدُاللَّهِ بن محمَّد البَلَويّ : حدَّثني خالي عُمارَةُ بن زيدٍ ، قال : كنتُ صديقًا لمحمَّد بن الحَسَن ، فدخلتُ معهُ يومًا على هارونَ الرَّشيد ، فساءلهُ ، ثمَّ إنِّي سمعتُ محمَّدَ بن الحسنِ ، وهو يقولُ : إنَّ محمَّد بن إدريسَ يزعُمُ أنَّ للخلافَةِ أهلًا ! قال : فاستشاطَ هارونُ مِن قولِهِ غَضَبًا ، ثمَّ قال : عَلَيَّ بهِ ، فلمَّا مَثَلَ بينَ يديهِ ، أَطْرَقَ ساعةً ، ثمَّ رَفَعَ رأسَهُ إليهِ ، فقال : إيهًا ! قال الشافعيُّ : ما إيهًا ! يا أميرَ المؤمنين ؟ أنتَ الدَّاعي ، وأنا المَدعُوُّ ، وأنتَ السَّائلُ ، وأنا المجيبُ ، فذكرَ حكايَةً طويلَةً سألهُ فيها عن العُلومِ ومعرفتِهِ بها ، إلى أنْ قال : كيفَ عِلْمُكَ بالنُّجوم ؟ قال : أعرفُ الفَلَكَ الدَّائرَ ، والنَّجمَ السَّائرَ ، والقُطبَ الثَّابتَ ، والمائيَّ والنَّاريَّ ، وما كانَت العربُ تُسمِّيهِ الأنواءَ ومنازلَ النيِّران الشمسَ والقمرَ والاستقامَةَ والرُّجوعَ والنُّحوسَ والسُّعودَ وهيآتِها وطبائعَها ، وما أَسْتدِلُّ بهِ في بَرِّيٍّ وبَحريٍّ ، وأَستدلُّ في أوقاتِ صلاتي ، وأعرفُ ما مَضى من

الأوقاتِ في كلِّ ممسى ومَصبح ، وظَعْني في أسفاري ، قال : فكيفَ علمكَ بالطِّبِّ ؟ قال : أعرفُ ما قالت الرُّومُ مثلَ أرِسْطاطاليس ومَهْراريس وفَرْفُوريس وجالينُوس ، وبُقراط وأَسْدِفليس بِلُغاتهم ، وما نُقِلَ عن أطبَّاءِ العربِ وفلاسفَةِ الهندِ ، ونمَّقَتْهُ علماءُ الفُرسِ مثلُ حاماسِفْ ، وشاهْمُرو ، وَبَهْمَرْد، وبُزُرْجُمْهُر ...

ثمَّ ساقَ العُلومَ على هذا النَّحوِ في حكايَةٍ طويلَةٍ ، يَعلمُ مَن لهُ علمٌ بالمنقولاتِ أنَّها كذبٌ مُختلقٌ ، وإفكٌ مُفترىً على الشافعيِّ ، والبلاءُ فيها من عندِ محمَّد بن عبداللَّهِ البَلَويِّ هذا فإنَّهُ كذَّابٌ وضَّاعٌ[1]، وهو الذي وضعَ رحلَةَ الشافعي[2]، وذكرَ فيها مُناظرَتهُ لأبي يوسفَ بحضرَةِ الرَّشيدِ ، ولم يرَ الشافعيُّ أبا يوسفَ ولا اجتمعَ به قطُّ ، وإنَّما دخلَ بغدادَ بعدَ موتهِ .

ثمَّ إنَّ في سياقِ الحكايَةِ ما يدلُّ مَن لهُ عَقلٌ على أنَّها كذبٌ مُفترىً ، فإنَّ الشافعيَّ لم يعرفْ لُغَةَ هؤلاءِ اليونان البتَّةَ حتى يقول : إنِّي أعرفُ ما قالوهُ بِلُغاتِهم !

وأيضًا ؛ فإنَّ هذه الحكايَةَ أنَّ محمَّد بن الحَسن وَشى بالشافعيِّ إلى الرَّشيدِ وأرادَ قتلَهُ ! وتعظيمُ محمَّدِ الشافعيَّ ومحبَّتُهُ له وتعظيمُ الشافعيِّ لهُ وثناؤهُ عليهِ هو المعروفُ ، وهو يدفعُ هذا الكذبَ .

وأيضًا ؛ فإنَّ الشافعي رحمَهُ اللَّهُ لم يكُن يعرف علمَ الطِّبِّ اليونانيِّ ، بل كانَ عندهُ مِن طبِّ العربِ طَرَفٌ حُفظَ عنهُ في منثورِ كلامهِ بعضُهُ ، كنهيهِ عن أكلِ الباذنجان بالليلِ ، وأكلِ البيضِ المصلوقِ بالليلِ ، وكانَ يقولُ : عَجَبًا لمَن

(١) انظر « الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث » (رقم : ٦٨٤) .

(٢) وقال الحافظُ ابنُ حجر : « موضوعةٌ مكذوبةٌ » ؛ كما في « المقاصد الحسنة » (ص ٧٤٦) لتلميذه السَّخاوي .

يتعشى ببيضٍ وينامُ ، كيفَ يعيش ؟!، وكانَ يقولُ : عَجَبًا لِمَن يخرجُ مِن الحَمَّام ولا يأكل ، كيفَ يعيش ؟ وكانَ يقول : عَجَبًا لِمَن يحتجم ثمَّ يأكل ، كيفَ يعيش ؟ يعني عقبَ الحِجامَة ، وكان يقول : احذَر أن تشربَ لهؤلاءِ الأطبَّاءِ دواءً ولا تعرفُهُ ، وكانَ يقولُ : لا تسكُن ببلدَةٍ ليسَ فيها عالمٌ يُنبئكَ عن دينكَ ، ولا طبيبٍ يُنبئكَ عن أمرِ بدنك[1]، وكانَ يقول : لم أرَ شيئًا أنفعَ للوباءِ من البَنَفْسَج يُدَّهَنُ بهِ ويُشربُ ...

إلى أمثالِ هذه الكلمات التي حُفظَت عنهُ ، فأمَّا أنَّهُ كانَ يَعْلَمُ طبَّ اليونانِ والرُّومِ والهندِ والفُرسِ بلغاتها ! فهذا بَهْتٌ وكَذِبٌ عليهِ ؛ قَد أعاذهُ اللَّهُ عن دعواه .

وبالجُملَةِ ، فمَنْ له عِلْمٌ بالمنقولاتِ لا يستريبُ في كذبِ هذه الحكايَةِ عليهِ ، ولولا طولُها لَسُقناها ليتبيَّنَ أَثَرُ الصَّنعَةِ والوَضعِ عليها .

أمَّا الحكايَةُ الثَّانية : فقال الحاكمُ : أخبرَنا أبو الوليد الفقيه ، قال : حُدِّثْتُ عن الحسن بن سُفيان ، عن حرملَة ، قال : كانَ الشافعيُّ يُديمُ النَّظرَ في كتبِ النُّجومِ ، وكانَ لهُ صديقٌ وعندهُ جاريَةٌ قَد حَبِلَتْ ، فقال : إنَّها تلدُ إلى سبعَةٍ وعشرين يومًا ، ويكونُ في فَخِذِ الولدِ الأيسرِ خالٌ أسودُ ، ويعيشُ أربعَةً وعشرين يومًا ، ثمَّ يموتُ ، فجاءَت بهِ على النَّعْتِ الذي وَصَفَ ، وانقضَتْ مُدَّتُهُ فماتَ ، فأَحرَقَ الشافعيُّ بعدَ ذلكَ تلكَ الكُتُبَ ، وما عاوَدَ النَّظرَ في شيءٍ منها .

وهذا الإسنادُ رجالهُ ثقاتٌ ، لكنَّ الشأنَ فيمَن حَدَّثَ أبا الوليد بهذه الحكايَةِ عن الحسنِ بن سفيان ، أو فيمن حدَّثَ بها الحَسَن عن حرملَة !

---

(١) قارن بـ « مناقب الشافعي » (٢ / ١١) للبيهقي ، و « آداب الشافعي ومناقبه » (٣٢١) لابن أَبي حاتم ، و « مناقب الشافعي » (ص ١١٩) للرازي .

وهذه الحكايةُ لو صحَّتْ لوجبَ أنْ تُثنى الخناصِرُ على هذا العلم ، وتُشدَّ به الأيدي لا أَنْ تُحرَقَ كُتبُهُ ويُهانَ غايةَ الإهانَةِ ، ويُجعلَ طُعمةً للنَّارِ ، وهذا لا يُفْعَلُ إلّا بكتبِ المُحالِ والباطلِ(١) .

ثمَّ إنَّهُ ليسَ في العالَمِ طالِعٌ للولادَةِ يقتَضي هذا كلَّهُ ، كما سنذكره عن قريبٍ إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

والطَّالعُ عندَ المنجِّمين طالعان :

طالعُ مَسقَطِ النُّطفَةِ ؛ وهو الطَّالعُ الأصليُّ ، وهذا لا سبيلَ إلى العلم بهِ إلّا في أندرِ النَّادرِ الذي لا يقتضيهِ الوجودُ .

الثَّاني : طالعُ الولادَةِ ، وهم مُعترفون أنَّهُ لا يدُلُّ على أحوالِ الولدِ وجُزئيَّات أمرِهِ ، لأنَّهُ انتقالُ الولدِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ ، وإنَّما أخذوهُ بَدَلًا من الطَّالعِ الأصليِّ لمَّا تعذَّرَ عليهم اعتبارُهُ .

وهذه الحكايَةُ ليسَ فيها أخذُ واحدٍ من الطَّالعين ، لأنَّ فيها الحُكمَ على المولودِ قبلَ خُروجهِ من غيرِ اعتبارِ طالعهِ الأصلي !

والمنجِّم يقطعُ بأنَّ الحُكمَ على هذا الولدِ لا سبيلَ إليهِ ، وليسَ في صناعَةِ النُّجومِ ما يُوجِبُ الحُكمَ عليهِ والحالَةُ هذه ، وهذا يدُلُّ على أنَّ هذه الحكايَةَ كذبٌ مُخْتَلَقٌ على الشافعيِّ على هذا الوجهِ .

وكذلكَ :

الحكايَةُ الثَّالثَةُ : وهي ما رواهُ الحاكمُ أيضًا : أنبأني عبدُالرَّحمن بن

---

(١) وللمصنِّف - رحمه اللَّه - في « الطرق الحكميَّة » (ص ٢٥٤) كلامٌ حسنٌ في إتْلاف وحَرْق كتب الباطلِ والضلالِ .

الحَسَن القاضي أنَّ زكريًّا بن يحيى السَّاجي حدَّثهم : أخبرني أحمدُ بن محمَّد ابن بنتِ الشافعي ، قال : سمعتُ أبي يقول : كانَ الشافعيُّ وهو حَدَثٌ ينظرُ في النُّجومِ ، وما نظرَ في شيءٍ إلّا فاقَ فيهِ ، فجلسَ يومًا وامرأَةٌ تَلِدُ ، فَحَسَبَ فقال : تلدُ جاريَةً عَوراءَ على فَرْجِها خالٌ أسودُ ، وتموتُ إلى كذا وكذا ، فوَلَدَت فكانَ كما قال ، فجعلَ على نفسهِ ألّا ينظُر فيهِ أبدًا !

وأمرُ هذه الحكايَة كالَّتي قبلَها فإنَّ ابنَ بنتِ الشافعيِّ[1] لم يَلْقَ الشافعيَّ ولا رآهُ ، والشأنُ فيمَن حدَّثهُ بهذا عنهُ .

والذي عندي في هذا أنَّ النَّاقلَ - إنْ أُحْسِنَ بهِ الظَّنُّ - فإنَّهُ غَلِطَ على الشافعيِّ ، والشافعيُّ كانَ مِن أفرسِ النَّاسِ ، وكانَ قد قرأ كتبَ الفِراسَةِ وكانَت لهُ فيها اليدُ الطُّولى ، فَحَكَمَ في هذه القضيَّة وأمثالِها بالفراسَةِ ، فأصابَ الحُكمَ ، فظنَّ النَّاقلُ أنَّ الحُكمَ كانَ يستندُ إلى قضايا النُّجوم وأحكامِها ، وقد برَّأ اللَّهُ مَن هو دونَ الشافعيِّ مِن ذلكَ الهَذَيانِ ، فكيفَ بمثلِ الشافعيِّ رحمَهُ اللَّهُ في عقلِهِ وعلمِهِ ومعرفتِهِ حتى يَرُوجَ عليهِ هذيانُ المُنجِّمين الذي لا يروجُ إلّا على جاهلٍ ضعيفِ العقلِ ؟!

وتنزيهُ الشافعيِّ رحمهُ اللَّهُ عن هذا هو الذي ينبغي أنْ يكونَ من مناقبهِ ، فأمَّا أَنْ يُذْكَرَ في مناقبهِ أنَّهُ كانَ مُنجِّمًا يرى القولَ بأحكامِ النُّجومِ وتَصحيحها ! فهذا فعلُ مَن يَذُمُّ بما يظنُّهُ مدحًا !

وإذا كانَ الشافعيُّ شديدَ الإنكارِ على المُتكلِّمين مُزْريًا بهم ، وكانَ حُكْمُهُ

---

(١) انظر « تهذيب الأَسماء واللُّغات » (١ / ٧٨٥) للنووي ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٢ / ١٨٦) للسُّبْكي .

فيهم أنْ يُضرَبوا بالجريدِ ، ويُطافَ بهم في القبائلِ[١]، فماذا رأيهُ في المنجِّمين ؟ وهو أجلُّ وأعلمُ من أنْ يَحْكُمَ بهذا الحكمِ على أهلِ الحقِّ ، ومَن قَضَاياهم في الصِّدقِ ينتهي إلى الحدِّ الذي ذُكِرَ في هذه الحكايَة .

فَذَكَرَ عبدُالرَّحمن بن أبي حاتم[٢] والحاكمُ وغيرُهما عن الحُميدي قال : قال الشافعيُّ : خَرَجْتُ إلى اليمن في طلبِ كتبِ الفراسَةِ ، حتى كتبتُها وجمعتُها ، ثمَّ لمّا كانَ انصرافي مَرَرْتُ في طريقي برجلٍ وهو مُحْتَبٍ بفناءِ دارهِ أزرقُ العينِ ناتىءُ الجبهَة سِنَاط[٣]، فقلتُ لهُ : هل من منزلٍ ؟ قال : نعم ، قال الشافعي : وهذا النَّعتُ أخبثُ ما يكونُ في الفراسَةِ ، فَأَنْزَلَني ، فرأيتُ أكرمَ رجلٍ ؛ بعَثَ إليَّ بعشاءٍ ، وطِيبٍ ، وعَلَفٍ لدوابِّي ، وفراشٍ ، ولحافٍ ، وجعَلتُ أتقلَّبُ الليلَ أجمعَ ، ما أصنعُ بهذه الكتب ؟ فلمَّا أصبَحتُ ، قلتُ للغلام : أَسْرِجْ ، فأَسْرَجَ ، فركبتُ ومرَرتُ عليهِ ، وقلتُ لهُ : إذا قَدِمتَ مكَّة ومَررتَ بذي طُوَى[٤]، فاسأَلْ عن منزلِ محمَّد بن إدريسَ الشافعيّ ، فقال لي الرَّجل : أمولى لأبيكَ أنا ؟ قلتُ : لا ، قال : فهل كانت لك عندي نعمةٌ ؟ قلتُ : لا ، قال : فأينَ ما تكلَّفْتُ لكَ البارحَةَ ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال : اشتريتُ لكَ طعامًا بدرهمين ، وأدمًا بكذا وعِطْرًا بثلاثَةِ دراهم ، وعَلَفًا لدوابِّكَ بدرهمين ، وكِرىٰ الفراشِ واللحافِ درهمان، قال : قلتُ : يا غلامُ ! فهَل بقيَ شيءٌ ؟ قال : كِرى المنزل ، فإنِّي وسَّعْتُ عليكَ وضيَّقتُ على نَفسي ! فغبطْتُ

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١ / ٤٦٢) للبيهقي .

(٢) انظر « آداب الشافعيّ ومناقبه » (ص ١٣٢) لابن أَبي حاتمٍ .

(٣) هو الذي لا لِحية له .

(٤) موضعٌ معروف عند مكّة ، انظر « الرّوض المِعطار » (ص ٢٦٠) .

نَفسي بتلكَ الكتب ، فقلتُ لهُ بعدَ ذلكَ : هل بقيَ شيءٌ ؟ قال : امضِ أخزاكَ اللَّهُ ، فما رأيتُ شرًّا منكَ !

وقال الرَّبيعُ : اشتريتُ للشافعي طِيبًا بدينارٍ ، فقال لي : ممَّن اشتريتَهُ ؟ فقلتُ : مِن ذلكَ الأشقرِ الأزرق ، فقال : أشقرُ أزرق ! اذهَبْ فرُدَّهُ .

وقال الرَّبيعُ : مَرَّ أخي في صَحنِ الجامع ، فَدعاني الشافعيُّ ، فقال لي : يا ربيعُ ، انظر إلى الذي يمشي ، هذا أخوكَ ؟ قلتُ : نعم ، أصلحَكَ اللَّهُ ، قال : اذهَب ، ولم يكُن رآهُ قبلَ ذلكَ .

قال قُتيبَة بن سَعيدٍ : رأيتُ محمَّد بنَ الحسنِ والشافعيَّ قاعِدَيْنِ بفِناء الكعبَةِ ، فمرَّ رجلٌ ، فقال أحُدهما لصاحبِهِ : تعالَ نُزْكِنُ[1] على هذا المارِّ ، أيَّ حِرْفَةٍ معَهُ ؟ فقال أحدُهما : هذا خيَّاطٌ ، وقال الآخَرُ : هذا نجّارٌ ، فَبَعَثا إليهِ فَسَألَاهُ ، فقال : كنت خيَّاطًا واليومَ أنجرُ ، أو : كنتُ نجّارًا واليومَ أخيط .

وقال الرَّبيعُ : سمعتُ الشافعيَّ وقَدِمَ عليهِ رجلٌ من أهلِ صنعاء ، فلمَّا رآهُ قال لهُ : مِن أهلِ صنعاءَ ؟ قال : نعم ، قال : فحدَّادٌ أنتَ ؟ قال : نعم .

وقال : كنتُ عندَ الشافعيِّ ، إذ أتاهُ رجلٌ ، فقال لهُ الشافعيُّ : أنسَّاجٌ أنتَ ؟ قال : عندي أُجراء .

وقال : كُنَّا عندَ الشافعيّ إذ مرَّ بِهِ رجلٌ ، فقال الشافعيُّ : لا يخلو هذا أن يكونَ حائكًا أو نجّارًا ! قال : فَدَعَوْناه ، فقال : ما صَنْعَتُكَ ؟ فقال : نجَّار ، فقلنا : أو غيرَ ذلكَ ؟ قال : عندي غلمانٌ يعملون الثِّياب .

وقال حرملَةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : احْذَرُوا مِن كلِّ ذي عاهَةٍ في بدنِهِ،

---

(١) نتفرّس . « قاموس » (ص ١٥٥٣) .

فإنَّهُ شيطانٌ ، قال حرملَةُ : قلتُ : مَن أولئكَ ؟ قال : الأعرجُ والأحولُ والأَشَلُّ وغيرُهُ .

وقال : اشتهى الشافعيُّ يومًا عِنَبًا أبيضَ ، فأَمَرني ، فاشتريتُ لهُ منهُ بدرهمٍ ، فلمَّا رآهُ استجادهُ ، فقال لي : يا أبا محمَّد مِمَّن اشتريتَ هذا ؟ فسمَّيْتُ لهُ البائعَ فنحَّى الطَّبَقَ من بينِ يديهِ ، وقال لي : رُدَّهُ عليهِ ، واشْتَرِ لي مِن غيرهِ ، فقلتُ لهُ : وما شأنهُ ؟ فقال : أَلَم أَنْهَكَ أن تَصحَبَ الأزرقَ الأَشقرَ ، فإنَّهُ لا يَنْجُبُ[1]، فكيفَ آكُلُ من شيءٍ اشتريتَه لي ممَّن أنهى عن صُحبتهِ ! قال الرَّبيعُ : فَرَدَدتُ العنبَ على البائع ، واعتذرتُ إليهِ بكلامٍ حسنٍ ، واشتريتُ لهُ عنبًا من غيرهِ .

وقال حرملَةُ : سمعتُ الشافعيَّ يقول : احذَروا الأعوَرَ والأحوَلَ والأعرجَ والأحدَبَ والأشقرَ والكوسجَ[2] وكُلَّ مَن بهِ عاهةٌ في بدنهِ ، وكلَّ ناقصِ الخَلْقِ فاحْذَرُوهُ فإنَّهُ صاحبُ لُؤْمٍ ومعاملتُهُ عَسِرَةٌ .

وقال مرَّةً أُخرى : فإنَّهم أصحابُ خَبٍّ[3] .

---

(١) أَي : لا يكون نَجيبًا .

(٢) هو الرجل لا تنبت له لِحيةٌ .

(٣) خِداع .

وعقَّب الرازي في « مناقب الشافعيّ » (ص ١٢٠) على هذا الخَبَر بقولِه :

« واعلم أَن هذا الذي ذكره أَمر عظيم في علم الفراسة ؛ وذلك لأَن حاصل هذا العلم يرجع إِلى الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن ، ووجه الاستدلال به : لأَن الأَحوال الدينية تابعة لكيفية المزاج ، والأَخلاق الباطنيّة والصور الظاهرة كلاهما معلولاً علة واحدة وهي المزاج ، فنقصان الظاهر يدل على نقصان المزاج ، ونقصان المزاج يوجب نقصان الباطن ، فظهر أَنَّ الذي قال الشافعي أَصل معتبر في هذا العلم » .

وقال الرَّبيعُ : دَخَلْنا على الشافعيِّ عندَ وفاتِهِ ، وأنا والبُوَيطيُّ والمُزَني ومحمَّد بن عبداللَّهِ بن عبدالحكم ، قال : فنظرَ إلينا الشافعيُّ ساعَةً ، فأطال ، ثمَّ التفَتَ فقال : أمَّا أنتَ يا أبا يعقوبَ فستموتُ في حديدٍ - يعني البُويطي - وأمَّا أنتَ يا مُزني فسيكون لكَ بمصرَ هَنَاتٌ وهَنَاتٌ ، ولَتُدْرِكنَّ زمانًا تكونُ أقيسَ أهلِ ذلكَ الزّمانِ ، وأمَّا أنتَ يا محمَّدُ فسترجعُ إلى مذهبِ أبيكَ ، وأمَّا أنتَ يا ربيعُ فأنتَ أنفعُهم لي في نشرِ الكتبِ ، قُم يا أبا يعقوب فتسلَّمِ الحَلْقَة ، قال الرَّبيع : فكانَ كما قال .

وقال الرَّبيع : ما رأيتُ أفطنَ من الشافعيّ ، لقَد سمَّى رجالًا ممَّن يصحبُهُ فوصفَ كلَّ واحدٍ منهم بصفَةٍ ما أخطأ فيها ، فذكرَ المُزَنيَّ والبُويطي وفلانًا ، فقال : ليفعلنَّ فلانٌ كذا ، وفلانٌ كذا ، وليصحَبَنَّ فلانٌ السُّلطانَ ، وَلَيُقَلَّدَنَّ القضاءَ .

وقال لهم يومًا وقد اجتمعوا : ما فيكم أنفعُ من هذا - وأومأَ إليَّ - لأنَّهُ أمثلُكم بأخيهِ ، وذكرَ صفاتٍ غير هذه ، قال : فلمَّا ماتَ الشافعيُّ صارَ كلٌّ منهم إلى ما ذكرَ فيهِ ، ما أخطأ في شيءٍ من ذلك .

وقال حرملةُ : لمَّا وقعَ الشافعيُّ في الموتِ خَرَجْنا من عندهِ فقلتُ لأبي : يا أَبَهْ ! كلُّ فراسةٍ كانَت للشافعيِّ أَخَذْناها يدًا بيدٍ ، إلّا قولَهُ : يقتلُني أشقُر ، وها هو في السِّياق ، فوافَيْنا عبداللَّهِ بن عبدالحكم ويوسف بن عمروٍ فقُلنا : إلى أين ؟ قالا : إلى الشافعي ، فما بلغنا المنزلَ حتى أدركْنا الصُّراخ عليهِ قُلنا : مه ! ما لكم ؟ قالوا : ماتَ الشافعي ، فقال أبي : مَنْ غمَّضَهُ ؟ قالوا : يوسفُ بن عَمْرو ، وكان أزرق ! .

وهذه الآثارُ - وغيرُها - ذكرها ابنُ أبي حاتمٍ والحاكمُ في مُصنَّفَيْهما في « مناقبِ الشافعي »(١)، وهي اللائقةُ بجلالتِهِ ومنصبِهِ ، لا ما باعَدَهُ اللَّهُ منه من أكاذيب المُنجِّمين وهَذَياناتهم ، واللَّهُ أعلم .

وأمَّا ما احْتُجَّ به مِن أنَّ فرعون كانَ يذبحُ أَبناءَ بني إسرائيل ويَسْتَحْيِي نساءَهم ؛ لأنَّ المفسِّرين قالوا : كانَ ذلكَ بأنَّ المنجِّمين أخبروهُ بأنَّهُ سيجيءُ في بني إسرائيل مولودٌ يكونُ هلاكُهُ على يديهِ ! فأكثرُ المفسِّرين إنَّما أحالوا ذلكَ على خبرِ الكُهَّان .

وَرَوى بعضُهم أَنَّ قومَهُ أخبروهُ بأنَّ بني إسرائيلَ يزعُمون أنَّهُ يُولَدُ منهم مولودٌ يكونُ هلاكُهُ على يديهِ !

وهاتانِ الرِّوايتان هما الدَّائرتانِ في كُتُبِ المفسِّرين ، وأمَّا هذه الرِّوايةُ - أنَّ المنجِّمين قالوا لهُ ذلكَ - فغايتُها أنَّها من أخبارِ أهلِ الكتابِ(٢)، وقَد خالَفَها غيرُها من الرِّوايات ، فكيفَ يَسُوغُ التَّمسُّكُ بها في الأمرِ العظيم ؟!

وفي أخبارِ الكُهَّان ما هو أعجبُ مِن ذلكَ ، فَقد أخبروا بظهورِ خاتمِ الرُّسل مُحمَّدٍ ﷺ قبلَ ظهورهِ ، وذلكَ موجودٌ في دلائلِ النُّبوَّة .

ونحنُ لا نُنكِرُ علمَ تقدمَةِ المعرفَةِ بأسبابٍ مُفْضِيةٍ إليهِ تختلفُ قوى النَّاس في إدراكها وتحصيلها ، وإنَّما كلامُنا معكم في أُصولِ علمِ الأحكامِ ، وبيانِ فسادِها وكذبِ أكثرِ الأحكامِ التي يُسْنِدُونَها إليها ، وبيانِ أنَّ ضَرَرَ هذا العلمِ

---

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١ / ١٣٠) للبيهقي ، و « مناقب الشافعي » (١٢٠) للرازي ، و « آداب الشافعي ومناقبه » (١٣٠) لابن أبي حاتم .

وأمَّا كتابُ الحاكم - كما سَبَقَ - فلا نعلمُ عنه شيئًا !

(٢) انظر في حُكم رواية أَخبار أَهل الكتاب رسالتي « التحذيرات » (ص ١٨-٢٠) .

- لو كانَ حقًّا - أعظمُ من نفعهِ في الدُّنيا والآخرَة ، وأنَّ أهلَهُ لهم أوفرُ نصيبٍ من قولِهِ : ﴿ إنَّ الَّذينَ اتَّخذوا العِجْلَ سَينالُهم غَضَبٌ من ربِّهم وذِلَّةٌ في الحياةِ الدُّنيا وكذٰلك نَجْزي المُفترين ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

وأهلُ هذا العلم أذلُّ النَّاسِ في الدُّنيا ، لا يُمْكِنُ أحدًا منهم أن يأكُلَ رزقَهُ بهذا العلمِ إلّا بأعظمِ ذُلٍّ ، وعزيزُهم لا بدَّ أن يتعبَّد وينضويَ إلى مكّاسٍ أو ديوانٍ أو والٍ يكونُ تحتَ ظلِّهُ وفي كَنَفِهِ ، وسائرُهم على الطُّرُقات وفي كسرِ الحوانيتِ مُدَسَّسِين[١]، صيدُهم كُلُّ ناقصِ العقلِ والإيمانِ والدِّين ؛ من صبيٍّ أو امرأةٍ أو حمارٍ في مِسْلاخِ[٢] آدميٍّ ، أو ذُبابِ طَمَعٍ لو لَاحَ لهُ في عبادَةِ الأصنامِ والشمسِ والقمرِ والنُّجومِ لكانَ أوَّلَ العابدين ! ورأسُ مالِهم الكذبُ والزَّرَقُ وأخذُ أموالِ السَّائلِ منهُ ومِن فَلَتاتِ لسانهِ وهيئتِهِ وأغْراضهِ فيُخبِروهُ بما يُناسِبُ ذلكَ منَ الأحوالِ ، فينفعلُ عقلُهُ لهم ، ويقولُ : لقد أُعْطِيَ هؤلاءِ عطاءً لم يُعْطَهُ غيرُهم !

وتراهم في الغالبِ يقصدُ أحدُهم قريَةً أو دُكّانًا مُنزويًا عن الطَّريقِ ويُصلِّي فيهِ للصَّيدِ ، وينصبُ الشَّرَكَ ، فإذا لاحَ لهُ بدويٌّ أو حَبَشيٌّ أو تُركمانيٌّ فإنَّهُ يَسْتَبْرِك بطلعتهِ ، ويقولُ : اجلِسْ حتى أُبيِّنَ لكَ ما يقْتَضيهِ نجمُكَ وطالعُكَ ، وبيتُ مالِك وبيتُ فراشكَ ، وبيتُ أفراحِكَ وهُمومِك ! وكم بقي عليكَ مِن القطعِ ؟ نَعَم ؛ ما اسمك ؟ واسمُ أمِّك وأبيك ؟ فإذا قال لهُ اسمَهُ واسمَ أبويهِ أخرجَ له الاصطرلابَ أو الكُرةَ النُّحاسَ ، وقال : كيفَ قُلتَ اسمَكَ ؟! فإذا أخبرهُ ثانيَةً ، قال : وكيف قُلتَ اسمَ الوالدَةِ طوَّلَ اللّٰهُ عُمْرَها ؟ فإذا قال :

---

(١) أي : يعملون في الخفاء .

(٢) جِلْد .

درَجَتْ إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى ، قال : ما ماتَ مَنْ خَلَّف مثلَك ، ثمَّ يحسبُ ويقولُ : فلانَةٌ تسعَةٌ ، وتزيدُ عليها تسعَةً ، تُسقِطُ منها خمسَةً تبقى منها أربعَةٌ ، اقعُدْ واسْمَع يا أخي ، إنِّي أرى عليكَ حُجَجًا مكتوبَةً ووثائقَ ، ولا بدَّ لكَ من الوقوفِ بين يَدَيْ وليِّ أمرٍ ، إمَّا حاكمٍ وإمَّا والٍ ، وأرى دَمًا خارجًا عنك ، ما أنتَ من أهلهِ ، وأرى ناسًا قَد اجتمعوا حولَكَ وإنْ كانَ شكلُ ذلكَ الرَّجلِ شَكْلَ مَن هو مِن أربابِ التُّهم ! قال : وأرى خشبًا يُنْصَبُ ومساميرَ تُضْرَب ، وجناياتٍ تُؤخَذُ ، نَعَم يا أخي ؛ برجُك بالأسدِ ، وهو ناريٌّ مُذكَّرٌ ، أخَذْتَ منهُ نِطْاحَ مقدامٍ بَطَلٍ ، نجمُكَ الزُّهَرَةُ أنتَ قليلُ البَخْتِ عندَ النَّاسِ مكفورُ الإحسانِ ، مقصودٌ بالأذى ، قلَّ إنْ صاحَبتَ أحدًا فأثمَرَتْ لكَ صحبتُهُ خيرًا ، نَعَم يا أخي ؛ أسعدُ أيَّامِكَ يومُ الجمعَة ، وخيرُ كسبك كدُّ يدِكَ ، اعلم أنَّهُ لا بدَّ لكَ من أسفارٍ وغُربَةٍ وركوبِ أهوالٍ واقتحامِ أَخْطارٍ وأمورٍ عِظامٍ أُبيِّنُها لكَ إنْ شاءَ اللَّهُ ، هاتِ ، لا تبخَلْ على نفسِكَ ، حُطَّ يدكَ في جيبِكَ ، وحُلَّ الكيسَ ...

ولا يزالُ يلكُزُهُ ويجذبُهُ ويُطْمِعُهُ حتى يستخرجَ ما تسمحُ بهِ نفسُهُ ، فإنْ رأى منهُ تباطُؤًا ، قال : عَجِّل قبلَ خُروجِ هذه السَّاعَة السَّعيدَة ، فإنَّها ساعَةٌ مبارَكَةٌ ! أما سمعتَ قولَ نبيِّكَ : « يسِّروا ولا تُعَسِّروا »[1]، فإذا حازَ ما أَخَذَهُ قال لهُ : زِدْني ، فإنَّ أُمورَكَ كثيرَةٌ ، وتحتاجُ إلى تعبٍ وفكرٍ وحسابٍ طويلٍ ! فإذا تمَّ لهُ ما يأخذُهُ منه بقيَ هو مِن جُوًّا[2]، فكالَ لهُ مِن جِرَابِ الكذبِ ما أمْكَنَهُ ، ولا يُبالي أكذَّبَهُ أم صدَّقَهُ !

---

(١) رواه البخاري (رقم : ٦٩)، و مسلم (رقم : ١٧٣٤) عن أَنس بن مالك .

(٢) أي : مِن الداخل .

ثم يقول لهُ : يا أخي برجُكَ الأسدُ ، وهو سهم العداوَةِ والحسدِ ، وما عاداكَ أحدٌ قطُّ وأفلحَ ، بل يُظَفِّرُكَ اللَّهُ بِهِ وينصُرُكَ عليهِ ، نعم ؛ وهو بُرْجٌ ناريٌّ ، والنَّارُ من النُّورِ ، والنُّورُ فيه البهجَةُ والسُّرور ، أبشِرْ فأنتَ طويلُ العمرِ ، لا تموتُ في هذا الوقتِ ، عُمْرُك من السِّتِّين إلى السَّبعين إلى الثَّمانين إلى التِّسعين ، بيتُ كسبِكَ كذا وكذا ، وأرى حاجَةً مُحْكَمَةً قد خرجَت عن يدِكَ ، نعم ؛ بغيرِ مُرادِكَ ، وأنتَ في غالبِ أحوالكَ الخارجُ عن يدِكَ أكثرُ من الدَّاخل فيها ، باللَّهِ صَدَقْتُ أم لا ؟ فيقولُ : واللَّهِ صحيحٌ ! والأمرُ كما قُلْتَ ، ولكنْ احْمَدِ اللَّهَ ، كلُّ ما بقيَ عليكَ من القطعِ أربعَةُ أشهرٍ وعشرَةُ أيَّامٍ وتخرجُ من نَحْسِكَ ، وتدخلُ في بُرجِ سعادتكَ وتنجو ويخلفُ اللَّهُ عليكَ بالخيراتِ والبركاتِ ، ولا بدَّ لكَ السَّاعَةَ من رزقٍ يأتيكَ اللَّهُ بهِ ، ويفرحُ بهِ أهلُكَ وعيلتُكَ وتصلحُ حالك ويستقيمُ سَعْدُك !!

الثَّالثُ يا أخي من برجِكَ بُرْجُ الميزان ، وهو بيتُ الإخوان ، سَعْدُكَ يا أخي منهم منقوصٌ ، وحظُّكَ منهم منحوسٌ ، غالبُ مَن أَوْلَيْتَهُ منهم خيرًا جازاكَ بالشرِّ ، وغالبُ مَن قُلْتَ فيه الخيرَ منهم يقولُ فيكَ الشرَّ ، باللَّهِ أَمَا الأمرُ هكذا ؟! وذلكَ يا أخي أنَّكَ خفيفُ الدَّمِ ، كلُّ مَن رآكَ مالَ إليكَ وأَنِسَ بك ، وأنتَ محسودٌ في مالِكَ وفي عافيتِكَ وفي أهلِكَ وأولادِكَ ، وكلُّ ما تعملُهُ بيدِكَ ، ولكنَّ العَينَ لا تُؤثِّر فيكَ ، لأنَّ كلَّ مَن بُرجُهُ الأسدُ لا بدَّ أن يكونَ لهُ في رأسِهِ أو جسدهِ علامَةٌ مثلُ شَجَّةٍ أو ضربَةٍ بينَ أكتافهِ أو في ساقهِ وما هو بعيدٌ أنَّ في جسدكَ شامَةً أو في جسمكَ ثُلمَةً ، وهذا هو الذي يدفعُ عنكَ العين ، وأنتَ لا تدري .

الرَّابعُ مِن بُروجكَ العقربُ ، وهو بيتُ الآباء ، أُراكَ كنتَ قليلَ السَّعدِ بينَ أبويك ، ومع هذا فكانَ أكثرُ ميلهم وإشفاقِهم مع غيرِكَ ، وهم عليكَ ، وكانَ حظُّكَ منهم ناقصًا ، ولهم تطلُّعٌ إلى كدِّكَ وكَسبِكَ .

الخامسُ من بروجكَ القوسُ ، وهو بيتُ البَنينِ ، أُراكَ قليلًا ما يعيشُ لك أولادٌ ، تدفنُهم كلَّهم ، ثمَّ تموتُ أنتَ بعدَهم ، بل سوفَ يكونُ لكَ ولدٌ يشدُّ اللَّهُ بِهِ عَضُدَكَ ، ويُقوِّي أَمْرَكَ ، وتنالُ من جهتِهِ راحةً وخيرًا ، وربّما تكونُ سعادتك على يديهِ .

السادسُ مِن بُروجِك الجَدْيُ ، وهو بُرْجُ أمراضِكَ وأعلالكَ ، يا أخي أمراضُكَ وأسقامُكَ كثيرَةٌ ، وأكثرُها في رَأسكَ ، وربَّما يكونُ في أجنابكَ ، وهي أمراضٌ قويَّةٌ طِوالٌ، اللَّهُ يُعافينا وإيَّاكَ ، وكنتَ في صِغَرِكَ لا ترقدُ في السَّرير إلّا بعدَ جُهدٍ جهيدٍ ، وعَهدي بكَ الآنَ لا ترقُدُ في فراشِكَ إلّا بعدَ شدَّةٍ ، نعم ؛ وأكثرُ أمراضِكَ في الصَّيفِ والخريفِ .

السَّابع مِن بُروجِكَ الدَّلْوُ وهو بيتُ الفراش ، وأرى فراشَكَ خاليًا ، أثمَّ زوجَةٌ ؟ فإن قال : نعم ، قال لا بدَّ لكَ من فراقها عن قريبٍ ، إمَّا بموتٍ وإمَّا بطلاقٍ، فإنَّ المِرِّيخَ منكَ في بيتِ الفراشِ ، وإنْ قال : لا ، قال : عجيبٌ ، واللَّهِ لقد أبصرتُ في الطَّبائع أنَّ فراشكَ فارغٌ ، وأرى رُوحًا ناظرَةً إليكَ بعينِ الأُلفةِ والمحبَّةِ خُطورُكَ[1] عليه وخطورُهُ عليكَ ، وأرى لكَ من قبلهِ منفعَةً ، ولكَ بهِ اتِّصالٌ وفرحٌ ، أُبيِّنُ لكَ على أيِّ سببٍ يكونُ اجتماعُكما ، نعم ؛ فإنْ قال لهُ : نعم ، قال : هاتِ ، فإنَّ الذي أعطيتَني قليلٌ ، فإذا أخَذَ منهُ ، قال : اعْلَمْ أنَّهُ لا

---

(١) هو ما يقعُ في القلب من المحبَّةِ .

بدَّ لكَ من الاتِّصالِ بهذا الشخصِ على كُلِّ حالٍ ، إلّا أنّي أرى قَد عُمِلَ لكَ عَمَلٌ ، وعُقدَ لكَ عُقَدٌ ، وأنتَ في همٍّ وغمٍّ مِن ذلكَ ، فإنْ شِئْتَ عملتُ لكَ كتابًا نافعًا يكونُ لكَ حِرْزًا مِن كُلِّ ما تخافهُ وتحذرُهُ !

ولا يزالُ يفتلُ لهُ في الذَّروَةِ والقُربِ حتى يستكتبَهُ الحِرْزَ(١) !!!

... وكذبُ هذه الطَّائفَة وجهلُها وزَرْقُها تُغْني شهرتُها عند الخاصَّةِ والعامَّةِ عن تكلُّفِ إيرادهِ ، وكلَّما كانَ المنجِّمُ أكذبَ ، بالزَّرْقِ أعرفَ ، كانَ على الجُهَّالِ أَرْوَجَ !

□□□□□

---

(١) والنَّاظرُ اليومَ في أَبراج الصحف ، وحظوظ المجلَّات ، يرى حقيقةَ كلام المصنِّف ، وصِدْقِ وَصْفِه لهم ، مِمّا يدلُّك على أَنَّ كذبَهم واحدٌ ، وافتراءَهم واحدٌ !!

١٦٨ - فَصْلٌ
[هل البحثُ في النجوم علمٌ ؟!]

وأمَّا قولُهُ : إنَّ هذا علمٌ ، ما خَلَتْ عنهُ مِلَّةٌ من المللِ ، ولا أُمَّةٌ منَ الأُمِ ، ولا يُعرفُ تاريخٌ منَ التَّواريخِ القديمَةِ والحديثَةِ إلّا وكانَ أهلُ ذلكَ الزَّمان مشْتغلين بهذا العلمِ ومُعوّلين عليهِ في معرفَةِ المصالحِ ، ولو كانَ هذا العلمُ فاسدًا بالكُلِّيَّةِ لاسْتَحالَ إطْباقُ أهلِ المشرقِ والمغربِ عليهِ !

فانظُرْ ما في هذا الكلامِ من الكذبِ والبَهْتِ والافتراء على العالَمِ مِن أوَّلِ بنائهِ إلى آخرهِ ، فإنَّ آدمَ وأولادَهُ كانوا بُرَآءَ مِن ذلكَ ، وأئمَّتُكم مُعترفون بأنَّ أوَّل مَن عُرفَ منهُ الكلامُ في هذا العلم وتُلُقِّيَت عنهُ أصولُه وأوضاعهُ هو إدريسُ النَّبيُّ ﷺ ، وكانَ بعدَ بناءِ هذا العالَمِ بزمنٍ طويلٍ ، **هذا لو ثبتَ ذلكَ عن إدريس** ، فكيفَ وهو من الكذبِ الذي ليسَ مع صاحبهِ إلّا مُجرَّدُ القولِ بلا علمٍ ! والكذبِ على رسولِ اللّهِ ﷺ !

أوليسَ منَ الفِرْيَةِ والبَهْتِ أن يُنْسَبَ هذا العلمُ إلى أُمَّةِ موسى في زمنهِ وبعدَه ؟! فإنَّهم كانوا مُعَوِّلين في مصالحِهم على هذا العلمِ ، وكذلكَ أُمَّةُ عيسى وأمَّةُ يونُس ، والذين كانوا مع نُوحٍ ونَجَوْا معهُ في السَّفينَةِ !

وحَسْبُكَ بهذا الكذبِ والافتراءِ على تلكَ الأُمَّةِ المضبوطِ أمرُها المحفوظِ فعلُها ، فهل كانَ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُهُ يُعوِّلونَ على هذا العلم ويعتمدون عليهِ في مصالحهم ، أو قَرْنُ التَّابعين يفعلُهُ ، أو قَرْنُ تابعي التَّابعين ؟! وهذه هي خيارُ

قرونِ العالمِ على الإطْلاقِ[١]، كما أنَّ هذه الأمَّةَ خيرُ أُمَّةٍ أخرجَت للنَّاسِ ، وهم أعلمُ الأمَمِ وأعرفها ، وأكثرُ كُتُبًا وتصانيفَ ، وأعلاها شأنًا ، وأكملُها في كُلِّ خَيرٍ ورُشدٍ وصلاحٍ ، كما ثَبَتَ في « المسند »[٢] وغيره ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال : « أنتُم تُوَفُّون سبعينَ أمَّةً ، أَنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّهِ » ، فهل رأيتَ خيارَ قرونِ هذه الأمَّةِ والمُوَفَّقين من خُلفائها وملوكِها وساداتِها وكُبرائها مُعوِّلين على هذا العلمِ ، أو مُعتمِدين عليهِ في مصالحهم ؟

وهذه سِيَرُهُم ما يعهدُها مِن قِدَمٍ ، ولا يتأتَّى الكذبُ عليهم ، هذا وقَد أُعْطُوا منَ التَّأييدِ والنَّصرِ والظَّفَرِ بعدوِّهم والاستيلاء على ممالكِ العالمِ ما لم يَظْفَرْ به أحدٌ من المُعوِّلين على أحكامِ النُّجومِ ، بل لا تجدُ المُنجِّمين إلّا ذِمَّةً لهم لولا اعتصامُهم بحبلٍ منهم لَقُطِّعت حبالُ أعناقِهم ، ولا تجدُ المُعَوِّلين على هذا العلمِ إلّا مَخْصُوصين بالخِذلانِ والحرمانِ ، وهذا لأنَّهم حقَّ عليهم قولُه تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَينالُهُم غَضبٌ مِن ربِّهم وذلَّةٌ في الحياةِ الدُّنيا وكذلكَ نَجْزي المُفترين ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ، قال أبو قِلابَة : هي لكُلِّ مفترٍ من

---

(١) يُشير مُصَنِّفُنا - رحمه اللَّه - إِلى قولِه ﷺ : « خَيرُ النَّاس قَرْني ثمَّ الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

رواه البخاري (٦٦٥٨) ، ومسلم (٢٥٣٣) عن ابن مسعود .

(٢) (٤ / ٤٤٦ و ٤٤٧) و (٥ / ٣) .

ورواه الترمذي (٣٠٠١) ، وابن ماجه (٤٢٨٧) و (٤٢٨٨) ، والطبراني في « الكبير » (١٩ / رقم ١٠١٢ و ١٠٣٠ و ١٠٣٦) ، والحاكم (٤ / ٨٤) ، وعبد بن حُمَيد في « المنتخب مِن المسند » (٤٠٩) و (٤١١) ، والدارمي (٢٧٦٣) مِن ثلاث طرق عن حكيم بن مُعاوية عن أَبيه مرفوعًا .

وسنده حسن .

هذه الأُمَّةِ إلى يومِ القيامَةِ[١].

نَعَمْ ؛ لا نُنْكِرُ أنَّ هذا العلمَ لهُ طَلَبَةٌ مَشغولون بِهِ ، مُعتنونَ بأمرِهِ ، وهذا لا يدُلُّ على صحَّتهِ ، فهذا السِّحرُ لم يَزَلْ في العالمِ مَن يشتغلُ به ويتطلَّبُهُ أعظمَ مِن اشتغالِهِ بالنُّجومِ وطلبهِ لها بكثيرٍ ، وتأثيرُهُ في النَّاسِ ممَّا لا يُنْكَرُ ، أفَكانَ هذا دليلًا على صِحّتهِ ؟!

وهذه الأصنامُ لم تزل تُعبَدُ في الأرضِ مِنْ قَبْلِ نوحٍ وإلى الآنَ ولها الهياكلُ المبنيَّةُ والسَّدنَةُ ، ولها الجيوشُ التي تُقاتِلُ عنها وتحاربُ لها ، وتختارُ القتلَ والسَّبْيَ وعُقوبَةَ اللَّهِ تعالى ، ولا تَنتهي عنها ! أَفَيَدُلُّ هذا على صحَّةِ عبادتِها ، وأنَّ عُبَّادَها على الحَقِّ ؟

ومنَ العَجَبِ قولُهُ : لو كانَ هذا العلمُ فاسدًا لاسْتَحَالَ إطْباقُ أهلِ المشرقِ والمغربِ من أوَّلِ بناءِ العالمِ إلى آخرهِ عليهِ ، وليسَ في الفِرْيَةِ أبلغُ من هذا ، ولا في البُهتانِ أترى الرَّجلَ ما وقفَ على تأليفٍ لأحدٍ من أَهلِ المشرقِ والمغربِ في إبطالِ هذا العلم والرَّدِّ على أهلِهِ !

فقد رأينا نحنُ وغيرُنا ما يزيدُ على مئةِ مُصنَّفٍ في الرَّدِّ على أهلِهِ ، وإبطالِ أقوالهم ، وهذه كُتبُهم بأيدي النَّاسِ ، وكثيرٌ منها للفلاسفَةِ الذين يُعَظِّمُهم هؤلاءِ ، ويَرونَ أنَّهم خُلاصَةُ العالَمِ كالفارابي وابن سينا وأبي البركات الأوحد وغيرهم - وقد حَكينا كلامَهم[٢]- وأمَّا الرُّدودُ في ضمنِ الكتبِ حينَ يُرَدُّ على أهلِ المقولات فأكثرُ من أن تُذْكَرَ ، ولعلَّها أن تزيدَ على عدَّةِ الألفِ ، تجدُ في

---

(١) انظر ما تقدَّم (ص ١٦٤) .

(٢) انظر ما تقدَّم (ص ٤٦ ، ١٢٦ ، ١٤٥) .

كلٌّ كتابٍ منها الرَّدَّ على هؤلاءِ ، وإبطالَ مذهبهم ، ونسبتهم إلى الكذبِ والزَّرْقِ .

ولو أنَّ مُقابِلًا قابَلَهُ ، وقال : لو كانَ هذا العلمُ صحيحًا لاسْتَحَالَ إطْباقُ أهلِ المشرقِ والمغربِ على ردِّهِ وإبطالِهِ ، لكانَ قولُهُ من جنسِ قولِهِ ، ولكنَّ أهلَ المشرقِ فيهم هذا وهذا كما يشهدُ به الحِسُّ والتَّواريخُ القديمَةُ والحديثَةُ .

ولقد رَأَيْنا من الرُّدودِ القديمَة قبلَ قيامِ الإسلامِ على هؤلاء ما يدُلُّ على أنَّ العُقلاءَ لم يزالوا يشهَدُون عليهم بالجهلِ وفسادِ المذهبِ ، وينسِبُونهم إلى الدَّعاوى الكاذبَةِ والآراءِ الباطلَةِ التي ليسَ مع أصحابها إلّا القولُ بلا علمٍ .

□□□□□

١٦٩ - فَصْلٌ

[الفُرس والبحث في النُّجوم]

وأمَّا ما ذكرهُ في أمرِ الطَّالعِ عن الفُرْسِ ، وأنَّهم كانوا يَعْتَنُونَ بطالعِ مَسْقَطِ النُّطفَةِ ، وهو طالعُ الأصلِ ، ثمَّ يحكمُ بمُوجبِهِ حتى يَحْكُمَ بعددِ السَّاعاتِ التي يَمْكُثُها الولدُ في بطنِ أمِّهِ !

فهذا منَ الكذبِ والبَهْتِ ، ومَنْ أرادَ أنْ يختبرَ كذبَهُ فَلْيُجَرِّبْهُ ، فإنَّ تجربَةَ مثلِ هذا ليسَتْ بمشقَّةٍ ولا عَسِرَةٍ ، ثمَّ إنَّ هذا الواطئَ لا علمَ لهُ ولا لأحدٍ أنَّ الولدَ إنَّما يُخْلَقُ من أوَّلِ وطئِهِ الذي أنزلَ فيهِ دونَ ما بعدَهُ ، وإنْ فُرِضَ أنَّهُ أمسكَ عن وطئها بعدَ المرَّةِ الأولى وحَبَسها بحيثُ يتيقَّن أنَّ غيرَهُ لم يَقْرَبْها - وهذا في غايَةِ النُّدرَة - فلم يُمكن المنجِّمَ أنْ يعلمَ أحوالَ ذلكَ المولودِ ، ولا تفاصيلَ أمرِهِ البتَّةَ ، ومُدَّعي ذلكَ مُجاهِرٌ بالكذبِ والبَهْتِ .

وقَد اعترفَ القومُ بأنَّ طالعَ الولادَةِ مُستعارٌ لا يفيدُ شيئًا ، لأنَّ الولدَ لا يحدُثُ في ذلكَ الوقت ، وإنَّما ينتقلُ من مكانٍ إلى مكانٍ .

وقَد اعترفوا بأنَّ ضَبْطَهُ مُتعسِّرٌ جدًّا ، بل مُتعذِّرٌ ، فإنَّ في اللحظَةِ الواحدَةِ من اللحظاتِ تتغيَّرُ نَصْبَةُ الفَلَكِ تغيُّرًا لا يُضْبَطُ ، ولا يُحصيهِ إلّا اللّه ، ولا ريبَ أنَّ الطَّالعَ يتغيَّرُ بذلكَ تغيُّرًا عظيمًا لا يمكنُ ضَبْطُهُ !

وقَد اعترفوا هم بهذا ، وأنَّ سببَ هذا التَّفاوتِ يُحيلُ أحكامَهم ، واعترفوا بأنَّهُ لا سبيلَ إلى الاحترازِ من ذلكَ ، فأيُّ وُثُوقٍ لعاقلٍ بهذا العلمِ بعدَ هذا كُلِّهِ ؟

وقد بيّنّا أنَّ غايةَ هذا - لو صحَّ وسلمَ من الخللِ جميعُهُ ولا سبيلَ إليهِ - لكانَ جُزْءَ السَّببِ والعلَّةِ ، والحُكْمُ لا يُضاف إلى جزء سببِهِ ، ثمَّ لو كانَ سببًا تامًّا فصوارِفُهُ وموانِعُهُ لا تدخلُ تحتَ الضَّبْطِ البتَّةَ ، والحُكمُ إنَّما يُضافُ إلى وجُودِ سببِهِ التَّامِّ وانتفاءِ مانعِهِ .

وهذه الأسبابُ والموانعُ ممَّا لا تدخُلُ تحتَ حَصْرٍ ولا ضبطٍ إلّا لمن أحصى كلَّ شيءٍ عَدَدًا ، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلمًا ، لا إلهَ إلّا هو علَّامُ الغيوب ، فلو ساعَدْناهم على صحَّةِ أُصولِ هذا العلمِ وقواعدِهِ لكانَت أحكامُهم باطلَةً ، وهي أحكامٌ بلا علمٍ ، لِمَا ذَكَرْناه مِن تعذُّرِ الإحاطَةِ بمجموع الأسبابِ وانتفاءِ الموانع ، ولهذا كثيرًا ما يُجْمِعون على حُكمٍ من أحكامهم الكاذبَةِ ، فيقعُ الأمرُ بخلافِهِ ، كما تقدَّمَ .

وأمَّا تلكَ الحكاياتُ المُتضمِّنَةُ لإصابتِهم في بعضِ الأحوالِ فليسَتْ بأكثَرَ من الحكاياتِ عن أصحابِ الكَشْفِ والفألِ وزجرِ الطَّائرِ والضَّربِ بالحصى والطَّرْقِ والعيافَةِ والكهانَةِ والخَطِّ والحَدْسِ وغيرِها من علومِ الجاهليَّة ، وأَعْني بالجاهليَّةِ كُلَّ مَن ليسَ من أتباعِ الرُّسُلِ كالفلاسفَةِ والمُنجِّمين والكُهَّانِ وجاهليَّةِ العربِ الذينَ كانوا قبلَ النَّبيِّ ﷺ ؛ فإنَّ هذه كانَت عُلومًا لقومٍ ليسَ لهم علمٌ بما جاءَت بِهِ الرُّسلُ ، ومِن هؤلاءِ مَن يزعُمُ أنَّهُ يأخذُ من الحُروفِ علمَ المكانِ ، ولهم في ذلكَ تصانيفُ وكتبٌ ، حتى يقولون : إذا أرَدْتَ معرفَةَ ما في رؤيا السَّائلِ من خيرٍ أو شرٍّ فَخُذ أوَّلَ حرفٍ من كلامِهِ الذي يُكلِّمكَ بِهِ ، وفَسِّر رؤياهُ على مَعنى ذلكَ الحَرفِ ، فإنْ كانَ أوَّلَ ما نَطَقَ بِهِ باءٌ فرؤياهُ خيرٌ ، لأنَّ الباءَ مِن البهاءِ والخيرِ ، أَلَا تراها في البرِّ والبركَةِ وبلوغ الآمال والبقاء والبشارَةِ والبيان

والبَخْت ، فإذا كانَ أوَّلَ حرفٍ من كلامهِ باءٌ ، فاعلم أنَّهُ قَد عايَنَ ما أبهاهُ وبشَّرهُ مِنَ الخيراتِ ، وإنْ كانَ أوَّلَ كلامهِ تاءٌ فقد بُشِّرَ بالتَّمامِ والكمالِ ، وإنْ كانَ ثاءٌ فبشِّرهُ بالأثاثِ والمتاعِ ، لقولهِ تعالى :﴿ هُم أحسَنُ أثاثًا ورِئيا ﴾ [مريم : ٧٤] ثمَّ قالوا : فعليكَ بهذه الأحرفِ الثَّلاثَة ، فليسَ شيءٌ يخلو منها ويجاوزُها !

وإذا تأمَّلْتَ جهلَ هؤلاءِ رأيتَهُ شديدًا ، فكيفَ حَكَمُوا على الباءِ بالبَهاءِ والبركَةِ دونَ البأسِ والبَغي والبينِ والبلاءِ والبوارِ والبُعْد ؟

وكيفَ حكموا على الثَّاءِ بالأثاثِ دونَ الثُّفلِ والثِّقَلِ والثَّلْبِ ونحوهِ ، وكذلكَ استدلالهُ بأوَّلِ ما يقعُ بصرُهُ عليهِ كما حُكيَ عن أبي مَعْشَرٍ أنَّهُ وقفَ هو وصاحبٌ لهُ على واحدٍ من هؤلاءِ ، وكانا سائرَيْنِ في خَلَاصِ محبوسٍ ، فَسأَلاه ؟ فقال : أنتما في طلبِ خَلَاصِ مسجونٍ ، فَعَجِبَا مِن ذلك ، فقال لهُ أبو معَشْر : هل يَخلُصُ أم لا ؟ فقالا : تذهبانِ تلتقيانهِ قَد خَلَصَ ، فوجدا الأمرَ كما قال ، فاستدْعاهُ أبو مَعْشَرٍ وأكْرَمَهُ ، وتلطَّفَ لهُ في السُّؤال عن كيفيَّةِ علمِ ذلك ، فقال : نحنُ نأخذُ الفألَ بالعينِ والنَّظر ، فينظر أحدُنا إلى الأرضِ ، ثمَّ يرفعُ رأسَهُ ، فأوَّلُ شيءٍ يقعُ نظرُهُ عليهِ يكون الحُكْمُ به ، فلمَّا سَأَلْتُماني ، كانَ أوَّلَ ما رأيتُ ماءٌ في قِرْبةٍ ، فقلت : هذا محبوسٌ ، ثمَّ لمَّا سألتُماني في الثَّانيَةِ نَظَرْتُ فإذا هو قَد أُفْرِغَ من القِرْبَةِ ، فقلتُ : يخلُصُ ، ويُصيبُ تارَةً ويُخطىءُ تارَةً .

ومِن هذا أخذَ بعضُهم الجوابَ عن التَّفاؤل بالأيَّامِ ، فإذا رأى أحدٌ رؤْيا مَثَلًا يومَ أَحَدٍ أو ابتدأ فيهِ أمرًا ، قال : حدَّةٌ وقوَّةٌ ، وإنْ كانَ يومَ الجمعَةِ ، قال : اجتماعٌ وأُلفَةٌ ، وإنْ كانَ يومَ سبتٍ ، قال : قطعٌ وفُرقَةٌ .

ومن هذا استدلالُ المسؤولِ بالمكانِ الذي يَضَعُ السَّائلُ يدَهُ عليهِ من جسدهِ

وقتَ السُّؤالِ ، فإنْ وضعَ يدَهُ على رأسهِ فهو رئيسُهُ وكبيرُهُ ، والرِّجْلَيْنِ قِوامُهُ ، والأنفِ بناءٌ مرتفعٌ ، أو تلٌّ أو نحوهُ، والفمِ بئرٌ عَذْبَةٌ، واللحيَةِ أشجارٌ وزروعٌ ...

وعلى هذا النَّحْوِ من ذلكَ ما حُكيَ عن المهدي أنَّهُ رأى رؤيا وأُنْسِيَها فأصبحَ مُغْتَمًّا بها ، فَدُلَّ على رجلٍ كانَ يعرفُ الزَّجْرَ والفألَ ، وكانَ حاذقًا به ، واسمهُ خُويلد ، فلمّا دخلَ عليهِ أخبرهَ بالذي أرادهُ لهُ ، فقال لهُ : يا أميرَ المؤمنين ، صاحبُ الزَّجرِ والفألِ ينظرُ إلى الحركةِ وأخطارِ النَّاسِ ، فغضبَ المهديُّ ، وقال : سبحانَ اللَّهِ أحدُكم يُذْكَرُ بعلمٍ ولا يدري ما هو ، ومَسَحَ يدَهُ على رأسهِ ووجههِ وضربَ بها على فخذهِ ، فقال لهُ : أُخبركَ برؤياكَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : هاتِ ، قال : رأيتَ كأنَّكَ صَعَدْتَ جبلًا ، فقال المهدي : للَّهِ أبوكَ يا سحَّارُ ! صدقتَ ، قال : ما أنا بساحرٍ يا أميرَ المؤمنين ، غيرَ أنَّكَ مسَحْتَ بيدكَ على رأسِكَ ، فزجرتُ لكَ ، وعلمتُ أنَّ الرَّأسَ ليسَ فوقَهُ أحدٌ إلّا السَّماءُ ، فأوَّلْتُهُ بالجَبَلِ ، ثمَّ نَزَلْتَ بيدكَ إلى جبهتكَ ، فَزَجَرْتُ لك بنزولكَ إلى أرضٍ مَلْساءَ فيها عينانِ مالحتِان ، ثمَّ انْحَدَرْتَ إلى سفحِ الجَبَلِ فلقيتَ رجلًا من فخذِكَ قُريش ، لأنَّ أميرَ المؤمنين مَسَحَ بعدَ ذلكَ بيدهِ على فَخِذهِ ، فعلمتُ أنَّ الرَّجلَ الذي لَقِيَهُ من قرابتهِ ، قال : صَدَقتَ ، وأمَرَ لهُ بمالٍ وأمَرَ أن لا يُحْجَبَ عنهُ .

ومن ذلكَ هؤلاءِ أصحابُ الطَّيرِ السَّانحِ والبارحِ ، والقعيدِ والنَّاطحِ ، وأصلُ هذا أنَّهم كانوا يزجُرون الطَّيرَ والوحشَ ويُثيرونها ، فما تيامنَ منها وأخذَ ذاتَ اليمين سَمَّوْهُ سانحًا ، وما تياسرَ منها سَمَّوْهُ بارحًا ، وما استقبلهم منها فهو النَّاطحُ ، وما جاءَهم مِن خلفِهم سمَّوْهُ القَعيدَ ، فَمِنَ العربِ مَن يتشاءَمُ بالبارحِ ويتبرَّكُ بالسَّانحِ ، ومنهم من يَرى خلافَ ذلكَ !

قال المدائنيُّ : سألتُ رُؤبَةَ بن العجّاجِ : ما السَّانح ؟ قال : ما ولّاكَ ميامنَهُ ، قال : قلتُ : فما البارح ؟ قال : ما ولَّاكَ مياسِرَهُ ، قال : والذي يجيءُ مِن قُدَّامكَ فهو النَّاطحُ والنَّطيحُ ، والذي يجيءُ من خلفِكَ فهو القاعدُ والقعيد .

وقال المُفَضَّلُ الضَّبِّي : البارحُ ما يأتيكَ عن اليمين يريدُ يسارَكَ ، والسَّانحُ ما يأتيكَ عن اليسارِ فيمرُّ على اليمين .

وإنَّما اختلفوا في مراتبِها ومذاهبِها لأنَّها خواطرُ وحُدوسٌ وتخميناتٌ ، لا أصلَ لها ، فَمَنْ تبرَّكَ بشيءٍ مَدَحَهُ ، ومَنْ تشاءَمَ بشيءٍ ذمَّهُ ، ومَنَ اشتهرَ بإحسانِ الزَّجرِ عندهم وَوُجوهِهِ حتى قَصدَه النَّاسُ بالسُّؤالِ عن حوادثِهم ، وما أَمَّلُوهُ من أعمالهم سَمَّوْهُ عائفًا وعرَّافًا .

وقَد كانَ في العربِ جماعَةٌ يُعرفونَ بذلكَ كعرَّافِ اليمامَةِ ، والأبلقِ الأُسَيِّدي ، والأجلحِ ، وعُروةَ بن يزيدَ ، وغيرِهم ، فكانوا يَحْكُمونَ بذلكَ ويعملون به ، ويتقدَّمُونَ ويتأخَّرُون في جميعِ ما يتقلّبون فيهِ ويتصرَّفون ، في حالِ الأمنِ والخوفِ والسَّعةِ والضِّيق والحربِ والسِّلمِ ، فإنْ أَنْجَحُوا فيما يتفاءلونَ بِهِ مَدَحُوهُ وداوموا عليهِ ، وإنْ عُطِبوا فيهِ تركوهُ وذمُّوهُ ، ومِنهم مَن أنكرها بعقلِهِ ، وأبطلَ تأثيرهَا بنظرِهِ ، وذمَّ مَن اغترَّ بها ، واعتمدَ عليها وتوهَّمَ تأثيرَها ، فمنهم المرَقِّشُ ، حيثُ يقول :

وَلَقَد غَدوتُ وكنتُ لا	أغدو على واقٍ وحاتِمْ
فإذا الأشـــائم كـــالأيا	من والأيامِنُ كالأشائمْ
وكـــذاكَ لا خـيرٌ ولا	شرٌّ على أحـــدٍ بدائمْ
لا يمنعـــنَّكَ من بُـغَا	ءِ الخَيرِ تَعْقَادُ التَّمائـمْ

قَد خُطَّ ذلكَ في السُّطو ... رِ الأَوَّلِيَّــاتِ القــدائمْ

وقال حَمِيمٌ الهُذَليُّ :

أَلَمْ تَرَ أنَّ العائفَيْنِ وإنْ جَـرَت ... لكَ الطَّـيرُ عمَّا في غَدٍ عَمِيانِ
يظـنَّانِ ظـنًّا مـرَّةً يُخْطِـئانهِ ... وأخرى على بعضِ الذي يصفانِ
قضى اللَّهُ أنْ لا يعلمَ الغيبَ غيرُهُ ... فـفي أيِّ أمـرِ اللَّهِ يمترِيانِ

وقال آخَرُ :

وما أنا ممَّن يزجرُ الطَّيرَ هـمُّهُ ... أطارَ غُرابٌ أم تعرَّضَ ثعـلبُ
ولا السَّانحاتُ البارحاتُ عشيَّةً ... أَمَرَّ سليمُ القرنِ أم مرَّ أعضَبُ

وقال آخَرُ يمدحُ مُنْكِرَها :

وليسَ بهيَّابٍ إذا شدَّ رحـلَهُ ... يقـولُ عَدَاني اليومَ واقٍ وحاتمُ
ولكنَّهُ يَمْضي عـلى ذاكَ مُقْدِمًا ... إذا صدَّ عن تلكَ الهَنَاتِ الخُتَارِمِ[(١)]

يعني بالواقِ : الصُّرَدَ ، وبالحاتم : الغُراب ؛ سمَّوهُ حاتمًا لأنَّهُ كانَ عندهم يَحْتِمُ بالفراقِ ، والخُتَارِمُ : العاجزُ ، الضَّعيف الرَّأي ، المتطيِّر .

وقد شفى النَّبيُّ ﷺ أُمَّتهُ في الطِّيرَةِ حيثُ سُئلَ عنها ؟ فقال : « ذاكَ شيءٌ يجدُهُ أحدُكم فلا يَصُدَّنَّهُ »[(٢)].

وفي أثرٍ آخَر : « إذا تطيَّرْتَ فلا ترجِعْ »[(٣)] أي : امضِ لِمَا قصدْتَ لهُ ولا

---

(١) هو الرجلُ المتطيِّرُ ، كما سيذكره المُصنِّفُ .

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) عن مُعاوية بن الحكَم السُّلَمي .

(٣) رواه عبدُالرزَّاق عن مَعْمَر عن إسماعيل بن أُميَّة مرفوعًا ، كما في « التمهيد » (٦ / ١٢٥) ، وحكم عليه ابنُ حجر في « الفتح » (١٠ / ٢١٣) ، بأنَّه مُعْضَل أو مُرْسَلٌ .
=
وهو في « جامع مَعْمَر » (١٩٥٠٤) بلفظٍ آخر .

يَصُدَّنَّكَ عنهُ الطِّيرَةُ .

واعلم أنَّ التَّطيُّرَ إنَّما يَضُرُّ مَنْ أشفقَ منهُ وخافَ ، وأمَّا مَن لم يُبالِ بهِ ولم يعبأ بهِ شيئًا لم يَضُرَّهُ البتَّةَ ، ولا سيَّما إنْ قال عندَ رؤيَةِ ما يتطيَّرُ به أو سماعِهِ : « اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُك ، ولا خيرَ إلّا خيرُك ، ولا إلٰهَ غيرُكَ ، اللهمَّ لا يأتي بالحسناتِ إلّا أنتَ ، ولا يذهبُ بالسَّيِّئاتِ إلّا أنتَ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بكَ »(١) .

فالطِّيرَةُ بابٌ من الشركِ وإلقاءِ الشيطان وتخويفهِ ووسوستهِ ، يَكْبُرُ ويعظُمُ شأنُها على مَن أَتْبَعَها نفسَهُ ، واشتغلَ بها ، وأكثرَ العنايَةَ بها ، وتذهب

= وله شاهدٌ في « معجم الطبراني الكبير » (٣٢٢٧) بلفظ : « إذا تطيَّرت فامْضِ » .

قال الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٧٨) : « وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري ، وهو ضعيفٌ » .

وله شواهدُ أُخرى أَشار إليها الزَّبيدي في « شرح الإحياء » (٥ / ٥٥٢) والحافظُ في « الفتح » (١٠ / ٢١٣) فَلْتُنْظَر .

(١) روى القطعة الأُولى منه أَحمد (٢ / ٢٢٠) وابن السُّنِّي في « عمل اليوم والليلة » (٢٩٣) عن عبدالله بن عُمر بسند صحيح .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٥ / ١٠٥) : « وفيه ابنُ لهيعة ، وحديثُه حسن ، وبقيَّة رجالِه ثقات » .

والقطعة الثانية ، رواها أَبو داود (٣٧١٩) وابن السّني (٢٩٤) ، والبيهقي في « السنَّة » (٨ / ١٣٩) وفي « الدعوات » (٥٠٠) مِن طريق حبيب بن أَبي ثابت ، عن عُروة بن عامر الجُهني .

وقال الحافظ في « الإِصابة » (٤ / ٤٩٠) : « رجاله ثقات دون المراسيل ، لكنْ حبيبٌ كثيرُ الإِرسال » .

وقال البيهقي في « الدعوات » (٥٠٠) : « هذا مُرْسَلٌ » .

وتَضْمَحِلُّ عمَّن لم يلتفتْ إليها، ولا ألقى إليها بالَهُ، ولا شَغَلَ بها نفسَهُ وفِكرَهُ .

واعلم أنَّ مَن كانَ مُعتنيًا بها قائلًا بها كانَت إليه أسرعَ منَ السَّيلِ إلى مُنحدرِهِ ، وتفتَّحَتْ لهُ أبوابُ الوساوسِ فيما يسمعُهُ ويراهُ ويُعطاهُ ، ويَفْتَحُ لهُ الشيطانُ فيها مِنَ المناسباتِ البعيدَةِ والقريبَةِ في اللفظِ والمعنى ما يُفْسِدُ عليهِ دينَهُ ويُنَكِّدُ عليهِ عيشهُ ؛ فإذا سمعَ سفَرْجلًا ، أو أُهديَ إليهِ تطيَّرَ به ، وقال : سفرٌ وجلاءٌ ! وإذا رأى ياسَمينًا ، أو سمعَ اسمَهُ تطيَّرَ به ، وقال : يأسٌ ومَيْنٌ ! وإذا رأى سَوْسَنَةً أو سمعها ، قال : سوءٌ يبقى سنَةً ! وإذا خرجَ من دارِهِ فاستقبلَهُ أعورُ أو أشلُّ أو أعمى أو صاحبُ آفَةٍ تطيَّرَ بهِ وتشاءَمَ بيومهِ !

ويُحكى عن بعضِ الوُلاةِ أنَّهُ خرجَ في بعضِ الأيَّامِ لبعضِ مُهِمَّاتِهِ ، فاستقبلهُ رجلٌ أعورُ ، فتطيَّرَ بهِ ، وأمَرَ بهِ إلى الحَبْسِ ، فلمّا رجعَ من مهمّتِه ولم يَلْقَ شرًّا أمَرَ بإطلاقهِ ، فقال لهُ : سألتُكَ باللّهِ ما كانَ جُرْمي الذي حَبَسْتَني لأجلِهِ ؟! فقال لهُ الوالي : لم يكُن لكَ عندنا جُرْمٌ ، ولكنْ تطيَّرْتُ بكَ لمّا رأيتُكَ ، فقال : فما أصبتَ في يومكَ برؤيتي ؟! فقال : ممَّا لم أَلْقَ إلّا خيرًا ، فقال : أيُّها الأميرُ أنا خَرَجْتُ مِن منزلي فرأيتُكَ ، فَلَقِيتُ في يَوْمِي الشرَّ والحَبْسَ ، وأنتَ رأيتني فلقيتَ في يومكَ الخيرَ والسُّرورَ ، فمَن أشأمُنا ؟ والطِّيرَةُ بمَنْ كانَت ؟ فاستحيا منهُ الوالي وَوَصَلَهُ .

وقال أبو القاسم الزَّجَّاجي : لم أرَ أشدَّ تطيُّرًا من ابنِ الرُّومي الشاعِر ! وكانَ قد تجاوَزَ الحدَّ في ذلكَ ، فعاتَبْتُهُ يومًا على ذلكَ .

فقال يا أَبا القاسم : الفألُ لسانُ الزَّمانِ ، والطِّيرَةُ عنوانُ الحَدَثانِ .

وهذا جوابُ مَن استحكمتْ علَّتُهُ ، فعجزَ عنها ، وهو أيضًا بمنزلَةِ مَن قد

غَلَبَتْهُ الوساوسُ في الطهارةِ ، فلا يلتفتُ إلى علمٍ ، ولا إلى ناصحٍ .

وهذه حالُ من تَقَطَّعَتْ به أَسبابُ التَّوكُّلِ ، وتقلَّصَ عنهُ لباسُهُ ، بل تعرَّى منهُ ؛ ومَن كانَ هكذا فالبلايا إليهِ أسرعُ ، والمصائبُ بِهِ أعْلَقُ ، والمِحَنُ لهُ أَلزمُ ، بمنزلَةِ صاحبِ الدُّمَّلِ والقُرحَةِ الذي يَهدي إلى قُرحتهِ كُلَّ مؤذٍ وكُلَّ مُصادمٍ ، فلا يكادُ يُصْدَمُ مِن جسدهِ أو يُصابُ غيرُها .

والمتطيِّرُ مُتعَبُ القلبِ ، مُنَكَّدُ الصَّدرِ ، كاسِفُ البالِ ، سيِّيءُ الخُلُقِ ، يتخيَّلُ مِن كلِّ ما يراهُ أو يسمعُهُ ، أشدُّ النَّاسِ خَوفًا ، وأنكدُهم عيشًا ، وأضيقُ النَّاسِ صَدرًا ، وأحزَنهُم قلبًا ، كثيرُ الاحترازِ والمُراعاةِ لِمَا لا يضرُّهُ ولا ينفعُهُ ، وكم قَد حَرَمَ نفسَهُ بذلكَ مِن حظٍّ ! ومَنَعَها مِن رزقٍ ! وقطعَ عليها من فائدَةٍ !

ويكفيكَ من ذلكَ قصَّةُ النَّابغَة مع زيادِ بن سيَّار الْفَزاري حينَ تجهَّزَ إلى الغَزوِ ، فلمَّا أرادَ الرَّحيلَ نظرَ النَّابغَةُ إلى جَرادَةٍ قَد سقَطَت عليهِ ، فقال : جرادَةٌ تَجْرُدُ ، وذاتُ ألوانٍ ! عزيزٌ من خرجَ من هذا الوجهِ ، ونَفَذَ زِيادٌ لوجهِهِ ولم يتطيَّر ، فلمّا رجعَ زيادٌ سالمًا غانمًا ، أنشأ يقول :

تحيَّـرَ طِـيرَةً فيـها زيـادٌ ... لِيُخْبِرَهُ وما فيـها خَبيرُ
أقامَ كـأنَّ لُقـمانَ بنَ عادٍ ... أشـارَ لهُ بحكـمتهِ مُشيرُ
تعــلَّمْ أنَّــهُ لا طَـيرَ إلّا ... على مُتـطيِّرٍ وهـو الثُّبورُ
بلى شيءٌ يُوافِقُ بعضَ شيءٍ ... أحـايينًا وباطـلُهُ كثـيرُ

ولم يَحْكِ اللّهُ التَّطيُّرَ إلّا عَن أعداءِ الرُّسلِ ، كما قالوا لِرُسُلِهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُم لئن لم تَنتَهوا لنَرجُمَنَّكم وليمَسَّنَّكُم منَّا عذابٌ أليمٌ قالوا طائرُكم معكم أئنْ ذُكِّرْتُم بل أنتُم قومٌ مُسرِفون ﴾ [يس:١٨-١٩]، وكذلكَ حكى اللّهُ

سبحانهُ عن قومِ فرعون فقال : ﴿ فإذا جاءَتْهم الحسَنَةُ قالوا لنا هذهِ وإنْ تُصِبْهم سيِّئةٌ يَطَّيَّروا بِمُوسى ومَن مَعَهُ أَلَا إِنَّما طائرهم عندَ اللهِ ﴾ [الأعراف:١٣١]، حتى إذا أصابهم الخَصْبُ والسَّعَةُ والعافيَةُ قالوا : لنا هذه، أي: نحنُ الجديرون الحقيقيُّون به ، ونحنُ أهلُهُ ، وإنْ أصابهم بلاءٌ وضيقٌ وقحطٌ ونحوُه ، قالوا : هذه بسببِ موسى وأصحابِهِ ، أُصِبْنا بشؤمهم ، ونُفِضَ علينا غبارُهم ، كما يقولُه المتطيِّر لمَن تطيَّرَ به ؛ فأخبرَ سبحانهُ أنَّ طائرَهم عندَهُ ، كما قالَ تعالى عن أعداءِ رسولِهِ ﷺ : ﴿ وإنْ تُصِبْهم حَسنَةٌ يقولوا هذه مِن عندِ اللهِ وإِنْ تُصِبْهم سيِّئةٌ يقولُوا هذه مِنْ عندِك ﴾ [النساء : ٧٨] .

فهذه ثلاثَةُ مواضعَ حكى فيها التَّطيُّر عن أعدائِهِ ، وأجابَ سبحانَهُ عن تطيُّرِهم بموسى وقومِهِ بأنَّ طائرهم عندَ اللَّهِ ، لا بسببِ موسى ، وأجابَ عن تطيُّرِ أعداءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِن عندِ الله ﴾ [النحل : ٤٧] ، وأَجابَ عن الرُّسُلِ بقولِه : ﴿ طائرُكم مَعَكُمْ ﴾ .

وأمَّا قوله : ﴿ أَلَا إِنَّما طائرُكمْ عند الله ﴾ ؛ فقال ابنُ عبَّاس(١): طائرُهم ما قضى عليهم وقدَّرَ لهم ، وفي روايَةٍ : شؤمُهم عندَ اللَّهِ ، ومِنْ قِبَلِهِ ؛ أي : إنَّما جاءهم الشؤمُ مِن قِبَلِهِ بكُفرِهم وتكذيبِهم بآياتِهِ ورسلِهِ ، وقال أيضًا : إنَّ الأرزاقَ والأقدارَ تتبعُكم ، وهذا كقولِهِ تعالى : ﴿ وكُلَّ إنسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ ونُخرِجُ . . . ﴾ [الإسراء : ١٣] ، أي : ما يَطِّيَّرُ لهُ منَ الخيرِ والشرِّ فهو لازمٌ لهُ في عُنقِهِ ، والعربُ تقول : جَرى لهُ الطَّائرُ بكذا منَ الخيرِ والشرِّ ، قال أبو عُبيدَة : الطَّائر عندهم الحظُّ ، وهو الذي تُسمِّيهِ العامَّةُ البَخْتَ ، يقولون : هذا

---

(١) انظر « الدر المنثور » (٧ / ٥١) .

يَطِّيَّرُ لفلانٍ ، أي : يحصلُ له .

قلتُ : ومنه الحديثُ : « فطارَ لنا عثمانُ بن مظعون »[(١)] أي : أصابنا بالقُرعَةِ لمّا اقترعَ الأنصارُ على نزولِ المهاجرين عليهم ، وفي حديثِ رُويفع بن ثابت : « حتى إنَّ أحدَنا لَيَطِيرُ لهُ النَّصلُ والرِّيش ، وللآخَرِ القِدْحُ »[(٢)]، أي : يحصلُ لهُ بالشركَةِ في الغنيمَةِ .

وقيلَ في قولِهِ تعالى : ﴿ وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرهُ في عنقهِ ﴾ [الإسراء : ١٣] : إنَّ الطَّائرَ ها هُنا هو العملُ ، قالهُ الفرَّاء[(٣)] .

وهو يتضمَّن الرَّدَّ على نُفاةِ القَدَرِ ، وخَصَّ العُنُقَ بذلكَ من بينِ سائرِ أجزاءِ البدنِ لأنَّها مَحَلُّ الطَّوْقِ الذي يُطَوِّقُهُ الإنسانُ في عنقهِ ، فلا يستطيعُ فِكاكَهُ ، ومن هذا يُقال : إثمُ هذا في عُنُقِكَ ، وافعَل كذا وإثْمُهُ في عُنُقِي ، والعربُ تقولُ : طَوْقُها طوقُ الحمامَةِ ، وهذا رِبْقَةٌ في رقبتِهِ .

وعن الحَسَنِ بن آدم : لتنظُرِ لك صحيفةً إذا بُعِثْتَ قُلِّدْتَها في عُنُقِك ...

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٣) .

(٢) رواه أبو داود (٣٦) ، وأحمد (٤ / ١٠٩) ، والطبراني في « الكبير » (٤٤٩١) ، والبيهقي (١ / ١١٠) ، والمِزّي في « تهذيب الكمال » (١٢ / ٥٩١) .

وفي سنده شيبان بن أُميَّة ؛ وهو مجهولٌ .

ولكنْ رواه أبو داود (٣٧) عَقِبَهُ بسندٍ صحيحٍ إلى عبدالله بن عَمْرو « بهذا الحديثِ أيضًا » .

وله طريقٌ أُخرى في « المسند » (٤ / ١٠٨) بالسند السابق نفسِه - أَعني الأَوَّل - وليس فيه شيبان ، رواه عن يحيى بن إِسحاق ، عن ابن لهيعةَ ، فذكره .

ورواية يحيى عن ابن لهيعةَ صحيحةٌ ؛ كما في « تهذيب التهذيب » (٢ / ٤٢٠) .

(٣) راجع « معاني القرآن » له .

فَخَصُّوا العُنُقَ بذلكَ لأنَّهُ موضعُ القلادَةِ والتَّميمَةِ ، واستعمالُهم التَّعاليقَ فيها كثيرٌ ، كما خُصَّت الأيدي بالذِّكرِ في نحوِ : ﴿ بما كسبَت أيديكم ﴾ ﴿ بما قدَّمتَ يداكَ ﴾ ونحوِهِ .

وقيلَ : المعنى أنَّ الشؤمَ العظيمَ هو الذي لهم عندَ اللَّهِ من عذابِ النَّارِ ، وهو الذي أصابهم في الدُّنيا ، وقيلَ : المعنى أنَّ سببَ شُؤمِهم عند اللَّه ، وهو عملُهم المكتوبُ عندهُ ، الذي يجري عليهِ ما يَسُوؤُهم ويُعاقَبون عليه بعدَ موتهم بما وعدهم اللَّهُ ، ولا طائرَ أشأمُ مِن هذا ، وقيلَ : حظُّهم ونصيبُهم ، وهذا لا يُناقِضُ قولَ الرُّسلِ : ﴿ طائركم معكم ﴾ أي : حظُّكم ، وما نالكم من خيرٍ وشرٍّ معكم بسببِ أفعالِكم وكُفرِكم ومُخالفِتكم النَّاصحينَ ، ليسَ هو من أجلِنا ولا بسببِنا ، بل ببغيِكم وعُدوانِكم ، فطائرُ الباغي الظَّالمِ معهُ ، وهو عندَ اللَّهِ ، كما قال تعالى : ﴿ وإنْ تُصِبْهُم سيِّئةٌ يقولوا هذه مِن عندِكَ قُل كُلٌّ مِن عندِ اللهِ فما لهؤلاءِ القَوْمِ لا يَكادُون يفقهون حديثًا ﴾ ولو فَقِهُوا أو فهموا لَمَا تطيَّروا بما جئتَ بهِ ، لأنَّهُ ليسَ فيما جاءَ به الرَّسولُ ﷺ ما يقتضي الطِّيرَة ، فإنَّهُ كلَّهُ خيرٌ مَحْضٌ لا شرَّ فيهِ ، وصلاحٌ لا فسادَ فيهِ ، وحكمَةٌ لا عَبَثَ فيها ، ورحمةٌ لا جَوْرَ فيها ، فلو كانَ هؤلاءِ القومُ من أهلِ الفهم والعقولِ السَّليمَةِ لم يتطيَّروا مِن هذا ؛ فإنَّ الطِّيرَةَ إنَّما تكونُ بالشرِّ لا بالخيرِ المحْضِ والمصلحَةِ والحِكمَةِ والرَّحمَةِ ، وليسَ فيما أَتيْتَهم بهِ - لو فَهِمُوا - ما يُوجِبُ تطيُّرَهم ، بل طائرُهم معهم بسببِ كُفرِهم وشِرْكِهم وبَغْيِهم ، وهو عندَ اللَّهِ كسائرِ حُظوظِهم وأنْصابهم التي ينالونها منهُ بأعمالِهم وكسبِهم .

ويُحتملُ أن يكونَ المعنى : طائرُكُم معكم ، أي : راجعٌ عليكم ، فالطَّيرُ

الذي حصلَ لكم إنَّما يعودُ عليكم ، وهذا من بابِ القِصاصِ في الكلامِ ، مثلُ قوله في الحديثِ : « أَخَذْنا فَألكَ مِن فيكَ »[١]، ونظيرهُ قولُ النَّبيِّ ﷺ : « إذا سلَّمَ عليكم أهلُ الكتابِ فقولوا : وعليكم »[٢]، فعلى هذا ، معنى ﴿ طائرُكم معكم ﴾ ، أي : نصيبُكم طِيرتُكم التي تطيَّرْتُم بها ، لأنَّهم اعتقدوا الشُّؤمَ فيها ، ولا شؤمَ فيها البتَّةَ ، فقيلَ لهم : الشؤمُ منكم ، وهو نازلٌ بكم ، فتأمَّلْهُ .

وهذا يُشبهُ قوله تعالى : ﴿ وقَد مكَرُوا مكرَهم وعندَ اللَّهِ مكرُهم وإنْ كانَ مكرُهم لتزولَ منهُ الجبالُ ﴾ [إبراهيم : ٤٦] ، قيلَ : جزاءُ مكرهم عندهُ ، فمَكَرَ بهم كما مكروا برسلهِ ، ومَكْرُهُ تعالى بهم إنَّما كان بسببِ مَكْرِهم ، فهو مَكْرُهُم عادَ عليهم ، وكيدُهم عادَ عليهم ، فهكذا طِيرتُهم ، عادَت عليهم ، وحلَّتْ بهم .

وسُمِّي جزاءُ المكرِ مكرًا ، وجزاءُ الكيدِ كيدًا ؛ تنبيهًا على أنَّ **الجزاءَ من جنسِ العملِ** ، ولمّا ذكرَ سبحانهُ أنَّ ما أصابَهم مِن حسنةٍ وسيِّئةٍ - أي : نعمَةٍ

---

(١) رواه أَبو داود (٢ / ١٥٨ - ١٥٩) ، وأَبو الشيخ في « أَخلاق النَّبي » (٧٨٨) ، وأَحمد (٢ / ٣٨٨) ، وابن السُّنِّي (٢٨٦) من طريق وُهيب عن سهيل بن أَبي صالح ، عن رجل ، عن أَبي هُريرة .

وفيه إبهامٌ !

ولكنْ ؛ رواه أَبو الشيخ (٧٦٨) و (٧٨٧) من طريقين ، عن وُهيب ، عن سهيل ، عن أَبيه ، عن أَبي هريرة .

فسمَّاهُ ، وهو أَبو صالح ؛ ثقةٌ معروفٌ ، فصحَّ الحديثُ وللَّه الحمدُ .

وله شواهدُ عدّة لا تخلو من ضعفٍ ؛ انظرها في « شرح الإِحياء » (١٠ / ٥٥٦) و « السلسلة الصحيحة » (٢ / ٣٦٣) .

(٢) رواه البخاري (٤٢٥٨) ، ومسلم (٢١٦٣) عن أَنس رضي اللَّهُ عنه .

ومحنَةٍ - فالكلُّ منه تعالى بقضائِهِ وقدرِهِ ، فكأنَّهم قالوا : فما بالُك أنتَ تُصيبُكَ الحسناتُ والسَّيئاتُ كما تصيبُنا ، فذكرَ سبحانهُ أنَّ ما أصابَهُ مِن حسنَةٍ فمنَ اللَّه مَنَّ بها عليهِ ، وأنعمَ بها عليهِ ، وما أصابَهُ من سيِّئةٍ فمن نفسهِ ، أي : بسببٍ مِنْ قِبَلهِ ، أي : لا لنقصِ ما جاءَ به ، ولا لشرٍّ فيه ، ولا لشؤمٍ يقتضي أن تُصيبَهُ السَّيئةُ ، بل بسببٍ مِن نفسهِ ، ومِنْ قِبَلَهِ .

وقد قيل في قوله تعالى :﴿ طائرُكُم عند اللهِ بل أنتُم قومٌ تُفْتَنُون ﴾ [النحل : ٤٧] : إِنَّ طائرَهم ها هُنا هو السَّببُ الذي يَجِيءُ فيه خيرُهم وشرُّهم ، فهو عندَ اللَّهِ وحدَهُ ، وهو قَدَرُهُ وقَسْمُهُ ، إنْ شاءَ رَزَقَكم وعافاكم ، وإنْ شاءَ حَرَمَكُم وابتلاكم .

ومِن هذا قالوا : طائرُ اللَّهِ لا طائرُ كلبي ، قَدَرُ اللَّهِ الغالبُ الذي يأتي بالحسناتِ ويصرفُ السَّيئات ، ومنهُ : اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُك ، ولا خيرَ إلّا خيرك ، ولا إلٰهَ غيرك .

وعلى هذا فالمعنى بطائركم : نصيبُكم وحَظُّكم الذي يُطَيِّرُكم ، ومَنْ فَسَّرهُ بالعملِ فالمعنى : طائرُكم الذي طارَ عنكم مِن أعمالِكم وبهٰذين القولين فُسِّرَ معنى قولهِ تعالى : ﴿ وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ في عنقهِ ﴾ [الإسراء:١٣]، وأنَّهُ ما طارَ عنهُ مِن عملهِ أو صارَ لازمًا لهُ ممَّا قضى اللَّهُ عليهِ ، وقدَّرَ عليهِ ، وكَتَبَ لهُ من الرِّزقِ والأجلِ والشقاوَةِ والسَّعادَةِ .

□□□□□

١٧٠ - فَصْلٌ

[الطِّيَرَةُ]

وَقَد ثبتَ في « الصَّحيحين »[١] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال في وصفِ السَّبعينَ ألفًا الذين يدخُلون الجنَّة بغير حسابٍ أنَّهم : « الذين لا يَكْتَوُونَ ، ولا يسترقون ، ولا يتطيَّرون ، وعلى ربِّهم يتوكَّلون » ، زادَ مُسلِمٌ وحدَهُ : « ولا يَرْقُون » ، فسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّة يقولُ : هذه الزِّيادَةُ وهمٌ مِن الرَّاوي[٢]، لم يَقُل النَّبيُّ ﷺ : « ولا يرقُون » لأنَّ الرَّاقي مُحْسِنٌ إلى أخيهِ ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ وقد سئلَ عن الرُّقى فقال : « مَن استطاعَ منكم أنْ ينفعَ أخاهُ فَلْيَنْفَعْهُ »[٣]، وقال : « لا بأسَ بالرُّقى ما لم تكُن شِرْكًا »[٤]، والفَرقُ بينَ الرَّاقي والمُسترقي أنَّ المُسترقي سائلٌ مُسقِطٌ ملتفتٌ إلى غيرِ اللَّهِ بقلبهِ ، والرَّاقي مُحسِنٌ نافعٌ .

قلتُ : والنَّبيُّ ﷺ لا يجعَلُ تركَ الإحسانِ المأذونِ فيهِ سببًا للسَّبْقِ إلى الجنانِ ، وهذا بخلافِ تَرْكِ الاسترقاء ؛ فإنَّهُ توكُّلٌ على اللَّهِ ، ورغبَةٌ عن سؤالِ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٢) ، ومسلم (٢٢٠) عن ابن عبَّاس .

(٢) وقال شيخُنا الألباني في تعليقهِ على « مُختصر صحيح مسلم » (١٠١) : « قولُه : « لا يَرْقُون » شاذَّةٌ ، تَفرَّد بها شيخُ مسلمٍ سعيدُ بن منصور » .

وكذا في « الصحيحة » (١ / ٧٦٦) .

(٣) رواه مسلمٌ (٢١٩٩) عن جابرٍ .

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٠) عن عَوْف بن مالك الأشجعيّ .

غيرِهِ ، ورضاهُ بما قضاهُ ، وهذا شيءٌ وهذا شيءٌ .

وفي « الصَّحيحين »[١] من حديثِ أبي هُريرَة عن النَّبيِّ ﷺ : « لا عَدوى ولا طِيرَةَ ، وأُحِبُّ الفألَ الصَّالحَ » ونحوهُ من حديثِ أنَس[٢] .

وهذا يحتملُ أن يكونَ نفيًا ، وأن يكونَ نهيًا ، أي : لا تطيَّروا ، ولكنْ قولُهُ في الحديثِ : « ولا عَدوى ولا صفرَ ولا هامَةَ »[٣] يدلُّ على أنَّ المرادَ النَّفيُ ، وإبطالُ هذه الأمورِ الَّتي كانَت الجاهليَّةُ تُعانيها ، والنَّفيُ في هذا أبلغُ مِنَ النَّهي ؛ لأنَّ النَّفيَ يدُلُّ على بطلانِ ذلكَ وعدمِ تأثيرِهِ، والنَّهي إنَّما يدُلُّ على المنعِ منهُ .

وقَد روى ابنُ ماجَه في « سُننهِ »[٤]من حديثِ سفيان ، عن سلمَة ، عن عيسى بن عاصم ، عن زِرٍّ ، عن عبداللَّهِ بن مسعود قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الطِّيرَةُ شركٌ ، وما منَّا إِلَّا ، ولكنَّ اللَّهَ يُذهِبهُ بالتَّوكُّل » ، وهذه اللفظَةِ « وما منَّا إِلَّا ... » إلى آخرِهِ ، مُدْرَجَةٌ في الحديثِ ، ليست من كلامِ النَّبيِّ ﷺ ،

(١) أَخرجه البخاري (٥٧٥٤) ، ومسلم (٢٢٢٣) ، واللَّفظُ له .
(٢) رواه البخاري (١٠ / ٢٤٤) ، ومسلم (٤ / ١٧٤٦) .
(٣) رواه البخاري (٥٧٥٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) .
وانظر « تهذيب الآثار » (٣) للطبري ، و « مُشكل الآثار » (٢٨٩١) للطحاوي .
(٤) (برقم : ٣٥٣٨) .
ورواه الترمذي في « سننه » (١٦١٤) وفي « العلل الكبير » (ص ٦٩٠) ، وأَبو داود (٣٩١٠) ، وأَحمد (١ / ٣٨٩ و ٤٣٨ و ٤٤٠)، والطيالسي (١٧٨٠ - ترتيبه)، ابن حبَّان (٦١٢٢) ، والحاكم (١ / ١٧ - ١٨) ، وابن أَبي الدنيا في « التوكل » (٤١) و (٤٢) .
وصحَّحه الترمذي وابن حبَّان ، والحاكم - ووافقه الذهبي - والعراقي في « أَماليه » كما في « فيض القدير » (٤ / ٢٩٤) .

كذلكَ قالَهُ بعضُ الحُفَّاظِ[١]، وهو الصَّوابُ ؛ فإنَّ الطِّيرَة نوعٌ من الشركِ كما هو في أَثَرٍ مرفوعٍ : « مَن رَدَّتْهُ الطِّيرَةُ فقَد قارَنَ الشِّرْكَ »[٢]، وفي أثرٍ آخَرَ : « مَن أَرْجَعَتْهُ الطِّيرَةُ مِن حاجَةٍ فَقَد أشركَ » قالوا : وما كفَّارَةُ ذلكَ ؟ قال : « أن يقولَ أحدُكم : اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُكَ ولا خيرَ إلّا خيرُكَ »[٣] .

وفي « صحيح مسلم »[٤] من حديثِ مُعاويَةَ بن الحَكَم السُّلَمي أنَّهُ قال : يا رسولَ اللَّهِ ! ومنَّا أُناسٌ يتطيَّرون ! فقال : « ذلكَ شيءٌ يجدُهُ أحدُكم في نفسهِ فلا يَصُدَّنَّهُ » ؛ فأخبرَ أنَّ تأذِّيَهُ وتشاؤمَهُ بالتَّطيُّر إنَّما هو في نفسهِ وعقيدتهِ ، لا في المُتطيَّر به، فوهمُهُ وخوفُهُ وإدراكُهُ هو الذي يُطَيِّرُهُ ويصُدُّهُ، لا ما رآهُ وسَمِعَهُ .

فأوضحَ ﷺ لأمَّتهِ الأمرَ ، وبيَّنَ لهم فسادَ الطِّيرَةَ ؛ ليعلَمُوا أنَّ اللَّهَ سبحانهُ لم يجعَلْ لهم عليها علامَةً ، ولا فيها دلالَةً ، ولا نَصَبَها سببًا لِمَا يخافونهُ

(١) كما نقله الترمذي في « السُّنن » و « العلل الكبير » عن الإمام البخاري عن سُليمان ابن حرب .

ورجّحه المنذري في « الترغيب » (٤ / ٦٤) ، والهيثمي في « الموارد » (ص ٣٤٥) ، والحافظ في « الفتح » (١٠ / ٢١٣) .

ولكنْ : نقل المُناوي في « الفيض » (٤ / ٢٩٤) عن ابن القطّان قولَه : « **كُلّ كلام مَسُوقٍ في سياقٍ لا تقبلُ دعوى دَرْجِه إلَّا بحجّة** » .

وقال شيخُنا في « الصحيحة » (٤٢٩) : « ولا حُجَّةَ هنا في الإدراج ، فالحديث صحيحٌ بكامِلِه » .

(٢) رواه ابنُ وهب في « الجامع » (ص ١١٠) قال : حدَّثني ابنُ لِهَيعة ، عن عيّاش بن عبّاس، عن أبي الحُصَين، عن فَضَالة بن عُبيد الأنصاري، فذكره، لكنَّ لفظَه : « ... قارَفَ ... » .

وسنده صحيحٌ ، وانظر « الصحيحة » (١٠٦٥) .

(٣) تقدَّم تخريجه تعليقًا .

(٤) (برقم : ٥٣٧) .

ويَحْذَرُونهُ ، لتطمئنَّ قلوبُهم ، ولتسكنَ نفوسُهم إلى وحدانيَّتِهِ تعالى التي أرسلَ بها رُسُلَهُ ، وأنزلَ بها كُتُبَهُ ، وخلقَ لأجلها السَّمواتِ والأرضَ ، وعمَّرَ الدَّارين الجنَّةَ والنَّارَ ، فبسببِ التَّوحيدِ - ومن أجلهِ - جعلَ الجنَّةَ دارَ التَّوحيدِ ومُوجباتِهِ وحُقوقِهِ ، والنَّارَ دارَ الشركِ ولوازمِه ومُوجباتِه ، فقطعَ ﷺ عَلَقَ[1] الشركِ من قلوبهم لئلَّا يبقى فيها عَلَقَةٌ منها ، ولا يتلبَّسوا بعملٍ من أعمالِ أهلِهِ البتَّةَ .

وفي الحديثِ المعروفِ : « أقِرُّوا الطَّيرَ على مَكُناتِها »[2]، قال أبو عُبَيدٍ في « الغريب »[3]: « أرادَ لا تزجُروها ، ولا تلتفتوا إليها ، أَقِرُّوها على مواضعها التي جَعَلَها اللَّهُ لها ، ولا تتعدَّوا ذلكَ إلى غيرهِ ، أي : أنَّها لا تَضُرُّ ولا تنفعُ .

وقال غيرهُ : المعنى : أقِرُّوها على أمكنتِها ، فإنَّهم كانوا في الجاهليَّةِ إذا أرادَ أحدُهم سَفَرًا أو أمرًا من الأمورِ أثارَ الطَّيرَ من أوكارِها لينظرَ أيَّ وجهٍ تسلُكُ ، وإلى أيِّ ناحيَةٍ تطيرُ ، فإنْ خَرجَتْ ذاتَ اليمين خرجَ لسفرهِ ومضى

---

(١) أَدْرَان وأَوْشاب .

(٢) رواه الحُميدي (٣٤٧)، وأَحمد (٦ / ٣٨١)، والشافعي في « السنن » (٤١٤)، والطحاوي في « المشكل » (٧٨٨) مِن طريق سفيان ، عن عُبيد اللَّه بن أَبي يزيدَ ، عن أَبيهِ ، عن سِبَاع بن ثابتٍ عن أُمِّ كُرْزٍ عن النَّبيِّ ﷺ .

قال الهيثمي في « المجمع » (٥ / ١٠٦) : « رواه الطبراني بأَسانيد، ورجال أَحدها ثقات » .

وقد قال الإمام أَحمد عَقِبَ روايتِهِ للحديثِ : « سفيانُ يهِمُ في هذه الأَحاديث ، عُبيداللَّه سمعها من سِباع بن ثابتٍ » .

وسباعٌ هذا ذكره ابن قانع والبغوي في الصحابة ، ورجّح ذلك الحافظ ابن حَجَر في « الإِصابة » (٢ / رقم ٣٠٧٨) .

وهو في « تجريد أَسماء الصحابة » (١ / ٢٠٨) للذهبي .

(٣) (٢ / ١٣٥) .

لأمرِهِ ، وإنْ أخذَتْ ذاتَ الشمال رَجَعَ ولم يَمْضِ ، فأَمَرَهُم أنْ يُقِرُّوها في أمكنتِها ، وأبطلَ فعلَهم ذلكَ ، ونهاهم عنهُ كما أبطلَ الاستقسامَ بالأزلامِ .

وقال ابنُ جرير : معنى ذلكَ : أقِرُّوا الطَّيرَ التي تزجُرونها في مواضعها المُتمكِّنَةِ فيها ، الّتي هي لها مُستقرٌّ ، وامْضُوا لأمورِكم ، فإنَّ زَجْرَكم إيَّاها غيرُ مُجْدٍ عليكم نفعًا ، ولا دافعٍ عنكم ضررًا .

وقال آخَرون : هذا تَصحيفٌ من الرُّواةِ ، وخطأٌ منهم ، ولا يعرفُ المُكُناتُ إلّا أسماءً لبيضِ الضِّباب دونَ غيرِها .

قال الجوهري[١] : المَكِن بَيْضُ الضَّبِّ قال : ومَكِنُ الضِّباب : طعامُ العربِ ، لا تشتهيهِ نفوسُ العجمِ ، وفي الحديثِ : « أقرّوا على الطَّيرِ مَكُناتها » بالضمِّ والفتحِ .

قال أبو زياد الكلابي[٢] وغيرهُ : إنَّا لا نعرفُ للطَّيرِ مَكُناتٍ ، فأمَّا المُكُنات فإنَّما هي للضِّبابِ ، قال أبو عُبيد : ويجوزُ في الكلامِ ، وإنْ كانَ المَكِنُ للضِّباب في أن يُجعلَ للطَّيرِ تشبيهًا بذلكَ ، كقولهم : مَشَافِرُ الحَبَشيِّ ، وإنَّما المشافِرُ للإبلِ ، وكقولِ زُهيرٍ يصفُ الأسد :

.... لهُ لِبَدٌ أظفارُهُ لَم تُقلَّمِ

وإنَّما لهُ مخالبُ .

قال هؤلاءِ : فلعلَّ الرَّاوي سمعَ : أَقِرُّوا الطَّيرَ في وُكُناتها[٣]، بالواو ؛ ولأنَّ وُكْناتِ الطَّيرِ عُشُّها ، وحيثُ تسقطُ عليهِ من الشجرِ ، وتأوي إليهِ .

---

(١) انظر « الصحاح » (ص ٦٣٠ - مُختاره) .
(٢) نقل ذلك عنه - أيضًا - البغويُّ في « شرح السنَّة » (١١ / ٤٦٦) .
(٣) انظر « القاموس المحيط » (ص ١٥٩٨) .

وفي أثرٍ آخَر : « ثلاثٌ مَن كنَّ فيهِ لم ينل الدَّرجات العُلى : مَن تكهَّنَ أو استقسمَ أو رجعَ من سفرٍ من طيرةٍ » ، وقَد رُفعَ هذا الحديثُ[1].

فمَن استمسكَ بعُروَةِ التَّوحيدِ الوُثقى ، واعتصمَ بحبلهِ المتين ، وتوكَّلَ على اللَّهِ، قطعَ هاجسَ الطِّيرَةِ من قبلِ استقرارِها، وبادرَ خواطرَها من قبلِ استمكانِها .

قال عِكرمةُ : كُنَّا جلوسًا عندَ ابنِ عبَّاسٍ ، فمرَّ طائرٌ يصيحُ ، فقال رجلٌ من القومِ : خيرٌ خيرٌ ! فقال لهُ ابنُ عبَّاس : لا خَيرَ ولا شرَّ ؛ مُبادرَةً بالإنكارِ عليهِ لئلّا يعتقدَ لهُ تأثيرًا في الخَيرِ أو الشرِّ .

وخرجَ طاووسٌ مع صاحبٍ لهُ في سفرٍ ، فصاحَ غُرابٌ ، فقال الرَّجل : خيرٌ ، فقال طاووسٌ : وأيُّ خيرٍ عندَه ؟! واللَّهِ لا تَصحَبْني .

وقيلَ لكعبٍ : هل تتطيَّر ؟ فقال : نعم ، فقيلَ له : فكيف تقول إذا تطيَّرتَ ؟ قال أقول : اللَّهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُكَ ، ولا خَيرَ إلّا خيرُكَ ولا ربَّ غيركَ ، ولا قوَّةَ إلّا بكَ .

وكانَ بعضُ السَّلفِ يقولُ عند ذلكَ : طيرُ اللَّهِ لا طيرُكَ ، وصباحُ اللَّهِ لا صباحُكَ ، ومساءُ اللَّهِ لا مساكَ[2] .

وقال ابنُ عبدالحَكَم[3]: لما خرجَ عمرُ بن عبدالعزيز من المدينَةِ ، قال مُزاحِمٌ : فنظرتُ فإذا القمرُ في الدَّبَرانِ[4]، فكرهتُ أن أقولَ لهُ ! فقلتُ : أَلَا

(١) رواه ابنُ عبدالبرّ في « جامع بيان العلم » (٩٠٣) موقوفًا على أَبي الدرداء ، بسند رجاله ثقات إِلّا أَنّ فيه عنعنةَ مدلِّس .

ورواه الخطيبُ في « تاريخه » (٥ / ٢٠١) وأَبو نُعَيْم في « الحلية » (٥ / ١٧٤) ، وابن الجوزي في « الواهيات » (١١٨٤) مرفوعاً ؛ بسند فيهِ راوٍ كذَّابٌ .

(٢) ومنه قولُ بعض العامّة - اليومَ - فَأْلُ الله لا فأْلُك .

(٣) في « سيرة عُمر بن عبدالعزيز » (ص ٣٢) .

(٣) هو منزلٌ من منازل القمر، كما في «القاموس» (٤٩٩)، ولعلَّ (بعض) العرب =

تنظُرُ إلى القمرِ ما أحسنَ استواءَهُ في هذه اللَّيلَةِ ! قال : فنظرَ عُمرُ فإذا هو في الدَّبَرانِ ، فقال : كأنَّكَ أردتَ أن تُعْلِمَني أنَّ القمرَ في الدَّبَران يا مزاحمُ ، إنَّا لا نخرجُ بشمسٍ ولا بقَمَر ، ولكنَّا نخرجُ باللَّهِ الواحدِ القهَّار .

فإنْ قيلَ : فما تقولون فيما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ كانَ يستحبُّ الفألَ ؛ ففي « الصَّحيحين »[1] من حديثِ أنسٍ وأبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ : « لا عَدوى ولا طيرَةَ ، وخيرُها الفأْلُ » ، وفي لفظٍ : « وأصدقها الفألُ » ، وفي لفظٍ : « وكانَ يُعجِبهُ الفألُ » ، وفي لفظِ مُسلمٍ : « ويُعجبني الفألُ الصَّالحُ » ، أي : الكلمةُ الحسنةُ .

وقال : « إذا أبردتُم إليَّ بريدًا فاجعلوهُ حسنَ الاسمِ حسنَ الوجهِ »[2].

ورُويَ عن يحيى بن سعيدٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لِلَقْحَةٍ تُحْلَبُ : « من يحلبُ هذه ؟ » فقامَ رجلٌ فقال النَّبيُّ ﷺ : « ما اسمكَ ؟ » فقال الرَّجل : مُرَّة ، فقال النَّبيُّ ﷺ : « اجلس » ثمَّ قال : « من يَحلبُ هذه ؟ » فقام رجلٌ فقال النَّبيُّ ﷺ : « ما اسمُك ؟ » فقال الرَّجل : حربٌ ، فقال لهُ النَّبيُّ ﷺ : « اجلس » ، ثمَّ قال : « من يحلبُ هذه ؟ » فقام رجلٌ ، فقال لهُ النَّبيُّ ﷺ : « ما اسمك ؟ »، فقال الرَّجل : يعيش، فقال لهُ النَّبيُّ ﷺ : « يعيشُ احلِبْ » ، فَحَلَبَ[3] .

= كان يتطيَّر بِه .

(١) تقدَّم تخريجُه قريبًا .

(٢) تقدَّمَ تخريجه في (٢ / ١٤٠) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (٢ / ٩٧٣) عن يحيى هكذا .

ورواه الطبراني في « الكبير » (٢٢ / ٧١٠)، وابن عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ٧١)=

زادَ ابنُ وهبٍ في « جامعِهِ » في هذا الحديثِ : فقامَ عمرُ بن الخطَّاب ، فقال : أتكلَّمُ يا رسولَ اللَّهِ أم أصمتُ ؟ قال : « بل اصْمت ، وأُخبركَ بما أردتَ ، ظنَنتَ يا عمر أنَّها طيرَةٌ ، ولا طَيْرَ إلّا طَيْرُهُ ، ولا خَيْرَ إلّا خيرُهُ ، ولكنْ أُحِبُّ الفأْلَ » .

وفي « جامعِ ابن وهبٍ »[1] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتيَ بغلامٍ ، فقال : « ما سمَّيتم هذا الغلامَ ؟ » فقالوا : السَّائب ، فقال « لا تسمُّوهُ السَّائب ، ولكنْ عبداللَّهِ » ، قال : فغلبوا على اسمهِ ، فلم يَمُت حتى ذهبَ عقلهُ .

وفي « صحيح البخاري »[2] من روايةِ الزُّهْري عن سعيد بن المسيِّب عن أبيهِ أنَّ أباهُ جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال : « ما اسمُكَ ؟ » قال : حَزْنٌ ، قال : « أنتَ سَهْلٌ » ، قال : لا أُغيِّرُ اسمًا سمَّانيهِ أبي ، قال ابنُ المسيِّب : فما زالت الحُزونَةُ فينا بعدُ .

وروى مالكٌ[3] عن يحيى بن سعيدٍ أنَّ عُمرَ بن الخطَّاب قال لرجلٍ : ما اسمُكَ ؟ قال: جمرَة، قال: ابنُ من ؟ قال: ابنُ شهاب، فقال: ممَّن ؟ قال: من الحُرَقة، قال: أينَ مسكنُك ؟ قال: بِحَرَّة النَّار، قال: بأيِّها ؟ قال:بذاتِ لَظَى، فقال لهُ عمر: أدرِكْ أهلكَ فقد احترقوا ! فكانَ كما قال عمر .

= من طريقين – أَحدهما عن ابن وهب – عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد ، عن عبدالرحمٰن ابن جُبير ، عن يعيشَ الغِفاري به .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٤٧) : « وإِسناده حَسَنٌ » .

(١) (١ / ٧) قال : عن ابن لهيعة ، عن ابن أَبي حبيب .

وهذا إِسنادٌ مُعْضَلٌ .

(٢) تقدَّم تخريجُهُ .

(٣) تقدَّم تخريجُه في (٢ / ١٤١) ، ويُزاد عليه إِخراجُ ابنِ وهب له في « جامِعه » (١ / ١٢) .

وفي غير روايَةِ مالكٍ هذه القصَّةَ عن مُجالِدٍ[1] عن الشعبيِّ قال : جاءَ رجلٌ من جُهَينَة إلى عُمرَ بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنهُ ، فقال لهُ : ما اسمك ؟ قال: شهاب، قال: ابنُ مَن ؟ قال: ابنُ جمرَة، قال: ابنُ مَن ؟ قال: ابنُ ضِرَام، قال: ممَّن ؟ قال: منَ الحُرَقَة، قال: وأينَ منزلُكَ ؟ قال: بحرَّةِ النَّار، قال: ويحكَ ، أدرِكْ منزلكَ أو أهلكَ فقد احترقوا ، قال : فأتاهم فألْفاهم قد احترقَ عامَّتُهم .

وقالت عائشةُ : كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعجِبُهُ التيمُّنُ ما استطاع ؛ في تنعُّلِهِ وترجُّلِهِ ووضوئِهِ وفي شأنِهِ[2] كلِّهِ .

وفي « صحيح البُخاري »[3] عن ابنِ عمرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « الشؤم في ثلاثٍ : في المرأةِ والدَّارِ والدَّابَّةِ » .

وفي « الصَّحيح »[4] أيضًا من حديثِ سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِديِّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنْ كانَ ففي الفَرسِ والمرأةِ والمسكن » ، يعني الشؤمَ .

وفي « الموطَّأ »[5] عن يحيى بن سعيدٍ قال : جاءَت امرَأةٌ إلى رسولِ اللَّهِ

---

(١) مُجالد ضَعيف ، والشعبي لم يسمع من عُمر .

(٢) رواه البخاري (١٦٨) ، ومسلم (٢٦٨) .

(٣) (برقم : ٥٠٩٣) .

ورواه - أيضًا - مسلمٌ (٢٢٢٥) .

(٤) رواه البخاري (٥٠٩٥) ، ومسلم (٢٢٢٦) .

(٥) (٢ / ٩٧٢) مُرْسَلًا .

وقال ابن عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ٦٨) : « وهذا محفوظٌ مِن وجوه ، منها حديثُ أَنسٍ .. » .

قلتُ : ثمَّ رواه بسندِهِ ، وأَخرجه البخاري في « الأَدب المفرد » (٩١٨) ، وأَبو داود =

ﷺ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ دارٌ سكنَّاها ، والعَددُ كثيرٌ ، والمالُ وافرٌ ؛ فقلَّ العددُ ، وذهبَ المالُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوها ؛ ذميمَةٌ » .

ولمّا رأى النَّبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ فَرَسًا قد لوَّحَ بذنبِهِ ورجلًا قد استلَّ سيفَهُ ، فقال لهُ : « شِمْ سيفكَ ، فإنِّي أرى السُّيوفَ سَتُسَلُّ اليومَ »[1] .

= (٣٩٢٤) ، والضياء في « المختارة » (١٥٢٩) من طرق عن عكرمة بن عمّار ، عن إسحاق بن عبدالله بن أَبي طلحة ، عن أنس .

وقال البخاريُّ عَقِبَهُ : « في إسناده نَظَرٌ » .

وقال شيخُنا في « صحيح الأدب المفرد » (٧٠٥) مُوَجِّهًا كلامَ البخاري :

« يشيرُ إلى أَنَّ في إسنادهِ عكرمةَ بن عمَّار ، وفيه كلامٌ يسيرٌ مِنْ قِبَلِ حفظِه ، وبخاصَّةٍ في روايته عن يحيى بن أَبي كثيرٍ ، وهذه ليستْ عنه، والمؤلِّفُ لم يذكُرْه في كتابِه « الضعفاء الصَّغير »، ولا ضعَّفه في « التاريخ الكبير » و « الصغير » ، ولم يَنْقُل الحافظُ في « التهذيب » عنه إلَّا قولَه :

« مضطربٌ في حديث يحيى بن أَبي كثيرٍ ، ولم يكُن عنده كتابٌ » .

وهذا - فيما يبدو لي - تضعيفٌ منه لحديثِه عن يحيى فقط ، وعلى هذا جرى الحفَّاظ النُّقَّادُ ، فقال ابنُ حِبَّان في « الثقات » (٥ / ٢٣٣) :

وأَمَّا روايتُه عن يحيى بن أَبي كثيرٍ ، ففيه اضطرابٌ ؛ كان يُحَدِّثُ من غير كتابٍ » .

وقال الذهبيُّ في « الكاشف » :

« ثقةٌ إلَّا في يحيى بن أَبي كثيرٍ ، ففيه اضطرابٌ ؛ وكان مُجابَ الدَّعوةِ » .

ونحوه في « التقريب » ، وقد احتجّ به مسلمٌ .

قلتُ : ورواه عبدالرزَّاق في « الجامع » (١٩٥٢٦) من حديث عبدالله بن شدّاد بن الهاد مُرْسَلًا .

وكذا رواه ابن عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ٦٨) - مِن غير طريقِه - .

وهذا - إنْ شاء اللَّهُ - مِمَّا يزيدُ الحديثَ ثُبوتًا .

(١) علَّقه ابنُ إسحاقَ (٣ / ٩٣) ومِن طريقهِ الطبريُّ في « تاريخه » (٢ / ٥٠٦) بدون إسنادٍ . =

وكذلكَ قولُهُ لمّا رَمى واقدُ بنُ عبداللَّهِ عُمَرَ بن الحضرميّ ، فقتلهُ ؛ فقال : « واقدٌ وقَدت الحربُ ، وعامرٌ عمرت الحربُ ، وابنُ الحضرميّ حضرَت الحربُ »[١] .

ولما خرجَ النَّبيُّ ﷺ إلى بدرٍ استقبلَ في طريقهِ جبلين ، فسألَ عنهما ، فقالوا : اسمُ أحدِهما مَسْلَحٌ والآخرُ مُخْزٍ ، وأهلُهما بنو النَّارِ وبنو حُراق ، فكره المرورَ عليهما ، وتركهما على يسارهِ ، وسلكَ ذاتَ اليمين[٢] .

وعَرَضَ عبدُاللَّهِ بن جعفر مالًا لهُ على مُعاويَةَ ، يقالُ لهُ : الدَّعَّان ، وقال لهُ : اشترهِ منِّي ، فقال لهُ معاويَةَ : هذا مالٌ يقولُ : دَعْني .

ولمَّا نزلَ الحُسينُ بن عليٍّ كَرْبَلاء ، قال : ما اسمُ هذا الموضع ؟ قالوا : كربلاء ، قال : كربٌ وبلاءٌ .

ولمّا خرجَ عبدُاللَّهِ بن الزُّبير من المدينةِ إلى مكَّةَ أنشدَهُ أحدُ أخويهِ :

وكُلُّ بني أُمٍّ سيُمْسُونَ ليلَةً ... ولم يَبْقَ مِن أغنامِهم غيرُ واحدِ

فقال لهُ عبداللَّهِ : ما أَرَدتَ إلى هذا ؟ قال : لم أتعمَّدهُ ، قال : هو أشدُّ عليَّ .

= وَوَصَلَه زكريّا السَّاجي والدارقُطنيُّ في « غرائب مالك » ، والخِلَعيُّ في « الخِلَعِيَّات » ؛ وفيه أَبو غُزَيَّةَ محمَّد بن يحيى الزهريُّ : متروكٌ ، كما في « جمع الجوامع » (١٤١٥٨) و (١٤١٦٦ - ترتيبه) .

وقولُه : « شِمْ سيفَك » أَي : أَغْمِدْه .

(١) علَّقه ابنُ إِسحاق في « السيرة » (١ / ٢٩١) بدون إِسناد ، ومِن طريقه الطبري (٢ / ٤١٢) ، ولكنَّه جعل قولَ : « واقد وَقَدت الحرب ... » مِن كلام اليهود !

وكذلك هو في « البداية والنِّهاية » (٣ / ٢٤٩) ، واللَّه تعالى أَعلم .

(٢) علَّقه ابنُ إسحاق (٢ / ٣٠٤) ومِن طريقه الطبري (٢ / ٤٣٣) بدون إِسنادٍ .

وقَد كره السَّلفُ ومَن بعدهم أن يُتبعَ الميِّتُ بنارٍ إلى قبرهِ[1] مِنْ مَجْمَرٍ أو غيرِهِ ، وفي معناه الشمعُ ، قالت عائشَةُ : لا تجعلوا آخرَ زادهِ أنْ تَتْبَعُوهُ بالنَّارِ .

ولمّا بايعَ طلحَةُ بنُ عُبيدِاللّهِ عليَّ بنَ أبي طالب - وكانَ أوَّلَ مَنْ بايعَ - قال رجلٌ : أوَّلُ يدٍ بايَعَتْهُ يدٌ شَلَّاءُ ، لا يتمُّ هذا الأمرُ لهُ .

ولمَّا بعثَ عليٌّ رضيَ اللَّهُ عنهُ مَعْقِلَ بنَ قيسٍ الرِّياحي منَ المدائنِ في ثلاثَةِ آلافٍ ، وأَمَرهُ أن يأخُذَ على الموصلِ ويأتي نَصِيبين ورأسَ عينٍ ، حتى يأتي الرَّقَّة فيقيمَ بها ، فسارَ مَعْقِلٌ حتى نزلَ الحديثَة فبينما هو ذاتَ يومٍ جالسًا إذ نظرَ إلى كبشينِ يتناطحانِ ، حتى جاءَ رجُلانِ ، فأخذ كلٌّ منهما كبشًا فذهبَ بهِ ، فقال شدَّادُ بنُ أبي ربيعَة الخثعميُّ : سَتُصْرَفُون من وجهِكم هكذا لا تُغْلَبون ولا تَغْلِبون لافتراق الكبشين سليمَيْنِ ، فكانَ كذلكَ .

ولمَّا بعثَ مُعاويَةُ في شأنِ حُجْرِ بن عديٍّ وأصحابهِ كانَ الذي جاءَهم أعورَ يُقال لهُ : هُدبَةُ ، وكانوا ثلاثَةَ عشرَ رجلًا مع حُجْرٍ فنظرَ إليهِ رجلٌ منهم ، فقال : إنْ صدقَ الفألُ قُتلَ نصفُنا ، لأنَّ الرَّسولَ أعوَرُ ، فلمَّا قَتَلوا سبعَةً وافى رسولٌ ثانٍ ينهى عن قتلِهم ، فكفُّوا عن الباقين .

وقال عَوَانَةُ بن الحكَم : لمّا دعا ابنُ الزُّبير إلى نَفسهِ ، قامَ عبدُاللّهِ بن مطيعٍ ليبايع ، فقبضَ عبدُاللّهِ بن الزُّبير يدَهُ وقال لعبيداللّهِ بن علي بن أبي طالبٍ : قُم فبايعْ ، فقال عُبَيْدُاللّهِ: قم يا مُصعَبُ فبايعْ، فقامَ فبايعَ ، فتفاءلَ النَّاس ، وقالوا : أبى أن يُبايعَ ابن مُطيعٍ وبايعَ مُصعبًا ، لَيَكُونَنَّ في أمرهِ صعوبَةٌ أو شرٌّ ، فكانَ كذلكَ .

---

(١) رواه أحمد (٤ / ٣٩٧) ، والبيهقي (٣ / ٣٩٥) ، وابن ماجه (١٤٨٧) عن أَبي موسى - بنحوه - بسند حسَن .

وقال سَلَمَةُ بن مُحارِبٍ : نزلَ الحَجَّاجُ في مُحاربتِهِ لابنِ الأشعثِ ديرَ قُرَّةَ ونزلَ عبدُالرَّحمنِ بنُ الأشعثِ ديرَ الجماجمِ ، فقال الحجَّاج : استقرَّ الأمرُ في يدي وتجمجمَ به أمرُهُ ، واللَّهِ لأقتلنَّهُ .

وقال عَمْرُو بن مروان الكَلْبيُّ : حدَّثَني مروانُ بن يَسَارٍ عن سَلَمَةَ مولى يزيدَ بن الوليد ، قال : كنتُ مع يزيدَ بن الوليد بناحيَةِ القريتين قبلَ خُروجهِ على الوليد بن يزيدَ ، ونحنُ نتذاكرُ أمَرهُ إذ عَرَضَ لنا ذئبٌ هناكَ ، فتناولَ يزيدُ قوسَهُ فرمى الذِّئبَ ، فأصابَ حَلْقَهُ، فقال : قتلتُ الوليدَ وربِّ الكعبَة، فكانَ كما قال .

وقال داودُ بن عيسى بنِ محمَّد بن عليٍّ : خرجَ أبي وأبو جعفرٍ غازِيَيْنِ في بلادِ الرُّومِ ، ومعهُ غُلامٌ لهُ ، ومع أبي جعفرٍ مولى له ، فسنحَتْ لهُ أربعَةُ أَظْبٍ[1]، ثمَّ مضَتْ تُخاتِلنا حتى غابَتْ عنَّا ، ثمَّ رَجعَتْ ، ومضى واحدٌ ، فقال لنا أبو جعفَر : واللَّهِ لا نرجعُ جميعًا ، فماتَ مولى أبي جعفر .

وأمرَ بعضُ الأمراءِ جاريَةً لهُ تُغنِّي ، فاندفعَت تقول :

هُمُ قتلوهُ كي يكونوا مكَانَهُ كما غَدَرَتْ يومًا بكسرى مَرَازِبُهْ[2]

فقال : وَيْلَكِ ، غنِّي غيرَ هذا ، فغنَّتْ :

هـذا مَقَـامُ مُطَّرِدْ هُدِمَتْ منازِلُهُ ودورُهْ

فقال : وَيْلَكِ ، غنِّي غيرَ هذا .

فقالت : واللَّهِ يا سيِّدي ما أعتمدُ إلّا ما يَسُرُّكَ ويسبقُ إلى لساني ما ترى ، ثمَّ غنَّت :

---

(١) مفردُها ظَبْيٌ .

(٢) مفردها : مَرْزُبان ، وهو الفارسُ الشجاعُ المُقَدَّمُ على القومِ دون المَلِك .

كُليبٌ لَعَمْري كانَ أكثرَ ناصرًا وأيسرَ جُرمًا منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فقال : ما أرى أمري إلّا قريبًا ، فسمعَ قائلًا يقول : قُضيَ الأمر الذي فيهِ تستفتيان !

وقد ذُكِرَ في حَرْبِ بني تَغْلِب أنَّ تَيْمَ الَّلاتِ أرسلَ بنيهِ في طلبِ مالٍ لهُ ، فلمَّا أمسى سمعَ صوتَ الرِّيحِ ، فقال لامرأتهِ : انْظُري مِن أين نشأ السَّحابُ ؟ ومِن أينَ نشأت الرِّيح ؟ فأَخْبَرَتْهُ أنَّ الرِّيحَ طالعٌ من وجهِ السَّحابِ ، فقال : واللَّهِ إنِّي لأرى ريحًا تَهُدُّ هذه الصَّخرَة ، وتمحقُ الأثر ، فلمَّا دخَلَ عليهِ بنوهُ ، قال لهم : ما لقيتم ؟ قالوا : سِرْنا من عندكَ فلمَّا بَلَغْنا غِصْنَ الشَّعْثَمَيْنِ[1] إذا بعفرٍ[2] جاثماتٍ على دِعْصٍ[3] من رملٍ ، فقال : أمشرّقاتٌ أم مُغرّباتٌ ؟ قالوا : مغرّبات ، قال : فما ريحُكم ناطحٌ أم دابرٌ ؟ أم بارحٌ أم سانحٌ ؟ فقالوا : ناطحٌ ، فقال لنفسهِ : يا تيمَ اللّاتِ دِعْصُ الشَّعْثَمَيْنِ - والشَّعْثَم الشيخ الكبير - وأنتَ شَعْثَمُ بني بكر ، وجواثمُ بِدِعْصٍ ، وريحٌ نَطَحَت فبرحَت ، قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ رأينا ذئبًا قد دلعَ لسانَهُ مِن فيهِ ، وهو يطحرُ[4]، وشعرُهُ عليهِ ، فقال : ذلكَ حَرَّانُ ثائرٌ ذو لسانٍ عَذُولٍ ، حامي الظَّهْرِ ، هَمُّهُ سفكُ الدِّماء ، وهو أرقمُ الأراقم[5]- يعني مهلهلًا - ، قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ رأينا ريحًا وسَحابًا ، قال : فهل مطرٌ ؟ ثمَّ قالوا : بلى ، قال : ببرقٍ ؟ قالوا : قَد كانَ ذلكَ ، فقال :

---

(١) نسبة إلى شَعْثَم وشُعَيث ابْنَي معاوية بن عَامر . حاشية « القاموس » (ص ١٤٥٤) .

(٢) حيوان يعفر التراب .

(٣) هو كَثِيبُ الرمل .

(٤) يعلو فيه النَّفَسُ .

(٥) أَخبثُ الخُبثاء .

أماءٌ سائلٌ ؟ فقالوا : نعم ، فقال : ذلكَ دمٌ سائلٌ ومُرْهَفَاتٌ[١] قال : ثمَّ مَه ؟ قالوا : ثُمَّ طلَعنا قلعَةَ الضّعفاء ، ثمَّ تصوَّبنا مِن تلِّ فارانَ ، قال : فكنتم سواءً أو مُترادفين ؟ قالوا : بل سواءٌ ، قال : فما سماؤكم ؟ قالوا : جَنًا ، قال : فما ريحُكم ؟ قالوا : ناطحٌ ، قال : فما فعلَ الجيشُ الذين لقيتم ؟ قالوا : نجَونا منهُ هربًا ، وجدَّ القومُ في أَثَرِنا ، قال : ثمَّ مَه ؟ قالوا : ثمَّ رأينا عُقابًا[٢] منقضَّةً على عُقابٍ ، فتشابَكَا وهَوَيا إلى الأرضِ ، قال : ذاكَ جمعٌ رامَ جمعًا فهو لاقيهِ ، قال : ثمَّ مَه ؟ قالوا : ثمَّ رأينا سَبُعًا على سَبُعٍ ينهشُهُ ، وبهِ بقيَّةٌ لم يمُت ، فقال : ذَرُوني، أَمَا واللَّهِ إنَّها لقبيلَةٌ مصروعَةٌ مأكولَةٌ مقتولةٌ من بني وائلٍ بعدَ عزٍّ وامتناعٍ .

وذكروا أنَّ تَيْمَ اللَّاتِ هذا مرَّ يومًا بجَمَلٍ أجربَ ، وعليهِ ثلاثُ غرابيبَ[٣]، فقال لبنيه : سَتَقِفُون عليَّ مقتولًا، فكانَ كما قال، وقُتلَ عن قريبٍ .

وكذلكَ قولُ علقمَةَ في مسيرهِ مع أصحابهِ ، وقَد مَرُّوا في الليلِ بشيخٍ فانٍ ، فقال : لقيتُم شيخًا كبيرًا فانيًا يُغالِبُ الدَّهرَ ، والدَّهرُ يُغالِبُهُ ، يُخبركم أنَّكم ستلقَونَ قومًا فيهم ضعفٌ وَوَهْنٌ ، ثمَّ لقيَ سَبُعًا ، فقال : دَلَاحٌ[٤] لا يُغْلَبُ ، ثمَّ رأى غُرابًا ينفضُ بجُؤْجؤهِ[٥] ، فقال : أبشِروا أَلَا ترونَ أنَّهُ يُخبِرُكم أنْ قَد اطمأنَّت بكم الدَّارُ ، فكانَ كذلكَ .

---

(١) يريد : سيوفاً وسهاماً مُرْهَفاتٍ ، أي : قد رَقَّتْ حواشيها وسُنَّت وأُخرِجَ حدُّها .

(٢) هو طائر من كواسر الطير قويُّ المخالب .

(٣) مفردها غُراب .

(٤) يُقال : دَلَحَ ؛ مشى بحملِه مُنقبضَ الخَطْوِ لِثقَلِهِ .

(٥) هو الصدرُ .

وذكرَ المدائنيُّ ، قال : خرجَ رجلٌ مِن لِهْبٍ - ولهم عِيافةٌ[١] - في حاجَةٍ لهُ ، ومعهُ سِقاءٌ مِن لَبَنٍ ، فسارَ صدرَ يومِهِ ، ثمَّ عَطِشَ ، فأناخَ ليشربَ ، فإذا الغُرابُ ينعَبُ ، فأثارَ راحلتَهُ ، ومضى، فلمَّا أجهدَهُ العطشُ أناخَ ليشربَ ، فَنَعَبَ الغرابُ ، فأثارَ راحلَتَهُ ، ثمَّ الثَّالثَةَ نعبَ الغرابُ ، وتمرَّغَ في التُّراب ، فضربَ الرَّجلُ السِّقاءَ بسيفِهِ ، فإذا فيهِ أَسْوَدُ ضخمٌ ، ثمَّ مضى ، فإذا غُرابٌ على سِدْرَةٍ ، فصاحَ به ، فوقعَ على سَلِمَةٍ[٢]، فصاحَ بِهِ ، فوقعَ على صخرةٍ ، فانتَهى إليهِ ، فإذا تحتَ الصَّخرَةِ كنزٌ ، فلمَّا رجعَ إلى أبيهِ ، قال لهُ : ما صنَعتَ ؟ قال : سرتُ صدرَ يومٍ ، ثمَّ أنختُ لأشربَ ، فإذا الغرابُ ينعَبُ ، قال : أَثِرْهُ وإلّا لستَ بابني ، قال : أَثَرْتُهُ ، ثمَّ أنخْتُ لأشربَ ، فَنَعَبَ الغرابُ ، وتمرَّغَ في التُّرابِ ، قال : اضرِبِ السِّقاء وإلّا لستَ بابني ، قال : فعلت فإذا أَسْوَدُ ضخمٌ ، قال : ثمَّ مَه ؟ قال : ثمَّ رأيتُ غرابًا واقعًا على سِدْرَةٍ ، قال : أَطِرْهُ وإلّا لستَ بابني ، قال : أَطَرْتُهُ ، فوقعَ على سَلِمَةٍ ، قال : أَطِرْهُ وإلّا لستَ بابني ، قال : فوقعَ على صخرَةٍ ، قال : أخبِرْني بما وجدتَ ، فأَخْبَرَهُ .

وذكرَ أيضًا أنَّ أعرابيًّا أضلَّ ذَوْدًا[٣] لهُ وخادمًا ، فخرجَ في طَلَبِهما إذ اشتدَّت عليهِ الشمسُ ، وحَمِيَ النَّهارُ ، فَمَرَّ برجلٍ يحلبُ ناقَةً ، قال : أظنُّهُ من بني أَسَدٍ ، فسأَلَهُ عن ضالَّتِهِ ؟ قال : ادْنُ ، فاشْرَب من اللبنِ ، وأدلُّكَ على ضالَّتِكَ ، قال : فشربَ ، ثمَّ قال : ما سمعتَ حينَ خرجتَ ؟ قال : بكاءَ الصِّبيان ، ونباحَ الكلابِ ، وصراخَ الدِّيكة وثُغاءَ الشاء ، قال : ينهاكَ عن الغُدُوِّ ،

---

(١) هي إثارة الطير ، والتفاؤلُ بأسمائها ، وأصواتها ، وممرِّها .

(٢) هي الحجارةُ .

(٣) هو قطيعٌ من الإبل بين الثلاث إلى العشر .

ثمَّ مَه ؟ قال : ثمَّ ارتفعَ النَّهار فعرضَ لي ذئبٌ ، قال : كَسُوبٌ[1] ذو ظُفُرٍ ، ثمَّ مَه ؟ قال : ثمَّ عَرَضَت لي نَعَامَةٌ ، قال : ذاتُ ريشٍ ، واسمُها حَسَنٌ ، هل تركتَ في أهلكَ مريضًا يُعادُ ؟ قال : نعم ، قال : ارْجِعْ إلى أهلكَ فَذَوْدُك وخادمُكَ عندهم ، فرجعَ فوجدهم .

وذكرَ أبو خالدٍ التَّيْمِيُّ ، قال : كنتُ آخُذُ الإبل بضمانٍ ، فأرعاها في ظهرِ البصرَةِ ، فَطَرَدَتْ ، فخرجتُ أقفو أثَرَها ، حتى انتهيتُ إلى القادسيَّة ، فاختلطَتْ عليَّ الآثارُ ، فقلتُ : لو دخلتُ الكوفَةَ فتحسَّسْتُ عنها ، فأتيتُ الكُناسَةَ[2]، فإذا النَّاسُ مُجتمِعون على عرَّافِ اليمامة ، فوقفتُ ، ثمَّ قلتُ لهُ حاجتي ، فقال : بعيدَةٌ أشطانُ[3] الهوى ، جمعُ مثلها على العاجزِ الباغي الغبيِّ ذو تكاليفَ ، ولترجعنَّ ، قال : فوجدتها في الشام مع ابن عمٍّ لي ، فصالحتُ أصحابَها عنها .

وقال المدائنيُّ : كانَ بالسَّوادِ زاجرٌ ، يقالُ لهُ : مهرٌ ، فأُخبرَ به بعضُ العمَّالِ فجعلَ يُكَذِّبُ زجرهُ ، ثمَّ أرسلَ إليهِ ، فلمَّا أتاهُ ، قال : إنِّي قَد بَعَثْتُ بغنَمٍ إلى مكانِ كذا وكذا ، فانْظُر هل وصلَت أم لم تَصِل ؟ وقَد عرفَ العاملُ قبلَ ذلكَ أنَّ بينها وبينَ الكَلاَء رحلَةً ، فقال لغلامهِ : اخرج ، فانظر أيَّ شيءٍ تسمع ؟ قال : وكانَ العاملُ قَد أمرَ غُلامَهُ أن يَكْمُنَ في ناحيَةِ الدَّارِ ، ويصَيحَ صياحَ ابنِ آوى[4]، فخرجَ غلامُ الزَّاجر ليسمعَ ، وصاحَ غلامُ العاملِ ، فرجعَ إلى الزَّاجر غلامُهُ ، وأخبرهُ بما سمعَ ، فقال للعاملِ : قَد ذهبَتْ عنكَ ، وقُطِعَ عليها الطَّريقُ ،

---

(١) جارح ، ويُكَنَّى الذئب (أبا كاسِب) .

(٢) هي محلّة بالكوفة . « معجم البلدان » (٤ / ٤٨١) .

(٣) مفردها شَطَنَ ، وهو الحَبْلُ .

(٤) هو حيوانٌ كالثعلب .

فاسْتِيقَتْ ، قال : فضحكَ العاملُ ، وقال : قَد جاءني خبرُها أنَّها وصلَتْ ، والصَّائغُ الذي صاحَ غُلامي ، قال : إنْ كانَ الصَّائغُ الذي صاحَ ابنَ آوى ، فقد ذهبَتْ وإنْ كانَ غلامَك ، فقد ذهبَ الرَّاعي ، قال : فَبَلَغَهُ بعدَ ذلكَ ذهابُ الغَنَمِ وقتلُ الرَّاعي .

وذُكِرَ عن العُكليِّ أنَّهُ خرجَ في تسعَةِ نَفَرٍ هو عاشرهُم ليصيبوا الطَّريقَ ، فرأى غُرابًا واقعًا فوقَ بانةٍ[1]، فقال : يا قومُ إنَّكم تُصابون في سفرِكم هذا ، فازْدَجِروا ، وأطيعوني ، وارْجِعوا ، فأَبَوا عليهِ فأخَذَ قوسَهُ وانصرفَ ، وقُتلَت التِّسعَةُ ، فأنشدَ يقول :

رأيــتُ غُرابًا واقــعًا فوقَ بانةٍ يُنَشْنِشُ أعلى ريشـهِ ويُطايِرُهْ
فقلتُ غُرابُ اغترابٍ منَ النَّوى وبانةُ بَيْنٍ من حبيبٍ تُجـاوِرُهْ
فما أعيـفَ العُكْـلِيَّ لا دَرَّ درُّهُ وأَزْجَرَهُ للطَّيرِ لا عزَّ ناصِـرُهْ

وذُكِرَ عن كُثيِّر عَزَّةَ أنَّهُ خرجَ يريدُ مصرَ ، وكانَت بها عَزَّةُ ، فلقيهُ أعرابيٌّ مِن نَهْدٍ ، فقال : أينَ تريدُ ؟ قال : أريدُ عَزّةَ بمصر ، قال : ما رأيتَ في وجهِكَ ! قال : رأَيتُ غرابًا ساقطًا فوقَ بانَةٍ ينتفُ ريشَهُ ، فقال : ماتَت عَزَّةُ ، فانتَهى ومَضى ، فوافى مصرَ والنَّاسُ مُنصرِفون من جنازتها ، فأنشأ يقول :

فأمَّا غُرابٌ فاغترابٌ وغُربَةٌ وبانٌ فَبَيْنٌ من حبيبٍ تعاشِرُهْ

وذُكِرَ عنهُ أيضًا أنَّهُ هَوِيَ امرأَةً مِن قومهِ بعدَ عَزَّةَ، يقالُ لها : أمُّ الحُويرث ، وكانَت فائقَةَ الجمالِ ، كثيرَةَ المالِ ، فقالت لهُ : اخْرُج فأصِبْ مالًا وأتزوَّجُكَ ، فخرجَ إلى اليمن وكانَ عليها رجلٌ من بني مَخْزُومٍ ، فلمَّا كانَ ببعضِ الطَّريقِ

---

(١) نوعٌ من أَنواع الشجر ، ورقُهُ كوَرق الصَّفْصَاف .

عَرَضَ لهُ قُوطٌ – والقُوطُ الجماعَةُ مِن الظِّباءِ – ، فمضى ، ثمَّ عرضَ لهُ غرابٌ ينعَبُ ، ويفحصُ التُّرابَ على رأسهِ ، فأتى كُثَيِّرٌ حيًّا من الأَزْدِ ، ثمَّ بني لِهْبٍ وهم من أَزْجَرِ العربِ ، وفيهم شيخٌ قَد سقطَ حاجباهُ على عينيهِ ، فقصَّ عليهِ ما عَرَضَ لهُ ، فقال : إنْ كنتَ صادقًا لقد ماتَت هذه المرأةُ أو تزوَّجَتْ رجلًا من بني كعبٍ، فاغتمَّ لذلكَ، وسقى بطنهُ فكانَ ذلكَ سببَ موتهِ، وقال في ذلك :

تيمَّمْتُ لِهْبًا أبتغي العلمَ عندهُمْ ... وقَد رُدَّ علمُ العائفين إلى لِهْبِ
فَيَمَّمْتُ شيخًا منهمُ ذا أمانَةٍ ... بَصيرًا بزَجْرِ الطَّيرِ مُنحني الصُّلْبِ
فقلتُ لهُ ماذا تَرى في سوانحٍ ... وصوتِ غرابٍ يفحصُ الأرضَ بالتُّرْبِ
فقال جَرى الطَّيرُ السَّنيحُ بِبَيْنِها ... ونادى غرابٌ بالفِراقِ وبالسَّلْبِ
فإنْ لا تكُنْ ماتَت فقَد حالَ دونَها ... سِواكَ حَليلٌ باطِنٌ من بني كَعْبِ

وقال رجلٌ من بني أَسَدٍ : تزوَّجتُ ابنةَ عمٍّ لي ، فخرجتُ أريدُها ، فلقيني شيءٌ كالكَلْبِ مدَلِّيًا لسانَهُ في شِقٍّ ، فقلتُ : أُخِفْتُ وربِّ الكعبَة ، فأتيتُ القومَ ، فلم أَصِلْ إليها ، ونافَرَني أهلُها ، فخرجتُ عنهم ، فمكثتُ ثلاثَةَ أيَّامٍ ، ثمَّ بدا لي فيهم ، فخرجتُ نحوَهم ، فلقيتُ كَلبَةً تنطُفُ أَطْباؤها[1] لَبَنًا ، فقلتُ : أَدْرَكْتُ وربِّ الكعبةِ ، فدخلتُ بأهلي ، وحَمَلَتْ منِّي بغلامٍ ثمَّ آخَرَ حتى ولدت أولادًا .

وذُكِرَ عن يحيى بن خالدِ ، قال : حجَّ رجلانِ ، فقيلَ لهما : هاهنا امرأَةٌ تزجرُ ، قال : فأَتَياها ، فَسَأَلاها ، فقال أحدُهما : ما نُضْمِرُ ؟ فقالت : إنَّكَ

---

(١) مفردها طُبْيٌ ، وهي حَلَمةُ الضَّرْعِ للحيوانِ ، أَو الضَّرْعُ نفسُه .
وتنطُف : تسيلُ .

لتسألُني عن رجلٍ مقتولٍ ، فقال : هو واللّهِ الذي سألَ عنهُ صاحبي ، فقالت : هو كما قُلتَ ، فَسَأَلَاها عن تفسيرِ ذلكَ ؟ فقالت : أَمَا رأيتما الجاريَةَ التي مرَّتْ ومعها ديكٌ مشدودُ الرِّجْلَيْنِ حينَ سألَني الأوَّلُ ؟ قالا : بلى ، قالت : فلذلكَ قلتُ : إنَّهُ محبوسٌ مُقيَّدٌ ، قالت : ورأيتُ الجاريَةَ حينَ رَجَعَتْ ، وسأَلْتَني أنتَ والدِّيكُ مذبوحٌ ، فقلتُ : مقتولٌ .

وذكرَ المدائِنيُّ أنَّ أهلَ بيتٍ من العَجَمِ كانوا إذا غابَ الرّجلُ عن أهلِهِ ولم يَأْتِهِم خبرُهُ أربعَ حِجَجٍ[١] زوَّجوا امرأتَهُ ، فتزوَّجَ منهم رجلٌ جاريَةً ، وغابَ أربعَ حِجَجٍ لا يأتيهم ، فأرادوا تزويجَ الجاريَةِ وكانَت مشغوفَةً به ، فقالت : دعوني سنَةً أخرى ، فَأَبَوْا عليها ، وأَتَوْا زاجرًا لهم ، فخرجَ الزَّاجرُ ومعهُ تلميذٌ له ، فتلقَّاهم قومٌ يحملونَ مَيْتًا ، ويدُ الميت على صدرِهِ ، فقال الزَّاجرُ لتلميذِهِ : ماتَ الرجل ، قال : ما ماتَ ، أَلَا تَرى يدَ الميت على صدرِهِ يخبرُ أنّهُ هو الميتُ ، والرَّجلُ صحيحٌ ، فَرَجعا فأخبرا الحاكمَ أنَّهُ لم يمُتْ ، فأمَر بتأجيلها سنَةً ، فجاءَ زوجُها بعد شهر .

وذكرَ ابنُ قُتيبَةَ عن إبراهيمَ بنِ عبداللّهِ ، قال : دَخَلْتُ على رجلٍ ضريرٍ زاجرٍ من العربِ ، وقد خَبَّأْتُ سحابَةَ عنوانٍ من كَتَّانٍ ، فقلتُ : أخبِرْني بما خَبَّأْتُ لكَ ! فنظرَ قليلًا ، ثمَّ قال : هو من نباتِ الماءِ ، فقلتُ : زِدْني في الشرح ، قال : هو قطعَةٌ مِن كتَّانٍ ، فسألتُهُ عن ذلكَ ؟ فقال : سألتني عن الخبيءِ ، فوقعَتْ يَدي على الحصيرِ ، فقلتُ : إنَّهُ من نباتِ الماءِ ، فقلتَ : زِدْني ، فقال : وصاحَ صائحٌ من جانبِ الدَّارِ ، فقضيتُ بالسَّوادِ ، وبأنَّهُ صغيرٌ

---

(١) سنوات .

للتَّصفير ، ثمَّ نظرتُ ، فلم يكن ذلك أولى بأنْ يكونَ قطعَةً مِن كتَّان ، قال : وسألتُهُ عن مِقْرَاضَيْنِ في يدي قَد أدخَلتُ إصبعي في حلقتيهما ؟ فقال : في يدك خاتمٌ من حديدٍ .

وذكرَ ابنُ عُيَينَة عن الزُّهري ، عن محمَّد بن جُبيرِ بن مُطْعِم ، عن أبيهِ ، عن عُمرَ بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّهُ كانَ يرمي الجمرَةَ ، فجاءتهُ حصاةٌ فأصابَت جَبْهَتَهُ ، فَفَصدَت منهُ عِرْقًا ، فقال رجلٌ من بني لِهْبٍ : أَشَعَرَ أميرُ المؤمنين ! وَرَبِّ الكعبَةِ لا يقومُ هذا المقامَ أَبَدًا ، فقُتِلَ بعدَ ذلكَ .

وثبتَ في « الصَّحيحين »[1] من حديثِ ابن عمر أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الشؤمُ في الدَّارِ والمرأَةِ والفرسِ » .

وفي لفظٍ فيهما : « لا عَدْوى ولا صَفَرَ ولا طِيرَةَ ، وإنَّما الشؤمُ في ثلاثَةٍ المرأةُ والفرسُ والدَّارُ »[2] .

وفي لفظٍ آخَرَ فيهما : « إنْ يكن الشؤمُ في شيءٍ حقًّا ففي الفَرَسِ والمسكنِ والمرأةِ »[3] .

وفي بعضِ طُرُقِ البُخاري[4] : « .. والدَّابَّةِ » ، بَدَلَ : « الفَرَس » .

وفي « الصَّحيحين »[5] أيضًا عن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِديِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنْ كانَ ففي المرأةِ والفَرَس والمسكنِ » ، يعني الشؤمَ .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٢) ، ومسلم (٢٢٢٥) (١١٥) .

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٢) ، ومسلم (٢٢٢٥) (١١٦) .

(٣) رواه مسلم (٢٢٢٥) (١١٧) و (١١٨) .

(٤) (برقم ٥٧٥٣) .

(٥) تقدَّم (ص ٢٨٧) .

وقال البُخاري : « إنْ كانَ في شيءٍ » .

وفي « صحيح مُسلم »(١) عن جابر بن عبدالله عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال : « إنْ كانَ في شيءٍ ففي الرَّبْعِ والخادمِ والفَرَس » .

وفي « صحيحُ مسلم »(٢) عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال : « لا يُورِدُ مُمْرضٌ على مُصِحٍّ » .

وفي « موطَّأ مالك »(٣) أنَّهُ بلغهُ عن بُكَيرِ بن عبداللّهِ بن الأشجِّ عن أبي عطيَّةَ أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « لا عَدوى ولا هامَ ولا صَفرَ ، ولا يَحُلُّ المُمْرِضُ على المُصِحّ ، وَلْيَحْلُل المُصِحُّ حيث شاءَ » ، قالوا : يا رسولَ اللّهِ ! وما ذاكَ ؟ فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّهُ أذى » .

وقال ابنُ وَهبٍ : أخبرني يونُسُ عن ابنِ شهابٍ أنَّ أبا سلمَةَ بن عبدالرَّحمن ، قال : كانَ أبو هُريرَة رضيَ اللّهُ عنهُ يُحَدِّثنا عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال : « إنَّهُ لا عَدوى » ، وحدَّثنا أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال : « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » الحديث .. ثمَّ صمتَ أبو هُريرَة بعدَ ذلكَ عن قولهِ : « ولا عَدوى » وأقامَ : « أنْ لا يُوردَ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ ... » الحديث ، قال : فقال الحارثُ بن أبي ذُبَابٍ - وهو ابنُ عَمِّ أبي هريرَة - : قد كنتُ أسمعُكَ يا أبا هُريرَة تُحَدِّثُنا مع

---

(١) (برقم : ٢٢٢٧) .
والرَّبْع : المنزل ودار الإقامة . « النهاية » (٢ / ١٨٩) لابن الأَثير .

(٢) (برقم : ٢٢٢١) ، ورواه - أيضًا - البُخاري (٥٧٧١) .

(٣) (٢ / ٩٤٦) .
وقد طوّل الكلامَ عليه ابنُ عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ١٨٨) .
وسيأْتي كلامُ المصنّف عليه مُطوَّلًا .

هذا الحديثِ حديثًا آخَر قد سكتَّ عنهُ ، كنتَ تقول : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا عَدوى » فأبى أبو هريرَةَ أن يُحَدِّثَ ذلكَ ، وقال : « لا يُورِد مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » فماراهُ الحارثُ في ذلكَ حتى غضبَ أبو هريرة ، ورَطَنَ بالحبشيَّة ، فقال للحارث : أتَدري ماذا قلتُ ؟ قال : لا ، قال أبو هريرَة : إنِّي أقول : أَبَيْتُ ، أَبَيْتُ .

قال أبو سَلَمَةَ : فَلَعَمْري ، لقد كانَ أبو هُريرَة يُحدِّثنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا عَدوى » ، فلا أدري أنسيَ أبو هريرَة ، أو نَسَخَ أحد القولين الآخَرَ !

قالوا : هذا النَّهيُ عن إيرادِ المريضِ على المُصِحِّ إنَّما هو من أجلِ الطِّيرَةِ التي تلحقُ المصحَّ(١) .

وقال مُسدَّدٌ : حدَّثنا يحيى بنُ [سعيد ، عن] هِشَام ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ ، عن الحَضْرَميِّ بن لاحقٍ ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : سألتُ سعدَ بن مالكٍ عن الطِّيرَةِ ؟ فانتهرني ، وقال : مَنْ حدَّثكَ ؟ فكرهتُ أَنْ أُحَدِّثهُ ، فقال : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لا عَدوى ولا طيرَةَ ولا هامَةَ ، **وإنْ كانَت** الطِّيرَةُ في شيءٍ ففي الفرسِ والمرأةِ والدَّارِ ، فإذا كانَ الطَّاعون بأرضٍ وأنتم بها فلا تَفِرُّوا »(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٢٢١) (١٠٤) ، قال : حدَّثني أَبو الطاهر وحرملة - وتقاربَا في اللفظ - قالا : أَخبرنا ابنُ وَهْبٍ ... فذكره .

وهو في « صحيح البخاري » (٥٧٧٠) .

(٢) رواه الطحاوي في « المشكل » (١٧٤٥) وفي « الشرح » (٤ / ٣١٣) من طريق مسدَّد ، به .

ورواه أَحمد (١٥٥٤)، والدَّوْرَقي في « مسند سعد » (٩٥)، والشاشي في « مسنده » (١٥٣) ، والخطيب في « الموضح » (١ / ٢٢٨) من طريق عن يحيى بن أَبي كثيرٍ ، بِه .=

وفي « صحيح مسلم »[(١)] عن الشَّرِيدِ بن سُويدٍ ، قال : كانَ في وَفْدِ ثَقِيفٍ رجلٌ مجذومٌ فأرسلَ إليهِ النَّبيُّ ﷺ : « إنَّا قَد بايَعْناكَ فارْجِعْ » .

وفي حديثٍ آخَرَ : « فِرَّ من المَجْذُومِ فِرارَكَ من الأَسَدِ »[(٢)] .

□□□□□

= وسندُهُ قويٌّ .

وقارن بـ « علل الدارقطني » (٤ / ٣٧٠) .

وهو في « سُنن أَبي داود » (٣٩٢١) - وغيرِه - من طريق أَبَان عن يحيى مُختصرًا .

(١) (برقم : ٢٢٣١) .

(٢) رواه البخاري (٥٧٠٧) عن أَبي هُريرة .

١٧١ - فَصْلٌ
[وسطيَّةُ أهلِ السُّنَّة]

الآنَ الْتقَتْ حَلقَتا البِطانِ ، وتَداعى نِزالُ الفريقان .

نَعَم ؛ وها هُنا أضعافُ أضعافِ ما ذكرتُم ، وأضعافُ أضعافِه .

وللنَّاسِ هُنا مسلكانِ عليهما يَعْتَمِدُ المُتكلِّمونَ في هذا البابِ لا نَرتضيهما ، بل نسلكُ مسلَكَ العدلِ والتَّوسُّطِ بينَ طَرَفي الإفْراطِ والتَّفريطِ ، **فدينُ اللَّهِ بينَ الغالي فيهِ والجافي عنهُ** ، والوادي بينَ الجبلين والهُدى بينَ الضَّلالتين ، وقد جعلَ اللَّهُ هذه الأُمَّةَ هي الأُمَّةَ الوسطَ في جميعِ أبوابِ الدِّين ، فإذا انحرفَ غيرُها من الأُمَمِ إلى أحدِ الطَّرفين كانت هي في الوسطِ :

كما كانَت وَسَطًا في بابِ أسماءِ الرَّبِّ تعالى وصفاتِه بينَ الجهميَّةِ والمُعطِّلَة والمُشبِّهة المُمثِّلةِ .

وكانَت وَسَطًا في بابِ الإيمانِ بالرُّسلِ بينَ مَن عَبَدَهُم وأشركهم باللَّهِ - كالنَّصارى - وبينَ مَن قتلهم ، وكذَّبهم[١]؛ فآمنوا بهم وصدَّقوهم ، وتركُوهم مِن العُبوديَّة .

وكانَت وَسَطًا في القَدَرِ بينَ الجَبْريَّةِ الذين يَنْفُونَ أنْ يكونَ للعبدِ فِعلٌ أو كسبٌ أو اختيارٌ البتَّةَ ، بل هو مجبورٌ مَقْهورٌ لا اختيارَ لهُ ولا فعلَ ، وبينَ القَدَريَّة النُّفاةِ الذين يجعلونهُ مُستقلًّا بفعلِهِ ، ولا يدخلُ فعلُهُ تحتَ مقدورِ الرَّبِّ تعالى !

---

(١) كاليهودِ ؛ إخوان القردةِ والخنازير .

ولا هو واقعٌ بمشيئةِ اللَّهِ تعالى وقدرتهِ ! فأثبتوا لهُ فِعلًا وكَسْبًا واختيارًا حقيقةً ، وهو مُتعلَّقُ الأمرِ والنَّهيِ والثَّوابِ والعقابِ ، وهو مع ذلكَ واقعٌ بقُدرَةِ اللَّهِ ومشيئتهِ ، فما شاءَ اللَّهُ من ذلك كانَ ، وما لم يشأْ لم يكُن ، ولا يتحرَّكُ ذرَّةٌ إلّا بمشيئتهِ وإرادتهِ ، والعبادُ أضعفُ وأعجزُ أنْ يفعلوا ما لَم يَشَأْهُ اللَّهُ ولا قدرَةَ عليهِ .

وكذلكَ هم وَسَطٌ في المطاعمِ والمشاربِ بينَ اليهودِ الذين حُرِّمَت عليهم الطِّيِّباتُ عُقوبَةً لهم ، وبينَ النَّصارى الذين يستحلُّونَ الخبائثَ ، فأحلَّ اللَّهُ لهذه الأمَّةِ الوسطِ الطِّيِّباتِ وحرَّمَ عليهم الخبائثَ .

وكذلكَ لا تجدُ أهلَ الحقِّ دائمًا إلّا وَسطًا بينَ طرفي الباطلِ ، وأهلُ السُّنَّة وَسَطٌ في النِّحَلِ ، كما أنَّ المسلمين وسَطٌ في المللِ .

وكذلكَ ما نحنُ فيهِ من هذا البابِ ؛ فإنَّهم وَسَطٌ بينَ النُّفاةِ الذين يَنْفُونَ الأسبابَ جُملَةً ، ويمنعونَ ارتباطَها بالمُسبَّبات وتأثيرَها بها ، ويَسُدُّونَ هذا البابَ بالكُلِّيَّةِ ، ويضطربون فيما وردَ من ذلكَ ، فيُقابِلون بالتَّكذيبِ منهُ ما يُمْكِنُهم تكذيبُهُ ، ويُحيلون على الاتِّفاقِ والمصادفَةِ ما لا قِبَلَ لهم بدفعهِ من غيرِ أَنْ يكونَ لشيءٍ مِن هذه الأمور مَدْخَلٌ في التَّأثير ، أو تعلُّقٌ بالسَّببيَّة البتَّةَ ، وربَّما يقولون : إنَّ أكثرَ ذلكَ مُجرَّدُ خيالاتٍ وأوهامٍ في النُّفوس ، تنفعلُ عنها النُّفوسُ كانفعالِ أربابِ الخيالاتِ والأمراضِ والأوهامِ ! وليسَ عندهم وراءَ ذلكَ شيءٌ .

وهذا مسلكُ نُفاة الأسبابِ وارتباطِ المسبَّباتِ بها ، وهذا جوابُ كثيرٍ من المتكلِّمين .

والمسلكُ الثَّاني مسلكُ المُثْبِتين لهذه الأُمور ، المعتقدين لها ، الذَّاهبين إليها ، وهي عندهم أقوى من الأسبابِ الحِسِّيَّةِ أو في دَرَجَتِها ، ولا يلتفِتون إلى قَدْحِ

قادحٍ فيها ، والقَدْحُ فيها عندهم مِن جنسِ القَدْحِ في الحِسِّيَّات والضَّرُوريَّات .

ونحنُ لا نَسْلُكُ سبيلَ هؤلاءِ ولا سبيلَ هؤلاءِ ، بل نسلُكُ سَبيلَ التَّوسُّطِ والإنصافِ ، ونُجانبُ طريقَ الجَوْرِ والانحراف ، فلا نُبْطِلُ الشرعَ بالقَدَرِ ، ولا نُكَذِّبُ بالقَدَر لأجلِ الشرعِ ، بل نُؤْمنُ بالمقدورِ ونصدِّقُ الشرعَ ؛ فَنُؤمنُ بقضاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ وشرعهِ وأمرهِ ، ولا نُعارِضُ بينَهما فَنُبْطِلُ الأسبابَ المقدورَةَ ، أو نقدحُ في الشريعَةِ المنزَّلةِ ، كما فعلهُ الطَّائفتانِ المنحرفتانِ ؛ فإحداهما أَبْطَلَتْ ما قَدَّرَهُ اللَّهُ من الأسبابِ بما فَهِمَتْهُ من الشرعِ - وهذا من تقصيرها في الشرعِ والقدرِ - والأُخرى توصَّلت إلى القدحِ في الشرعِ وإبطالهِ بما تُشاهِدهُ من تأثيرِ الأسبابِ وارتباطِها بمُسبَّباتها لَمَّا ظنَّت أنَّ الشرعَ نفاها وكذَّبَتْ بالشارعِ !

فالطَّائفتانِ جانيتانِ على الشرعِ ، لكنِ المُوفَّقون المَهْدِيُّون آمَنوا بقَدَرِ اللَّهِ وشَرْعِهِ ، ولم يُعارِضوا أحدَهما بالآخَرِ ، بل صدَّقَ كلٌّ منهما الآخَرَ عندهم وقرَّرهُ ، فكانَ الأمرُ تَفصيلًا للقَدَرِ وكاشفًا عنهُ وحاكمًا عليهِ .

والقَدَرُ أصلٌ للأمرِ ، ومَنْفَذٌ له ، وشاهدٌ لهُ ، ومُصدِّقٌ له ، فلولا القدرُ لَمَا وُجِدَ الأمرُ ، ولا تحقَّقَ ، ولا قامَ على ساقِهِ ، ولولا الأمرُ لَمَا تميَّزَ القَدَرُ ، ولا تبيَّنَت مراتبهُ وتصاريفهُ ، فالقدرُ مظهرٌ للأمرِ ، والأمرُ تَفصيلٌ لهُ ، واللَّهُ سبحانهُ لهُ الخَلقُ والأمرُ ، فلا يكونُ إلّا خالقًا آمِرًا ، فأَمْرُهُ تَصريفٌ لِقَدَرِهِ ، وقَدَرُهُ مَنْفَذٌ لأمرهِ .

ومَنْ أبصرَ هذا حقَّ البَصَرِ ، وانفتحَت لهُ عينُ قلبهِ ، تبيَّنَ لهُ سِرُّ ارتباطِ الأسبابِ بمُسبَّباتها وجَرَيانها فيها ، وأنَّ القَدْحَ فيها وإبطالَها إبطالٌ للأمرِ ، وتبيَّنَ لهُ أنَّ كمالَ التَّوحيدِ بإثباتِ الأسبابِ ، لا أنَّ إثباتَها نقضٌ للتَّوحيدِ كما زعمَ

منكروها حيثُ جعلوا إبطالَها من لوازمِ التَّوحيدِ ، فَجَنَوْا على التَّوحيدِ والشرعِ ، والتزموا تكذيبَ الحِسِّ والعقلِ ، ووقعوا في أنواعٍ من المكابرَةِ سَلَّطَتْ عليهم أعداءَ الشريعَةِ ، وأوجبَت لهم أَنْ أساؤوا بها الظَّنَّ وتنقَّصُوها وزَعَمُوا أنَّها خِطَابِيَّةٌ وإقْناعيَّةٌ وجَدَليَّةٌ[١]، لا بُرهانيَّةٌ ، فَعَظُمَ الخَطْبُ ، وتفاقمَ الأمرُ ، واشتدَّت البليَّةُ بالطَّائفتين ! وقد قيلَ : إنَّ العدوَّ العاقلَ خيرٌ من الصَّديقِ الجاهلِ !

ونحنُ - بحمدِ اللَّهِ - نُبيِّنُ الأمرَ في ذلكَ ، ونُوضِّحُ أيضًا ما يتبيَّن به تَصديقُ كُلٍّ منَ الأمرين الآخَرَ ، وشهادتُه لهُ ، وتَزكيتُه لهُ ، ونُبيِّنُ ارتباطَ كُلٍّ منَ الأمرين بالآخَرِ ، وعَدَمَ انفكاكهِ عنهُ ، **فنقولُ وباللَّهِ التَّوفيق :**

أمَّا ما ذكرتُم من أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يُعجِبهُ الفألُ الحَسَنُ[٢]، فلا رَيبَ في ثُبوتِ ذلكَ عنهُ ، وقَد قَرَنَ ذلكَ بإبْطالِ الطِّيرَةِ ؛ كما في « الصَّحيحين »[٣] من حديثِ الزُّهْري ، عن عُبيدِاللَّه بن عبداللَّهِ ، عن أبي هُريرَة رضيَ اللَّهُ عنهُ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا طِيرَةَ ، وخيرُها الفألُ الحَسن » ، قالوا : وما الفألُ الحَسَن يا رسولَ اللَّه ؟ قال : « الكلمةُ الصَّالحةُ يسمعُها أحدُكم » ، فابتدأهم النَّبيُّ ﷺ بإزالَة الشبهَةِ وإبطالِ الطِّيرَةِ ، لئلّا يتوهَّموها عليهِ في إعجابهِ بالفألِ الصَّالحِ ، وليسَ في الإعجابِ بالفألِ ومحبَّتهِ شيءٌ من الشركِ ، بل ذلكَ إبانَةٌ عن مُقتَضى الطَّبيعَةِ ومُوْجَب الفطرَةِ الإنسانيَّةِ التي تميلُ إلى ما يُلائمها ويُوافِقُها ممَّا ينفعُها ، كما أخبرهم أنَّهُ حُبِّبَ إليهِ منَ الدُّنيا النِّساءُ والطِّيبُ[٤] .

(١) هي من طرق المُتَكلِّمة في البحثِ والتخاطُبِ .

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) رواه البخاري (٥٧٥٤) ، ومسلم (٢٢٢٣) .

(٤) كما رواه أحمد (٣ / ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٨٥)، والنَّسائي (٧ / ٦١ و ٦١-٦٢) =

وفي بعضِ الآثارِ أنَّهُ ﷺ كانَ يُعجِبُهُ الفاغِيَةُ[١]- وهي نَوْرُ الحنَّاءِ - وكانَ يُحِبُّ الحَلْواءَ والعسلَ ، وكانَ يُحِبُّ الشرابَ الباردَ الحُلْوَ ، ويُحِبُّ حُسْنَ الصَّوتِ بالقرآنِ والأَذَانِ ، ويستمعُ إليهِ ويحبُّ معاليَ الأخلاقِ ، ومكارمَ الشِّيَمِ[٢].

وبالجملَةِ ؛ يُحِبُّ كلَّ كمالٍ وخيرٍ وما يُفْضي إليهما .

واللَّهُ سبحانهُ قد جعلَ في غرائزِ النَّاسِ الإعجابَ بسماعِ الاسمِ الحَسَنِ ومحبَّتِهِ ، ومَيْلَ نفوسِهم إليهِ ، وكذلكَ جعلَ فيها الارتياحَ والاستبشارَ والسُّرورَ باسم السَّلام والفلاح والنَّجاح والتَّهنئة والبُشرى والفوز والظَّفَر والغُنْم والرِّبح والطِّيب ونيلِ الأُمْنِيَّةِ والفرحِ والغوثِ والعزِّ والغنى وأمثالِها ، فإذا قَرَعَتْ هذه الأسماءُ الأسماعَ اسْتَبْشَرَتْ بها النَّفسُ ، وانشرحَ لها الصَّدرُ ، وقويَ بها القلبُ ، وإذا سمعتْ أضدادَها أوجبَ لها ضدَّ هذه الحالِ ، فَأَحْزَنَها ذلكَ وأثارَ لها خوفًا وطِيرَةً وانكماشًا وانقباضًا عمَّا قَصَدَتْ لهُ ، وعَزَمَتْ عليهِ ، فأورثَ لها ذلكَ ضررًا في الدُّنيا ونَقْصًا في الإيمان ومُقارفَةً للشركِ ؛ كما ذكرهُ أبو عُمرَ في « التَّمهيد »[٣] من حديثِ المُقْري ، عن ابنِ لَهِيعَة : حدَّثنا ابنُ هُبَيرَةَ ، عن أبي عبدالرَّحمن الحُبُليِّ ، عن عبداللَّهِ بن عَمْرو عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « مَنْ

= عن أَنس بسندٍ صحيحٍ .

(١) رواه أَحمد (٣ / ١٥٣) وأَبو الشيخ في « أَخلاق النَّبيِّ ﷺ » (٦٦٢) عن أَنس .
وقال الهيثمي في « المجمع » (٥ / ١٥٧) : « ورجاله ثقاتٌ » .
قلتُ : وسندُه حسنٌ ، وانظر « تهذيب الكمال » (١٦ / ٤٦١) و « أَطراف المسند » (١ / ٤٢٩) .

(٢) وهذه الإِشاراتُ - جميعُها - لأَحاديثَ صحيحةٍ ثابتةٍ ، ولو لا خشيةُ الإِطالةِ لخرَّجتُها جميعًا .

(٣) (٢٤ / ٢٠١) .
وقد تقدَّم تخريجُه .

أَرْجَعَتْهُ الطِّيرَةُ من حاجتهِ فقد أشركَ » ، قال : وما كفَّارَةُ ذلكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أن يقولَ أحدُهم : اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُك ، ولا خيرَ إلّا خيرُك ، ولا إلهَ غيرك ، ثمَّ يمضي لحاجتهِ » .

وذكرَ ابنُ وهبٍ(١) قال : أخبرني أُسامَةُ بن زيدٍ قال : سمعتُ نافعَ بن جُبيرِ بن مطعم يقول : سألَ كعبُ الأحبار عبدَاللَّهِ بن عمرو : هل تتطيَّر ؟ فقال : نعم ، قال : فكيفَ تقول إذا تطيَّرتَ ؟ قال : أقول : اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرك ، ولا خير إلّا خيرك ، ولا ربَّ غيرك ، ولا قوَّةَ إلّا بكَ ، فقال كعبٌ : إنَّهُ أفقهُ العرب ، واللَّهِ إنَّها لكذلكَ في التَّوراةِ .

وهذا الذي جَعَلَهُ اللَّهُ سبحانهُ في طِبَاعِ النَّاسِ وغرائزِهم من الإعْجاب بالأسماء الحسنَةِ ، والألفاظِ المحبوبَةِ ، وهو نظيرُ ما جعلَ في غرائزِهم منَ الإعْجابِ بالمناظر الأنيقَةِ ، والرِّياضِ المُنوَّرَةِ ، والمياه الصَّافيَةِ ، والألوانِ الحسنَةِ ، والرَّوائح الطيِّبَةِ ، والمطاعمِ المُستلذَّةِ ، وذلكَ أمرٌ لا يُمكِنُ دفعُهُ ، ولا يجدُ القلبُ عنهُ انصرافًا ، فهو ينفعُ المؤمنَ ، ويَسُرُّ نَفسَهُ ، ويُنَشِّطُها ، ولا يضرُّها في إيمانها وتَوحيدِها .

وأخبرَ ﷺ في حديثِ أبي هُريرة(٢) أنَّ الفَأْلَ من الطِّيرَةِ وهو خيرُها فقال : « لا طيرَةَ ، وخيرها الفألُ » ، فأبطلَ الطِّيرَةَ ، وأخبرَ أنَّ الفألَ منها ، ولكنَّهُ خيرُها ، فَفَصَلَ بينَ الفألِ والطِّيرَةِ لِمَا بينهما منَ الامتيازِ والتَّضادِّ ونَفْعِ أحدِهما ومضرَّةِ الآخَر .

---

(١) لم أَرَهُ فيما عندي مِن « جامعهِ » وقد رواه - بنحوه - البيهقي في « الدعوات الكبير » (٥٠١) بسندٍ فيه جهالةٌ .

(٢) تقدَّم تخريجُه قريبًا .

ونظيرُ هذا مَنْعُهُ منَ الرُّقى بالشركِ ، وإذنُهُ في الرّقيةِ إذا لم تكُن شِركًا[١]، لِمَا فيها منَ المنفعَةِ الخاليَةِ عن المفسدَةِ .

وقد اعْتاصَ هذا الفُرقانُ على أفهامِ كثيرٍ ممَّن غَلُظَ عن معرفَةِ الحقِّ والدِّين حِجابُهُ ، وغَلُظَ عنهُ طبعُهُ ، وكَثُفَ عنهُ فهمُهُ ، فقال : السَّامع إذا سمعَ مثلًا : يا بشارَةُ ، أو : أبشر ، أو : لا تخفْ ، أو : يا نجيح ، ونحوَهُ ، وسمعَ ضدَّ ذلكَ ، فإمَّا أنْ يُوجب الأمران ما يُشاكِلُهما ، وإمَّا أن لا يُوجبا شيئًا ؛ فأمَّا أن يُوجِبَ أحدُهما دونَ الآخَرِ فلا وَجْهَ لهُ ، وهذا مَنْ عَمِيَ عن الهدى وصُمَّ عن سماعِهِ ، وإنَّما تَحْصُلُ الهدايَةُ من أَلفاظِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتُشرِقُ ألفاظُها في صدرِ مَنْ تلقَّاها بالتَّصديقِ والقَبُولِ ، فأذْعَنَ لها بالسَّمعِ والطَّاعَةِ ، وقابَلَها بالرِّضا والتَّسليم ، وعَلِمَ أنَّها منبعُ الهدى ، ومَعِينُ الحقِّ .

ونحنُ - بحمدِ اللَّهِ - نُوضِّحُ لمن اشتبهَ ذلكَ عليهِ فُرقانَ ما بينهما ، وفائدَةَ الفألِ ، ومضرَّةَ الطِّيرَةِ ، فنقولُ :

الفألُ والطِّيرَةُ - وإنْ كانَ مأخذُهما سواءً ومُجتناهما واحدًا - فإنَّهما يختلفانِ بالمقاصدِ ، ويفترقان بالمذاهبِ ، فما كانَ محبوبًا مُسْتَحْسَنًا تفاءلوا به ، وسَمَّوْهُ الفألَ ، وأحبُّوهُ ورَضُوهُ ، وما كانَ مكروهًا مُنفِّرًا تشاءموا به وكرهوه وتطيَّروا منهُ وسَمّوْهُ طيرَةً ؛ تفرقَةً بينَ الأمرين ، وتفصيلًا بين الوجهين .

وسُئِلَ بعضُ الحكماءِ ، فقيلَ لهُ : ما بالكم تكرهون الطِّيرَةَ ، وتُحِبُّونَ الفألَ ؟ فقال : لنا في الفألِ عاجلُ البشرى ، وإنْ قَصُرَ عن الأملِ ، ونَكْرَهُ الطِّيرة لِمَا يلزمُ قلوبَنا من الوَجَلِ .

---

(١) كما رواه مسلمٌ (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأَشجعيّ .

وهذا الفُرقانُ حَسَنٌ جدًّا ، وأحسنُ منهُ ما قالهُ ابنُ الرُّوميِّ في ذلكَ : الفأل لسانُ الزَّمانِ ، والطِّيرَةُ عنوانُ الحَدَثان .

وقد كانَت العربُ تَقْلِبُ الأسماءَ تطيُّرًا وتفاؤلًا ، فيُسمُّونَ اللديغَ سليمًا باسمِ السَّلامَةِ ، وتطيُّرًا مِن اسمِ السَّقم ، ويُسمُّونَ العطشانَ ناهلًا ، أي : سينهلُ - والنَّهَلُ الشربُ - تفاؤلًا باسمِ الرِّيِّ ، ويسمُّونَ الفَلاةَ مفازَةً - أي : منجاةً - تفاؤلًا بالفوزِ والنَّجاةِ ، ولم يُسمُّوها مَهْلَكَةً لأجلِ الطِّيرَةِ .

وكانَت لهم مذاهبُ في تسميَةِ أولادِهِم ، فمِنهم مِن سَمَّوْهُ بأسماءٍ تفاؤلًا بالظَّفَرِ على أعدائهم ، نحوُ غالبٍ وغَلَّابٍ ، ومالكٍ وظالمٍ وعارمٍ ومُنازلٍ ومُقاتلٍ ومُعارِكٍ ومُسْهِرٍ ومُؤَرِّقٍ ومُصْبحٍ وطارقٍ ، ومِنهم مَن تفاءلَ بالسَّلامِ كتسميتِهم بسالمٍ وثابتٍ ونحوِهِ ، ومِنهم مَن تفاءَلَ بنيلِ الحُظوظِ والسَّعادَةِ كسَعدٍ وسعيدٍ وأسعَدَ ومسعودٍ وسُعدى وغانمٍ ونحوِ ذلكَ ، ومِنهم مَن قصدَ التسميَةَ بأسماءِ السِّباع ترهيبًا لأعدائهم نحوُ أسدٍ وليثٍ وذئبٍ وضِرْغامٍ وشبلٍ ونحوِها ، ومِنْهم مَن قصدَ التَّسميَةَ بما غَلُظَ وخَشُن من الأجسام تفاؤلًا بالقوَّةِ كحَجَرٍ وصخرٍ وفِهْرٍ وجندلٍ ، ومِنهم مَن كانَ يخرجُ مِن منزلِهِ وامرأتُهُ تمخضُ فيُسمِّي ما تلدهُ باسمِ أوَّلِ ما يلقاهُ كائنًا من كانَ من سَبُعٍ أو ثعلبٍ أو ضَبٍّ أو كلبٍ أو ظَبْيٍ أو حَشيشٍ أو غيرِهِ ...

وكانَ القومُ على ذلكَ إلى أن جاءَ اللَّهُ بالإسلام ومحمَّدٍ رسولِه ﷺ ، ففرّقَ به بينَ الهُدى والضَّلال ، والغيِّ والرَّشاد ، وبينَ الحَسَنِ والقبيح ، والمَحبوبِ والمكروه ، والضَّارِّ والنَّافعِ ، والحقِّ والباطلِ ، فكره الطِّيرَةَ وأَبْطَلَها ، واستحبَّ الفألَ وحَمِدَهُ ، فقال : « لا طيرَةَ ، وخيرُها الفألُ » ، قالوا : وما

الفألُ ؟ قال : « الكلمَةُ الصَّالحَةُ يسمعُها أحدُكم » .

وقال عبدُاللَّهِ بنُ عبَّاسٍ : لا طيرَةَ ، ولكنَّهُ فألٌ ، والفألُ المُرْسَلُ يسارٌ وسالمٌ ونحوهُ مِن الاسمِ يَعْرِضُ لكَ على غيرِ ميعادٍ .

وسُئلَ بعضُ العلماءِ عن الفألِ ؟ فقال : أن تسمعَ وأنتَ قد أضْلَلتَ بعيرًا أو شيئًا : يا واجدُ ! أو وأنتَ خائفٌ : يا سالمُ !

وقال الأصمعيُّ : سألتُ ابنَ عونٍ عن الفألِ ؟ فقال : أن يكونَ مريضًا فيسمع : يا سالم ، وأُخبِرُكَ عن نَفسي بقضيَّةٍ مِن ذلكَ ، وهي أنِّي أضلَلتُ بعضَ الأولادِ يومَ التَّرويَة بمكَّة وكانَ طفلًا ، فَجَهدْتُ في طلبهِ والنِّداءِ عليهِ في سائرِ الرَّكْبِ إلى وقتِ يومِ الثَّامن ، فلم أَقْدِر لهُ على خبرٍ ، فَأَيِسْتُ منهُ ، فقالَ لي إنسانٌ : إنَّ هذا عجزٌ ، ارْكَبْ ، وادخُلِ الآنَ إلى مكَّة فتطلبُهُ فيها ، فركبتُ فرسًا فما هو إلّا أنِ استقبلتُ جماعَةً يتحدَّثونَ في سوادِ الليل في الطَّريقِ ، وأحدُهم يقولُ : ضاعَ لهُ شيءٌ فلقيهُ ، فلا أدري انقضاءَ كلمتهِ كانَ أسرعَ أو وِجداني الطِّفلَ مع بعضِ أهلِ مكَّة في مَحْمَلةٍ ، عرفتُهُ بصوتهِ .

فقولهُ ﷺ : « ولا طِيرَةَ ، وخيرُها الفألُ » ، يَنْفي عن الفألِ مذهبَ الطِّيرَةِ مِن تأثيرٍ أو فعلٍ أو شركَةٍ ، ويُخَلِّصُ الفَأْلَ منها .

وفي الفرقانِ بينَهما فائدَةٌ كبيرَةٌ ؛ وهي أنَّ التَّطيُّرَ هو التَّشاؤمُ منَ الشيءِ المرئيِّ أو المسموعِ ، فإذا استعلمها الإنسانُ فرجعَ بها مِن سفرهِ وامتنعَ بها ممَّا عزمَ عليهِ فقد قرعَ بابَ الشركِ ، بل وَلَجَهُ وبرىءَ من التَّوكُّل على اللَّهِ ، وفتحَ على نفسهِ بابَ الخوفِ والتَّعلُّقِ بغيرِ اللَّهِ ، والتَّطيُّرِ ممَّا يراهُ أو يسمعُهُ ، وذلكَ قاطعٌ لهُ عن مقامِ ﴿ إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين ﴾ ، و ﴿ اعْبُدْهُ وتوكَّلْ عليهِ ﴾ ،

و ﴿ عليهِ توكَّلْتُ وإليهِ أُنيب ﴾ ؛ فيصيرُ قلبُهُ مُتعلِّقًا بغيرِ اللَّهِ عبادَةً وتوكُّلًا ، فَيَفْسُدُ عليهِ قلبُهُ وإيمانُهُ وحالُهُ ، ويبقى هدفًا لسهامِ الطِّيرَةِ ، ويُساقُ إليهِ من كُلِّ أَوْبٍ ، ويُقيِّضُ لهُ الشيطانُ من ذلكَ ما يُفسِدُ عليهِ دينَهُ ودنياهُ .

وكم مَن هلكَ بذلكَ ، وخَسِرَ الدُّنيا والآخرَة ! فأينَ هذا مِن الفألِ الصَّالحِ السَّارِّ للقلوبِ ، المؤيِّد للآمالِ ، الفاتحِ بابَ الرَّجاء ، المسكِّن للخوفِ ، الرَّابط للجأشِ ، الباعثِ على الاستعانَةِ باللَّهِ والتَّوكُّلِ عليهِ ، والاستبشارِ المُقوِّي لأملِهِ ، السَّارِّ لنفسِهِ ، فهذا ضِدُّ الطِّيرَةِ ؛ فالفألُ يُفْضي بصاحبِهِ إلى الطَّاعَةِ والتَّوحيدِ ، والطِّيرَةُ تُفْضي بصاحِبها إلى المعصيَةِ والشركِ ، فلهذا استَحَبَّ ﷺ الفألَ وأبطلَ الطِّيرَةَ .

وأمَّا حديثُ اللَّقْحةِ ، ومنعُ النَّبيِّ ﷺ حَرْبًا ومرَّةَ مِنْ حَلْبِها ، وإذنُهُ ليعيشَ في حلبها[1] ! فليسَ هذا بحمدِ اللَّهِ في شيءٍ من الطِّيرَةِ ، لأنَّهُ مُحالٌ أن ينهى عن شيءٍ ويُبطلهُ ثمَّ يتعاطاه هو ، وقَد أعاذهُ اللَّهُ سبحانهُ مِن ذلكَ .

قال أبو عُمر[2]: ليسَ هذا عندي من بابِ الطِّيرَة ، لأَنَّهُ مُحالٌ أَنْ ينهى عن شيءٍ ويفعلَهُ ، وإنَّما هو مِن طَلَبِ الفألِ الحسنِ ، وقَد كانَ أَخْبَرهم عن أقبحِ الأسماء أنَّهُ حربٌ ومُرَّةُ ، فأكَّدَ ذلكَ حتى لا يتسمَّى بها أحدٌ .

ثمَّ ساقَ[3] من طريقِ ابن لَهيعَةَ عن جعفرِ بن ربيعَةَ عن ربيعةَ بن يزيدَ عن

---

(١) تقدَّم تخريجُه (ص ٢٨٥) .

(٢) هو ابنُ عبدالبرّ ، والنَّصُّ في « التمهيد » (١٤ / ٧١) له .

(٣) أَي : ابن عبدالبرّ نفسُه .

والحديثُ في « جامع ابن وهب » (ص ٧) قال : أَخبرني ابنُ لهيعةَ .. فذكره .

وهذا سندٌ مُرسلٌ صحيحٌ . =

عبداللَّهِ بن عامرٍ اليَحْصُبي أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « خيرُ الأسماءِ عبدُاللَّهِ وعبدُالرَّحمن ، وأصدقُها الحارثُ وهمَّام ؛ حارثٌ يحرثُ لأبنائِهِ ، وهمَّامٌ يَهُمُّ بالخَيرِ » ، وكانَ يكرهُ الاسمَ القبيحَ ، لأنَّهُ كانَ يتفاءَلُ بالحَسَن من الأشياء .

ثمَّ ساقَ من طريقِ ابنِ وَهْبٍ : حدَّثني ابنُ لهيعَةَ عن الحارثِ بن يزيدَ عن عبدالرَّحمن بن جُبير عن يعيشَ الغِفاريّ ، قال : دعا النَّبيُّ ﷺ يومًا بناقةٍ ، فقال : « مَن يحلبُها » ؟ فقامَ رجل ، فقال : أنا ، فقال : « ما اسمكَ ؟ » قال : مُرَّة ، قال : « اقعد » ، ثمَّ قامَ آخر ، فقال : « ما اسمُك ؟ » قال : « جمرة » ، قال : « اقعد » ، ثمَّ قامَ رجلٌ ، فقال : « ما اسمك ؟ » قال : يعيشُ ، قال : « احلِبْها »[1].

وروى حمَّاد بنُ سلمَة عن حُميدٍ عن بكرِ بن عبداللَّهِ المُزَنيّ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ إذا توجَّهَ لحاجَةٍ يُحِبُّ أَن يسمعَ : يا نَجِيحُ ، يا راشدُ ، يا مبارك[2].

= وأَخرجه - أَيضًا - (ص ٧) من طريق آخَرَ مرسَلًا عن عبدالوهَّاب بن بُخْت .

ويشهدُ له حديثُ أَبي وَهْب الجُشَميِّ عند أَحمد (٤ / ٣٤٥) وأَبي داود (٤٩٥٠) والنَّسائي (٦ / ٢١٨) بسندٍ فيه جهالةٌ .

(١) تقدَّم تخريجه (ص ٢٨٥) .

(٢) علّقه هكذا ابنُ عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ٧٢) .

ورواه الترمذي (١٦١٦) ، والطحاوي في « مُشكل الآثار » (١٨٤٨) من طريق محمَّد ابن رافع النيسابوري ، قال : حدَّثنا أَبو عامرٍ العَقَديُّ ، قال : حدَّثنا حمَّاد بن سَلَمَةَ ، عن حُميد ، عن أَنس ، دون قوله : « يا مبارك ! » .

ورجالُه كلُّهم ثقاتٌ .

وقال الترمذيُّ : « حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ » .

وفي « النكت الظِّراف » (١ / ١٨١) للحافظِ ابن حَجَر ، قال :

« هو معلولٌ ؛ ذكر الحاكمُ في ترجمةِ محمَّد بن رافع مِن « تاريخ نيسابور » أنَّه سأَل =

وقد رُوي من حديثِ بُريدَة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ لا يتطيَّرُ من شيءٍ ، ولكنْ كانَ إذا سألَ عن اسمِ الرَّجل فكانَ حَسَنًا رُؤيَ البشاشةُ في وجههِ ، وإنْ كانَ سيِّئًا رُؤيَ ذلكَ في وجههِ ، وإذا سألَ عن اسمِ الأرضِ ، وكانَ حَسَنًا رُؤيَ ذلك فيه .

قلتُ : الحديثُ رواهُ الإمامُ أحمد في « مسندهِ »(١): حدَّثنا عبدُالصَّمدِ : حدَّثنا هشامٌ ، عن قتادَةَ ، عن عبداللَّهِ بن بُريدَة عن أبيهِ ، قال : كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يتطيَّرُ من شيءٍ ، ولكنَّهُ إذا أرادَ أن يأتي أرضًا ، سألَ عن اسمها ؟ فإنْ كانَ حسنًا رُؤيَ ذلكَ في وجههِ ، وكانَ إذا بعثَ رجلًا سألَ عن اسمهِ ؟ فإنْ كانَ حسنَ الاسم رُؤيَ البِشْرُ في وجههِ ، وإنْ كانَ قبيحًا رُؤيَ ذلكَ في وجههِ .

وقال أبو عُمر(٢): حدَّثنا عبدُالوارثِ : حدَّثنا قاسمٌ : حدَّثنا أحمدُ بن

= محمَّد بن إسماعيلَ عنه ؟ فقال : وجدتُ له عِلَّةً : حُميد ، عن بكر بن عبداللَّه المُزَني - يعني أنَّه مُرسلٌ ، وانقلبَ - ...

(١) (٥ / ٣٤٧ - ٣٤٨) .

ورواه أَبو داود (٣٩٢٠) ، والنَّسائي في « الكبرى » - كما في « تُحفة الأَشراف » (٢ / ٨٩) - ، وابن حبَّان (١٤٣٠) ، والبيهقي في « سننه » (٨ / ١٤٠) ، وفي « الشعب » (٢ / ٦٢) ، وتمَّام في « الفوائد » (١٠٣٢) من طريق قتادةَ بِه .

وحسَّنه الحافظُ في « الفتح » (١٠ / ٢١٥) ، ونقل المُناوي في « فيض القدير » (٥ / ١٨٢) تصحيحَ عبدالحقِّ الإشبيليِّ له .

ويشهدُ له حديثُ ابن عبَّاس : « كان رسول اللَّه ﷺ يتفاءَل ، ويُعجبُه الاسمُ الحَسَن » ، وقد أَخرجه أَحمد (١ / ٢٥٧ و ٣١٩) ، والطيالسي (٢٦٩٠) ، والطبراني (١١٢٩٤) ، وأَبو الشيخ في « أَخلاق النَّبي » (٧٨٠) ، والبغوي في « شرح السنَّة » (٣٢٥٤) بسند فيه ليث بن أَبي سُلَيم .

(٢) « التمهيد » (٢٤ / ٧٣) ، ورواه كذلك - بسنده - في « الاستيعاب » =

زُهَير : حدَّثنا حسين بن حُريث : ثَنَا أَوس بن عبداللَّهِ بن بُرِيدَةَ ، عن الحُسين بن واقد ، عن عبداللَّهِ بن بريدَة عن أبيهِ ، قال : كانَ النَّبيُّ ﷺ لا يتطيَّرُ ، ولكنْ كانَ يتفاءلُ ، فركبَ بُريدَةُ في سبعين راكبًا من أهلِ بيتهِ من بني أسلم ، فتلقَّى النَّبيَّ ﷺ ليلًا ، فقال لهُ النَّبيُّ ﷺ : « من أنتَ ؟ » قال : أنا بريدَة ، فالتفتَ إلى أبي بكرٍ ، قال : « يا أبا بكرٍ بَرَدَ أمرُنا ، وصَلَحَ » ، ثمَّ قال : « ممَّن » ، قال : مِن أسلَمَ ؟ قال لأبي بكرٍ : « سَلِمْنا » ، ثمَّ قال : « ممَّن » ؟ قال : من بني سَهْمٍ قال : « خرجَ سهمُنا » .

قال أحمدُ بن زُهير : قال لنا أبو عمَّار : سمعتُ أَوْسًا يُحَدِّثُ هذا الحديثَ بعدَ ذلكَ عن أخيهِ سَهْلِ بن عبداللَّهِ عن أبيهِ عبداللَّه بن بريدَةَ ، فأعَدتُ ثلاثًا : من حدَّثكَ ؟ قال : سَهْلٌ أخي .

والذي يكشف أمرَ حديثِ اللَّقْحَةِ ما زادَهُ ابنُ وهبٍ في « جامعه »[1] [في] الحديث ، فقال بعدَ أن ذَكَرهُ : فقامَ عمرُ بنُ الخطَّاب ، فقال : أتكلَّمُ يا رسولَ اللَّهِ أم أصمُتُ؟ قال : بل اصمتْ ، وأُخبرك بما أردتَ ، ظنَنْتَ يا عمَرُ أنَّها الطِّيرَةُ ! ولا طيرَ إلّا طيرُه ، ولا خيرَ إلّا خيرهُ ، ولكنْ أُحِبُّ الفألَ الحَسن .

فزالَ بذلكَ تعلُّقُ المُتطيِّرينَ ، ووضحَ أمرُ الحديثِ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

= (١ / ١٨٦) .

ورواه أَبو الشيخ في « أَخلاق النَّبي ﷺ » (٧٨١) وابن عدي في « الكامل » (١ / ٤٠١) .

وفي سنده أَوس بن عبداللَّه بن بُريدة ، وهو ضعيفٌ جدًّا .

(١) انظر ما تقدَّم (ص ٢٨٦) .

ويُمْكِنُ أن يكونَ هذا منهُ ﷺ على سبيلِ التَّأديبِ لأُمَّتِهِ ، لئلّا يتسمَّوا بالأسماء القبيحَةِ ، وليُبادِرَ من أسلمَ منهم ولهُ اسمٌ قبيحٌ إلى إبدالِهِ بغيرِهِ من غيرِ إيجابٍ منهُ ولا إلزامٍ ، ولكنْ لوجهين من الاستحباب :

أحدهما : انتقالُهم عن مذاهبِ آبائهم ومقاصدِ سلفهم الفاسدَةِ القبيحَةِ ، التي يُحْزِنُ بها بعضُهم بعضًا عندَ سماعِها ، ومُوافاةِ أهلها ، ومُخالطتِهم ، ومُفاجأتِهم لِمَا يبقى في ذلكَ مِن آثارِ الطِّيرَةِ الكامنَةِ في الغريزَةِ ، فإنْ سَلِمَ العبدُ منها ، وجاهَدَ نفسَهُ عليها عند لُقيا صاحِبها وسماعِهِ لاسمِ أخيهِ لم يَسْلَمْ من الكَمَدِ وحُزْنِ القلبِ ، وقَد يُؤدِّي ذلكَ إلى البَغْضاءِ وإلى ضربٍ من النَّفْرَةِ والتَّفرقَةِ كالصَّدِيقِ يدعوهُ الصَّديقُ القبيحُ الاسمِ فقد يتمنَّى خاطِرُهُ أنَّهُ لم يصحَبْهُ ولا رآهُ ولا سَمِعَ اسمَهُ ، حتى إذا صاحَ به ودعاهُ ذو الاسمِ الحسنِ ابتهجَ إليهِ ، وأقبلَ عليهِ ، وسُرَّ بصياحِهِ ودعائِهِ لهُ ، لراحَةِ قلبِهِ إلى حُسنِ اسمِهِ ، فقد يدعو البعيدَ مِن قلبِهِ ويُبعدُ الصَّديقَ من نفسهِ من أجلِ اسمِهِ ، فكيفَ بِهِ إذا رآهُ مِن يومِهِ وعَبَّرَ لهُ تَعبيرَ السُّوءِ مِن اشتقاقِ اسمِهِ ! كيفَ يعودُ متمنِّيًا لِفَقْدِهِ في رُقادِهِ ، مُتكرِّهًا للقائِهِ ، مُتطيِّرًا لرؤيتِهِ ؟!

وهذا ضِدُّ التَّوادُدِ والتَّراحُمِ والتَّوالُفِ الذي قصدَ الشارعُ رَبْطَهُ بينَ المؤمنين ، فكره ﷺ لأُمَّتِهِ مقامَها على حالَةٍ يُؤذي بها بعضُهم بعضًا لغيرِ عُذرٍ ولا فائدَةٍ تعودُ عليهم لا في الدُّنيا ولا في الآخرَةِ ، ويُؤدِّي هذا إلى التَّقاطُعِ والتَّنافُرِ مع أنَّهُ ﷺ قَد نَدَبَهُم واستحبَّ لهم إدخالَ السُّرورِ على أخيهِ المسلم ما استطاعَ ، ودَفْعَ الأذى والمكروه عنهُ ، فقال : « لا تقاطَعُوا ، ولا تدابَرُوا ، وكُونوا

عبادَ اللَّهِ إخوانًا ؛ المسلمُ أخو المسلم »[١] .

وقَد أمرهم يومَ الجُمُعَةِ بالغُسلِ والطِّيبِ[٢] عندَ اجتماعِهم لئلّا يُؤْذيَ بعضُهم بعضًا برائحتِهِ التي إنَّما يتجشَّمُها ساعَةً للاجتماعِ ثمَّ يفترقا ، ومنعَ آكلَ الثُّومِ والبَصَلِ من دُخولِ المسجدِ لأجلِ تَأَذّي النَّاسِ والملائكَةِ به[٣]، ومنعَ الاثنين أن يتناجيا دونَ صاحِبِهما خشيةَ تأذِّيه وحزنِهِ[٤]، ومنعَ أحدَهم أن يأكلَ[٥] متاعَ أخيهِ لاعبًا لأنَّ ذلكَ يؤذيهِ .

ومعلومٌ أنَّ ضررَ الاسمِ القبيحِ على كثيرٍ منهم أشدُّ عليهِ عندَ همّه وخروجِهِ من منزلِهِ ورؤيةِ صاحبِهِ في منامِهِ ودعائِهِ له مِن رائحَةِ الثُّومِ والبصلِ ! وهذا من كمالِ رأفتِهِ ورحمتِهِ ﷺ بالمؤمنين وعزَّةِ ما عَنِتُوا عليهِ .

ولهذا - واللَّهُ أعلمُ - غيَّرَ كثيرًا من الأسماء القبيحَة بأحسنَ منها ، وغيَّرَ أسماءً حسنَةً إلى غيرِها خشيَةَ الطِّيرَة والتأذِّي عندَ نَفْيِها والخُروجِ من عندِ المسمَّى ، أو لتضمُّنِها تزكيَةَ النَّفسِ ونحوِها :

فالأوَّلُ : كتغييرِهِ اسمَ الحُبَابِ بن المنذِر بعبدالرَّحمن ، وقال : « الحُبَاب

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) عن أَبي هُريرة .

(٢) كما رواه البخاري (الجمعة / باب الدهن) عن سلمان الفارسي .
وفي الباب عدة أَحاديث .

(٣) كما رواه البخاري (٨٥٤) ، ومسلم (٥٦٤) عن جابرٍ .

(٤) كما رواه البخاري (١٠ / ٦٩) ، ومسلم (٢١٨٤) عن ابن عُمر .

(٥) لفظُ الحديث : « لا يأْخذَنَّ أَحدكم متاعَ صاحِبِهِ لاعبًا ولا جادًّا .. » .
رواه أَحمد (٤ / ٢٢١) ، وأَبو داود (٥٠٠٣) ، والترمذي (٢١٦٠) ، والبخاري في « الأَدب المفرد » (٢٤١) وعَبْد بن حُمَيد (٤٣٧) عن يزيد بن سعيد ، بسندٍ صحيحٍ .

اسمُ الشيطان »[١]، وغيَّرَ أبا مُرَّةَ إلى أبي حُلوَة[٢]، وغيَّرَ أبا العاصِ[٣] إلى مُطيع، وغيَّرَ عاصيَةَ بجميلَة[٤]، وغيَّرَ اسمَ بني الشيطان إلى بني عبدالله[٥]، وغيَّرَ اسمَ أصرَمَ إلى اسمِ زُرعَة[٦]، وغيَّرَ اسمَ حَزَنَ - جَدُّ سعيدِ بن المسيّب - إلى سهلٍ[٧]، فأبى قَبُولَ ذلكَ فلزمهُ مُسمَّى اسمهِ منَ الحُزونَةِ لهُ ولذريَّتِهِ.

وقال أبو داودَ [٨] : وغيَّرَ النَّبيُّ ﷺ اسمَ العاص وعَزِيز [٩] وعَتَلَة [١٠]

(١) أَخرجه ابن أَبي شيبة (٨ / ٦٦٤) وعبدالرزَّاق (١١ / ٤٠) من طريقين مُرسَلَيْنِ .

(٢) ذكره الفاكهي في « كتاب مكَّة » من طريق ابن جُرَيج ، كذا في « الإِصابة » (٧ / ٩٣) .
وهذا إِسنادٌ مُرْسَلٌ .

(٣) رواه مسلم (١٧٨٢) عن مُطيع .

(٤) رواه مسلم (٢١٣٩) عن ابن عُمر .

(٥) رواه أَحمد (٤ / ٣٥٠) بسندٍ حسَّنه الحافظُ ابنُ حجر في « الإِصابة » (٤ / ٢٠٩) وفيه اسمُ (شيطان) لا (بني شيطان) ، واللّٰه أَعلم .
(تنبيه) : وقع في مطبوعة « المسند » سقطٌ ، يُصحّح من « أَطْراف المُسْنِدِ المعتلي .. » (٤ / ١١٩) للحافظ ابن حجر .

(٦) رواه أَبو داود (٤٩٥٤) بسندٍ صحيحٍ .

(٧) تقدَّم تخريجه .

(٨) في « سننه » (٥ / ٢٤١) .
وانظر « معالم السنن » (٤ / ١٢٧) للخطَّابي ، و « تهذيب السنن » (٧ / ٢٥٥) للمؤلِّف .

(٩) غيَّره إِلى (عبدالرحمن) كما في « المسند » (٤ / ١٧٨) و « طبقات ابن سعد » (٦ / ٢٨٦) ، والحاكم (٤ / ٢٧٦) ، وابن أَبي شيبة (٨ / ٦٦٣) ، وابن حبَّان (٥٨٢٨) بسند صحيح .

(١٠) رواه الطبراني في « الكبير » (١٧ / رقم : ٢٩٦ و ٣٠٠) ، وقال الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٥٣) : « رواه الطبراني من طرق ، ورجال بعضها ثقات » .

والشيطان والحَكَم[١] وغراب[٢] وحُبَاب ، وشهاب[٣] فسمَّاهُ هشامًا ، وسمَّى حَرْبًا سَلْمًا[٤]، وسمَّى المضطجعَ المنبعثَ[٥]، وأرضًا اسمُها عَفِرة سمَّاها خَضِرَة[٦] ، وشِعْبَ الضَّلالَة سمَّاهُ شِعْبَ الهُدى[٧] ، وبنو الزِّنْيَةِ سمَّاهم بني

(١) رواه ابنُ أَبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٥٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » - كما في « المجمع » (٨ / ٥٤) ، وقال : رجاله ثقات إِنْ شاء اللَّه - .

وانظر « الإِصابة » (٢ / ١٠٢) .

(٢) رواه البخاري في « تاريخه » (٤ / ١ / ٢٥٢) وفي « الأَدب المفرد » (٨٢٤) بإِسنادٍ فيه جهالةٌ .

وانظر - لزيادة الفائدة - « ضعيف الأَدب المفرد » (رقم ١٣٤) لشيخنا العلَّامة الأَلباني .

(٣) رواه الطيالسي (١٥٠١) ، والبخاري في « الأَدب المفرد » (٨٢٥) ، والحاكم (٤ / ٢٧٦) ، وابن حبَّان (٥٨٢٣) بسند حسن .

(٤) قال الحافظُ في « الإِصابة » (٣ / ١٣٧) : « سَلْم ، غير منسوب ، ذكره أَبو داود في « السُّنن » بغير إِسناد أَنَّ النَّبي ﷺ غيَّر اسمَ رجل كان اسمه حَرْبًا ، فقال : أَنت سَلْم » .

(٥) « أَخرجه أَبو داود في كتاب « الكُنى » عن عائشةَ بسندٍ صحيح » ، كما في « الإِصابة » (٦ / ٢١٠) .

(٦) رواه الطبراني في « الصَّغير » (٣٤٩) عن عائشة .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٥١) : « ورجاله رجال الصحيح » !

قلتُ : وشريكٌ النَّخَعي فيه كلامٌ مشهورٌ .

وقد خالَفَه ثقاتٌ فرَوَوا الحديثَ بالسَّند الصحيح ، فجعلوا الاسمَ المُغَيَّر (غَدِرة) : رواه ابن حبَّان (٥٨٢١) ، وأَبو يعلى (٤٥٥٦) ، والطبراني في « الأَوسط » (٣٠٧٥ - مجمع البحرين) .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٨ / ٥١) : « رجال أَبي يعلى رجال الصحيح » .

وانظر « النهاية » (٣ / ٣٤٥) ، و « معالم السنن » (٤ / ١٢٨) ، و « جامع الأُصول » (١ / ٣٧٦) .

(٧) رواه عبدالرزَّاق (١١ / ٤٣) عن عُروة مُرسلًا .

الرُّشْدة[١]، وسمَّى بني مُغْوية بني رِشْدَة[٢].

قال أبو داودَ : تركتُ أسانيدَها للاختصار .

وقال مسروقٌ : لقيتُ عُمرَ ، فقال : مَن أنتَ ؟ فقلتُ : مسروقُ بنُ الأجدعِ ، فقال عُمَرُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « الأجدعُ شيطانٌ »[٣].

وأمَّا الثَّاني : ففي « صحيح مُسلم »[٤] عن سَمُرَة قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تُسمِّيَنَّ غلامَكَ يَسَارًا ولا رَباحًا ولا نَجِيحًا ولا أفلحَ ، فإنَّكَ تقولُ : أثَمَّ هو ؟ فيُقالُ : لا » ، وغيَّرَ اسمَ بَرَّة بزينبَ[٥]، وكرهَ أن يُقال : خرجَ من عندِ بَرَّة[٦] .

---

(١) رواه ابنُ سعد (١ / ٢٩٢) ومِن طريقه ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٨ / ق ٥٩١) عن الواقدي بسنده المرسل !

والواقدي متروكٌ !!

ولكنْ رواه ابنُ أَبي شيبة (١٢ / ٢٠٥) ، وابن الضُّرَيْس - كما في « الدر المنثور » (٦ / ٣١٤) - بسند آخر مرسلًا أَيضًا .

(٢) رواه عبدالرزَّاق (١١ / ٤٣) مرسلًا .

ورواه ابنُ سعد (١ / ٣٣٣) عن هشام بن محمَّد بن السَّائب الكلبي - المتروك - عن أَبي عبدالرحمن المدني ، فذكره .

وهذا إِسنادٌ مُعْضَلٌ .

(٣) رواه أَحمد (٢١١) ، وأَبو داود (٤٩٥٧) ، وابن ما جه (٣٧٣١) ، والحاكم (٤ / ٢٧٩) ، وابن أَبي شيبة (٨ / ٦٦٥) ، والبزَّار (٣١٨) بسندٍ فيه مُجالدُ بنُ سعيد ، وهو ضعيفٌ .

(٤) (برقم : ٢١٣٧) .

(٥) رواه البخاري (٦١٩٢) ، و مسلم (٢١٤١) عن أَبي هريرة .

(٦) رواه مسلم (٢١٤٠) عن ابن عبَّاس .

وأمَّا الثَّالث : فكتغييرِهِ أبا الحَكَم بأبي شُريح[١]، وتغييرِهِ أيضًا برَّة بزينب، وقال : « لا تُزكُّوا أنفسَكم » ، فروى مسلمٌ في « صحيحِهِ »[٢] عن محمَّد بن عَمْرو بن عطاء أنَّ زينَب بنتَ أبي سلمةَ سألَتْهُ : ما سمَّيتَ بنتَك ؟ قال : سمَّيتُها برَّة ، فقالت : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهى عن هذا الاسمِ ، وسمّيْت برَّةَ ! فقال النَّبيُّ ﷺ : « لا تُزكُّوا أنفسكم ، اللَّهُ أعلم بأهلِ البرِّ منكم » ، فقالوا : ما نُسمِّيها ؟ قال : « سمُّوها زينَب » .

ومِن هذا ما في « الصَّحيحين »[٣] عن أبي هُريرة عن النَّبيِّ ﷺ : « إنَّ أخنعَ اسمٍ عندَ اللَّهِ يومَ القيامَة رجلٌ تسمَّى ملكَ الأملاكِ ، لا مالكَ إلّا اللَّه » ، وقال سفيان بن عُيَينة : مثلَ شاهان شاه .

وذكرَ ابن وهبٍ[٤] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بغلامٍ ، فقال : « ما سمَّيتُم هذا ؟ » ، قالوا : السَّائب ، فقال : « لا تسمُّوهُ السَّائب، ولكنْ سَمُّوهُ عبدَاللَّهِ » ، قال : فَغُلِبوا على اسمهِ ، فلم يَمُتْ حتى ذهبَ عقلُهُ .

فإنْ قيلَ : فقد كانَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ غُلامٌ اسمهُ رَبَاحٌ[٥] ، وكانَ لأبي

---

(١) رواه أَبو داود (٢٩٥٥) ، والنَّسائي (٨ / ٢٢٦) ، والبخاري في « الأَدب المفرد » (٨١١) ، والبيهقي (١٠ / ١٤٥) عن هانئ بن يزيد بسند صحيح .

(٢) (برقم : ٢١٤٢) .

(٣) رواه البخاري (٦٢٠٥) ، ومسلم (٢١٤٣) .

(٤) في « جامعه » (ص ٧) ، قال : « أَخبرني ابنُ لهيعة ، عن ابن أَبي حبيب أَنَّ رسولَ اللَّه ... فذكره .

وهذا سندٌ مُعْضَلٌ .

(٥) كما في « صحيح مسلم » (١٤٧٩) .

وانظر « الفخر المتوالي » (٤٤) للسخاوي ، والتعليق عليه .

أيُّوبَ غُلامٌ اسمهُ أفلح ، ولعبداللّهِ بن عُمر غُلامٌ اسمهُ رباحٌ !

قيلَ : هذا النَّهيُ من النَّبيِّ ﷺ لم يكُن على وجهِ العزيمَةِ والحَتْمِ ، ولكنْ كانَ على جهَةِ الكراهَةِ ، والدَّليلُ عليهِ ما رَوى البُخاريُّ في « صحيحهِ »[1] عن سعيد بن المسيّب عن أبيهِ عن جدِّهِ حَزْن ، أنَّهُ أتى النَّبيَّ ﷺ فقال لهُ : « ما اسمك ؟ » قال : حَزْنٌ، فقال : أنتَ سَهْلٌ ، قال : لا أُغيِّرُ اسمًا سمَّانيهِ أبي ، فلم يُنكر عليهِ النَّبيُّ ﷺ ، ولا أَخْبَرَهُ أنَّ ذلكَ معصيَةٌ ، بل سكتَ عنهُ ، وكذلكَ لمّا غيَّرَ اسمَ السَّائب ، فأبوا تغييرَهُ لم ينكر عليهم .

وأيضًا فروى مُسلِمٌ في « صحيحهِ »[2] من حديثِ أبي الزُّبير عن جابر ، قال : أرادَ النَّبيُّ ﷺ أن ينهى أن يسمَّى بيَعلى وبركَة وأفلحَ ويَسَارٍ ونافعٍ ونَحو ذلكَ ، ثمَّ رأيتُهُ سكت بعدُ عنها ، فلم يَقُلْ شيئًا ، ثمَّ قُبضَ ولم يَنْهَ عن ذلكَ ، ثمَّ أرادَ عمرُ رضيَ اللّهُ عنهُ أن ينهى عن ذلكَ ثمَّ تركهُ .

ورأيتُ لبعضهم في الفَرْقِ بينَ الفألِ والطِّيرَةِ كلامًا ، ما أذكرُهُ بلفظهِ ، قال : أمَّا ما رُويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يتفاءل ولا يتطيَّر ، فهما وإنْ كانَ معناهما واحدًا في الاستدلالِ ، فبينهما افتراقٌ ؛ لأنَّ الفألَ إبانَةٌ ، والتَّطيُّر استدلالٌ ، والإبانَةُ أكثر وأشهرُ وأوضح وأفصحُ ، لأنَّ من كانَ في قلبهِ وضميرهِ شيءٌ فسمعَ قائلًا يقول : أقبلَ الخيرُ ، وامضِ بسلامٍ ، أو : أبشر ، أو نحوِ ذلكَ فقد اكتفى بما سمعَ من الاستدلالِ ، والذي يَرى طائرًا يصيحُ أو ينوحُ فليسَ معهُ إلّا الاستدلالُ على اليُمْنِ بالسَّانحِ ، والشُّؤمِ بالبارحِ ! وهذا أمرٌ قَد يكونُ ، وقد لا

---

(١) تقدَّم .

(٢) (برقم : ٢١٣٨) وفيه تصريحُ أَبي الزُّبير بالسَّماع من جابرٍ .

يكونُ ، وذلكَ الفألُ في الأعمِّ يكونُ .

وقال آخَرون : إنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكُن يتطيَّر ، أيْ : لم يكن يُسْنِدُ الأمورَ الكائنَةَ منَ الخيرِ والشرِّ إلى الطَّيْرِ كما يفعلُ الكَهَنَةُ .

وقال آخَرون : إنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا جلسَ مع أصحابهِ فتكلَّمَ أحدُهم بخيرٍ أو سمعَ مَنْ تكلَّمَ حضَّهم عليهِ وعرَّفهم به ، ومعلومٌ أنَّهُ لا بُدَّ لطائرٍ أن يَمُرَّ سانحًا أو بارحًا أو قعيدًا أو ناطحًا ، فلا يُوقِفُهم عليهِ ولا يُعَرِّفُهم بهِ ، إذ ذلكَ من فعلِ الكُهَّانِ ، وكانَ الحديثُ المرويُّ عنهُ ﷺ أنَّهُ كانَ يتفاءلُ ولا يتطيَّرُ من هذا المعنى .

وقَد أغنى اللَّهُ رسولَهُ ﷺ بإخبارهِ إيَّاه ، وبإرسالِ جبريلَ إليهِ بما يُحْدِثُهُ سبحانهُ منَ الاستدلالِ على أحداثهِ بالأشياء التي ينظُرُ فيها غيرُهُ ؛ تفرقَةً منهُ سبحانهُ بينَ النبوَّةِ وغيرها .

فإنْ قيلَ : فهذا الذي نزلَ بهذين الرَّجلين ، وهما السَّائبُ وحَزْنٌ ، هل كانَ مِن أجلِ اسميهما أم من جهَةِ غيرِ الاسمِ ؟

قيل :قَد يَظُنُّ مَن لا يُنعِمُ النَّظرَ أنَّ الذي نزلَ بهما هو من جهَةِ اسميهما ، ويُصحِّحُ بذلك أمرَ الطِّيرَةِ وتأثيرَها ، ولو كانَ ذلكَ كما ظَنُّوهُ لَوَجبَ أن ينزلَ بجميعِ مَن تسمَّى باسميهِما مِن أوَّلِ الدَّهرِ ، ولكانَ اقتضاءُ الاسمِ لذلكَ كاقتضاءِ النَّارِ الاحراقَ والماءِ التَّبريدَ ونحوهِ ، ولكنْ يُحْمَلُ ذلكَ - واللَّهُ أعلم - على أنَّ الأمرين الجاريَيْنِ عليهما قَد تقدَّما في أُمِّ الكتابِ ، كما تقدَّمَ لهما - أيضًا - أنَّ يتسمَّيا باسميهما إلى أَنْ يختارَ لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ غيرَهما فيرغبونَ عن اختيارهِ ، ويتخلَّفونَ عن استجابَتهِ ، فَيُعاقَبانِ بما قَد سبقَ لهما عُقُوبَةً

تُطابِقُ اسمَيهما ، ليكونَ ذلكَ زاجرًا لمن سواهما .

وقد يكونُ خوفُهُ ﷺ على أهلِ الأسماء المكروهَةِ أيضًا مِن مثلِ هذه الحوادثِ ، إذ قَد ينزلُ بالإنسانِ بلاءٌ مُشَبَّهٌ بما في اسمهِ ، فَيَظُنُّ هو أو جميعُ مَن بَلَغهُ أنَّ ذلكَ كانَ من أجلِ اسمِه عادَ عليهِ بشؤمهِ ! فَيَعْصي اللَّهَ عزَّ وجلَّ .

وقد كرهَ قومٌ منَ الصَّحابَةِ والتَّابعين أن يُسَمُّوا عبيدَهم عبدَاللَّهِ أو عبدالرَّحمن أو عبدَالملكِ ، ونحوَ ذلكَ مخافَةَ أن يُعْتِقَهم ذلكَ ؛ قال سعيدُ بن جُبير : كنتُ عندَ ابنِ عبَّاس سَنَةً لا أُكلِّمهُ ولا أعرفهُ ، ولا يعرفُني ، حتى أتاهُ يومًا كتابٌ من امرأةٍ من أهلِ العراقِ ، فدعا غِلْمانَهُ فجعلَ يُكَنِّي عن عُبيداللَّهِ وعبداللَّهِ وأشباهِهِم ، ويدعو : يا مِخراقُ ! يا وثَّاب !

وروى أبو مُعاويَةَ عن الأعمش عن إبراهيم ، قال : كانوا يكرهون أن يُسَمِّيَ الرَّجلُ غلامَهُ عبداللَّهِ مَخافَةَ أنَّ ذلكَ يُعْتِقُهُ .

وروى مغيرَةُ عن أبي مَعْشَرٍ عن إبراهيم أنَّهُ كرهَ أن يُسَمِّي مملوكَه عبدَاللَّهِ وعبدَالملكِ وعبدَ الرَّحمن وأشباهَهُ مخافَةَ العتقِ .

قال بعضُ أهلِ العلمِ : كراهتُهم لذلكَ نظيرُ ما كَرِهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن تسميَةِ المماليك برباحٍ ونافعٍ وأفلحَ ؛ لأنَّ ذلكَ كانَ منهُ ﷺ حَذَرًا مِن أن يُقال : أها هُنا نافعٌ ؟ فيقال : لا ، أَو : ثَمَّ أفلحُ ؟ فيقال : لا ، أو : بركةُ أو : يسارٌ أو : رباحٌ ، فيُقال : لا ، ومعلومٌ أنَّ السَّائلَ عن إنسانٍ اسمُهُ أفلحُ أو نافعٌ أو رباحٌ هل هو في مكانِ كذا ؟ إنَّما مسألتُهُ تلكَ عن مسمَّى شخصٍ من أشخاصِ بني آدمَ سُمِّي باسمٍ جُعِلَ عليهِ دليلًا يُعْرَفُ بهِ إذا ذُكِرَ ، إذا كانَت الأسماءُ العَوَادي[1]

(١) مفردُها (عادي) وهو الشَّيء القديم .

المُفرِّقَةُ بينَ الأشخاصِ المتشابهة إنَّما هي أدلَّةٌ على المسمَّين بها ، لا مسألةٌ عن شخصٍ صفتُهُ النَّفعُ والفلاحُ والبركَةُ .

وذلكَ من كراهتِهِ ﷺ نظيرُ كراهتِهِ تسميَةَ تلكَ المرأةِ برَّة ، فَحَوَّلَ اسمَها جُويرية ، وتحويله اسمَ أرضٍ كانَ اسمها عَفِرَة فردَّها خضِرَة، ونحو ذلكَ كثيرٌ .

ومعلومٌ أنَّ تحويلَهُ ما حوَّلَ من هذه الأسماءِ عمَّا كانَ عليهِ لم يكُن لأنَّ التَّسميَةَ بما كانَ المسمَّى به منهم مسمَّىً قبلَ تحويلِهِ ذلكَ كانَ حرامَ التَّسميَة ، ولكنْ كانَ ذلكَ منهُ على وجهِ الاستحبابِ واختيارِ الأحسنِ على الذي هو دونهُ في الحُسنِ ، إذ كانَ لا شيءَ في القبيحِ منَ الأسماءِ إلّا وفي الجميلِ الحسنِ منها مثلُهُ منَ الدَّلالَةِ على المسمَّى به مع تَخَيُّرِ الأحسن بفضلِ الحُسنِ والجمالِ من غيرِ مُؤنَةٍ تَلْزَمُ صاحبَهُ بسببِ التَّسمِّي .

وكذلكَ كراهَةُ مَن كَرِهَ تسميَةَ مملوكِهِ عبدَاللَّهِ وعبدَ الرَّحمن ، إنَّما كانَت كراهَةُ ذلكَ حَذَرًا أن يُوجِبَ ذلك لهُ العِتْقَ ، ولا شكَّ أنَّ جميعَ بني آدمَ عبيدُاللَّهِ - أحرارُهم وعبيدُهم - وصفهم بذلكَ واصفٌ أو لم يصِفْهم ، ولكنَّ الذين كرهوا التَّسميَة بذلكَ صَرَفوا هذه الأسماءَ عن رقيقِهم لئلّا يقعَ اللَّبْسُ على السَّامع بذلكَ مِن أسمائهم ، فيُظَنُّ أنَّهم أحرارٌ ، إذ كانَ استعمالُ أكثرِ النَّاس التَّسميَةَ بهذه الأسماء في الأحرارِ ، فتجنَّبوا ذلكَ إلى ما يُزيلُ اللَّبْسَ عنهم من أسماءِ المماليك ، واللَّهُ أعلمُ .

□□□□□

١٧٢ - فَصْلٌ

[أجوبة على شبهات]

وأمَّا الأثرُ الذي ذكرهُ مالكٌ عن يحيى بن سعيدٍ أنَّ عُمر بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنهُ قال لرجلٍ : ما اسمك ؟ قال : جمرَة ... الحديث إلى آخرهِ[١]!

فالجوابُ عنهُ أنَّهُ ليسَ - بحمدِ اللَّهِ - فيهِ شيءٌ من الطِّيرَةِ ، وحاشا أميرَ المؤمنين رضيَ اللَّهُ عنهُ مِن ذلكَ ، وكيفَ يتطيَّرُ وهو يعلمُ أنَّ الطِّيرَةَ شِركٌ مِنَ الجِبتِ ، وهو القائلُ في حديثِ اللَّقْحَة ما تقدَّمَ ، ولكنّ وجهَ ذلكَ - واللَّهُ أعلم - أنَّ هذا القولَ كانَ منهُ مُبالغَةً في الإنكارِ عليهِ لاجتماعِ أسماءِ النَّار والحريقِ في اسمهِ واسمِ أبيهِ وجَدِّهِ وقبيلتهِ ودارهِ ومسكنهِ ، فوافقَ قولُهُ : « اذهَب فقَد احترقَ منزلكَ » قَدَرًا .

ولعلَّ قولَهُ كانَ السَّببَ ، وكثيرًا ما يجري مثلُ هذا لمَن هو دونَ عُمَرَ بكثيرٍ ، فكيفَ بالمُحَدَّثِ المُلْهَم[٢] الذي ما قالَ لشيءٍ : إنِّي لأظنُّهُ كذا ! إلّا كانَ كما قال ، وكانَ يقول الشيءَ ويشيرُ به ، فينزلُ القرآنُ بمُوافقتهِ ، فإذا نزلَ الأمرُ الدِّينيُّ بموافقَةِ قولهِ فكذلكَ وقوعُ الأمرِ الكونيِّ القدريِّ مُوافقًا لقولهِ ؛ ففي « الصَّحيحين »[٣] عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ كانَ يقولُ :

---

(١) تقدَّم تخريجه في (٢ / ١٤١) ، وانظر (ص ٢٨٦) من هذا الجزء .

(٢) انظر ما تقدَّم في (٢ / ١٨٠ - ١٨١) .

(٣) هو في « صحيح مُسلمٍ » (٢٣٩٨) عن عائشة .
وقارن بـ « جامع الأُصول » (٨ / ٦٠٩ - ٦١٠) .
نَعَم ؛ رواه البخاري (٣٤٦٩) و (٣٦٨٩) لكنْ عن أَبي هُريرة .

« قَد كانَ في الأُممِ قبلَكم مُحَدَّثون ، فإنْ يكُنْ في أُمَّتي أحدٌ منهم فعُمَرُ بن الخطَّاب » ، رضيَ اللَّهُ عنهُ .

قال ابنُ وَهْبٍ : تفسيرُ « مُحَدَّثون » : مُلْهَمون .

وفي « صحيح البخاري »[1] عن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد كانَ فيمَن كانَ قبلَكم من بني إسرائيل رجالٌ يَعْلَمُون من غيرِ أن يكُونوا أنبياء ، فإنْ يكُن في أُمَّتي منهم أحدٌ فعُمَرُ » .

وفي « الصَّحيحين »[2] عن عُمرَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال : « وافَقْتُ ربِّي في ثلاثٍ : في مقامِ إبراهيم ، وفي الحِجاب ، وفي أُسارى بدرٍ » .

وفي « صحيح البُخاري »[3] عن أنسٍ قال : قال عُمر : وافَقَني اللَّهُ في ثلاثٍ ، أو : وافَقَني ربِّي في ثلاثٍ ، قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لو اتَّخَذتَ مقامَ إبراهيمَ مصلًّى ، وقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ يدخلُ عليكَ البَرُّ والفاجرُ ، فلو أمرتَ أُمَّهاتِ المؤمنين بالحجاب ، فأنزلَ اللَّهُ آيَةَ الحجاب ، وبَلَغني مُعاتبةُ النَّبيّ ﷺ بعضَ نسائهِ فدخلتُ عليهنَّ ، فقلتُ : إنِ انتهيتنَّ أو لَيُبدلنَّ اللَّهُ رسولَهُ خيرًا منكنَّ ، حتى أتيت إحدى نسائهِ ، فقالت : يا عمر أَمَا في رسولِ اللَّهِ ما يعظُ نساءَهُ حتى تَعِظَهُنَّ أنتَ ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ عَسى ربُّهُ إنْ طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ أزواجًا خَيرًا منكنَّ ﴾ [التحريم : ٥] .

وفي « الصَّحيحين »[4] أنَّهُ لمَّا قامَ ﷺ لِيُصَلِّي على عبداللَّهِ بن أُبَيّ ابن

---

(١) (برقم : ٣٤٦٩) .

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٠) من حديثِ ابن عُمر عن عُمر .

وانظر الحديثَ بعدَه .

(٣) رواه البخاري (٤٤٨٣) من حديث أَنس عن عُمر .

(٤) رواه البخاري (٤٦٧٠) ، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عُمر .

سَلُولٍ رأسِ المنافقين قام عُمَرُ فأخذَ ثوبَهُ ، وقال : يا رسول اللَّهِ أتُصلِّي عليهِ وقد نهاكَ اللَّهُ أن تُصلِّي عليهِ ! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّما خيَّرني اللَّهُ ، فقال : ﴿ استغْفِرْ لهم أو لا تستغفِرْ لهم إنْ تستغفِرْ لهم سبعينَ مرَّةً فلن يغفرَ اللهُ لهم ﴾ [التوبة : ٨٠] ، وسأزيدُ عن السَّبعين » ، وصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبدًا ولا تقُم على قبرهِ ﴾ [التوبة : ٨٤] ، فتركَ الصَّلاةَ عليهم .

فإذا كانَت هذه موافقَةَ عُمَرَ لربِّهِ في شرعهِ ودينهِ ، وينطقُ بالشيءِ فيكون هو المأمورَ المشروعَ ، فكذلك لا يَبْعُدُ موافقتُه له تعالى في قضائِه وقَدَرهِ ، وينطقُ بالشيء فيكون هو المقضيَّ المقدورَ ، فهذا لونٌ والطِّيرَةُ لونٌ .

وكذلكَ جَرى لهُ تطيُّرٌ مع رجل آخَر سألهُ عن اسمهِ ؟ فقال : ظالمٌ ، فقال : ابنُ مَن ؟ قال : ابنُ سارقٍ ، قال : تظلمُ ويسرقُ أبوك !

وذكرَ المدائنيُّ عن أبي صُفرَةَ - وهو أبو المُهلَّب - أنَّهُ ابتاعَ سِلْعَةً بتأخيرٍ من رجلٍ من بني سعدٍ ، فأرادَ أن يُشهِدَ عليهِ ، فقال لهُ : ما اسمكَ ؟ قال : ظالمٌ ، قال : ابن من ؟ قال : ابنُ سَرَّاقٍ ، قال : لا واللَّهِ لا يكونُ عليكَ شيءٌ أبدًا .

□□□□□

١٧٣ - فَصْلٌ
[محبةُ النبيّ ﷺ للتيمُّن]

وأمَّا محبَّةُ النَّبيِّ ﷺ التَّيمُّنَ في تنعُّلِهِ وترجُّلِهِ وطَهُورِهِ وشأنِه كُلِّهِ ، فليسَ هذا من بابِ الفألِ ، ولا التَّطيُّرِ بالشمال في شيءٍ ، ولكنْ تفضيلُ اليمينِ على الشمالِ ، فكانَ يُعجِبُهُ أن يُباشِرَ الأفعالَ التي هي من بابِ الكرامَةِ باليمين ، كالأكلِ والشربِ والأخذِ والعَطَاء[1]، وضدَّها بالشمالِ كالاستنجاءِ وإمساكِ الذَّكَرِ وإزالَةِ النَّجاسَةِ ، فإنْ كانَ الفعلُ مُشْتَرَكًا بينَ العضوين بدأ باليمين في أفعالِ التَّكريم وأماكنِهِ كالوضوء ودخولِ المسجد ، وباليسار في ضدِّ ذلك ، كدخولِ الخلاءِ والخُروجِ من المسجد ونحوِهِ .

واللَّهُ تعالى فضَّلَ بعضَ مخلوقاتِهِ على بعضٍ ، وفضَّلَ بعضَ جوارحِ

---

(١) وكذا التسبيح ، ويدلُّ عليه - خُصوصًا - حديثُ « كان يعقد التسبيحَ **بيمينه** » ؛ رواه أَبو داود (١٥٠٢) ، والترمذي (٣٥٥٣) ، والحاكم (١ / ٥٤٧) بسندٍ حسّنه الحافظُ ابنُ حجر في « أَمالي الأذكار » (ق ١٨ / أ) ، ووافَقَه شيخُنا الأَلباني في تعليقِهِ على « الكلم الطيِّب » (ص ٦٩) لشيخ الإِسلام ابن تيميَّة .

ومَن حكم على زيادة « **بيمينه** » بالشذوذ من عُلماءِ عصرنا ، فهو اجتهادٌ منه ، له عليه - إن شاء اللهُ - أجرٌ واحدٌ !

وقد قال النوويُّ في « شرح مسلم » (١ / ٥٥٣) : « هذه قاعدةٌ مُستمِرَّةٌ في الشرع ؛ وهي أَنَّ ما كان مِن باب التشريف والتكريم .. يُسْتَحَبُّ التيامُنُ فيه ، وأَمَّا ما كان بضدِّه .. فيُسْتَحَبُّ التياسُرُ فيه ، وذلك كلُّه بكرامةِ اليمين وشرفِها » .

وانظر « فتح الباري » (١ / ٢٧٠) .

واللَّهُ الموفِّقُ للصوابِ والسَّداد .

الإنسانِ وأعضائهِ على بعضٍ ، ففضَّلَ العينَ على الكعبِ ، والوَجهَ على الرِّجلِ ، وكذلكَ فضَّلَ اليَد اليمينَ على اليسارِ ، وخَلَقَ خَلْقَهُ صنفينِ سُعداءَ وجعلَهم أصحاب اليمين ، وأشقياء وجعلهم أصحابَ الشمال ، وقال النَّبيُّ ﷺ : « المُقْسِطون عندَ اللَّهِ على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرَّحمنِ ، وكلتا يديهِ يمينٌ ؛ الَّذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وما وَلُوا »[1].

وفي « الصَّحيح »[2] عنهُ ﷺ لمّا أُسرِيَ به : « رأى آدمَ في سماءِ الدُّنيا وإذا عن يمينهِ أَسْوِدَةٌ ، وعن يسارهِ أَسْوِدَةٌ ، فإذا نظرَ قِبَلَ يمينهِ عنه ، ضحكَ ، وإذا نظرَ قِبَلَ شمالهِ بكى ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا آدمُ ، وهذه الأَسْوِدَةُ عن يمينهِ ويسارهِ بنوه ، فأهلُ اليمين أهلُ السَّعادَة مِن ذريَّتهِ ، وأهلُ اليسارِ أهلُ الشقاوةِ » .

وفي « المُسند »[3] عن عائشة ، قالت : كانَت يدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ اليمينُ

---

(١) تقدَّم تخريجه في (٢ / ٤٤٣) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) عن أَنس .

(٣) (٦ / ٢٦٥) .

ورواه أَبو داود (٣٤) - أَيضًا - كلاهما بالسَّند عن الأَسود عن عائشةَ .

ولكنْ ؛ رواه أَحمد (٦ / ١٧٠ و ٢٦٥) ، وأَبو داود (٣٣) من طريقين عن إبراهيم عن عائشة .

وإبراهيمُ هو النَّخعي ؛ أُدخِلَ على عائشةَ وهو صبيٌّ ، ولم يسمع منها شيئًا ، كما في « المراسيل » (٩ - ١٠) لابن أَبي حاتمٍ .

وللحديث شاهد في « المسند » (٦ / ١٦٥) من طريق الأَعمش ، عن رجل ، عن مسروق عن عائشة .

وفيه إبْهامُ الرجل .

ويشهدُ له حديثُ حفصةَ الآتي . =

لِطُهُورِهِ وطعامِهِ ، وكانَت يدُهُ اليُسرى لخلائِهِ وما كانَ من أَذىً .

وفي « المُسند »[١] أيضًا و « سنن أبي داود » عن حَفْصَةَ بنت عُمَرَ زوجِ النَّبيِّ ﷺ كانَ يجعلُ يمينَهُ لطعامِهِ ، ويجعلُ شمالَه لما سوى ذلكَ .

وقال أحمد[٢]: كانَت يمينهُ لطعامِهِ وطهورِهِ وصلاتِهِ وشأنِهِ ، وكانت شمالُهُ لِمَا سوى ذلك .

□□□□□

= ويشهدُ له شهادةً عامَّةً - حديثُ عائشة المُتَّفق على صحَّتِه ، المتقدم (ص ؟؟؟؟؟) .

(١) رواه أَحمد (٦ / ٢٨٧) ، وأَبو داود (٣٢) ، والطبراني في « الكبير » (٢٣ / رقم ٣٤٧) ، والبيهقي (١ / ١١٣)، وابن حبَّان (٥٢٢٧)، وأَبو يعلى في « مسنده » (٧٠٤٢) ، وفي « المعجم » (٣٢) من طريق حارثة بن وهب الخُزاعي ، عن حفصة .

وسندُهُ حسنٌ لحال عاصم بن أَبي النَّجود .

(٢) هي روايةٌ في « المسند » (٦ / ٢٨٦ ، ٢٨٧) من طريق عاصم بن أَبي النَّجود ، لكنْ قال : عن سواء الخُزاعي ، عن حفصة .

وقال الهيثميُّ في « المجمع » (٥ / ٢٦) : « رجاله ثقاتٌ » .

١٧٤ - فَصْـلُ

[حُكم الشؤم]

وأمَّا قولُهُ ﷺ : « الشؤمُ في ثلاثٍ .. » ، الحديثُ ، فهو حديثٌ صحيحٌ من روايَةِ ابن عُمَر ، وسهل بن سَعْدٍ ومُعاويَة بن حكيم[١] .

وقد رُويَ أنَّ أُمَّ سلمة كانَت تزيدُ : « ... السَّيفَ » - يعني في حديثِ الزُّهري عن حمزَة وسالمٍ عن أبيهما في الشؤمِ[٢]- .

(١) تقدَّم حديثا ابنِ عُمر وسَهْلٍ ، انظر (ص ٢٨٧) .

وأَمَّا حديث حكيم بن مُعاوية - وقد انقلب على المصنِّف إلى مُعاوية بن حكيم - ؛ فقد رواه الترمذي (٢٨٢٤) ، وسعيد بن منصور (٢٩٩٦) ، والطبراني في « الكبير » (٣١٤٨) من طريق مُعاوية بن حكيم عن حكيم .

وقال البوصيري في « مصباح الزجاجة » (ق ١٢٩ / أ) : « إسناده صحيح ، ورجاله ثقات » !

ولكنْ قال الحافظُ في « الفتح » (٦ / ٧٣) : « في إسناده ضعف » .

قلتُ : وهو الصوابُ لجهالة مُعاوية بن حكيم .

ورواه ابنُ ماجه (١٩٩٣) ، والطحاوي في « المُشكل » (٧٨٥) من طريق مُعاوية - أيضًا - لكنْ سمَّىٰ صحابيَّه مِخْمَر بن مُعاوية !

وسمَّاه في رواية الطبراني (٢٠ / رقم ٧٩٦) : مِخْمَر بن حَيْدة !

(٢) هي روايةٌ عند ابن ماجه (١٩٩٥) .

وقال البوصيري في « المصباح » (ق ١٢٩ / أ) :

« هذا إسناد صحيحٌ على شرط مسلمٍ ، فقد احتجَّ بجميع رواتِهِ .

رواه الشيخان مِن حديث أُم سَلَمة ، فلم يذكُرا فيه : (السيف) » . =

وقد اختلفَ النَّاسُ في هذا الحديثِ ، وكانَت عائشَةُ أمُّ المؤمنين رضيَ اللَّهُ عنها تُنكِرُ أنْ يكونَ من كلامِ النَّبيِّ ﷺ ، وتقولُ : إنَّما حكاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن أهلِ الجاهليَّة وأقوالِهم ؛ فذكرَ أبو عُمَر بن عبدالبرِّ[1] من حديثِ هشام بن عمَّار : حدَّثنا الوليدُ بن مسلم ، عن سعيدٍ ، عن قتادَة ، عن أبي حسَّان أنَّ رجلين دَخَلا على عائشة وقالا : إنَّ أبا هريرَةَ يُحدِّثُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « إنَّما الطِّيرَةُ في المرأةِ والدَّارِ والدَّابَّةِ » ، فطارَت شقَّةٌ منها في السَّماءِ ، وشقَّةٌ في

= قلتُ : ليس هو في « الصحيحين » عن أُمِّ سَلَمَةَ ، نعم ؛ رواه البخاري (٥٠٩٣) ، ومسلم (٢٢٢٥) عن ابن عُمر .

وكذا رواه البخاري (٢٨٥٩) ، ومسلم (٢٢٢٦) عن سَهْل ، كما تقدَّم - أيضًا - .

ورواه النَّسائي في « العِشْرَة » (٣٩٨) عن سالمٍ مُرْسَلًا ، وزاد في نصِّه : « والسيف » .

قال الحافظُ في « النُّكت الظِّراف » (٥ / ٣٣٨) : « قولُه : « والسيف » مدرج ، فقد رواه عبدالرزَّاق [١٠ / ٤١١] عن مَعْمَر عن الزُّهري [عن بعض أَهل أُم سَلَمة] عن أُم سلَمَة ، أَنَّه زادتْ فيه : « والسيف » .. » .

وما بين المعكوفتين ساقط من « المصنَّف » .

أَقولُ : ومثله في « فتح الباري » (٦ / ٦٣) إلَّا أَنَّه زاد أَنَّ هذه - أَيضًا - رواية إِسحاق في « مسنده » .

(تنبيه) : وقع في المطبوع من « الفتح » : (ابن إِسحاق) ! والصوابُ ما أَثبتُّ ، وهو ابنُ راهويه الإِمامُ المشهورُ .

وحكم شيخُنا الأَلباني في « صحيح سُنن ابن ماجه » (١٦٢٢) على الزيادة بالشُّذوذ .

(١) في « التمهيد » (٩ / ٢٨٨ - ٢٨٩) .

ورواه أَحمد (٦ / ١٥٠ و ٢٤٠ و ٢٤٦) ، والطحاوي في « المشكل » (٧٨٦) ، والحاكم (٢ / ٤٧٩) مِن الطريق نفسِه .

وقال الهيثمي في « المجمع » (٥ / ١٠٤) : « ورجالُه رجالُ الصحيح » .

وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبيُّ .

الأرضِ ، ثمَّ قالت : كذبَ والذي أنزلَ الفرقان على أبي القاسم مَن حدَّثَ عنهُ بهذا ، ولكنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يقول : « كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يقولون : إنَّ الطِّيرَةَ في المرأةِ والدَّارِ والدَّابَّةِ » ، ثمَّ قَرأَتْ عائشةُ: ﴿ ما أَصابَ مِن مُصيبَةٍ في الأَرْضِ ولا في أنفُسِكم إلّا في كتابٍ مِنْ قبلِ أَنْ نَبْرأَها إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرٌ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

قال أبو عُمَر : وكانَت عائشةُ تنفي الطِّيرَةَ ، ولا تعتقدُ منها شيئًا ،حتى قالت لنسوَةٍ كُنَّ يكرهنَ البناءَ بأزواجِهنَّ في شوَّالٍ(١): ما تزوَّجَني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلَّا في شوَّال ، وما دخلَ بي إلّا في شوَّال ، فمَن كانَ أحظى منِّي عنده ؟ وكانَت تستحبُّ أن يدخلنَ على أزواجهنَّ في شوَّال .

قال أبو عُمر : وقولُها في أبي هريرَةَ : كَذَبَ ؛ فإنَّ العربَ تقولُ : كَذَبْتَ ، بمعنى غلطتَ فيما قدَّرْتَ ، وأوهَمْتَ فيما قُلتَ ، ولم تظنَّ حقًّا ، ونحوَ هذا ، وذلكَ معروفٌ من كلامِهم ، موجودٌ في أشعارِهم كثيرًا ، قال أبو طالب(٢) :

كذبتُم وبيتِ اللَّهِ نتركُ مكَّةً ... ونظعنُ إلّا أمرُكم في الأَوائلِ
كذبتُم وبيتِ اللَّهِ نَبْرَا مُحمَّدًا ... ولمَّا نُطاعِنْ دونهُ ونُناضلِ
ونسلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حولَهُ ... ونذهلَ عن أبنائنا والحلائلِ

وقال شاعرٌ من هَمْدان :

كذبتُم وبيتِ اللَّهِ لا تأخُذونَهُ ... مُراغمَةً ما دامَ للسَّيفِ قائمُ

وقال زُفَرُ بن الحارثِ العَبسيُّ :

---

(١) رواه مسلمٌ (١٤٢٣) .

(٢) ونصّ مطبوعة « التمهيد » (٩ / ٢٨٩) فيه اختلافٌ عمَّا بين أَيدينا مِن « المفتاح » .

أفي الحقِّ أَمَّا بَحْدَلٌ وابنُ بَحْدَلٍ ... فيحيىٰ وأَمَّا ابنُ الزُّبيرِ فيُقْتَلُ
كذبتُم وبيتِ اللَّهِ لا تقتلونَهُ ... ولمَّا يكُن أمرٌ أغرُّ محجَّلُ

قال : أَلَا ترى أنَّ هذا ليسَ من بابِ الكذبِ الذي هو ضدُّ الصِّدقِ ، وإنَّما هو من بابِ الغَلَطِ وظنٌّ ما ليسَ بصحيحٍ ، وذلكَ أنَّ قُريشًا زعموا أنَّهم يُخرِجون بني هاشمٍ من مكَّة إنْ لم يَتْرُكوا جِوارَ محمَّدٍ ﷺ ، فقال لهم أبو طالبٍ : كذبتم - أي : غَلِطْتُم - فيما قلتُم وظننتم ، وكذلكَ معنى قولِ الهَمْدانيِّ والعَبْسيِّ .

وهذا مشهورٌ في كلامِ العربِ .

قلتُ : ومِن هذا قولُ سعيدِ بن جُبير : كذبَ جابرُ بن زيدٍ - يعني في قولِهِ : الطَّلاقُ بيدِ السيِّد[1] - ، أي : أخطأ .

ومِن هذا قولُ عُبادَةَ بن الصَّامت : كذبَ أبو محمَّد[2]؛ لمَّا قال : الوترُ واجبٌ ، أي : أخطأ .

---

(١) رواه ابن أَبي شيبة (٥ / ٨٨) .

(٢) رواه أَحمد (٥ / ٣١٥ و ٣١٧)، والدارمي (١ / ٣٧٠)، وأَبو داود (٤٢٥) ، والطيالسي (٥٧٣) ، وابن أَبي شيبة (١ / ٣٧٠) ، والنَّسائي (١ /٢٣٠) ، وابن ماجة (١٤٠١) ، ومالك (١ / ١٢٣) ، وابن حبَّان (١٧٣١) بسند حسن .

وقال ابنُ حِبَّان في « صحيحه » (٥ / ٢٣ - ترتيبه) :

« قولُ عُبادة : « كذب أَبو محمَّد » ، يُريد به : أَخطأ ، وكذلك قول عائشة حيث قالت لأَبي هُريرة .

وهذه لفظةٌ مستعملةٌ لأَهل الحجاز إذا أَخطأَ أَحدهم يُقال له : كذب .. » .

ثم تكلَّم رحمه اللَّهُ بكلامٍ حسنٍ جدًّا حولَ عدالةِ أَصحاب النبي ﷺ .

وانظر « معالم السنن » (١ / ١٣٤) للخطَّابي .

وفي « الصَّحيح »[١] أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « كذبَ أبو السَّنابل » ، لمّا أفتى أنَّ الحاملَ المتوفَّى عنها زوجُها لا تتزوَّج حتى تَتِمَّ لها أربعَةُ أشهر وعشرًا ، ولو وضعَتْ .

وهذا كثيرٌ .

والمقصودُ أنَّ عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها ردَّتْ هذا الحديثَ ، وأنكرَتْهُ ، وخطَّأتْ قائلَهُ ، ولكنَّ قولَ عائشة هذا مَرْجُوحٌ ، ولها رضيَ اللَّهُ عنها اجتهادٌ في ردِّ بعضِ الأحاديثِ الصَّحيحةِ خالَفَها فيه غيرُها من الصَّحابَةِ[٢]، وهي رضيَ اللَّهُ عنها لَمَّا ظنَّتْ أنَّ هذا الحديثَ يَقْتَضي إثباتَ الطِّيَرَةِ الَّتي هي مِن الشركِ لم يَسَعْها غيرُ تكذيبِه وردِّهِ ، ولكنَّ الذين رَوَوْهُ مِمَّن لا يُمْكِنُ ردُّ روايتِهم ، ولم ينفرِدْ بهذا أبو هُريرَة وحَدهُ ، ولو انفردَ بِهِ فهو حافظُ الأمَّةِ على الإطلاقِ وكلُّ ما رواهُ عن النَّبيِّ ﷺ فهو صحيحٌ ، بل قد رواهُ عن النَّبيِّ ﷺ عبدُاللَّهِ بن عمر بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنهما ، وسَهْلُ بن سَعْدٍ السَّاعدي ، وجابر بن عبداللَّهِ الأنصاري[٣]، وأحاديثهم في « الصَّحيح » .

فالحقُّ أنَّ الواجبَ بيانُ معنى الحديثِ ، ومُباينتهِ للطِّيرَةِ الشِّرْكيَّةِ ، فنقولُ وباللَّهِ التَّوفيق :

هذا الحديثُ قَد رُوِيَ على وجهين :

---

(١) إنَّما رواه - بهذا اللفظ - أَحمد (١ / ٤٤٧) وسعيد بن منصور (١٥٠٦) ، والشافعي (٢ / ٤٠٢) ، والبغوي (٢٣٨٨) عن ابن مسعود بسندٍ صحيح .
وأَصلُه في « صحيح البخاري » (٥٣١٩) ، ومسلم (١٤٨٤) دون موضِع الشاهِدِ .

(٢) انظر « الإِجابة لإِيراد ما استدركَتْه عائشةُ على الصحابة » ، للإِمام الزركشيّ .

(٣) رواه مسلم (٢٢٢٧) .

أحدُهما : بالجزمِ .

والثَّاني : بالشرط .

فأمَّا الأوَّل : فرواهُ مالكٌ عن ابنِ شهابٍ عن سالمٍ وحمزَةَ ابْنيْ عبداللَّهِ بن عمر عن أبيهما أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « الشؤمُ في الدَّارِ والمرأةِ والفرس » ، متَّفقٌ عليهِ .

وفي لفظٍ في « الصَّحيحين » عنهُ : « لا عَدوى ولا صفَرَ ولا طيرَةَ ، وإنَّما الشؤمُ في ثلاثَةٍ المرأةِ والفرسِ والدَّارِ » .

وأمَّا الثَّاني : ففي « الصَّحيحين » أيضًا عن سَهْل بن سَعْد ، قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « **إنْ كانَ** ففي المرأةِ والفرسِ والمسكن » ، يعني : الشؤم .

وقال البُخاري : « **إنْ كانَ** في شيءٍ .. » .

وفي « صحيح مسلم » عن جابرٍ مرفوعًا : « **إنْ كانَ** في شيءٍ ففي الرَّبْعِ والخادمِ والفرس » .

وفي « الصَّحيحين » عن ابنِ عُمر مرفوعًا : « **إنْ يكُن** من الشؤمِ شيءٌ حقًّا ففي الفرسِ والمسكنِ والمرأةِ » .

ورَوى زهيرُ بن معاويَة عن عُتبَة بن حُمَيد ، قال : حدَّثني عُبيداللَّه بن أبي بكر أنَّهُ سمعَ أنسًا يقول : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا طيرَةَ ، والطِّيرَةُ على مَن تطيَّرَ ، **وإنْ يكُن** في شيءٍ ففي المرأةِ والدَّارِ والفرسِ » ، ذكرهُ أبو عُمَرَ[1] .

---

(١) في « التمهيد » (٩ / ٢٨٤) مُعلقًا .

ورواه ابنُ حبَّان (٦١٢٣) ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤ / ٣١٤) بسندٍ حَسَنٍ .

والرواياتُ المذكورةُ قَبْلُ قد تقدَّمت كلُّها .

وقالت طائفةٌ أخرى : لم يجزمِ النَّبيُّ ﷺ بالشؤمِ في هذه الثَّلاثَة ، بل علَّقهُ على الشرطِ ، فقال : إنْ يكن الشؤمُ في شيءٍ ولا يلزمُ من صِدقِ الشرطيَّةِ صِدْقُ كُلِّ واحدٍ مِن مُفْرَديها ، فقد يصدُقُ التَّلازمُ بينَ المستحيلين .

قالوا : ولعلَّ الوَهَمَ وقعَ مِن ذلك ، وهو أنَّ الرَّاويَ غَلِطَ ، وقال : الشؤم في ثلاثَةٍ ، وإنَّما الحديثُ : « إنْ كانَ الشؤمُ في شيءٍ ففي ثلاثَةٍ ... » .

قالوا : وقد اختُلِفَ على ابن عُمَر ، والرِّوايتانِ صحيحتانِ عنه .

قالوا : وبهذا يزولُ الإشكالُ ، ويتبيَّنُ وجهُ الصَّواب .

وقالت طائفةٌ أُخرى : إضافَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ الشؤمَ إلى هذه الثَّلاثَةِ مَجازٌ واتِّساعٌ ، أي : قد يحصُلُ مُقارِنًا لها وعندها ، لا أنَّها هي أنفسُها ممَّا يُوجِبُ الشؤمَ .

قالوا : وقد يكونُ الدَّارُ قَد قضى اللَّهُ عزَّ وجلَّ عليها أنْ يُميتَ فيها خَلْقًا من عبادِهِ ، كما يُقَدِّرُ ذلكَ في البلدِ الذي ينزلُ الطَّاعونُ به ، وفي المكانِ الذي يَكْثُرُ الوباءُ به ، فيُضافُ ذلكَ إلى المكانِ مَجازًا ، واللَّهُ خَلَقَهُ عندهُ ، وقدَّرهُ فيهِ ، كما يخلُقُ الموتَ عندَ قتلِ القاتلِ ، والشِّبَعَ والرِّيَّ عندَ أكلِ الآكلِ وشُربِ الشاربِ ، فالدَّارُ التي يهلكُ بها أكثرُ ساكنيها تُوصَفُ بالشؤمِ ، لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد خصَّها بكثرَةِ مِن قَبَضَ فيها ، فمَن كتبَ اللَّهُ عليهِ الموت في تلك الدَّارِ حَسَّنَ إليهِ سُكناها ، وحرَّكهُ إليها ، حتى يَقْبِضَ رُوحه في المكانِ الذي كُتِبَ لهُ ، كما ساقَ الرَّجُلَ من بلدٍ إلى بلدٍ للأثرِ والبُقعَةِ التي قضى أنَّهُ يكونُ مدفنُهُ بها .

قالوا : وكذلكَ ما يُوصَفُ من طُولِ أعمارِ بعضِ أهلِ البُلدانِ ، ليسَ ذلكَ من أجلِ صِحَّة هواءٍ ، ولا طِيبِ تُربَةٍ ، ولا طَبعٍ يَزْدادُ بهِ الأجلُ ، وينقصُ

بفواتِهِ ، ولكنَّ اللَّهَ سبحانهُ قَد خَلَقَ ذلكَ المكان وقضى أنْ يسكُنَهُ أطولُ خلْقهِ أعمارًا ؛ فيسوقُهم إليهِ ، ويجمَعُهم فيهِ ، ويحبِّبُهُ إليهم .

قالوا : وإذا كانَ هذا على ما وَصَفْنا في الدُّورِ والبقاعِ جازَ مثلُهُ في النِّساءِ والخَيْلِ ، فتكونُ المرأةُ قَد قدَّرَ اللَّهُ عليها أن تتزوَّجَ عددًا من الرِّجالِ ، ويموتون معها ، فلا بدَّ من إنْفاذِ قضائِهِ وقَدَرِهِ ، حتى إنَّ الرَّجلَ ليُقْدِمُ عليها من بعدِ علمهِ بكثرَةِ مَن ماتَ عنها لوجهٍ منَ الطَّمَعِ يقودُهُ إليها ، حتى يتمَّ قضاؤُهُ وقَدَرُهُ ، فَتُوصَفُ المرأةُ بالشؤمِ لذلكَ ، وكذلكَ الفَرَسُ ، وإنْ لم يكُن لشيءٍ من ذلكَ فعلٌ ولا تأثيرٌ .

وقال ابنُ القاسمِ[١]: سُئلَ مالكٌ عن الشؤمِ في الفرسِ والدَّار ؟ فقال : إنَّ ذلكَ (كَذِبٌ) فيما نَرى : كم مِن دارٍ قد سَكَنَها ناسٌ فهلكوا ، ثمَّ سكنها آخَرون فَهَلَكوا ، قال : فهذا تفسيرهُ فيما نَرى ، واللَّهُ أعلم .

وقالت طائفَةٌ أُخرى : شؤمُ الدَّارِ مُجاوَرَةُ جارِ السُّوءِ ، وشؤمُ الفرسِ أنْ لا يُغزى عليها في سبيلِ اللَّهِ ، وشؤمُ المرأة أنْ لا تلدَ وتكونَ سَيِّئَةَ الخُلُق .

وقالت طائفَةٌ أُخرى - منهم الخَطّابيُّ[٢]- : هذا مُستثنى مِن الطِّيرَةِ ، أي : الطِّيرَةُ منهيٌّ عنها إلّا أن يكونَ لهُ دارٌ يكرهُ سُكناها ، أو امرأةٌ يكرهُ صحبتَها ، أو فرسٌ أو خادمٌ ، فَلْيُفارِق الجميعَ بالبيعِ والطَّلاقِ ونحوِهِ ، ولا يُقيمُ على الكراهَةِ والتَّأذِّي به ، فإنَّهُ شُؤمٌ .

وقد سلكَ هذا المسلَكَ أبو محمَّدِ بن قُتيبَةَ في كتاب « مُشكِل

---

(١) كما في « البيان والتحصيل » (١٧ / ٢٧٥) لابن رُشْد .
وما بين القوسين ليس فيه ، وأَظنُّه مدخولًا على لفظِهِ !

(٢) انظر « معالم السنن » (٤ / ٢٣٦) له .

الحديث »(١) له لمَّا ذكرَ أنَّ بعضَ الملاحدَةِ اعترضَ بحديثِ هذه الثَّلاثَةِ .

وقال طائفَةٌ أُخرى : الشؤمُ في هذه الثَّلاثَة إنَّما يَلْحَقُ مَن تشاءمَ بها ، وتطيَّرَ بها فيكونُ شؤمها عليهِ ، ومَن توكَّلَ على اللَّهِ ، ولم يتشاءمْ ، ولم يتطيَّر ، لم تكُن مشؤومَةً عليهِ .

قالوا : ويدُلُّ عليهِ حديثُ أَنَسٍ : « الطِّيرَةُ على مَن تطيَّرَ »، وَقَد يجعلُ اللَّهُ سبحانهُ تَطَيُّرَ العبدِ وتشاؤمَهُ سببًا لِحُلولِ المكروهِ به ، كما يجعلُ الثِّقَةَ والتَّوكُّلَ عليهِ وإفرادَهُ بالخوفِ والرَّجاءِ من أعظمِ الأسبابِ التي يدفَعُ بها الشرَّ المتطيَّرَ به .

وسِرُّ هذا أنَّ الطِّيرَة إنَّما تتضمَّنُ الشِّرْكَ باللَّهِ تعالى ، والخوفَ من غيرهِ ، وعدم التَّوكُّل عليهِ والثِّقَةِ به ، كانَ صاحبُها غَرَضًا لسهامِ الشرِّ والبلاءِ فيتسرَّعُ نفوذُها فيهِ لأنَّهُ لم يَتَدَرَّعْ من التَّوحيدِ والتَّوكُّلِ بجُنَّةٍ واقيَةٍ ، وكُلُّ مَن خافَ شيئًا غيرَ اللَّهِ سُلِّطَ عليهِ ، كما أنَّ مَن أحبَّ مع اللَّهِ غيرَهُ عُذِّبَ به ، وَمَنْ رجا مع اللَّهِ غيرَهُ خُذِلَ من جهتهِ .

وهذه أمورٌ تجرِبتُها تكفي عن أدلَّتِها ، والنَّفسُ لا بدَّ أَنْ تتطيَّرَ ، ولكنَّ المؤمنَ القويَّ الإيمانِ يدفعُ مُوجِبَ تطيُّرهِ بالتَّوكُّل على اللَّهِ ، فإنَّ مَن توكَّلَ على اللَّهِ وحدَهُ كفاهُ من غيرهِ ، قال تعالى :﴿ فإذا قَرأْتَ القُرآنَ فاستَعِذْ باللهِ منَ الشيطانِ الرَّجيم إنَّهُ ليسَ لهُ سُلْطانٌ على الَّذينَ آمَنوا وَعلى ربِّهم يتوكَّلُون إنَّما سُلطانهُ على الَّذينَ يَتولَّوْنَهُ والَّذينَ هُم بهِ مُشْرِكُون ﴾ [النحل : ١٩٨] .

ولهذا قال ابنُ مسعود : « وما منَّا إلّا »(٢) - يعني : مَن يُقارِبُ التَّطيُّرَ -

(١) « تأويل مختلف الحديث » (١١٨ - ١٢٤) .

(٢) تقدَّم تخريجُه والكلامُ عليه (ص ٢٧٠ - ٢٧١) .

ولكنَّ اللَّهَ يُذهِبهُ بالتَّوكُّل .

ومن هذا قولُ زَبَّانَ بن سيَّارٍ :

أطــارَ الطَّـــيرَ إذ سِرْنا زيادٌ لِتُخْــبِرَنا وما فيــها خبيرُ
أقــامَ كأنَّ لُقْمــانَ بنَ عــادٍ أشارَ لهُ بحــكمتهِ بشيرُ
تَعَــلَّمْ أنَّـــــهُ لا طــيرَ إلّا على مُتطــيِّرٍ وهــو الثُّبورُ
بَلَىٰ شيءٌ يُوافِقُ بعضَ شيءٍ أحايينًا وباطلُـهُ كثيــرُ

قالوا : فالشؤمُ الذي في الدَّارِ والمرأةِ والفَرَسِ قد يكونُ مَخْصُوصًا بمن تشاءَمَ بها وتطيَّرَ ، وأمَّا مَن توكَّلَ على اللَّهِ وخافَهُ وحدَهُ ولم يتطيَّرْ ولم يتشاءَم فإنَّ الفَرَسَ والمرأةَ والدَّارَ لا يكونُ شؤمًا في حقِّهِ .

وقالت طائفةٌ أخرى : معنى الحديثِ إخبارهُ ﷺ عن الأسبابِ المُثيرَةِ للطِّيَرَةِ الكامنةِ في الغرائزِ ، يعني أنَّ المُثيرَ للطِّيرَةِ في غرائزِ النَّاسِ هي هذه الثَّلاثةُ ، فَأَخْبَرَنَا بها لِنأْخُذَ الحذرَ منها ، فقال : « الشؤمُ في الدَّارِ والمرأةِ والفرسِ » ، أي : أنَّ الحوادثَ التي تَكْثُرُ مع هذه الأشياءِ ، والمصائبَ التي تتوالى عندها تَدعو النَّاسَ إلى التَّشاؤمِ بها ، فقال : « الشؤمُ فيها » ، أي : أنَّ اللَّهَ قد يُقدِّرهُ فيها على قومٍ ، دونَ قومٍ فخاطَبَهُم ﷺ بذلكَ لِمَا استقرَّ عندهم منهُ ﷺ من إبطالِ الطِّيرَةِ وإنكارِ العَدوى ، ولذلكَ لم يستَفْهِموا في ذلكَ عن معنى ما أرادهُ ﷺ ، كما تقدَّم لهم في قولهِ : « لا يُوْرِدُ المُمْرِضُ على المُصِحِّ »[1]، فقالوا عندهُ : وما ذاك يا رسول اللَّهِ؟ فأخْبرَهم أنَّهُ خافَ في ذلكَ الأذى الذي يُدْخِلُهُ المُمْرِضُ على المُصِحِّ، لا العَدوى؛ لأنَّهُ ﷺ أمَرَ بالتَّوادُدِ، وإدخالِ السُّرورِ بينَ المؤمنين، وحُسنِ التَّجاوُرِ،

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص ٣٠١) .

ونَهى عن التَّقاطُع والتَّباغُض والأذى ، فَمَن اعتقدَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نسبَ الطِّيرَةَ والشُّؤمَ إلى شيءٍ من الأشياءِ على سبيلِ أنَّهُ مُؤَثِّر بذلكَ دونَ اللَّهِ فقد أعظمَ الفريَة على اللَّهِ وعلى رسولِهِ ، وضلَّ ضلالًا بعيدًا ، والنَّبيُّ ﷺ ابتدأهم بِنَفْيِ الطِّيرَةِ والعَدوى ، ثمَّ قال : « الشؤمُ في ثلاثٍ ... » ، قَطْعًا لتوهُّمِ الطِّيرَةِ المنفيَّةِ في الثَّلاثَةِ التي أخبرَ أنَّ الشؤمَ يكونُ فيها فقال : « لا عَدوى ولا طيرَةَ ، والشؤمُ في ثلاثَةٍ فابتدأهم بالمُؤخَّرِ من الخبرِ تعجيلًا لهم بالإِخبارِ بفسادِ العَدوى والطِّيرَةِ المتوهَّمةِ من قولِهِ : « الشؤمُ في ثلاثَةٍ » .

وبالجُملَةِ ؛ فإخبارهُ ﷺ بالشؤمِ أنَّهُ يكونُ في هذه الثَّلاثةِ ليسَ فيه إثباتُ الطِّيرَةِ التي نفاها ، وإنَّما غايتهُ أَنَّ اللَّهَ سبحانهُ قد يخلُقُ منها أعيانًا مَشْؤُومةً على مَنْ قارَبَها وسكنها ، وأَعيانًا مُباركَةً لا يلحقُ مَن قاربها منها شؤمٌ ولا شرٌّ ، وهذا كما يُعْطي سبحانهُ الوالدين وَلَدًا مباركًا يريانِ الخيرَ على وجههِ ، ويُعطي غيرَهما ولدًا شرًّا مَشْؤومًا نَذْلًا يَريانِ الشرَّ على وجههِ ، وكذلكَ ما يُعْطَاهُ العبدُ من ولايَةٍ أو غيرِها ، فكذلكَ الدَّارُ والمرأةُ والفَرَسُ .

واللَّهُ سبحانهُ خالقُ الخيرِ والشرِّ والسُّعودِ والنُّحوسِ ، فيخلقُ بعضَ هذه الأعيان سُعودًا مُباركَةً ، ويقضي بسعادَةِ مَنْ قارَنَها ، وحُصولِ اليُمنِ لهُ والبركَةِ ، ويخلقُ بعضَ ذلكَ نُحوسًا يتنحَّسُ بها مَن قارَنَها .

وكلُّ ذلكَ بقضائِهِ وقَدَرِهِ ، كما خلقَ سائرَ الأسبابِ ورَبَطَها بمُسبَّباتها المتضادَّةِ والمختلفَةِ ؛ فكما خلقَ المِسْكَ وغيرَهُ من حاملِ الأرواحِ[1] الطَّيِّبَةِ ولذَّذَ بها مَن قارنها مِنَ النَّاسِ ، وخلقَ ضدَّها وجَعَلَها سببًا لإيذاءِ مَن قارَنَها مِنَ النَّاس .

---

(١) جمع « رَوْح » وهي الرائحة .

والفَرْقُ بينَ هذين النَّوعين يُدْرَكُ بالحِسِّ ، فكذلكَ في الدِّيارِ والنِّساءِ والخيلِ ، فهذا لونٌ ، والطِّيرَةُ الشركيَّةُ لونٌ آخَر .

□□□□□

١٧٥ - فَصْلٌ

[عَوْدٌ على الطِّيَرَةِ]

وأمَّا الأثرُ[١] الذي ذكرهُ مالكٌ عن يحيى بن سعيدٍ : جاءَت امرأةٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : يا رسولَ اللَّهِ دارٌ سكنَّاها ، والعددُ كثيرٌ والمالُ وافرٌ ، فقلَّ العددُ ، وذهبَ المالُ ! فقال النَّبيُّ ﷺ : « دَعُوها ، ذميمَةً » .

وقد ذكرَ هذا الحديثَ غيرُ مالكٍ من روايَةِ أنسٍ ، أنَّ رجلًا جاءَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّه ، إنَّا نَزَلْنا دارًا فكَثُرَ فيها عددُنا ، وكثُرت فيها أموالُنا ، ثمَّ تحوَّلْنا إلى أُخرى ، فقلَّتْ فيها أموالُنا وقلَّ فيها عددنا فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ... وذكرهُ .

فليسَ هذا مِن الطِّيرَةِ المنهيِّ عنها ، وإنَّما أَمَرَهُم ﷺ بالتَّحوُّلِ عنها عندَ ما وقعَ في قُلوبهم منها لمصلحتين ومنفعتين :

إحداهما : مُفارقتُهم لمكانٍ هم له مُستثقِلون ، ومنهُ مستوحِشون ، لِمَا لحقهم فيهِ ونالَهم ، ليتعجَّلوا الرَّاحَةَ ممَّا داخَلَهُم منَ الجَزَعِ في ذلكَ المكانِ والحُزنِ والهَلَعِ ؛ لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قَد جعلَ في غرائزِ النَّاسِ وتركيبِهم استثقالَ ما نالهم الشرُّ فيه وإنْ كانَ لا سببَ لهُ في ذلكَ ، وحُبَّ ما جرى لهم على يديهِ الخيرُ وإنْ لم يُرِدْهم به ، فَأَمرَهُم بالتَّحوُّلِ ممَّا كرهوهُ لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ بَعَثَهُ رحمَةً ولم يبعثهُ عذابًا ، وأرسلهُ مُيسِّرًا ولم يرسلهُ مُعسِّرًا ، فكيفَ يأمرُهم بالمقامِ

---

(١) تقدَّم بطرقهِ ورواياتِه (٢٨٧ - ٢٨٨) .

في مكانٍ قَد أحْزَنَهم المقامُ به ، واستوحشوا عندهُ لكثرَةِ مَن فقدوهُ فيهِ لغير منفعةٍ ولا طاعَةٍ ولا مزيدِ تَقوى وهُدى ؟ ولا سيَّما وطولُ مُقامِهم فيها - بعدما وصلَ إلى قلوبهم منها ما وصلَ - قَد يبعثُهم ويدعوهم إلى التَّشاؤم والتَّطيُّر فيُوقِعُهم ذلكَ في أمرين عظيمين :

أحدهما : مُقاربَةُ الشركِ .

والثَّاني : حُلولُ مكروهٍ أحزنَهم بسببِ الطِّيرَةِ التي إنَّما تلحقُ المُتطيِّرَ ، فحماهم ﷺ بكمالِ رأفتهِ ورحمتهِ من هذين المكروهين بمُفارقَةِ تلكَ الدَّارِ ، والاستبدالِ بها من غيرِ ضَرَرٍ يلحقُهم بذلكَ في دنيا ، ولا نَقْصٍ في دينٍ ، وهو ﷺ حينَ فهمَ عنهم في سؤالهم ما أرادوهُ منَ التَّعرُّفِ عن حالِ رحلتهم عنها ، هل ذلكَ لهم ضارٌّ مُؤدٍّ إلى الطِّيرَةِ ؟ قال : « دَعُوها ، ذميمَةً » ، وهذا بمنزلَةِ الخارجِ من أرضٍ بها الطَّاعونُ غيرَ فارٍّ منهُ ، ولو مُنِعَ النَّاسُ الرِّحلَةَ منَ الدَّارِ التي تتوالى عليهم المصائبُ والمِحَنُ فيها وتَعَذُّرُ الأرزاقِ مع سلامةِ التَّوحيدِ في الرِّحلَةِ لَلَزِمَ ذلكَ أنَّ كُلَّ مَن ضاقَ عليهِ رزقٌ في بلدٍ أن لا ينتقلَ منهُ إلى بلدٍ آخَرَ ، ومَن قلَّت فائدَةُ صناعتهِ أنْ لا ينتقلَ عنها إلى غيرها .

□□□□□

١٧٦ - فَصْلٌ

[جوابٌ على شُبهةٍ أُخرى]

وأمَّا قولُ النَّبيِّ ﷺ للذي سلَّ سيفهُ يومَ أحد : « شِمْ سيفكَ ، فإنِّي أرى السُّيوفَ ستَنْسلُّ اليومَ » ؛ فهذه القصَّةُ لم يكن الرَّجلُ قَد سلَّ السَّيفَ ، ولكنَّ الفرسَ لوَّحَ بِذَنَبِهِ فسلَّ السَّيفَ ، ولم يُرِدْ صاحبُهُ سَلَّهُ ، هكذا في القصَّةِ .

ولا ريبَ أنَّ الحربَ تقومُ بالخيلِ والسُّيوفِ ، ولمَّا لوَّحَ الفَرَسُ بذنبِهِ فاستلَّ السَّيفَ ، قال النَّبيُّ ﷺ : « إنِّي أرى السُّيوفَ ستَنْسلُّ اليومَ » ، فهذا لهُ مَحْمَلٌ من ثلاثةِ محاملَ :

أحدها : أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرَ عن ظنٍّ ظنَّهُ في ذلك ، ولم يجعَلْ هذا دليلًا عامًّا في كلِّ واقعةٍ تشبهُ هذه، وإذا كانَ عُمرُ بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنهُ - وهو أحدُ أتباعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورجلٌ من أمَّتهِ - كانَ إذا قال : أظنُّ كذا ، أو : أرى كذا ، خرجَ الأمرُ كما ظنَّهُ وحَسِبَهُ ، فكيفَ الظَّنُّ برسولِ اللَّهِ ﷺ ؟!

الثَّاني : أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ قَد علمَ قبلَ مخرجهِ أنَّ السُّيوفَ ستَنْسَلُّ ، ويقعُ القتالُ ، ولهذا أخبرَهم أنَّهُ رأى في منامهِ بَقَرًا تُنْحَرُ[1]، وعلمَ أنَّ ذلكَ

(١) أَقرب الروايات لهذا المعنى حديثُ أَبي موسى الأَشعري عند البخاري (٧٠٣٥) ، ومسلم (٢٢٧٢) .

وفي الباب عن ابن عبَّاس عند أَحمد (٢٤٤٥) ، والحاكم (٢ / ١٢٨) ، والبيهقي (٧ / ٤١) بسند حسن .

وعن جابر عند أَحمد (٣ / ٣٥١) ، والدارمي (٢ / ١٢٩) ، وابن سَعْد (٢ / ٤٥)=

شهادَةُ من قتلَ من أصحابِهِ .

الثَّالث : أنَّ الوَحيَ الذي كانَ يَعرفُ به رسولُ اللَّهِ ﷺ الحوادثَ والنَّوازلَ كانَ مُغْنِيًا لهُ عن الإشاراتِ والعلاماتِ والأَماراتِ وما في معناها ممَّا يَحْتاجُ إليهِ غيرُهُ ، وأمَّا مَن يأتيهِ خَبَرُ السَّماء صباحًا ومساءً فإخْبارهُ بقولهِ : « أرى السُّيوفَ ستَنسَلُّ » لم يكُن عن تلكَ الأمارَةِ وإنَّما وقعَ الإخبارُ به عَقِيبَها ، والشيءُ بالشيءِ يُذكر .

□□□□□

= بسند فيه عنعنة أَبي الزبير .

١٧٧ - فَصْلٌ
[بيان كذبهم على النبيّ ﷺ]

وأمّا ما احتجَّ به ونَسَبهُ إلى قولهِ ﷺ : « وقدتِ الحربُ » ، لمّا رأى واقدَ ابنَ عبدِاللَّهِ ، والحضرميَّ : « حضرَت الحربُ »[1]؛ فكذبٌ عليهِ ﷺ ، وإنَّما قال ذلكَ أعداؤهُ منَ اليَهودِ فتطيَّروا بذلكَ وتفاءلوا بهِ ، فكانَت الطِّيرَةُ عليهم ، ووقدَت الحربُ عليهم .

□□□□□

(١) وقد سبق بيانُ ذلك ، وتخريجُه (ص ٢٨٩) .

١٧٨ - فَصْلٌ
[جوابُ شُبهةٍ أُخرى]

وأمَّا استقبالُهُ ﷺ الجبلينِ في طريقِهِ وهما مَسْلَحٌ ومُخْزٍ ، وتركُ المرورِ بينهما ، وعدلُه ذاتَ اليمينِ ! فليسَ هذا أيضًا مِن الطِّيرَةِ ، وإنَّما هو منَ العُدولِ عمَّا يُؤْذي النُّفوسَ ويُشَوِّشُ القلوبَ إلى ما هو بخلافِهِ كالعُدولِ عن الاسمِ القبيحِ وتغييرِهِ بأحسنَ منهُ ، وقد تقدَّمَ تقريرُ ذلكَ بما فيهِ كفايَةٌ .

وأيضًا ؛ فإنَّ الأماكنَ فيها الميمونُ المبارك والمشؤومُ المذمومُ ، فاطَّلعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ على شؤمِ ذلكَ المكان ، وأنَّهُ مكانُ سُوءٍ فجاوَزَهُ إلى غيرِهِ كما جاوَزَ الوادي الذي ناموا فيهِ عن الصُّبحِ إلى غيرِهِ ، وقال : « هذا مكانٌ حَضَرَنا فيه الشيطانُ »(١)، والشيطانُ يُحِبُّ الأمكنَةَ المذمومَةَ وينتابُها .

وأيضًا ؛ فلمّا كانَ المرورُ بين ذَيْنِكَ الجبلينِ قَد يُشَوِّشُ القلبَ ، على أَنَّا نقولُ في ذلكَ قولًا كُلِّيًا نُبيِّنُ بهِ سرَّ هذا البابِ بحولِ اللَّهِ وعَونهِ وتَوفيقهِ :

اعلم أنَّ بينَ الأسماءِ ومسمَّياتها ارْتباطًا قدَّرَهُ العزيزُ العليمُ ، وأَلْهَمَهُ نفوسَ العبادِ ، وجَعَلَهُ في قلوبهم بحيثُ لا تنصرفُ عنهُ ، وليسَ هذا الارتباطُ هو ارتباطَ العلَّةِ بمعلولها ، ولا ارتباطَ المُقْتَضِي المُوجِبِ لمقتضاه ومُوجَبِهِ ، بل ارتباطَ تناسُبٍ وتشاكُلٍ اقتَضَتْهُ حكمَةُ الحكيمِ ، فَقَلَّ أن ترى اسمًا قبيحًا إلّا وبينَ

---

(١) رواه مسلم (٦٨٠) عن أَبي هُريرَة .
وأَصلُه في « صحيح البخاري » (٥٩٥) بنحوه .

مُسمَّاهُ وبينَهُ رابطٌ منَ القُبْحِ ، وكذلكَ إذا تأمَّلْتَ الاسمَ الثَّقيلَ الذي تنفرُ عنهُ الأسماع ، وتنبو عنهُ الطِّباعُ ، فإنَّكَ تَجِدُ مسمَّاهُ يقاربُ أو يلمُّ أَنْ يُطابقَ ، ولهذا منَ المشهورِ على ألسنَةِ النَّاسِ أنَّ الألقابَ تتنزَّلُ منَ السَّماءِ ، فلا تكادُ تجدُ الاسمَ الشنيعَ القبيحَ إلَّا على مُسمًّىً يُناسِبهُ .

وفي ذلكَ قولُ القائل :

وقَلَّ أَنْ أبصَرَتْ عَيناكَ ذا لَقَبٍ إلّا ومَعناهُ إنْ فكَّرتَ في لَقَبهِ

ولهذا كثيرًا ما تجدُ أيضًا في أسماءِ الأجناسِ ، والواضعِ لهُ ، عنايَةً بمُطابقَةِ الألفاظِ للمعاني ، ومُناسبتِها لها ، فيجعلُ الحروفَ الهوائيَّة الخفيفَةَ لِمُسمَّى مُشاكِلٍ لها ، كالهواء والحُروفِ الشديدَةِ للمُسمَّى المناسبِ لها كالصَّخرِ والحَجَرِ ، وإذا تتَابعَتْ حركةُ المُسمَّى تابعوا بينَ حَرَكةِ اللفظِ ، كالدَّورانِ والغَلَيان والنَّزَوان[1]، وإذا تكرَّرتِ الحركَةُ كرَّروا اللفظَ كَفَلْفَلَ وزَلْزَلَ وَدَكدكَ وصَرصَر ، وإذا اكتنزَ المسمَّى وتَجمَّعَتْ أجزاؤهُ جعلوا في اسمهِ منَ الضَّمِّ الدَّالِّ على الجمعِ والاكتنازِ ما يناسبُ المسمَّى كالبُحْترِ[2] للقصيرِ المجتمع الخَلْقِ ، وإذا طالَ جعلوا في المسمَّى مَن الفتحِ الدَّالِّ على الامتِدادِ نظيرَ ما في المعنى كالعَشَنَّق[3] للطَّويل ...

ونظائرُ ذلكَ أكثرُ من أن تُستوعَب ، وإنَّما أَشَرْنا إليها أدنى إشارَةٍ ، وهذا هو الذي أرادهُ مَن قالَ : **بينَ الاسمِ والمُسمَّى مُناسبَةٌ** ، فلم يفهم عنهُ بعضُ المُتأخِّرينَ مُرادَهُ ، فأخذَ يُشنِّعُ عليهِ بأنَّهُ لا تناسبَ طَبْعيًّا بينهما ، واستدلَّ على

(١) يُقال : نَزَا نَزْوًا ونُزاءً ، ونُزُوًّا ، ونَزَوانًا : وثَبَ .

(٢) « القاموس المحيط » (ص ٤٤٣) .

(٣) « القاموس المحيط » (ص ١١٧٤) .

إنكارِ ذلكَ بما لا طائلَ تحتهُ ! فإنَّ عاقلًا لا يقولُ : إنَّ التَّناسُبَ الذي بينَ الاسمِ والمُسمَّى كالتَّناسُبِ الذي بينَ العِلَّةِ والمعلول ، وإنَّما هو تَرجيحٌ وأَولَوِيَّةٌ تقتَضي اختصاصَ الاسمِ بمُسمَّاهُ ، وقَد يختلفُ عنهُ اقتضاؤها كثيرًا .

والمقصودُ أنَّ هذه المناسبَة تنضمُّ إلى ما جعَلَ اللَّهُ في طبائعِ النَّاسِ وغرائزِهم من النَّفْرَةِ بينَ الاسمِ القبيح المكروهِ وكراهتهِ وتطيُّرِ أكثرِهم به ، وذلكَ يُوجِبُ عدمَ مُلابستهِ ومُجاورتهِ إلى غيرهِ ، فهذا أصلُ هذا الباب .

□□□□□

١٧٩ - فَصْلٌ

[كراهة إتباع الميّت بنارٍ]

وأمَّا كراهَيةُ السَّلفِ أن يُتْبَعَ الميِّتُ بشيءٍ منَ النَّارِ ، أو أَنْ يُدْخَلَ القبرَ شيءٌ مَسَّتْهُ النَّارُ ، وقولُ عائشَة رضيَ اللَّهُ عنها : لا يكونُ آخرَ زادهِ أن تُتْبِعُوهُ بالنَّارِ ؛ فيجوزُ أن يكونَ كراهتُهم لذلكَ مَخافَةَ الإحْداثِ لِمَا لم يكُن في عصرِ الرَّسولِ ﷺ ؛ فكيفَ وذلكَ ممَّا يُبيحُ الطِّيرَةَ به والظُّنونَ الرديَّةَ بالميِّتِ !

وقَد قال غيرُ واحدٍ منَ السَّلفِ - منهم عبدالملكِ بن حبيبٍ وغيرهُ - : وإنَّما كرهوا ذلكَ تفاؤلًا بالنَّارِ في هذا المقامِ أن تتبعَهُ .

وذكرَ ابنُ حبيبٍ وغيرهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ أَنْ يُصلِّي على جنازَةٍ فجاءَت امرأةٌ ومعها مِجْمَرٌ ، فما زالَ يصيحُ بها حتى توارَتْ بآجامِ المدينة[١] .

قال بعضُ أهلِ العلم : وليسَ خوفُهم من ذلكَ على الميِّت ، لكنْ على الأَحْياء المَجْبُولين على الطِّيرَةِ لئلَّا تُحَدِّثَهم أنفسُهم بالميِّت أنَّهُ من أهلِ النَّارِ لِمَا رَأَوْهُ مِنَ النَّارِ التي تَتْبَعُهُ في أوَّلِ أيَّامهِ مِن الآخرَةِ ، ولا سيَّما في مكانٍ يُرادُ منهم فيهِ كثرَةُ الاجتهادِ للميِّتِ بالدُّعاء ، فإذا لم يَبْقَ لهُ زادٌ غيرُهُ فيظنُّونَ أنَّ تلكَ النَّارَ مِن بقايا زادهِ إلى الآخرَةِ فتسوءُ ظنونُهم به وتنفرُ عن رحمتهِ قلوبُهم في مكانٍ هم فيهِ شُهداءُ اللهِ ؛ كما جاءَ في الحديثِ الصَّحيحِ[٢] لمَّا مُرَّ على النَّبيِّ ﷺ

---

(١) لم أَقِف على هذا الحديثِ ، وقارن بـ « المدوّنة » (١ / ١٨٠) .

(٢) رواه البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩) عن أَنس .

بجِنازَةٍ فأَثْنَوا عليها خيرًا ، فقال : « وجَبَت » ، فقالوا : ما وجبَت ؟ قال : « وجبَت لهُ الجنَّة ، أنتم شهداءُ اللَّهِ في الأرضِ ، مَن أثنيتُم عليهِ خَيرًا وجبَت لهُ الجنَّةُ ، ومَن أثنيتم عليهِ شرًّا وجبَت لهُ النَّار » .

وفي أثرٍ آخَر : « إذا أرَدتم أَنْ تعلموا ما للميِّتِ عندَ اللَّهِ فانظُروا ما يتبعُهُ من حُسنِ الثَّناءِ »[١]، فقالت عائشَةُ رضيَ اللَّهُ عنها : « لا يكونُ آخِرُ زادهِ منَ الثَّناء والدُّعاء أن تُتبِعوهُ بالنَّارِ »[٢] ؛ فَتهيِّجوا بها خواطرَ النَّاسِ وتَبْعَثُوا ظنونَهم بالتَّطيُّرِ والنَّارِ والعذابِ ، واللَّهُ أعلم .

□□□□□

(١) رواه مالكٌ في « الموطَّأ » (٤ / ٩٠٤) مقطوعًا من قول كعب الأَحبار ، بسندٍ صحيحٍ عنه .
وانظر « الاستذكار » (٢٦ / ١٢٣) لابن عبدالبرّ .
ورُوي مرفوعًا :
رواه ابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (٤ / ق ٥٩١) عن عليّ بن أَبي طالبٍ .
وضعَّفه الزُّرقاني في « شرح الموطَّأ » (٤ / ٢٥٥) .
وبيَّن وجهَ الضعفِ المُناويُّ في « فيض القدير » (١ / ٢٤٨) ، فقال : « وفيه عبدالله بن سَلَمة ، متروكٌ » .
فهو - على هذا - ضعيفٌ جدًّا
(٢) ليس هذا مُلْحَقًا بما قبلَه .

١٨٠ - فَصْلٌ

[موافقة القضاء والقَدَر للأسباب]

وأمَّا تلكَ الوقائعُ التي ذكروها ممَّا يدلُّ على وُقوعِ ما تطيَّرَ به مَن تطيَّرَ فنَعم ؛ وها هُنا أضعافُها وأضعافُ أضعافِها ، ولسنا نُنكِرُ مُوافقَةَ القضاءِ والقدرِ لهذه الأسبابِ وغيرِها كثيرًا مُوافقَةَ حَزْرِ الحازِرين ، وظُنونِ الظَّانِّين ، وزَجرِ الزَّاجرين للقَدَرِ أحْيانًا ممَّا لا يُنكِرُهُ أحدٌ .

ومنَ الأسبابِ التي تُوجِبُ وقوعَ المكروهِ الطِّيَرَةُ كما تقدَّمَ ، وأَنَّ الطِّيرَةَ على مَن تطيَّرَ ، ولكنْ نَصبَ اللَّهُ سبحانهُ لها أسبابًا يدفعُ بها مُوجِبَها وضررَها من التَّوكُّلِ عليهِ ، وحُسنِ الظَّنِّ به ، وإعْراضِ قلبهِ عن الطِّيرَةِ ، وعدمِ التفاتهِ إليها ، وخوفهِ منها ، وثقتهِ باللَّهِ عزَّ وجلَّ .

ولَسْنا نُنْكِرُ أنَّ هذه الأمورَ ظنونٌ وتخمينٌ وحَدْسٌ وخَرْصٌ ، وما كانَ هذا سبيلُهُ فَيُصيبُ تارَةً ويُخطئُ تاراتٍ .

وليسَ كلُّ ما تطيَّرَ به المتطيِّرون وتشاءَموا به وقعَ جميعهُ وصدقَ ، بل أكثرهُ كاذبٌ ، وصادقهُ نادرٌ ، والنَّاسُ في هذا المقامِ إنَّما يُعَوِّلونَ وينقلونَ ما صحَّ ووقعَ ويعتنونَ به ، فَيُرى كثيرًا ، والكاذبُ منهُ أكثرُ من أن يُنقلَ .

قال ابنُ قُتيبَة : مِن شأنِ النُّفوسِ حِفْظُ الصَّوابِ للعَجَبِ به والاستغرابِ ، وتناسي الخطأ .

قال : ومَن ذا الذي يتحدَّثُ أنَّهُ سألَ مُنجِّمًا فأخطأ ، وإنَّما الذي يُتَحدَّث

به ويُنْقَلُ أنَّهُ سألَهُ فأصاب !

قال : والصَّوابُ في مسألةٍ إذا كانَ بينَ أمرين قد يقعُ للمَعْتُوهِ والطِّفلِ فضلًا عن أُولي العقلِ .

وقَد تقدَّمَ من بُطلانِ الطِّيرَةِ وكذبِها ما فيهِ كفايَةٌ .

وقَد كانَت عائشةُ أمُّ المؤمنين رضيَ اللَّهُ عنها تستحبُّ أَن تتزوَّج المرأةُ أو يُبنى بها في شوَّال ، وتقولُ : ما تزوَّجني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلّا في شوَّال ، فأيُّ نسائهِ كانَ أحظَى عندهُ منِّي !؟ (١)، مع تطيُّرِ النَّاسِ بالنِّكاحِ في شوَّال .

وهذا فِعلُ أُولي العَزْمِ والقُوَّةِ من المؤمنين الذينَ صحَّ توكُّلهُم على اللَّهِ ، واطمأنَّت قلوبُهم إلى ربِّهم ، ووثِقوا به ، وعلموا أنَّ ما شاءَ اللَّه كانَ وما لم يشأْ لم يكُن ، وأنَّهم لن يصيبَهم إلّا ما كتبَ اللَّهُ لهم ، وأنَّهم ما أصابَهم مِن مُصيبَةٍ إلّا وهي في كتابٍ مِن قبلِ أن يخلُقَهم ويُوجِدَهم ، وعلموا أنَّهُ لا بدَّ وأنْ يصيروا إلى ما كَتَبَهُ وقدَّرهُ ، ولا بدَّ أن يجريَ عليهم ، وأَنَّ تطيُّرَهم لا يَرُدُّ قضاءَهُ وقَدَرَهُ عنهم ، بل قد يكونُ تطيُّرُهم مِن أعظمِ الأسبابِ التي يجري عليهم بها القضاءُ والقَدَرُ فَيُعينونَ على أنفسهم ، وقَد جرى لهم القضاءُ والقَدَرُ بأنَّ نُفوسَهم هي سببُ إصابَةِ المكروهِ لهم ، فطائرُهُم معهم .

وأمَّا المُتوكِّلون على اللَّهِ المفوِّضون إليهِ العالمون به وبأمرِهِ : فنفوسُهم أشرفُ مِن ذلكَ ، وهِمَمُهم أعلى ، وثِقَتُهم باللَّهِ وحُسْنُ ظنِّهم به عُدَّةٌ لهم ، وقُوَّةٌ، وجُنَّةٌ ، مما يَتطيَّرُ به المتطيِّرون ، ويتشاءمُ بهِ المتشائمون ، عالمون أنَّهُ لا طيرَ إلّا طيرهُ ، ولا خيرَ إلّا خيرهُ ، ولا إلهَ غيرهُ ، أَلَا لهُ الخَلقُ والأمرُ ، تباركَ اللَّهُ ربُّ العالمين .

---

(١) تقدَّمَ تخريجه .

١٨١ - فَصْلٌ
[مِن تطيّر أهل الجاهليّة]

وممَّا كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يتطيَّرونَ به ويتشاءمونَ منهُ العُطاسُ كما يتشاءمون بالبوارحِ والسَّوانحِ ؛ قال رُؤْبَةُ بن العَجَّاج يصفُ فلاةً :

.... قَطعتُها ولا أهابُ العُطاسا

وقال امرؤُ القيس :

وقَد أغتدي قبلَ العُطاسِ بهيكلٍ شديدِ مِشَكِّ الجَنْبِ فَعْمِ المُنَطَّقِ

أرادَ أنَّهُ كانَ ينتبِهُ للصَّيدِ قبلَ أن ينتبهَ النَّاسُ من نومهم ؛ لئلّا يسمعَ عُطاسًا فيتشاءمَ بعطاسِهِ ، وكانوا إذا عطسَ مَن يحبُّونهُ قالوا لهُ : عُمرًا وشبابًا ، وإذا عطسَ مَن يبغضونهُ قالوا لهُ : وَرْيًا وقُحابًا - الوَرْيُ : كالرَّمي ؛ داءٌ يصيبُ الكبدَ فيُفسِدها ، والقُحاب : كالسُّعَال ؛ وزنًا ومعنىً - فكانَ الرَّجلُ إذا سمعَ عطاسًا يتشاءمُ به يقول : بكَ لا بي ، إنِّي أسألُ اللَّهَ أن يجعلَ شُؤمَ عطاسِكَ بكَ لا بي .

وكانَ تشاؤمُهم بالعطسَةِ الشديدَةِ أشدَّ كما حُكيَ عن بعضِ الملوكِ أنَّ سامرًا لهُ عطسَ عطسَةً شديدَةً راعَتْهُ فغضبَ الملكُ فقال سميرُهُ : واللَّهِ ما تعمَّدتُ ذلكَ ، ولكنَّ هذا عُطاسي ، فقال : واللَّهِ لئن لم تأتني بمن يشهدُ لكَ بذلكَ لأقتلنَّكَ ، فقال : أخْرِجني إلى النَّاسِ لعلِّي أجدُ مَن يشهدُ لي ، فأخرجهُ ، وقَد وكَّلَ بهِ الأعوانَ ، فوجدَ رجلًا ، فقال : يا سيِّدي نشدتُكَ باللَّهِ ، إنْ كنتَ سمعتَ عُطاسي يومًا فلعلَّكَ تشهدُ لي به عندَ الملكِ ! فقال : نعم ، أنا أشهدُ

لكَ ، فنهضَ معهُ ، وقال : يا أيُّها الملكُ أنا أشهدُ أنَّ هذا الرَّجل عطسَ يومًا فطارَ ضرسٌ من أضراسهِ ، فقال لهُ الملكُ : عُد إلى حديثِك ومجلسِك .

فلمَّا جاءَ اللَّهُ سبحانه بالإسلام ، وأبطلَ برسولهِ ﷺ ما كانَ عليهِ الجاهليَّةُ منَ الضَّلالَةِ نهى أُمَّتهُ عن التَّشاؤم والتَّطيُّر ، وشرعَ لهم أَنْ يجعلوا مكانَ الدُّعاءِ على العاطسِ بالمكروهِ الدُّعاءَ لهُ بالرَّحمَةِ[1]، كما أمرَ العائنَ أن يدعو بالتَّبريكِ للمَعِين[2] .

ولمّا كانَ الدُّعاءُ على العاطسِ نوعًا منَ الظُّلمِ والبغي جُعِلَ الدُّعاءُ له بلفظ الرَّحمَةِ المنافي للظُّلمِ ، وأُمِرَ العاطسُ أنْ يدعُوَ لسامعهِ ويُشمِّتَهُ بالمغفرَةِ والهدايَةِ وإِصْلاح البال ، فيقولُ : « يغفرُ اللَّه لنا ولكم » أَو : « يهديكم اللَّه ويُصلح بالكم »[3]؛ فأَمَّا الدعاء بالهداية فَلِمَا أنَّه اهتدى إلى طاعَةِ الرَّسولِ ، ورَغِبَ عمَّا كانَ عليهِ أهلُ الجاهليَّة ، فدعا لهُ أَنْ يُثبِّتهُ اللَّهُ عليها ، ويَهديَهُ إليها .

وكذلكَ الدُّعاء بإصلاحِ البالِ ؛ وهي حكمَةٌ جامعَةٌ لصلاحِ شأنهِ كُلِّهِ ، وهي من بابِ الجزاءِ على دُعائهِ لأخيهِ بالرَّحمَةِ ، فناسَبَ أن يُجازيَهُ بالدُّعاء له بإصلاحِ البالِ .

وأمَّا الدُّعاء بالمغفرَةِ فجاءَ بلفظٍ يشملُ العاطسَ والمشمِّتَ كقولهِ : « يغفرُ

---

(١) والأَدعية في ذلك صحيحةٌ مشهورةٌ معلومة .

(٢) كما في حديث أَبي أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ، عن عامر بن ربيعة ، وفيه قولُ النَّبيِّ ﷺ لِلعائن : « عَلامَ يقتلُ أَحدُكم أَخاه ؟! أَلَا تُبَرِّك .. » .

أَخرجه أَحمد (٤ / ٣٨٦) وابن أَبي شيبة (٨ / ٥٨) ، والنَّسائي في « عمل اليوم والليلة » (٢٠٩) بسند صحيح .

(٣) ومَن يقولُ : « أَثابني وأَثابكم اللَّه » ، متوهمًا الثواب .. فلم يأْتِ بصواب !

اللَّهُ لنا ولكم » ليتحصَّلَ مِن مجموعِ دعوى العاطسِ والمشمِّتِ لهُ المغفرَةُ والرَّحمَةُ لهما معًا ، فصلواتُ اللَّهِ وسلامهُ على المبعوثِ بصلاحِ الدُّنيا والآخرَةِ .

ولأجلِ هذا - واللَّهُ أعلم - لم يُؤمَرْ بتشميتِ مَن لم يحمدِ اللَّه[1]؛ فإنَّ الدُّعاء لهُ بالرَّحمَةِ نعمَةٌ ، فلا يستحقُّها مَن لم يحمدِ اللَّهَ ويشكرْهُ على هذه النِّعمَة ، ويتأسَّى بأبيهِ آدمَ فإنَّهُ لمَّا نُفِخَت فيهِ الرُّوحُ إلى الخياشيم عطسَ ، فألهمهُ ربُّهُ تباركَ وتعالى أنْ نطقَ بحمدِهِ ، فقال : الحمدُ للَّهِ ، فقال اللَّه سبحانهُ : يرحمكَ اللَّهُ يا آدمُ[2]، فصارَت تلكَ سُنَّةَ العطاسِ ، فمن لم يحمد اللَّهَ لم يستحقَّ هذه الدَّعوَةَ ، ولمَّا سبقَت هذه الكلمَةُ لآدمَ قبلَ أن يُصيبَهُ ما أصابهُ كانَ مآلهُ إلى الرَّحمَةِ ، وكانَ ما جرى عارضًا ، وزالَ ، فإنَّ الرَّحمَةَ سبقَت العقوبَةَ وغلبت الغضبَ .

وأيضًا ؛ فإنَّما أُمِرَ العاطسُ بالتَّحميد عندَ العُطاسِ لأنَّ الجاهليَّة كانوا يعتقدون فيهِ أنَّهُ داءٌ ، ويكرهُ أحدُهم أن يعطسَ ، ويَوَدُّ أنَّهُ لم يصدُرْ منه لِمَا في ذلكَ من الشؤمِ ، وكانَ العاطسُ يحبسُ نفسَهُ عن العُطاسِ ، ويمتنعُ من ذلكَ جُهْدَهُ مِن سوءِ اعتقادِ جُهَّالهم فيه ، ولذلكَ - واللَّهُ أعلم - بنَوا لفظَهُ على بناءِ الأدواءِ ، كالزُّكامِ والسُّعالِ والدُّوارِ والسُّهامِ[3] وغيرها ، فأُعْلِمُوا أنَّهُ ليسَ بداءٍ ،

---

(١) كما في حديث أَبي بُردةَ بن نِيَار رضي اللَّه عنه - الذي رواه مسلمٌ (٢٩٩٢) - أَنَّ النَّبي ﷺ قال : « إذا عطس أَحدُكم فحمِدَ اللَّه فشمِّتوه ، فإنْ لم يحمد اللَّه فلا تشمِّتوه » .
وفي الباب عن أَنس بن مالك .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٨) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٦٧) ، وابن حبَّان (٦١٦٧) ، والحاكم (٣٣٦٨) بسند صحيح .

(٣) الضُّمْرُ والتغيُّر .

ولكنَّهُ أمرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وهو نعمَةٌ منهُ يستوجبُ عليها مِن عبدِهِ أن يحمدَهُ عليها .

وفي الحديثِ المرفوعِ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطاسَ ويكرهُ التَّثاؤبَ »[(١)] .

والعُطاس ريحٌ مُختنقَةٌ تخرجُ وتفتحُ السَّدَدَ منَ الكبدِ ، وهو دليلٌ جيِّدٌ للمريضِ ، مُؤْذِنٌ بانفراجِ بعضِ علَّتهِ[(٢)]، وفي بعضِ الأمراضِ يُستعملُ ما يُعَطِّسُ العليلَ ، ويُجعَلُ نوعًا منَ العلاجِ ومُعينًا عليهِ .

هذا قَدْرٌ زائدٌ على ما أحبَّهُ الشارعُ من ذلكَ ، وأَمَرَ بحمدِ اللَّهِ عليهِ ، وبالدُّعاءِ لمَن صدرَ منهُ وحَمَدَ اللَّهَ عليهِ .

ولهذا - واللَّهُ أعلمُ - يقالُ : شمَّتَهُ ، إذا قال له : يرحمكَ اللَّه ، وسمّتَهُ ؛ بالمعجمَةِ وبالمهملَةِ ، وبهما رُويَ الحديثُ :

فأمَّا التَّسميتُ - بالمهملَة - ؛ فهو تفعيلٌ منَ السَّمْتِ الذي يرادُ به حُسنُ الهيئةِ والوقارُ ، فَيُقالُ : لفلانٍ سَمْتٌ حَسَنٌ ، فمعنى : سمَّتَّ العاطسَ : وقَّرتَهُ وأكرمتَهُ وتأدَّبْتَ معهُ بأدبِ اللَّهِ ورسولِهِ في الدُّعاءِ لهُ ، لا بأخلاقِ أهلِ الجاهليَّةِ منَ الدُّعاءِ عليهِ والتَّطيُّرِ بهِ والتَّشاؤمِ منهُ .

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٩) عن أَبي هُريرة .
وسيأتي بأَطولَ منه .

(٢) وفي كتاب « إِيثار الحقّ عى الخلْقِ » (ص ٤٨) للحافظ محمَّد بن إبراهيم الوزير اليماني قصَّةٌ طريفةٌ في عَطَساتٍ عَطَسها كانت شفاءً له من علَّة شديدةٍ ، قال :

فإِنِّي شارفتُ الموتَ من الإِسهالِ ، فعطستُ ثلاثَ عطساتٍ ، فكأَنَّما نُشِطْتُ مِن عقال ، ولم يكُن للعُطاسِ سببٌ قطُّ ، فكانت من الآيات العجيبةِ ، فقلتُ فيه :

فيا عَطساتٍ فَرَّجَتْ كُلَّ كُـربةٍ ... ولم يَبْقَ في أَيدي الأُساةِ سوى الصَّفْقِ
له الحمدُ مُنْشَكِّينَ من غير حيلةٍ ... ولا سبـبٍ يُجْـري ليَ الريقَ في حَلْقي
بِكُنَّ علمتُ اللَّهَ عِلْمَ ضـــرورةٍ ... وَكَمْ مثلُـها يجـلو الوساوسَ في الحقِّ

وقيلَ : سمَّتَهُ : دَعا لهُ أن يُعيدَهُ اللَّهُ إلى سَمتهِ قبلَ العطاسِ منَ السُّكونِ والوَقارِ وطمأنينَةِ الأعضاء ، فإنَّ في العطاسِ من انزعاجِ الأعضاءِ واضطرابها ما يُخْرِجُ العاطسَ عن سَمْتهِ ، فإذا قال لهُ السَّامعُ : يرحمكَ اللَّه ، فقد دعا له أن يُعيدَهُ إلى سَمْتهِ وهيئتهِ .

وأمَّا التَّشميتُ - بالمعجمَةِ ؛ فقالت طائفَةٌ - منهم ابنُ السِّكِّيت وغيرهُ - إنَّهُ بمعنى التَّسميت ، وأنَّهما لُغتانِ ، ذكرَ ذلكَ في كتابِ « القَلْبِ والإبدالِ » ، ولم يذكُر أيُّهما الأصلُ ، ولا أيُّهما البَدَلُ .

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ : المُهْمَلَة هي الأصلُ في الكلمَة ، والمُعْجَمَة بَدَلٌ .

واحتجَّ بأنَّ العاطسَ إذا عطسَ انتفشَ وتغيَّرَ شكلُ وجههِ ، فإذا دعا فكأنَّهُ أعادَهُ إلى سمْتهِ وهيئتهِ .

وقال تلميذُهُ ابنُ جِنِّي : لو جَعَلَ جاعلٌ الشينَ المعجمَة أصلًا وأَخذهُ من الشوامتِ - وهي القوائم - لكانَ وجهًا صحيحًا ، وذلكَ أنَّ القوائمَ هي التي تحملُ الفرَسَ ونحوَهُ ، وبها عِصْمَتُهُ ، وهي قِوامُهُ ، فكأنَّهُ إذا دعا لهُ فقد أنهضَهُ ، وثبَّتَ أمرَهُ ، وأحكمَ دعائمَهُ .

وأنشدَ النَّابغَةُ :

.... طَوْعَ الشَّوامِتِ من خوفٍ ومن صَرَدِ

وقالت طائفَةٌ - منهم ابنُ الأعرابيِّ - : يُقال : مرَّضتُ العليلَ ، أي : قمتُ عليهِ ليزولَ مرضُهُ ، ومثلُهُ : قذَّيتُ عينَهُ ، أزلتُ قذاها ، فكأنَّهُ لمَّا دعا لهُ بالرَّحمَةِ قَد قصدَ إزالَةَ الشماتَةِ عنهُ .

ويُنْشَدُ في ذلك :

ما كانَ ضرَّ المُمْرِضِي بِجَفائِه　　　لو كانَ مرَّضَ مُنْعِمًا مَنْ أَمْرَضا

وإلى هذا ذهبَ ثعلبٌ .

والمقصودُ أنَّ التَّطيُّر مِن العُطاس مِن فعلِ الجاهليَّةِ الذي أبطلَهُ الإسلامُ وأخبرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العطاسَ كما في « صحيح البُخاري »[(١)] من حديثِ أبي هريرَة عن النَّبيِّ ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العطاسَ ويكرهُ التَّثاؤب ، فإذا تثاءبَ أحدُكم فليستُرْهُ ما استطاع فإنَّهُ إذا فتحَ فاه ، فقال : آه آه ؛ ضحكَ منهُ الشيطانُ » .

□ □ □ □ □

(١) تقدَّم قريبًا .

١٨٢ - فَصْلٌ
[العدوى وأحكامها]

وأمَّا قولهُ ﷺ : « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ[١] » ، فالمُمْرِضُ الذي إبلهُ مِراضٌ ، والمُصِحُّ الذي إبلُهُ صحاحٌ ، وقَد ظنَّ بعضُ النَّاسِ أنَّ هذا مُعارِضٌ لقولهِ : « لا عَدوى ولا طيرَةَ »[١]، وقال : لعلَّ أحدَ الحديثين نسخَ الآخَر !

وأوردَ الحارثُ بن أبي ذُبابٍ - وهو ابنُ عمِّ أبي هريرَة رضيَ اللَّهُ عنهُ - عليهِ جمعَهُ بينَ الرِّوايتين ، وظنَّهما متعارضتين ، فروى الزُّهْري عن أبي سلمَة بن عبدالرَّحمن ، قال : كانَ أبو هريرَة يُحدِّثنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا عَدوى » ثمَّ حدَّثنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » ، قال : فقال الحارثُ بن أبي ذُباب - وهو ابنُ عمِّ أبي هريرَة - : قد كنتُ أسمعُكَ يا أبا هريرَة تُحدِّثنا حديثًا آخَر قد سكتَّ عنهُ ، كنتَ تقول : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « لا عَدوى » ، فأبى أبو هُريرَة أن يُحَدِّثَ بذلكَ ، وقال : « لا يُوْرِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ » ، فَماراهُ الحارثُ في ذلكَ حتى غضبَ أبو هريرَة ورَطَنَ بالحبشيَّة ، ثمَّ قال للحارث : أتَدري ما قلتُ ؟ قال : لا ، قال : إنِّي أقول : أبَيتُ أبَيتُ ، فلا أدري أنسيَ أبو هرَيرَة أو نَسَخَ أحدُ القولين الآخَر[٢] .

---

(١) تقدَّم تخريجه .

(٢) تقدَّم .

قلتُ : قَد اتَّفقَ(١) مع أبي هريرَةَ سَعْدُ بن أبي وقَّاص ، وجابرُ بن عبداللَّهِ ،

---

(١) أَمَّا حديثُ سَعْدٍ : فقد تقدَّم تخريجُه .
وأَمَّا حديثُ جابرٍ : فأَخرجه مسلمٌ (٢٢٢٢) .
وأَمَّا حديثُ ابنِ عبَّاس : فأَخرجه ابنُ ماجه (٣٥٣٩) بسندٍ صحَّحه البوصيريُّ في « الزوائد » (٢ / ٢٢٣) .
وأَمَّا حديثُ أَنس : فأَخرجه البخاري (٥٧٥٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) .
وأَمَّا قولُه : « وعُمير بن سَلمة » ففيه بحثٌ :
فقد وقع اسمُه هكذا في المخطوط ، وأَمَّا المطبوع ففيه : « عُمر بن سَلْم » !
وليس في الصحابة مِنَ اسمُه (عُمر بن سَلْم) !!
أَمَّا عُمير بن سَلَمَة فيُوجدُ صحابيٌّ هكذا اسمُه ، ولكنْ ليس له هذا الحديثُ ، كما تراه في « الإِصابة » (٤ / ٧١٩) .
ثمَّ إِنّي رأَيتُ في « مسند أَبي يعلى » (١٥٨٠) ، و « معجم الطبراني الكبير » (١٧ / رقم : ١١١) ، و « حِلية الأَولياء » (١ / ٢٥٠) عن عُمير بن سَعْد مرفوعًا ، فذكره .
وقال الهيثمي في « المجمع » (٥ / ١٠١ - ١٠٢) : « وفيه عيسى بن سِنان الحَنَفي ؛ وثَّقه ابنُ حِبَّان وغيرُه ، وضعّفه أَحمدُ وغيرُه ، وبقيَّة رجاله ثقات » .
أَقولُ : فلعلَّ (عُمير بن سَلَمة) مُحرَّفٌ من (عُمَير بن سَعْدٍ) ، والأَمر - إِنْ شاء اللهُ - سهلٌ قريبٌ واللَّهُ أَعلم .
ثمَّ إِنّي أَقول : وفي الباب أَيضًا باللفظِ نفسِه أَحاديثُ جماعةٍ من الصحابة ، أَسردُ أَسماءَهم ، مع ذِكر تخريج إِجمالي لرواياتهم فأَقول :
حديثُ السَّائب بن يزيد ، عند مسلم ؛ (٢٢٢٠) .
حديث ابن مسعود ، عند أَحمد (١ / ٤٤٠) .
حديث ابن عُمر ، عند أَحمد (٢/ ٢٤- ٢٥) وابن ماجه؛ (٨٦) والترمذي (٢١٤٣).
حديث أَبي أُمامة ، عند الطبراني في « الكبير » (٧٧٦١) وفي « مسند الشاميّين » (١٥٥١) وابن جرير في « تهذيب الآثار » (٢٤ - طبع السعوديّة) .
حديث عائشة ، عند ابن جرير في « تهذيب الآثار » (٨٢) .
حديث عبدالرحمن بن أَبي عُميرة المازني ، عند الطبراني كما في « المجمع » (٣ / =

وعبدُاللَّهِ بن عبَّاسٍ ، وأنسُ بن مالكٍ وعُمَير بن سَلَمة على روايتهم عن النَّبيِّ ﷺ قولَه : « لا عَدوى » .

وحديثُ أبي هُريرَة محفوظٌ عنهُ بلا شكٍّ مِن روايَةِ أوثَقِ أصحابِهِ وأحفظِهم ؛ أبي سلمَةَ بنِ عبدالرَّحمن ، ومُحمَّد بن سيرين ، وعُبيداللَّه بن عبداللَّه بن عُتبَة ، والحارث بن أبي ذُباب[1] .

ولم يتفرَّد أبو هُريرَة بروايتهِ عن النَّبيِّ ﷺ ، بل رواهُ معهُ من الصَّحابَةِ مَن ذكرناهُ .

وقولهُ : « لا يُورَدُ مُمْرِضٌ على مُصحٍّ » صحيحٌ أيضًا ، ثابتٌ عنهُ ﷺ .

فالحديثانِ صحيحانِ ولا نَسْخَ ولا تعارضَ بينهما بحمدِ اللَّهِ ، بل كلٌّ منهما لهُ وجهٌ .

= ١٤٧) وابن أَبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١١٣٠) وابن عساكر كما في « جمع الجوامع » (٢٨٦٠٨) .

حديث عليّ ؛ عند ابن جرير في « تهذيب الآثار » ، (٣) و (٤) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤ / ٣٠٧) .

حديث أَبي سعيد الخُدري ؛ عند ابن جرير في « تهذيب الآثار » (٢٧) و (٦٠) و (٦١) والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (٤ / ٣١٤) .

ومُرْسَل أَبي قلابة ، عند ابن جريرٍ في « تهذيب الآثار » (٤٢) .

واللّه وليّ التّوفيق ، وهو - سبحانه - المُستعانُ .

(١) أَمَّا روايةُ أَبي سَلَمة عنه ، ففي « صحيح البخاري » (٥٧١٧) ، و « صحيح مسلم » (٢٢٢٠) (١٠١) .

وروايةُ ابن سيرين في « صحيح مسلم » (٢٢٢٣) (١١٣) .

وروايةُ عُبيداللّه بن عبداللَّه في « صحيح البخاري » (٥٧٥٤) و « صحيح مسلم » (٢٢٢٣) (١١٠) . =

وقَد طعنَ أعداءُ السنَّةِ في أهلِ الحديثِ[١]، وقالوا : يروونَ الأحاديثَ التي يَنْقُضُ بعضُها بعضًا ! ثمَّ يُصَحِّحونها ، والأحاديثُ التي تخالفُ العَقْلَ[٢] فانتدبَ أنصارُ السُّنَّةِ للرَّدِّ عليهم ، ونَفيِ التَّعارُضِ عن الأحاديث الصَّحيحةِ ، وبيانِ مُوافقتها للعقلِ ، قال أبو محمَّد بن قُتيبَة في كتاب « مختلف الحديث »[٣] له : قالوا : حديثانِ مُتناقضانِ ! قالوا : رَوَيتُم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ قال : « لا عَدوى ولا طيرَةَ » ، وأنَّهُ قيلَ لهُ : إنَّ النُّقبَةَ تقعُ بِمِشْفَرِ البعير ، فَيَجْرَبُ لذلكَ الإبلُ ، فقال : « فما أعدى الأوَّل »[٤] ؟ هذا أو معناهُ .

= وبقيت رواياتٌ - عنه - أذكرها :

رواية سِنان بن أَبي سِنان الدؤلي ؛ عند البخاري (٥٧٧٥) ، ومسلم (٢٢٢٠) (١٠٢) .

رواية أَبي صالح ؛ عند البخاري (٥٧٥٧) .

رواية عبدالرحمٰن بن يعقوب ، عند مسلم (٢٢٢٠) (١٠٦) .

رواية مُضارِب بن حَزْن ؛ عند أَحمد (٢ / ٤٨٧) وابن ماجه (٣٥٠٧) .

روايةُ عُلَيّ بن رَبَاح ؛ عند أَحمد (٢ / ٤٢٠) .

رواية أَبي زُرعة بن عَمْرو بن جرير ؛ عند الحُميدي (١١١٧) .

(١) وما زالوا يفعلون ! وهم على أَدبارهم ناكِصون ، وما في جَعْبَتِهم مُفرِغون ، فإذا به كلامٌ موهون ، وفِكرٌ مظنون !!

فإِنَّا للَّه وإِنَّا إِليه راجعون .

(٢) وهذه - بحمد اللَّه - كذبةٌ صلْعاء ، وفِرْيَةٌ نَكْراء ، كشفتُ عَوَارها ، وبيَّنتُ فسادَها في كتابي « العقلانيُّون ؛ أَفراخ المعتزلة العصريُّون » مستفيدًا مِن كلامٍ عظيمٍ لمصنِّفنا رحمه اللَّه ، فَلْيُنْظَر .

(٣) (ص ١٠٢ - ١٠٤) .

(٤) رواه - بهذا اللفظ - أَحمد (١ / ٤٤٠) ، وفي سنده جهالةٌ ، وصحّحه الشيخ أَحمد شاكر في « شرح المسند » (٤١٩٨) بشواهده .

ثمَّ رَويتُم في خلافِ ذلكَ : « لا يُورِدُ ذو عاهَةٍ على مُصِحٍّ »[١] و : « فِرَّ من المجذومِ فرارَكَ مِن الأسدِ »[٢]، وأتاهُ رجلٌ مجذومٌ لِيُبايِعَهُ بيعَةَ الإسلام ، فأرسلَ إليهِ البيعَةَ ، وأَمَرَهُ بالانصرافِ[٣]، ولم يأذَنْ لهُ، وقال : « الشؤمُ في المرأةِ ، والدَّارِ ، والدَّابَّةِ[٤] » .

قالوا : وهذا كلُّهُ مختلفٌ لا يشبهُ بعضهُ بعضًا .

قال أبو محمَّد : ونحنُ نقولُ : إنَّهُ ليسَ في هذا اختلافٌ ، ولكلٍّ واحدٍ معنىً في وقتٍ وموضعٍ ، فإذا وضعَ موضعَهُ زالَ الاختلافُ .

والعَدوى جنسانِ :

أحدُهما : عَدوى الجُذام ؛ فإنَّ الجُذامَ تشتدُّ رائحتُهُ حتى يُسْقِمَ مَن أطالَ مُجالستَهُ ومُؤاكلتَهُ ، وكذا المرأة تكونُ تحتَ المجذومِ فتُضاجِعُهُ في شِعارٍ[٥] واحدٍ ، فيُوْصِلُ إليها الأذى ، وربَّما جُذِمَتْ ، وكذلكَ ولَدُهُ ينزِعون في الكِبَرِ إليهِ ، وكذلك مَن بِهِ سِلٌّ ودِقٌّ ونُقَبٌ[٦] والأطبَّاءُ تأمرُ أن لا يُجالسَ المجذومُ ولا المسلولُ ، ولا يريدونَ بذلكَ معنى العَدوى ، وإنَّما يريدون به معنى تغيُّرِ

---

(١) رواه - بهذا اللفظ - أَبو عُبيد القاسم بن سلّام في « غريب الحديث »(٢ / ٢٢١) عن أَبي المليح رَفَعَهُ .

وأبو المليح ثقةٌ كبيرٌ ، لكنَّه تابعيٌّ ، فالحديثُ مُرْسَلٌ !

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) رواه مسلمٌ (٢٢٣١) عن الشَّريد بن سُوَيد .

(٤) تقدّم مرارًا .

(٥) لباس أَو فِراش .

(٦) الدِّق : حمًّى تُصاحِبُ السِّلَّ غالبًا .

والنُّقَب : الجرَب .

الرَّائحَةِ ، وأنَّها قَد تُسْقِمُ مَن أطالَ اشتمامَها ، والأطبَّاءُ أبعدُ النَّاسِ من الإيمانِ بيُمنٍ وشؤمٍ ، وكذلكَ النُّقْبَةُ تكونُ بالبعيرِ - وهو جَرَبٌ رطبٌ - ، فإذا خالطَ الإبلَ أو حاكَّها وآوى في مباركِها أوصلَ إليها بالماءِ الذي يسيلُ منهُ والنَّطْفِ[1] نحوًا ممَّا بهِ .

فهذا هو المعنى الذي قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا يُوردُ ذو عاهَةٍ على مُصِحٍّ » كَرِهَ أن يُخالِطَ المصابُ الصَّحيحَ فينالَهُ من نَطْفِهِ وحِكَّتِه نحوٌ ممَّا بهِ .

قال : وقَد ذهبَ قومٌ إلى أنَّهُ أرادَ بذلكَ أن لا يَظنَّ أنَّ الذي نالَ إبلَهُ من ذواتِ العاهَةِ فيأثَمَ ! وليسَ لهذا عندي وجهٌ إلّا الذي خبَّرتُكَ بهِ عِيانًا .

وأمَّا الجنسُ الآخَرُ منَ العَدوى فهو الطَّاعون ينزلُ ببلدٍ ، فيُخْرَجُ منهُ خوفَ العَدوى .

حدَّثني سَهْلُ بن محمَّد ، قال : حدَّثني الأصمعيُّ ، عن بعضِ البَصْريِّين أنَّهُ هربَ منَ الطَّاعون ، فركبَ حمارًا ، ومضى بأهلِهِ نحوَ سَفَوان[2] فسمعَ حاديًا يحدو خلفَهُ وهو يقول :

لَن يُسبقَ اللَّهُ على حمارِ ... ولا على ذي مَيْعَةٍ مُطَارِ

أو يأتيَ الحتفُ على مِقْدارِ ... قَد يُصبحُ اللَّهُ أمامَ السَّاري

وقَد قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا كانَ بالبلدِ الذي أنتمُ فيهِ فلا تخرجُوا منهُ[3] » ، وقال : « إنْ كانَ ببلدٍ فلا تَدخلوهُ » ، يريدُ بقولِهِ : « لا تخرجوا من

---

(١) هو سَيَلان الماء .

(٢) موضع بالبصرة .

(٣) رواه مسلم (٢٢١٨) عن سعد بن أَبي وقّاص .

وفي الباب عن غيره .

البلدِ إذا كانَ فيهِ »(١) ، كأنَّكم تظنُّونَ أنَّ الفِرارَ مِن قَدَرِ اللَّهِ يُنَجِّيكم من اللَّهِ ، ويريدُ : « إنْ كانَ ببلدٍ فلا تَدخُلوهُ » ، فإنَّ مقامَكم في الموضعِ الذي لا طاعونَ فيهِ أسْكَنُ لأنفسِكم ، وأطيبُ لمعيشتِكم ، ومن ذلكَ المرأةُ تُعرَفُ بالشؤمِ ، أو الدَّار ، فينالُ الرَّجُلَ مكروهٌ أو جائحَةٌ ، فيقول : أعْدَتْني بشؤمها ! فهذا هو العَدوى الذي قال فيهِ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا عَدوى » .

فأمَّا الحديثُ الذي رواهُ أبو هرَيرَة رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّهُ قال : « الشؤمُ في المرأةِ والدَّارِ والدَّابَّةِ » ، فإنَّ هذا الحديثَ يُتَوَهَّمُ فيهِ الغَلَطُ على أبي هريرَة ، وأنَّهُ سمعَ فيهِ شيئًا من رسولِ اللَّهِ ﷺ فلم يَعِهِ .

حدَّثني محمَّد بن يَحيَىٰ القُطَعي : حدَّثنا عبدُ الأعلى ، عن سعيدٍ ، عن قَتادَةَ ، عن أبي حسَّان الأعرج أنَّ رجلين دَخلا على عائشَةَ فقالا : إنَّ أبا هريرَة رضيَ اللَّهُ عنهُ يحدِّثُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ قال : « إنَّما الطِّيرَةُ في المرأةِ والدَّارِ والدَّابَّةِ » ، فطارَت شَفَقًا ، ثمَّ قالت : كَذبَ - والذي أنزلَ الفُرقانَ على أبي القاسم - مَن حدَّثَ بهذا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إنَّما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يقولون : إنَّ الطِّيرَةَ في الدَّابَّةِ والمرأةِ والدَّارِ »(٢) ، ثمَّ قرَأَتْ : ﴿ ما أصابَ من مُصيبَةٍ في الأرضِ ولا في أنفُسِكم إلَّا في كتابٍ مِنْ قبلِ أنْ نَبْرَأَها ﴾ [الحديد:٢٢] .

حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني أحمدُ بن الخليلِ : حدَّثنا موسى بن مسعودٍ النَّهْدي ، عن عكرِمَة بن عمَّارٍ ، عن إسحاقَ بن عبداللَّهِ بن أبي طلحَةَ ، عن أنس بن مالك رضيَ اللَّهُ عنهُ قال : جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال : يا رسول

---

(١) قِطعة من الحديث السابق نفسِه .

(٢) تقدَّم تخريجه والكلامُ عليه مُفصَّلًا (ص ٣٣٣).

اللَّه إنَّا نَزَلْنا دارًا فَكَثُرَ فيها عَدَدُنا ، وكَثُرَت فيها أموالُنا ، ثمَّ تحوَّلْنا عنها إلى أخرى فقلَّتْ فيها أموالُنا ، وقلَّ فيها عددُنا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ذَروها ، وهي ذميمَةٌ » .

قال أبو محمَّد : وهذا ليسَ ينقضُ الحديثَ الأوَّلَ ، ولا الحديثُ الأوَّلُ ينقضُ هذا ، وإنَّما أَمَرَهُم بالتَّحوُّلِ منها ؛ لأنَّهم كانوا مُقيمين فيها على استثقالٍ لظلِّها ، واستيحاشٍ لِمَا نالَهم فيها ، فَأَمَرَهُم بالتَّحوُّلِ ، وقَد جعلَ اللَّهُ في غرائزِ النَّاسِ وتركيبهم استثقالَ ما نالَهُم السُّوءُ فيهِ ، وإنْ كانَ لا سببَ لهُ في ذلكَ ، وحُبَّ مَن جرى على يدهِ الخيرُ لهم وإنْ لم يُرِدْهُم به ، وبُغْضَ مَن جرى على يدهِ الشرُّ لهم وإنْ لم يُرِدْهُم به ، وكيفَ يتطيَّرُ ﷺ والطِّيرَةُ من الجِبْتِ ؟! وكانَ كثيرٌ من [أَهل] الجاهليَّة لا يرونها شيئًا ، ويمدحونَ مَنْ كذبَ بها ...

ثمَّ أنشدَ ما ذكرنا من الأبياتِ سالفًا ، ثمَّ قال : حدَّثنا إسحاقُ بن راهويهِ : أخبرنا عبدُالرزَّاقِ[1] ، عن مَعْمَرٍ ، عن إسماعيلَ بن أبي أُميَّة ، قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : « ثلاثٌ لا يَسْلَمُ منهنَّ أحدٌ : الطِّيرَةُ والظَّنُّ والحَسَدُ » ، قيلَ : فما المخرجُ منهنَّ ؟ قال : « إذا تطيَّرْتَ فلا ترجِعْ ، وإذا ظَنَنْتَ فلا تُحَقِّق ، وإذا حسَدْتَ فلا تَبْغِ » . هذه الألفاظ أو نحوها .

حدَّثني أبو حاتمٍ ، قال : حدَّثنا الأصْمَعيُّ ، عن سعيدِ بن سالم[2]، عن

---

(١) تقدَّم تخريجه من رواية عبدالرزَّاق .

(٢) في كتاب ابن قُتيبة : سعيد بن مُسلم .

ولم يذكر المِزّي في « تهذيب الكمال » (١٨ / ٣٨٣ - ٣٨٤) مَن اسمه هكذا أو هكذا في مشايخ الأصمعي .

نَعَمْ ؛ يُوجد عدَّة رُواة بهذا الاسم أو ذاك ، ولكنِّي لم أرَ منهم مَن ذُكِرَ شيخًا للأصمعيِّ ، واللَّه أعلم .

أبيهِ ، أنَّهُ كان يَعْجَبُ ممَّن يُصدِّقُ بالطِّيرَةِ ، ويعيبُها أشدَّ العيبِ ، وقال : فَرَقَتْ[١] لنا ناقةٌ وأَنَا بالطَّائف ، فركبتُ في إِثْرِها ، فلقيني هانىءُ بن عُبيدٍ من بني وائلٍ وهو مُسْرِعٌ ، وهو يقول :

.... والشرُّ[٢] يُلْفى مطالعَ الأَكَم

ثمَّ لِقَيَني آخرُ مِن الحيِّ ، وهو يقول :

ولئـــن بَغَيْـــتَ لهم بُغاةً مـــا البُغـاةُ بواجِـديـنا

ثمَّ دَفَعْنا إلى غُلامٍ وقَد وقعَ في صغرهِ في نارٍ ، فأَحْرَقَتْهُ فقَبُحَ وجهُهُ ، وفَسَدَ ، فقلتُ لهُ : هل ذكرتَ مِن ناقَةٍ فارِق ؟ قال : ها هُنا أهلُ بيتٍ من الأعراب ، فانْظُر ، فنظرتُ فإذا هي عندهم ، وقَد نُتِجَتْ[٣]، فأَخَذْناها وولدَها .

قال أبو محمَّد : الفارِقُ : التي ضلَّتْ ففارقَت صواحبَها .

وقال عِكرمَةُ : كنَّا جُلوسًا عندِ ابنِ عبَّاسٍ ، فمرَّ طائرٌ يصيح ، فقال رجلٌ : خيرٌ خيرٌ ، فقال ابنُ عبَّاسٍ : لا خيرٌ ولا شرٌّ .

وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يستحبُّ الاسمَ الحَسَن ، والفألَ الصَّالح .

حدَّثني الرِّياشيُّ : حدَّثنا الأصمعي ، قال : سألتُ ابنَ عونٍ عن الفألِ ؟ فقال : هو أن يكونَ مريضًا فيسمعُ : يا سالمُ ، أو يكونَ باغيًا[٤] فيسمعُ : يا واجد .

---

(١) أَي : أَخذها المخاض ، فَجَرَتْ .

(٢) كذا في كتاب ابن قُتيبة ، وفي المخطوط والمطبوع : « والشرع » !
ورواه ابن عبدالبرّ في « التمهيد » (٢٤ / ١٩٧) بسنده ، على ما في كتاب ابن قُتيبة .

(٣) وَلَدَتْ .

(٤) أَي : يطلبُ ضالّةً .

وهذا أيضًا ممَّا جُعِلَ في غرائزِ النَّاسِ وتركيبِهم استحبابُهُ والأُنْسُ به ، وكما جُعِلَ على الألسنةِ مِنَ التَّحيَّةِ بالسَّلامِ ، والمدِّ في الأُمْنِيَة ، والتَّبشيرِ بالخيرِ، وكما يقال : أَنْعِمْ ، و : أَسْلِم، و : أَنْعِمْ صباحًا ، وكما تقول الفُرْسُ : عِش ألفَ نُوْرُوزَ ، والسَّامعُ لها يعلمُ أنَّهُ لا يُقدّمُ ولا يُؤخّر ، ولا يزيدُ ولا يَنْقُصُ ، ولكنْ جُعلَ في الطِّباعِ محبَّةُ الخيرِ ، والارتياحُ للبشرى والمنظرِ الأنيقِ والوجهِ الحسنِ والاسمِ الخفيفِ ، وقَد يَمُرُّ الرَّجلُ بالرَّوضَةِ المُنوَّرَةِ فتسرُّهُ ، وهي لا تنفعهُ ، وبالماءِ الصَّافي فيُعْجَبُ بِهِ وهو لا يشربُهُ ولا يَرِدُه .

وفي بعضِ الحديثِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ يُعْجَبُ بالأُتْرُجِّ ، ويُعجِبُهُ الحَمامُ الأحمرُ[1]، وتعجبهُ الفاغيَةُ[2]- وهو نَورُ الحنَّاءِ - ، وهذا مِثْلُ إعجابهِ بالاسمِ الحسنِ والفألِ الحسنِ .

وعلى حَسَبِ هذا كانَت كراهيَّةُ الاسمِ القبيحِ كبني النَّار وبني حرَّاقٍ وأشباهِ هذا . انتهى كلامهُ[3].

وقَد سلكَ أبو عُمر ابنُ عبدالبرِّ في هذا الحديثِ نحوًا من مسلكِ أبي محمَّد بن قتيبَة ، فقال : أمَّا قولهُ ﷺ : « لا عَدوى » فهو نَهيٌ أن يقولَ أحدٌ : إنَّ شيئًا يعدي شيئًا ، وإخبارٌ أنَّ شيئًا لا يُعدي شيئًا ، فكأنَّهُ لا يُعدي شيءٌ شيئًا ،

---

(١) رواه ابنُ الجوزي في « الموضوعات » (٣ / ٩) ، وابن حِبَّان في « المجروحين » (٣ / ١٤٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٢ / ٣٣٩) عن أَبي كبشة .
وفي سنده أبو سفيان الأنماري « يروي الطامَّات من الروايات » كما قال ابن حبَّان .

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) وقد نقل المصنّف كلامَ ابنِ قتيبةَ هذا في كتابه « زاد المعاد » (٤ / ١٥٠ - ١٥٤) ثمَّ عَطَفَ بالعزوِ على كتابنا هذا .

يقول : لا يُصيبُ أحدٌ من أحدٍ شيئًا من خُلُقٍ أو فعلٍ أو داءٍ أو مرضٍ ، وكانَت العربُ تقول في جاهليّتها في مثلِ هذا : إنَّهُ إذا اتَّصلَ شيءٌ من ذلكَ بشيءٍ أعداهُ، فأخبرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أنَّ قولَهم واعتقادَهم في ذلكَ ليسَ كذلكَ، ونهى عن ذلكَ القولِ إعلامًا منهُ بأنَّ ما اعْتُقِدَ مِن ذلكَ مَن اعتقدَ منهم كانَ باطلًا .

قال : وأمَّا المُمْرِضُ فالذي إبلهُ مِراضٌ ، والمُصِحُّ الذي إبلهُ صِحاحٌ .

ورَوى ابنُ وهبٍ عن ابنِ لَهيعَةَ عن أبي الزُّبير عن جابرٍ ، قال : يُكرهُ أَنْ يَدْخُلَ المريضُ على الصَّحيحِ منها ، وليسَ بهِ إلّا قولُ النَّاسِ ، وحمايَةً للقلبِ ممَّا يستبقُ إليهِ من الأَفْهامِ ويقعُ فيه من التَّطيُّرِ والتَّشاؤمِ بذلكَ .

وقَد قال أبو عُبيدٍ قولًا قريبًا من ذلكَ ، فقال في قولِهِ في هذا الحديثِ أنَّهُ إذا أبى إيرادَ المُمْرِضِ على المصحِّ ، فقال[1] : معنى الأذى عندي المأْثَم ، يعني أنَّ المُورِدَ يأثم بأذاهُ مَن أوردَ عليهِ ، وتعريضهِ للتَّشاؤم والتَّطيُّر .

وقَد سلكَ بعضُهم مسلكًا آخَرَ فقال : ما يُخبِرُ به النَّبيُّ ﷺ نوعان :

أحدُهما : يُخبرُ به عن الوَحيِ ، فهذا خَبَرٌ مُطابِقٌ لِمُخبَرِهِ من جميعِ الوجوهِ ، ذِهنًا وخارجًا ، وهو الخبرُ المعصومُ .

والثَّاني : ما يُخبِرُ به عن ظنِّهِ من أُمورِ الدُّنيا التي هم أعلمُ بها منهُ ، فهذا ليسَ في رُتبَةِ النَّوعِ الأوَّلِ ، ولا تثبتُ لهُ أحكامُهُ ، وقَد أخبرَ ﷺ عن نفسهِ الكريمَةِ بذلكَ تفريقًا بينَ النَّوعين ، فإنَّهُ لمَّا سمعَ أصواتَهم في النَّخلِ يُؤبِّرونَها - وهو التَّلقيحُ - قال : ما هذا ؟ فأخْبَرُوهُ بأنَّهم يُلقِّحونها ، فقال : « ما أرى لو

---

(١) « غريب الحديث (٢ / ٢٢٣) .

تركتموه يَضُرُّ شيئًا » ، فتركوهُ فجاءَ شِيصًا ، فقال : « إنَّما أخبرتُكم عن ظنِّي ، وأنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم ، ولكنْ ما أخبرتُكم عن اللَّهِ » .

والحديثُ صحيحٌ مشهورٌ[1] ، وهو من أدلَّةِ نُبُوَّتِهِ وأعلامِها ، فإنَّ مَن خفيَ عليهِ مثلُ هذا مِن أمرِ الدُّنيا وما أجرى اللَّهُ به عادَته فيها ، ثمَّ جاءَ مِن العُلومِ التي لا يُمْكِنُ للبشرِ أن يطلِعَ عليها البتَّةَ إلّا بوحيٍ من اللَّهِ ، فأخبرَ عمَّا يكونُ ، وما هو كائنٌ مِن لَدُن خَلْقِ العالَمِ إلى أن استقرَّ أهلُ الجنَّةِ في الجنَّةِ ، وأهلُ النَّارِ في النَّارِ ، وعن غيبِ السَّمواتِ والأرضِ ، وعن كُلِّ سببٍ دقيقٍ أو جليلٍ تُنَالُ به سعادَةُ الدَّارَيْنِ ، وكُلِّ سببٍ دقيقٍ أو جليلٍ تُنالُ به شقاوةُ الدَّارين ، وعن مصالحِ الدُّنيا والآخرَةِ وأسبابِهما مع كونِ معرفتِهم بالدُّنيا وأمورها وأسبابِ حُصولها ووجوهِ تمامها أكثرَ مِن معرفتهِ ، كما أنَّهم أعرفُ بالحسابِ والهندسَةِ والصِّناعات والفِلاحَةِ وعمارَةِ الأرضِ والكتابَةِ ، فلو كانَ ما جاءَ بهِ ممَّا يُنالُ بالتَّعلُّم والتَّفكُّر والتَّطيُّرِ والطُّرُقِ التي يسلُكها النَّاسُ لكانوا أَوْلى به منهُ ، وأسبَق إليهِ ، لأنَّ أسبابَ ما يُنالُ بالفكرَةِ والكتابَةِ والحسابِ والنَّظرِ والصِّناعات بأيديهم ، فهذا مِن أقوى براهين نُبُوَّتهِ وآياتِ صِدْقهِ ، وإنَّ هذا الذي جاءَ به لا صُنْعَ للبشرِ فيهِ البتَّةَ ، ولا هو ممَّا يُنالُ بسَعيٍ وكسبٍ وفكرٍ ونظرٍ ﴿ إنْ هو إلّا وحيٌ يوحى علَّمهُ شديدُ القوى ﴾ ، ﴿ الذي يعلمُ السرَّ في السَّمٰواتِ والأرضِ ﴾ ، أنزلَهُ ﴿ عالمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أَحدًا إلّا من ارتَضى من رسولٍ ﴾ .

---

(١) رواه مسلمٌ (٢٣٦١) عن أَنس وعائشة .

وفي الباب عن عدَّة من الصَّحابة .

قالوا : فهكذا إخبارهُ عن عدمِ العَدوى ، إخبارٌ عن ظنِّهِ ، كإخبارهِ عن عدمِ تأثيرِ التَّلْقيحِ ، لا سيَّما وأحدُ البابين قريبٌ من الآخَر ، بل هو في النَّوعِ واحدٌ ، فإنَّ اتِّصال الذَّكرَ بالأُنثى وتأثُّرَهُ بهِ كاتِّصالِ المُعْدَى بالمُعْدِي ، وتأثُّرهِ به ، ولا ريبَ أنَّ كِليهما من أُمورِ الدُّنيا لا ممَّا يتعلَّقُ به حكمٌ من الشرعِ ، فليسَ الإخبارُ به كالإخبار عن اللَّهِ سبحانهُ وصفاتِه وأسمائِهِ وأحكامِهِ .

قالوا : فلمَّا تبيَّن لهُ ﷺ مِن أمرِ الدُّنيا الذي أجرى اللَّهُ سبحانهُ عادتَهُ به ارتباطَ هذه الأسبابِ بعضِها ببعضٍ ، وتأثيرَ التَّلْقيحِ في صلاحِ الثِّمارِ ، وتأثيرَ إيرادِ المُمْرِضِ على المُصِحِّ أقرَّهم على تأبيرِ النَّخْلِ، ونهاهم أن يُوْرِدَ مُمْرِضٌ على مصحٍّ .

قالوا : وإنْ سمِّي هذا نَسْخًا بهذا الاعتبار فلا مُشاحَّة في التَّسميَة إذا ظهرَ المعنى ، ولهذا قال أبو سَلَمَةَ بنُ عبدالرَّحمن : فلا أدري أنسيَ أبو هرَيرَة أو نُسِخَ أحدُ القولين بالآخرِ ؟! يعني حديثَه بالحديثين ؛ فجوَّزَ أبو سَلَمَة النَّسْخَ في ذلكَ مع أنَّهُ خَبَرٌ ، وهو بما ذَكَرْنا منَ الاعتبارِ .

وهذا المسلكُ حَسَنٌ ، لولا أنَّهُ قد اجتمعَ الفَصْلان في حديثٍ واحدٍ كما في « موطَّأ مالكٍ » أنَّهُ بَلَغَهُ عن بُكيرِ بن عبداللَّهِ بن الأشجِّ عن ابنِ عطيَّة أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا عَدوى ولا صفرَ ، ولا يَحْلُلِ المُمْرِضُ على المُصِحِّ ، ولْيَحْلُل المصحُّ حيث شاء » ، قالوا : وما ذاكَ يا رسولَ اللَّه ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّهُ أذىً » .

وقَد يُجابُ عن هذا بجوابين :

أحدُهما : أنَّ الحديثَ لا يَثْبُتُ[1]؛ لوجهين :

---

(١) وللحافظ ابن حَجَر في « بذْل الماعون » (٢٩٨ - ٣٠١) كلامٌ جليلٌ في هذا الحديثِ .

أحدهما : إرسالُه .

الثَّاني : أنَّ ابنَ عطيَّة هذا - ويقال : أبو عطيَّة - مجهولٌ ، لا يُعرفُ إلّا في هذا الحديث .

الجواب الثَّاني : قولُهُ فيه : « لا عَدوى » نَهيٌ ، لا نفيٌ ، أي : لا يُعدي المُمْرِضُ المُصِحَّ بحلولِهِ عليهِ .

ويدلُّ على ذلكَ ما رواهُ أبو عُمر النَّمَري[1]: حدَّثنا خَلَف بن القاسم : حدَّثنا محمَّد بن عبداللَّهِ : حدَّثنا يحيى بنُ محمَّد بن صاعد : حدَّثنا أبو هِشام الرِّفاعي : حدَّثنا بشْرُ بن عُمرَ الزّهراني ، قال : قال مالكٌ : إنَّهُ بَلَغهُ عن بُكيرِ بن عبداللَّهِ الأشجِّ عن أبي عطيَّةَ أو ابنِ عطيَّة - شكَّ بشرٌ - عن أبي هريرَة قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا طيرَةَ ولا هامَةَ ، ولا يُعْدي سقيمٌ صحيحًا ، وَلْيَحِلَّ المُصِحُّ حيثُ شاء » ، ففي هذا النَّفْيِ كالإِثْباتِ للعَدوى والنَّهيِ عن أسبابها ، ولعلَّ بعضَ الرُّواةِ رواهُ بالمعنى ، فقال : لا عَدوى ولا طيرَةَ ولا هامَة ، وإنَّما مَخْرَجُ الحديثِ النَّهيُ عن العَدوى ، لا نَفْيُها .

وهذا أيضًا حسنٌ لولا حديثُ ابنِ شهابٍ، عن أبي سلمَةَ بن عبدالرَّحمن ، عن أبي هُريرَة قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فمَن أعدى الأوَّل ؟ »[2] فهذا الحديثُ قَد فَهِمَ منهُ السَّامعُ النَّفْيَ ، وأقرَّهُ عليهِ ﷺ ، ولهذا استشكلَ نَفْيَهُ ، وأوْرَدَ ما أورده ، فأجابهُ ﷺ بما يتضمَّنُ إبطالَ الدَّعوى ، وهو قولُهُ : « فمَن أعدى الأوَّل ؟ » .

---

(١) هو ابن عبدالبرّ ، فانظر « التمهيد » (٢٤ / ١٨٩) له .

(٢) تقدَّم تخريجه .

وهذا أصحُّ من حديثِ أبي عطيَّة المُتقدِّم .

وحينئذٍ فيُرْجَعُ إلى مَسْلَكِ التَّلقيحِ المذكورِ آنفًا ، أو ما قَبلهُ من المسالكِ .

وعندي في الحديثين مَسْلَكٌ آخَرُ يتضمَّن إثباتَ الأسبابِ والحِكَمِ ، ونَفْيَ ما كانوا عليهِ من الشركِ ، واعتقادِ الباطل ، ووُقوعِ النَّفيِ والإثباتِ على وجههِ ؟ فإنَّ العوامَّ كانوا يُثْبِتُونَ العَدوى على مذهبِهم من الشركِ الباطلِ ، كما يقولهُ المُنجِّمون من تأثيرِ الكواكبِ في هذا العالَم وسُعودِها ونحوسِها - كما تقدَّم الكلامُ عليهم - ، ولو قالوا : إنَّها أسبابٌ أو أجزاءُ أسبابٍ ، إذا شاءَ اللَّهُ صرفَ مُقتضياتِها بمشيئتهِ وإرادتهِ وحكمتهِ ، وإنَّها مُسَخَّرَةٌ بأمرهِ لِمَا خُلِقَتْ لهُ ، وإنَّها في ذلكَ بمنزلَةِ سائرِ الأسبابِ التي رَبَطَ بها مسبَّباتِها ، وجَعَلَ لها أسبابًا أُخَرَ تُعارضها وتُمانعها ، وتمنعُ اقتضاءَها لِمَا جُعِلَت أسبابًا لهُ ، وإنَّها لا تَقْضي مُسبَّباتِها إلّا بإذنهِ ومشيئتهِ وإرادتهِ ، ليسَ لها مِن ذاتها ضُرٌّ ، ولا نَفْعٌ ، ولا تأثيرٌ البتَّة ، إنْ هي إلّا خَلْقٌ مُسخَّرٌ مُصرَّفٌ مَربوبٌ ، لا تتحرَّكُ إلّا بإذْنِ خالقِها ومشيئتهِ ، وغايتُها أنَّها جزءُ سببٍ ، ليسَتْ سببًا تامًّا ، فسببيَّتُها من جنسِ سببيَّة وَطْءِ الوالدِ في حُصولِ الوَلدِ ، فإنَّهُ جُزءٌ واحدٌ من أجزاءٍ كثيرَةٍ من الأسبابِ التي خَلَقَ اللَّهُ بها الجنينَ ، وكسببيَّةِ شَقِّ الأرض ، وإلْقاءِ البِذْرِ ، فإنَّهُ جزءٌ يسيرٌ من جُملَةِ الأسبابِ التي يُكوِّنُ اللَّهُ بها النَّباتَ .

وهكذا جُملَةُ أسبابِ العالَمِ من الغذاءِ والدّواءِ والعافيَةِ والسَّقَمِ وغيرِ ذلكَ ، وأنَّ اللَّهَ سُبحانهُ جَعلَ مِن ذلكَ سببًا ما يشاءُ ، ويُبْطِلُ السببيَّةَ عمَّا يشاء ، ويخلقُ من الأسبابِ المُعارضَةِ له ما يحولُ بينهُ وبينَ مقتضاه .

فَهُم لو أثْبَتُوا العَدوى على هذا الوجهِ لَمَا أُنْكِرَ عليهم ، كما أنَّ ذلكَ ثابتٌ

في الدَّاءِ والدَّواءِ ، وقَد تَداوى النَّبيُّ ﷺ وأمَرَ بالتَّداوي ، وأخبرَ أنَّهُ : « ما أنزلَ اللَّهُ داءً إلّا أنزلَ لهُ دواءً ، إلّا الهَرَم »(١)، فأَعْلَمَنا أنَّهُ خالقُ أسبابِ الداءِ وأَسبابِ الدَّواءِ المُعارِضَةِ المُقاوِمَةِ لها، وَأَمَرَنا بدفعِ تلكَ الأسبابِ المكروهةِ بهذه الأسبابِ .

وعلى هذا قِيامُ مصالح الدَّارَيْنِ ، بل الخَلْقُ والأمرُ مبنيٌّ على هذه القاعدَة ، فإنَّ تَعْطِيلَ الأسبابِ وإخراجَها عن أنْ تكونَ أسبابًا تعطيلٌ للشرعِ ومصالحِ الدُّنيا ، والاعتمادُ عليها والرُّكونُ إليها واعتقادُ أنَّ المسبَّباتِ بها وحدَها وأنَّها أسبابٌ تامَّةٌ : شِرْكٌ بالخالقِ عزَّ وجلَّ ، وجَهْلٌ به ، وخُروجٌ عن حقيقَةِ التَّوحيد .

وإثْباتُ مُسبَّباتها على الوجهِ الذي خَلَقَها اللَّهُ عليهِ وجَعَلَها لهُ إثباتٌ للخَلْقِ والأمرِ ، للشرعِ والقَدَرِ ، للسَّببِ والمشيئةِ ، للتَّوحيدِ والحكمَةِ ، فالشارعُ يُثْبِتُ هذا ولا ينفيه ، وينفي ما عليهِ المُشرِكون من اعتقادِهم في ذلك ، ويُشْبِهُ هذا **نَفيُهُ** سبحانهُ وتعالى **الشفاعةَ** في قوله : ﴿ واتَّقُوا يومًا لا تَجزي نَفسٌ عَن نَفسٍ شيئًا ولا يُقْبَلُ منها شفاعَةٌ ولا يُؤخَذُ منها عَدلٌ ﴾ [البقرة:٤٨]، وفي الآيَةِ الأُخرى : ﴿ ولا تَنفعُها شفاعَةٌ ﴾ [البقرة:١٢٣]، وفي قولِهِ : ﴿ مِنْ قَبْلِ أنْ يأتيَ يومٌ لا بَيْعٌ فيهِ ولا خُلَّةٌ ولا شفاعَةٌ ﴾ [البقرة:٢٥٤]، **وإثباتُها** في قولِه : ﴿ ولا يَشْفَعُون إلّا لمَن ارتَضى ﴾[الأنبياء:٢٨]، وقولِه : ﴿ مَن ذا الَّذي يشفعُ عندَهُ إلّا بإذنهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقولِه : ﴿ لا يمْلِكُونَ الشفاعَةَ إلّا لمَن اتَّخذَ عندَ

---

(١) أَخرجه أَبو داود (٣٨٥٥) ، وابن ماجه (٣٤٣٦) ، والترمذي (٢٠٣٨) ، والحُميدي (٨٢٤) ، وأحمد (٤ / ٢٧٨) ، والبُخاري في « الأَدب المفرد » (٢٩١) ، وابن حبّان (٦٠٦١) عن أُسامة بن شَرِيك ، بسند صحيح .

الرَّحمنِ عَهدًا ﴾ [مريم:٨٧]، فإنَّهُ سبحانهُ نَفى الشفاعَة الشِّرْكيَّةَ التي كانوا يعتقدُونها وأمثالُهم مِن المشركين ، وهي شفاعَةُ الوسائطِ لهم عندَ اللَّهِ في جَلْبِ ما ينفعُهم ، ودَفْعِ ما يضرُّهم بذواتها وأنفسِها بدونِ توقُّفِ ذلكَ على إذن اللَّهِ ومرضاتهِ لمَن شاءَ أنْ يَشْفَعَ فيه الشافعُ ، فهذه الشفاعَةُ الّتي أَبْطَلَها اللَّهُ سبحانهُ ونفاها - وهي أصلُ الشركِ كُلِّهِ وقاعدتُهُ التي عليها بناؤُهُ وأخبِيَتُهُ التي يُرْجَعُ إليها - ، وأثبتَ سبحانهُ الشفاعَةَ التي لا تكونُ إلّا بإذنِ اللَّهِ للشافعِ ورضاهُ عن المشفوع قولِهِ وعملِهِ ، وهي الشفاعَةُ الَّتي تُنال بتجريدِ التوحيدِ ، كما قال ﷺ : « أَسعدُ النَّاسِ بشفاعتي مَن قال : لا إلٰه إلَّا اللَه ؛ خالصًا من قلبِه »[1].

والشفاعةُ الأولى : هي الشفاعَةُ التي ظنَّها المشركون ، وجعلوا الشركَ وسيلةً إليها ، فالمقامات ثلاثةٌ :

أحدُها : تجريدُ التَّوحيد ، وإثباتُ الأسبابِ ، وهذا هو الذي جاءَت به الشرائعُ ، وهو مُطابِقٌ للواقعِ في نفسِ الأمرِ .

الثَّاني : الشركُ في الأسبابِ بالمعبودِ ، كما هو حالُ المشركين على اختلافِ أصنافِهم .

الثَّالث : إنكارُ الأسباب بالكُلِّيَّة مُحافظةً مِن مُنْكِرِها على التَّوحيدِ .

فالمُنحرفون طرفانِ مذمومانِ ؛ إمَّا قادحٌ في التَّوحيد بالأسبابِ ، وإمَّا مُنْكِرٌ للأسبابِ بالتَّوحيدِ ، والحقُّ غيرُ ذلكَ ، وهو إثباتُ التَّوحيدِ والأسبابِ ، وربطُ أحدِهما بالآخرِ ، فالأسبابُ مَحَلُّ حُكمهِ الدِّينيِّ والكونيِّ ، والحُكمان عليها يجريان ، بل عليها يترتَّبُ الأمرُ والنَّهيُ ، والثَّوابُ والعقابُ ، ورِضا الرَّبِّ وسَخَطُهُ ، ولعنتهُ وكرامتهُ ، والتَّوحيدُ تجريدُ الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ عن كُلِّ شركٍ ،

فإنكارُ الأسبابِ إِنكارُ الحِكمَةِ ، والشركُ بها قَدْحٌ في توحيدِهِ ، وإثباتُها والتَّعلُّقُ بالسَّبب والتَّوكُّلُ عليهِ والثِّقَةُ به والخوفُ منه والرَّجاءُ لهُ وحدهُ هو مَحْضُ التَّوحيد ، والمعرفَةُ تُفرّق بين ما أثبتَهُ الرَّسولُ وبينَ ما نفاه ، وبينَ ما أبْطَلَهُ وبينَ ما اعتبَرهُ ، فهذا لونٌ ، وهذا لونٌ واللَّهُ الموفِّق للصَّواب .

□□□□□

(١) رواه البخاري (٩٩) عن أَبي هُريرةَ .

١٨٣ - فَصْلٌ
[حُكم وَطءِ المُرضِع]

ويُشبِهُ هذا ما رُوِيَ عنهُ ﷺ من نهيِهِ عن وَطءِ الغَيْلِ - وهو وَطْءُ المرأةِ إذا كانَت تُرْضِعُ - وأنَّهُ يُشبِهُ قتلَ الولدِ سرًّا ، وأنَّهُ يُدْرِكُ الفارسَ فيُدَعْثِرُهُ[١] .

وقولهُ في حديثٍ آخَر : « لَقَد همَمْتُ أنْ أنهى عنهُ ، ثمَّ رأيتُ فارسَ والرُّوم يفعلونهُ ولا يضرُّ ذلكَ أولادَهم شيئًا »[٢].

وقَد قيلَ : إنَّ أحَدَ الحديثين منسوخٌ بالآخَر وإنْ لم نَعْلَم عينَ النَّاسخِ منها من المنسوخِ لعدمِ عِلْمِنا بالتَّاريخِ ، وقيلَ - وهو أحسنُ - : إنَّ النَّفيَ والإثباتَ لم يتوارَدَا على محلٍّ واحدٍ ، فإنَّهُ ﷺ أخبرَ في أحدِ الجانبين أنَّهُ يَفْعَلُ في الوَليدِ مثلَ ما يَفْعَلُ مَن يصرعُ الفارسَ عن فرسِهِ ، كأنَّهُ يُدَعْثِرُهُ ويَصرعُهُ ، وذلكَ يُوجِبُ نوعَ أذىً ، ولكنَّهُ ليسَ بقتلٍ للولدِ وإهلاكٍ لهُ ، وإنْ كانَ قَد يترتَّبُ عليهِ نوعُ أذىً للطِّفلِ ، فأَرْشَدَهم إلى تركِه ، ولم يَنْهَ عنهُ ، بل قال : « عَلامَ يفعلُ أَحدُكم ذلك ؟ »[٣]، ولم يقل : لا تفعلوه ، فلم يَجِئْ عنهُ ﷺ لفظٌ واحدٌ

(١) أَخرجه أَحمد (٦ / ٤٥٣ و ٤٥٧ و ٤٥٨) ، وأَبو داود (٣٨٨١) ، وابن ماجه (٢٠١٢) عن أَسماء بنتِ يزيد بن السَّكَن .

وفي سنده المهاجر بن أَبي مسلم وثَّقه ابن حبَّان ، وروى عنه جماعةٌ ، فمثلُه - إنْ شاء اللّه - حسنُ الحديثِ .

(٢) رواه مسلمٌ (١٤٤٢) عن جُدامة بنت وهب .

(٣) لم أَرَ حديثًا بهذا اللفظِ في مسأَلة الغَيْلِ ، فلعلَّ مُصَنِّفَنا - رحمه اللّه - إنَّما ذكره =

بالنَّهيِ عنهُ ، ثمَّ عَزَمَ على النَّهي سدًّا لذريعَةِ الأذى الذي ينالُ الرَّضيعَ ، فرأى أنَّ سدَّ هذه الذَّريعَةِ لا يُقاوِم المَفسدَةَ التي تترتَّبُ على الإمساكِ عن وطءِ النِّساءِ مُدَّةَ الرِّضاع ، ولاسيَّما من الشبابِ وأربابِ الشهوَةِ التي لا يَكْسِرُها إلّا مُواقعَةُ نسائهم ، فرأى أنَّ هذه المصلحةَ أرجحُ عن مفسدَةِ سدِّ الذَّريعَةِ ، فنظرَ ورأى الأُمَّتينِ اللتينِ هما مِن أكثرِ الأممِ وأشدِّها بأْسًا يفعلونهُ ولا يتَّقُونَهُ مع قوَّتِهم وشدَّتِهم ، فأمسكَ عن النَّهي عنهُ .

فلا تَعارُضَ - إذًا - بينَ الحديثين ، ولا ناسخَ منهما ولا منسوخ ، واللَّهُ أعلم بمُرادِ رسولِهِ .

□□□□□

= بمعنى الحديثِ السابق نفسِه ، واللَّه أَعلم .

نعم ؛ روى مسلمٌ في « صحيحه » (١٤٣٨) (١٣٢) مثلَه عن أَبي سعيد الخُدري ، ولكنْ في مسأَلة العزْل ، فهل اختلط ذلك على المصنِّف - رحمه اللَّه ؟! اللَّه أَعلم بحقيقة الحال .

١٨٤ - فَصْلٌ

[ولادة الوَلَد والقَدَر]

ويُشبِهُ هذا قولُه ﷺ للذي قال لهُ : إنَّ لي أَمَةً ، وأنا أكرهُ أَنْ تحبلَ ، وإنِّي أعزلُ عنها ! فقال : « سيأتيها ما قُدِّرَ لها » [١] ، فليسَ بينَ هذه الأحاديث تعارُضٌ ، فإنَّهُ ﷺ لم يقُل : إنَّ الوَلَدَ يُخْلَقُ من غيرِ ماءِ الواطىءِ ، بل أخبرَ أنَّهُ سيأتيها ما قُدِّرَ لها ولو عَزَلَ ، فإنَّهُ إذا قُدِّرَ خَلْقُ الولدِ قُدِّرَ سَبقُ الماءِ والواطىءُ لا يشعر ، بل يخرجُ منهُ ماءٌ يمازجُ ماءَ المرأةِ لا يشعرُ به ، يكونُ سببًا في خَلقِ الوَلدِ ، ولهذا قال : « ليس من كلِّ الماءِ يكونُ الولدُ »[٢]، فلو خرجَ منهُ نُطفَةٌ لا يُحِسُّ بها لجعلها اللَّهُ مادَّةً للولدِ .

قلتُ : مادَّةُ الولدِ ليسَت مقصورَةً على وُقوعِ الماءِ بجملتهِ في الرَّحم ، بل إذا قَدَّرَ اللَّهُ خَلْقَ الوَلدِ منَ الماءِ فلو وُضِعَ على صخرَةٍ لَخُلِقَ منهُ الولدُ[٣]، كيفَ والذي يعزلُ في الغالبِ إنَّما يُلقي ماءَهُ قريبًا منَ الفَرْجِ ، وذلكَ إنَّما يكونُ غالبًا عندَما يحِسُّ بالإنزالِ ، وكثيرًا ما يُنزلُ بعضَ الماءِ ولا يشعُرُ به ، فيُنْزِلُ خارجَ الفَرْجِ ولا شُعورَ لهُ بما أنزلَ في الفَرْجِ ، ولا بما خالَطَ ماءَ المرأةِ منهُ .

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٩) عن جابرٍ .

(٢) رواه مسلم (١٤٣٨) (١٣٣) عن أبي سعيد الخُدري .

(٣) وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ مِثلُ هذا المعنى ؛ رواه أحمد (٣ / ١٤٠) ، والبزَّار (٢١٦٣) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (٣٢٠) عن أنس ، بسند حسَّنه الهيثمي في « المجمع » (٤ / ٢٩٦) .

وبالجملَةِ ؛ فليسَ سببُ خَلْقِ الوَلدِ مقصورًا على الإنزال التَّامِّ في الفَرْجِ .

ولَقد حدَّثني غيرُ واحدٍ ممَّن أثقُ بهِ أنَّ امرأتَهُ حَمَلَتْ مع عَزْلِهِ عنها لرضاعٍ وغيرهِ(١)، ورأيتُ بعضَ أولادِهم ضعيفًا ضئيلًا .

فصلواتُ اللَّهِ وسلامهُ على مَن يُصدِّقُ كلامُهُ بعضُهُ بعضًا ، ويشهدُ بعضُهُ لبعضٍ ، **فالاختلافُ والإشكالُ والاشتباهُ إنَّما هو في الأفهام ، لا فيما خَرَجَ من بينِ شفتيهِ منَ الكلام**(٢) والواجبُ على كلِّ مُؤمنٍ أن يَكِلَ ما أشكلَ عليهِ إلى أصدقِ قائلٍ ، ويعلَمَ أَنَّ فوقَ كلِّ ذي علمٍ عليمٌ ، وأنَّهُ لو اعترضَ على ذي صناعَةٍ أو علمٍ من العلومِ التي استنبطَتْها معاولُ الأفكارِ ولم يُحِطْ علمًا بتلكَ الصِّناعَةِ والعلمِ لأَزْرىٰ على نفسهِ ، وأضحكَ صاحبَ تلكَ الصِّناعَةِ والعلمِ على عقلهِ ، والنَّبيُّ ﷺ يذكرُ المقتضي في موضعٍ والمانعَ في موضعٍ آخر ، ويُثْبِتُ الشيءَ وينفي مثلَهُ في الصُّورَةِ وعكسَهُ في الحقيقَة ، ولا يُحيطُ أكثرُ النَّاسِ بمجموعِ نُصوصهِ علمًا ، ويسمعُ النَّصَّ ولا يسمع شرطهُ ولا موانعَ مُقتضاه ولا تخصيصَهُ ، ولا ينتبهُ للفَرْقِ بينَ ما أَثْبَتَهُ ونفاهُ فينشأُ من ذلكَ في حَقِّهِ منَ الإشكالات ما ينشأُ .

وينضافُ هذا إلى عدمِ معرفَةِ الخاصِّ بخطابهِ ومجاري كلامهِ ، وينضافُ إلى ذلكَ تنزيلُ كلامهِ على الاصطلاحاتِ(٣) التي أَحْدَثَها أربابُ العلومِ منَ

---

(١) بل يُوجد في عصرنا هذا ما هو أَعجبُ مِن ذلك ، فيعلم الكثيرُ مِن النَّاس أَنَّ مِن النِّساء مَن تَضَعُ جهازًا صغيرًا على باب رحمها يمنع وصولَ الماءِ إليه - ويُسمَّى اللولب - ثمَّ يُجامعها زوجها - بالرغم من وجود هذا الجهاز - وتحمل !!

(٢) وهذه مِن قواعد العلم الغالية ، فافْهَمْها يا مَن تحبُّ وتعظِّمُ سنَّةَ نبيِّك ﷺ .

(٣) تأَمَّلْ هذه الدقيقةَ ما أَجودها وأَحسنها !

الأُصوليّين والفُقهاءِ وعلمِ أحوالِ القلوب وغيرِهم ، فإنَّ لكلٍّ من هؤلاءِ اصطلاحاتٍ حادثَةً في مُخاطباتِهم وتصانيفِهم ، فيجيءُ مَن قَد أَلِفَ تلكَ الاصطلاحاتِ الحادثَةَ وسبقَتْ معانيها إلى قلبِهِ فلم يعرفْ سواها ، فيسمعُ كلامَ الشارعِ فيحملُهُ على ما ألِفَهُ منَ الاصطلاحِ ! فيقعُ بسببِ ذلكَ في الفَهْم عن الشارعِ ما لم يُرِدْهُ بكلامِهِ ، ويقعُ من الخللِ في نَظَرِهِ ومُناظرتِهِ ما يقعُ ، وهذا من أعظمِ أسبابِ الغَلَطِ عليهِ ، مع قلَّةِ البضاعَةِ من معرفَةِ نُصوصهِ .

فإذا اجتمعَت هذه الأمورُ مع نوعِ فسادٍ في التَّصوُّر أو القَصدِ أَوْهَمَا ما شئتَ من خَبْطٍ وغَلَطٍ وإشكالاتٍ واحتمالاتٍ وضربِ كلامِهِ بعضِهِ ببعضٍ ، وإثباتِ ما نفاهُ ، ونَفْي ما أثبتَهُ !

واللّٰهُ المستعان .

□□□□□

١٨٥ - فَصْلٌ

[المجذوم والعدوى]

وأمَّا قضيَّةُ المجذومِ ؛ فلا ريبَ أنَّهُ رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال : « فِرَّ مِنَ المَجذومِ فِرارَكَ من الأسدِ »(١)، وأرسل إلى ذلكَ المجذوم : « إنَّا قَد بايعناك فارْجِعْ »(١)، وأخذَ بيد مجذومٍ فَوَضَعَها في القَصْعَةِ وقال : كُلْ ، ثقةً باللَّهِ وتوكُّلًا عليهِ(٢) ...

ولا تَنافِيَ بينَ هذه الآثارِ ، ومَنْ أحاطَ علمًا بما قدَّمْنا تبيَّنَ لهُ وجهُها ، وأنَّ غايَةَ ذلكَ أنَّ مُخالطَةَ المجذومِ من أسبابِ العَدوى ، وهذا السَّببُ يُعارِضهُ أسبابٌ أُخرُ تمنعُ اقتضاءَهُ ، فَمِنْ أقواها التَّوكُّلُ على اللَّهِ ، والثِّقَةُ بهِ ، فإنَّهُ يمنعُ

---

(١) تقدَّم تخريجُهما .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٢٥) ، والترمذي (١٨١٧) ، وابن ماجه (٣٥٤٢) ، وابن السنّي في « عَمَل اليوم والليلة » (٤٥٧) ، وابن الجوزي في « الواهيات » (٢ / ٣٨٦) ، والعُقيلي في « الضعفاء » (٤ / ٢٤٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٦ / ٢٤٠٤) عن جابرٍ .

وصححَّه ابنُ حبَّان (٦١٢٠) ، والحاكم (٤ / ١٣٦) ووافقه الذهبي !

وليس هو كذلك ، فقد ضعَّفه الترمذي بسببِ مُفضَّل بن فَضَالة البَصْريّ ، وهو ضعيفٌ !

وقد روى العُقيلي (٤ / ٢٤٢) - عَقبَ الحديثِ - من طريق سعيد بن منصور - بسنده - إلى عبدالله بن بُريدة قال : « كان سلمانُ يعملُ بيديه ، ثمَّ يشتري طعامًا ، ثمَّ يبعثُ إلى المجذومين ، فيأكلون معه » .

ثمَّ قال العُقيلي : « هذا أَصلُ الحديثِ ، وهذه الرواية أَوْلى » .

قلتُ : وسند هذه الروايةِ صحيحٌ .

تأثيرَ ذلكَ السَّبب المكروهِ ، ولكنْ لا يقدرُ كُلُّ واحدٍ من الأمَّةِ على هذا ، فأرشدَهم إلى مُجانبَةِ سببِ المكروهِ والفرارِ والبُعدِ منهُ ، ولذلكَ أرسلَ إلى ذلكَ المجذومِ الآخَرِ بالبيعَةِ تشريعًا منهُ للفِرار من أسبابِ الأذى والمكروه ، وأنْ لا يتعرَّض العبدُ لأسبابِ البلاءِ ، ثمَّ وضعَ يدَهُ معهُ في القصعَةِ[١] فإنَّما هو سببُ التَّوكُّلِ على اللَّهِ والثِّقَةِ به الذي هُو من أعظمِ الأسبابِ التي يُدفعُ بها المكروهُ والمحذورُ ، تعليمًا منهُ للأُمَّةِ دفعَ الأسبابِ المكروهَةِ بما هو أقوى منها ، وإعلامًا بأنَّ الضَّرَرَ والنَّفعَ بيدِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فإنْ شاءَ أن يضُرَّ عبدَهُ ضرَّهُ ، وإنْ شاءَ أنْ يصرفَ عنهُ الضُّرَّ صَرَفَهُ ، بل إنْ شاءَ أَنْ ينفعَهُ بما هو مِن أسبابِ الضَّررِ ، ويضرَّهُ بما هو من أسبابِ النَّفعِ فَعَلَ ؛ ليتبيَّنَ العبادُ أنَّهُ وحدَهُ الضَّارُّ النَّافعُ ، وأنَّ أسبابَ الضُّرِّ والنَّفعِ بيديهِ ، وهو الذي جَعَلَهَا أسبابًا ، وإنْ شاءَ خلعَ منها سببيَّتَها ، وإنْ شاءَ جعلَ ما تَقتضيهِ بخلافِ المعهودِ منها ، لِيُعْلَمَ أنَّهُ الفاعلُ المختارُ ، وأنَّهُ لا يضُرُّ شيءٌ ولا ينفعُ إلّا بإذنهِ ، وأنَّ التَّوكُّلَ عليهِ والثِّقَةَ به تحيلُ الأسبابَ المكروهَةَ إلى خلافِ مُوجَباتها ، وتُتَبَيَّنَ مرتبتُها ، وأنَّها مَحَالٌّ لمجاري مشيئةِ اللَّهِ وحكمتهِ ، وأنَّهُ سبحانهُ هو الذي يضُرُّ بها وينفعُ ، ليسَ إليها ولا لها مِنَ الأمرِ شيءٌ وأنَّ الأمرَ كُلَّهُ للَّهِ ، وأنَّها إنَّما يَنالُ ضَرَرُها مَن عَلَقَ قلبُهُ بها ، ووقفَ عندها ، وتطيَّرَ بما يُتَطَيَّرُ به منها ، فذلكَ الذي يصيبهُ مكروهُ الطِّيرَةِ .

والطِّيرَةُ سببٌ للمكروهِ على المتطيِّر ، فإذا توكَّلَ على اللَّهِ ، وَوَثِقَ به ، واستعانَ بهِ لم يَصُدَّهُ التَّطيُّرُ عن حاجتهِ ، وقال : اللهمَّ لا طيرَ إلّا طيرُكَ ، ولا خيرَ إلّا خيرُكَ ، ولا إلٰهَ غيرُكَ ، اللهمَّ لا يأتي بالحسناتِ إلّا أنتَ ، ولا يَذْهبُ

---

(١) انظر التعليق السابق .

بالسَّيِّئات إلّا أنت ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلّا بكَ[١]؛ فإنَّهُ لا يَضُرُّ ما يتطيَّرُ منهُ شيئًا، قال ابنُ مسعودٍ : ما منَّا إلّا مَن - يعني : يتطيَّر - ، ولكنَّ اللَّه يُذهِبهُ بالتَّوكُّل .

وقَد رُوِيَ مرفوعًا[٢] والصَّوابُ عن ابن مسعودٍ قولُهُ .

فالطِّيرَةُ إنَّما تصيبُ المتطيِّرَ لشركهِ ، والخوفُ دائمًا مع الشركِ ، والأَمْنُ دائمًا مع التَّوحيدِ[٣]؛ قال تعالى حِكايَةً عن خليلهِ إبراهيم أنَّهُ قال في مُحاجَّتهِ لقومهِ : ﴿ وكيفَ أَخافُ ما أشركتُم بهِ ولا تَخافُونَ أنَّكُم أشركتُم باللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّل بهِ عليكُم سُلطانًا فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ إنْ كُنْتُم تعلَمُون ﴾ [الأنعام:٨١]، فَحَكَم اللَّهُ عزَّ وجلَّ بينَ الفريقين بحُكمٍ ، فقال : ﴿ الَّذينَ آمَنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهم بظُلمٍ أُولئكَ لهم الأمنُ وهم مهتَدون ﴾ [الأنعام:٨٢] .

وقَد صَحَّ[٤] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ تفسيرُ الظُّلم فيها بالشركِ ، وقال : « أَلَمْ تَسمَعُوا قولَ العبدِ الصَّالحِ : ﴿ إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] » .

فالتَوحيدُ مِن أقوى أسبابِ الأمْنِ من المخاوفِ ، والشِّرْكُ من أعظمِ أسبابِ حُصولِ المخاوفِ ، ولذلكَ مَن خافَ شيئًا غيرَ اللَّهِ سُلِّطَ عليهِ[٥]، وكانَ خوفُهُ منهُ هو سببَ تَسْليطِهِ عليهِ ، ولو خافَ اللَّهَ دونهُ ولم يَخفْهُ لكانَ عدمُ خوفِهِ منهُ وتوكُّلُهُ على اللَّهِ من أعظمِ أسبابِ نَجاتهِ منهُ ؛ وكذلكَ مَن رجا شيئًا

---

(١) تقدَّم تخريج النصوص الواردة في هذا الدعاء .

(٢) تقدَّم بيان الصواب في هذا ، واللَّهُ أَعلمُ .

(٣) وفي رسالتنا (**الأَصالة**) (٣ / ٧) مقالٌ بقَلَمي في تفسير هذه الآيات فَارْجِعْ - غيرَ مأْمورٍ - إليه .

(٤) رواه البخاري (٣٢) ، ومسلم (١٢٤) عن ابن مسعودٍ .

(٥) قارِنْ بِـ « سلسلة الأَحاديث الضعيفة » (٤٨٥) .

غيرَ اللَّهِ حُرِمَ ما رجاه منهُ ، وكانَ رجاؤهُ غيرَ اللَّهِ مِن أقوى أسبابِ حِرْمانهِ ؛ فإذا رجا اللَّهَ وحدَهُ كانَ توحيدُ رجائهِ أقوى أسبابِ الفوزِ به أو بنظيرهِ ، أو بما هو أنفعُ لهُ منهُ ، واللَّهُ الموفِّق للصَّواب .

ولْيَكُن هذا آخرَ الكتاب ؛ وقَد جلبتُ إليكَ فيهِ نفائسَ في مثلها يتنافس المتنافسون ، وجَلَّيْتُ عليكَ فيه عرائسَ إلى مثلهنَّ بادَرَ الخاطِبون :

فإن شئتَ اقتبَسْتَ منهُ معرفَةَ العلمِ وفضلهِ ، وشدَّةِ الحاجَةِ إليهِ وشرفِهِ وشرفَ أهلهِ ، وعِظَمِ موقعهِ في الدَّارين .

وإنْ شئتَ اقتبَسْتَ منهُ معرفَة إثْباتِ الصَّانعِ بطُرُقٍ واضحاتٍ جليَّاتٍ تَلِجُ القلوبَ بغيرِ استئذانٍ ، ومعرفَة حكمتهِ في خَلْقهِ وأمرهِ .

وإنْ شئتَ اقتبسْتَ منهُ معرفَةَ قَدْرِ الشريعَةِ ، وشدَّةَ الحاجَةِ إليها ، ومعرفَةَ جلالتها وحكمتها .

وإنْ شئتَ اقتبَسْتَ منهُ معرفَةَ النبوَّةَ وشدَّةَ الحاجَةِ إليها ، بل وضرورَةَ الوجودِ إليها ، وأَنَّهُ يستحيلُ مِن أحكمِ الحاكمين أن يُخْلِيَ العالَمَ عنها .

وإنْ شئتَ اقتبَستَ منهُ معرفَةَ ما فطرَ اللَّهُ عليهِ العُقولَ مِن تحسينِ الحَسَنِ وتقبيحِ القبيح ، وأَنَّ ذلكَ أمرٌ عقليٌّ فِطْريٌّ ، بالأدلَّةِ والبراهين التي اشتملَ عليها هذا الكتاب ، ولا تُوجدُ في غيرهِ .

وإنْ شئتَ اقتبَسْت منهُ معرفَةَ الرَّدِّ على المُنجِّمين القائلين بالأحكامِ بأبلغِ طُرُقِ الرَّدِّ مِن نفسِ صناعتِهم وعِلْمِهم ، وإلْزامِهم بالإلزامات المُفْحِمة التي لا جوابَ لهم عنها ، وإبْداءِ تناقُضهِم في صناعتِهم ، وفضائحِهم وكذبِهم على الخَلْقِ والأمرِ .

وإنْ شئتَ اقتبستَ منهُ معرفةَ الطِّيرَةِ والفألِ والزَّجْرِ ، والفَرْقَ بينَ صحيحِ ذلكَ وباطلِهِ ، ومعرفَةَ مراتبِ هذه في الشريعَةِ والقَدَرِ .

وإنْ شئتَ اقتبَسْتَ منهُ أُصولًا نافعَةً جامعَةً مما تَكْمُلُ بهِ النَّفسُ البشريَّة ، وتَنالُ بها سعادتَها في معاشِها ومعادها ...

إلى غيرِ ذلكَ منَ الفوائدِ التي ما كانَ منها صوابًا فمنَ اللَّهِ وحدهُ هو المانُّ به ، وما كانَ منها من خطأ فمن مؤلِّفه ومنَ الشيطان ، واللَّهُ بريءٌ منهُ ورسولهُ .

واللَّهُ سبحانهُ المسؤولُ والمرغوبُ إليهِ ، المأمولُ أن يجعلَهُ خالصًا لوجههِ ، وأنْ يُعيذَنا مِن شرورِ أنفسنا ومِن سيِّئاتِ أعمالنا ، وأنْ يُوفِّقنا لما يُحِبُّهُ ويرضاه ، إنَّهُ قريبٌ مجيبٌ .

والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين ، وصلَّى اللَّهِ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبهِ أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا(١) .

---

(١) في آخر النسخة الخطِّيَّة ما نصُّه :

« تمَّ الكتابُ المسمَّى « **مِفتاح دار السَّعادة** » على يدِ أَفقر خَلْقِ اللَّهِ إليه ، وبقلم المتوكِّل في جميعِ أَحوالِه عليه : محمَّد بن علي بن مُلَّا أَحمد سَبْتة البغداديّ الحنفي .

وكان تمامَ ذلك في اليوم الأحدى(!) عشر من شهر جُمادى الأُولى عام ثلاث مئة وأَلف مِنْ هجرةِ مَنْ له العِزُّ والشرَف » . انتهى .

وفي آخر المطبوع قولُهُ :

كانَ في آخر « الأَصل » ما نصُّه :

« الكتابُ المسمَّى بِـ « **مفتاح السَّعادَة** » ؛ وهو كتابٌ نفيسٌ ، لا يُمِلُّ الجليسَ ، وفيه مِن بدائع الفوائد ، وفرائدِ القلائد ، ما لا يُوجَدُ ذلكَ لسواه ، وفيهِ مِن البُحوثِ ما يستقصي كُلَّ علمٍ إلى فنِّهِ، واسمهُ مُطابقٌ لمسمَّاه ، ولفظهُ موافقٌ لمعناه؛ فإنَّ فيهِ من الإِفادَةِ ما يُحدِّدُ إلى دارِ السَّعادَةِ .

وذلكَ على يدِ أفقرِ خلقِ اللَّهِ ، المتوكِّل في جميعِ أحوالِهِ ، المعترف بالخطأ والزَّلل ، والمُسيء في القولِ والعمل : أحمد بن محمَّد الصَّعيدي المكِّي الحنبلي ، عفا الله عنه . =

....

= وكانَ تمامَ ذلكَ في ٢٢ رجب سنة ١٢٤١ ، وحسبُنا اللّٰهُ ونِعْمَ الوكيلُ » . انتهى .

..... **ويقولُ مُحَقِّقُ هذا الكتاب ، الفقير إلى ربِّ الأَرباب** ، عليُّ بن حَسَن – عافاه اللّٰهُ مِن الفِتَن – :

فرغتُ – بعد الَّتي واللُّتَيّ – من إتمام التعليق والتحقيق والتنسيق والمراجَعَة لهذا الكتاب العُجاب بعد نحو ثلاث سنواتٍ مِن بداية العَمَل فيه ، مُعيدًا للنَّظَر ، مُقَلِّبًا للفِكَر ، وقد تخلَّل ذلك انقطاعاتٌ متعدِّدةٌ ، وظروفٌ متنوعةٌ ، سائلًا اللّٰهَ أَنْ يَعْفُوَ ، ويُيَسِّر ، ويتقبَّل ، إنَّه سميعٌ مجيبٌ .

وذلك ضُحى يوم الجمعة لسبعٍ خَلَوْنَ من شهر جُمادى الثاني سنة خمس عشرة بعد الأَربع مئةِ والأَلف من الهجرة المحمَّديَّة .

الموافق – بالتاريخ الإِفرنجي – للحادي عشر من شهر تشرين الثاني سنة أَربع وتسعين بعد التسع مئة والأَلف ، واللّٰهُ المُسَدِّدُ .

الفهارس العلميّة

١ - فهرس الأيات
٢ - فهرس الأَحاديث المرفوعة
٣ - فهرس الآثار الموقوفة
٤ - فهرس الأَعلام
٥ - فهرس الكتب
٦ - فهرس الأَشعار
٧ - فهرس المسائل والفوائد
٨ - قائمة المراجع والمصادر
٩ - فهرس الموضوعات الإِجمالي
١٠ - فهرس الفهارس

فهرس الآيات

الفاتحة :

٦ ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ .... ١ / ١٨٨

البقرة :

٥ ﴿ أُولئك على هدى من ربّهم ﴾ .... ١ / ١٨٧
٧ ﴿ ختم الله على قُلوبهم ﴾ .... ١ / ٣١٦ ، ٢ / ٢٤٢
١٠ ﴿ في قُلوبِهم مَرَضٌ ﴾ .... ١ / ٣٦٧
١٨ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فهم لا يَرْجعون ﴾ ... ١ / ٢٤٥ ، ٢ / ١٧ ، ٢٤٢
٢١ ﴿ يا أَيُّها النّاس اعبدوا ربَّكم ﴾ .... ٢ / ٣٣٢
٢٢ ﴿ الَّذي جعل لكم الأَرض فراشًا ﴾ .... ٢ / ٣١
٢٣ ﴿ وإِن كنتم في رَيب مما نزّلنا ﴾ .... ١ / ١١١
٢٤ ﴿ فإِن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ .... ١ / ١٩١
٢٦ ﴿ إِنَّ الله لا يستحيي أَن يضْربَ ﴾ .... ٢ / ١٥٣ ، ٣ / ١٩٧
٢٦ ﴿ يُضلُّ به كَثيرًا ويهدي به كثيرًا ﴾ .... ١ / ٣٤٣
٣٠ ﴿ إِنّي جاعلٌ في الأَرض خليفة ﴾ ١ / ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣١، ١٦١، ٤٦٩ ، ٤٧١
٣٠ ﴿ أَتجعلُ فيها مَن يُفسد فيها ﴾ ..... ١ / ١٢٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٢٨ ٢ / ٢٩٩
٣٠ ﴿ إِنّي أَعلمُ ما لا تعلَمون ﴾ .... ١ / ١٠٨

٣٢ ﴿ قالوا سبحانَك لا علمَ لنا ﴾ .... ١ / ١٢٧ ، ١٦١
٣٣ ﴿ يا آدم أنبئهم بأَسمائِهم ﴾ .... ١ / ٣٥٢
٣٤ ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ .... ١ / ١٣٥ ، ١٦٧
٣٥ ﴿ قلنا يا آدم اسكن أَنت ﴾ ... ١ / ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٧
٣٦ ﴿ فأَزلَّهما الشيطان عنها ﴾ .... ١ / ١٣٦
٣٦ ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ﴾ .... ١ / ١٣٤
٣٦ ﴿ ولكم في الأَرض مستقرٌّ ومتاع ﴾ .... ١ / ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١
٣٨ ﴿ فمن تبع هداي فلا خوف ﴾ .... ١ / ١٢٣ ، ١٧٨ ، ١٩٣
٣٨ ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعًا ﴾ .... ١ / ١٣٥ ، ١٧٠ ، ١٧٦
٣٨ ﴿ فإمّا يأتينّكم منّي هُدى ﴾ .... ١ / ١٥٦
٤٦ ﴿ الذين يظنّون أَنّهم ملاقو ربِّهم ﴾ .... ١ / ٤٧٩
٦١ ﴿ اهبطوا مصرًا فإنَّ لكم ما سألتُم ﴾ .... ١ / ١٥٠
٦٢ ﴿ إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا ﴾ .... ٣ / ٢٩ ، ٣٦
٦٧ ﴿ أَتتخذنا هُزوا ﴾ .... ١ / ٣٤٤
٦٧ ﴿ أَعوذ باللّه أَن أَكون من الجاهلين ﴾ .... ١ / ٢٣١
٨٩ ﴿ فلمّا جاءهم ما عَرَفوا كَفَروا به ﴾ .... ١ / ٣٢٥
٩٠ ﴿ بئسما اشترَوْا به أَنفسهم ﴾ .... ١ / ٣٢٥
١٠٢ ﴿ ويتعلمون ما يضرُّهم ﴾ .... ٢ / ٣٤٦
١٠٢ ﴿ ولقد عَلِموا لَمَن اشتراه ﴾ .... ١ / ٣٢٣
١٠٥ ﴿ واللّه يختصُّ برحمتِه من يشاء ﴾ .... ١ / ١٠٩
١١٨ ﴿ وقال الذين لا يعلمون ﴾ .... ١ / ٣١٨
١٢١ ﴿ الذين آتيناهم الكتابَ ﴾ .... ١ / ٢٠٢ ، ٣٤٩
١٢٣ ﴿ واتقوا يومًا لا تَجْزي نفسٌ ﴾ .... ٣ / ٣٧٧

١٤٣ ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ .... (ح) ١ / ٥١٥
١٤٣ ﴿ وما جعلنا القبلة الّتي كنتَ عليها ﴾ .... ٢ / ٣٨١
١٤٣ ﴿ وإن كانت لكبيرة ﴾ .... ٢ / ٣٨١
١٤٤ ﴿ قد نرى تقلُّب وجهك ﴾ .... ٢ / ٣٨٢
١٤٥ ﴿ وإنَّ الذين أُوتوا الكتاب ﴾ .... ١ / ٣٥١
١٤٦ ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾ .... ١ / ٣٢٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠
١٥٠ ﴿ لئلّا يكون للناس حجّة ﴾ .... ١ / ٤٥٤
١٥١ ﴿ كما أَرسلنا فيكم رسولًا منكم ﴾ .... ١ / ٢٢٧
١٦٤ ﴿ إنَّ في خَلْق السموات والأَرض ﴾ .... ٢ / ٢٣
١٦٥ ﴿ ومن النَّاس من يتخذُ من دون الله أَندادًا ﴾ .... ٣ / ٢٨
١٧١ ﴿ ومَثَلُ الذين كَفروا ﴾ .... ١ / ٢٩٤ ، ٤٠٦ ، ٤١٣
١٧١ ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُميٌ فَهم لا يَعقلون ﴾ .... ١ / ٣١٦ ، ٣٤٦
١٧٧ ﴿ ولكنَّ البرّ من آمنَ بالله ﴾ .... ١ / ٤٨١
١٧٩ ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ .... ٢ / ٥٢٢ ، ٥٢٦
١٩٧ ﴿ وتزوّدوا فإنَّ خيرَ الزاد التقوى ﴾ .... ١ / ١٢٤
٢٠١ ﴿ ربّنا آتنا في الدينا حسنة ﴾ .... ١ / ٣٩٧
٢١٣ ﴿ والله يهدي من يشاء ﴾ .... ١ / ٢٣٥
٢١٦ ﴿ كتب عليكم القتالُ ﴾ .... ٢ / ٣٤٦
٢١٩ ﴿ قُل فيهما إِثم كبير ﴾ .... ٢ / ٣٤٥
٢٤٩ ﴿ قال الذين يظنّون أَنّهم ملاقو اللّه ﴾ .... ١ / ٤٧٩
٢٥٤ ﴿ من قبل أَن يأتي يوم لا بيع فيه ﴾ .... ٣ / ٣٧٧
٢٥٧ ﴿ الله وليُّ الذين آمنوا ﴾ .... ١ / ٢٣٢ ، ٤٩٥
٢٥٨ ﴿ ربّي الذي يُحيي ويميت ﴾ .... ٣ / ١٦٩

٢٥٨ ﴿ فبهت الذي كفر ﴾ .... ٣ / ٢٠٧
٢٦٠ ﴿ ولكن ليطمئنَّ قلبي ﴾ .... ١ / ٤٨٠
٢٦٩ ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ .... ١ / ٢٢٧
٢٦٩ ﴿ وما يذّكّر إلّا أُولو الأَلباب ﴾ .... ٢ / ٣١٣
٢٨٢ ﴿ واتقوا اللّه ويعلمُكم الله ﴾ .... ١ / ٥١٩

آل عمران :

١٨ ﴿ شهد الله أنَّه لا إِلٰه إلّا هو ﴾ .... ١ / ٢١٩ ، ٣١٦
٢٠ ﴿ فإِن حاجُّوك فقل أَسلمتُ ﴾ .... ١ / ٤٥٣
٢٠ ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأُميين ﴾ .... ١ / ٣٥١
٢٠ ﴿ والله بَصيرٌ بالعباد ﴾ .... ١ / ٤٧٣
٢٣ ﴿ أَلم تر إِلى الذين أُوتوا نصيبًا ﴾ .... ١ / ٣٥١
٣١ ﴿ قل إِن كنتم تحبُّون الله ﴾ .... ١ / ٤٨٨
٤٨ ﴿ ويعلِّمه الكتاب والحكمة ﴾ .... ١ / ٢٤٠
٥٨ ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات ﴾ .... ١ / ٢٠٤
٧٠ ﴿ يا أَهلَ الكتاب لم تكفرون بآيات الله ﴾ .... ١ / ٣٢٣
٧٩ ﴿ كونوا ربّانيّين ﴾ .... ١ / ٤٠٥
٨٥ ﴿ ومن يبتغ غير الإِسلام دينًا ﴾ .... ٣ / ٢٦ - ٢٧
٨٦ ﴿ كيف يهدي اللّه قومًا كفروا ﴾ .... ١ / ٣٢٤ ، ٣٣٢ ، ٣٨٠
٩٧ ﴿ إِنَّ أَوّل بيت وضع للنّاس ﴾ .... ١ / ٤٥٨
١١٣ ﴿ من أَهل الكتاب أُمّة قائمة ﴾ .... ١ / ٣٥٢
١٣٣ ﴿ وسارعوا إِلى مغفرة ﴾ .... ٢ / ٥٢٤
١٣٦ ﴿ أُولئك جزاؤهم مغفرة ﴾ .... ٢ / ٥١٤
١٣٦ ﴿ نعم أَجر العاملين ﴾ .... ١ / ١٦٥

١٤٦ ﴿ وكأيّن من نبيّ قاتل معه ﴾ .... ١ / ٤١٠
١٦٤ ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين ﴾ ...... ١ / ٢٤١ ، ٢ / ٣٠٨ ، ٤٣٣
١٦٩ ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله ﴾ .... ١ / ١٤٢
١٧٩ ﴿ ما كانَ الله ليذرَ المؤمنين ﴾ .... ٢ / ٤٨٨
١٨٥ ﴿ إنما توفون أُجورَكم ﴾ .... ٢ / ٥٤٧
١٩٠ ﴿ إِنَّ في خلق السموات والأَرض ﴾ ... ١ / ٥٥١ ، ٢ / ٢٣ ، ٤٩٩
١٩١ ﴿ ويتفكرون في خلق السموات ﴾ .... ٣ / ١٦٨ ، ١٩٦
١٩٥ ﴿ فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم ﴾ .... ٢ / ٥٠٩ ، ٣ / ٦
١٩٥ ﴿ ثوابًا من عند الله ﴾ .... ١ / ١٦٥
النساء :
١٧ ﴿ إِنّما التوبة على الله للذين ﴾ .... ١ / ٣٢٠
١٨ ﴿ وليست التوبة للذين ﴾ .... ٢ / ٢٤٩
٢٥ ﴿ ومن لم يستطع منكم طولًا ﴾ .... ٢ / ٣٦٢
٢٧ ﴿ والله يريد أَن يتوب عليكم ﴾ .... ٢ / ٣٦٢
٤٠ ﴿ إِنَّ الله لا يظلم النّاس مثقال ذرّة ﴾ .... ٢ / ٥٤٨
٤٤ ﴿ أَلم تر إِلى الذين أُوتوا نصيبًا ﴾ .... ١ / ٣٥١
٤٧ ﴿ يا أَيُّها الذين أُوتوا الكتاب ﴾ .... ١ / ٣٥١
٤٩ ﴿ ولا يُظلمون فتيلًا ﴾ .... ٢ / ٥٤٣
٥٥ ﴿ بل طبع اللّه عليهم بكفرهم ﴾ .... ١ / ٣٤١
٥٩ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا أَطيعوا اللّه ﴾ .... ١ / ٢٧٢ ، ٤٣٦
٦٩ ﴿ ومن يطع اللّه والرسول ﴾ ...... ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٨٠ ، ٣٩٦
٧٨ ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ ...... ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٨٠ ، ٣٩٦
٧٨ ﴿ أَينما تكونوا يدرككم الموت ﴾ .... ٣ / ١٨٨

٧٨ ﴿ وإِنْ تصبهم حسنة ﴾ .... ٣ / ٢٧٤
٨٢ ﴿ أَفلا يتدبرون القرآن ﴾ .... ١ / ٥٤٤
٨٢ ﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾ .... ١ / ٢١٣
٨٣ ﴿ ولو ردّوه إِلى الرسول ﴾ .... ٢ / ٥٣٩
٨٧ ﴿ فمن أَصدق من اللّه حديثًا ﴾ .... ٢ / ٤٧٧
٩٥ ﴿ وفضّل الله المجاهدين على القاعدين ﴾ .... ١ / ٢٢٤
١٠٤ ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ .... ١ / ٤٢٣
١١٣ ﴿ وأَنزل اللّه عليك الكتاب والحكمة ﴾ ١ / ٢٧٧، ٢٣٩ ، ٣٦٦ ، ٥٢٢
١١٦ ﴿ إِنَّ الله لا يغفر أَن يشرك به ﴾ .... ٣ / ٢٨
١٢٢ ﴿ ومن أَصدق من اللّه قيلًا ﴾ .... ٢ / ٤٧٧
١٢٤ ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ .... ٢ / ٥٤٧
١٢٥ ﴿ ومن أَحسن دينًا ممّن أَسلم ﴾ .... ٢ / ٣٣٥
١٣٦ ﴿ ومن يكفر باللّه وملائكته ﴾ .... ١ / ٤٨١
١٤٧ ﴿ ما يفعل اللهُ بعذابكم ﴾ .... ٢ / ٤٨٢
١٥٥ ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم ﴾ .... ١ / ٣٤١
١٥٥ ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ .... ١ / ٣٤٢
١٦٠ ﴿ فبظلم من الذين هادوا ﴾ .... ٢ / ٣٣٦
١٦٢ ﴿ لكن الراسخون في العلم ﴾ .... ١ / ٣١٦
١٦٥ ﴿ رسلًا مبشرين ومنذرين ﴾ .... ١ / ٢٠٩ ، ٢ / ٤٠٢ ، ٤٥٧
١٧٤ ﴿ يا أَيُّها النّاس قد جاءكم برهان ﴾ .... ١ / ٢٣٣

المائدة :

٢ ﴿ وإِذا حللتم فاصطادوا ﴾ .... ١ / ١٧٧
٣ ﴿ اليوم أَكملت لكم دينكم ﴾ .... ١ / ٣٦٦ ، ٢ / ٣٠٨

٤ ﴿ يسألونك ماذا أُحلَّ لهم ﴾ .... ١ / ٢٣٦
٦ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا إِذا قُمتم ﴾ .... ٢ / ٣٦٧
٨ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا كونوا قوّامين ﴾ .... ٢ / ٤٤٣
١٥ ﴿ قد جاءكم من الله نور ﴾ .... ١ / ٢٣٢
١٦ ﴿ يهدي به الله من اتّبع رضوانَه ﴾ .... ١ / ٤١٥
٢٧ ﴿ إِنّما يتقبل اللّه من المتقين ﴾ .... ١ / ٣٠٣
٣١ ﴿ فبعث الله غرابًا ﴾ .... ٢ / ١٣٩
٣٢ ﴿ ومن أَحياها فكأنّما ﴾ .... ٣ / ٢٠٧
٤١ ﴿ سمّاعون للكذب ﴾ .... ١ / ٢٩٦
٤٣ ﴿ لولا ينهاهم الربّانيّون ﴾ .... ١ / ٤٠٥
١١٠ ﴿ يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي ﴾ .... ١ / ٢٤٠
١١٨ ﴿ إِن تعذبهم فإِنّهم عبادك ﴾ .... ١ / ٥٥٤ ، ٢ / ٥٤٥

الأَنعام :

١ ﴿ الحمد للّه الذي خلق السموات ﴾ .... ٣ / ٢٨
١٩ ﴿ أئنّكم لتشهدون أَنَّ مع الله آلهة ﴾ .... ١ / ٣٢٤ ، ٣٥٠
٢٧ ﴿ يا ليتنا نردُّ ولا نكذِّب بآيات ربِّنا ﴾ .... ١ / ٣٢٨
٣٣ ﴿ قد نعلم أَنّه ليحزنك الذي يقولون ﴾ .... ١ / ٣٢٣
٣٥ ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ .... ١ / ٢٣٠
٣٧ ﴿ ولكنّ أَكثرهم لا يعلمون ﴾ .... ١ / ٢٣٠
٣٩ ﴿ والذين كذّبوا بآياتنا ﴾ .... ١ / ٣١٧
٥٤ ﴿ وإِذا جاءك الذين يؤمنون ﴾ .... ٣ / ٥
٦٥ ﴿ قل هو القادرُ على أَنْ يبعثَ ﴾ .... ٢ / ٤٩٦
٧١ ﴿ قل أَندعو من دون الله ما لا ينفعنا ﴾ .... ١ / ٣٠٩

٧٥ ﴿ وكذلك نُري إبراهيم ملكوت ﴾ .... ١ / ٤٧٦
٨١ ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم به ﴾ .... ٣ / ٣٨٦
٨٢ ﴿ الذين آمنوا ولم يَلبسوا إيمانهم ﴾ .... ١ / ١٨٧ ، ٣ / ٣٨٦
٨٣ ﴿ وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم ﴾ .... ١ / ٢٢٦ ، ٤٥٣
٨٨ ﴿ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ .... ١ / ٤٩١
٩١ ﴿ وما قدروا الله حقَّ قدرِه ﴾ .... ٢ / ٤٨٨ ، ٣ / ٣٩
٩١ ﴿ قل من أَنزل الكتاب الذي جاء به ﴾ .... ١ / ٢٤١
٩٣ ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ﴾ .... ١ / ٢٠٦
٩٥ ﴿ إنَّ الله فالق الحبّ والنوى ﴾ .... ٢ / ٤٥
٩٧ ﴿ هو الذي جعل لكم النّجوم ﴾ .... ٣ / ٢٤٦
١١٠ ﴿ ونقلّب أَفئدتهم وأَبصارهم ﴾ .... ١ /. ٣٤١ ، ٣٥٦ ، ٢ / ١٧
١١١ ﴿ لو أَننا نزَّلنا إليهم الملائكة ﴾ .... ١ / ٣٢٨ ، ٣٣٥
١١١ ﴿ ولكنَّ أَكثرهم يجهلون ﴾ .... ١ / ٢٣٠
١١٤ ﴿ أَفغيرَ الله أَبتغي حَكَمًا ﴾ .... ١ /٢٢٢ ، ٣٤٩
١١٤ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب ﴾ .... ١ / ٣٢٤
١١٦ ﴿ وإن تطع أَكثر من في الأَرض ﴾ .... ١ / ٤٦٠
١٢١ ﴿ وإن أَطعتموهم إنّكم لمشركون ﴾ .... ١ / ١٧٧
١٢٢ ﴿ أَومن كان ميتًا فأَحييناه ﴾ ... ١ / ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٧٨ ، ٤١٥
١٢٤ ﴿ الله أَعلمُ حيثُ يجعلُ رسالته ﴾ .... ١ / ٣٦٥
١٢٨ ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ﴾ .... ١ / ١٩٢
١٣٠ ﴿ يا معشر الجنّ والإِنس أَلم يأتكم رسل ﴾ .... ١ / ١٩٢
١٣٠ ﴿ وغرّتهم الحياة الدنيا ﴾ .... ٢ / ٤٢٧
١٦٥ ﴿ وهو الذي جعلكم خلائف الأَرض ﴾ .... ١ / ١٢١ ، ٤٦٩

الأَعراف :

٦ ﴿ فلنسألنَّ الذين أُرسل إِليهم ﴾ .... ٣ / ٦

١٢ ﴿ قال ما منعك أَن لا تسجد ﴾ .... ١ / ١٣٧

١٣ ﴿ أَنا خير منه خلقتني من نار ﴾ .... ١ / ١٦٧

١٣ ﴿ اهبط منها فما يكون لك ﴾ .... ١ / ١٢٨ ، ١٥٤ ، ١٧١

٢٠ ﴿ ما نهاكما ربُّكما عن هذه الشجرة ﴾ .... ١ / ١٣٠

٢١ ﴿ وقاسمهما ﴾ .... ١ / ١٢٩

٢٢ ﴿ أَلم أَنهكما عن تلكما الشجرة ﴾ .... ١ / ١٣٠

٢٤ ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ﴾ .... ١ / ١٥٥ ، ١٦٨

٢٤ ﴿ ولكم في الأَرض مستقرّ ومتاع ﴾ .... ١ / ١٥١

٢٨ ﴿ وإِذا فعلوا فاحشة ﴾ .... ٢ / ٣٣٥

٢٩ ﴿ قل أَمر ربي بالقسط ﴾ .... ٢ / ٣٣٥

٣٣ ﴿ قل إِنّما حرّم ربي الفواحش ﴾ ... ١ / ٤٨١ ، ٢ / ٣٢٩ ، ٣ / ٣٠

٣٣ ﴿ وأَن تشركوا بالله ما لم ينزّل ﴾ .... ٣ / ٣١

٥٤ ﴿ إِنَّ ربَّكم الله الذي خَلَقَ السموات ﴾ .... ٢ / ٦٣ ، ٣ / ١٧٩

٥٤ ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأَمره ﴾ .... ٣ / ٤١ ، ١٦٧

٥٤ ﴿ أَلا له الخلق والأَمر ﴾ .... ٢ / ١٩٨ ، ٣ / ٤٠

٦٩ ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ .... ٢ / ١١٣

١٠٥ ﴿ قد جئتكم ببيّنة من ربِّكم ﴾ .... ١ / ٤٥٨

١٢٩ ﴿ عسى ربُّكم أَن يهلكَ عدوّكم ﴾ .... ١ / ٤٦٩

١٢٩ ﴿ ويستخلفكم في الأَرض ﴾ .... ١ / ١٢١ ، ٤٧٢

١٣١ ﴿ فإِذا جاءتهم الحسنة ﴾ .... ٣ / ٢٧٤

١٤٦ ﴿ سأَصرف عن آياتي ﴾ .... ١ / ٥٣٩

١٥٢ ﴿ إِنَّ الذين اتخذوا العجل ﴾ .... ٣ / ١٦٤ ، ٢٦٢
١٥٧ ﴿ يأَمرهم بالمعروف وينهاهم ﴾ .... ٢ / ٣٢٧
١٥٧ ﴿ ويحلُّ لهم الطيِّبات ﴾ .... ٢ / ٣٢٨
١٧٥ ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه ﴾ .... ١ / ٣٢٥
١٧٩ ﴿ ولقد ذرأنا لجهنّم ﴾ .... ١ / ٢٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٧٤
١٨٥ ﴿ أَولم ينظروا في ملكوت السموات ﴾ .... ٢ / ٤٥
١٩٩ ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ .... ١ / ٣١٨ ، ٣٤٤
٢٠١ ﴿ إِنَّ الذين اتقوا إِذا مسَّهم ﴾ .... ١ / ٥٤٤
٢٠٥ ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ .... ١ / ٣٧٣

الأَنفال :

٢ ﴿ إِنَّما المؤمنون الذين إِذا ذكر الله ﴾ .... ١ / ٢٢٤
٢١ ﴿ ولا تكونوا كالَّذين قالوا ﴾ .... ١ / ٢٩٤
٢٢ ﴿ إِنَّ شرَّ الدَّوابِّ عند الله ﴾ .... ١ / ٢٣٠ ، ٢٩٤ ، ٣٧٨
٢٣ ﴿ ولو علم الله فيهم خيرًا لأَسمعهم ﴾ .... ١ / ٢٩٥ ، ٣٤٧
٣٧ ﴿ ليميز اللّه الخبيث من الطيّب ﴾ .... ١ / ١٠٨
٤٢ ﴿ ليهلك من هَلَك عن بيّنة ﴾ .... ٢ / ٢٦ ، ٣ / ٧١
٥٠ ﴿ ولو ترى إِذ يتوفّى الذين كفروا ﴾ .... ١ / ٢٠٧

التوبة :

٥ ﴿ فإِذا انسلخ الأَشهر الحرم ﴾ .... ١ / ١٧٧
٤١ ﴿ انفروا خفافًا وثقالًا ﴾ .... ١ / ٢٣٨
٤٦ ﴿ ولو أَرادوا الخروج لأَعدّوا له ﴾ .... ١ / ٤٣٥
٤٧ ﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم ﴾ .... ١ / ٢٩٦
٦٩ ﴿ كالذين من قبلكم كانوا أَشدّ ﴾ .... ١ / ١٩٧

٧٣ ﴿ يا أَيُّها النبيّ جاهد الكفار ﴾ .... ١ / ٢٧١
٨٠ ﴿ استغفر لهم أَو لا تستغفر ﴾ .... ٣ / ٣٢٨
٨٤ ﴿ ولا تصلِّ على أَحد منهم مات ﴾ .... ٣ / ٣٢٨
١١١ ﴿ إِنَّ الله اشترى من المؤمنين ﴾ .... ٢ / ٣٢٥ ، ٣ / ٥
١٢٠ ﴿ ذلك بأَنّهم لا يصيبهم ظمأ ﴾ .... ١ / ٥٢٦
١٢٢ ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافّة ﴾ .... ١ / ٢٣٧
١٢٤ ﴿ وإِذا ما أُنزلت سورة ﴾ .... ١ / ٣٤٣

يونس :

٥ ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء ﴾ .... ٢ / ٥٤ ، ٣ / ١٦٧ ، ١٧٩
٢٢ ﴿ هو الذي يُسيِّركم في البرّ ﴾ .... ٢ / ٣٤
٢٥ ﴿ والله يدعو إِلى دار السلام ﴾ .... ١ / ١٩٢ ، ٢٣٤ ، ٣٠٨
٤١ ﴿ وإِن كذّبوك فقل لي عملي ﴾ .... ١ / ١٧٧
٤٥ ﴿ قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله ﴾ .... ١ / ١٨٧
٥٧ ﴿ يا أَيُّها النَّاس قد جاءتكم موعظة ﴾ .... ١ / ٣٧٠ ، ٢ / ١٧١
٥٨ ﴿ قل بفضل اللّه وبرحمته ﴾ .... ١ / ٢٢٧ ، ٢٣٤
٦٢ ﴿ أَلا إِنَّ أَولياء الله لا خوف عليهم ﴾ .... ١ / ٤٣٣ ، ٤٩٥
٦٨ ﴿ قالوا اتخذ اللّه ولدًا سبحانه ﴾ .... ١ / ٢٤٣
٩٦ ﴿ إِنَّ الذين حقّت عليهم كلمة ربِّك ﴾ .... ١ / ٣٣٥
١٠١ ﴿ قل انظروا ماذا في السموات ﴾ .... ١ / ٣٣٥ ، ٥٥١ ، ٢ / ٤٥

هود :

٢٠ ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ .... ١ / ٣٤٧
٤٦ ﴿ إِنّي أَعظك أَن تكون من الجاهلين ﴾ .... ١ / ٢٣١
٥٣ ﴿ يا هود ما جئتنا ببيّنة ﴾ .... ١ / ٣٢٦ ، ٤٥٨

٥٦ ﴿ إِنّي توكلت على ربّي ﴾ .... ٢ / ٤٨٥
١٠٨ ﴿ وأَمّا الذين سُعدوا ففي الجنّة ﴾ .... ١ / ١٦٤
١١٨ ﴿ ولو شاء ربّك لجعل النّاس ﴾ .... ٢ / ٢٩٢
يوسف :
٢٢ ﴿ ولمّا بلغ أَشدّه آتيناه حكمًا ﴾ .... ١ / ٢٣٩ ، ٥٠٨
٢٤ ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء ﴾ .... ١ / ٢٧٧
٣٣ ﴿ وإِلّا تصرف عني كيدهنّ ﴾ .... ١ / ٣٤٤
٥٣ ﴿ إِنَّ النّفس لأَمّارة بالسوء ﴾ .... ٣ / ٧
٥٥ ﴿ اجعلني على خزائن الأَرض ﴾ .... ١ / ٤٣٩
٧٦ ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ .... ١ / ٥٢١
١٠٣ ﴿ وما أَكثر النّاس ولو حرصت ﴾ .... ١ / ٤٦٠
١٠٤ ﴿ إِنْ هو إِلّا ذكر للعالمين ﴾ .... ١ / ٢٠٤
١٠٥ ﴿ وكأَيِّن من آية في السّموات ﴾ .... ٢ / ١٠٩
١٠٨ ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ .... ١ / ٢٩٣ ، ٤٧٥
١١١ ﴿ لقد كان في قصصهم ﴾ .... ١ / ٥٤٤
الرَّعد :
٢ ﴿ الله الّذي رفع السموات ﴾ .... ٢ / ٦٤
٤ ﴿ وفي الأَرض قطع مُتجاورات ﴾ .... ٢ / ٣٢
٤ ﴿ إِنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ .... ٢ / ٦٦ ، ٢١٧
١٧ ﴿ أَنزل من السّماء ماءً ﴾ .... ١ / ٢٤٩ ، ٤٠٧
١٩ ﴿ أَفمن يعلم أَنّما أَنزل إِليك ﴾ .... ١ / ٢٢٢ ، ٣١٦
٢٤ ﴿ سلام عليكم بما صبرتم ﴾ .... ١ / ٣٦٦
٤٣ ﴿ قل كفى باللّه شهيدًا ﴾ .... ١ / ٣٤٩

إبراهيم :

١٠ ﴿ أَفي الله شكٌ فاطر السموات ﴾ .... ٢ / ٦٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٢

٢٦ ﴿ لنهلكنَّ الظالمين ﴾ .... ٣ / ٦

٢٦ ﴿ اجتثت من فوق الأَرض ﴾ .... ٢ / ١١٦

٢٧ ﴿ يثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ .... ١ / ٢٠٧

٣٢ ﴿ وأَنزل من السماء ماءً ﴾ .... ٢ / ٢٠٢

٣٤ ﴿ وإِن تعدُّوا نعمة الله ﴾ .... ٢ / ٤٢٢

٣٤ ﴿ إِنَّ الإِنسان لظلوم كفّار ﴾ .... ٢ / ٢٠٩

٤٠ ﴿ ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ﴾ .... ٢ / ٣٠٢

٤٦ ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ .... ٣ / ٢٧٧

الحْجر :

٣٤ ﴿ فاخرج منها فإِنّك رجيم ﴾ .... ١ / ١٥٤

٣٦ ﴿ قال ربِّ فأَنظرني إِلى يوم يبعثون ﴾ .... ١ / ٣٢٢

٤٢ ﴿ إِنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ .... ١ / ٢٧٧ ، ٤٧٣

٤٨ ﴿ لا يمسُّهُم فيها نَصَبٌ ﴾ .... ١ / ١٢٦

٧٨ ﴿ وإِن كان أَصحاب الأَيكة ﴾ .... ١ / ٥٢٣

٩٢ ﴿ فوربّك لنسألنّهم أَجمعين ﴾ .... ٣ / ٦

النحل :

٧ ﴿ وتحمل أَثقالكم إِلى بلد لم تكونوا بالغيه ﴾ .... ١ / ١٢٤

١٠ ﴿ هو الذي أَنزل من السماء ماء ﴾ .... ٢ / ٦٥

١٢ ﴿ وسخّر لكم الليل والنّهار ﴾ .... ٣ / ١٧٩

١٣ ﴿ إِنَّ في ذلك لآية لقوم يذّكّرون ﴾ .... ٢ / ٦٦

١٤ ﴿ وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه ﴾ .... ٢ / ٤٣

١٥ ﴿ وأَلقى في الأَرض رواسي ﴾ .... ٢ / ٨١
١٦ ﴿ وعلامات وبالنَّجْم هم يهتدون ﴾ .... ٣ / ١٤٦
٢٥ ﴿ ليحملوا أَوزارهم كاملة ﴾ .... ١ / ٢٥١
٣٠ ﴿ ولنعم دار المتقين ﴾ .... ١ / ١٦٥
٣٢ ﴿ ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون ﴾ .... ١ / ١١٩
٣٦ ﴿ ولقد بعثنا في كلِّ أُمّة رسولًا ﴾ .... ٣ / ٢٦
٣٧ ﴿ إِن تحرصْ على هداهم ﴾ .... ١ / ٣٠٨
٤٣ ﴿ وما أَرسلنا مِن قبلك إِلّا رجالًا ﴾ .... ١ / ٢٢٢
٤٣ ﴿ فاسألوا أَهل الذكر إِن كنتم لا تعلمون ﴾ .... ١ / ٣٤٩
٥٠ ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .... ١ / ١٢٧
٦٧ ﴿ ومن ثمرات النخيل والأَعناب ﴾ .... ٢ / ١١٩
٦٨ ﴿ وأَوحى ربّك إِلى النحل ﴾ .... ٢ / ١٦٥
٧٥ ﴿ ضرب اللّه مثلًا عبدًا ﴾ .... ٢ / ٤٨٠
٧٦ ﴿ وضرب الله مثلًا رجلين ﴾ .... ٢ / ٤٨٧
٧٨ ﴿ والله أَخرجكم من بطون أُمهاتكم ﴾ .... ١ / ٣٥٨ ، ٢ / ٢٤٢
٨٢ ﴿ فإِن تولوا فإِنّما عليك البلاغ ﴾ .... ١ / ٣٢٥
٩٧ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أَو أُنثى ﴾ .... ١ / ١٨٢ ، ٢٠٧
٩٨ ﴿ فإِذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ .... ٣ / ٣٤٠
١١٨ ﴿ وما ظلمناهم ولكن ﴾ .... ١ / ٢٠٩
١٢٠ ﴿ إِنَّ إِبراهيم كان أُمّة ﴾ .... ١ / ٥٢٢
١٢٥ ﴿ ادع إِلى سبيل ربّك بالحكمة ﴾ .... ١ / ٤٧٤ ، ٥١٧
١٢٥ ﴿ وجادلهم بالتي هي أَحسن ﴾ .... ١ / ٤٥٧

الإسراء :

١ ﴿ سبحان الَّذي أَسرى بعبده ﴾ .... ١ / ١١٠
٣ ﴿ إنّه كان عبدًا شكورًا ﴾ .... ٢ / ٣٠٢
١٢ ﴿ وجعلنا آية النّهار مبصرةً ﴾ .... ١ / ٣٢٦ ، ٢ / ٥٤
١٣ ﴿ وكلّ إنسان أَلزمناه طائره ﴾ .... ٣ / ٢٧٥ ، ٢٧٨
١٥ ﴿ وما كنّا معذبين حتّى نبعث رسولًا ﴾ ١ / ٢٠٩ ، ٢ / ٤٠١ ، ٤٢٦
٢٣ ﴿ وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه ﴾ .... ٢ / ٣٣٣
٣٢ ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ .... ٢ / ٣٢٩
٣٦ ﴿ إنَّ السَّمْع والبصر والفؤاد ﴾ .... ١ / ٣٦٠ ، ٢ / ١٧ ، ٢٤٢
٣٨ ﴿ كلّ ذلك كان سيّئه عند ربّك ﴾ .... ٢ / ٣٣٤
٤٤ ﴿ وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ﴾ .... ٢ / ١٠٥
٤٥ ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا ﴾ .... ١ / ٢٣١ ، ٣٤٦
٥٩ ﴿ وما منعنا أَن نرسل بالآيات ﴾ .... ١ / ٤٥٩
٥٩ ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة ﴾ .... ١ / ٣٢٦
٧٠ ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ .... ٢ / ٢٠١
٧٢ ﴿ ومن كان في هذه أَعمى ﴾ .... ١ / ١٨٢ ، ٣٧١
٨٥ ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلًا ﴾ .... ١ / ٣٤٢
٩٠ ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتّى تفجر لنا ﴾ .... ١ / ١٤٩
٩٧ ﴿ ومن يهد اللّه فهو المهتد ﴾ .... ١ / ٢١١
٩٧ ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ .... ١ / ٣٧١
١٠٢ ﴿ لقد علمت ما أَنزل هؤلاء ﴾ .... ١ / ٣٢٢
١٠٦ ﴿ وقرآنًا فرقناه لتقرأه على النّاس ﴾ .... ١ / ٢٢٢
١٠٧ ﴿ قل آمنوا به أَو لا تؤمنوا ﴾ .... ١ / ٣١٧ ، ٤٩٣
١١١ ﴿ وقل الحمد للّه الذي لم يتخذ ولدًا ﴾ .... ١ / ٤٩٥

الكهف :

٢٨ ﴿ ولا تطع من أَغفلنا قلبه ﴾ .... ١ / ٣١٢ ، ٣٧٤
٣٢ ﴿ واضرب لهم مثلًا رجلين ﴾ .... ١ / ١٥٠
٣٩ ﴿ ولولا إِذا دخلت جنّتك ﴾ .... ١ / ١٤٠
٤٧ ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أَحدًا ﴾ .... ٢ / ٢١٢
٤٩ ﴿ ولا يظلم ربّك أَحدًا ﴾ .... ٢ / ٥٥٢
٥٣ ﴿ ورأى المجرمون النّار ﴾ .... ١ / ٤٧٩
٦٠ ﴿ وإِذ قال موسى لفتاه لا أَبرح ﴾ .... ١ / ٢٣٦
٦٤ ﴿ فارتدّا على آثارهما قصصًا ﴾ .... ٢ / ٥٢٤
٦٥ ﴿ فوجدا عبدًا من عبادنا ﴾ .... ١ / ٢٤٠
٦٦ ﴿ هل أَتبعُك على أَن تعلمن ﴾ .... ١ / ٢٣٦ ، ٤٨٨ ، ٥٢٢
١١٠ ﴿ فمن كان يوجو لقاء ربّه ﴾ .... ١ / ٣٠٣

مريم :

٥ ﴿ وإِنّي خفت الموالي من ورائي ﴾ .... ١ / ٢٦٣
٩ ﴿ وقد خلقتك من قبل ﴾ .... ٣ / ٢٠٠
٣٠ ﴿ إِنّي عبدالله آتاني الكتاب ﴾ .... ١ / ٥٢٤
٣٨ ﴿ أَسمع بهم وأَبصر يوم يأتوننا ﴾ .... ١ / ٢١٠
٦٨ ﴿ فوربّك لنحشرنّهم والشياطين ﴾ .... ٣ / ٦
٨٥ ﴿ يوم نحشر المتقين إِلى الرحمن ﴾ .... ١ / ٢١٣
٨٧ ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ .... ٣ / ٣٧٧
٩٠ ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه ﴾ .... ٢ / ٢٧١

طه :

٥ ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .... ١ / ٤٥٦

٣٩ ﴿ وألَقيت عليك محبّة منّي ﴾ .... ١ / ٥١٣

٤٩ ﴿ فمن ربّكما يا موسى ﴾ .... ١ / ٣٠٨

٥٠ ﴿ الذي أَعطى كلَّ شيءٍ خَلْقَه ﴾ .... ٣ / ١٠٥

٥٣ ﴿ الذي جعل لكم الأَرض مهدًا ﴾ .... ٢ / ٨١

٧٤ ﴿ فإنّ له جهنّم لا يموت فيها ﴾ .... ١ / ٣٤٥

٧٥ ﴿ ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصالحات ﴾ .... ١ / ٢٢٤

٩٦ ﴿ بصرت بما لم يبصروا به ﴾ .... ١ / ٣٢٧

١٠٥ ﴿ ويسألونك عن الجبال ﴾ .... ٢ / ٨٩

١١٢ ﴿ ومن يعمل من الصالحات ﴾ .... ٢ / ٥٤٦

١١٤ ﴿ فتعالى الله المَلِك الحقّ ﴾ .... ١ / ٢٢٣

١١٧ ﴿ إنَّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك ﴾ .... ١ / ١٣٧

١١٨ ﴿ إنَّ لك أَن لا تجوع فيها ﴾ .... ١ / ١٤٥ ، ١٥١

١٢٠ ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ .... ١ / ١٢٩

١٢٠ ﴿ هل أَدلُّك على شجرة الخلد ﴾ .... ١ / ١٢٧ ، ١٥٢

١٢١ ﴿ وعصى آدم ربَّه فغوى ﴾ .... ١ / ١٣٨

١٢٣ ﴿ قال اهبطا منها جميعًا ﴾ .... ١ / ١٣٧ ، ١٧٦ ، ١٨٩

١٢٣ ﴿ فمن اتبع هداي فلا يضلُّ ﴾ .... ١ / ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٩

١٢٤ ﴿ ومن أَعرض عن ذكري ﴾ .... ١ / ١٨٢ ، ٢٠٤

١٢٤ ﴿ ونحشره يوم القيامة أَعمى ﴾ .... ١ / ٢١٠

١٢٥ ﴿ قال ربِّ لما حشرتني أَعمى ﴾ .... ١ / ٢١٠ ، ٣٧١

الأَنبياء :

٢١ ﴿ أَم اتخذوا آلهة من الأَرض ﴾ .... ٢ / ٢٢٩ ، ٣ / ٣٣
٢٢ ﴿ لو كان فيهما آلهة إِلّا الله ﴾ .... ٢ / ٤٨ ، ٣٣٨
٢٣ ﴿ لا يسأل عمّا يفعل ﴾ .... ٢ / ٥٤٥
٢٥ ﴿ وما أَرسلنا من قبلك من رسول ﴾ .... ٣ / ٢٦
٢٧ ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأَمره ﴾ .... ١ / ١٢٧
٢٨ ﴿ ولايشفعون إِلّا لمن ارتضى ﴾ .... ٣ / ٣٧٧
٣٢ ﴿ وجعلنا السماء سقفًا محفوظًا ﴾ .... ٢ / ٢٥
٣٣ ﴿ وهو الذي خلق الليل والنّهار ﴾ .... ٢ / ٣٩ ، ٣ / ١٧٨
٥٠ ﴿ وهذا ذكر مبارك أَنزلناه ﴾ .... ١ / ٢٠٤ ، ٥٢٥
٦٣ ﴿ بل فَعَلَه كبيرهم هذا ﴾ .... ٢ / ٣٩٤
٧٨ ﴿ وداود وسليمان إِذ يحكمان في الحرث ﴾ .... ١ / ٢٤٠
٧٨ ﴿ وكنّا لحكمهم شاهدين ﴾ .... ١ / ١٣٥
٨٠ ﴿ وعلّمناه صنعة لَبوس لكم ﴾ .... ١ / ٥٢٢

الحجّ :

٥ ﴿ يا أَيّها النّاس إِن كنتم في ريب من البعث ﴾ .... ٢ / ٥
٥ ﴿ وترى الأَرض هامدة ﴾ .... ٢ / ٣٢
٣١ ﴿ حنفاء للّه غير مشركين به ﴾ .... ٢ / ٣٢٣
٤٦ ﴿ أَفلم يسيروا في الأَرض ﴾ .... ٢ / ٢٠ ، ٢٤٥
٤٦ ﴿ فإِنّها لا تعمى الأَبصار ﴾ .... ١ / ٣٤٦ ، ٣٥٦
٥٣ ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ﴾ .... ١ / ٣٦٧
٧٣ ﴿ يا أَيّها النّاس ضرب مثل ﴾ .... ٢ / ٣٣٣ ، ٣ / ١٩٧

المؤمنون :

١٨ ﴿ وأَنزلنا من السماء ماء بقَدَر ﴾ .... ٢ / ٤٩٦

٢٤ ﴿ ما هذا إِلّا بشر مثلكم ﴾ .... ٣ / ٢٠١

٤٧ ﴿ أَنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما ﴾ .... ١ / ٣٣٦

٥١ ﴿ يا أَيُّها الرُّسل كلوا من الطَّيِّبات ﴾ .... ٣ / ٢٧

٦٨ ﴿ أَفلم يدّبروا القول ﴾ .... ١ / ٥٤٤

٧١ ﴿ ولو اتبع الحقُّ أَهواءَهم ﴾ .... ٢ / ٣٢٠

٩١ ﴿ ما اتخذ اللهُ من ولد ﴾ .... ٢ / ٤٨

١٠٨ ﴿ اخسؤوا فيها ولا تكلّمون ﴾ .... ١ / ٢١٢

١١٥ ﴿ أفحسبتم أَنّما خلقناكم عبثًا ﴾ ١ / ١١٧ ، ١٦٥ ، ٢ / ٣٤٠ ، ٤٩٨ ،
٣ / ٢٠٢

١١٦ ﴿ فتعالى اللّه الملك الحقّ ﴾ .... ٢ / ٤٩٩

النور :

٣٥ ﴿ اللّه نور السموات والأَرض ﴾ .... ١ / ٢٣٣

٣٧ ﴿ يخافون يومًا تتقلّب فيه القلوب ﴾ .... ١ / ٣٥٦

٤١ ﴿ والطير صافات ﴾ .... ٢ / ١٠٦

٤٤ ﴿ إِنَّ في ذلك لعبرة لأُولي الأَبصار ﴾ .... ١ / ٥٤٤

الفرقان :

٢٢ ﴿ يوم يرون الملائكة لا بشرى ﴾ .... ١ / ٢١٠

٢٣ ﴿ وقدمنا إِلى ما عملوا من عمل ﴾ .... ١ / ٢٦٤

٤٤ ﴿ أَم تحسب أَنَّ أَكثرهم يسمعون ﴾ .... ١ / ٢٣٠ ، ٢٧٨

٤٤ ﴿ إِن هم إِلّا كالأَنعام ﴾ .... ١ / ٤٤٨

٥١ ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كلّ قرية ﴾ .... ١ / ٢٧١

٦١ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء ﴾ ..... ٢ / ٥١ ، ٣ / ١٦٧ ، ١٨٧
٦٣ ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون ﴾ .... ١ / ٣١٨ ، ٤٧٣
٦٣ ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون ﴾ .... ١ / ٢٣١
٧٤ ﴿ والذين يقولون ربّنا هب لنا ﴾ .... ١ / ٣٠٠
٧٧ ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي ﴾ .... ٢ / ٤٩٥

الشعراء :

٨ ﴿ إنَّ في ذلك لآية وما كان أَكثرهم مؤمنين ﴾ .... ١ / ١١٥
٩٧ ﴿ تالله إن كنّا لفي ضلال مبين ﴾ .... ٣ / ٢٨

النمل :

١٣ ﴿ فلمّا جاءتهم آياتنا مبصرة ﴾ .... ١ / ٣٢٣
١٥ ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علمًا ﴾ .... ١ / ٢٦٣
١٦ ﴿ يا أَيُّها النّاس عُلِّمنا منطق الطير ﴾ .... ١ / ٥٢٢
١٦ ﴿ إنَّ هذا لهو الفصل المبين ﴾ .... ١ / ٢٦٣
١٨ ﴿ يا أَيُّها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ .... ٢ / ١٥١
٢٢ ﴿ أَحطت بما لم تحط به ﴾ .... ١ / ٥٢٠
٤٧ ﴿ طائركم عند الله ﴾ .... ٣ / ٢٧٨
٦٢ ﴿ أَمّن يجيب المضطرّ ﴾ .... ١ / ٤٦٩ ، ٤٧٢
٦٥ ﴿ قل لا يعلم مَن في السموات والأَرض ﴾ .... ٣ / ٩١
٨٢ ﴿ إنَّ النَّاس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ .... ١ / ٤٧٦
٩١ ﴿ إنّما أُمرتُ أَن أَعبد ربَّ هذه البلدة ﴾ .... ١ / ٢٠٢

القصص :

٥ ﴿ ونريد أَن نمنَّ على الَّذين استضعفوا ﴾ .... ٢ / ١٧٥
١١ ﴿ وقالت لأُخته قصّيه ﴾ .... ٢ / ٥٢٤

١١ ﴿ فبصرت به عن جُنُب ﴾ .... ١ / ٣٢٧
١٤ ﴿ ولمّا بلغ أَشدّه واستوى ﴾ .... ١ / ٢٤٠
٤٧ ﴿ ولولا أَن تصيبهم مصيبة ﴾ .... ٢ / ٣٣٠ ، ٣ / ١٢
٥٢ ﴿ والذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ .... ١ / ٣٤٩
٥٥ ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ .... ١ / ٣١٨
٥٦ ﴿ إنَّك لا تهدي من أَحببت ﴾ .... ١ / ٣٠٨
٦٥ ﴿ ويوم يناديهم فيقول ﴾ .... ٢ / ٤٢٧
٧١ ﴿ قل أَرأيتم إن جعل الله ﴾ .... ٢ / ٥٠

العنكبوت :

١٣ ﴿ وليحملنّ أثقالهم وأَثقالًا ﴾ .... ١ / ٢٥١
٣٨ ﴿ وعادًا وثمود وقد تبيّن لكم ﴾ .... ١ / ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٢ / ١٧٩
٤١ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله ﴾ .... ٣ / ١٩٧
٤٣ ﴿ وتلك الأَمثال نضربُها للنّاس ﴾ .... ١ / ٢٢٦ ، ٢٥٠ ، ٣١٧
٤٥ ﴿ اتل ما أُوحي إليك من الكتاب ﴾ .... ١ / ٢٠٢
٤٦ ﴿ ولا تجادلوا أَهل الكتاب ﴾ .... ١ / ٤٥٧
٤٧ ﴿ وكذلك أَنزلنا إليك الكتاب ﴾ .... ١ / ٢٢٣
٥٨ ﴿ والّذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .... ٢ / ٥١٤

الروم :

٦ ﴿ ولكنَّ أَكثر النّاس لا يعلمون ﴾ .... ٢ / ٤٩٤
٧ ﴿ يعلمون ظاهرًا من الحياة ﴾ .... ٢ / ٤٩٤
٩ ﴿ أَولم يسيروا في الأَرض ﴾ .... ١ / ٥٥١
٢٠ ﴿ ومن آياته أَنَّ خلقكم من تراب ﴾ .... ١ / ٥٥٢
٢١ ﴿ ومن آياته أَن خلقَ لكم من أَنفسكم ﴾ .... ١ /١٣٦

٢٢ ﴿ ومن آياته خلق السموات ﴾ .... ٢ / ٢١٧
٢٥ ﴿ ومن آياته أَن تقوم السماء والأَرض ﴾ .... ١ / ٥٥٢
٢٩ ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أَهواءَهم ﴾ .... ١ / ٣١٨
٣٠ ﴿ فأَقم وجهك للدين حنيفًا ﴾ .... ٢ / ٥٠٣ ، ٣ / ٢٧
٣٠ ﴿ فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها ﴾ .... ٢ / ٥٠٤
٤٢ ﴿ قل سيروا في الأَرض ﴾ .... ١ / ٥٥١
٤٧ ﴿ وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين ﴾ .... ٣ / ٥
٥٢ ﴿ فإِنّك لا تسمع الموتى ﴾ .... ١ / ٣٧٨
٥٥ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ .... ١ / ٢٢٥

لقمان :

١٠ ﴿ خلق السموات بغير عمد ﴾ .... ٢ / ٢٨ ، ٦٥
١٣ ﴿ إِنَّ الشرك لظلمٌ عظيمٌ ﴾ .... ٣ / ٣٨٦

السجدة :

١٣ ﴿ ولو شئنا لآتينا كلَّ نفس ﴾ .... ٢ / ٤٩٦
٢٤ ﴿ وجعلنا منهم أَئمّة ﴾ .... ١ / ٣٠٠

الأَحزاب :

٣٠ ﴿ يا نساء النَّبيّ من يأتِ منكنَّ ﴾ .... ١ / ٥٢٨
٣٢ ﴿ يا نساء النّبيّ لستنَّ كأَحد من النساء ﴾ .... ١ / ٣٦٨
٧٣ ﴿ ليعذّب الله المنافقين ﴾ .... ٢ / ٢٥٨

سبأ :

٦ ﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم ﴾ .... ١ / ٢٢٢
١٠ ﴿ يا جبال أَوّبي معه ﴾ .... ٢ / ١٠٦
١٣ ﴿ وقليل من عباديَ الشَّكور ﴾ .... ١ / ٤٦٠

فاطر :

٦ ﴿ إِنَّ الشيطان لكم عدوّ ﴾ .... ١ / ١٣٦ ، ١٣٧
١٠ ﴿ إِليه يصعد الكلم الطيّب ﴾ .... ١ / ١٣٠ ، ٤٥٦
١٣ ﴿ يولج الليل في النَّهار ﴾ .... ٢ / ٥٦
٢٢ ﴿ وما أَنت بمسمع مَنْ في القبور ﴾ .... ١ / ٣٧٨
٢٨ ﴿ إِنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء ﴾ .... ١ / ٢٢٥
٢٩ ﴿ إِنَّ الذين يتلون كتاب الله ﴾ .... ١ / ٢٠٢
٣٤ ﴿ الحمد للّه الَّذي أَذهب عنّا الحزَن ﴾ .... ١ / ١٢٦
٣٧ ﴿ وهم يصطرخون فيها ﴾ .... ٢ / ٤٢٦
٤١ ﴿ إِنَّ اللّه يمسكُ السموات ﴾ .... ٢ / ٢٧١

يس :

١١ ﴿ إِنّما تنذر من اتبع الذّكر ﴾ .... ١ / ٢٠٥
١٨ ﴿ إِنّا تطيّرنا بكم ﴾ .... ٣ / ٢٧٣
٢٢ ﴿ وما لي لا أَعبد الذي فطرني ﴾ .... ٢ / ٣٣٢
٢٣ ﴿ أَأتخذ من دونه آلهة ﴾ .... ٢ / ٣٣٢
٣٨ ﴿ والشمس تجري لمستقرّ ﴾ .... ٣ / ١٨٩
٦٠ ﴿ أَلم أَعهد إِليكم يا بني آدم ﴾ .... ٢ / ٤٢٧
٦٩ ﴿ إِن هو إِلّا ذكر ﴾ .... ٢ / ٢٤٤
٧١ ﴿ أَولم يروا أَنَّا خلقنا لهم ﴾ .... ٢ / ١٢٥
٧٧ ﴿ أَولم ير الإِنسان أَنَّا خلقناه ﴾ .... ٢ / ٦
٨٢ ﴿ إِنَّما أَمره إِذا أَراد شيئًا ﴾ .... ٢ / ١٠٤ ، ١٩٨

الصافات :

٢٢ ﴿ احشروا الَّذين ظلموا ﴾ .... ١ / ٢١٣ ، ٣٠٩

٨٨ ﴿ فنظر نظرة في النّجوم ﴾ .... ٣ / ١٦٦ ، ١٦٧
٩٠ ﴿ فتولّوا عنه مدبرين ﴾ .... ٣ / ١٦٦
١٠٠ ﴿ ربِّ هب لي من الصالحين ﴾ .... ٢ / ٣٠٢
١٥٦ ﴿ أم لكم سلطان مُبين ﴾ .... ١ / ٢٤٤
١٧٤ ﴿ فتولّى عنهم حتّى حين ﴾ .... ١ / ٣٢٧
ص :
١ ﴿ ص . والقرآن ذي الذّكر ﴾ .... ٢ / ٢٥
٢٠ ﴿ وآتيناه الحكمة وفصلَ الخطاب ﴾ .... ١ / ٢٤٠
٢٤ ﴿ وإِنَّ كثيرًا من الخلطاء ﴾ .... ١ / ٤٧١
٢٧ ﴿ وما خلقنا السماء والأَرض ﴾ .... ٣ / ١٦٨ ، ٢٠١
٢٨ ﴿ أَم نجعل الذين آمنوا ﴾ .... ٢ / ٣٣٩
٢٩ ﴿ كتاب أَنزلناه إِليك مبارك ﴾ .... ١ / ٥٢٥
٣٢ ﴿ حتّى توارت بالحجاب ﴾ .... ٣ / ١٨٢
٤٥ ﴿ واذكر عبدنا إِبراهيم ﴾ .... ٢ / ٣١٢
٤٥ ﴿ أُولي الأَيدي والأَبصار ﴾ .... ١ / ٣٧٨
٨٢ ﴿ فبعزّتك لأُغوينّهم أَجمعين ﴾ .... ١ / ٢٧٧
٨٥ ﴿ لأملأنَّ جهنّم منك ﴾ .... ٣ / ٦
الزمر :
٩ ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون ﴾ .... ١ / ٢٢١ ، ٤٧١
٢٩ ﴿ ضَرَبَ الله مثلًا رجلًا ﴾ .... ٢ / ٣٣٣، ٤٨٠
٣٢ ﴿ فمن أَظلم ممّن كذب ﴾ .... ٢ / ٤٧٥
٣٣ ﴿ والذي جاء بالصدق وصدّق به ﴾ .... ١ / ١٩٨ ، ٥٠٨
٣٥ ﴿ ليكفّر الله عنهم أَسوأ الذي عملوا ﴾ .... ٢ / ٤١٤

٥٦ ﴿ أَن تقول نفس يا حسرتىٰ ﴾ .... ١ / ٢٠٩
٧٤ ﴿ وقالوا الحمد للّه الَّذي صدقنا وعدَه ﴾ .... ١ / ١٧١
٧٥ ﴿ وقُضي بينهم بالحقّ وقيل الحمد للّه ﴾ .... ١ / ١١٥
غافر :
٢ ﴿ تنزيل الكتاب من اللّه ﴾ .... ١ / ٢٠٥
٧ ﴿ الَّذين يحملون العرش ومن حولَه ﴾ .... ١ / ٢٥٥
١٩ ﴿ يعلمُ خائنة الأَعين ﴾ .... ١ / ٣٥٦
٣٠ ﴿ وقال الذي آمن يا قوم ﴾ .... ٢ / ٥٤٨
٣١ ﴿ وما اللّه يريد ظلمًا للعباد ﴾ .... ١ / ٤٧٣ ، ٥٤٠
٤٦ ﴿ النّار يعرضون عليها ﴾ .... ١ / ٢٠٦
٥٧ ﴿ لخلق السموات والأَرض ﴾ .... ٣ / ١٦٨ ، ١٩٦
٦١ ﴿ اللّه الَّذي جعل لكم الليل ﴾ .... ٢ / ٣٩
٦٤ ﴿ الله الذي جعل لكم الأَرض ﴾ .... ٢ / ٣١
٨٤ ﴿ فلمّا رأوا بأسنا ﴾ .... ٢ / ٢٤٩
فصّلت :
٥ ﴿ قلوبنا في أَكنّة ممّا تدعونا إِليه ﴾ .... ١ / ٣٤٢ ، ٣٤٨
١٦ ﴿ فأَرسلنا عليهم ريحًا ﴾ .... ٣ / ١٨٤
١٧ ﴿ وأَمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى ﴾ .... ١ / ٣٠٨ ، ٣٢٢
٢٤ ﴿ فإِن يصبروا فالنّار مثوى لهم ﴾ .... ١ / ٣٩٨
٣٠ ﴿ إِنَّ الذين قالوا ربّنا اللّه ﴾ .... ١ / ١٩٣
٣٣ ﴿ ومن أَحسن قولًا ممّن دعا ﴾ .... ١ / ٤٧٤ ، ٢ / ٣٣٦
٣٧ ﴿ ومن آياته الليل والنّهار ﴾ .... ٢ / ٣٩
٤٠ ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .... ٢ / ٢٣٨

٤١ ﴿ إِنَّ الذين كفروا بالذكر لمّا جاءهم ﴾ .... ١ / ٢٠٤
٤٦ ﴿ مَن عمل صالحًا فلنفسه ﴾ .... ٢ / ٥٤٨
٤٦ ﴿ وما ربُّك بظلّام للعبيد ﴾ .... ١ / ٣٣٣ ، ٢ / ٥٤٣
الشورى :
١١ ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ .... ١ / ٤٥٦ ، ٢ / ٤٣٤
١٣ ﴿ شرع لكم من الدّين ﴾ .... ٢ / ٤٤٠ ، ٣ / ٢٧
١٥ ﴿ فلذلك فادع واستقم ﴾ .... ١ / ٤٥٤
١٦ ﴿ والذين يحاجّون في اللّه ﴾ .... ١ / ٤٥٤
٣٢ ﴿ ومن آياته الجوارِ في البحر ﴾ .... ٢ / ٤٣ ، ٨٥
٤٥ ﴿ وتراهم يُعرضون عليها خاشعين ﴾ .... ١ / ٢١٠
٤٩ ﴿ للّه ملك السّموات والأَرض ﴾ .... ٢ / ١٨٧
٤٩ ﴿ يهبُ لمن يشاء إِناثًا ﴾ .... ٣ / ١٠٥
٥٢ ﴿ وكذلك أَوحينا إِليك روحًا ﴾ .... ١ / ٢٣٢
٥٢ ﴿ ما كنت تدري ما الكتاب ﴾ .... ١ / ٢٣٤
٥٢ ﴿ ولكن جعلناه نورًا ﴾ .... ١ / ٤١٥
الزخرف :
١-٢ ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ .... ٢ / ٢٥
١٢ ﴿ وجعل لكم من الفلك ﴾ .... ٢ / ١٢٥
١٥ ﴿ وجعلوا له من عباده جزءًا ﴾ .... ٢ / ٥٣٢
١٧ ﴿ وإِذا بُشّر أَحدهم بما ضَرَب ﴾ .... ٢ / ٥٨٠
٣٦ ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرّحمن ﴾ .... ١ / ٢٠٨
٣٨ ﴿ يا ليت بيني وبينك بعدَ المشرقين ﴾ .... ١ / ٢٠٨
٤٥ ﴿ واسأل من أَرسلنا من قبلك ﴾ .... ٣ / ٢٧

٧٢ ﴿ وتلك الجنّة الّتي أُورثتموها ﴾ .... ١ / ١١٩ ، ٢ / ٥١٤
٧٦ ﴿ وما ظلمناهم ولكن ﴾ .... ٢ / ٥٤٧
٧٧ ﴿ ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربّك ﴾ .... ٢ / ٤٢٦
الدخان :
٣٨ ﴿ وما خلقنا السموات والأَرض ﴾ .... ٢ / ٤٩٨ ، ٤٩٩
الجاثية :
٣ ﴿ إِنَّ في السموات والأَرض لآيات ﴾ .... ٢ / ٣١
٤ ﴿ وفي خلقكم وما يبثُّ من دابّة ﴾ .... ٢ / ٦٥
٦ ﴿ تلك آيات اللّه نتلوها عليك ﴾ .... ٢ / ٦٥
١٢ ﴿ اللّه الّذي سخّر لكم ﴾ .... ٢ / ٢٠٢
٢١ ﴿ أَم حسب الّذين اجترحوا ﴾ .... ٢ / ٣٣٩
٢٣ ﴿ أَفرأيت من اتخذ إِلٰهه هواه ﴾ .... ١ / ٣١٦
٢٥ ﴿ وإِذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ .... ١ / ٤٥٤
٣٥ ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾ .... ١ / ٣٩٨
الأَحقاف :
١٣ ﴿ إِنّ الذين قالوا ربّنا الله ﴾ .... ١ / ١٩٣ ، ٢ / ٥١٤
٢٦ ﴿ وجعلنا لهم سمعًا وأَبصارًا ﴾ .... ١ / ٢٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٩ ، ٢ / ١٧
٢٩ ﴿ وإِذ صرفنا إِليك نفرًا من الجنّ ﴾ .... ١ / ١٩٠
محمد :
١٦ ﴿ ومنهم من يستمع إِليك ﴾ .... ١ / ٣١٧
١٩ ﴿ فاعلم أَنّه لا إِلٰه إِلّا اللّه ﴾ .... ١ / ٥٣٥
الفتح :
٢٩ ﴿ أَشدّاء على الكفّار ﴾ .... ٢ / ١٢١

الحجرات :

١٧ ﴿ يمنّون عليك أَن أَسلموا ﴾ .... ٢ / ٤٣٢ ، ٥١٥

ق :

١ ﴿ ق ~. والقرآن المجيد ﴾ .... ٢ / ٢٥

٦ ﴿ أَفلم ينظروا إِلى السّماء فوقهم ﴾ .... ٣ / ١٦٩

٧ ﴿ والأَرض مددناها ﴾ .... ٢ / ٦٧

٢٢ ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا ﴾ .... ١ / ٢١٠

٣٧ ﴿ إِنَّ في ذلك لذكرى ﴾ .... ١ / ٥١٢ ، ٢ / ٢٠

الذاريات :

١ ﴿ والذّاريات ذَرْوًا ﴾ .... ٣ / ١٨٤

٤ ﴿ فالمقسّماتِ أَمرًا ﴾ .... ٣ / ١٦٧

٢٠ ﴿ وفي الأَرض آيات للموقنين ﴾ .... ٢ / ٢٢٢

٢١ ﴿ وفي أَنفسكم أَفلا تبصرون ﴾ .... ٢ / ٥

٤٨ ﴿ والأَرض فرشناها ﴾ .... ٢ / ٣١

٥٥ ﴿ وذكّر فإِنَّ الذّكرى تنفعُ المؤمنين ﴾ .... ٢ / ٤٤٢

٥٦ ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإِنس ﴾ ١ / ١١٢ ، ٢٧٠ ، ٢ / ٤٩٥ ، ٣ / ٢٧

الطور :

٦ ﴿ والبحر المسجور ﴾ .... ٢ / ٤٢

٢٣ ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ .... ١ / ١٥٩

النجم :

١ ﴿ والنَّجم إِذا هوى ﴾ .... ١ / ١٩٦

٤ ﴿ إِن هو إِلّا وحي يوحى ﴾ .... ١ / ٤١٥ ، ٢ / ٥٢٤

١١ ﴿ ما كَذَب الفؤاد ما رأى ﴾ .... ١ / ٣٥٦ ، ٢ / ١٧

١٧ ﴿ ما زاغَ البصر وما طغى ﴾ .... ١ / ٣٥٦
٢٣ ﴿ إِن هي إِلّا أَسماء سمّيتموها ﴾ .... ١ / ٢٤٤
٢٨ ﴿ إِن يتبعون إِلّا الظنّ ﴾ .... ٣ / ٩٧
٣٦ ﴿ أَم لم ينبّأ بما في صحف موسى ﴾ .... ٢ / ٥٤٨
القمر :
١٩ ﴿ إِنّا أَرسلنا عليهم ريحاً ﴾.......................... ٣ / ١٨٥
٤٧ ﴿ إِنَّ المجرمين في ضلال وسُعُر ﴾ .... ١ / ١٨٧
٥٥ ﴿ مقعد صدق ﴾ .... ١ / ١٢٧
الرحمٰن :
١-٢ ﴿ الرحمن علّم القرآن ﴾ .... ٢ / ٢٤١
٦ ﴿ والنَّجم والشجر يسجدان ﴾ .... ٢ / ١٠٥
٧٤ ﴿ لم يطمثهنَّ إِنس ﴾ .... ١ / ١٩١
الواقعة :
٧١ ﴿ أَفرأيتم النّار الّتي تورون ﴾ .... ٢ / ٧٤
٧٥ ﴿ فلا أُقسم بمواقع النّجوم ﴾ .... ٢ / ٢٤ ، ٣ / ١٦٦ ، ١٨٠
٧٧ ﴿ إِنّه لقرآن كريم ﴾ .... ٣ / ١٨١
٨٢ ﴿ وتجعلون رزقكم أَنّكم تكذبّون ﴾ .... ٢ / ١١٣
الحديد :
١٨ ﴿ إِنَّ المصَّدقين والمصَّدِّقات ﴾ .... ١ / ٢٩٨
٢١ ﴿ سابقوا إِلى مغفرة من ربِّكم ﴾ .... ١ / ١٩٢
٢٢ ﴿ ما أَصاب من مصيبة في الأَرض ﴾ .... ٣ / ٣٣٤ و ٣٦٨
٢٥ ﴿ لقد أَرسلنا رسلنا بالبيّنات ﴾ ...... ١ / ٢٧٢ ، ٤٥٨ ، ٢ / ٣٣٤
٢٨ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا اتقوا اللّه وآمنوا ﴾ ... ١ / ٢٣٢ ، ٤١٤ ، ٥١٩

المجادلة :

١ ﴿ قد سمع اللّه قول ﴾ .... ١ / ٢٩٥
١١ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا إِذا قيل لكم تفسَّحوا ﴾ .... ١ / ٢٢٤

الحشر :

٢ ﴿ فاعتبروا يا أُولي الأَبصار ﴾ .... ١ / ٣٥٦
١٩ ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا اللّه ﴾ .... ١ / ٣١٢

الصّف :

٥ ﴿ وإِذ قال موسى لقومه ﴾ .... ١ / ٣٤١

الجمعة :

٢ ﴿ هو الذي بعث في الأُميين ﴾ .... ١ / ٢٤١
٤ ﴿ ذلك فضل اللّه يؤتيه ﴾ .... ١ / ٢٤٨
٥ ﴿ كمثل الحمار يحمل أَسفارًا ﴾ .... ١ / ٣٨٠

المنافقون :

٣ ﴿ ذلك بأَنّهم آمنوا ثمّ كفروا ﴾ .... ١ / ٣٤٥
٤ ﴿ وإِذا رأيتهم تعجبك أَجسامهم ﴾ .... ١ / ٣٧٩

التغابن :

٨ ﴿ فآمنوا باللّه ورسوله ﴾ .... ١ / ٢٣٣
١١ ﴿ ما أَصاب من مصيبة ﴾ .... ١ / ٤٧٨

الطلاق :

١٠ ﴿ قد أَنزل الله إِليكم ذكرًا ﴾ .... ١ / ٢٣٣
١٢ ﴿ اللّه الذي خَلَقَ سبع سموات ﴾ ١ / ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، ٥٣٥ ، ٣ / ١٧٨

التحريم :

٥ ﴿ عسى ربُّه إِن طلقكنّ ﴾ .... ٣ / ٣٢٧

الملك :

٢ ﴿ الذي خلق الموت والحياة ﴾ .... ١ / ٣٠٣

٨ ﴿ كلما أُلقي فيها فوج ﴾ .... ٢ / ٤٢٧

١٠ ﴿ وقالوا لو كنّا نسمع أَو نعقل ﴾ ١ / ٢٤٥ ، ٣١٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ،
٢ / ٣٩٣ ، ٣ / ٤٣

١١ ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ .... ١ / ٣٤٨

القلم :

١ ﴿ ن ~. والقلم وما يسطرون ﴾ .... ١ / ٣٨٢

١٧ ﴿ إِنّا بلوناهم كما بلونا ﴾ .... ١ / ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٨

الحآقّة :

١١ ﴿ إِنّا لمّا طغى الماء حملناكم ﴾ .... ١ / ٤٠٧ ، ٢ / ٤٣

٢٨ ﴿ ما أَغنى عنّي ماليه ﴾ .... ١ / ٢٤٤

نوح :

٢٣ ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ﴾ .... ٣ / ١٩٣

الجنّ :

١٤ ﴿ وأَنّا منّا المسلمون ﴾ .... ١ / ١٩١

١٩ ﴿ وأَنّه لمّا قامَ عبدالله يدعوه ﴾ .... ١ / ١١٠ ، ٤٧٤

المدّثّر :

٣١ ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مَرَض ﴾ .... ١ / ٣٦٧

٤٣ ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ .... ١ / ١٩٨

٤٩ ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ .... ٢ / ٢٤٣

القيامة :
٤ ﴿ أَيحسب الإِنسان أَن لن نجمع عظامه ﴾ ٤٩٦
٣٦ ﴿ أيحسب الإِنسان أَن يترك سُدى ﴾ ١/١١٧، ١٦٥، ٢/٦، ٣٣٩، ٤٩٨
الإِنسان :
٣ ﴿ إِنّا هديناه السَّبيل ﴾ .... ١ / ٣٦٠
١١ ﴿ فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ﴾ .... ١ / ٢٧٦
٢١ ﴿ شرابًا طهورًا ﴾ .... ١ / ١٢٧
المرسلات :
٢٠ ﴿ أَلم نخلقكم من ماء مهين ﴾ .... ٢ / ٦
٤٦ ﴿ كلوا وتمتّعوا قليلًا ﴾ .... ٢ / ٢٣٨
النبأ :
١٢ ﴿ وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ﴾ .... ٢ / ٢٥
النازعات :
٥ ﴿ فالمدبِّرات أَمرًا ﴾ .... ٣ / ١٨٣
٨ ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ .... ١ / ٣٥٦
٢٧ ﴿ ءَأَنتم أَشدّ خلقًا أَم السماء ﴾ .... ٢ / ٢٣ ، ٢٥
٤٠ ﴿ وأَمّا من خاف مقام ربّه ﴾ .... ٣ /٧
عبس :
١٧ ﴿ قتل الإِنسان ما أَكفره ﴾ .... ٢ / ٦
التكوير :
١ ﴿ إِذا الشمس كوّرت ﴾ .... ٣ / ١٢١
٥ ﴿ وإِذا الوحوش حُشرت ﴾ .... ١ / ٢١٢
٦ ﴿ وإِذا البحار سُجّرت ﴾ .... ٢ / ٣٩١

١٥ ﴿ فلا أُقسم بالخنّس ﴾ .... ٢ / ٢٤ ، ٣ / ١٦٦ ، ١٨٠
١٩ ﴿ إنّه لقولُ رسول كريم ﴾ .... ١ / ٤١٥

المطففون :

٧ ﴿ كلّا إنَّ كتاب الفجّار لفي سجين ﴾ .... ١ / ١٣٠
١٥ ﴿ كلّا إنّهم عن ربّهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ .... ٣ / ٣٥
٢٤ ﴿ تعرفُ في وجوههم نضرة النَّعيم ﴾ .... ١ / ٢٧٦

البروج :

١ ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ .... ٢ / ٢٤

الطارق :

١ ﴿ والسماء والطارق ﴾ .... ٢ / ٢٤ ، ٣ / ١٦٧ ، ١٨٢
٥ ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خلق ﴾ .... ٢ / ٥
١١ ﴿ والسماء ذات الرَّجع ﴾ .... ٢ / ٢٤

الأَعلى :

١ ﴿ سبِّح اسم ربّك الأَعلى ﴾ .... ١ / ٣٠٧
٩ ﴿ فذكِّر إن نفعت الذِّكرى ﴾ .... ٢ / ٢٤٣

الغاشية :

١١ ﴿ لا تسمع فيها لاغية ﴾ .... ١ / ١٥٩
١٧ ﴿ أَفلا ينظرون إلى الإبل ﴾ .... ٢ / ٣١ ، ٨٦
٢١ ﴿ إنّما أَنت مذكّر ﴾ .... ٢ / ٢٤٣

الشمس :

١ ﴿ والشمس وضحاها ﴾ .... ١ / ٢٠٢ ، ٢ / ٢٤
٨ ﴿ فأَلهمها فجورها وتقواها ﴾ .... ١ / ٣٢٧

العلق :

١ ﴿ اقرأ باسم ربِّك ﴾ .... ١ / ٢٤٢ ، ٢ / ٢٣٩

البيِّنة :

١ ﴿ لم يكن الذين كفروا من أَهل الكتاب ﴾ .... ١ / ٣٥٢

٨ ﴿ جزاؤهم عند ربِّهم جنّات ﴾ .... ١ / ٢٢٥

التكاثر :

٦ ﴿ لترونَّ الجحيم ﴾ .... ١ / ٢١٠

العصر :

١ ﴿ والعصر إِنَّ الإِنسان لفي خسر ﴾ .... ١ / ٢٣٨

٣ ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .... ١ / ٣٧٨

٢ - فهرس الأَحاديث المرفوعة[1]

(أ)

« الأَجدع شيطان » .... ٣ / ٣٢٠
« الإِيمان عُريان » .... ١ / ٣٩٩
« أَتدري ما حقُّ الله على عباده » .... ٣ / ٥
« أَخبرني بهنَّ آنفاً جبريل » .... ٢ / ١٨٩
« اختصمت الجنّة والنّار » .... ١ / ١٤٠
« أَخذنا فألك من فيك » .... ٣ / ٢٧٧
« إِذا ابتليت عبدي بحبيبتيه » .... (ح) ٢ / ٢٠٦
« إِذا أَبردتم إِليَّ بريداً » .... ٣ / ٢٨٥ (ح) ٣ / ٣٢٠
« إِذا أَردتم أَن تعلموا ما للميت » .... ٣ / ٣٥٣
« إِذا بعثتم إِليَّ بريداً » .... ٢ / ١٤٠
« إِذا بلغ الماء قلتين » .... ١ / ٥٢٩
« إِذا تطيّرت فلا ترجع » .... ٣ / ٢٧٠
« إِذا توضّأ العبد المسلم » .... ٢ / ٣٦٥
« إِذا جاء الموت طالب العلم » .... ١ / ٣٨٨
« إِذا دخل أَهل الجنّة نادى » .... ٣ / ٣٦
« إِذا ذُكر القدر فأَمسكوا » .... ٣ / ١٧١ ، ٢٣١
« إِذا سألت فاسأل الله » .... ١ / ١٧٧

(١) وما قبله حرف (ح) فهو مذكورٌ في الحاشية .

« إِذا سلَّم عليكم أَهل الكتاب » .... ٣ / ٢٧٧
« إِذا عطس أَحدكم فحمد الله » .... (ح) ٣ / ٣٥٨
« إِذا قال الإِمام : سمع الله لمن حمده » .... ١ / ٢٩٦
« إِذا كان الطاعون بالبلد » .... ٣ / ٣٦٧
« إِذا كان يوم صوم أَحدكم » .... ١ / ٣٤٥
« إِذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد » .... ١ / ٢٥٩
« إِذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد » .... ١ / ٢٥٨
« إِذا لم تستح فاصنع » .... ٢ / ٢٣٨
« إِذا مات ابن آدم » .... ١ / ٥٢٥
« إِذا مررتم برياض الجنّة فارتعوا » .... ١ / ٣٨٦
« إِذا نام العبد وهو ساجد » .... ١ / ٤٦٦
« إِذا نشأت بحريّة » .... ٢ / ٩٨
« اذهب فاقتله » .... ٢ / ٣٥٧
« أَرواحهم في جوف طير » .... ١ / ١٤٢
« استحيوا من اللّه » .... ٢ / ٢٣٧
« اشتدَّ غضب اللّه » .... ٣ / ١٩٤
« أَشدُّ النَّاس عذاباً » .... ١ / ٣٨٠ ، ٤١٢ ، ٥٢٩
« أَصحابي كالنجوم » .... ١ / ٢٦٠
« اطلعت في الجنّة فرأيت أَكثر » .... ١ / ١٤٣
« اعلم يا بلال أنّه من أَحيا سنّة » .... ١ / ٢٨٦
« أَفضل الأَعمال إِيمان بالله » .... ١ / ٣٠١
« أَفضل العبادة الفقه » .... ١ / ٣٨٧
« أَفلا أَكون عبداً شكوراً » .... ٢ / ٥٠٧

« أَقرّوا الطير علىٰ مكناتها » .... ٣ / ٢٨٢
« أَلا إِنَّ في الجسد مضغة » .... ٢ / ١٧
« الذين لا يكتوون » .... ٣ / ٢٧٩
« اللهمَّ آت نفسي تقواها » .... ٢ / ٢٧٠
« اللهمّ اغفر لأَبي سلمة » .... ١ / ٤٧٠
« اللهمَّ اغفر لقومي » .... ١ / ٣١٨
« اللهم أَنت الصاحب » .... ١ / ٤٧٠
« اللهمّ إِنّي أَسأَلك الثبات » .... ١ / ٤٤٦
« اللهمّ إِني أَعوذ بك من الهمّ » .... ١ / ٣٧٥
« اللهمَّ إِنّي عبدك » .... ٢ / ٥٤١
« اللهمَّ بارك لأُمتي في بكورها » .... ٣ / ٢٣٧
« اللهمَّ ربّ جبريل وميكائيل » .... ١ / ٣٠٤
« اللهمّ نعم » .... ٢ / ٨٤
« اللهمَّ لا تجعل قبري وثناً » .... ٣ / ١٩٣
« اللهمَّ لا طير إِلّا طيرك » .... ٣ / ٢٧١
« أَلم تسمعوا قول العبد الصالح » .... ٣ / ٣٨٦
« أَمّا أَحدهم فآوىٰ إِلى اللّه » .... ١ / ٤٠٣
« أَمّا فإِنّك إِذا توضأت » .... ٢ / ٣٦٦
« أَنت سهل » .... ٣ / ٢٨٦ ، ٣٢٢
« أَنتم توفّون سبعين أُمّة » .... ٣ / ٢٦٢
« أَنتم شهداء اللّه في الأَرض » .... ٣ / ٣٥٣
« أَن تؤمن باللّه وملائكته » .... ١ / ٤٨١
« إِنْ كان في شيء » .... ٣ / ٣٠٠

« إِنْ كان ففي الفرس » .... ٣ / ٢٨٧ ، ٢٩٩
« إِن يخرج وأَنا فيكم » .... ١ / ٤٧٠
« إِنَّ الأَمانةَ نزلت في جذر قلوب الرِّجال » .... ١ / ٢٣٤
« إِنَّ الجنّة مئة درجة » .... ١ / ١١٩
« إِنَّ الشمس والقمر آيتان » .... ٣ / ١٧١ ، ٢١٢ ، ٢٢٦
« إِنَّ الشيطان يجري » .... (ح) ٢ / ٣٢٢
« إِنَّ العبد ليعمل الذنب » .... (ح) ٢ / ٢٩٤
« إِنَّ الفقيه أَشدُّ على الشيطان » .... ١ / ٢٦٧
« إِنَّ الله أَمرَكم أَن تعبدوه » .... ٢ / ٤٧٧
« إِنَّ الله أَمرني أَن أُعلِّمكم » .... ٢ / ٥٠٤
« إِنَّ الله جعل طعام ابن آدم » .... ١ / ٥٤١
« إِنَّ الله تبارك وتعالى خَلَقَ آدم » .... ١ / ١٠٨ ، ١٦٣
« إِنَّ الله ضَرَبَ مثلاً صراطاً مستقيماً » .... ١ / ٢٣٤
« إِنَّ الله قال لي : أَنفق » .... ١ / ٤١٧
« إِنَّ الله تعالى قد أَسكن آدم » .... ١ / ١٦٩
« إِنَّ اللّه كتب على ابن آدم » .... ٢ / ٣٦٥
« إِنَّ الله سبحانه لمّا أَرى آدم » .... ١ / ١١٦
« إِنَّ الله لو عذّب أَهل سماواته » .... ١ / ١٢٠ ، ٢ / ٥٤٥
« إِنَّ اللّه مستخلفكم في الأَرض » .... ١ / ٤٧٢
« إِنَّ الله ممكن لكم في الأَرض » .... ١ / ٤٦٩
« إِنَّ اللّه وكّل بالرَّحم » .... ٢ / ١٩١
« إِنَّ اللّه وملائكته وأَهل السموات » .... ١ / ٢٥٢
« إِنَّ الله يحبُّ العطاس » .... ٣ / ٣٥٨ ، ٣٦١

« إِنَّ الله يرفعُ بهذا الكتاب » .... ١ / ٥٠١
« إِنَّ الله يصنع كلَّ صانع » .... (ح) ٣ / ٩
« إِنّ الله عزّ وجلَّ يسأل الملائكة » .... ١ / ١٢١
« إِنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً » .... ١ / ٤٤٩
« إِنَّ الله يلوم على العجز » .... ١ / ٣٧٦
« إِنَّ المؤمن لينضي » .... (ح) ٢ / ٢٨٧
« إِنَّ النَّاس لكم تبع » .... ١ / ٢٨٧
« إِنَّ النبيّ ﷺ أَراد أَن يصلي » .... ٣ / ٣٥٢
« إِنَّ آدم نام في جنّته » .... ١ / ١٣٠
« إِنَّ أَحدكم إِذا مات عُرض عليه » .... ١ / ١٤٠
« إِنَّ أَخنع اسم عند الله » .... ٣ / ٣٢١
« إِنَّ اسمي محمّد » .... ٢ / ١٨٨
« إِنَّ بين الأَرض والسماء » .... ٢ / ٢٨
« إِنَّ جنّة آدم كانت بأَرض الهند » .... ١ / ١٣١
« إِنَّ زيد بن عمرو بن نفيل » .... ١ / ٥٢٣
« إِنَّ للّه مئة رحمة » .... (ح) ٢ / ١٣١
« إِنَّ له مرضعاً في الجنّة » .... ١ / ١٤٣
« إِنَّ مثل ما بعثني اللّه به » .... ١ / ٢٤٦
« إِنَّ من الملائكة من هو ساجد » .... ٢ / ٥٠٨
« إِنَّ من كان قبلكم » .... ٣ / ١٩٤
« إِنَّ ناساً يزعمون أَنَّ الشمس » .... ٣ / ٢٢٧
« إِنّا قد بايعناك فارجع » .... ٣ / ٣٠٢
« إِنّكم محشورون إِلى اللّه » .... ١ / ٢١٢

« إنّما الدنيا لأَربعة نفر » .... ١ / ٥٣٧
« إنّما الطيرة في المرأة » .... ٣ / ٣٣٣
« إنّما أَنت من إخوان الكهّان » .... ٣ / ٢٣٩
« إنّما خيّرني الله » .... ٣ / ٣٢٨
« إنّما نسمة المؤمن طائرٌ يعلق » .... ١ / ١٤٣
« إنّه أَتاني جبريل فأَخبرني » .... ١ / ٢٩١
« إنّه عُرضت عليَّ الجنّة والنّار » .... ١ / ١٤١
« أنّه ﷺ قام بآية يردّدها » .... ١ / ٥٥٤
« إنّه قد كان قبلكم » .... ٢ / ١٨١
« إنّها من روح اللّه » .... ٢ / ٧٩
« إنّي قد خبّأت لك خبئاً » .... (ح) ٣ / ٢٣٩
« إنّي لست كهيئتكم » .... ١ / ١٨٤
« أَوجب طلحة » .... ١ / ٥٣٠
« أَوَ جنَّة واحدة هي ! » .... ١ / ١٣١
« أَوحى الله إلى جبريل » .... ١ / ٣٨٥
« أَوحى الله إلى نبيّ من الأَنبياء » .... ١ / ٣٨٥
« أَوحى اللّه إليَّ أنّه من سَلَك » .... ١ / ٢٧٤

(ب)

« بدأ الإسلام غريباً » .... ١ / ٤٥٩
« بل اصمت » .... ٣ / ٢٨٦ ، ٣١٥
« بل أن أَكون عبداً نبيّاً » .... ١ / ١١٠
« بلّغوا عنّي ولو آية » .... ١ / ٢٧٨
« بين العالم والعابد مئة درجة » .... ١ / ٣٩٩

« بينما أنا أَسيرُ في الجنّة » .... ١ / ١٤١
« بينما رجل بفلاة من الأَرض » .... ٢ / ٣٦

(ت)

« تركتكم على المحجّة البيضاء » .... ١ / ١٠٥
« تعس عبد الدينار » .... ١ / ٤١٩

(ث)

« ثلاث من كنَّ فيه » .... ٣ / ٣٥
« ثلاث لا يسلم منهنَّ أَحد » .... ٣ / ٣٦٩
« ثمَّ رُفعت لي سدرةُ المنتهى » .... ١ / ١٤١

(ح)

« الحباب اسم الشيطان » .... ٣ / ٣١٧
« حبِّبَ إِليّ من دنياكم » .... ٣ / ٣٠٦
« حبُّك إِيّاها أَدخلك الجنّة » .... ١ / ٢٩٢
« حبُّك الشيء يُعمي ويصمّ » .... ٢ / ٤٦٨

(خ)

« خصلتان لا يجتمعان في منافق » .... ١ / ٢٨٤ ، ٣١٩
« خير الأَسماء عبدالله » .... ٣ / ٣١٣
« خيركم من تعلّم القرآن » .... ١ / ٢٨٠
« خيركم من يُرجى خيره » .... ٢ / ١٢١
« خير النّاس قرني » .... (ح) ٣ / ٢٦٢

(د)

« الدنيا ملعونة » .... ١ / ٢٦٩
« دعوها ، ذميمة » .... ٣ / ٢٨٨ ، ٣٦٨

(ذ)

« ذاك شيء يجدُه أَحدكم » .... ٣ / ٢٧٠ ، ٢٨١

(س)

« السفر قطعة من العذاب » .... ٢ / ٣٠
« سأل موسى ربّه عن ستٍّ خصال » .... ١ / ٤٨٧
« سبقت رحمتي غضبي » .... ١ / ١٩٤
« سيأتيها ما قُدِّر لها » .... ٣ / ٣٨١

(ش)

« الشؤم في ثلاث » .... ٣ / ٢٨٧
« الشؤم في الدار والمرأة » .... ٣ / ٢٩٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨
« شرّ قتلى تحت أَديم السماء » .... ٣ / ٢٣٢
« شِم سيفك » .... ٣ / ٢٨٨

(ص)

« الصلاة خير موضوع » .... ١ / ٣٩٢

(ط)

« الطيرة شرك » .... ٣ / ٢٨٠
« طلب العلم فريضة » .... ١ / ٤٨٠

(ع)

« علامَ يفعل أَحدُكم ذلك ؟ » .... ٣ / ٣٧٩
« علام يقتل أَحدكم أخاه ؟ » .... (ح) ٣ / ٣٥٧
« عليك بكثرة السجود » .... ١ / ٣٩٢
« عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء » .... ١ / ١٩٦

(ف)

« فِر من المجذوم » .... ٣ / ٣٨٤
« فضل العلم خير من نفل » .... ١ / ٣٩٤
« فضل العالم على العابد » .... ١ / ٢٥٢
« فقيه أَفضل عند الله » .... ١ / ٣٨٧
« فقيه واحد أَشدّ على الشيطان » .... ١ / ٢٦٦
« فما يمنعكم أَن تتبعوني ؟ » .... ١ / ٣٢٩
« في السماء بيت يقال له » .... ١ / ٢٦٦

(ق)

« القدريّة مجوس هذه الأُمّة » .... ٢ / ٢٥٤
« قال الله تعالى : الكبرياء إِزاري » .... ٣ / ٢٦
« قال الله تعالى : لو لم أَخلق جنّةً » .... ٢ / ٥٠٣ ، ٣ / ٣٤
« قال الله تعالى : من عادي لي وليّاً » .... ١ / ٢٦١
« قال ربّك تبارك وتعالى : لأَنتقمنَّ » .... ٣ / ٦
« قتلوه قَتَلَهم الله » .... ١ / ٣٦٨
« قد سهل لكم من أَمركم » .... ٢ / ١٤٠
« قد كان في الأُمم قبلكم محدَّثون » .... ٣ / ٣٢٧

(ك)

« الكبر بطر الحقّ وغَمْط النّاس » .... ١ / ٢١٧
« الكرْم قلب المؤمن » .... ٢ / ١١٧
« الكلمة الحكمة ضالةُ المؤمن » .... ١ / ٢٨٣
« الكيِّس من دان نفسه » .... (ح) ٢ / ٢٥١
« كأنَّ النّاس يوم القيامة » .... ١ / ٣٥٨
« كان أَهل الجاهليّة يقولون » .... ٣ / ٣٣٤
« كذب أَبو السّنابل » .... ٣ / ٣٣٦
« كلا المجلسين خير » .... ١ / ٢٩٠
« كلُّ بني آدم خطّاء » .... ٢ / ٢٩٣
« كن في الدنيا كأنّك غريب » .... ١ / ٤٦٨
« كيف أَصبحتَ يا حارثة ؟ » .... ١ / ٤٦٤
كان خلقُه القرآن .... ١ / ٣٨٢
كان رسول الله يعجبه التيمّن .... ٣ / ٣٥٨
كان لا يتطيّر من شيء .... ٣ / ٣١٤
كان النبيّ ﷺ لا يتطيّر .... ٣ / ٣١٥
كان يجعل يمينه لطعامه .... ٣ / ٣٣١
كان يعجب بالأُترجّ .... ٣ / ٣٧١
كان يعجبه الفاغية .... ٣ / ٣٠٧
كانت يدُ رسول الله ﷺ اليمنى .... ٣ / ٣٣٠
كانت يمينه لطعامه .... ٣ / ٣٣١

(ل)

« لأَن تغدو فتتعلم باباً » .... ١ / ٥٣٢
« لأَن يهدي بك الله رجلاً واحداً » .... ١ / ٢٥٠
« لقد سألني عن هذا » .... ٢ / ١٨٩
« لقد كان فيمن كان قبلكم » .... ٣ / ٣٢٧
« لقد هممت أَن أَنهى عنه » .... ٣ / ٣٧٩
« لكلّ شيء دعامة » .... ١ / ٢٦٧
« لكلّ شيء عماد » .... ١ / ٥٣٤
« للّه أَشدُّ فرحاً بتوبة عبده » .... ١ / ١١٨
لمّا أُسري به رأى آدم .... ٣ / ٣٣٠
« لمّا أُصيب إِخوانُكم بأُحد » .... ١ / ١٤٢
« لمّا خلق الله آدم ونفخ فيه الرُّوح » .... ١ / ١٦٠
« لمّا خلق الله الأَرض جعلت تميد » .... ٢ / ٨٢
« لمّا خلق اللّه الجنّة والنّار » .... ١ / ١٤٠
« لن يدخل الجنّة أَحدٌ بعمله » .... ١ / ١١٩
« لن يشبع المؤمن من خير يسمعه » .... ١ / ٢٨١
« لن ينجّي أَحداً منكم عمله » .... ٢ / ٥٥٠
« لو أَراد الله أَن لا يعصى » .... (ح) ٢ / ٢٦٠
« لو تدومون على الحال » .... ١ / ٤٦٥
« لو حسّن أَحدكم ظنّه بحجر » .... ٣ / ٢٣١
« لو لم تذنبوا لخفتُ عليكم » .... ٢ / ٢٧٨
« لو لم تذنبوا لذهب الله بكم » .... ٢ / ٢٥٥

« ليبلّغ الشاهد منكم الغائب » .... ١ / ٢٧٩
« ليبلغنَّ هذا الدين ما بلغَ الليل والنّهار » .... ١ / ١٠٥
« ليس المخبر كالمعاين » .... ١ / ٣٥٧
« ليس الملَق من أَخلاق المؤمنين » .... ١ / ٥٠٩
« ليس من كلّ الماء يكون الولد » .... ٣ / ٣٨١
« ليس من ليلة إِلّا والبحر » .... ٢ / ٤١

(م)

« المؤمنون تتكافأ دماؤهم » .... ٢ / ٥٣١
« المدينة طابة (أَو طيبة) » .... ١ / ١٣٩
« المسلمون تتكافأ دماؤهم » .... ٢ / ٥٣١
« المقسطون عند الله على منابر » .... ٢ / ٤٤٣ ، ٣ / ٣٣٠
« ما أَرى لو تركتموه » .... ٣ / ٣٧٢
« ما أَنا بقارئ » .... ١ / ٣٦٦
« ما أَنزل الله داء » .... ٣ / ٣٧٦
« ما أُوذي أَحد ما أُوذيت » .... ٢ / ٣٠٦
« ما سمّيتم هذا الغلام ؟ » .... ٣ / ٢٨٦
« ما ضرّ عثمان ما عمل بعدها » .... ١ / ٥٣٠
« ما عُبد الله بشيء أَفضل » .... ١ / ٢٦٧ ، ٣٨٨
« ما لك يا حنظلة ؟! » .... ١ / ٤٦٥
« ما من مولود إِلّا يولد » .... ٢ / ٥٠٤
« ما من يوم إِلّا والبحر » .... ٢ / ٤١
« ما نقصت صدقة من مال » .... ١ / ٤١٧

« ما يجلسكم ؟ » .... ١ / ٢٩١
« ما يصيبُ المؤمن من همّ » .... ٢ / ٢٧٤
« مثل المؤمن كخامة من الزرع » .... ١ / ٤١٤
« مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن » .... ١ / ٢٣٥
« مثلها مثل المسلم - يعني النخلة - » .... ٢ / ١١٩
« مثل أُمتي مثل المطر » .... ١ / ٤٥٠
« مجلس فقه خير من عبادة » .... ١ / ٣٨٦
« مرحباً بطالب العلم » .... ١ / ٢٥٧
« منهومان لا يشبعان » .... (ح) ١ / ٤٢٤
« من أَتى عرّافاً أَو كاهناً أَو منجِّماً » .... ٣ / ٩١
« من أَرجعته الطيرة » .... ٣ / ٢٨١ ، ٣٠٧
« من استطاع منكم أَن ينفع » .... ٣ / ٢٧٩
« من انتعل ليتعلّم خيراً » .... ١ / ٢٨٩
« من تعلّم العلم ليماري به » .... ١ / ٤١١
« من تعلّم علماً ممّا يبتغى به » .... ١ / ٤١٢
« من جاءه الموت وهو يطلب العلم » .... ١ / ٣٩٦
« من خرج في طلب العلم » .... ١ / ٢٧١
« من دخل مسجدنا هذا » .... ١ / ٤٠٢
« من دعا إِلى هدى كان له » .... ١ / ٢٥٠ ، ٢٨٦
« من دلَّ على خير فله مثل » .... ١ / ٢٨٦
« من ردته الطيرة » .... ٣ / ٢٨١
« من طلب العلم كان كفّارة » .... ١ / ٢٨٨
« من سَلَك طريقاً يبتغي فيه علماً » .... ١ / ٢٥٤

« من سَلَكَ طريقاً يلتمس فيه علماً » .... ١ / ٢٧٣
« من غدا لعلم يتعلّمه » .... ١ / ٢٥٤
« من فعل كذا كان على الله » .... ٣ / ٥
« من يحلب هذه ؟ » .... ٣ / ٢٨٥
« من يحلبها ؟ » .... ٣ / ٣١٣
« من يرد الله به خيراً » .... ١ / ٢٤٦ ، ٣١٩
« من يهد الله فلا مضلّ له » .... ١ / ٣٠٨
« نحن أَحقّ بالشكّ من إِبراهيم » .... ١ / ٤٨٠
« نحن معاشر الأَنبياء لا نورث » .... ١ / ٢٦٣
« نزل نبيّ من الأَنبياء » .... ٢ / ١٥٢
« نضّر الله امرءاً سمع مقالتي » .... ١ / ٢٧٤
« نعم ؛ إِذا رأت الماء » .... ٢ / ١٩٠
نهى عن استقبال الشمس .... ٣ / ١٧١
نهى عن الصلاة إِلى القبور .... ٣ / ١٩٣
نهى عن الغيل .... ٣ / ٣٧٩

(هـ)

« هذا مكان حضرنا فيه الشيطان » .... ٣ / ٣٤٩
« هذه روايا الأَرض » .... ٢ / ٣٦
« هم في الظلمة » .... ٢ / ١٨٨

(و)

« وإِذا لقيتموهم فاصبروا » .... ١ / ١٧٧
« واعلموا أَنَّ خير أَعمالكم الصلاة » .... ١ / ٣٩٢

« واقدٌ وقدت الحرب » .... ٣ / ٢٨٩
« وجبت له الجنّة » .... ٣ / ٣٥٣
« والشرُّ ليس إليك » .... ٣ / ٩
« وما يدريك لعلَّ الله اطَّلع » .... ١ / ٥٢٩

(لا)

« لا أعدِل بالجهاد شيئاً » .... ١ / ٣٩٢
« لا بأس بالرُّقى » .... ٣ / ٢٧٩
« لا تُرضين أَحداً بسخط الله » .... ١ / ٤٧٦
« لا تزال طائفة من أُمتي » .... ١ / ١٠٣ ، ٤٤٩ ، ٤٦٠
« لا تزكُّوا أَنفسَكم » .... ٣ / ٣٢١
« لا تسافروا والقمر في العقرب » .... ٣ / ١٧١
« لا تسمّوا العِنَبَ الكرم » .... ١ / ٤٠٧
« لا تسمُّوه السّائب » .... ٣ / ٣٢١
« لا تسمِّين غلامك يساراً » .... ٣ / ٣٢٠
« لا تغفلنّ فتنسين الرّحمة » .... ١ / ٣٧٤
« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا » .... ٣ / ٣١٦
« لا تقوم الساعة حتّى تطلع » .... ٣ / ١٢٠
« لا حسد إلّا في اثنتين » .... ١ / ٢٥١
« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .... ١ / ١٨٨
« لا طيرة ، وخيرُها الفأل » .... ٣ / ٣٠٦ ، ٣١٠
« لا طيرة ، والطيرة على من تطيّر » .... ٣ / ٣٣٧
« لا عدوى ولا طيرة » .... ٣ / ٣٨٠ ، ٢٨٥

« لا عدوى ولا صفر » .... ٣ / ٢٨٠ ، ٢٩٩ ، ٣٣٧ ، ٣٧٤
« لا عدوى ولا هام » .... ٣ / ٣٠٠
« لا هجرة بعد الفتح » .... ١ / ٢٣٨
« لا يزال الله يغرس » .... ١ / ٤٥١ ، ٤٦١
« لا يقتل والدٌ بولده » .... (ح) ٢ / ٥٣٢
« لا يورد ذو عاهة على مصحّ » .... ٣ / ٣٦٦
« لا يورد ممرض على مصحّ » .... ٣/ ٣٠٠، ٣٤١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤

(ي)

« اليهود مغضوب عليهم » .... ١ / ١٨٨
« يأتيكم رجال من قبل المشرق » .... ١ / ٢٨٧
« يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله » .... ١ / ٢٨٠
« يا بُنيّ ! إن قدرت أن تصبح » .... ١ / ٢٨٤
« يجمع الله تعالى العلماء يوم القيامة » .... ١ / ٤٠٠
« يجمع الله عزّ وجلّ النّاس » .... ١ / ١٣٣
« يحمل هذا العلم من كلِّ خَلَف » .... ١ / ٢١٩ ، ٤٥١ ، ٤٩٥
« يسّروا ولا تعسّروا » .... ٣ / ٢٥٧
« يسيرُ الفقه خير من كثير العبادة » .... ١ / ٣٨٦
« يعيشُ احلب » .... ٣ / ٢٨٥
« يقول الله تعالى : أَنا الجواد » .... ٢ / ٢٧١
« يقول الله تعالى : كلُّ عمل » .... ٢ / ٣٢٢
« يقول الله تعالى : يا آدم ! » .... (ح) ٢ / ٤٣٠
« يقول الله تعالى : يا عبادي » .... ٢ / ٥١١

فهرس الآثار الموقوفة[1]

أَبشر فواللّه لن يخزيك الله .... ٢ / ٣٤٢
أَدْرِك أَهلك فقد احترقوا .... ٣ / ٢٨٦
أَدْرِك بيتك فقد احترق .... ٢ / ١٤١
إِذا جاء الموت طالب العلم .... ١ / ٢٧٣
إِذا دخل النور القلب .... ١ / ٤٦٤
أَراد النبيّ ﷺ أَن ينهى أَن يسمّى .... ٣ / ٣٢٢
أَسمع الجبال ما وعدها ربّها ؟ .... ٢ / ٨٩
اقرؤوا إِن شئتم .... ٢ / ٥٠٤
أَقول : اللهمّ لا طير إِلّا طيرك .... ٣ / ٣٠٨
إِلّا فهمًا يؤتيه الله عبداً .... ١ / ٢٤٧
أَنتم ههنا فيما أَنتم فيه .... ١ / ٢٦٤
إِنَّ آدم لمّا حتضر اشتهى قِطفاً .... ١ / ١٤٥
إِنَّ الرّجل ليخرج من منزله .... ١ / ٢٩٠
إِنَّ ربّكم يستعتبكم فأعتبوه .... ١ / ٣٩٨
إِنَّ الشياطين قالوا لإِبليس .... ١ / ٢٦٨
إِنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أَقواماً .... ١ / ٥٠١
إِنَّ ملكاً موكلا بطالب العلم .... ١ / ٢٨٨

---

(١) وما قبله حرف (ح) فهو مذكور في الحاشية .

إِنَّ هذه الثياب .... ١ / ٤٣٨
إِنّك لتصل الرّحم .... ١ / ٤٣٥
إِنّما حكاه رسول اللّه .... ٣ / ٣٣٣
إِنّي لأَحسب تسعة أَعشار العلم .... ١ / ٤٤٩
أولي القوّة في طاعة اللّه .... ٢ / ٣١٢
أَي خال ! هل كنتم تتهمون .... ١ / ٣٢٨
باب من العلم نتعلمه .... ١ / ٣٨٨
بعثني رسول الله .... ٢ / ٣٥٧
التفكّر في الخير .... ١ / ٥٣٩
تذاكر العلم بعض ليلة .... ١ / ٥٣٣
تعلّموا العلم .... ١ / ٣٩٤ ، ٥٣٢
تكفَّل الله لمن قرأ القرآن .... ١ / ١٨١
الثاقب هو زُحل .... ٣ / ١٦٧
حبُّك الشيء يعمي .... (ح) ٢ / ٤٦٩
ذنب المؤمن جهلٌ منه .... ١ / ٣٢١
ذللتَ طالباً .... ١ / ٥٠٩
ركعتان مقتصدتان .... ١ / ٥٣٩
العالم أَعظم أَجراً .... ١ / ٣٨٨
العالم والمتعلّم شريكان .... ١ / ٤٠٢
علماء هذه الأُمّة .... ١ / ٢٥٢
عليكم بالعلم .... ١ / ٣٩٠ ، ٣٩٧
فضل العالم على العابد .... ١ / ٢٦٨
القلب ملك .... ٢ / ١٧

قرنت الهيبة .... ١ / ٥١٠
كان أَصحاب عبدالله .... ٣ / ١٨٩
كان هؤلاء رجالاً .... ٣ / ١٩٣
كذا هذا العلم .... ١ / ٥٠١
كذب أَبو محمد .... ٣ / ٣٣٥
كفى بخشية الله .... ١ / ٢٢٥ ، ٣٢٠
كلٌّ سلطان في القرآن .... ١ / ٢٤٣
كلمات لو رحلتم المطي .... ١ / ٥٠٩
لأَنْ أَتعلم مسألة .... ١ / ٤٠٢
لأَنْ أَجلس ساعة .... ١ / ٥٣٤
لأَنْ أَعلم باباً من العلم .... ١ / ٣٨٩
لأَنْ أَفقه ساعة .... ١ / ٢٦٧
لأَنْ أَقرأ سورة .... ١ / ٥٥٤
لئن عادت لا أُساكنكم فيها .... ٢ / ٩١
لست بخليفة الله .... ١ / ٤٧١
لقد توفِّي رسول الله .... ٣ / ٢٤٣
لولا ثلاث في الدنيا .... ١ / ٣٩٣
لو لم يخف الله لم يعصه .... ٢ / ٥٠٢
ما أَردت إِلى هذا ؟ .... ٣ / ٢٨٩
ما انتعل عبد قطّ .... ١ / ٢٨٨
ما تزوجني رسول الله .... ٣ / ٣٥٥
محبّة العلماء دين .... ١ / ٢٦١
مذاكرة العلم ساعة .... ١ / ٣٨٩

مرحباً بوصيّة رسول الله .... ١ / ٢٨٧
من استخلفت على أَهل الوادي ؟ .... ١ / ٥٠١
موت أَلف عابد .... ١ / ٣٩٨
من رأى الغدوّ والرّواح .... ١ / ٢٧٣
نزل تحريم الخمر .... ٢ / ١١٩
نزلت في عذاب القبر .... ١ / ٢٠٧
هذا مال يقول : دعني .... ٣ / ٢٨٩
هم الفقهاء والعلماء .... ١ / ٤٣٦
هم قريظة والنضير .... ١ / ٣٢٤
هو كما يقال : هبط فلان .... ١ / ١٧٠
هو المعلّم .... ١ / ٤١٠
هي بقر الوحش .... ٣ / ١٧٧
وافقت ربي في ثلاث .... ٣ / ٣٢٧
وجدت عامّة علم رسول الله .... ١ / ٥٠٩
واللّه لقد فارقنا رسول الله .... ٣ / ١٧٢
وما منّا إِلّا .... ٣ / ٣٤٠
ويحك تخبر النّاس .... ٣ / ١٧٢
لا تجعلوا آخر زاده .... ٣ / ٢٩٠
لا تسافروا والقمر في العقرب .... ٣ / ١٧١، ٢٣٢
لا خير ولا شرّ .... ٣ / ٢٨٤
لا يرون شيئاً يسرّهم .... ١ / ٢١١
لا يزال الفقيه يُصلّي .... ١ / ٥٣٢
يا رسول الله أَتصلي عليه .... ٣ / ٣٢٨

يا رسول الله دار سكّناها .... ٣ / ٢٨٨
يا رسول الله ! كيف الوضوء .... ٢ / ٣٦٥
يا رسول اللّه ! ومنّا أُناس .... ٣ / ٢٨١
يا كُميل بن زياد ! .... ١ / ٤٠٣
يحلُّون حلاله .... ١ / ٣٥٠
يسأل الله العباد فيما استعملوا .... ١ / ٣٦٠
يُكره أَن يدخل المريض .... ٣ / ٣٧٢
يهتف العلم بالعمل .... ١ / ٣٤٣

فهرس الأعلام(١)

آدم عليه السلام : ١ / ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢، ١١٣ ، ١١٦ ،
١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٣٦، ١٣٧، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،
١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٤٦،
١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣ ،
١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣،
١٨٠، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٣٨٤ ، ٥٢١ .
٣ / ١٧٢ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٣٥٨ .

الآمدي أَبو الحسين : .... ٢ / ٣٦٨ ، ٣٧٢ .

إبراهيم : .... ١ / ٥٢٨ ، ٥٣٨ . ٣ / ١٩٤ ، ٣٢٤ .

إبراهيم الحربي : .... ١ / ٤٤٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ .

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ : .... ١ / ١٤٣ . ٣ / ٢١٢ .

إبراهيم بن عبدالرحمن العُذريّ : .... ١ / ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

إبراهيم بن عبدالله : .... ٣ / ٢٩٨ .

إبراهيم بن الفضل : .... ١ / ٢٨٣ .

إبراهيم بن مالك بن الأَشتر : .... ١ / ٦١ ، ٦٢ .

إبراهيم بن محمد بن العبّاس الأزديّ : .... ٣ / ٢٤٦ .

---

(١) الواردة في المتن .

إِبراهيم بن منصور : .... ١ / ٥١٠ .
ابن أَبْزىٰ : .... ١ / ٥٠١ .
الأَبلق الأُسَيِّديّ : .... ٣ / ٢٦٩ .
أُبي بن كعب : .... ١ / ١٤٥ ، ٢٣٣ . ٣ / ٢٢٨ .
الأَجلح : .... ٣ / ٢٦٩ .
أَبو أَحمد : .... ٣ / ١٨٨ .
أَحمد بن ثابت : .... ٣ / ٢٢٧ .
أَحمد بن الحسن : .... ١ / ٤٩٨ .
أَحمد بن حنبل : ١ / ١٦٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٥٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٨٥ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ .
٢ / ١٦٤ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، ٤٥٨.
٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٣١٤ ، ٣٣١ .
أَحمد بن الخطّاب : .... ٢ / ٤٠٧ .
أَحمد بن الخليل : .... ٣ / ٣٦٨ .
أَحمد بن شعيب : .... ١ / ٢٥٦ .
أَحمد بن زُهير : .... ٣ / ٣١٤ ، ٣١٥ .
أَحمد بن أَبي عمران : .... ١ / ٥٠٧ .
أَحمد بن محمد بن بنت الشّافعيّ : .... ٣ / ٣٥٠ .
أَحمد بن مروان المالكي : .... ١ / ٢٥٦ .
الأَخطل : .... ٣ / ١٨٨ .
ابن إِدريس : .... ٣ / ١٨٨ .
أَرْدَشير بن بابك : .... ٣ / ١٧٥ .

أَرسطاطليس : .... ٣ / ١٣٥ ، ١٤٤ ، ٢٤٧ .
أَرسطو : .... ٣ / ١٠٢ ، ١٠٣ .
أَبو أُسامة : .... ١ / ٢٧٣ .
أُسامة بن زيد : .... ١ / ٤٩٨ . ٣ / ٣٠٨ .
أَبو إِسحاق : .... ١ / ٥٠٩ .
إِسحاق بن راهويه : .... ١ / ٥٣٤ . ٣ / ٣٦٨ .
أَبو إِسحاق الزَّرقال : .... ٣ / ٨٦ .
إِسحاق بن عبدالله بن أَبي طلحة : .... ٣ / ٣٦٨ .
إِسحاق بن عبدالله بن أَبي فروة : .... ١ / ٣٩٠ .
إِسحاق بن منصور : .... ١ / ٥٣٣ ، ٥٣٤ .
أَشْدِفليس : .... ٣ / ٢٤٧ .
أَسماء بنت أَبي بكر : .... ٣ / ٢٢٨ .
أَسماء بنت يزيد بن السَّكن : .... ١ / ٢٧٩ .
إِسماعيل : .... ٣ / ١٨٨ .
إِسماعيل بن إِسحاق القاضي : .... ١ / ٢٢٠ ، ٥٠٠ .
إِسماعيل بن أَبي أُميّة : .... ٣ / ٣٦٩ .
إِسماعيل بن يحيى التَّيْميّ : .... ١ / ٢٨٩ .
الأَسود : .... ١ / ٢٨٩ .
الأَصمعيّ : .... ٣ / ١٨٥ ، ٣١١ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .
ابن الأَعرابي : .... ١ / ٤٠٥ ، ٥١١ . ٣ / ٣٦٠ .
الأَعرج : .... ١ / ٢٦٧ .
الأَعشى : .... ١ / ١٢٩ ، ٣٣٦ .
الأَعمش : .... ١ / ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٥٠٥ . ٣ / ١٨٨ ، ٣٢٤ .

أَبو أُمامة الباهليّ : .... ١ / ٢٥٢ ، ٤٩٩ . ٢ / ٣٦٥ .
امرؤ القيس : .... ٣ / ٣٥٦ .
أُميّة بن أَبي الصَّلت : .... ١ / ٣٢٩ .
أُميّة بن عبدالعزيز بن أُميّة الأَندلسيّ : .... ٣ / ٨٦ .
الأَمين : .... ٣ / ٦٣ .
ابن الأَنباري : .... ١ / ٤٠٦ ، ٤٧٥ .
أَنْبَذَقْلِيس : .... ٣ / ١٠٣ .
أَنس بن مالك : ١ / ١٤١ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٧ ،
٣٨٩ ، ٤٥٠ ، ٤٨٠ .
٢ / ٨١ ، ١١٩ ، ١٨٩ .
٣ / ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٨ .
أَنطيقوس : .... ٣ / ٩٥ .
أَنوشَرْوان : .... ٣ / ٩٣ ، ١٤٧ .
الأَوزاعي : .... ١ / ٥٠٠ .
أَوس بن عبدالله بن بُرَيْدة : .... ٣ / ٣١٥ .
ابن أَبي أُوَيْس : .... ١ / ٢٥٦ .
إِياس بن معاوية : .... ٢ / ٥٤٥ .
أَيّوب : .... ١ / ٥٥٤ .
أَبو أَيّوب : .... ٣ / ٣٢١ - ٣٢٢ .

(ب)

البحتري : .... ١ / ٣٧٩ .
البخاري : .... ١ / ٢٧٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٥ ، ٤٤٩ .
.... ٢ / ١٩٠ .
.... ٣ / ١٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧ .

البراء بن عازب : .... ١ / ٢٠٧ .
أَبو البركات الأَوحد : .... ٣ / ٢٦٣ .
أَبو البركات البغداديّ : .... ٣ / ١٢٦ .
بُريدة : .... ٣ / ٣١٤ .
بُزُرْجُمْهر : .... ٣ / ٢٤٧ .
ابن بسطام : .... ١ / ٢٨٢ .
بشر : .... ١ / ٥٣٩ .
بشر بن عمر الزُّهرانيّ : .... ٣ / ٣٧٥ .
بطليموس : ٣ / ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ .
بقراط : .... ٣ / ٢٤٧ .
بقيّة بن الوليد : .... ١ / ٤٩٨ .
أَبو بكر : .... ١ / ١٤٧ .
أَبو بكر : .... ٣ / ١٨٨ .
أَبو بكر الجعابي : .... ١ / ٥٠٣ .
أَبو بكر الصدّيق : .... ١ / ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٩٤ .
.... ٢ / ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٣٤٢ .
.... ٣ / ٢٣٢ .
أَبو بكر بن الطّيِّب : .... ١ / ٤٨٤ .
بكر بن عبدالله المُزَنيّ : .... ٣ / ٣١٣ .
أَبو بكر العطّار : .... ١ / ٢٨٧ .
أَبو بكر بن عَيَّاش : .... ١ / ٣٠٢ .
أَبو بكرة : .... ١ / ٢٧٩ .

البكريّ : .... ١ / ٥١٠ .
بكير بن عبدالله بن الأَشجّ : .... ٣ / ٣٠٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
بَنْكَلُوسا : .... ٣ / ٢٤٣ .
بهْمَرْد : .... ٣ / ٢٤٧ .
البوشنجاني أَبو الفتح : .... ٣ / ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٧ .
البويطي : .... ٣ / ٢٥٤ .
بلال بن الحارث : .... ١ / ٢٨٦ .
البيروني : .... ٣ / ٨٥ ، ٨٦ .

(ت)

التّرمذي : ١/ ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٩٦ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٣١٩ ، ٣٥٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٥٠ ، ٤٦٥ ، ٥٣٧ .
٢ / ٢٨ ، ٣٥ ، ٢٣٧ .
تَمَّام : .... ١ / ٤٦٦ ، ٥٠٠ .
أَبو تَمَّام الطّائي : .... ٣ / ٦٣ ، ٧٣ .
توران شاه بن أَيّوب بن شاذي : .... ٣ / ٧٣ .
التّوحيدي : .... ٣ / ٦٥ ، ١٤٥ ، ١٦٠ .
تَيْم اللّات : .... ٣ / ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
ابن تيميّة : .... ١ / ٣٠٤ ، ٤٤٣ ، ٤٨٤ .
.... ٢ / ١٤٨ ، ١٧٠ ، ٣٨٧.
.... ٣ / ٢٧٩ .

(ث)

ثابت : .... ١ / ٤٥٠ .
ثابت بن قرّة : .... ٣ / ١٤٤ .
ثعلب : .... ١ / ٤٠٥ .
ثوبان : .... ٢ / ١٨٨ ، ١٩٠ .

(ج)

جابر بن زيد : .... ٣ / ٣٣٥ .
جابر بن عبدالله : .... ١ / ٤٠٨ .
٣ / ٢٢٨ ، ٣٠٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢.
الجاحظ .... ٢ / ١١٧ .
جالينوس : .... ٣ / ٢٤٧ .
الجُبَّائي : .... ١ / ١٤٨ ، ٤٨٤ . ٢ / ٤٣١ ، ٤٣٢ .
جبريل بن روح الأَنباري : .... ٢ / ٩٢ .
جُبَيْر بن مُطْعم : .... ١ / ٢٧٥ .
ابن جُرَيج : .... ١ / ٢٥٩ ، ٥١٢ . ٣ / ٢٠٨ .
ابن جرير الطبري : .... ١ / ٤٩١ ، ٤٩٧ . ٣ / ٢٠٦ ، ٢٨٣ .
الجريري : .... ١ / ٤٦٥ .
جعفر : .... ٢ / ٣٤١ .
أَبو جعفر : .... ١ / ٥٠٦ .
أَبو جعفر : .... ٣ / ٢٩١ .
أَبو جعفر الرّازي : .... ١ / ٢٧٠ .
جعفر بن ربيعة : .... ٣ / ٣١٢ .
أَبو جعفر الطَّحاوي : .... ١ / ٥٠٧ .

جعفر بن محمّد : .... ١ / ٤٩٧ .
أَبو جَمْرة : .... ١ / ٥٥٤ .
جمرة بن شهاب : .... ٢ / ١٤١ .
ابن جِنِّي : .... ٣ / ٣٦٠ .
الجُنَيْد : .... ١ / ٤٧٧ .
أَبو جَهْل : .... ١ / ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ .
ابن الجوزي : .... ٣ / ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
الجَوْهري : .... ١ / ٤١١ ، ٤٧٩ . ٣ / ٢٨٣ .

(ح)

أَبو حاتم : .... ١ / ٥٠٤ .
أَبو حاتم : .... ٣ / ٣٦٩ .
أَبو حاتم البصري : .... ١ / ٢٨٤ .
أَبو حاتم الرّازي : .... ١ / ٢٥٦ .
الحارث الأَشعريّ : .... ٢ / ٤٨١ .
الحارث بن أَبي ذُباب : .... ٣ / ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ .
الحارث بن عبدالرحمن بن أَبي ذُباب : .... ١ / ١٦٠ .
الحارث بن يزيد : .... ٣ / ٣١٣ .
حارثة : .... ١ / ١٣١ .
حارثة : .... ١ / ٤٦٤ .
أُمّ حارثة : .... ١ / ١٣١ .
أَبو حازم : .... ١ / ١٣٣ ، ٥٠٠ .
الحاكم : .... ١ / ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٥٣٧ .
.... ٣ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ .

حاماسف : .... ٣ / ٢٤٧ .
أَبو حامد الغزالي : .... ١ / ٣٥٥ . ٣ / ٢٢٧ .
الحباب بن المنذر : .... ٣ / ٣١٧ .
ابن حبّان : .... ١ / ٤٠٢ ، ٤٨٧ .
ابن حبيب : .... ٣ / ٣٥٢ .
حجّاج : .... ١ / ٣٨٨ .
الحجّاج : .... ٣ / ٢٩١ .
حجّاج بن نُصَيْر : .... ١ / ٣٨٨ .
حُجْر بن عديّ : .... ٣ / ٢٩٠ .
حُجَيْر : .... ١ / ٢٧٩ .
حذيفة بن اليمان : ..... ١ / ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٤٩ ، ٢٣٤ . ٢ / ٣٥٣ .
حرب : .... ١ / ٤٠٠ .
حرب الكرماني : .... ١ / ٥٢٨ .
حرملة : .... ٣ / ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
أَبو حَرّة : .... ١ / ٢٧٩ .
ابن حزم : .... ١ / ١٤٦ .
حَزْن : .... ١ / ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٨٦ .
أَبو حسّان الأَعرج : .... ٣ / ٣٣٣ .
الحسن بن آدم : .... ٣ / ٢٧٥ .
أَبو الحسن الأَشعري : .... ٢ / ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٠ .
الحسن البصريّ : ١ / ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٤ ، ٣١٩ ، ٣٨٩ ،
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٣٦ ، ٤٧٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٠ ، ٥٣٨ ،
٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤٥ .
٢ / ٣٦ ، ٦٧ . ٣ / ١٧٦ ، ١٨١ .

الحسن بن سفيان : .... ٣ / ٢٤٨ .
حسن صاحب الزِّيج المأموني : .... ٣ / ٧٩ .
الحسن بن علي المُقَرِي : .... ١ / ٥٠٣ .
الحسن بن عماد : .... ٣ / ٦٩ .
الحسن بن منصور الجصّاص : .... ١ / ٢٨١ .
الحسين بن حُرَيْث الخزاعي : .... ١ / ٢٥٢ .
حسين بن حُرَيْث : .... ٣ / ٣١٥ .
أَبو الحسين بن فارس : .... ١ / ٥٠٣ .
أَبو الحسين بن علي : .... ٣ / ٢٨٩ .
أَبو الحسين النُّوريّ : .... ٣ / ١٤٦ .
الحسين بن واقد : .... ٣ / ٣١٥ .
الحضرميّ بن لاحق : .... ٣ / ٣٠١ .
حفص بن سليمان : .... ١ / ٤٨٠ .
حفصة بنت عمر : .... ٣ / ٣٣١ .
حمّاد بن زيد : .... ١ / ٤٩٨ .
حمّاد بن سَلَمة : .... ٣ / ٣١٣ .
حَمّاد بن يحيى : .... ١ / ٤٥٠ .
أَبو حمزة البزّاز : .... ١ / ٤٨٩ .
حمزة بن سعيدالمصريّ : .... ١ / ٥٠٤ .
حمزة بن عبدالله بن عمر : .... ٣ / ٣٣٢ ، ٣٣٧ .
حمزة بن محمّد العلويّ : .... ٣ / ٢٤٦ .
حُمَيْد : .... ١ / ١٨٩ .
حُمَيْد : .... ٣ / ٣١٣ .

حميد بن الحسن : .... ٣ / ٢٢٧ .
حميد بن محمّد بن يزيد البَصْريّ : .... ١ / ٢٨٢ .
الحُمَيْديّ : .... ٣ / ٢٥١ .
حميم الهُذليّ : .... ٣ / ٢٧٠ .
حنظلة الأَسدي : .... ١ / ٤٦٥ .
أَبو حنيفة : .... ١ / ١٤٦ ، ١٧٠ ، ١٨٩ ، ٣٩١ . ٢ / ٤٠٧ .
حوّاء : .... ١ / ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٢ .

(خ)

أَبو خالد التَّيْميّ : .... ٣ / ٢٩٥ .
خالد الحذّاء : .... ٣ / ٢٢٨ .
خالد بن سفيان العُرَنيّ : .... ٢ / ٣٥٦ .
خالد بن عبدالملك المروزي : .... ٣ / ٧٩ .
خالد بن عمرو : .... ١ / ٥٠٠ .
خالد بن يزيد : .... ١ / ٢٥٤ .
خديجة : .... ١ / ٤٣٥ ، ٤٣٦ . ٢ / ٣٤٢ .
الخطّابي : .... ٣ / ٣٣٩ .
الخطيب : .... ١ / ٢٦٦ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥ ، ٤٩٧ ، ٥٠٣ .
خلف بن أَيّوب العامريّ : .... ١ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
خلف بن القاسم : .... ٣ / ٣٧٤ .
أَبو خليفة : .... ١ / ٥٠٣ .
الخليل : .... ١ / ٥١٠ .
خَمارويه بن أَحمد بن طولون : .... ٣ / ٦٥ .
ابن أَبي الخناجر : .... ١ / ٥٠٢ .

الخنساء : .... ٢ / ٨٥ .

الخوارزميّ : .... ٣ / ٧٩ .

الخَوْلاني : .... ١ / ٤٥١ .

خويلد : .... ٣ / ٢٦٨ .

الخلّال : .... ١ / ٣٩١ ، ٣٩٨ .

خَيْثَمة : .... ١ / ٤٧٦ .

خَيْثَمة بن سليمان : .... ١ / ٥٠٢ .

أَبو الخير : .... ١ / ٥٠٠ .

(د)

الدَّارقطني : .... ١ / ٤٩٨ .

الدّارميّ : .... ١ / ٢٨٥ .

أَبو داود (صاحب « السنن ») : .... ١ / ٢٥٣ . ٣ / ٣١٨ ، ٣٢٠ .

أَبو داود : .... ٣ / ٣٥٨ .

ابن أَبي داود : .... ١ / ٣٨٨ .

أَبو داود الحَفْرِيّ : .... ١ / ٢٨٧ .

داود بن عيسى بن محمد بن علي : .... ٣ / ٢٩١ .

درّاج : .... ١ / ٢٨١ .

أَبو الدّرداء : ١ / ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٨٩ ، ٤٠٢ ،
٤٦٨ ، ٥٣٨ .
٣ / ١٧٢ ، ٢٤٣ .

أُمّ الدرداء : .... ١ / ٥٣٨ . ٢ / ٨٩ .

دُوروشوس : .... ٣ / ٩٥ ، ١٠٠ .

ديمقْراطيس : .... ٣ / ١٠٣ ، ١٠٤ .

(ذ)

أَبو ذَرّ : .... ١ / ٣٨٨ ، ٣٩٢ .

(ر)

الرّازي الثنوي : .... ٣ / ٨١ .
الرّازي أَبو عبدالله بن الخطيب : .... ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٤٥٦ .
.... ٢ / ٣٦٨ ، ٣٧٢ .
٣ / ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢٤٥ .
الرّاغب أَبو القاسم : .... ١ / ١٤٧ . ٢ / ٤٠٧ - ٤٠٨ .
ربعي بن حِراش : .... ١ / ١٣٣ .
الرّبيع : .... ٣ / ٢٠٧ .
الرّبيع بن أَنس : .... ١ / ٢٧١ .
الرّبيع بن سليمان المُراديّ : ١ / ٥٣٣ . ٣ / ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
أَبو الرّبيع السَّمّان : .... ١ / ٢٦٧ .
ربيعة بن يزيد : .... ٣ / ٣١٢ .
رزق الله المنجِّم : .... ٣ / ١٤٥ .
رُزَيق بن عبدالله الأَلهانيّ : .... ١ / ٤٩٩ .
أَبو رَزين : .... ١ / ٤٠٥ .
أَبو ركوة الأَنصاري : انظر الوليد بن هشام .
رُؤبة بن العجّاج : .... ١ / ١٢٩ ، ٥١٠ . ٣ / ٢٦٩ ، ٣٥٦ .
روح بن جَنَاح : .... ١ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٧ .
روح بن قيس : .... ١ / ٢٨٧ .
ابن الرُّومي : .... ٢ / ٣٤٨ ، ٤٢٠ . ٣ / ٢٧٣ ، ٣١٠ .
رويفع بن ثابت : .... ٣ / ٢٧٥ .

الرِّياشي : .... ٣ / ٣٧٠ .
رَيْمُسس : .... ٣ / ٩٥ .

(ز)

زائدة : .... ١ / ٢٧٤ .
زبّان بن سيّار : .... ٣ / ٣٤١ .
أَبو الزّبير : .... ٣ / ٣٢٢ ، ٣٧٢ .
الزّجاج : .... ١ / ٣١٦ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٥١٤ .
زِرّ بن حُبَيْش : .... ١ / ٢٦٧ . ٣ / ٢٨٠ .
زُفَر بن الحارث العبسي : .... ٣ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
أَبو زكريّا الصَّيْمريّ : .... ٣ / ١٤٥ .
زكريّا بن عبدالرحمٰن البصري : .... ١ / ٢٥٦ .
زكريّا بن يحيى السّاجي : .... ١ / ٢٥٦ . ٣ / ٢٥٠ .
أَبو الزّناد : .... ١ / ٢٦٧ .
الزّهري : .... ١ / ٢٧٤ ، ٣٩٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ .
٣ / ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥.
زهير (الشاعر) : .... ٣ / ٢٨٣ .
زهير بن صالح بن أَحمد : .... ١ / ٤٩٨ .
زهير بن معاوية : .... ٣ / ٣٣٧ .
زياد بن سَيّار الفَزّاريّ : .... ٣ / ٢٧٣ .
أَبو زياد الكلابيّ : .... ٣ / ٢٨٣ .
زيد بن أَسلم : .... ١ / ٢٢٦ .
زيد بن ثابت : .... ١ / ١٢٠ ، ١٧٥ .
زيد بن عمرو بن نُفَيْل : .... ١ / ٥٢٣ .

زينب بنت أَبي سلمة : .... ٣ / ٣٢١ .

(س)

سارة : .... ٣ / ١٩٥
سالم بن عبدالله بن عمر : .... ١ / ٤٩٧ . ٣ / ٣٣٢ ، ٣٣٧ .
ابن السّائب : .. .. ٣ / ١٨٤ .
سخبرة : .... ١ / ٢٨٨ .
السُّدِّيّ : .... ١ / ٣٢١ . ٣ / ٢٠٧ .
سَرَّاء بنت نبهان : .... ١ / ٢٧٩ .
السَّريّ : .... ١ / ٤٧٧ .
سعد بن إِبراهيم : .... ١ / ٣١٩ .
سعد بن علي الزَّنْجاني : .... ٢ / ٤٠٧ .
سعد بن مالك : .... ٣ / ٣٠١ .
سعد بن أَبي وقّاص : .... ٣ / ٣٦٣ .
سعيد : .... ٣ / ٣٣٣ ، ٣٦٨ .
سعيد بن جُبَيْر : .... ١ / ٣١٦ ، ٤١٠ . ٣ / ٣٢٤ ، ٣٣٥ .
أَبو سعيد الخُدْريّ : .... ١ /١٤٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ .
سعيد بن سالم : .... ٣ / ٣٦٩ .
سعيد بن أَبي سعيد المَقْبُريّ : .... ١ / ١٦٠ ، ٢٨٣ .
أَبو سعيد السِّيرافي النّحوي : .... ١ / ٢٨٤ .
أَبو سعيد بن شاذ بن بحر المنجِّم : .... ٣ / ٧٩ .
سعيد بن المُسيِّب : .... ١ / ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤٩٩ .
.... ٣ / ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ .
أَبو سفيان (ابن حرب) : .... ١ / ٣٢٩ . ٣ / ٣٤١ ، ٣٤٤ .

سفيان الثوريّ : ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٢٠ ، ٣٩١ ، ٤٧٦ ، ٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٩ .

٣ / ١٨٨ .

سفيان بن عيينة : ١ / ١٤٥ ، ١٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩٠ ، ٥٠٥ ، ٥٢٤ .

٣ / ٢٨٠ ، ٢٩٩ ، ٣٢١ .

سفيان بن وكيع : .... ١ / ٢٨٧ .

ابن السّكّيت : .... ٣ / ٣٦٠ .

سلمة : .... ٣ / ٢٨٠ .

أُمّ سلمة : .... ١ / ١٩٠ . ٣ / ٣٣٢ .

سلمة بن رجاء : .... ١ / ٢٥٢ .

أَبو سلمة بن عبدالرّحمن : ٣ / ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

سلمة بن محارب : .... ٣ / ٢٩١ .

سلمة مولى يزيد بن الوليد : .... ٣ / ٢٩١ .

أَبو سليمان : .... ١ / ٥٣٩ .

سليمان بن أَيّوب بن أَحمد : انظر الطبراني .

سليمان التّيْميّ : .... ١ / ٤٧٦ .

سليمان بن عبدالملك : .... ١ / ٥٠١ .

أَبو سليمان المنطقي : .... ٣ / ١٦٠ .

سليمان بن يسار : .... ١ / ٢٦٧ .

سَمُرة بن جندب : .... ٣ / ٢٢٨ ، ٣٢٠ .

سهل : .... ١ / ٤٧٧ .

سهل بن سعد السّاعديّ : .... ١ / ٢٥٠ .

.... ٣ / ٢٨٧ ، ٢٩٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

سهل بن عبدالله التُّسْتَري : .... ١ / ٣٩١ ، ٥٠٥ . ٣ / ٣١٥ .
سهيل بن محمد : .... ٣ / ٣٦٧ .
سهيل بن عمرو : .... ٢ / ١٤٠ .
شُوْدَكِين بن عبدالله : .... ٣ / ٧٣ .
سيبويه : .... ١ / ٤١٠ .
ابن سيرين : .... ١ / ٢٨٣ . ٣ / ٣٦٤ .
ابن سينا : .... ٣ / ٢٤ ، ٤٦ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ٢٦٣ .

(ش)

شاذان : .... ١ / ٣٨٨ . ٣ / ٨١ ، ٨٢ .
الشّافعيّ : ١ / ١٦٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٣٩١ ، ٤٨٥ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٣٣ ، ٥٤٠ .
٣ / ١٧٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ .
شاهْمُرو : .... ٣ / ٢٤٧ .
الشِّبْليّ : .... ١ / ٥١٣ .
شجاع : .... ٣ / ١٨٨ .
شدّاد بن أَبي ربيعة الخثعميّ : .... ٣ / ٢٩٠ .
أَبو شريح العَدَويّ : .... ١ / ٣٢٧ .
الشَّريد بن سُوَيد : .... ٣ / ٣٠٢ .
شعبة : .... ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٨ .
الشعبيّ : .... ١ / ٢٨٩ . ٣ / ١٧٢ ، ٢٨٧ .
ابن شهاب : انظر الزهريّ .
شهر بن حرب : .... ١ / ٤٩٧ .

شيبان : .... ١ / ٢٦٧ .

شيخ الإِسلام : انظر ابن تيميّة .

شيرْكُوه بن شاذي : .... ٣ / ٦٦ .

(ص)

صاعد : .... ١ / ٣٨٨ .

أَبو صالح : .... ١ / ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٠ .

أَبو صالح : .... ١ / ٢٧٣ .

أَبو صالح : .... ١ / ٤٩٩ .

أَبو صالح : .... ١ / ٥٠٦ .

أَبو صالح : .... ٣ / ١٨٨ .

أَبو صالح الأَشعريّ : .... ١ / ٥٠٠ .

صخر الغامديّ : .... ٣ ٣٣٧ - ٣٣٨ .

أَبو صفرة : .... ٣ / ٣٢٨ .

صفوان بن سُلَيْم : .... ١ / ٢٦٧ .

صفوان بن عَسَّال : .... ١ / ٢٥٧ .

صفوان بن عيسى : .... ١ / ١٦٠ .

صهيب : .... ٢ / ٥٠٧ .

صلاح الدّين يوسف بن أَيّوب : .... ٣ / ٦٦ .

ابن صيّاد : .... ٣ / ٢٣٩ .

(ض)

الضحّاك : .... ١ / ٣٤٤ ، ٤٣٦ . ٣ / ١٨٥ .

ضمام بن ثعلبة : .... ٢ / ٨٤ .

(ط)

أَبو طالب (عم رسول الله ﷺ) : ..... ١ / ٣٣٧ . ٣ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .
طاووس : .... ٣ / ٣٨٤ .
الطبراني : .... ١ / ٢٥٦ ، ٥٠٣ .
أَبو الطفيل : .... ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٥٠١ .
طلحة : .... ١ / ٥٣٠ .
طلحة بن عُبيدالله : .... ٣ / ٢٩٠ .
طُمْطُم : .... ٣ / ٢٤٣ .
طِيْموحارس : .... ٣ / ٧٨ .

(ع)

عاصم بن أَبي النَّجود : .... ١ / ٢٦٧ .
العاصميّ : .... ٣ / ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٤ .
أَبو العالية : .... ١ / ٥٠١ .
عامر بن واثلة أَبو الطُّفيل : .... ٣ / ١٨٤ .
عائشة : .... ١ / ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ ، ٤٤٩ .
٣ / ٢٢٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ،
٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٨ .
عَبَّاد المِنقَري : .... ١ / ٢٨٥ .
عبادة بن الصّامت : .... ٣ / ٣٣٥ .
عبدالأَعلى : .... ٣ / ٣٦٨ .
ابن عبدالبَرّ النَّمري : ١ / ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٣٨٥ ، ٥١٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ،
٥٣٢ ، ٥٣٤ .
٣ /٣٠٧، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٧١،

. ٣٧٤
عبد الجبّار : .... ١ / ٤٨٤ .
عبدالحقّ بن عطيّة بن محمّد : ١ / ١٤٦ ، ٥١٣ ، ٥١٤ .
٢ / ٤٢ .
٣ / ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .
عبدالرحمن بن الأَشعث : .... ٣ / ٢٩١ .
عبدالرحمٰن بن جُبَيْر : .... ٣ / ٣١٣ .
عبدالرحمٰن بن أَبي حاتم : .... ٣ / ٢٥١ ، ٢٥٥ .
أَبو عبدالرحمٰن الحُبُليّ : .... ٣ / ٣٠٧ .
عبدالرّحمٰن بن الحسن القاضي : .... ٣ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .
عبدالرحمن بن زيد بن أَسلم .... ١ / ٤٣٦ ، ٤٥٣ . ٣ / ١٨٢ ، ٢٠٧.
عبدالرّحمٰن بن سابط : .... ٣ / ١٨٣ .
عبدالرّحمٰن بن سَمُرة : .... ٣ / ٢٢٨ .
عبدالرحمٰن بن عمر بن عبدِ الصُّوفيّ : .... ٣ / ٨٢ ، ٨٣ .
عبدالرحمٰن بن عوف : .... ١ / ٣٨٦ .
عبدالرحمٰن بن محمد المُحاربي : .... ١ / ٢٨٩ .
عبدالرحمٰن بن مَلّ : انظر أَبو عثمان النّهدي .
عبدالرّحمٰن بن مهدي : .... ١ / ٤٥٠ .
عبدالرزّاق : .... ٣ / ٣٦٩ .
عبدالصَّمد : .... ٣ / ٣١٤ .
عبدالغفّار عبدالواحد : .... ١ / ٥٠٣
عبدالكريم : .... ١ / ٢٨٨ .
عبدالله بن أُبيّ بن سلول : .... ١ / ٣٣٥ . ٣ / ٣٢٧ - ٣٢٨ .

عبدالله بن أَحمد : .... ١ / ٣٥٨ ، ٥١٢ .
عبدالله بن أُنَيْس : .... ٢ / ٣٥٦ .
عبدالله بن بُرَيْدة : .... ٣ / ٣١٤ ، ٣١٥ .
عبدالله بن بِشْر الطّالقاني : .... ١ / ٢٨٢ .
عبدالله بن جعفر : .... ١ / ٥٠٤ . ٣ / ٢٨٩ .
أَبو عبدالله الحُليمي : .... ٢ / ٤٠٨ .
أَبو عبداللهِ بن الخطيب : انظر الرّازي .
عبدالله بن داود : .... ١ / ٥٠٤ ، ٥٢٦ .
عبدالله بن الزُّبير : .... ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
عبدالله بن سخبرة : .... ١ / ٢٨٨ .
عبدالله بن سلام : .... ١ / ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٣٥٠ .
عبدالله بن عامر اليَحْصُبيّ : .... ٣ / ٣١٣ .
عبدالله بن عبّاس : ١ / ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ٢١١ ،
٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٩ ،
٢٨٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٨٧ ،
٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ،
٥١٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٩ ، ٥٥٤ .
٢ / ٣١٢ ، ٣٢٤ .
٣ /١٦٧ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ،
٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ،
٣٦٤ ، ٣٧٠
عبدالله بن عبدالحَكَم : .... ٣ / ٢٥٤ ، ٢٨٤ .

عبدالله بن عمر : ١ / ١٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٧٠ ،
٤٩٧ ، ٥٠٥ .
٢ / ١١٩ .
٣ / ٢٢٨ ، ٢٧٨ ، ٢٩٩ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
عبدالله بن عمرو بن العاص : ١ / ٢٧٨ ، ٢٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٥٠٠ .
٣ / ٣٠٧ ، ٣٠٨ .
عبدالله بن المُبارك : .... ١ / ٢٨١ ، ٣٥٤ ، ٤٠٠ ، ٥٣٩ .
عبدالله بن محمد البغويّ : .... ١ / ٢٨٢ .
عبدالله بن محمد البلويّ : .... ٣ / ٢٤٦ .
عبدالله بن مسعود : ١ /١٤٢ ، ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٢٠ ، ٣٥٠،
٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٨ ، ٤٩٩،
٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٢ ، ٥٥٤ .
٢ / ٣٥٣ .
٣ / ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٣١ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠ ، ٣٨٦ .
عبدالله بن مسلم بن قتيبة : .... ١ / ١٤٥ .
عبدالله بن مطيع : .... ٣ / ٢٩٠ .
عبدالله بن يوسف : .... ٣ / ٦٦ .
عبدالوهّاب : .... ٣ / ٢٢٨ .
عبدالوارث : .... ٣ / ٣١٤ .
عُبَيْدالله بن أَبي بكر بن أَنس :. .... ١ / ١٩١ . ٣ / ٣٣٧ .
عُبَيْدالله بن زياد : .... ٣ / ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .
عُبَيْدالله بن عبدالله : .... ٣ / ٣٠٦ .
عُبَيْدالله بن عبدالله بن عتبة : .... ١ / ٥١٢ . ٣ / ٣٦٤ .

عُبَيْدالله بن علي بن أَبي طالب : .... ٣ / ٢٩٠ .

أَبو عُبَيْد : .... ٢ / ٢٣٨ . ٣ / ١٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٧٢ .

أَبو عُبيْدة : .... ٣ / ١٨١ ، ٢٧٤ .

عتبة بن حُمَيد : .... ٣ / ٣٣٧ .

العُتْبيّ : .... ١ / ٥٠٤ .

عَثَّام بن علي : .... ١ / ٥٠٥ .

عثمان بن أَيمن : .... ١ / ٢٥٤ .

عثمان بن عفّان : .... ١ / ٢٨٠ ، ٥٢٩ .

أَبو عثمان النَّهديّ : .... ١ / ٢٩١ ، ٤٦٥ ، ٤٩٨ .

ابن عدي أَبو أَحمد : .... ١ / ٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ .

عَرّاف اليمامة : .... ٣ / ٢٦٩ .

عروة بن رُوَيْم : .... ١ / ٣٧٤ .

عروة بن الزُّبير : .... ١ / ٢٧٤ ، ٣٤٤ ، ٥١٢ .

عروة بن يزيد : .... ٣ / ٢٦٩ .

عطاء بن أَبي رباح : .... ١ / ٢٥٩ ، ٣٨٦ ، ٥٠١ . ٣ / ١٨٣ .

عطاء بن أَبي ميمونة .... ١ / ٣٨٨ .

عطيّة : .... ٣ / ١٨٨ .

أَبو عطيّة / ابن عطيّة : .... ٣ / ٣٠٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

ابن عقيل : .... ٢ / ٤٠٨ . ٣ / ١٢١ .

عكرمة : .... ٣ / ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٨٤ ، ٣٧٠ .

عكرمة بن عمّار : .... ٣ / ٣٦٨ .

العُكَلي : .... ٣ / ٢٩٦ .

علقمة : .... ٣ / ٢٩٣ .

أَبو علي : .... ١ / ١٤٧ .
أَبو علي : .... ٣ / ١٨٥ .
علي بن أَحمد النيسابوري : .... ٣ / ١٨٢ .
علي بن تميم : .... ٣ / ٨٦ .
علي بن زيد بن جدعان : .... ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٩٦ .
علي بن أَبي طالب : ١ / ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٨٨ ،
٤٠٣ ، ٤٥٢ ، ٤٩٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ .
٢ / ٣١١ ، ٣١٢ .
٣ /٦٠ ، ٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ .
علي بن عيسى الحرَّاني : .... ٣ / ٨٢ .
أَبو علي الفارسي : .... ٣ / ٣٦٠ .
علي بن المديني : .... ١ / ٢٨٧ .
علي بن مسلم البلويّ : .... ١ / ٥٠٠ .
أَبو عمّار : .... ٣ / ٣١٥ .
عمّار بن ياسر : .... ١ / ٢٧٩ ، ٤٥٠ .
عمارة بن جُوَين : انظر أَبا هارون العبديّ .
عمارة بن زيد : .... ٣ / ٢٤٦ .
أَبو عمر : انظر ابن عبدالبرّ .
عمر بن الحضرميّ : .... ٣ / ٢٨٩ .
عمر بن الخطّاب : ١ / ٢٦٧ ، ٢٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٤٩ ،
٥٠١ ، ٥٢٩ .
٢ / ٩١ ، ١٤١ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ٢٨٨ ، ٥٠٧ .

٣ / ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٦ .

عمر بن الخيّام : .... ٣ / ١٦٩ .

عمر بن أَبي ربيعة : .... ١ / ٥٠٤ .

أَبو عمر الزّاهد : .... ١ / ٤٠٥ .

عمر بن سعيد بن سنان : .... ١ / ٢٦٦ .

عمر بن عبدالعزيز : .... ١ / ٥٣٩ . ٢ / ١٧٨ ، ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

عمران بن حصين : .... ١ / ١٤٣ .

أَبو عمرو الحاجب : .... ٢ / ٣٧٤ .

عمرو بن الحارث : .... ١ / ٢٨٠ ، ٢٨١ .

أَبو عمرو بن الصَّلاح : .... ١ / ٤١١ ، ٤١٢ .

عمرو بن عيسى : أَبو نعامة السَّعْديّ .

عمرو بن كثير : .... ١ / ٣٩٦ .

عمرو بن مروان الكلبيّ : .... ٣ / ٢٩١ .

عمرو بن واصل : .... ١ / ١٤٧ .

ابن العميد : .... ١ / ٥٠٣ .

عمير بن سلمة : .... ٣ / ٣٦٤ .

العوّام بن حوشب : .... ١ / ٤٩٧ .

عوانة بن الحكم : .... ٣ / ٢٩٠ .

عوف : .... ١ / ١٦٣ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

ابن عوف : .... ١ / ٢٨٨ .

ابن عون : .... ٣ / ٣١١ ، ٣٧٠ .

أَبو العلاء : .... ١ / ٣٩٦ .

عياض بن حمار : .... ١ / ٤١٧ . ٢ / ٥٠٤ .
أَبو عيسى الرّمّاني : .... ١ / ١٤٦ .
عيسى بن عاصم : .... ٣ / ٢٨٠ .
عيسى بن علي بن عيسى : .... ٣ / ٨٨ ، ١٠١ .

(غ)

غلام زُحَل : .... ٣ / ١٤٥ ، ١٥٨ .

(ف)

الفارابي : .... ٣ / ٢٤ ، ٥٦ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٦٣ .
ابن أَبي فُدَيك : .... ١ / ٣٩٦ .
الفرّاء : .... ١ / ٣٧٢ ، ٤٠٨ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ .
فرعون : .... ٣ / ٤٥٥ .
فَرْفُوريس : .... ٣ / ٢٤٧ .
فرقد السَّبْخيّ : .... ١ / ٣١٩ .
الفضل بن سهل : .... ٣ / ١٧٥ .
الفُضَيل بن عياض : .... ١ / ٢٥٢ ، ٣٠٣ ، ٥٣٨ .
فِطْر بن خليفة : .... ١ / ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
الفكريّ : .... ٣ / ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٤ .

(ق)

القاسم : .... ١ / ٢٥٢ .
قاسم : .... ٣ / ٣١٤ .
ابن القاسم : .... ١ / ٣٩٢ . ٣ / ٣٣٩ .
أَبو القاسم البلخيّ : .... ١ / ١٤٨ .

أَبو القاسم الزّجاجي : .... ٣ / ٢٧٢ .
القاسم بن عبدالرحمٰن : .... ١ / ٤٩٩ .
القاسم بن عُبَيْد الله : .... ٣ / ٦٤ ، ٦٥ .
القاسم بن الفضل بن بَزِيع : .... ١ / ٣٨٨ .
قبيصة الهلاليّ : .... ٣ / ٢٢٨ .
أَبو قبيل : .... ١ / ٥٠٠ .
قتادة : .... ١ / ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٤٥ ، ٤٠٨ ، ٥١٤ ، ٥١٥ .
.... ٢ / ٣١٣ .
.... ٣ / ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٠٧ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٦٨ .
ابن قتيبة : .... ١ / ١٧٠ ، ٢٢٧ ، ٣٥٥ ، ٥٠٩ .
٣ / ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٩٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦، ٣٦٨،
٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ .
قتيبة بن سعيد : .... ١ / ٢٨٧ ، ٤٥٠ . ٣ / ٢٥٢ .
قراجا بن عبدالله : .... ٣ / ٧٣ .
قرظة بن معاوية : .... ١ / ٥٠٤ ، ٥٠٥ .
أَبو قُرَيع : .... ١ / ٢٧٩ .
قسامة بن زهير : .... ١ / ١٦٣ .
قسطنطين : .... ٣ / ٨٧ .
القفّال الكبير : .... ٢ / ٤٠٧ .
القُوطِيّ : .... ٣ / ١٤٥ .
أَبو قلابة : .... ٣ / ١٦٤ ، ٢٢٨ ، ٢٦٢ .

(ك)

أَبو كَبشة الأَنماريّ : .... ١ / ٥٣٧ .

كُثَيِّر عَزَّة : .... ٣ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
كثير بن عمرو بن عوفي المُزَنيّ : .... ١ / ٨٥ ، ٨٦ .
ابن أَبي كريمة : .... ١ / ٤٩٧ .
كَشتاست : .... ١ / ١٧٥ .
كعب الأَحبار : .... ١ / ٢٧٢ . ٣ / ٢٨٤ ، ٣٠٨ .
كعب بن مالك : .... ١ / ١٤٣ .
الكلبيّ : .... ١ / ٤٧٥ .
كُمَيْل بن زياد النَّخعيّ : .... ١ / ٤٠٣ .
ابن كوّاء : .... ٣ / ١٨٤ .
الكوشيار بن ياسر بن الديلَمي : .... ٣ / ٨٣ ، ٨٥ .

(ل)

لَبيد : .... ١ / ٤٤٢ .
لقمان : .... ١ / ٥٠٨ .
الليث بن سعد : .... ١ / ٤٩٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ .
ابن لهيعة : .... ٣ / ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٧٢ .

(م)

ابن ماجه : .... ١ / ٢٩٠ . ٣ / ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠ .
أَبو مالك الأَشجعيّ ....: ١ / ١٣٣ .
مالك بن أَنس : .... ١ / ٢٥٦ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٣٨ ، ٥٣٣ .
.... ٢ / ٣٥٦ .
٣ / ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٧٥ .
المأمون : .... ٣ / ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٧٥ .
مانالاوس : .... ٣ / ٧٨ .

ماني المُنجِّم : .... ٣ / ١٤٦ .

الماورديّ : .... ١ / ١٤٧ ، ١٧٠ . ٣ / ١٨٣ .

المُبرِّد : .... ١ / ٤١٠ . ٣ / ٦١ .

مُبشِّر : .... ١ / ٤٩٨ .

المتنبّي : .... ٢ / ٣٤٨ .

المتوكّل : .... ٣ / ٦٣ .

مُثنّى بن بكر : .... ١ / ٤٩٨ .

مجالد : .... ١ / ٢٨٩ . ٣ / ٢٨٧ .

مجاهد : .... ١ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٨ ، ٣٨٧ ، ٢٣٦ .

.... ٢ / ٣١٣ .

.... ٣ / ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

أَبو محمد : انظر ابن قتيبة .

محمد بن أَحمد بن يعقوب بن شيبة : .... ١ / ٢٢٠ .

محمد بن إِدريس : انظر الشافعيّ .

محمد بن إِسحاق : .... ٣ / ١٧٣ ، ٢٠٨ .

محمد بن إِسماعيل : انظر البخاريّ .

محمد بن إِسماعيل الصَّائغ : .... ١ / ٢٨٢ .

محمد بن أَيّوب الجُوزجانيّ : .... ١ / ٢٨٩ .

محمد بن بَشّار : .... ١ / ١٥٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ .

محمد بن جابر التّبّاني : .... ٣ / ٨٢ .

محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم : .... ٣ / ٢٩٩ .

محمد بن جعفر : انظر أَبو معشر المنجّم .

محمد بن الجهم : .... ٣ / ٧٩ .

محمد بن الحسن : .... ٣ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ .
محمد بن الحسن بن علي اليقطينيّ : .... ١ / ٢٦٦ .
محمد بن الحسين بن دُرَيْد : .... ١ / ٥٠٤ .
محمد بن سعيد بن مهران : .... ١ / ٢٦٧ .
محمد بن شهاب : انظر الزُّهريّ .
محمد بن طاهر بن بهرام السِّجسْتانيّ : .... ٣ / ١٤٥ .
محمد بن عبدالأَعلى : .... ١ / ٢٥٢ .
محمد بن عبدالرّحمٰن الأَوْقَص : .... ١ / ٥٠٢ .
محمد بن عبدالله : .... ٣ / ٣٧٥ .
محمد بن عبدالله الأَنصاريّ : .... ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
محمد بن عبدالله البلويّ : .... ٣ / ٢٤٧ .
محمد بن عبدالله بن الحكم : .... ٣ / ٢٥٤ .
محمد بن عبدالله بن محمود الحسيني : .... ٣ / ٧٣ .
محمد بن عبدالملك الأَنصاريّ : .... ١ / ٢٧٤ .
محمد بن عبدالواحد المقدسيّ : .... ٢ / ١٨٠ .
أَبو محمد العروضيّ : .... ٣ / ١٤٥ ، ١٥٧ .
محمد بن علي الباقر : .... ١ / ٥٣٤ .
محمد بن عمرو بن عطاء : .... ٣ / ٣٢١ .
محمد بن العلاء أَبو كريب : .... ١ / ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
محمد بن عيينة : .... ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .
محمد بن الفضل الصوفي : .... ١ / ٤٩٠ .
محمد بن المثنّى : .... ٣ / ٢٢٧ .
محمد بن محمد الحُلَيْس : .... ٣ / ٧٩ .

أَبو محمد المقدسيّ : .... ٣ / ١٤٥ .
محمد بن موسى المنجّم الحلَيْس : .... ٣ / ٧٩ .
محمد بن يحيى القُطَعيّ : .... ٣ / ٣٦٨ .
محمد بن يعقوب : .... ٣ / ٢٤٥ .
محمد بن أَبي يعقوب الجوّال الدِّينَورِيّ : .... ٣ / ٢٤٦ .
محمود بن غيلان : .... ١ / ٢٧٣ .
المختار بن أَبي عُبَيْد : .... ٣ / ٦١ .
المخَلِّص : .... ١ / ٣٨٨ .
المدائني : .... ٣ / ٢٦٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٢٨ .
مرحوم بن عبدالعزيز العطّار : .... ١ / ٢٩٠ .
المُرَقِّش : .... ٣ / ٢٦٩ .
مروان بن معاوية الفِزاريّ : .... ١ / ٢٨٥ ، ٤٩٩ .
مروان بن يسار : .... ٣ / ٢٩١ .
المَرْوَزيّ : .... ٣ / ١٧٧ .
مزاحم : .... ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
المُزَنيّ : .... ١ / ٢٦٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ . ٣ / ٢٥٤ .
ابن مُزَين : .... ١ / ١٧٠ .
ابن مُزَين الطُّلَيْطُليّ : .... ١ / ٤٣٨ .
مسدّد : .... ٣ / ٣٠١ .
مسروق بن الأَجدع : .... ٣ / ٣٢٠ .
مسلم : ١ / ١٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٣٦٣ ، ٤٤٦ ،
٥٢٥ .
.... ٢ / ١٨٨ ، ٣٤٨ .
.... ٣ / ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

أَبو مسلم الأَصبهانيّ : .... ١ / ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ .
مسلم بن حاتم الأَنصاريّ : .... ١ / ٢٨٤ .
أَبو مسلم اللّخميّ : .... ١ / ٥٠٤ .
أَبو مسعود البدريّ : .... ١ / ٢٨٠ .
المسور بن مَخْرَمَةَ : .... ١ / ٣٢٨ .
المسيَّب بن حزن : .... ٣ / ٢٨٦
معاذ بن جبل : ١ / ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٢ ، ٤٩٧ ، ٥٣٢ .
٣ / ٥ .
المعافى بن زكريّا الجريريّ : .... ١ / ٥٠٤ .
المعافى بن عمران : .... ١ / ٥٣٣ .
أَبو المعالي : .... ١ / ٣٥٤ ، ٤٨٤ . ٢ / ٣٧٤ ، ٤١٠ .
معان بن رفاعة السَّلاميّ : .... ١ / ٤٩٨ ، ٤٩٩ .
أَبو معاوية : .... ١ / ٢٧٤ ، ٥٠٥ . ٣ / ١٨٥ ، ٣٢٤ .
معاوية (بن أَبي سفيان) : .... ١ / ٢٤٦ ، ٢٩١ ، ٥٠٤ .
.... ٢ / ١٧٨ .
.... ٣ / ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
معاوية بن الحكم السُّلَميّ : .... ٣ / ٢٨١ .
معاوية بن حكيم : .... ٣ / ٣٣٢ .
معاوية بن حَيْدة القُشَيْريّ : .... ١ / ٢٧٩ .
المعتصم : .... ٣ / ٦٣ .
المعتضد : .... ٣ / ٦٣ .
المُعِزّ : .... ٣ / ٦٥ .

أَبو معشر : .... ٣ / ٣٢٤ .
أَبو معشر المنَجِّم : ٣ / ٤٢ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١١٤ ، ٢٦٧ .
معقل بن قيس الرِّياحيّ : .... ٣ / ٢٩٠ .
معمر : .... ٣ / ٣٦٩ .
مغيرة : .... ٣ / ٣٢٤ .
المَفَضِّل الضَّبِّيّ : .... ٣ / ٢٦٩ .
مقاتل : .... ١ / ٢١٢ ، ٣٤٤ .
ابن مقاتل : .... ٣ / ١٧٦ .
المُقْرِيّ : .... ٣ / ٣٠٧ .
المُكتفي : .... ٣ / ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .
مكحول : .... ١ / ٣٨٩ .
ابن المنذر : .... ٣ / ١٨٨ .
منذر بن سعيد البَلّوطيّ : .... ١ / ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٧٠ .
المنصور : .... ٣ / ٦٢ ، ١٦١ .
المهدي : .... ٣ / ٦٢ ، ١٦١ ، ٢٦٨ .
مهراريس : .... ٣ / ٢٤٧ .
أَبو المهلّب : انظر أَبو صفرة .
مُهنَّا : .... ١ / ٤٩٨ .
موسى : .... ٣ / ١٨٥ .
موسى بن إِسماعيل بن موسى بن جعفر : .... ١ / ٤٩٧ .
أَبو موسى الأَشعريّ : .... ١ / ١٦٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٢ .
موسى بن مسعود النَّهديّ : .... ٣ / ٣٦٨ .
ميمون بن مهران : .... ٣ / ١٧٢ .

(ن)

النّابغة : .... ٣ / ٢٧٣ ، ٣٦٠ .

النّاصر : .... ٣ / ٦٣ .

نافع : .... ١ / ٣٨٨ .

ابن نافع : .... ١ / ١٧٠ .

نافع بن جُبَيْر بن مُطْعِم : .... ٣ / ٣٠٨ .

نافع بن عبد الحارث : .... ١ / ٥٠١ .

النّجاشيّ : .... ٢ / ٣٤١ .

ابن أَبي نُجَيح : .... ٣ / ١٨٨ .

النّسائي : .... ١ / ٤٤٦ . ٢ / ٣٦٧ . ٣ / ٢٢٧ .

النَّضر بن شُمَيل : .... ١ / ٥٠٤ .

أَبو نَعَامة السَّعْديّ : .... ١ / ٢٩١ .

النّعمان بن بشير : .... ١ / ٢٧٥ . ٣ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

نُعيم بن حمّاد : ١ / ٢٨١ .

أَبو نُعَيْم : ١ / ٣٨٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٥٢٨.

نفيع الأَعمى أَبو داود : .... ١ / ٢٨٨ ، ٢٩٠ .

النّقاش : .... ١ / ١٥٣ .

ابن نُمَيْر : .... ١ / ٢٧٤ .

النوَّاس بن سمعان : .... ١ / ٢٣٤ .

(هـ)

الهادي : ٣ / ٦٢ .

هارون الرّشيد : ١ / ٥٠٢ . ٣ / ٦٢ ، ١٦١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

أَبو هارون العَبْديّ : ١ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

هاشِم بن القاسم : .... ١ / ٣٩٨ .
هانئ بن عُبَيْد : .... ٣ / ٣٦٩ .
هانئ بن يحيى : .... ١ / ٢٦٧ .
ابن هُبَيْرة : .... ٣ / ٣٠٧ .
هِرَقل : .... ١ / ٣٢٩ ، ٣٣٦ . ٢ / ٣٤٠ ، ٣٤٣ .
هرمز : .... ٣ / ٩٣ .
أَبو هُريرة : ١ / ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ،
.... ٤٣٨ ، ٤٦٥ ، ٤٨٧ ، ٥٠٠ ، ٥٢٥ ، ٥٣٤ .
.... ٢ / ١٧ ، ٢٨ .
٣ / ٢٢٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ،
٣٢٧ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٤ ،
.... ٣٧٥ .
هشام : .... ٣ / ٣٠١ ، ٣١٤ .
أَبو هشام الرّفاعي : .... ٣ / ٣٧٥ .
هشام بن عمّار : .... ١ / ٢٦٦ . ٣ / ٣٣٣ .
هلال بن عبدالرّحمٰن الحنَفي : .... ١ / ٣٨٨ .
ابن الهيثم : .... ٣ / ٥١ .
أَبو الهيثم : .... ١ / ٢٨١ .

(و)

وابصة بن مَعبَد : .... ١ / ٢٧٩ .
الواثق : .... ٣ / ٦٣ .
الواحدي : .... ١ / ٤١٠ .

واقد بن عبدالله الحضرميّ : .... ٣ / ٢٨٩ ، ٣٤٨ .
وكيع : .... ٣ / ١٨٨ .
أَبو الوليد : .... ١ / ٢٨٥ .
الوليد بن جميل : .... ١ / ٢٥٢ .
أَبو الوليد الفقيه : .... ٣ / ٢٤٨ .
الوليد بن مسلم : .... ١ / ٢٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ . ٣ / ٣٣٣ .
الوليد بن هشام : .... ٣ / ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ .
الوليد بن يزيد : .... ٣ / ٢٩١ .
ابن وهب : .... ١ / ٣٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٣٣ .
٣ /٢٠٧، ٢٨٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٧،
.... ٣٧٢ .
وهب بن منبّه : .... ١ / ١٤٦ ، ٥٣٩ .

(ي)

ابن يحيى : .... ١ / ١٤٨ .
يحيى بن أَكثم : .... ١ / ٥٠٢ .
يحيى بن خالد : .... ٣ / ٢٩٧ .
يحيى بن رافع : .... ٣ / ١٨٨ .
يحيى بن سعيد : .... ١ / ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٤٩٩ .
.... ٣ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ .
يحيى بن أَبي كثير : ...... ١ / ٣٦٤ ، ٤٤٦ . ٢ / ٣٤٩ . ٣ / ٣٠١ .
يحيى بن محمد بن صاعد : .... ٣ / ٣٧٥ .
يحيى بن أَبي منصور : .... ٣ / ٧٩ ، ٨٠ .
أَبو يزيد : .... ١ / ٤٨٩ .

يزيد بن أَبي حبيب : .... ١ / ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ .
يزيد بن عياض : .... ١ / ٢٦٧ .
يزيد بن كَيْسان : .... ١ / ٤٩٩ - ٥٠٠ .
يزيد بن هارون : .... ١ / ٥٠٢ .
يزيد بن الوليد : .... ٣ / ٢٩١ .
يَعْلَى : .... ٣ / ١٨٨ .
أَبو يَعْلَى الصغير : .... ٢ / ٤٠٧ .
أَبو يَعْلَى القاضي : .... ٢ / ٣٥٤ .
أَبو يَعْلَى الموصليّ : .... ١ / ٤٨٠ .
يعيش الغِفاريّ : .... ٣ / ٣١٣ .
أَبو يوسف : .... ٣ / ٢٤٧ .
يوسف بن عمرو : .... ٣ / ٢٥٤ .
يونس : .... ٣ / ٣٠٠ .
يونس بن حبيب : .... ١ / ٤١٩ .
يونس بن عبدالأَعلى : .... ١ / ٣٩٦ .

فهرس الكتب[1]

« الاجتهاد والتقليد » : .... ١ / ٢٤١ .

« الإحياء » : .... ١ / ٤٥٥ .

« الأدوية المفردة » : .... ٢ / ١٧٠ .

« الأربعة » : .... ٣ / ١٤٣ .

« الأسرار » : .... ٢ / ٧٦ .

« أسرار النجوم » : .... ٣ / ٧٩ .

« أقسام اللّذات » : .... ١ / ٤٥٦ .

« الإمتاع والمؤانسة » : .... ٣ / ٦٥ .

« تاريخ بغداد » : .... ١ / ٥٠٣ .

« ترتيب العلم » : .... ٣ / ١٤٤ .

« التّعبير » : .... ٣ / ١٢٦ .

« تفسير الرّازي » : .... ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

« تفسير الرّاغب » : .... ١ / ١٤٧ .

« تفسير عبدالحقّ بن عطيّة » : .... ١ / ١٤٦ .

« تفسير أبي عيسى الرّمّاني » : .... ١ / ١٤٦ .

« تفسير الماوردي » : .... ١ / ١٤٧ ، ١٧٠ .

« تفسير المروزي » : .... ٣ / ١٧٧ .

(١) الواردة في المتن .

« تفسير ابن مُزَيْن » : .... ١ / ١٧٠ .

« تفسير أَبي مسلم الأَصبهاني » : .... ١ / ١٤٦ .

« تفسير ابن المنذر » : .... ٣ / ١٨٨ .

« تفسير منذر بن سعيد البُلُّوطيّ » : .... ١ / ١٢٥ ، ١٤٦ .

« التَّفهيم إِلى صناعة التّنجيم » : .... ٣ / ٨٥ .

« التمهيد » : .... ٣ / ٣٠٧ .

« تهذيب السُّنن » : .... ٢ / ٥٢٤ .

« الجامع » : .... ٣ / ٨٣ .

« جامع التِّرمذيّ » : .... ١ / ١٥٩ ، ١٦٣ . ٢ / ٨١ ، ١٢١ .

« جامع ابن وهب » : .... ٣ / ٢٨٦ ، ٣١٥ .

« الجليس والأَنيس » : .... ١ / ٥٠٤ .

« الحلية » : .... ١ / ٤٠٤ .

« الحيوان » : .... ٣ / ١٠٢ ، ١٠٦ .

« الرّوح والنّفس وأَحوالها » : .... ٣ / ١٠٥ .

« الزِّيجات » : .... ٣ / ٨٣ .

« السماع الطبيعي » : .... ٣ / ١٣٥ ، ١٤٤ .

« السنن » : .... ١ / ١٢٠ ، ١٤٠ ، ٢٥٧ ، ٣٠٥ .

« سنن أَبي داود » : .... ٣ / ٣٣١ .

« سنن ابن ماجه » : .... ٣ / ٢٢٦ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ .

« السنّة » : .... ١ / ٣٥٨ .

« الشّفاء » : .... ٣ / ٤٦ ، ١٤٥ .

« الصِّحاح » : .... ١ / ٤٧٨ .

« الصحيح » : ١ / ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ٢٠٧ ، ٣٠٤ ، ٣٧٥ ، ٤٧٠ ،
.... ٥٠١ ، ٥٢٥ .
.... ٢ / ٣٦ ، ١٥٢ .
.... ٣ / ٣٦ ، ٢٨٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ .
« صحيح البخاري » : .... ١ / ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٨٠ ، ٤٤٩ .
.... ٢ / ١٨٩ .
٣ / ١٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٦١ .
« صحيح الحاكم » : انظر « المستدرك » .
« صحيح ابن حبّان » : .... ١ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٤٥١ ، ٤٨٧ .
« صحيح مسلم » : ١ / ١٣٣، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠ ، ٣٦٤،
.... ٤١٧ ، ٤٤٦ ، ٤٧٠ ، ٥٢٥ .
.... ٢ / ١٨٨ ، ٣٤٩ ، ٥٠٠ .
٣ / ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٧.
« الصحيحان » : ١ / ١١١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
٢٧٨ ، ٣١٩ .
.... ٢ / ١٩٠ ، ١٩١ .
٣ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٣٧ .
« العلل » (الخلّال) : .... ١ / ٤٩٨ .
« العلل » (عبدالله بن أَحمد) : .... ١ / ٥١٢ .
« العلم » : .... ١ / ٣٩١ .
« الغريب » : .... ٣ / ٢٨٢ .
« غريب القرآن » : .... ١ / ١٧٠ .

« الفتوحات القدسيّة » : .... ٢ / ٢٥٤ .

« الفقيه والمتفقّه » : .... ١ / ٣٨٦ .

« فوائد تمّام » : .... ١ / ٥٠٠ .

« القلب والإبدال » : .... ٣ / ٣٦٠ .

« الكامل » : .... ٣ / ٦١ .

« كتاب ابن مُزَيْن الطُّلَيْطليّ » : .... ١ / ٤٣٨ .

« الكشّاف » : .... ١ / ٥١٤ .

« المُجالسة » : .... ١ / ٢٥٦ .

« المجِسطيّ » : .... ٣ / ١٦٩ .

« المجّمل في الأَحكام » : .... ٣ / ٨٣ .

« محاسن الشّريعة » : .... ٢ / ٤٠٨ .

« المختصر » : .... ٢ / ٤٠٤ .

« مختلف الحديث » : .... ٣ / ٣٦٥ ، ٣٣٩ - ٣٤٠ .

« المسانيد » : .... ١ / ٢٥٧ .

« مسائل إِسحاق بن منصور » : .... ١ / ٥٣٣ .

« مسائل حرب الكَرْمانيّ » : .... ٤٠٠ ، ٥٢٨ .

« مستدرك الحاكم » : .... ١ / ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

« مسند أَحمد » : .... ١ / ١٦٣ ، ٢٨١ ، ٣٥٦ ، ٥٤١ .

.... ٢ / ٤١ .

.... ٣ / ٢٦٢ ، ٣١٤ ،

.... ٣٣٠ ، ٣٣١ .

« مسند أَبي يَعْلَى الموصليّ » : .... ١ / ٤٨٠ .

« مشكل الحديث » : انظر « مختلف الحديث » .

« المعارف » : .... ١ / ١٤٥ .
« المعجم » : .... ١ / ٣٩٥ .
« مفتاح دار السعادة » : .... ١ / ٢١٥ .
« المقايسات » : .... ٣ / ١٤٥ .
« الملل والنّحل » : .... ١ / ١٤٦ .
« مناقب الشّافعيّ » : .... ٣ / ٢٤٥ ، ٢٥٥ .
« موطّأ مالك » : ١ / ١٤٣ ، ٥٠٨ . ٢ / ٩٧ . ٣ / ٢٨٧ ، ٣٠٠ ، ٣٧٤ .
« النّجاة » : .... ٣ / ٤٦ .

٦ - فهرس الأشعار

(أ)

فالضِّدُّ .... الأَشياء .... ١ / ٣١٥

وَهَبْني .... الضياء .... ٢ / ٧٠

برزوا .... اللقاء .... ٣ / ٦١

فَتعَشَّوْا .... العِشاء .... ٣ / ٦١

فجزاك .... جزاء .... ٣ / ٦١

(ب)

وكنت .... مذهب .... ١ / ٣٦٣

فلمّا تلاقينا ...... أَلعب .... ١ / ٣٦٣

لولا قضاء ...... ومشروب .... ١ / ٤٣٠

وكانوا .... مَرْحَبُ ١/ ٤٣٧

ومن عَجَبٍ ...... حَبيبُ .... ١ / ٤٣٩

خيالك .... تَغِيبُ .... ١ / ٤٣٩

مَن يُسَاجلني ..... الكُرَب .... ١ / ٥٠٤

العلم .... صُحبا .... ١ / ٥٠٧

قَد يَجمع .... والحربا .... ١ / ٥٠٧

وجامع .... والسَّلَبا .... ١ / ٥٠٧

يا جامع العلم .... ولا ذَهَبا .... ١ / ٥٠٧

الحمد للّه .... ما وَجَبا .... ٣ / ٧٤ - ٧٥

وأَطلق .... احْتَسَبا .... ٣ / ٧٤ - ٧٥
لا يوحشنّك ..... الغَضَب .... ٢ / ٢٧٩
كذا المَعالي ...... من التَّعَب .... ٢ / ٣٠٧
قلب .... التَّعبُ .... ٢ / ٣٤٨
السيف .... واللّعب .... ٣ / ٦٣ - ٦٤
لو ثَبَّتَتْ .... والصُّلب .... ٣ / ٦٣ - ٦٤
وما أَنا .... ثعلبٌ .... ٣ / ٢٧٠
ولا السَّانحات ... أَعضب .... ٣ / ٢٧٠
هُمُ قَتلوه .... مرازِبُه .... ٣ / ٢٩١
تَيَمَّمْتُ .... لَهَب .... ٣ / ٢٩٧
فيمَّمْت .... الصُّلب .... ٣ / ٢٩٧
فقلت له .... بالتُّرب .... ٣ / ٢٩٧
فقال .... وبالسَّلَب .... ٣ / ٢٩٧
فإِنْ لا تكن ..... بني كعب .... ٣ / ٢٩٧
وقَلَّ أَن .... في لَقَبه .... ٣ / ٣٥٠

(ت)

أَصبحت .... بآفات .... ١ / ٤٢٨ ، ٢ / ٢٣٢
قد مات .... أَموات .... ١ / ٤٣٧

(ج)

قد هَلَكَت .... أَو بَذج .... ١ / ٤١٣
شَرِبْن .... نئيج .... ٢ / ٩٧

(ح)

إِن تهبطين .... من الطِّلاح .... ١ / ١٥١

نظروا .... ما استقبحوا .... ١ /٤٤٥

(د)

اخْضع .... ويُعْقَدُ .... ١ / ١٥٧

لها أَحاديث ...... الزّاد .... ١ / ١٨٥

لها بوجهك ...... حادي .... ١ / ١٨٥

إِذا ما اشتكت ... ميعاد .... ١ / ١٨٥

وإِنَّ الَّذي .... يا أُمَّ خالد .... ١ / ١٩٨

فَدَعْ .... بالمداد .... ١ / ٤٤٦

فقلتُ لهم .... المُسرَّد .... ١ / ٤٧٩

فسبحان .... موحَّد .... ٢ / ٢٦

وإِذا تأمَّلْتَ .... وتسعَدُ .... ٢ / ٨٨

فواعجبًا .... الجاحد .... ٣ / ١٧٨ ، ١٩٧

ولله في كلِّ ..... شاهد .... ٢ / ١٠٢ ، ٤٥٣

وفي كلِّ شيء ... واحد .... ٢ / ١٠٢ ، ٤٥٨ . ٣ / ١٧٨ ، ١٩٧

ولمّا تذكَّرت ...... المُتزوّد .... ٢ / ٢٩١

تيقَّنْتُ .... بموعد .... ٢ / ٢٩١

ومن لم يَمُت...... واحِد .... ٢ / ٤٩٠

وكلُّ بني .... واحد .... ٣ / ٢٨٩

.... ومن صَرَد .... ٣ / ٣٦٠

(ر)

وفي الجهل .... قُبورُ .... ١ / ٢١٨
وأَرواحهم .... نُشورُ .... ١ / ٢١٨
تعلم .... ولا بعيرُ .... ١ / ٢٦٥
ولكنّ ....كثيرُ .... ١ / ٢٦٥
ومن ترك ....الفقر .... ١ / ٣٤٤
لا تَخْدَعنّك ..... بقرُ .... ١ / ٣٧٩
في شَجَر ....ثَمَرُ .... ١ / ٣٧٩
زوامل .... الأَباعر .... ١ / ٣٧٩
لعمرُك .... الغرائر .... ١ / ٣٧٩
لم يَثِق .... الصُّور .... ١ / ٣٧٩
إِذا مَرَّ بي .... عمري .... ١ / ٣٩٩
فحتّام .... الشُّكرُ .... ١ / ٤٠١
بل سوف .... الذِّكر .... ١ / ٤٠١
تزول .... ولا يَتَغيّرُ .... ١ / ٤١٤
وفي الجهل .... قبور .... ١ / ٤٣٧
وأَرواحهم .... نشور .... ١ / ٤٣٧
فقلت .... عائِرُ .... ١ / ٤٤٢
تقول ....الزَّنابير .... ١ /٤٤٤
مدحاً .... تعبير .... ١ /٤٤٤
المستجير .... بالنّار .... ١ / ٤٥٢
مت بداء ....نواظِرْ .... ١ / ٤٦٠
لا تَخَفْ .... سائر .... ١ / ٤٦٠

تَحسَّبَ .... أغامره .... ١ / ٤٧٨
بينما .... الأَغرُّ .... ١ / ٥٠٤
قُلْن .... القمرُ .... ١ / ٥٠٤
ما أَقرب .... إذا لم تُقْدَر .... ١ / ٥١١
وبَقِيتُ .... مُعْوِر .... ١ / ٥١١
فإن يكن .... كثير .... ١ / ٥٣١
إذا المرء .... له عبرة .... ١ / ٥٣٩
وإنَّ صخراً .... نارُ .... ٢ / ٨٥
أمرُّ على ....الجدارا .... ٢ / ٤٢٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣
وما حبُّ ....الدِّيارا .... ٢ / ٤٢٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣
كَأَنَّها برجُ ....وأَحجارُ .... ٣ / ١٨٨
تَحَيَّر ....خبير .... ٣ / ٢٧٣ ، ٣٤١
أَقام .... مثير .... ٣ / ٢٧٣ ، ٣٤١
تعلَّم .... الثّبور .... ٣ / ٢٧٣ ، ٣٤١
بلى شيء ....كثير .... ٣ / ٢٧٣ ، ٤٣١
هذا مقام ....ودورُه .... ٣ / ٢٩١ ، ٣٤١
رأيت .... ويطايرُه .... ٣ / ٢٩٦
فقلت .... تجاوره .... ٣ / ٢٩٦
فما أعيف ....ناصِرُه .... ٣ / ٢٩٦
فأَمّا غراب .... تعاشِرُه .... ٣ / ٢٩٦
لَنْ يُسْبق .... مُطَار .... ٣ / ٣٦٧
أَو يأتي .... السَّاري .... ٣ / ٣٦٧

(س)

..... ولا أَهاب العطاسا .... ٣ / ٣٥٦

(ض)

من كلٍّ .... عِوَض .... ٣ / ٣٥
ما كان .... أَمْرَضَا .... ٣ / ٣٦١

(ط)

إِذا تلاقى ... الوسَطِ .... ١ / ١٧٤

(ع)

ومن عجبٍ ...... وهم معي .... ١ / ٤٣٩
وتطلبهم .... بين أَضلُعي .... ١ / ٤٣٩
.... بمثلها لا يخدع .... ١ / ٤٦٣
أَرى أَشقياء ....وجوَّع .... ١ / ٤٦٣
أَراها وإِن ....تقشَّعَ .... ١ / ٤٦٣
.... شاءَه سميع .... ١ / ٥١٤
وإِذا الحبيب ...... شفيع .... ١ / ٥٣١

(ف)

فايَستُ .... بالقباحة لا تفي .... ١ / ٤٢٩

(ق)

فَيَا وَصْلَ ....طريق .... ١ / ٣٦٤
وقَضَى .... لا يَصدُقُ .... ٣ / ٧٣
لو كان فيه ...... يُرْزَق .... ٣ / ٧٣

وقد أَغتدي ...... المُنَطَّقِ .... ٣ / ٣٥٦

(ك)

وما دام .... هالك .... ١ / ٤٣٧
وَحبَّبَ .... هنالكا .... ٢ / ٤٢٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣
إذا ذُكِّروا .... لذالكا .... ٢ / ٤٢١ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩
وَيقْبُحُ ....ذاكا .... ٢ / ٤٢٨

(ل)

نَقِّل فؤادك .... الأَوَّل .... ١ / ١٢٢ ، ٤٦٧
كم مَنْزِلٍ .... منزل .... ١ / ١٢٢ ، ٤٦٧
تَسْمَع للحَلْي .....زَجِلُ .... ١ / ١٢٩
تَذَلَّل لمن .... بالذُّلّ .... ١ / ١٥٧
إذا كان .... الوصل .... ١ / ١٥٧
نزلوا بمكة .... مَنْزِل .... ١ / ٢١٨
فما هو إِلّا .... مائل .... ١ / ٢٧٢
فهذا شفاء ....جاهل .... ١ / ٢٧٢
مَنْ لي بمثلِ ...... الأَوَّل .... ١ / ٣٠٢
فوالله .... المحافل .... ١ / ٣٣٨
لكنّا اتبعناه .... الهازل .... ١ / ٣٣٨
لقد علموا ....الأَباطل .... ١ / ٣٣٨
ومن يك ....الزُّلالا .... ١ / ٣٤٣ . ٢ / ١٠
لولا المشقّة .... قتّال .... ١ / ٣٦٣
فقل لِمُرجّي ...... المُحالا .... ١ / ٣٦٣

قد هَيَّؤك .... الهَمَل .... ١ / ٤٣١ . ٢ / ١١٣
ذكر الفتى .... أَشغالُ .... ١ / ٤٣٧
ومن العجائب .... وصول .... ١ / ٤٥٧
كالعيس ....محمول .... ١ / ٤٥٧
يُراد من القلب ... التّاقل .... ١ / ٤٦٨
خليفة الرّحمن ....وأَصيلا .... ١ / ٤٧٠
عربٌ .... تنزيلاً .... ١ / ٤٧٠
خُذ ما تراه ....عن زُحل .... ٢ / ٨٨
لعلَّ عَتْبَك .... بالعِلَلِ .... ٢ / ٢٦٨
فَقُل لِغَليظ .... البالي .... ٢ / ٢٩٠
ولا تك ممّن ......بالحالي .... ٢ / ٢٩٠
تأمَّل سطورَ ...... رسائل .... ٢ / ٤٥٣ . ٣ / ١٧٨
وقد خُطَّ فيها .... باطل .... ٢ / ٤٥٣ . ٣ / ١٧٨
وليس يصحُّ ...... الدَّليل .... ٢ / ٤٨٩
كَأَنَّ سلافة ....الزُّلالا .... ٣ / ١٨٥
كذبتم .... الأَوائل .... ٣ / ٣٣٤
كذبتم .... تناضل .... ٣ / ٣٣٤
ونسلمه ....الحلائل .... ٣ / ٣٣٤
أفق الحق ....فيُقْتَلُ .... ٣ / ٣٣٤
وكذبتم .... محجّلُ .... ٣ / ٣٣٥

(م)

وحَيَّ على .... المخيَّمُ .... ١ / ١٢٢ ، ٤٦٨
ولكنّنا سبي ...... ونُسَلّمُ .... ١ / ١٢٢ ، ٤٦٨

فما كان قيسٌ .... تهدَّما .... ١ / ٢٦٥
.... بِميِّتِ إِيلام .... ١ / ٣١٠
ولم أرَ في .... التَّمام .... ١ / ٣٦٧
خفافيشُ ....مظلمُ .... ٢ / ١٧٩
وإن كان أَثْلُ .....خُزامِه .... ٢ / ٢٦٢
وإذا كانت ...... الأَجسام .... ٢ / ٣٤٨
هَب البَعْثَ ....تُضْرَم .... ٢ / ٥٠٧
أَلَيس من الواجب .. الأَكرم .... ٢ / ٥٠٧
يَهْنيك .... حرام .... ٣ / ٦٢
لمّا قَضَت .... إمام .... ٣ / ٨٦
وراعك قولٌ ..... يُوْهِمُ .... ٣ / ٨٦
فواعَجَبًا ....المُنجِّم .... ٣ / ٨٦
ولقد غدوت ..... وحاتم .... ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠
فإذا الأَشائم ....كالأَسائمْ .... ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠
وكذاك لا خير ... بدائمْ .... ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠
لا يَمنعَنّك .... التَّمائمْ .... ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠
قد خُطَّ .... القدائمْ .... ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠
وليس بهيّاب ..... وحاتِمُ .... ٣ / ٢٧٠
ولكنّه يمضي ......الخُثارِم .... ٣ / ٢٧٠
.... لم تُقَلَّم .... ٣ / ٢٨٣
كُلَيْبٌ .... بالدَّم .... ٣ / ٢٩٢
كذبتم .... قائم .... ٣ / ٣٣٤
...... مطالعَ الأكم .... ٣ / ٣٧٠

(ن)

ولقد علمت ......دينا .... ١ / ٣٣٨

لولا الملامة .... مبينا .... ١ / ٣٣٨

أَلا لا يَجهلَنْ .....الجاهلينا .... ١ / ٣٤٤

يا خادم الجسم ... إنسان .... ١ / ٣٦٢

ما آن للسرداب .. ما آنا .... ١ / ٤٥٣

فعلى عقولكم .... والغيلانا .... ١ / ٤٥٣

واعجباً لمنطق .... ومن بهتان .... ١ / ٤٨٥

قد ضاع منه ..... في الميزان .... ١ / ٤٨٥

أَتانا .... فتمكّنا .... ١ / ٥٤٦

فَدع .... جَنَنُ .... ٢ / ٤٣٩

ولا تَلُمْهُم ....والجُبُن .... ٢ / ٤٣٩

إِنّي أَدِينُ .... في الدِّين .... ٢ / ٥٠٦

فإِنْ تُردْ .... ياسين .... ٢ / ٥٠٢

كَذَبَ المنجّمُ .....على بَغْدان .... ٣ / ٦٣

قَتْلُ .... الحسبان .... ٣ / ٦٣

يغدو من العلم ... وخذلان .... ٣ / ٢٢٤

أَلم تَرَ أَنَّ .... عمَيَان .... ٣ / ٢٧٠

يظنّان .... يصفان .... ٣ / ٢٧٠

قضى اللّه .... يمتريان .... ٣ / ٢٧٠

ولَئِن بَغَيْتَ .... بواجِدينا .... ٣ / ٣٧٠

(هـ)

وما فرحت .... وانكسارها .... ١ / ١٥٧
ومَن لا يُرَبِّيه ..... قُدسه .... ١ / ٢٦٢
فذاك لقيط .... جنسه .... ١ / ٢٦٢
دعِ الهوى ....لان أصبعه .... ١ / ٣٣٤
وهل أَفْسَدَ .... ورهبانها .... ١ / ٣٥٤
غَنِيتُ بلا مال ....عن الشَّيء لا به .... ١ / ٤١٩
سأَترك .... الشركاء فيه .... ١ / ٤٢٩
إذا وقع .... تشتهيه .... ١ / ٤٢٩
وتجتنب .... يَلَغْنَ فيه .... ١ / ٤٢٩
صحبتُكَ .... أَلومُها .... ١ / ٤٦٧
لو فكَّر ....لم يَشبه .... ١ / ٥٤١
عرفتُ الشّرَّ ...... يقع فيه .... ٢ / ٢٨٩
يفديك ....فَداك به .... ٢ / ٣٢٥
فما تبلغ .... من نفسه .... ٣ / ٣٨

(ي)

عينُ الرِّضا .... المساويا .... ١ / ٤٤٥
فإِنْ تنجُ منها ..... ناجيا .... ٢ / ٤٧٠

وَسَوسَ يدعو .... ١ / ١٢٩
سروره وزن .... ١ / ٤٣٢
خذا ما تراه .... ١ / ٤٦٢
وهل أَنا إلّا .... ٢ / ٢٠٢

٧ - فهرس المسائل والفوائد

١ - العقيدة

○ التوحيد والعبوديّة :

معنى (لا إِلٰه إِلّا اللّٰه) .... ٣ / ٢٧

دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه .... ٣ / ٣٠٣

مقامات العباد في التّوحيد .... ٣ / ٣٧٨

التّوحيد من أَقوى أَسباب الأَمن .... ٣ / ٣٨٦

كلام السّلف في مناظرة إِبراهيم .... ٣ / ٢٠٨

من عظمة توحيد اللّٰه .... ٢ / ٤٨

من دلائل الرّبوبيّة .... ٢ / ١٣٢

مصير أَطفال الكفّار .... ٢ / ٢٢٩

من معالم التّوحيد .... ٢ / ٥٠٩

أَبو طالب وامتناعه عن الإِسلام .... ١ / ٣٣٧

مِن حُجَجِ إِبراهيم عليه السّلام في الرّد على المشركين .... ٣ / ١٧٠

العبوديّة من أَشرف مقامات العبد .... ١ / ١١٠

العبوديّة هي الغاية المطلوبة من الخلق .... ١ / ١١٢

○ الإِيمان :

اليقين والمحبّة ركنا الإِيمان .... ١ / ٤٧٧

هل يصير الكافر مسلمًا بمجرّد الشهادة للنبيّ ﷺ بالرسالة ؟!.... ١ / ٣٣٠

مقامات الإِيمان .... ٢ / ٣٤٢
هل العمل سبب لدخول الجنّة أَم عِوَض ؟ .... ٢ / ٥١٩
هل مُحسن الجنِّ يدخلُ الجنّة ؟ .... ١ / ١٨٩
هل دخول الجنّة يكون بالأَعمال ؟! .... ١ / ١١٩
مسألة الإيمان ، أَكبر مسائل أُصول الإِسلام .... ١ / ٣٥٢
واجبا الإِيمان القلبي .... ١ / ٣٣٢
ركنا الإِيمان .... ١ / ٢٩٩

○ الشرك والكفر :

حكم التفاؤل .... ٣ / ٣٠٦
بين الفأل والطيرة .... ٣ / ٣٠٩
الطِّيرة من أَبواب الشِّرك .... ٣ / ٢٧١
من أَسباب الشرك في العالم .... ٣ / ١٩٢
الكفر أَمر وراء الجهل .... ١ / ٣٣٢
أَقسام الكفر .... ١ / ٣٣١
الإِكراه على كلمة الكفر .... ٢ / ٤٢١

○ الأَسماء والصفات :

بطلان الصلاح والأَصلح في أَفعال العباد .... ٣ / ١٧
الفرق بين فعل اللّه ومفعوله .... ٣ / ٨
معرفة أَسماء اللّه وصفاته أَشرف علم على الإِطلاق .... ١ / ٢٩١ ، ٣١١
من معاني كمال عدل اللّه وإِحسانِه .... ٣ / ٥٢١
الوجوب على اللّه تعالى .... ٢ / ٥٢٧
وجوه انتفاء الوجوب والتحريم على اللّه سبحانه .... ٢ / ٤٢٧

كلُّ كمال ثبت للمخلوق غير مستلزم للنّقص فالخالقُ أَولى به ..... ٢ / ٤٨٤
ردّ قياس الغائب على الشّاهد .... ٢ / ٤٨٦
بطلان جواز الكذب على اللّه سبحانه .... ٢ / ٤٨٢
هل تَعَلُّقُ إرادة الرّبّ بجميع الأَفعال تُعلُّق واحد ؟! .... ٢ / ٤٠٩
هل أَفعال الرّب معلّلة بالحِكم والغايات ؟! .... ٢ / ٤٠٩

○ إرسال الرُّسل :

ضرورة الحاجة إِلى الرُّسل .... ٣ / ٢١
من دلائل نبوّة رسولنا ﷺ .... ٣ / ٣٧٢
لا يُعَذِّبُ اللّه أَحدًا إِلّا بعد إِقامة الحجّة عليه .... ١ / ٢٠٨
وما كُنّا معذّبين حتّى نبعثَ رسولًا .... ٢ / ٤٠١
طرق الهداية .... ٢ / ٣٤١

○ الملائكة :

من أَعمال بعض الملائكة .... ١ / ٣٠٧

○ اليوم الآخر :

الوعد والوعيد .... ٣ / ٥
أَصحاب الأَعراف ، ومن تساوت حسناتهم وسيّئاتهم .... ٢ / ٣٥٩
الظالمون سَيُجازَوْنَ على فعلهم جزاءً وفاقًا .... ٢ / ١٧٧
عُمّالُهم ظهرت في صور أَعمالهم .... ٢ / ١٧٨
الجنّة دار جزاء وثواب ، وليست دار تكليف ، معنى ذلك .... ١ / ١٤٤
من نعيم أَهل الجنّة .... ١ / ٣٥٨
أَسماء الجنّة .... ١ / ١٢٦ ، ١٣١
هل الجنّة الّتي أُخرِج منها آدم هي جنّة الخلد ؟! .... ١ / ١٢٥

هل جنّة آدم كانت بأَرض الهند ؟! .... ١ / ١٣١
الجنّة والنّار خُلِقتا ، وخلاف ذلك قول أَهل البدع .... ١ / ١٤٣ ، ١٥٨

○ القدر :

حكم العدوى .... ٣ / ٣٨٤
اللّه خالق الخير والشرّ .... ٣ / ٣٤٢
التّعليل والحكمة في الخلْق والأَمر .... ٣ / ١٥
معنى قولِه ﷺ : « والشرُّ ليس إليك » .... ٣ / ٩
الإِذكار والإِيناث في الحمل راجع إلى مشيئة الخالق سبحانه .... ٣ / ١٠٥
لولا القَدَر لَمَا وُجِدَ الأَمر .... ٣ / ٣٠٥
بين التفاؤل والتشاؤم .... ٣ / ٢٦٧
أَسباب الدّاء وأَسباب الدّواء وَصِلَةُ ذلك بالقدر .... ٣ / ٣٧٦
هل توصف الأَيّام بالنّحس ؟! .... ٣ / ١٨٤
ارتباط الأَسباب بالمسبّبات .... ٣ / ١٤١
أَفعال العباد هل هي مخلوقة ؟............................. ٢ / ٢٥٢
هل يجوز على اللّه تجويز تعذيب العصاة ؟! .... ٢ / ٥٤٩
الشّؤم .... ٢ / ١٤١
أَهل السنّة بين القدريّة والجبريّة .... ٣ / ٤٤٨
هل أَفعال العباد اختياريّة ؟! .... ٢ / ٣٦٨
توسُّط أَهل السنّة في مسألة القدر .... ٢ / ٢٥٢

○ الإِخلاص والتوكّل :

شرف التوكّل على اللّه .... ٣ / ٣٥٥
الإِخلاص سبيل الخلاص .... ١ / ٢٧٧

هل يَصِحُّ أَن يقال : وكيل الله ؟! .... ١ / ٤٩٤
العبد بين ذُلِّ المحبّة وذُلِّ المعصية .... ٢ / ٢٦٧

○ **بدع العقائد :**

إِثبات الجوهر الفَرْد : من بدع العقائد .... ٣ / ١٩٨

٢ - الفِرَق

○ **أَهل السنّة :**

وسطيّة أَهل السنّة في أَبواب العقيدة والإِيمان .... ٣ / ٣٠٣

○ **جدال أَهل البدع :**

الجدال على بصيرة .... ١ / ٤٥٤
من طرائق أَهل البدع .... ١ / ٤٤٣

○ **الجهميّة :**

من ضلال الجهميّة .... ١ / ٢٩٢

○ **القدريّة والجبريّة :**

الرّد على نفاة القَدر .... ٣ / ٢٧٥
من شبهات الجبريّة والرّد عليها .... ١ / ٣٤٧

○ **الشيعة :**

حول الشيعة وكذبهم ومهديّهم .... ١ / ٤٥٢

○ **الباطنيّة الملاحدة :**

تفاسير القرامطة والباطنيّة وغلاة الإِسماعيليّة .... ١ / ٥١٨
الرّد على الملاحدة .... ٢ / ٦٩

○ **الفلاسفة :**

وجوه الغلط عند الفلاسفة في كمالات النّفوس .... ٣ / ٣٢
من ضلالات الفلاسفة .... ٣ / ٢٢
نقض لبعض أُصول الفلسفة .... ١ / ٤٧٥
من جهل المناطقة في فهم الشّريعة .... ١ / ٤٥٤
اعتراف المتكلّمين بخطر علم الكلام والفلسفة .... ١ / ٤٥٥

○ **الطبائعيُّون :**

الرّد على الطبائعيّين .... ٢ / ١٩٦

○ **الصابئة :**

الصابئة والاستغناء عن النبوّة .... ٣ / ٣٨

○ **النصرانيّة :**

تاريخ التثليث في عهد النصرانيّة .... ٣ / ٨٧

٣ - القرآن وعلومه

○ **في فضل القرآن :**

لا شيء أَنفع للقلب من قراءة القرآن بالتّدبّر والتفكّر .... ١ / ٥٥٣
آية من كنوز القرآن .... ٢ / ٤٩٣
من أَسرار أَوّل سورة أُنزلت .... ١ / ٢٤٢

○ **في التفسير :**

ابن الجوزي والماوردي وابن عطيّة من المتوسّعين في النقل .... ٣ / ١٨٣
معنى (السلطان) في القرآن .... ١ / ٢٤٣
من معالم ومعاني سورة الفاتحة .... ١ / ١٨١
تفسير ﴿ إِنّي جاعلٌ في الأَرض خليفة ﴾ .... ١ / ٤٧١

معنى (غلف) ومناقشة ذلك .... ١ / ٣٤١
معاني (السمع) في القرآن .... ١ / ٢٩٥
هل يُستعمل اليقين في موضع الظنّ ؟ والعكس ؟ .... ١ / ٤٧٩
من أَسماء سورة النّحل .... ١ / ٣٥٩
هل يجوز أَن يقال : فلان خليفة اللّه في الأَرض .... ١ / ٤٦٩
خلافة آدم في الأَرض .... ١ / ١٦١

○ في القراءات :

فائدة في القراءات القرآنيّة ١/ ٣٢٢

○ في البلاغة :

من مقاصد التكرار في القرآن .... ٢ / ٤٥
التأكيد اللفظي ، هل وقع في القرآن ؟! .... ١ / ١٥٥
أَمثال القرآن .... ١ / ٢٢٦
آية فيها عشرة أَنواع من الخطاب .... ٢ / ١٥١
دلالة القرآن .... ١ / ٤٥٦

○ في الخصائص :

من خصائص السُّور المكيّة .... ١ / ٥١٦
من خصائص سورة العصر .... ١ / ٢٣٨

○ القرآن والكفّار

مناظرات القرآن مع الكفّار .... ١ / ٤٥٨
لطيفة حول مدح أَهل الكتاب وذمّهم في القرآن .... ١ / ٣٤٩

٤ - العلم

○ فضل العلم :

شرف العلم تابع لشرف معلومه .... ١ / ٢١٥

العلم هو الدَّليل على الإِخلاص .... ١ / ٣٠٣
من فروق تفضيل العلم .... ١ / ٣٠٤
العلم من أَحسن الجزاء .... ١ / ٥٠٧ - ٥٠٨
سلطان العلمِ أَعظم من سلطان اليد .... ١ / ٢٤٤
العلم دواء لأَمراض النّفس .... ٢ / ١٧٠

○ فضل حملة العلم :

الخلاف في تفضيل مداد العلماء على دَمِ الشهداء .... ١ / ٢٩٧
مقام الدّعوة إِلى الله أَفضل مقامات العبد .... ١ / ٤٧٤ ، ٤٧٦
ذهاب العلم بذهاب العلماء .... ١ / ٤٤٩
عدالة حملة العلم .... ١ / ٤٩٦
وضع الملائكة أَجنحتها رضًا على طالب العلم .... ١ / ٢٥٥
فائدة تشبيه العالِم بالقمر دون الشّمس .... ١ / ٢٥٩
فائدة تشبيه العالِم بالقَمر والنّجوم !! .... ١ / ٢٦٠
أَئمّة الإِسلام الميّتون كأَنّهم أَحياء .... ١ / ٤٣٧

○ حُكم العلم :

أَنواع العلم المفروض عَيْنيًّا .... ١ / ٤٨١
العلم المفروض تعلّمه ضربان .... ١ / ٤٨١
فرض الكفاية في العلم .... ١ / ٤٨٢
هل العلوم العربيّة فرض كفاية ؟! .... ١ / ٤٨٥
هل المنطق علم صحيح ؟! .... ١ / ٤٨٣

○ في الكيمياء :

بطلان صناعة الكيمياء .... ٢ / ٩٣

○ حقيقة العلم :

من فارق الدَّليل ضَلَّ السبيل .... ١ / ٣٠٤
بالصبر واليقين تنال الإِمامة في الدِّين .... ١ / ٣٠٠
زكاة العلم .... ١ / ٤١٧
العلم والقوّة قُطْبا السعادة .... ١ / ٤١٥
مجالس الذكر ، ما هي ؟ .... ١ / ٣٨٦
العلم أَوّل درجات اليقين .... ١ / ٤٧٨
مراتب العلم .... ١ / ٢٧٥ ، ٥١١
هل يستلزمُ العلمُ الاهتداءَ ؟! .... ١ / ٣١٥
مدارك العلم ثلاث .... ١ / ٣١٦
هل العلم صفة فعليّة أَو انفعاليّة ؟ .... ١ / ٣١٤

○ أَقسام النّاس في العلمِ :

أَصناف حملة العلم .... ١ / ٤٤٠
جواز إِخبار الرّجل بما عنده من العلم .... ١ / ٤٣٩
أَقسام النّاس بالنسبة للعلم ضمن حديث كُمَيل بن زياد .... ١ / ٤٠٥
أَقسام النّاس بالنسبة للعلم عُمومًا .... ١ / ٢٤٧
بين موسى والخضر .... ١ / ٢٣٦
بين فقه الفقهاء وكيد الشياطين .... ١ / ٢٦٩
بين العلم والعمل .... ١ / ٣٤٣
العلم والعمل ، منهما غاية ومنهما وسيلة .... ١ / ٥٣٥
أَسباب تخلّف إِفادة العلم لصاحبه ، وهي (موانع قَبول الحقّ) .... ١ / ٣٣٥

○ بين العلم والمال :

وجوه فضل العلم على المال .... ١ / ٤١٨

بين العلم والمال .... ١ / ٤١٦
بين صنيعة العلم وصنيعة المال .... ١ / ٤٣٨

○ الجهل :

من الّذي يُسَامَح : الجاهل أَم العالم ؟! .... ١ / ٥٢٨
ما عُصي اللهُ إِلّا بالجهل .... ١ / ٣٢١
من معاني (الجهل) .... ١ / ٣٤٤

○ قاعدة في العلم :

قاعدة شريفة .... ١ / ٢٥١

٥ - أُصول الفقه

□ في الحُكْم :

تعليق الأَحكام بأَوصاف الشّرع .... ٢ / ٥٣٦
الحكم ينتفي بانتفاء علّته .... ١ / ١٧٨
كيف يوجد الحُكم ؟ .... ١ / ٣٠٦
تعليل الحُكم الواحد بعلّتين .... ١ / ١٧٩
انقلاب المباحات إِلى طاعات .... ١ / ٤٨٨

○ الأَمر والنّهي :

بين النفي والإِثبات .... ٢ / ٣٧٤
اللوازم الفاسدة المترتّبة على الإِيجاب والتّحريم على الله .... ٢ / ٤٢٨
ما لا يتمُّ الواجبُ إِلّا به فهو واجب .... ١ / ٤٨٦
فرض الكفاية كفرض العين ، ولكن ... . ١ / ٤٨٣
لا وجوب ولا تحريم بدون الشّرع .... ٢ / ٤٢٦
لا إِيجاب ولا تحريم دون الشرع .... ٣ / ١٢

○ الإجماع :
إجماع المتكلمين ليس حُجَّة .... ٢ / ٣٥٦
○ القياس :
قياس الأَوْلى .... ٢ / ٤٨٠
قياس الدِّلالة .... ١ / ١٧٨
○ النسخ :
النسخ والحسن الذَّاتي .... ٢ / ٤٠٢
○ سدّ الذّرائع :
قاعدة سدّ الذرائع .... ٣ / ٣٧٩
○ مِن المصالح والمفاسد :
قاعدة تحصيل المصالح بحسب الإِمكان .... ٣ / ٣٥٧
تعارض المفسدة والمصلحة .... ٢ / ٣٥٩
القرآن والسُّنَّة مملوآن من تعليل الأَحكام بالحِكَم والمصالح .... ٢ / ٣٦٣
قاعدة دفع أَعظم المفسدتين بأَدناهما .... ٣ / ٣٥٦
قاعدة فقهيّة في حكم المولّدات مِن الوحشي والأَهليّ .... ٢ / ١٤٨ - ١٤٨
○ الشرط والمانع :
الحكم المعلّق بالشّرط .... ١ / ١٥١ - ١٥٢
فائدة حول قيام المانع وعدم الشّرط .... ١ / ٣٤٠
○ الغاية والوسيلة :
بين الغاية والوسيلة .... ١ / ٥٣٦
الغايات لا تنال إِلّا بأَسبابها .... ١ / ١٣٢

○ **التّحسين والتّقبيح العقلي :**

هل الحسن والقبح ذاتيّان ؟! .... ٢ / ٣٧٥

فصل الخطاب في إِثبات الحُسن والقبح العقليّين .... ٢ / ٤٠٣

التديّن بالشّرائع يقتضي الاستحسان والاستقباح .... ٢ / ٤٦٤

مسألة التحسين والتّقبيح العقليّين .... ٢ / ٣٣١

○ **الظاهر والمؤوّل :**

مكان الظاهر والتأَويل من النصوص .... ١ / ١٢٩ ، ١٦٢

○ **المقتضى :**

أَقسام المُقْتضى .... ١ / ٣٣٤

○ **كيف يعرف الحقّ ؟ :**

شناعة التّعبير واللّفظ لا تُبْطِل الحقَّ .... ٢ / ٤٦٣

الكثرة ليست دليلًا على الحقّ .... ١ / ٤٥٩

○ **الجزاء والعمل :**

الجزاء من جنس العمل .... ١ / ٢١١ ، ٢٧٤ . ٣ / ٢٧٧

٦ - الفقه

○ **فقه السَّلف والمذاهب :**

(الفقه) عند السَّلف .... ١ / ٣١٩

كيف تكون عبادة اللّه بالفقه ؟! .... ١ / ٣٩٠

مذهب أَهل المدينة .... ٣ / ١١٦

مذهب أَهل العراق .... ٣ / ١١٦

○ **في الطهارة :**

هل يستقبل الشمس والقمر عند التخلّي ؟! .... ٣ / ٢١٢
محاسن الوضوء بين يدي الصلاة .... ٥ / ٣٦٦
لماذا يؤمر الجنب بالوضوء عند النّوم ؟! .... ١ / ٤٦٨

○ **الصلاة ومتعلّقاتها**

نسخ الصلوات الخمسين .... ٢ / ٣٨٨
المقدَّم في الإمامة .... ١ / ٢٨٠
الصّلوات ذوات الأَسباب في وقت النهي .... ٢ / ٥٤٣
حُسْن الصلاة .... ٢ / ٣٢٠
الأَمر باستقبال الكعبة .... ٢ / ٣٨١
فرض الصلاة ركعتين ركعتين أَوّل الإِسلام .... ٢ / ٣٧٨
من استيقظ قبل طلوع الشّمس جُنُبًا .... ٢ / ٣٥٧

○ **الزّكاة :**

حسن الزّكاة .... ٢ / ٣٢١
هل تجب الزّكاة في المتولّد من الوحشي والأَهلي ؟ .... ٢ / ١٤٧

○ **الصيام :**

التخيير في الصوم أَوّل الإِسلام .... ٢ / ٣٧٦
حُسن الصَّوْم .... ٢ / ٣٢٢
حُكم من طلع عليه الفجر وهو مُجامع .... ٢ / ٣٥٤

○ **مناسك الحجّ والأُضحيّة :**

من ضاق عليه وقت الوقوف بعرفة والصلاة .... ٣ / ٣٥٦
حُسن الحجّ .... ٢ / ٣٢٣

حُسن الضحايا والهدايا .... ٢ / ٣٢٥

○ **الجنائز :**

ما هو الّذي يصل إلى الميّت ثوابه ؟! .... ١ / ٥٢٥

يموت العبد على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه .... ١ / ١٨٢

○ **النكاح :**

تحريم نكاح الأَمَة .... ٢ / ٣٦١

نسخ الاعتداد في الوفاةِ بحَوْلٍ .... ٢ / ٣٨٩

○ **الحدود :**

على من يترتّب الحدّ ؟ .... ١ / ٣٤٥

حبس الزّانية حتّى تموت .... ٢ / ٣٨٩

لا يُباح الزّنا بضرورة .... ٢ / ٣٦٢

○ **القصاص :**

منع جريان القصاص بين الولد والوالد .... ٢ / ٥٣٧

ما وردت به الشّريعة في القصاص وشروطه .... ٢ / ٥٣٤

﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ معناها ووجهها .... ٢ / ٥٢٧

○ **البيوع :**

تسوية المشركين بين الرِّبا والبَيْع .... ٢ / ٥٢٩

○ **الأَطعمة المحرّمة :**

حكم لبن الفرس التي طرقها حمار .... ٢ / ١٤٨

تحريم الميتة والدّم ولحمن الخنزير .... ٢ / ٣٥٩

○ **اللباس :**

الملابس المحرّمة .... ٢ / ٣٦١

فوائد أَنواع الكِساء .... ٢ / ١٣٧
الذّهب والفضّة .... ٢ / ٩٢

○ **الأَيمان والنُّذور :**

حسن الأَيمان والنّذور .... ٢ / ٣٢٥

○ **الجهاد :**

حسن الجهاد .... ٢ / ٣٢٣
تترّس الكفّار بأَسرى المسلمين .... ٢ / ٣٥٥

○ **الأَحكام :**

هاج البحر وفي السفينة قوم فهل يجوز رميُ أَحد منهم فيه بقرعة ؟ ... ٢ / ٣٥٨
من أُلْقِيَ في مركبهم نار هل يقون أَم يرمون أَنفسهم في البحر ؟! ... ٢ / ٣٥٥
حكم من توسّط قتلى لا يخرج إِلّا بقتل بعضِهم .... ٢ / ٣٥٤
حكم الأَرض المغصوبة .... ٢ / ٣٥٣
نسخ وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرّسول ﷺ .... ٢ / ٣٨٧

○ **الفرائض :**

ميراث الأَنبياء .... ١ / ٢٦٢ - ٢٦٤
نسخ الوصيّة للوالدين والأَقربين .... ٢ / ٣٨٨

٧ - الحديث

○ **من أَنواع الحديث :**

المرفوع حُكْمًا .... ١ / ٢٥٧
الحديث المقلوب .... ١ / ٢٦٦
المرسل .... ١ / ٤٩٨

من الأَحاديث المدرجة .... ٣ / ٢٨١
أَنواع خبر النّبي ﷺ .... ٣ / ٣٧٢
بين الرّفع والوقف في الحديث .... ١ / ٣٨٧
من اصطلاحات التّرمذي .... ١ / ٢٧٣
الشواهد والمتابعات .... ١ / ٢٨٧

○ من نُسَخ الحديث :

نسخة عمرو بن الحارث عن درّاج عن أَبي الهيثم .... ١ / ٢٨١

○ من رُواة الحديث :

اختلاف العلماء في رواية كثير بن عبدالله المزني .... ١ / ٢٨٦
من رواة أَحاديث الكسوف .... ٣ / ٢٢٨
من رواة حديث : « لا عدوى ولا طيرة » .... ٣ / ٣٦٣

○ من قواعد الحديث :

من أَدلّة قَبول خبر الواحد .... ١ / ٢٣٧
مَنْ كَتَبَ الحديث قويت حُجَّتُه .... ١ / ٥٠٣
الجمع بين بعض الأَحاديث .... ٣ / ٣٦٨

○ من فوائد الأَحاديث :

الكذّابون يروّجون دجلهم بنسبته إِلى عليّ رضي الله عنه .... ٣ / ٢٣٧
تخطئة عائشة في تخطئتها رواية بعض الصحابة .... ٣ / ٣٣٦
هل حديث النّهي عن وطء المرضع منسوخ ؟! .... ٣ / ٣٧٩
من أَسباب عدم فهم كلام النبيِّ ﷺ .... ٣ / ٣٨٢

○ وقفة مع بعض الأَحاديث :

أَحاديث عذاب القبر متواترة .... ١ / ٢٠٧

طرق حديث : « يحمل هذا العلم .... » .... ١ / ٤٩٧
من أَحاديث « الموطّأ » المقطوعة .... ٢ / ٩٧
فائدة حول حديث : « إِنّه قد كان قبلكم في الأُمم مُحَدَّثون » ..... ٢ / ١٨٠
وقفة مع حديث رواه مُسْلم .... ٢ / ١٩٠
الأَحاديث الواردة في ذَمّ الخوارج .... ٣ / ٢٣٢
ترجيح رواية « إِنْ كان الشؤم ففي ... » .... ٣ / ٣٣٧

○ مَن طعن بالسُّنَةِ :

جزاء الاستهزاء بالسُّنَّةِ .... ١ / ٢٥٦
مِن طعن أَعداء السُّنّة بالحديث النّبويّ .... ٣ / ٣٦٥

٨ - من عجائب المخلوقات

○ الإِنسان :

* جسم الإِنسان وعجائبه :

التفكّر في خلق الإِنسان .... ٢ / ٥
عجائب خلق الإِنسان .... ٢ / ١٨٦
من عجائب العطاس .... ٣ / ٣٥٩
أَنواع خلق الإِنسان .... ٢ / ١٤٩
من حِكَم الزّيادة والنّقص في بعض خلق النوع الإِنساني .... ٢ / ٢١١

* التذكير والتأنيث :

مسألة حُكم وحِكَم إِيلام الأَطفال .... ٢ / ٢٢٨
من حِكم اختصاص الرّجل بآلة النضج تناسليًّا .... ٢ / ١٩٢
أَصناف النّساء مع الرّجال .... ٢ / ١٨٨
سبب الإِذكار والإِيناث .... ٢ / ١٨٧

* **أَعضاء الإِنسان :**

* **الرأس والرّقبة :**

الرأس .... ٢ / ٨

* **الشعر واللحية :**

اللحية .... ٢ / ١٣، ١٨٧، ٢١٥

الشعر .... ٢ / ١٣

الرّقبة .... ٢ / ١٥

* **القلب وعمله :**

القلب .... ٢ /١٦

كيف ينتفع صاحب القلب بِما يُلْقَى إِليه ؟ .... ١ / ٥١٣

* **الدّماغ والعقل :**

الدّماغ .... ٢ / ١٧، ٢٢٠

لماذ جُعِلَ المُخُّ باردًا ؟! .... ٢ / ١٧

هل الحواسُّ والعقل مبدؤها القلب أَو الدِّماغ ؟ .... ٢ / ١٨

أَين موضع العقل ؟ .... ٢ / ٢٠

أَيُّهما أَرجح : العقل الغريزي أَم المكتسب ؟! .... ١ / ٣٨٤

من ممادح العقل .... ١ / ٣٨٣

أَسرار الحفْظِ والنسيان .... ٢ / ٢٣٦

مجرى الفكر ومتعلّقه .... ١ / ٥٤٦

* **الحواسّ :**

الحواسّ الخمس .... ٢ / ٢٠٣

* **السمع والبصر :**

البكاء .... ٢ / ٢٢٨

البصر .... ٢ / ٩
الأُذن .... ٢ / ٩
العين .... ٢ / ١٦
أَيُّهما أَقرب إِلى الكمال : الضرير أم الأَطرش ؟! .... ٢ / ٢٠٧
المفاضلة بين السمع والبصر .... ١ / ٣٥٤

* **الأَنف :**

حاسّة الشّمّ .... ٢ / ١٠
قصبة الأَنف .... ٢ / ١٠

* **الفم وما حوى :**

اللسان .... ٢ / ١١ ، ٢١٠ ، ٢١٧
الصوت .... ٢ / ٢١٦
الفم .... ٢ / ١٠ ، ١١ ، ٢١٩
الأَضراس .... ٢ / ٨
الأَسنان .... ٢ / ١٢
الشفتان .... ٢ / ١٢

* **اليد وتوابعها :**

الأَظفار .... ٢ / ١٤
الكفّ .... ٢ / ٢٢٥
اليدان .... ٢ / ١٤

* **الحنجرة :**

الحناجر .... ٢ / ١٣

* **الرّئة :**

الرّئة .... ٢ / ١٧

* **المعدة :**

المعدة .... ٢ / ٢١، ١٩٤

* **أَعضاء التناسل :**

النّطفة .... ٢ / ٦، ٢٣
آلات التناسل .... ٢ / ١٩٢

* **العظام :**

العظام .... ٢ / ٨

* **الدّم :**

دم الحيض .... ٢ / ٢٢٧

* **المرّة :**

المرّة .... ٢ / ٢٢

○ **النباتات :**

الشجر .... ٢ / ٣٧، ١١٢
النخلة .... ٢ / ١١٦
سرّ تمثيل النبيّ ﷺ النخلة بالإِنسان .... ٢ / ١١٦
المفاضلة بين العنب والنّخل .... ٢ / ١١٧
العجم والنّوى .... ٢ / ١٠٧
الرّمّان .... ٢ / ١٠٨
البُرُّ والشعير .... ٢ / ١١١
ورق الشّجر .... ٢ / ١٠٤
عروق النبات والشجر .... ٢ / ١٠٣
الخشب .... ٢ / ٢٢

الاستشفاء بالعسل وماء زمزم .... ٢ / ١٧١

○ **الحيوانات :**

اختلاف تكوّن الحيوانات بحسب اختلاف الحرارة والبرودة .... ٣ / ١٢٢
الفرس .... ٣ / ٢٤٠
البعير .... ٢ / ١٢٥
الأَسد .... ٢ / ٢٤٠
السَّبُع .... ٢ / ١٢٨
السِّنَّوْر .... ٣ / ٢٤٠
الضبع .... ٢ / ١٢٨
حكمة خلق الفيل دون عنق .... ٢ / ١٤٥
حمار نزا على فرس فأَحْبَلَها ما حكم لبنها ؟ .... ٢ / ١٤٨
حكمة طول عنق الزرافة .... ٢ / ١٤٩
ذنَب الدوابّ .... ٢ / ١٤٣
بول الخُفّاش هل هو نجس ؟.................... ٢ / ١٦٢
الخُفّاش .... ٢ / ١٦٣
النملة .... ٣ / ٢٤٠
من عجائب خلْقِ النمل .... ٢ / ١٥٠
من عجائب حِيَل العنكبوت .... ٢ / ١٥٣
المرجان .... ٢ / ٤٣

○ **الفلك والجمادات :**

* **في الأَرض :**

الأَرض .... ٢ / ٣١ ، ٨١

السهل والوعر من الأَرض .... ٢ / ٩٠
التّراب .... ٢ / ٩٤
أَطوار خلق التراب .... ١ / ١٦٣
حكمة اللّه في خلق الصحاري .... ٢ / ٩٥
الجبال .... ٢ / ٣٢ ، ٨٤
من الجبال المعظّمة .... ٢ / ٨٧
الزلازل .... ٢ / ٨١
*** في السماء :**
السماء .... ٢ / ٢٥ ، ٤٩
البروج .... ٢ / ٦٠
السحاب .... ٢ / ٣٥ ، ٧٨
*** حول الشمس والقمر :**
الشمس .... ٢ / ٢٦ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢
شروق الشمس .... ٢ / ٥٥
مواسم الإِسلام تُحْسَبُ على القمر وسيره .... ٣ / ١٩٠
من أَسباب الخسوف والكسوف .... ٣ / ٢١٣
*** حول الليل والنّهار :**
الليل والنّهار .... ٢ / ٣٩
الإِنارة في الليل .... ٢ / ٣٩
مقادير الليل والنّهار .... ٢ / ٥٦
المراد باختلاف الليل والنّهار .... ٢ / ٥١
النّور والإِضاءة في النّهار .... ٢ / ٥٤

○ حول الكواكب والنّجوم والمنجمين :

الكواكب .... ٢ / ٢٦ ، ٦٢

النجوم .... ٢ / ١١٣

الحكمة في كون بعض النّجوم راتبًا ، وبعضها متنقّلًا .... ٢ / ٦٣

من أَلوان الكواكب والنّجوم .... ٢ / ١١٣

من نَكْبات المُنَجّمين .... ٣ / ٧٨

بيان اختلاف المنجّمين .... ٣ / ٩٢

دلالة التجارب على كذب علم النّجوم .... ٣ / ٥٦

كذب المنجّمين على الأَنبياء .... ٣ / ٢٦١

مُحاورة حول علم النّجوم بين أَهله .... ٣ / ١٦٤

الشّافعي وعلم النّجوم .... ٣ / ٢٤٦

○ الفلك :

الفلك الدّوّار .... ٢ / ٦٤

بطلان قول من زعم أَنَّ الفَلَكَ قَديم أَبديّ .... ٣ / ٤٢

○ حول المياه والسفن :

الماء .... ٢ / ٤١ ، ٩٤

حكمة اللّه في كثرة الماء .... ٢ / ٩٥

مجاري الماء .... ٢ / ٣٧

الاستشفاء بماء زمزم .... ٢ / ١٧١

المطر .... ٢ / ٣٦

حكمة نزول المطر على الأَرض .... ٢ / ٩٧

الثلج .... ٢ / ٨٤

البحار .... ٢ / ٤١

السفن .... ٢ / ٣٥ ، ٤٣

○ **الهواء والرّياح :**

الهواء .... ٢ / ٣٣ ، ٧٨ ، ٩٤

الرّياح .... ٢ / ٣٣ ، ٩١

الرّيح .... ٢ / ٧٨

مهابّ الريح .... ٢ / ٨٣

○ **حول الفصول :**

الفصول الأَربعة .... ٢ / ٥٢

○ **حول النّار والحرّ والبرد :**

النّار .... ٢ / ٧٤ ، ٩٤

الحرّ والبرد .... ٢ / ٧٢

٩ - الحِكَم

سرُّ اقتران اسم (العزيز) بـ (الحكيم) .... ٢ / ٤٨٦

حكمة إِرسال الرّسل واحدًا بعد واحدٍ .... ٢ / ١٨١

الحكمة في إِرسال الرُّسل .... ٢ / ٤٩٣

من حِكَم ابتلاءِ الأَنبياء والرُّسل .... ٢ / ٤٨٩

حكمة أَمر إِبراهيم بذبح ولده .... ٢ / ٣٨٣

سرُّ تمام النّعمة وكمال الدِّين .... ٣ / ٣٠٩

حكمة خفاء الغيب عن الخلق .... ٣ / ١٥١

لماذا سَلَّطَ اللّه على آدمَ وذرّيته إِبليس ؟ .... ١ / ١١٣

حكمة الصلاة أَوّلًا إِلى بيت المقدس .... ٢ / ٣٧٨
حكمة اللّه في مسخ الأُمم .... ٢ / ١٨٠
حكمة اللّه في عقوبات الأُمم .... ٢ / ١٧٩
من أَسباب تحويل الأَسماء القبيحة إِلى حَسَنة .... ٣ / ٣٢٥
حكمة ارتباط الأَسماء بالمسمّيات .... ٢ / ١٤٠
من أَسرار محبّة استعمال اليُمْنىٰ .... ٣ / ٣٢٩
حكمة اللّه سبحانه في عِزّة الذّهب والفضّة .... ٢ / ٩٢
حكمة إِباحة الغنائم .... ٢ / ٣٧٧
من أَسرار بعض الأَدعية .... ٣ / ٣٥٧
من حِكَم نسخ الشّرائع .... ٢ / ٣٧٦
حِكَم الأَحكام المنسوخة .... ٢ / ٣٨٥

١٠ - مكارم الأَخلاق والسلوك

أَهميّة تربية الأُمّة .... ١ / ٢٦٢
من موجبات الفِكْرة .... ١ / ٥٤٩
الثبات والعزيمة جماع الفلاح .... ١ / ٤٤٦
الحياء .... ٢ / ٢٣٧
النظر في آيات اللّه بالبصيرة الباطنة .... ٢ / ٢٩
من فوائد الدّعوة إِلى اللّه .... ١ / ٢٧٨
فضيلة الشيء تعرف بضدّه .... ١ / ٣١٥
الإِنسان بين المعاصي وترقّب الموت .... ٢ / ٢٥٢
صدور الطاعات عن الخوف المحض .... ٢ / ٥١٣
العقبات الشيطانيّة .... ١ / ٣٧٢

القلب والشبهات .... ١ / ٢٤٩
مرضا الشهوات والشبهات أَصل داء الخَلْق .... ١ / ٣٦٧
من مساوئ الكَسَل .... ١ / ٣٧٥
هل البخل مستلزم الجبن ؟! .... ١ / ٣٧٧
آفات الغنىٰ .... ١ / ٤٢٦
هل يَحْسُنُ الكذبُ لحالٍ ؟! .... ١ / ٣٩٥
مفاسد الكذب .... ٢ / ٤٧٩
حول كذبات إِبراهيم عليه السلام .... ٢ / ٣٩٥
النّاظِر بِعَيْنِ البُغْضِ يرى المحاسن مساوىء .... ٢ / ٤٧٤

○ الحقّ

مشاركة أَهل الباطل لأَهل الحقّ في مسأَلة .... ١ / ١٦٩
قاعدة في قَبول الحقّ .... ١ / ٤٤٤
من وجوه معرفة الحقّ .... ٢ / ٤٣٩
حال المحقّ مع الحقّ .... ٢ / ٤٤١
الكشف بين الحقّ والباطل .... ٣ / ٢٤٢
غربة المؤمن في دنياه .... ١ / ٤٦٨
موانع قَبول الحقّ .... ١ / ٣٣٥

١١ - الفضائل

فضل السجود للّه .... ٢ / ٣٩٧
فضل الصحابة .... ٢ / ٢٨٨
الصِّدّيق أَفضل الأُمّة .... ١ / ٣٠٢
بين فضل عمر وفضل أَبي بكر .... ٢ / ١٨٢

من موافقات عمر لربِّه سبحانه .... ٣ / ٣٢٨
فضل التّوبة .... ٢ / ٢٥٨
فضل الكتابة .... ٢ / ٢٣٩
خير الأُمّة إِلى آخر الدَّهر .... ١ / ٤٥١
فضل العسل على الشُكّر .... ٢ / ١٦٩
ما هي أَفضل الأَعمال بعد الفرائض ؟! .... ١ / ٣٩١ ، ٣٩٤
من عيون الأَعمال الصالحة .... ١ / ٣٨١

١٢ - في علوم اللُّغةِ

○ من معاني الحروف :
باء السببيّة ، وباء المعاوضة .... ١ / ١٢٠
« إِنْ » و « ما » في اللغة .... ١ / ١٧٦
« إِذا » الشّرطيّة .... ١ / ١٧٧
من معانيِ حروف (على) .... ١ / ٤١١
زيادة الأَلف والنون في النّسب للمبالغة .... ١ / ٤٠٦
دخول (التاء) للعدل عن الاسم .... ١ / ٤٧٣
دخول (التّاء) للمبالغة .... ١ / ٤٧٣
من معاني الحروف في اللغة .... ١ / ٥٢٣
○ الإِضافة :
الإِضافة .... ١ / ٢٠٤
من معاني (الإِضافة) في اللغة .... ١ / ٤٧٣
○ الفعل :
دلالة الفعل المضارع .... ١ / ١٨٠

بين الفعل واسم الفاعل .... ١ / ٢٩٤

○ **متفرقات في اللغة :**

الارتباط بين الأَسماء والمسمّيات .... ١ / ٣٤٩

الجملة الحاليّة .... ١ / ١٥٥

وقوع الشرط بين علّة ومعلول .... ١ / ١٧٩

الاسم الموصول يفيد العموم .... ١ / ١٩٣

جمع التصحيح .... ١ / ١٩٨

معنى (الخُلد) في اللغة .... ١ / ١٥٢

التشْميت والتّسميت لُغَةً ومعنًى .... ٣ / ٣٦٠

١٣ - المعاني

○ **من معاني بعض الكلمات :**

معنى (التلاوة) .... ١ / ٢٠٢

معنى (التوفيق) .... ٢ / ٢٦٤

معنى (الربّاني) لغة واصطلاحًا .... ١ / ٤٠٥

معنى (البركة) .... ١ / ٥٢٤

معنى (الحكمة) .... ١ / ٢٢٧ ، ٢٨٣

معنى (العمى) في الآخرة .... ١ / ٣٧١

معنى (الهداية) .... ١ / ٣٠٥

معنى (النزول والإِهباط) .... ١ / ١٦٨

ما هما هبوطا آدم ؟! .... ١ / ١٥٣

معنى (الاستنباط) .... ٢ / ٥٤٤

المعاني المستنبطات من الأَحكام .... ٢ / ٥٤١

معنى استعتاب الله عبده .... ١ / ٣٩٨

معنى تسبيح المخلوقات .... ٢ / ١٠٥

○ **معاني بعض الآيات :**

معنى الشهيد في ﴿ لتكونوا شهداء على النّاس ﴾ .... ١ / ٥١٥

معنى ﴿ والبحر المسجور ﴾ .... ٢ / ٤٢

معنى ﴿ مواقع النّجوم ﴾ .... ٣ / ١٨١

تفسير ﴿ أُولي الأَمر ﴾ .... ١ / ٤٣٦

○ **من معاني بعض الأَحاديث :**

معنى قوله ﷺ : « يطعمني ربّي ويسقيني » .... ١ / ١٨٤

معنى « إِذا لم تستح فاصنع ما شئت » .... ٢ / ٣٨

○ **من معاني بعض الأَمثال :**

مَنْ ودّك لأَمرٍ وَلّى عند انقضائه .... ١ / ١١٤

ضرب فلان أَخماسه في أسداسه .... ٢ / ٢٠٣

○ **معاني متفرقة :**

كيف خُلِق الإِنسان من عَجَلٍ .... ١ / ١٢١

ماهيّة الوسوسة .... ١ / ١٢٩ ، ١٣٩

حَدّ البُخْل .... ١ / ٣٨٢

الطيّبات والخبائث .... ٢ / ٣٢٨

بين المعنى واللّفظ .... ١ / ٢٨٠

الشبهة ؛ معناها وخطرها .... ١ / ٤٤٢

معنى (المحدَّث الملْهَم) .... ٣ / ٣٢٧

استعمال (كذب) بمعنى (أَخطأَ) .... ٣ / ٣٣٥

مُسَمّى الحياة (حقيقته) .... ١ / ١٨٣

١٤ - القواعد

محبّة الشيء وطلبه من لوازم تصوّره .... ١ / ١٢١
المعاملة بنقيض القصد .... ١ / ١٥٥
الغايات أَشرف من الوسائل .... ١ / ٤٢٨
قاعدة ذهبيّة في رَدِّ الشبهات .... ١ / ٤٤٣
ذَمّ الأَكثريّة .... ١ / ٤٦٠
الأَمر بالإِعراض عن الكافرين .... ٢ / ٣٧٨
الشرائع جاءت بمحارات العقول ، لا مُحَالاتها .... ٢ / ٤٤٣
أَدلّة الباطل دليلُ بُطلانِه .... ٢ / ٥٤١
لِأَوائل الأَشياءِ مزيّة القوّة .... ٣ / ٢٣٨
العلم الصحيح لا بُدّ له من براهين يستند إِليها .... ٣ / ٥٢
من أَخطاء الاصطلاحات الحادثة .... ٣ / ٣٨٣
مَن فارقَ الدليل ضلَّ السَّبيل .... ١ / ٣٠٤

١٥ - التاريخ

○ من تاريخ العرب قبل الإِسلام وبعده :

حال العرب قَبل الإِسلام وبعده .... ٣ / ٣١٠
من مذاهب العرب في تسمية الأَشياء .... ٣ / ٣١٠

○ من تاريخ الصحابة :

لم يكن في الصحابة أَطرش .... ٢ / ٢٠٨
خروج علي إِلى الكوفة لمحاربة أَهل الشام .... ٣ / ٦٠

قتال عليّ للخوارج .... ٣ / ٢٣٣

○ من تاريخ المسلمين ودولهم وحروبهم :

غلبة عُبَيْدالله بن زياد للمختار بن أَبي عبيد .... ٣ / ٦٠

موت المنصور بطريق مكّة .... ٣ / ٦٢

فتح عمّوريّة .... ٣ / ٦٣

نزول الفرنج بدمياط .... ٣ / ٧٣

انقضاء دولة العبيديّين .... ٣ / ٦٧

قصّة القرامطة .... ٣ / ٦٤

من عادات أَهل مصر .... ٣ / ١٤٢

○ من تاريخ بناء المدن :

تاريخ بناء بغداد .... ٣ / ٦٢

بناء مدينة القاهرة .... ٣ / ٦٥

○ تاريخ تحريف النصرانيّة :

تاريخ التثليث في النصرانيّة .... ٣ / ٨٧

١٦ - الفروق

الفرق بين الأُمّة والإِمام .... ١ / ٥٢٣

الفرق بين الحجج والبيّنات .... ١ / ٤٥٣

الفرق بين قيام الحجّة بالعلم ، وسَلْبه ونفيه بالطبع والختم !! ...... ١ / ٣٤٦

الفرق بين العيان والخبر .... ١ / ٤٧٩

الفرق بين التذكّر والتفكّر .... ٢ / ٦٧

الفرق بين ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وبين (القتل أَنفى للقتل) ٢ / ٥٢٩

الفرق بين نظر الطبيب والطبائعي .... ٢ / ٢٣٥

الفرق بين الحسد والغبطة .... ١ / ٢٥١
الفرق بين الهمّ والحزَن .... ١ / ٣٧٦
الفرق بين التّورية والكذب .... ٢ / ٣٩٥
الفرق بن الفأل والطِّيرة .... ٣ / ٣٢٢

١٧ - أَقسام وأَنواع

مراتب الهداية .... ١ / ٣٠٧
أَنواع السعادات .... ١ / ٣٦٠
مراتب الكمال .... ١ / ٢٩٨ ، ٣٩٦
مراتب غاية الكمال .... ١ / ٢٣٨
مراتب غاية الكمال .... ١ / ٢٣٨
أقسام أَصحاب البصائر .... ٢ / ٣١١
أَنواع المدّعين الحقَّ .... ١ / ٥١٧
مراتب اليقين .... ١ / ٣٥٧ ، ٤٦٣
مراتب الإِدراك .... ١ / ٤٠٩
أَسماء الفكر والتفكّر .... ١ / ٥٤٤
المنتفعُ بالآيات من النّاس نوعان .... ١ / ٥١٦
أَقسام النّاس في مقصود الشّرائع .... ١ / ٢٤
أَقسام النّاس .... ١ / ٢٣٥
أَقسام أَهل الدنيا .... ١ / ٥٣٧
أَقسام النّاس بالنّسبة إِلى الغفلة والكسل .... ١ / ٣٧٨
ذهاب الإِسلام على يدي أَربعة أَصناف من النّاس .... ١ / ٤٩٠
مشاهد الخلق في مواقعة الذنب .... ٢ / ٢٥٤

أَقسام العقل .... ١ / ٣٨٤
المقارنة بين أَنواع اللّذات .... ١ / ٤٣٠ ، ٤٤٧
مراتب الوجود .... ١ / ٢٤٣
أَنواع الجهاد .... ١ / ٢٧١
أَقسام الخوف .... ١ / ١٨٠
أَجناس العدوى .... ٣ / ٣٦٦
أقسام الطّالع عند المُنجّمين .... ٣ / ٢٤٩
من صِيَغ القسم وأَقسامه .... ٣ / ٦
أَنواع الثناء على إِبراهيم عليه السلام في آية .... ١ / ٥٢٣
أَنواع التفكّر في القرآن .... ١ / ٥٥٤
أَقسام القرآن .... ٢ / ٢٤

٨ - قائمة المراجع والمصادر

(أ)

١ - « الآحاد والمثاني » : ابن أَبي عاصم ، السعودية .
٢ - « الآداب » : البيهقي ، بيروت .
٣ - « آداب الشافعي ومناقبه » : لابن أَبي حاتم ، مصر .
٤ - « الآداب الشرعيّة » : ابن مُفلح ، مصر .
٥ - « الإِبانة الكبرى » : ابن بطّة ، السعودية .
٦ - « ابن القيّم حياته وآثاره » : بكر بن عبدالله أَبو زيد ، السعودية .
٧ - « إِتحاف ذوي الشَّرف بطرق حديث « يحمل هذا العلم من كلِّ خلف .. » : علي بن حسن ، مخطوط
٨ - « إِتحاف السادة المتقين شرح « إِحياء علوم الدين » » : الزَّبيدي ، مصر .
٩ - « الإِتقان في علوم القرآن » : السُّيوطيّ ، مصر .
١٠ - « إِثبات عذاب القبر » : البيهقي ، مصر .
١١ - « الإِجابة لإِيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » : الزركشي ، بيروت.
١٢ - « الإِجابة على أَحاديث المصابيح » : ابن حَجَر ، بيروت .
١٣ - « أَحكام الجنائز » : الأَلباني ، السعودية .
١٤ - « الإِحكام في أُصول الأَحكام » : ابن حزم ، مصر .
١٥ - « إِحكام المباني » : علي بن حسن ، السعودية .
١٦ - « أَخبار أَصبهان » : أَبو نُعيم الأَصبهاني ، إِيران .

١٧ - « أَخبار الحكماء » : القِفْطي ، مصر .
١٨ - « الأَخبار الطِّوال » : الطبراني ، العراق .
١٩ - « اختيارات شيخ الإِسلام ابن تيميّة » : البَعْلي ، مصر .
٢٠ - « أَخلاق العلماء » : الآجريّ ، الكويت .
٢١ - « أَخلاق النبيّ » : أَبو الشيخ ، مصر .
٢٢ - « الأَدب المفرد » : البخاري ، مصر .
٢٣ - « الأَذكار » : النووي ، مصر .
٢٤ - « الأَربعون حديثاً في الدّعوة والدُّعاة » : علي بن حسن ، السعودية .
٢٥ - « الأَربعون حديثاً في الشخصيّة الإِسلاميّة » : علي بن حسن : السعودية.
٢٦ - « الأَربعون الصغرى » : البيهقي ، بيروت .
٢٧ - « إِرواء الغليل » : الأَلباني ، بيروت .
٢٨ - « أَساس البلاغة » : الزمخشري ، مصر .
٢٩ - « أَسباب النزول » : الواحديّ ، مصر .
٣٠ - « الاستذكار » : ابن عبدالبرّ ، مصر .
٣١ - « الاستغنى في الكُنى » : ابن عبدالبرّ ، السعودية .
٣٢ - « الاستيعاب » ابن عبد البَرّ ، مصر .
٣٣ - « الأَسرار المرفوعة » : علي القارئ ، بيروت .
٣٤ - « الإِسعاف في تخريج أَحاديث الكشّاف » : الزيلعي ، تحقيق علي بن حسن ، مخطوط .
٣٥ - « الأَسماء والصفات » : البيهقي ، مصر .
٣٦ - « الإِصابة في تمييز الصحابة » : ابن حَجَر ، مصر .
٣٧ - « أَطراف المسند المعتلي » : ابن حَجَر ، دمشق .
٣٨ - « الإِعتقاد » : البيهقي ، مصر .

٣٩ - « الاعتقاد الخالص » : ابن العطّار ، السعودية .
٤٠ - « إعلام الموقّعين » : ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .
٤١ - « إغاثة اللهفان » : ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .
٤٢ - « اقتضاء الصراط المستقيم » : ابن تيميّة ، السعودية .
٤٣ - « اقتضاء العلم العمل » : الخطيب البغدادي ، دمشق .
٤٤ - « الإكمال » : ابن ماكولا ، الهند .
٤٥ - « الإلماع » : القاضي عياض ، مصر .
٤٦ - « أمالي الأذكار » : ابن حَجَر ، العراق .
٤٧ - « أمالي الشجري » ، مصر .
٤٨ - « الأمالي » : القالي ، مصر .
٤٩ - « أمالي عبدالرزّاق » ، مخطوط .
٥٠ - « الأمالي » : المحاملي ، السعودية .
٥١ - « الإمتاع والمؤانسة » : التوحيدي ، مصر .
٥٢ - « الأمثال » : أبو الشيخ ، الهند .
٥٣ - « الأمثال » : أبو عبيد القاسم بن سلّام - بشرح البَكْري - ، بيروت .
٥٤ - « الأمثال » : الرّامَهُرْمُزيّ ، الهند .
٥٥ - « الأمكنة والمياه » : الإسكندري ، مخطوط .
٥٦ - « الأنساب » السمعاني ، الهند .
٥٧ - « الإيمان » : ابن أبي شيبة ، دمشق .
٥٨ - « الإيمان » : أبو عبيد القاسم بن سلّام ، دمشق .
٥٩ - « الإيمان » : ابن مَندة ، السعودية .

(ب)

٦٠ - « الباعث الحثيث » : أَحمد شاكر ، السعودية .

٦١ - « بدائع التفسير عن ابن القَيِّم » ، يسري السيّد ، السعودية .

٦٢ - « بدائع الفوائد » : ابن القيِّم ، مصر .

٦٣ - « البداية والنهاية » ابن كثير ، مصر .

٦٤ - « البدع والنهي عنها » : ابن وضّاح ، دمشق .

٦٥ - « بذل الماعون » : ابن حَجَر ، السعودية .

٦٦ - « البرهان في معرفة عقائد أَهل الأَديان » : السكسكي ، مصر .

٦٧ - «ا لبعث والنّشور » : البيهقي ، بيروت .

٦٨ - « بغية المُلْتَمِس » : العلائي ، بيروت .

٦٩ - « البيان والتحصيل » : ابن رُشْد ، بيروت .

(ت)

٧٠ - « تاريخ الإِسلام » : الذّهبي ، بيروت .

٧١ - « تاريخ ابن جرير الطبري » ، مصر .

٧٢ - « تاريخ ابن خلدون » ، مصر .

٧٣ - « تاريخ ابن الفرضي » ، مصر .

٧٤ - « تاريخ ابن مَعين » ، السعودية .

٧٥ - « تاريخ بغداد » : الخطيب ، مصر .

٧٦ - « تاريخ الحكماء » : البيهقي ، دمشق .

٧٧ - « تاريخ الخلفاء » : السيوطي ، مصر .

٧٨ - « تاريخ دمشق » : ابن عساكر ، مخطوط .

٧٩ - « تاريخ قزوين » : الرافعي ، إِيران .

٨٠ - « التاريخ الكبير » البخاري ، الهند .

٨١ - « تأويل مختلف الحديث » : ابن قتيبة ، بيروت .

٨٢ - « التبصير في الدِّين » : الإِسْفراييني ، بيروت .

٨٣ - « التبيان في أَقسام القرآن » ابن قيّم الجوزيّة ، الأُردن .

٨٤ - « تجريد أَسماء الصحابة » : الذهبي ، مصر .

٨٥ - « تجريد التوحيد المفيد » : المقريزي ، الأُردن .

٨٦ - « التحذيرات من الفتن العاصفات » : علي بن حسن ، الأُردن .

٨٧ - « تحفة الأَشراف » : المزّيّ ، الهند .

٨٨ - « تحفة المودود » : ابن قيّم الجوزيّة ، بيروت .

٨٩ - « تحقيق الخلاف في مسألة الأَعراف » : مرعي الكرمي ، الأُردن .

٩٠ - « تخريج الإِحياء » : العراقي ، مصر .

٩١ - « تخريج الأَربعين السلميّة » : السخاوي ، الأُردن .

٩٢ - « تدريب الراوي » : السيوطي ، مصر .

٩٣ - « التذكرة » : الزركشي ، بيروت .

٩٤ - « تذكرة الموضوعات » : المتّقي الهندي ، مصر .

٩٥ - « تذكرة الموضوعات » : ابن طاهر ، مصر .

٩٦ - « الترغيب » : ابن شاهين ، السعودية .

٩٧ - « الترغيب والترهيب » : الأَصبهاني ، السعودية .

٩٨ - « الترغيب والترهيب » : المنذري ، مصر .

٩٩ - « التصفية والتربية وأَثرهما في استئناف الحياة الإِسلاميّة » : علي بن حسن ، السعودية .

١٠٠ - « التعريفات » : الجُرْجاني ، بيروت .

١٠١ - « تعظيم قدر الصلاة » : ابن نصر ، السعودية .

١٠٢ - « تغليق التعليق » : ابن حجر ، الأُردن .
١٠٣ - « تفسير ابن جرير الطبري » : تحقيق أَحمد شاكر ، مصر .
١٠٤ - « تفسير ابن جرير الطبري » : بيروت .
١٠٥ - « تفسير ابن أَبي حاتم » ، السعودية .
١٠٦ - « تفسير ابن كثير » ، بيروت .
١٠٧ - « تفسير البغويّ » ، السعودية .
١٠٨ - « تفسير سفيان بن عيينة » ، بيروت .
١٠٩ - « تفسير عبدالرزّاق » السعودية .
١١٠ - « تفسير غريب القرآن » ابن قتيبة ، مصر .
١١١ - « تفسير الماورديّ » ، مصر .
١١٢ - « تقدمة الجرح والتعديل » : ابن أَبي حاتم ، الهند .
١١٣ - « التكملة » : المنذري ، بيروت .
١١٤ - « التلخيص الحبير » : ابن حَجَر ، مصر .
١١٥ - « تمام المنّة في التعليق على فقه السنّة » : الأَلباني ، السعودية .
١١٦ - « التمهيد » : ابن عبد البرّ ، المغرب .
١١٧ - « التنبيهات اللطيفة » : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، السعودية .
١١٨ - « تنزيه الشَّريعة » : ابن عِرَاق الكِنَاني ، مصر .
١١٩ - « تنقيح التحقيق » : ابن عبدالهادي ، الإِمارات المتحدة .
١٢٠ - « التنكيل » : المُعَلِّمي ، السعودية .
١٢١ - « تهذيب الآثار » : الطبري ، السعودية .
١٢٢ - « تهذيب الأَسماء واللغات » : النووي ، مصر .
١٢٣ - « تهذيب التهذيب » : ابن حجر ، الهند .
١٢٤ - « تهذيب سنن أَبي داود » : ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .

١٢٥ - « تهذيب الكمال » : المِزّي ، بيروت .
١٢٦ - « التوسّل » : الأَلباني ، بيروت .
١٢٧ - « التوقيف على مهمّات التعاريف » : المُناوي ، دمشق .
١٢٨ - « التوكّل » : ابن أَبي الدنيا ، الكويت .
١٢٩ - « التيسير » : المُناوي ، مصر .
١٣٠ - « تيسير الكريم الرّحمن » : عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، السعودية .
١٣١ - « تمييز الطيّب من الخبيث » ، ابن الدَّيْبَع ، مصر .
١٣٢ - « تمييز المحظوظين من المحروحين » : محمد بن سلطان المعصومي ، السعودية .

(ث)

١٣٣ - « الثقات » : ابن حبّان ، الهند .

(ج)

١٣٤ - « جامع ابن وهب » مصر .
١٣٥ - « جامع الأُصول » ابن الأَثير ، دمشق .
١٣٦ - « جامع بيان العلم وفضله » : ابن عبدالبَرّ ، السعودية .
١٣٧ - « جامع التحصيل » : العلائي ، العراق .
١٣٨ - « جامع العلوم والحكم » : ابن رجب الحنبلي ، بيروت .
١٣٩ - « الجامع الكبير » : السيوطي ، مصر .
١٤٠ - « جامع مَعْمَر بن راشد » ، بيروت .
١٤١ - « الجرح والتعديل » : ابن أَبي حاتم ، الهند .
١٤٢ - « جزء حديث « يحمل هذا العلم » : علي بن حسن ، مخطوط .
١٤٣ - « جزء « مَنْ كَذَبَ عَلَيّ » : الطبرانيّ ، الأُردنّ .

١٤٤ - « الجليس الصالح الكافي والأَنيس الناصح الشّافي » النهرواني ، مصر - بيروت .
١٤٥ - « جمع الجوامع » : السيوطي ، بيروت.
١٤٦ - « جَنَى الجنّتين » : المُحبّي ، مصر .
١٤٧ - « جلاء الأَفهام » : ابن القيّم ، مصر .

(ح)

١٤٨ - « حادي الأَرواح » : ابن القيّم ، مصر .
١٤٩ - « حجّة القراءات » : ابن زنجلة ، بيروت .
١٥٠ - « حديث أَبي الفضل السّهلكي » : مخطوط.
١٥١ - « حُسن المحاضرة » : السيوطي ، مصر .
١٥٢ - « الحِطّة » : صدِّيق حسن خان ، الأُردن .
١٥٣ - « حقيقة الصيام » : ابن تيميّة ، بيروت .
١٥٤ - « حكم تارك الصلاة » : الأَلباني ، السعودية .
١٥٥ - « حكم الدّين في اللحية والتدّخين » : علي بن حسن ، الأردن .
١٥٦ - « الحلية » : أَبو نُعيم الأَصبهاني ، مصر .
١٥٧ - « حياة الحيوان » : الدَّميري ، مصر .
١٥٨ - « الحيوان » الجاحظ ، مصر .

(خ)

١٥٩ - « خزانة الأَدب » : البغدادي ، مصر .
١٦٠ - « خطبة الحاجّة » : الأَلباني ، بيروت .
١٦١ - « الخِلَعِيّات » : الخِلَعي ، مخطوط .
١٦٢ - « خَلْق أَفعال العباد » : البخاري ، الكويت .

(د)

١٦٣ - « الدّاء والدّواء » ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .

١٦٤ - « درء تعارض العقل والنّقل » : ابن تيميّة ، السعودية .

١٦٥ - « الدرّ المنثور » : السيوطي ، مصر .

١٦٦ - « الدّرر الغالية في آداب الدّعوة والدّاعية » : ابن باديس ، السعودية .

١٦٧ - « الدّرر المنتثرة » : السيوطي ، مصر .

١٦٨ - « الدّعاء » : الطبرانيّ ، بيروت .

١٦٩ - « الدعوات الكبير » : البيهقي ، الكويت .

١٧٠ - « دلائل النبوّة » : البيهقي ، بيروت .

١٧١ - « دلائل النبوّة » : أَبو نُعيم الأَصبهانيّ ، دمشق .

١٧٢ - « ديوان أَبي تمّام الطّائي » ، مصر .

١٧٣ - « ديوان عمر بن أَبي ربيعة » ، مصر .

١٧٤ - « ديوان قيس بن الملُوَّح » ، مصر .

١٧٥ - « ديوان المتنبي : بشرح اليازجي » ، مصر .

(ذ)

١٧٦ - « ذخائر التراث العربي الإِسلامي » : عبد الجبّار عبدالرحمن ، العراق .

١٧٧ - « ذمّ المسكر » : ابن أَبي الدنيا ، بيروت .

١٧٨ - « ذمّ من لم يعمل بعلمه » : ابن عساكر ، الأُردنّ .

١٧٩ - « ذيل طبقات الحنابلة » : ابن رجب الحنبلي ، مصر .

(ر)

١٨٠ - « الرّد على الجهميّة » (مجموعة عقائد السلف) : الإِمام أَحمد ، مصر.

١٨١ - « الرّد على المنطقيين » : ابن تيميّة ، مصر .

١٨٢ - « رسالة أَحمد إِلى عبدوس » .
١٨٣ - « رسائل الإِصلاح » : الخضر حسين ، مصر .
١٨٤ - « رغبة الآمِل » : نصر الهوريني ، مصر .
١٨٥ - « رواية عمرو بن شعيب عن أَبيه عن جَدّه » : أَحمد بن عبدالله ، رسالة ماجستير - مخطوط .
١٨٦ - « الروح » : ابن قيّم الجوزيّة ، الأُردنّ .
١٨٧ - « الرّوض البَسَّام في ترتيب فوائد تمام » : جاسم الدّوسري ، بيروت .
١٨٨ - « روضة المحبّين » : ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .

(ز)

١٨٩ - « زاد المسير في علم التفسير » : ابن الجوزي ، دمشق .
١٩٠ - « زاد المعاد » : ابن قيّم الجوزية ، بيروت .
١٩١ - « الزُّهد » : عبدالله بن المبارك ، الهند .
١٩٢ - « الزهد » : أَحمد بن حنبل ، مصر .
١٩٣ - « الزّهد » : ابن أَبي عاصم ، الهند .
١٩٤ - « الزّهد » : البيهقي ، الكويت .
١٩٥ - « الزّهد » وكيع بن الجرّاح ، السعودية .
١٩٦ - « زوائد « الزهد » » : عبدالله بن أَحمد - ضمن « الزهد » ، مصر.
١٩٧ - « زوائد الزّهد » : نُعيم بن حمّاد - ضمن « الزّهد » - ، الهند .
١٩٨ - « زوائد « المسند » » : عبدالله بن أَحمد - ضمن « المسند » - ، مصر .

(س)

١٩٩ - « السَّبيل الهادّ » : مساعد الرّاشد ، دمشق .
٢٠٠ - « سلسلة الأَحاديث الصحيحة » : الأَلباني ، السعودية .

٢٠١ - « سلسلة الأَحاديث الضعيفة » : الأَلباني ، السعودية .
٢٠٢ - « سنن ابن ماجة » ، مصر .
٢٠٣ - « سنن أَبي داود » ، مصر .
٢٠٤ - « سنن البيهقي الكبرى » ، الهند .
٢٠٥ - « سنن التّرمذي » ، مصر .
٢٠٦ - « سنن الدّارقطني ، مصر .
٢٠٧ - « سنن الدّارميّ » ، دمشق .
٢٠٨ - « سنن سعيد بن منصور » ، الهند .
٢٠٩ - « سنن الشافعي » ، مصر .
٢١٠ - « سنن النّسائي المجتبى » ، مصر .
٢١١ - « سنن النّسائي الكبرى » ، بيروت .
٢١٢ - « السنّة » : ابن أَبي عاصم ، بيروت .
٢١٣ - سؤالات ابن الجُنَيد ، السعودية .
٢١٤ - « سؤالات البرقاني » ، السعودية .
٢١٥ - « سير أَعلام النبلاء » : الذّهبي ، بيروت .
٢١٦ - « سيرة ابن إِسحاق » ، تركيا .
٢١٧ - « سيرة ابن هشام » ، بيروت .
٢١٨ - « سيرة عمر بن عبدالعزيز » ، الآجُرّي ، بيروت .

(ش)

٢١٩ - « شرح الأُبّي على مسلم » ، بيروت .
٢٢٠ - « شرح أُصول اعتقاد أَهل السنّة » : اللالكائي ، السعودية .
٢٢١ - « شرح السنّة » : البغوي ، بيروت .

٢٢٢ - « شرح صحيح مسلم » : النّووي ، مصر .
٢٢٣ - « شرح الطحاوية » : ابن أَبي العزّ الحنفي ، بيروت .
٢٢٤ - « شرح قواعد الإِعراب » : ابن هشام ، مصر .
٢٢٥ - « شرح الكوكب المنير » : ابن اللحّام ، السعودية .
٢٢٦ - « شرح المسند » : أَحمد شاكر ، مصر .
٢٢٧ - « شرح معاني الآثار » : الطَّحاوي ، مصر .
٢٢٨ - « شرح الموطّأ » : الزّرقاني ، مصر .
٢٢٩ - « شرح نهج البلاغة » : ابن أَبي الحديد ، مصر .
٢٣٠ - « شرف أَصحاب الحديث » : الخطيب البغدادي ، تركيا
٢٣١ - « الشَّريعة » : الآجريّ ، مصر .
٢٣٢ - « شعب الإِيمان » : البيهقي ، الهند .
٢٣٣ - « شفاء العليل » : ابن قيم الجوزيّة ، السعودية .
٢٣٤ - « الشكر » : ابن أَبي الدنيا ، الكويت .

(ص)

٢٣٥ - « الصحاح » : الجوهري ، مصر .
٢٣٦ - « صحيح ابن حبّان » ، بيروت .
٢٣٧ - « صحيح ابن خزيمة » ، بيروت .
٢٣٨ - « صحيح الأَدب المفرد » : الأَلباني : ، السعودية .
٢٣٩ - « صحيح البخاري » ، مصر .
٢٤٠ - « صحيح الترغيب والتّرهيب » : الألباني ، السعوديّة .
٢٤١ - « صحيح الجامع » : الأَلباني ، بيروت .
٢٤٢ - « صحيح سنن ابن ماجه » : الأَلباني : بيروت .

٢٤٣ - « صحيح مسلم » ، مصر .
٢٤٤ - « الصحيح المسند من أَسباب النُّزول » : مُقبل بن هادي ، مصر .
٢٤٥ - « صفة صوم النبيّ ﷺ » : علي بن حسن وسليم الهلالي ، الأُردن .
٢٤٦ - « صِلَة تاريخ الطبري » : عُريب بن سعد ، مصر .
٢٤٧ - « الصمت » : ابن أَبي الدنيا ، بيروت .
٢٤٨ - « الصواعق المرسلة » : ابن قيّم الجوزيّة ، السعوديّة .

(ض)

٢٤٩ - « الضعفاء : العقيلي ، بيروت .
٢٥٠ - « ضعيف الأَدب المفرد » : الأَلباني ، السعوديّة .
٢٥١ - « ضوابط الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند شيخ الإِسلام ابن تيميّة » : علي بن حسن ، الأُردنّ .

(ط)

٢٥٢ - « الطبّ النبوي » : ابن قيم الجوزيّة ، مصر .
٢٥٣ - « طبقات ابن سعد » ، بيروت .
٢٥٤ - « طبقات الأَطبّاء » : ابن أَبي أُصيبعة ، مصر .
٢٥٥ - « طبقات الحنابلة » : ابن أَبي يعلى ، مصر .
٢٥٦ - « طبقات الشافعيّة الكبرى » : السُّبكي ، مصر .
٢٥٧ - « طبقات المفسّرين » : الداودي ، مصر .
٢٥٨ - « الطرق الحُكميّة » : ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .
٢٥٩ - « طريق الهجرتين » : ابن قيّم الجوزيّة ، السعودية .
٢٦٠ - « الطهور » : أَبو عبيد القاسم بن سلّام ، السعوديّة .

(ظ)

٢٦١ - « ظلال الجنّة » الأَلباني ، بيروت .

(ع)

٢٦٢ - « العبوديّة » ابن تيميّة ، الأردنّ .
٢٦٣ - « العُزلة » : الخطّابي ، مصر .
٢٦٤ - « عِشرة النّساء » : النّسائي ، مصر .
٢٦٥ - « العظمة » : أَبو الشيخ ، السعودية .
٢٦٦ - « العِقد الفريد » : ابن عبد ربّه ، مصر .
٢٦٧ - « العقلانيّون أَفرخ المعتزلة العصريّون » : علي بن حسن ، السعوديّة .
٢٦٨ - « عقيدة السلف أَصحاب الحديث » : أَبو عثمان الصابوني ، الكويت .
٢٦٩ - « العلل » : الدارقطني ، السعوديّة .
٢٧٠ - « علل الأَحاديث » : ابن أَبي حاتم ، مصر .
٢٧١ - « العلل الكبير » : الترمذيّ ، الأُردنّ .
٢٧٢ - « العلل المتناهية » : ابن الجوزي ، الباكستان .
٢٧٣ - « العلم » ابن أَبي خيثمة ، دمشق .
٢٧٤ - « علم أُصول البدع » : علي بن حسن ، السعوديّة .
٢٧٥ - « العُلوّ » : الذهبيّ ، بيروت .
٢٧٦ - « عمدة التفسير » : أَحمد شاكر ، مصر .
٢٧٧ - « عمر الخيّام بين الكفر والإِيمان » ، بيروت .
٢٧٨ - « عمل اليوم والليلة » : النّسائي ، بيروت .
٢٧٩ - « عمل اليوم والليلة » ابن السُّنّي ، مصر .

(غ)

٢٨٠ - « غاية النّفع » : ابن رَجَب ، بيروت .

٢٨١ - « غرائب مالك » : الدّارقطني ، مخطوط .

٢٨٢ - « غريب الحديث « أَبو عبيد القاسم بن سلّام ، الهند .

٢٨٣ - « غريب الحديث » ابن قتيبة ، العراق .

٢٨٤ - « غريب القرآن » : ابن قتيبة ، مصر .

(ف)

٢٨٥ - « فتح الباري » : ابن حَجَر ، مصر .

٢٨٦ - « فتح العزيز الغفّار » : عطاء عبداللطيف ، مصر .

٢٨٧ - « فتح الوهّاب » : أَحمد بن الصدّيق ، بيروت .

٢٨٨ - « فتوح البلدان » : البلاذُري ، مصر .

٢٨٩ - « الفخر المتوالي » السخاويّ ، الأردن .

٢٩٠ - « الفَرْق بين الفِرَق » : البغدادي ، مصر .

٢٩١ - « الفروق اللغويّة » : العسكريّ ، مصر .

٢٩٢ - « الفصل في الملل والأَهواء والنّحل » : ابن حزم ، بيروت .

٢٩٣ - « فصل المقال » : البكري ، بيروت .

٢٩٤ - « فضل علم السلف على الخلف » : ابن رجب ، الأُردن .

٢٩٥ - « فقه السيرة » : الغزالي ، مصر .

٢٩٦ - « الفقيه والمتفقّه » : الخطيب ، السعوديّة .

٢٩٧ - « الفنون » : ابن عقيل ، بيروت .

٢٩٨ - « الفهرست » : ابن النّديم ، بيروت .

٢٩٩ - « فهرست بن خيّر » ، بيروت .

٣٠٠ - « فوائد تمّام » ، بيروت .
٣٠١ - « الفوائد المجموعة » : الشوكاني ، بيروت .
٣٠٢ - « الفوائد المشوّقة » : المنسوب لابن القيّم ، مصر .
٣٠٣ - « فيض القدير » المناوي ، مصر .

(ق)

٣٠٤ - « قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة » : ابن تيميّة ، السعوديّة .
٣٠٥ - « قاعدة في تحريم الشِّطْرنج » : ابن تيميّة ، مصر .
٣٠٦ - « قاعدة النّصر في ظلال سورة العصر » : علي بن حَسَن ، مخطوط .
٣٠٧ - « القاموس المُحيط » : الفيروزآباديّ ، بيروت .
٣٠٨ - « القائد إِلى تصحيح العقائد » : المُعلِّمي ، بيروت .
٣٠٩ - « قَطْف الأَزهار المُتناثرة » : السّيوطي ، بيروت .

(ك)

٣١٠ - « الكاشف » : الذهبي ، بيروت .
٣١١ - « الكامل في التّاريخ » : ابن الأَثير ، مصر .
٣١٢ - « الكامل في ضعفاء الرِّجال » : ابن عدي ، بيروت .
٣١٣ - « كشف الأَستار عن زوائد البزّار » : الهيثمي ، بيروت .
٣١٤ - « الكشف الحثيث عمّن رمي بوضع الحديث » : سِبْط ابن العجمي ، العراق .
٣١٥ - « كشف الخفاء » : العجلوني ، مصر .
٣١٦ - « الكشف الصريح » : علي بن حسن ، السعوديّة .
٣١٧ - « كشف الظنون » : حاجي خليفة ، تركيا .
٣١٨ - « كشف المتواري » : علي بن حسن ، السعوديّة .

٣١٩ - « الكشّاف » : الزمخشريّ ، مصر .
٣٢٠ - « الكلم الطيّب » : ابن تيميّة ، بيروت .
٣٢١ - « الكليّات » : أَبو البقاء الكَفَوي ، دمشق .
٣٢٢ - « الكُنى » : البخاري ، الهند .
٣٢٣ - « كنز العمال » : المُتقي الهندي ، بيروت .

(ل)

٣٢٤ - « لسان الميزان » : ابن حجر ، الهند .
٣٢٥ - « لقط اللآلئ المتناثرة » : الزَّبيدي ، بيروت .
٣٢٦ - « اللآلئ المصنوعة في الأَحاديث الموضوعة » السّيوطي ، مصر .

(م)

٣٢٧ - « ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه » الحازميّ ، مخطوط .
٣٢٨ - « المجالسة » الدِّينَوَري ، مخطوط .
٣٢٩ - « مجمع الأَمثال » : الميَداني ، مصر .
٣٣٠ - « مجمع البحرين » : الهيثمي ، السعوديّة .
٣٣١ - « مجمع الزوائد » : الهيثمي ، مصر .
٣٣٢ - « مجموع رسائل الجاحظ » : عبدالسلام هارون ، مصر .
٣٣٣ - « مجموع فتاوى شيخ الإِسلام ابن تيميّة » ، السعوديّة .
٣٣٤ - « مجموعة عقائد السلف » : النشّار ، مصر .
٣٣٥ - « المجروحين » : ابن حبّان ، مصر .
٣٣٦ - « محاسبة النّفس » : ابن أَبي الدنيا ، بيروت .
٣٣٧ - « محاسن الاصطلاح » : البلقيني ، مصر .
٣٣٨ - « المحرّر الوجيز » : ابن عطيّة ، المغرب .

٣٣٩ - « مختار الصحاح » ، الرّازي ، مصر .
٣٤٠ - « المختارة » : الضياء المقدسي ، السعوديّة .
٣٤١ - « مختصر زوائد البزّار » : ابن حَجَر ، بيروت .
٣٤٢ - « مختصر صحيح مسلم » : المنذري ، بيروت .
٣٤٣ - « مختصر الصواعق المرسلة » : الموصلي ، مصر .
٣٤٤ - « مدارج السالكين » :ابن قيّم الجوزيّة ، مصر .
٣٤٥ - « المدخل » : البيهقي ، الكويت .
٣٤٦ - « المدوّنة » : سَحْنون ، مصر .
٣٤٧ - « المراسيل » : ابن أَبي حاتم ، بيروت .
٣٤٨ - « مروج الذّهب » : المَسْعودي ، مصر .
٣٤٩ - « موارد الظمآن » : الهيثمي ، مصر .
٣٥٠ - « مساوئ الأَخلاق » : الخرائطي ، السعوديّة .
٣٥١ - « الملل والنِّحَل » : الشهرستاني ، مصر .
٣٥٢ - « منادمة الأَطلال » : ابن بدران ، بيروت .
٣٥٣ - « مناقب الشافعي » : ابن أَبي حاتم ، مصر .
٣٥٤ - « مناقب الشافعي » : البيهقي ، مصر .
٣٥٥ - « المنتخب من مخطوطات الحديث في الظاهريّة » : الأَلباني ، دمشق .
٣٥٦ - « المنتخب من مُسند عبد بن حُميد » ، الكويت .
٣٥٧ - « المنتظم » : ابن الجوزي ، الهند .
٣٥٨ - « المنتقى » : ابن الجارود ، مصر .
٣٥٩ - « المنتقى » الباجي ، مصر .
٣٦٠ - « منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أَبي داود » : الساعاتي ، مصر.
٣٦١ - « منطق ابن تيميّة ومنهجه الفكري » : محمد الزين ، بيروت .

٣٦٢ - « منهاج السنّة النبويّة » : ابن تيميّة ، السعوديّة .
٣٦٣ - « موارد ابن القيّم » : بكر بن عبدالله أَبو زيد ، السعوديّة .
٣٦٤ - « المؤتلِف والمختلِف » : الدّارقطني ، بيروت .
٣٦٥ - « الموضّح لأَوهام الجمع والتّفريق » الخطيب البغدادي ، الهند
٣٦٦ - « الموضوعات » : ابن الجوزي ، مصر .
٣٦٧ - « الموضوعات » : الصَّغاني ، بيروت .
٣٦٨ - « الموطّأ برواية يحيى الليثيّ » : مصر .
٣٦٩ - « الموطّأ برواية أَبي مصعب الزّهري » : بيروت .
٣٧٠ - « ميزان الاعتدال » : الذهبيّ ، مصر .

(ن)

٣٧١ - « الناسخ والمنسوخ » : ابن شاهين ، الأُردنّ .
٣٧٢ - « النُّجوم الزاهرة » : ابن تَغْري بَرْدي ، مصر .
٣٧٣ - « نزهة الأَلباب في الأَلقاب » : ابن حجر ، السعوديّة .
٣٧٤ - « نصب الرّاية » الزَّيلعي ، الهند .
٣٧٥ - « نظم المتناثر » الكتّاني ، مصر .
٣٧٦ - « المسائل الماردينيّة » : ابن تيميّة ، بيروت .
٣٧٧ - « المسائل والرّسائل المرويّة عن الإِمام أَحمد بن حنبل » : ... ، السعودية.
٣٧٨ - « مستدرك الحاكم » ، الهند .
٣٧٩ - « المستصفى في أَمثال العرب » : الزّمخشري ، مصر .
٣٨٠ - « مسند أَبي داود الطيالسي » ، الهند .
٣٨١ - « مسند أَبي يعلى » ، دمشق .
٣٨٢ - « مسند أَحمد بن حنبل » ، مصر .

٣٨٣ - « مسند إسحاق بن راهويه » ، السعودية .
٣٨٤ - « مسند البزّار » ، السعودية .
٣٨٥ - « مسند الجعد » : البغوي ، بيروت .
٣٨٦ - « مسند الحميدي » ، الهند .
٣٨٧ - « مسند سعد الدّورقيّ » ، بيروت .
٣٨٨ - « مسند الشاشي » ، السعوديّة .
٣٨٩ - « مسند الشاميّين » : الطبراني ، بيروت .
٣٩٠ - « مسند الشهاب » : القُضاعي ، بيروت .
٣٩١ - « مسند الفردس » : الدّيلمي ، بيروت .
٣٩٢ - « مشكل الآثار » : الطّحاوي ، بيروت .
٣٩٣ - « مصباح الزّجاجة » : البوصيري بيروت .
٣٩٤ - « المصباح المنير » : الفيّومي ، مصر .
٣٩٥ - « مصنّف ابن أَبي شيبة » ، الهند .
٣٩٦ - « مصنّف عبدالرزّاق » ، بيروت .
٣٩٧ - « المطالب العالية » : ابن حجر ، بيروت .
٣٩٨ - « معالم السنن » الخطّابي ، مصر .
٣٩٩ - « معاني القرآن » ، مصر .
٤٠٠ - « معجم ابن الأَعرابي » ، السعوديّة .
٤٠١ - « المعجم الأَوسط » : الطبراني ، السعوديّة .
٤٠٢ - « معجم البلدان » ياقوت الحمويّ ، بيروت .
٤٠٣ - « معجم شيوخ أَبي يعلى » ، دمشق .
٤٠٤ - « معجم الطبراني الصغير » الأُردنّ .
٤٠٥ - « معجم الطبراني الكبير » ، العراق .

٤٠٦ - « المعجم الفارسي » .... ، بيروت .
٤٠٧ - « معجم ما استعجم » : البكري ، مصر .
٤٠٨ - « معجم المناهي اللفظيّة » : بكر بن عبدالله أَبو زيد ، السعوديّة .
٤٠٩ - « المعجم الوجيز » : مجمع اللغة العربيّة ، مصر .
٤١٠ - « معرفة علوم الحديث » : الحاكم ، الهند .
٤١١ - « معرفة النسخ الحديثيّة » : بكر بن عبداللّه أَبو زيد ، السعودية
٤١٢ - « المعرفة العاريخ » : الفسوي ، بيروت .
٤١٣ - « المغني » ابن قُدامة ، مصر .
٤١٤ - « مفاتيح الغيب » ، الرّازي ، مصر .
٤١٥ - « المفهم » : القرطبي ، بيروت .
٤١٦ - « المقاصد الحسنة » : السخاوي ، مصر .
٤١٧ - « مقالات الإِسلاميّين » : أَبو الحسن الأَشعري ، بيروت .
٤١٨ - « مكارم الأخلاق » : الخرائطي ، مصر .
٤١٩ - « مكارم الأَخلاق » ابن أَبي الدنيا ، بيروت .
٤٢٠ - « نفح الطّيب » ، المقّري ، بيروت .
٤٢١ - « نقض المنطق » ابن تيميّة ، مصر .
٤٢٢ - « النكت الظراف » : ابن حجر ، الهند .
٤٢٣ - « النكت على كتاب ابن الصلاح » : ابن حجر ، السعوديّة .
٤٢٤ - « النكت على نزهة النظر » : علي بن حسن ، السعودية .
٤٢٥ - « نهاية الأَدب » : النُّويري ، بيروت .
٤٢٦ - « النهاية في غريب الحديث » : ابن الأَثير ، مصر .
٤٢٧ - « النهي عن سبِّ الأَصحاب وبيان ما ذكر فيه من العذاب » : الضياء المقدسي ، السعودية .

٤٢٨ - « نيل الأَوطار » : الشوكاني ، مصر .

(هـ)

٤٢٩ - « هدية العارفين » : البغدادي ، تركيّا .،

٤٣٠ - « همع الهوامع » السيوطي ، بيروت .

٤٣١ - « الوابل الصيّب » ابن قيّم الجوزية ، دمشق .

٤٣٢ - « الوافي بالوفيّات » : الصلاح الصفدي ، بيروت .

٤٣٣ - « الواهيات » : ابن الجوزي ، الباكستان .

٤٣٤ - « الورع » : ابن أَبي الدنيا ، الكويت .

٤٣٥ - « الوسيط » في تفسير القرآن العظيم » : الواحدي ، بيروت .

٤٣٦ - « وفيّات الأَعيان » : ابن خَلّكان ، بيروت .

(المجلّات)

٤٣٧ - الأَصالة - بيروت .

٩ - الفهرس الموضوعات الإجمالي

بين يدي الكتاب .... ١ / ٥
موجز ترجمة الإِمام العلّامة شمس الدِّين ابن القيّم رحمه الله .... ١ / ٧
مدخل .... ١ / ٩
سَرْد الترجمة .... ١ / ٩/
« مفتاح دار السعادة » : أَهميته ومنهجه .... ١ / ١٥
حول اسم الكتاب واستمداده .... ١ / ١٥
منهج المؤلّف في كتابه .... ١ / ٢١
طريقته في الاستدلال والبحث والتّرجيح .... ١ / ٢٢
حول تقسيم الكتاب .... ١ / ٢٥
نسبة الكتاب إِلى مؤلّفه .... ١ / ٣٠
تقييم الكتاب .... ١ / ٢٨
النسخ المعتمدة في التحقيق والمنهج المتّبع في ذلك .... ١ / ٣٢
الطبعات السَّابقة لـ « مفتاح دار السعادة » عرضاً ونقداً .... ١ / ٤٥
أَوّلًا : حول « الصحيحين » ومسائل أُخَرُ !! .... ١ / ٤٨
ثانياً : في الحكم على الأَحاديث .... ١ / ٥٤
ثالثاً : في العَزْو .... ١ / ٧٣
رابعًا : التصحيفات والتحريفات ، والسَّقَط وأَغلاط الضبط .... ١ / ٨٥
مقدّمة المصنِّف : .... ١ / ١٠٣

١ - فصل : [عهد الله سبحانه لآدم وبنيه] .... ١ / ١٧٦
٢ - فصل : [حظُّ الأَعداء وحظُّ الأَولياء] .... ١ / ١٨٧
٣ - فصل : [ثواب الجنّ وعقابُهم] .... ١ / ١٨٩
٤ - فصل : [مدار الإِيمان وقاعدته] .... ١ / ١٩٥
٥ - فصل : [صفة القلب السليم] .... ١ / ٢٠٠
٦ - فصل : [التّلاوة هي الاتّباع] .... ١ / ٢٠٢
٧ - فصل : [معنى الذِّكر] .... ١ / ٢٠٤
٨ - فصل : [المعرضون عن الذِّكر] .... ١ / ٢٠٦
٩ - فصل : [عمى البصر أَم البصيرة ؟] .... ١ / ٢١٠
١٠ - فصل : [العِلم والإِرادة] .... ١ / ٢١٤
الأَصل الأَوّل في العلم وفضله وشرفه .... ١ / ٢١٩
١١ - فصل : [تخريج حديث يحمل هذا العلم] .... ١ / ٤٩٧
١٢ : فصل : [بين العلم والفكر] .... ١ / ٥٤٢

الجزء الثاني

١٣ - فصل : [التفكّر في خلق اللّه] .... ٢ / ٥
١٤ - فصل : [النطفة وأَحوالها] .... ٢ / ٢٣
١٥ - فصل : [النظر في آيات اللّه] .... ٢ / ٢٩
١٦ - فصل : [الأَرض وخلقها] .... ٢ / ٣١
١٧ - فصل : [الليل والنّهار] .... ٢ / ٣٩
١٨ - فصل : [البحار] .... ٢ / ٤١
١٩ - فصل : [الحيوانات وأَصنافها] .... ٢ / ٤٤
٢٠ - فصل : [العَالَم ونَظْمُ خلقه] .... ٢ / ٤٧

٢١ - فصل : [خلق السماء] .... ٢ / ٤٩
٢٢ - فصل : [الشمس والقمر] .... ٢ / ٥٠
٢٣ - فصل : [الشمس وأَحوالها] .... ٢ / ٥٢
٢٤ - فصل : [النّور والإِضاءة] .... ٢ / ٥٤
٢٥ - فصل : [طلوع الشمس على العالم] .... ٢ / ٥٥
٢٦ - فصل : [مقادير الليل والنّهار] .... ٢ / ٥٦
٢٧ - فصل : [الإِنارة في الليل] .... ٢ / ٥٨
٢٨ - فصل : [النّجوم وكثرتها وعَجَبُها] .... ٢ / ٦٠
٢٩ - فصل : [الكواكب وسيرها] .... ٢ / ٦٢
٣٠ - فصل : [أَسرار الفَلَك الدّوّار] .... ٢ / ٦٤
٣١ - فصل : [سؤال للجاحد الجاهل] .... ٢ / ٦٩
٣٢ - فصل : [إِمساك السموات والأَرض] .... ٢ / ٧١
٣٣ - فصل : [الحرّ والبرد] .... ٢ / ٧٢
٣٤ - فصل : [خلق النّار] .... ٢ / ٧٤
٣٥ - فصل : [من عجائب تخصيص الإِنسان بالنّار] .... ٢ / ٧٦
٣٦ - فصل : [الهواء والمصالح منه] .... ٢ / ٧٨
٣٧ - فصل : [خلق الأَرض] .... ٢ / ٨١
٣٨ - فصل : [مهابّ الرّياح] .... ٢ / ٨٣
٣٩ - فصل : [الجبال] .... ٢ / ٨٤
٤٠ - فصل : [اختلاف خلق الله في الأَرض] .... ٢ / ٩٠
٤١ - فصل : [الرياح] .... ٢ / ٩١
٤٢ - فصل : [الذّهب والفضّة] .... ٢ / ٩٢
٤٣ - فصل : [التراب والماء والهواء والنّار] .... ٢ / ٩٤

٤٤ - فصل : [سَعَة الأَرض وامتدادها] .... ٢ / ٩٥

٤٥ - فصل : [نزول المطر على الأَرض] .... ٢ / ٩٧

٤٦ - فصل : [إنزال المطر قَدْر الحاجة] .... ٢ / ٩٩

٤٧ - فصل : [الحكمة في إخراج أَنواع الزّرع] .... ٢ / ١٠٠

٤٨ - فصل : [عروق النبات والشجر] .... ٢ / ١٠٣

٤٩ - فصل : [خلق الورق] .... ٢ / ١٠٤

٥٠ - فصل : [زينة الشجر] .... ٢ / ١٠٥

٥١ - فصل : [العجم والنّوى] .... ٢ / ١٠٧

٥٢ - فصل : [الرّمّان] .... ٢ / ١٠٨

٥٣ - فصل : [رَيْع الزّرع ونماؤه] .... ٢ / ١١٠

٥٤ - فصل : [البُرّ والشعير] .... ٢ / ١١١

٥٥ - فصل : [حكمة الأَشجار] .... ٢ / ١١٢

٥٦ - فصل : [من أَنواع الشجر] .... ٢ / ١١٤

٥٧ - فصل : [موافقات الثمار والفواكه] .... ٢ / ١١٥

٥٨ - فصل : [النّخلة] .... ٢ / ١١٦

٥٩ - فصل : [العقاقير والأَدوية] .... ٣ / ١٢٣

٦٠ - فصل : [السمع والبصر للحيوانات] .... ٢ / ١٢٥

٦١ - فصل : [آلات البَطْش] .... ٢ / ١٢٧

٦٢ - فصل : [أَسنان الحيوانات] .... ٢ / ١٢٨

٦٣ - فصل : [ذوات الأَربع من الحيوان] .... ٢ / ١٣١

٦٤ - فصل : [قوائم الحيوان] .... ٢ / ١٣٣

٦٥ - فصل : [ظهور الدّواب] .... ٢ / ١٣٤

٦٦ - فصل : [فَرْج الدّابة] .... ٢ / ١٣٥

٦٧ - فصل : [كِسَاء أَجسام الحيوان] .... ٢ / ١٣٦
٦٨ - فصل : [كثرة البهائم والحيوانات] .... ٢ / ١٣٩
٦٩ - فصل : [وجه الدّابّة] .... ٢ / ١٤٣
٧٠ - فصل : [خرطوم الفيل] .... ٢ / ١٤٥
٧١ - فصل : [الزّرافة] .... ٢ / ١٤٧
٧٢ - فصل : [النّمل] .... ٢ / ١٥٠
٧٣ - فصل : [من فطنة الحيوانات] .... ٢ / ١٥٣
٧٤ - فصل : [جسم الطائر] .... ٢ / ١٥٥
٧٥ - فصل : [خلق البيضة] .... ٢ / ١٥٧
٧٦ - فصل : [حوصلة الطائر] .... ٢ / ١٥٨
٧٧ - فصل : [أَلوان الطيور] .... ٢ / ١٥٩
٧٨ - فصل : [مِنْ أَسرار خلق الطيور] .... ٢ / ١٦١
٧٩ - فصل : [آيات اللّه في النّحل] .... ٢ / ١٦٥
٨٠ - فصل : [النَّحل والعَسَل] .... ٢ / ١٦٨
٨١ - فصل : [الأَنعام وما في بطونها] .... ٢ / ١٧٢
٨٢ - فصل : [السمك وكثرته] .... ٢ / ١٧٣
٨٣ - فصل : [بين العبد والرّب] .... ٢ / ١٨٣
٨٤ - فصل : [آلات التناسل] .... ٢ / ١٩٢
٨٥ - فصل : [كرِّر النّظر في نفسك] .... ٢ / ١٩٤
٨٦ - فصل : [تركيب البدن] .... ٢ / ١٩٩
٨٧ - فصل : [تكريم بني آدم] .... ٢ / ٢٠١
٨٨ - فصل : [حَواسّ الإِنسان] .... ٢ / ٢٠٣
٨٩ - فصل : [ما أُعِينت به الحواسّ] .... ٢ / ٢٠٥

٩٠ - فصل : [حال فاقد البصر] .... ٢ / ٢٠٦
٩١ - فصل : [حال مَنْ عُدِم البيان] .... ٢ / ٢٠٩
٩٢ - فصل : [أَعداد الأَعضاء] .... ٢ / ٢١٠
٩٣ - فصل : [اختلاف صور الإِنسان] .... ٢ / ٢١٣
٩٤ - فصل : [الشّعر عند الرّجل والمرأة] .... ٢ / ٢١٥
٩٥ - فصل : [الصوت وأَنواعه] .... ٢ / ٢١٦
٩٦ - فصل : [الفم وما يحتويه] .... ٢ / ٢١٩
٩٧ - فصل : [من خصائص أَعضاء الإِنسان] .... ٢ / ٢٢٣
٩٨ - فصل : [منافع بكاء الأَطفال] .... ٢ / ٢٢٨
٩٩ - فصل : [العلوم الممنوحة والممنوعة] .... ٢ / ٢٤٧
١٠٠ - فصل : [عِلمُ الساعة ومعرفة الآجال] .... ٢ / ٢٤٩
١٠١ - فصل : [العفو والإِحسان] .... ٢ / ٢٥٩
١٠٢ - فصل : [آثار الأَسماء الحسنى] .... ٢ / ٢٦١
١٠٣ - فصل : [القضاء والقَدَر] .... ٢ / ٢٦٣
١٠٤ - فصل : [حاجة العبد إِلى الرّب] .... ٢ / ٢٦٤
١٠٥ - فصل : [حقيقة العبادة] .... ٢ / ٢٦٥
١٠٦ - فصل : [تمام العبوديّة] .... ٢ / ٢٦٧
١٠٧ - فصل : [معرفة مقدار النّفْسِ] .... ٢ / ٢٧٠
١٠٨ - فصل : [سَعَة حلم الله وكَرَمِه] .... ٢ / ٢٧١
١٠٩ - فصل : [العفو والمغفرة] .... ٢ / ٢٧٢
١١٠ - فصل : [المغفرة وقَبول التّوبة] .... ٢ / ٢٧٣
١١١ - فصل : [عدلُ الله في بلائه عبادَه] .... ٢ / ٢٧٤
١١٢ - فصل : [معاملة العبد مع بين جنسه] .... ٢ / ٢٧٥

١١٣ - فصل : [بين الإِساءة والإِحسان] .... ٢ / ٢٧٦
١١٤ - فصل : [معذرة الخلائق] .... ٢ / ٢٧٧
١١٥ - فصل : [الكِبْر والعُجْب] .... ٢ / ٢٧٨
١١٦ - فصل : [عبوديّة القلب] .... ٢ / ٢٨٠
١١٧ - فصل : [نعمة المعافاة] .... ٢ / ٢٨١
١١٨ - فصل : [آثار التّوبة] .... ٢ / ٢٨٢
١١٩ - فصل : [فرح التّوبة] .... ٢ / ٢٨٣
١٢٠ - فصل : [فوائد الذُّنوب !!] .... ٢ / ٢٨٤
١٢١ - فصل : [الذّنْبُ وأَثَرُه] .... ٢ / ٢٨٦
١٢٢ - فصل : [استجماع قوى القَلْب] .... ٢ / ٢٨٧
١٢٣ - فصل : [معرفة الأَمراض والأَدواء] .... ٢ / ٢٨٨
١٢٤ - فصل : [امتحان الرّبِّ عبدَه] .... ٢ / ٢٩٠
١٢٥ - فصل : [الإِنسان ؛ شهوته وغضبُه] .... ٢ / ٢٩٢
١٢٦ - فصل : [العبد بين الذّنب والطّاعة] .... ٢ / ٢٩٤
١٢٧ - فصل : [هضمُ المؤمنِ نفسَه] .... ٢ / ٢٩٦
١٢٨ - فصل : [الإِمساك عن عيوب النّاس] .... ٢ / ٢٩٧
١٢٩ - فصل : [حاجة العبد إِلى مغفرة الرّبِّ] .... ٢ / ٢٩٨
١٣٠ - فصل : [العبد بين الحسنات والسيّئات] .... ٢ / ٣٠٠
١٣١ - فصل : [حكمة اللّه في الابتلاء] .... ٢ / ٣٠٢
١٣٢ - فصل : [موسى وعيسى مع أَقوامِهم] .... ٢ / ٣٠٥
١٣٣ - فصل : [حال النبيِّ ﷺ مَعَ قومِه] .... ٢ / ٣٠٦
١٣٤ - فصل : [حكمة اللّه في هذا الدِّين] .... ٢ / ٣٠٨
١٣٥ - فصل : [أَصحاب البصائر] .... ٢ / ٣١١

١٣٦ - فصل : [من وجه الحكمة الإلهيّة] .... ٢ / ٣١٤
١٣٧ - فصل : [حاجة النّاس إلى الشريعة] .... ٣ / ٣١٨
١٣٨ - فصل : [حُسْنُ الشّرائع عقلاً ونَقْلاً] .... ٢ / ٣٢٠
١٣٩ - فصل : [التسوية بين المختلفين] .... ٢ / ٣٣٩
١٤٠ - فصل : [المصالح والمفاسد] .... ٢ / ٣٤٤
١٤١ - فصل : [تساوي المصلحة والمفسدة] .... ٢ / ٣٤٩
١٤٢ - فصل : [من أَسرار الخلق والأَمر] .... ٢ / ٣٨٥
١٤٣ - فصل : [المَعَاد] .... ٢ / ٣٩١
١٤٤ - فصل : [الأَفعال بين الحُسن والقُبح] .... ٢ / ٣٩٨
١٤٥ - فصل : [إرادةُ الرَّبِّ وأَفعاله] .... ٢ / ٤٠٩
١٤٦ - فصل : [قُبْحُ الأفعال وحُسْنُها] .... ٢ / ٤١٢
١٤٧ - فصل : [الرّد على نفاة الحُسن والقُبْح] .... ٢ / ٤٥٠
١٤٨ - فصل : [آثار الأَسماء والصفات في العبوديّة] .... ٢ / ٥١٠
١٤٩ - فصل : [في القُبْح والحُسْنِ أَيضاً] .... ٢ / ٥٣٢

الجزء الثالث

١٥٠ - فصل : [مسألة الإيجاب في حقِّ اللّه سبحانه] .... ٣ / ٥
١٥١ - فصل : [القول الحقّ في الإيجاب] .... ٣ / ١١
١٥٢ - فصل : [مقصود الشرائع في نظر الفلاسفة] .... ٣ / ٢٤
١٥٣ - فصل : [تقصير الفلاسفة في الكلمات الإنسانيّة] .... ٣ / ٣٠
١٥٤ - فصل : [رسالة ابن عيسى في التنجيم] .... ٣ / ٨٨
١٥٥ - فصل : [تكميل رسالة التنجيم] .... ٣ / ١٣٢
١٥٦ - فصل : [مناقشة المُنَجّمين] .... ٣ / ١٦٥

١٥٧ - فصل : [توجيه دلالة بعض الآيات] .... ٣ / ١٨٧
١٥٨ - فصل : [تصحيح القول في قصّة إبراهيم عليه السلام] .... ٣ / ١٩١
١٥٩ - فصل : [المراد بـ « خلق السموات والأرض »] .... ٣ / ١٩٦
١٦٠ - فصل : [ردّ استدلال عجيب] .... ٣ / ٢٠١
١٦١ - فصل : [هل اعتمد إبراهيم ﷺ على الفَلَك ؟!] .... ٣ / ٢٠٦
١٦٢ - فصل : [سبب الخسوف والكسوف] .... ٣ / ٢١٢
١٦٣ - فصل : [إذا ذُكر النُّجوم فأَمسكوا] .... ٣ / ٢٣١
١٦٤ - فصل : [المنجّمون والبُرُوج] .... ٣ / ٢٣٤
١٦٥ - فصل : [من الكذب على عليّ بن أَبي طالب] .... ٣ / ٢٣٧
١٦٦ - فصل : [إبطال استدلالهم بحديث أَبي الدرداء] .... ٣ / ٢٤٣
١٦٧ - فصل : [الكذب على الشافعيّ في علم النّجوم] ...... ٣ / ٢٤٥
١٦٨ - فصل : [هل البحث في النّجوم علم ؟!] .... ٣ / ٢٦١
١٦٩ - فصل : [الفُرْس والبحث في النُّجوم] .... ٣ / ٢٦٥
١٧٠ - فصل : [الطِّيَرَة] .... ٣ / ٢٧٩
١٧١ - فصل : [وسطيّةُ أَهل السُّنّة] .... ٣ / ٣٠٣
١٧٢ - فصل : [أَجوبة على شبهات] .... ٣ / ٣٢٦
١٧٣ - فصل : [محبّة النّبيّ ﷺ للتيمُّن] .... ٣ / ٣٢٩
١٧٤ - فصل : [حكم الشؤم] .... ٣ / ٣٣٢
١٧٥ - فصل : [عود على الطِّيَرَة] .... ٣ / ٣٤٤
١٧٦ - فصل : [جواب على شبهةٍ أُخرى] .... ٣ / ٣٤٦
١٧٧ - فصل : [بيان كذبهم على النبيّ ﷺ] .... ٣ / ٣٤٨
١٧٨ - فصل : [جواب شبهة أُخرى] .... ٣ / ٣٤٩
١٧٩ - فصل : [كراهة إتباع الميّت بنارٍ] .... ٣ / ٣٥٢

١٨٠ - فصل : [موافقة القضاء والقَدَر للأَسباب] .... ٣ / ٣٥٤
١٨١ - فصل : [من تطيُّر أَهل الجاهليّة] .... ٣ / ٣٥٦
١٨٢ - فصل : [العدوى وأَحكامها] .... ٣ / ٣٦٢
١٨٣ - فصل : [حكم وطء المرضع] .... ٣ / ٣٨٠
١٨٤ - فصل : [ولادة الولد والقَدَر] .... ٣ / ٣٨٢
١٨٥ - فصل : [المجذوم والعدوى] .... ٣ / ٣٨٥

١٠ - فهرس الفهارس

١ - فهرس الآيات ٣٩٣
٢ - فهرس الأَحاديث المرفوعة ٤٢٧
٣ - فهرس الآثار الموقوفة ٤٤٣
٤ - فهرس الأعلام ٤٤٩
٥ - فهرس الكتب ٤٨٧
٦ - فهرس الأَشعار ٤٩٣
٧ - فهرس المسائل والفوائد ٥٠٥
٨ - قائمة المراجع ٥٣٩
٩ - فهرس الموضوعات الإِجمالي ٥٦١
١٠ - **فهرس الفهارس** ٥٧١

التنفيذ الطباعي

دار أولى النهى - بيروت . ص.ب: ١١/٤٤٥٦

☎ : ٥٨٠٣٤١ - ف: ٦٣١٥٥٣ خليوي: ٠٣/٨٧٥٠٥٨